* (فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة

٢ بيان أن أى معجزة لاتفيد الهداية مالم يخلقها الله فى القلوب

٤ بيان أن للجن شياطين يضلونهم كما أن للانس شياطين

٩ بيان ما تشرع التسمية عليه

١٣ بيان الشبه التى ألقاها المشركون فى أمر تحريم الميتة

١٧ بيان مثل المتخلص من الشبه والواقع فيها

٢١ بيان العلامات التى يستدل بها على هداية الله للشخص

٢٣ بيان العلامة التى تدل على الشقاء وبيان أن السبب الذى به توصل الى الايمان غير السبب الذى توصل به الى الكفر وأن الكل من الله

٢٧ بيان الخلاف هل أرسل الى الجن رسل منهم أم لا

٣٠ بيان ما كان أهل الجاهلية يفعلونه من فرض نصيب لآلهتهم فى الحرث والنعم

٣٨ ذكر كيفية وأد البنات فى الجاهلية وبيان أن ذلك كان فى ربيعة ومضر أيضا

٤٤ بيان أن آية وآتوا حقه يوم حصاده منسوخة بالزكاة وأنه [illegible] فى المال صدقة واجبة سوى الزكاة

٤٥ بيان الاسراف المحرم ماهو

٥٢ بيان الاصناف المحرم أكلها

٥٤ بيان ما حرم على اليهود من أصناف الحيوان

٥٧ بيان أن المشركين اشتبه عليهم الرضا بالمشيئة فقالوا لو شاء الله ما أشركنا ورد الله ذلك عليهم

٦٢ بيان متى يجوز الأكل من مال اليتيم

٦٤ بيان أن سبل البدع والشبهات كثيرة وأن السبل التى واحد منها يبعد عن الاسلام

صحيفة

٦٩ ذكر أن الحجة لاتقوم الا بانزال الكتب

٧١ ذكر طلوع الشمس من مغربها

٧٨ بيان أن أهل البدع هم من فرقوا دينهم

٧٩ بيان معنى الحسنة التى يجازى عليها عشر أمثالها وأنها حسنة مخصوصة وكذلك السيئة

٨٥ * (تفسير سورة الاعراف) *

٩١ بيان أن الميزان الذى توزن به الاعمال هو الميزان المعروف

١٠٠ بيان فساد ما يقوله القدرية من أن الايمان والكفر من أفعال العبد وان الله فوض اليه الاسباب

١٠٦ بيان ما تم لآدم حين أكل من الشجرة

١١٢ بيان أولى الاقوال فى تفسير لباس التقوى

١١٤ بيان ما كانت أهل الجاهلية تفعله فى الطواف

١٢٢ بيان أن الطيبات فى الدنيا لأهل الطاعة وان شاركهم فيها غيرهم

١٢٨ بيان أن السماء تفتح لارواح المؤمنين وتغلق لارواح غيرهم

١٣١ بيان أن الجمل يطلق على حبل السفينة

١٣٦ بيان الأعراف وصفة أهلها

١٤٠ بيان السيما التى يعرف بها أهل الجنة وأهل النار

١٤٢ بيان الشفاعة التى تكون يوم القيامة

١٥١ بيان عدد أهل السفينة الذين كانوا مع نبى الله نوح عليه السلام

١٥٣ ذكر قصة عاد

١٥٨ ذكر قصة ثمود

١٦٤ ذكر قصة لوط

١٦٦ ذكر نسب شعيب

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير) *

* (فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء الثامن من تفسير ابن جرير) *

صحيفة

٢ تفسير قوله ولو أننا نزلنا الآيات وبيان ما فيها من القراآت والوقوف

٥ بيان أن شياطين الانس أشد من شياطين الجن

٧ بيان أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف

١٢ تأويل تلك الآيات

١٣ تفسير قوله أومن كان ميتا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

١٤ بيان السبب فى اسلام حمزة عم النبى صلى الله عليه وسلم

١٦ بيان أن النفوس متفاوتة وأن الرسل أيضا كذلك

١٨ ذكر ما حصل بين الاشعرى والجبائى من المناظرة وما انتصر به بعضهم للجبائى ورده

٢٥ تأويل تلك الآيات

٢٦ تفسير قوله ذلك أن لم يكن ربك الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٣٢ ذكر ما كانت تفعله أهل الجاهلية بالانعام

٣٣ تاويل تلك الآيات

٣٣ تفسير قوله وهو الذى أنشأ جنات الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٣٦ بيان أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل لا الوجوب ولا الاباحة وبيان ما استدل به الامام أبو حنيفة على وجوب الزكاة فى الثمار

٤٣ تأويل تلك الآيات

٤٤ تفسير قوله قل تعالوا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٥١ بيان مقدار ما يضاعف على الحسنات وجملة أسئلة مع أجوبتها فى ذلك

٥٤ تأويل تلك الآيات

٥٦ (تفسير سورة الاعراف)

٥٨ بيان أن نفوس العالم قسمان ما ينفعه الذكرى وما ينفعه الانذار

صحيفة

٦١ بيان الميزان وما يوزن به وكيف يوزن

٦٣ تأويل تلك الآيات

٦٤ تفسير قوله ولقد خلقناكم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٦٧ بيان الاشياء التى توهمها ابليس فى أفضلية النار على الطين وردها عليه

٧٢ بيان القوى الاربع التى فى الجسم وأنها توجب فوات السعادات الروحانية

٧٧ تأويل تلك الآيات

٨٠ تفسير قوله يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

٨٤ بيان ما كانت العرب تفعله عند طوافها بالبيت

٨٥ بيان ما حصل بين طبيب الرشيد النصرانى وبين ابن واقد من كون القرآن فيه طب أم لا

٨٨ تأويل تلك الآيات

٩٠ تفسير قوله يابنى آدم اما يأتينكم الآيات وقراآتها ووقوفها

٩٤ بيان مذهب أهل التناسخ فى تعذيب الارواح

٩٦ تأويل تلك الآيات

٩٧ تفسير قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

١٠٠ بيان أهل الاعراف وما قيل فيهم

١٠٤ تأويل تلك الآيات

١٠٥ تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

١٠٧ بيان معنى الاستواء على العرش وما فيه من المذاهب والردود

١١٥ بيان بعض خواص الشمس والقمر والسيارات وأنها مسخرة بأمره

١١٦ ذكر مسائل استنبطها العلماء من الآية الشريفة

صحيفة		صحيفة	
١٢٠	بيان التفضيل فى كون عبادة السر أفضل أو الجهر	١٤٣	بيان مساكن عاد وذكر طرف من تواريخهم
١٢٤	بيان ما قاله الحكماء فى أسباب وجود الريح	١٤٤	تأويل هذه الآيات
١٣٠	تأويل تلك الآيات	١٤٤	تفسير قوله والى ثمود أخاهم صالحا الآيات وبيان القراآت والوقوف التى فيها
١٣١	تفسير قوله لقد أرسلنا نوحا الى قومه الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٤٦	بيان نسب ثمود
١٣٨	بيان نسب هود عليه السلام	١٥٤	ذكر قصة ثمود
		١٦٢	مسائل تتعلق باللواط
		١٦٦	تأويل تلك الآيات

* (تم فهرست الجزء الثامن من تفسير النيسابورى)

الجـــزء الثـــامن

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأئمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيـــه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام. نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعـــة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه
ســنة ١٣٢٧ هجريه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ايئس من فلاح هؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام القائلين لك لئن جئتنا بآية لنؤمنن لك فانا لو نزلنا اليهم الملائكة حتى يروها عيانا وكلمهم الموتى باحيائنا اياهم حجة لك ودلالة على نبوتك وأخبروهم أنك محق فيما تقول وأن ما جئتهم به حق من عند الله وحشرنا عليهم كل شئ فجعلناهم لك قبلا ما آمنوا ولا صدقوك ولا اتبعوك الا أن يشاء الله ذلك لمن شاء منهم ولكن أكثرهم يجهلون يقول ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن ذلك كذلك يحسبون أن الايمان اليهم والكفر بأيديهم متى شاؤا آمنوا ومتى شاؤا كفروا وليس ذلك كذلك ذلك بيدى لا يؤمن منهم الا من هديته له فوفقته ولا يكفر الا من خذلته عن الرشد فأضللته وقيل ان ذلك نزل فى المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله من مشركى قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال نزلت فى المستهزئين الذين سألوا النبى صلى الله عليه وسلم الآية فقال قل يا محمد انما الآيات عند الله وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ونزل فيهم ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ✻ وقال آخرون انما قيل ما كانوا ليؤمنوا يراد به أهل الشقاء وقيل الا أن يشاء الله فاستثنى ذلك من قوله ليؤمنوا يراد به أهل الايمان والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا وهم أهل

﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون ﴾ ﴿ القراآت قبلا بكسر القاف وفتح الباء أبو جعفر

الشقاء ثم قال الا أن يشاء الله وهم أهل السعادة الذين سبق لهم فى علمه أن يدخلوا فى الايمان * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول ابن عباس لأن الله جل ثناؤه عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذين تقدم ذكرهم فى قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وقد يجوز أن يكون الذين سألوا الآية كانوا هم المستهزئين الذين قال ابن جريج انهم عنوا بهذه الآية ولكن لا دلالة فى ظاهر التنزيل على ذلك ولا خبر تقوم به حجة بأن ذلك كذلك والخبر من الله خارج مخرج العموم فالقول بان ذلك عنى به أهل الشقاء منهم أولى لما وصفنا * واختلفت القراء فى قراءة قوله وحشرنا عليهم كل شىء قبلا فقرأته قراء أهل المدينة قبلا بكسر القاف وفتح الباء بمعنى معاينة من قول القائل لقيته قبلا أى معاينة ومجاهرة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وحشرنا عليهم كل شىء قبلا بضم القاف والباء واذا قرئ كذلك كان له من التأويل ثلاثة أوجه أحدها أن يكون القبل جمع قبيل كالرغف التى هى جمع رغيف والقضب التى هى جمع قضيب ويكون القبل الضمناء والكفلاء واذا كان ذلك معناه كان تأويل الكلام وحشرنا عليهم كل شىء كفلاء يكفلون لهم بان الذى نعدهم على ايمانهم بالله ان آمنوا أو نوعدهم على كفرهم بالله ان هلكوا على كفرهم ما آمنوا الا أن يشاء الله * والوجه الآخر أن يكون القبل بمعنى المقابلة والمواجهة من قول القائل أتيتك قبلا لا دبرا اذا أتاه من قبل وجهه * والوجه الثالث أن يكون معناه وحشرنا عليهم كل شىء قبيلة قبيلة صنفا صنفا وجماعة جماعة فيكون القبل حينئذ جمع قبيل الذى هو جمع قبيلة فيكون القبل جمع الجمع وبكل ذلك قد قالت جماعة من أهل التأويل ذكر من قال معنى ذلك معاينة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وحشرنا عليهم كل شىء قبلا يقول معاينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحشرنا عليهم كل شىء قبلا حتى يعاينوا ذلك معاينة ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله * ذكر من قال معنى ذلك قبيلة قبيلة صنفا صنفا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن يزيد من قرأ قبلا معناه قبيلا قبيلا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قبلا أفواجا قبيلا قبيلا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أحمد بن يونس عن أبى خيثمة قال ثنا أبان بن تغلب قال ثنى طلحة ان مجاهدا قرأ فى الانعام كل شىء قبلا قال قبائل قبيلا وقبيلا وقبيلا * ذكر من قال معناه مقابلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا يقول لو استقبلهم ذلك كله لم يؤمنوا الا أن يشاء الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحشرنا عليهم كل شىء قبلا قال حشروا اليهم جميعا فقابلوهم وواجهوهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن يزيد قرأ عيسى قبلا ومعناه عيانا * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندنا قراءة من قرأ وحشرنا عليهم كل شىء قبلا بضم القاف والباء لما ذكرنا من احتمال ذلك الاوجه التى بينا من المعانى وأن معنى القبل داخل فيه وغير داخل فى القبل معانى القبل وأما قوله وحشرنا عليهم فان معناه وجمعنا عليهم وسقنا اليهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا﴾ «قال أبو جعفر» يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه بذلك عما لقى من كفرة قومه فى ذات الله وحاثاله على الصبر على ما نال فيه وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا يقول وكما ابتليناك يا محمد بأن جعلنا لك من

ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة وبلا عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهانى عن نصير فصل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم غير حفص والمفضل وقرأ أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح ۞ الوقوف يجهلون ٥ غرورا ط يفترون ٥ مفصلا ط الممترين ٥ وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال أى لا تبديل لكلماته وهو يسمع ويعلم العليم ٥ عن سبيل الله ط يخرصون ٥ عن سبيله ج بالمهتدين ٥ مؤمنين ٥ اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ٥ وباطنه ط يقترفون ٥ لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ٥ ۞ التفسير هذا شروع فى تفصيل ما أجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومى والعاصى ابن وائل السهمى والاسود بن عبد يغوث الزهرى والاسود بن المطلب والحرث بن حنظلة أتوا الرسول صلى الله عليه وآله فى رهط من أهل مكة فقالوا أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل أو ائتنا بالله والملائكة قبيلا أى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان أوتوا هذه المقترحات

مشركي قومك أعداء شياطين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليصدوهم بمجادلتهم اياك
بذلك عن اتباعك والايمان بك وبما جئتهم به من عند ربك كذلك ابتلينا من قبلك من الانبياء
والرسل بان جعلنا لهم أعداء من قومهم يؤذونهم بالجدال والخصومات يقول فهذا الذي امتحنتك به
لم تخصص به من بينهم وحدك بل قد عممتهم بذلك معك لأبتليهم وأختبرهم مع قدرتي على منع من
آذاهم من ايذائهم فلم أفعل ذلك الا لأعرف أولي العزم منهم من غيرهم يقول فاصبر أنت كما صبر أولو
العزم من الرسل وأما شياطين الانس والجن فانهم مردتهم وقد بينا الفعل الذي منه بني هذا الاسم
بما أغنى عن اعادته ونصب العدو والشياطين بقوله جعلنا وأما قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا فانه يعني أنه يلقي الملقي منهم القول الذي زينه وحسنه بالباطل الى صاحبه ليغتر به من
سمعه فيضل عن سبيل الله ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله شياطين الانس والجن فقال
بعضهم معناه شياطين الانس التي مع الانس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين
ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدي وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول
غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه أما شياطين الانس فالشياطين التي تضل الانس وشياطين الجن الذين
يضلون الجن يلتقيان فيقول كل واحد منهما اني أضللت صاحبي بكذا وكذا وأضللت أنت صاحبك
بكذا وكذا فيعلم بعضهم بعضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن
مسروق عن عكرمة شياطين الانس والجن قال ليس في الانس شياطين ولكن شياطين الجن يوحون
الى شياطين الانس وشياطين الانس يوحون الى شياطين الجن حدثني الحرث قال ثنا عبد
العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدي في قوله يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا قال
للانسان شيطان وللجني شيطان فيلقى شيطان الانس شيطان الجن فيوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول غرورا * قال أبو جعفر جعل عكرمة والسدي في تأويلهما هذا الذي ذكرت عنهما
عدو الانبياء الذين ذكرهم الله في قوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أولاد ابليس دون أولاد آدم
ودون الجن وجعل الموصوفين بأن بعضهم يوحي الى بعض زخرف القول غرورا ولد ابليس وأن من
مع ابن آدم من ولد ابليس يوحي الى من مع الجن من ولده زخرف القول غرورا وليس لهذا التأويل وجه
مفهوم لان الله جعل ابليس وولده أعداء ابن آدم فكل ولده لكل ولده عدو وقد خص الله في هذه الآية
الخبر عن الانبياء أنه جعل لهم من الشياطين أعداء فلو كان معنيا بذلك الشياطين الذين ذكرهم
السدي الذين هم ولد ابليس لم يكن لخصوص الانبياء بالخبر عنهم أنه جعل لهم الشياطين أعداء وجه
وقد جعل من ذلك لاعدى أعدائه مثل الذي جعل لهم ولكن ذلك كالذي قلنا من أنه معني به انه
جعل مردة الانس والجن لكل نبي عدوا يوحي بعضهم الى بعض من القول ما يؤذيهم به وبنحو الذي
قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال
قال ثنا حماد عن حميد بن هلال قال ثني رجل من أهل دمشق عن عوف بن مالك عن أبي

قال أبو زيد يقال لقيت فلانا قبلا وقبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي وقال أبو عبيدة والفراء والزجاج قبلا بكسر
القاف معناه معاينة يروى عن أبي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله أ كان آدم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا وأما قبلا بضمتين فقيل
انه جمع قبيل ومعناه الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره أي قبيلا قبيلا أو
معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شيء فكفلوا بصحة ما يقول ما آمنوا وموضع الاعجاز (٤)
فيه أن الاشياء المحشورة منها
ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها حي
ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى
على اختلاف طبائعها مجتمعة في
موقف واحد ثم أنطقها وأطبقوا
على قبول هذه الكفالة كان ذلك
من أعظم المعجزات أما قوله تعالى
(ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله)
ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما
لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء
ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم
الايمان لما وجب عليهم الايمان
كما لو لم يأمرهم به لم يجب ولو أراد
الكفر من الكافر لكان الكافر في
كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة
الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى
أن يريد الكفر لجاز أن يأمر به
ولجاز أن يأمرنا بأن نريد الكفر
فالمراد من الآية أنه شاء من الكل
الايمان الاختياري وما شاء الايمان
القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا
ايمانا اختياريا الا أن يشاء الله
مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ
يؤمنون وزيف بأن الاختيار
لا بد معه من حصول داعية يترجح
بها أحد طرفي الممكن ولا تحصل
تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى
فكأنه لا اختيار قال الجبائي قوله
الا أن يشاء الله يدل على حدوث
المشيئة اذ لو كانت قديمة وهي
الشرط لزم من حصولها حصول المشروط وأجيب بأنها قديمة الا أن تعلقها باحداث نز
المحدث في الحال اضافة حادثة ثم ختم الآية بقوله (ولكن أكثرهم يجهلون) قالت الأشاعرة أي لا يعلمون أن الكل بقضاء الله وبقدره وقالت
المعتزلة انهم لا يدرون أنهم يبقون كفارا عند ظهور الآية التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد أيمانهم على
ما لا يشعرون من حال قلوبهم أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري بمجيء

الآيات المقترحات ثم قال (وكذلك) قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا أى وكما زينا لكل أمة عملهم (جعلنا) وقيل ان المشار اليه محذوف أى وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لاشك أن تلك العداوة معصية وكفر وأن جعلها شرا فالآية تدل على أن خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل أنه حكم (٥) وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا أخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبى انه أمر الانبياء بعداوتهم وأعلمهم بكونهم أعداء لهم فاقتضى ذلك أنهم صاروا أعداء للانبياء لان العداوة تكون من الجانبين أجاب أبو بكر الاصم بأنه لما أرسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سبب الحسد والعداوة أو البغضاء فهذا هو المراد بجعلهم أعداء له وزيف بأن الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبأن العداوة والمحبة متعلقة بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب الشياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى عدوا فى معنى الجمع ولقائل أن يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واحدا اذ ليس يجب أن يحصل لكل واحد من الانبياء أكثر من عدو واحد * عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان شيطان الجن اذا أعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فأغراه بالمؤمن ليفتنه عليه روى أن النبى صلى الله عليه وآله قال لأبى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس الا أن الذى يوسوس للانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس للجن يسمى شيطان الجن وزيف بأن المقصود من الآية الشكاية من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن لأنى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى

ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يارسول الله هل للانس من شياطين قال نعم حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن أبى عبد الله محمد بن أيوب وغيره من المشيخة عن ابن عائذ عن أبى ذر أنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس قد أطال فيه الجلوس قال فقال يا أبا ذر هل صليت قال قلت لا يارسول الله قال قم فاركع ركعتين قال ثم جئت فجلست اليه فقال يا أبا ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت يارسول الله وهل للانس من شياطين قال نعم شر من شياطين الجن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال بلغنى أن أبا ذر قام يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن فقال يارسول الله أوان من الانس شياطين قال نعم * وقال آخرون فى ذلك بنحو الذى قلنا من ان ذلك اخبار من الله ان شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله شياطين الانس والجن قال من الجن شياطين ومن الانس شياطين يوحى بعضهم الى بعض قال قتادة بلغنى أن أبا ذر كان يوما يصلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم تعوذ يا أبا ذر من شياطين الانس والجن فقال يانبى الله أوان من الانس شياطين فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن الآية ذكر لنا أن أبا ذر قام ذات يوم يصلى فقال له نبى الله تعوذ بالله من شياطين الجن والانس فقال يانبى الله أوللانس شياطين كشياطين الجن قال نعم أوكذبت عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن فقال كفار الجن شياطين يوحون الى شياطين الانس كفار الانس زخرف القول غرورا وأما قوله زخرف القول غرورا فانه المزين بالباطل كما وصفت قبل يقال منه زخرف كلامه وشهادته اذا حسن ذلك بالباطل ووشاه كما حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن شريك عن سعيد بن مسروق عن عكرمة قوله زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما الزخرف فزخرفوه زينوه حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد زخرف القول غرورا قال تزيين الباطل بالألسنة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله زخرف القول غرورا يقول حسن بعضهم لبعض القول ليتبعوهم فى فتنتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله زخرف القول غرورا قال الزخرف المزين حيث زين لهم هذا الغرور كما زين ابليس لآدم ما جاءه به وقاسمهما انه لهما لمن الناصحين وقرأ وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم قال ذلك الزخرف وأما الغرور فانه

الايحاء الايماء أو القول السريع أي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وكأنه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير و(زخرف القول) ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه أن الانسان ما لم يعتقد في أمر من الأمور خيرية أو نفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق والالهام وكان صادرا من الملك والا كان مزخرفا أي يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدي (غرورا) نصب على المصدر لأن ايحاء الزخرف من القول في معنى الغرور (ولو شاء ربك ما فعلوه) استدلال الاشاعرة به ظاهر والمعتزلة يحملونه على مشيئة الالجاء (فذرهم وما يفترون) منصوب على أنه مفعول معه أو مفعول به أي وافتراءهم أو ما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تحذير من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما أعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال في المستمع انه مصغ اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت وأصغى الاناء اذا أماله حتى انصب بعضه في بعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغا وأصغى قال الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا أي مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في (ولتصغى) لابد لها من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير وانما جعلنا مثل ذلك الشخص عدوا للنبي لتميل (اليه) أو الى قوله المزخرف (أفئدة) الكفار فيبعدوا بذلك السبب عن قبول دعوة النبي (وليرضوه) وليختاروه على أنفسهم (وليقترفوا) وليكتسبوا من الآثام (ما هم مقترفون) وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك اي وزيف بأن حمل لام كي على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل اليه ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين أفئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن أبي مسلم أنها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغتروا بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة وأورد عليه أن ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه * وههنا بحث وهو

ما غر الانسان فخدعه فصده عن الصواب الى الخطا ومن الحق الى الباطل وهو مصدر من قول القائل غررت فلانا بكذا وكذا فأنا أغره غرورا وغرا كالذي حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي غرورا قال يغرون به الناس والجن ۞ القول في تأويل قوله (ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) يقول تعالى ذكره ولو شئت يا محمد أن يؤمن الذين كانوا للأنبياء أعداء من شياطين الانس والجن فلا ينالهم مكرهم ويأمنوا غوائلهم وأذاهم فعلت ذلك ولكني لم أشأ ذلك لأبتلي بعضهم ببعض فيستحق كل فريق منهم ما سبق له في الكتاب السابق فذرهم يقول فدعهم يعني الشياطين الذين يجادلونك بالباطل من مشركي قومك ويخاصمونك بما أوحى اليهم أولياؤهم من شياطين الانس والجن وما يفترون يعني وما يختلقون من افك وزور يقول له صلى الله عليه وسلم اصبر عليهم فاني من وراء عقابهم على افترائهم على الله واختلاقهم عليه الكذب والزور ۞ القول في تأويل قوله (ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه) يقول تعالى ذكره وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولتصغى اليه يقول جل ثناؤه يوحي بعض هؤلاء الشياطين الى بعض المزين من القول بالباطل ليغروا به المؤمنين من أتباع الانبياء فيفتنوهم عن دينهم ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولتميل اليه قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وهو من صغوت تصغى وتصغو والتنزيل جاء بتصغى صغوا وصغوا وبعض العرب يقول صغيت بالياء حكي عن بعض بني أسد صغيت الى حديثه فأنا أصغى صغيا بالياء وذلك اذا ملت يقال صغوي معك اذا كان هواك معه وميلك مثل قولهم ضلعي معك ويقال أصغيت الاناء اذا أملته ليجتمع ما فيه ومنه قول الشاعر

ترى السفيه به عن كل محكمة * زيغ وفيه الى التشبيه اصغاء

ويقال للقمر اذا مال للغيوب صغا وأصغى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولتصغى اليه أفئدة يقول تزيغ اليه أفئدة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس في قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال لتميل حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة يقول تميل اليه قلوب الكفار ويحبونه ويرضون به حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ولتصغى ولتهووا ذلك وليرضوه قال يقول الرجل للمرأة صغيت اليها هويتها ۞ القول في تأويل قوله (وليقترفوا ما هم مقترفون) يقول تعالى ذكره وليكتسبوا من الاعمال ما هم مكتسبون حكي عن العرب سماعا منها خرج يقترف لأهله بمعنى يكسب لهم ومنه قيل قارف فلان هذا الامر اذا واقعه وعمله وكان بعضهم يقول هو التهمة والادعاء يقال للرجل أنت قرفتني

أن الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحياة فالحى هو الجزء الذى قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذى قام العلم به وقالت المعتزلة الحى والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة أنه جعل الموصوف بالميل والرغبة فى الآية هو القلب لا جملة الحى وبمثله استدل من جعل المتعلق الأول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر أنه لا فائدة لهم فى اظهار الآيات التى اقترحوها بين بقوله (أفغير الله أبتغى حكما) الآية أن الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان (٧) الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول أن الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه أنزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته وأشار الى هذا الوجه بقوله أفغير الله أبتغى حكما يعنى قل يا محمد انكم تتحكمون فى طلب سائر المعجزات فهل يجوز فى العقل أن يطلب غير الله حكما فان كل أحد يقول ان ذلك غير جائز * الوجه الثانى اشتمال التوراة والانجيل على أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى أن القرآن كتاب حق من عند الله وأشار اليه بقوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) ثم قال (فلا تكونن من الممترين) والخطاب لكل أحد أى اذا ظهرت الدلائل فلا ينبغى أن يمترى فيه أحد وقيل الخطاب للرسول فى الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول فى الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد فلا تكونن من الممترين فى أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم قال الواحدى الحكم والحاكم واحد عند أهل اللغة وقال بعض أهل التأويل الحكم أكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذى لا يحكم الا بالحق

ثم لما بين أن القرآن معجز قال (وتمت كلمة ربك) أى القرآن وقوله (صدقا وعدلا) مصدران منتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها أنها وافية كافية فى كونها معجزة دالة على صدق محمد أو كافية فى بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا أو المراد بالتمام أنها أزلية ولا يحدث بعد ذلك شئ واعلم أن كل ما حصل فى القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما أخبر الله تعالى عن وجوده أو عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وحصول صفاته أعنى كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس كقوله (وكذا قوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن أقسام أفعال الله تعالى وكيفية تدبيره الملك واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة الاجسام ويدخل

من بل الاولى أن يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أو

أى اتهمتنى ويقال بئسما اقترفت لنفسك وقال رؤبة

أعيا اقتراف الكذب المقروف * تقوى التقى وعفة العفيف

وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وليقترفوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وليقترفوا ما هم مقترفون وليكتسبوا ما هم مكتسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليقترفوا ما هم مقترفون قال ليعملوا ما هم عاملون ۞ القول فى تأويل قوله (أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بالله الاوثان والاصنام القائلين لك كف عن آلهتنا ونكف عن الهك ان الله قد حكم على بذكر آلهتكم بما يكون صدا عن عبادتها أفغير الله أبتغى حكما أى قل فليس لى أن أتعدى حكمه وأتجاوزه لأنه لا حكم أعدل منه ولا قائل أصدق منه وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا يعنى القرآن مفصلا يعنى مبينا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمرى وأمركم وقد بينا معنى التفصيل فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين) يقول تعالى ذكره ان أنكر هؤلاء العادلون بالله الاوثان من قومك توحيد الله وأشركوا معه الأنداد وجحدوا ما أنزلته اليك وأنكروا أن يكون حقا وكذبوا به فالذين آتيناهم الكتاب وهو التوراة والانجيل من بنى اسرائيل يعلمون أنه منزل من ربك يعنى القرآن وما فيه بالحق يقول فصلا بين أهل الحق والباطل يدل على صدق الصادق فى علم الله وكذب الكاذب المفترى عليه فلا تكونن من الممترين يقول فلا تكونن يا محمد من الشاكين فى حقية الأنباء التى جاءتك من الله فى هذا الكتاب وغير ذلك مما تضمنه لان الذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق وقد بينا فيما مضى ما وجه قوله فلا تكونن من الممترين بما أغنى عن اعادته مع الرواية المروية فيه وقد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فلا تكونن من الممترين يقول لا تكونن فى شك مما قصصنا عليك ۞ القول فى تأويل قوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) يقول تعالى ذكره وكملت كلمة ربك يعنى القرآن سماه كلمة كما تقول العرب للقصيدة من الشعر يقولها الشاعر هذه كلمة فلان صدقا وعدلا يقول كملت كلمة ربك من الصدق والعدل والصدق والعدل نصبا على التفسير للكلمة كما يقال عندى عشرون درهما لا مبدل لكلماته يقول لا مغير لما أخبر فى كتبه أنه كائن من وقوعه فى حينه وأجله الذى أخبر الله أنه واقع فيه وذلك نظير قوله جل ثناؤه يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكانت ارادتهم تبديل كلام الله مسألتهم نبى الله أن يتركهم يحضرون الحرب معه وقولهم له ولمن معه من المؤمنين ذرونا نتبعكم بعد الخبر الذى كان الله أخبرهم تعالى ذكره فى كتابه بقوله فان رجعك الله الى طائفة

فيه الخبر عن أحكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن أقسام أسماء الله تعالى والخبر عن النبوات وأقسام المعجزات والخبر عن أحوال الحشر والقيامة وصفات أهل الجنة والنار والخبر عن أحوال المتقدمين والخبر عن المغيبات وأما التكليف فيدخل فيه كل أمر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا أو بشرا أو شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا أو في شرائع الانبياء المتقدمين أو في مراسيم الملائكة المقربين الذين هم (٨) سكان السموات والجنة والنار والعرش وماوراءه مما لا يعلم أحوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقيل ان كل ما أخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لأنه لابد أن يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لأن أفعاله منزهة عن أن تكون بصفة الظلم ثم قال (لا مبدل لكلماته) والمعنى أن هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون القرآن دالا على صدق محمد الا أن تلك الشبهات لا تأثير لها في هذه الدلالة لجلاء الدلالة ووضوحها أو المراد أن كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أو الغرض أنها بريئة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا أو المعنى أن أحكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها أزلية والأزلي لا يزول وهذا الوجه أحد الاصول القوية في اثبات الجبر اذ يلزم منه أن لا ينقلب السعيد شقيا وبالضد ثم لما أجاب عن شبه الكفار بين أن عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل أن يلتفت الى كلمات الجهال فقال (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله) والمضل لابد أن يكون ضالا ويعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب خفض والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بأنه حق ثم قال (ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقدرون أنهم على شيء أو يكذبون في أن الله أحل كذا وحرم كذا وأصل الخرص حزرما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان أجل لام كي على لام الامر تحريضا ... يستند الى أمارة كظن الكفار المستند الى تقليد أسلافهم فقط أما اذا كان الاعتقاد الراجح

جعلنا لكل نبي عدوا وعن أبي مسلم أنها معطوفة على موضع

الكفار الى المذاهب الباطلة وأورد عليه أن ميل القلوب الى الآراء الفاسدة هو

منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا الآية فحاولوا تبديل كلام الله وخبره بأنهم لن يخرجوا مع نبي الله في غزاة ولن يقاتلوا معه عدوا بقولهم لهم ذرونا نتبعكم فقال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون أن يبدلوا بمسألتهم اياهم ذلك كلام الله وخبره قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فكذلك معنى قوله لا مبدل لكلماته انما هو لا مغير لما أخبر عنه من خبر أنه كائن فيبطل مجيئه وكونه ووقوعه على ما أخبر جل ثناؤه لأنه لا يزيد المفترون في كتب الله ولا ينقصون منها وذلك ان اليهود والنصارى لا شك أنهم أهل كتب الله التي أنزلها على أنبيائه وقد أخبر جل ثناؤه أنهم يحرفون غير الذي أخبر أنه لا مبدل له وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته يقول صدقا وعدلا فيما حكم وأما قوله وهو السميع العليم فان معناه والله السميع لما يقول هؤلاء العادلون بالله المقسمون بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها وغير ذلك من كلام خلقه العليم بما تؤول اليه أيمانهم من بر وصدق وكذب وحنث وغير ذلك من أمور عباده ۞ القول في تأويل قوله (وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لا تطع هؤلاء العادلين بالله الانداد يا محمد فيما دعوك اليه من أكل ما ذبحوا لآلهتهم وأهلوا به لغير ربهم وأشكالهم من أهل الزيغ والضلال فانك ان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن دين الله ومحجة الحق والصواب فيصدوك عن ذلك وانما قال الله لنبيه وان تطع أكثر من في الارض من بني آدم لانهم كانوا حينئذ كفارا ضلالا فقال له جل ثناؤه لا تطعهم فيما دعوك اليه فانك ان تطعهم ضللت ضلالهم وكنت مثلهم لانهم لا يدعونك الى الهدى وقد أخطؤه ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الذين نهى نبيه عن طاعتهم فيما دعوه اليه في أنفسهم فقال ان يتبعون الا الظن فأخبر جل ثناؤه أنهم من أمرهم على ظن عند أنفسهم وحسبان على صحة عزم عليه وان كان خطأ في الحقيقة وان هم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون يظنون ويوقعون حزرا لا يقين علم يقال منه خرص يخرص خرصا وخرصا أي كذب وتخرص بظن وتخرص بكذب وخرصت النخل أخرصه وخرصت ابلك أصابها البرد والجوع ۞ القول في تأويل قوله (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان لئلا يضلوك عن سبيله هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحي الشياطين بعضهم الى بعض فيصدوا عن طاعته واتباع ما أمر به وهو أعلم بالمهتدين يقول وهو أعلم أيضا منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد لا يخفى عليه منهم أحد يقول واتبع يا محمد ما أمرتك به وانته عما نهيتك عنه من طاعة من نهيتك عن طاعته فاني أعلم بالهادي والمضل من خلقي منك * واختلف أهل العربية في موضع من في قوله ان ربك هو أعلم من يضل فقال بعض نحويي البصرة موضعه

مستمسكا بالظن تقليدا ثم أنه كذلك ثم قال (ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) والمراد أنك بعدما عرفت أن الحق ماهو والباطل ماهو فلا تكن فى قيدهم بل فوض أمرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بأن المهتدى من هو والضال من هو فيجازى كل أحد بما يليق بعمله أو المراد أن هؤلاء الكفار وان أظهروا من أنفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم بأحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع على تحيرهم فى أودية الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان أفعل التفضيل لا يعمل فى مظهر ففى الكلام محذوف أى يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر محذوف قوى بالباء كما فى القلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة لقوله الله أعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان أكثر ما يستعمل أفعل من يستعمل مع الماضى نحو أعلم من دب ودرج وأحسن من قام وقعد وأفضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم أن يكون من للاستفهام كقوله لنعلم أى الحزبين أحصى ثم قال (فكلوا) والفاء مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتله الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ماذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع فى أكل الميتة فانهم كانوا يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة فى اثبات الحكم فى المتفق عليه وترك الحكم فى المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون أكل المذكاة ويبيحون أكل الميتة فرد الله تعالى عليهم فى الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه أو نقول المراد اجعلوا أكلكم مقصورا على ماذكر اسم الله عليه وعلى هذا فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله أعلم أما قوله (وقد فصل لكم) فأكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل فى أول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية واعترض عليه بأن سورة الانعام مكية والمائدة من آخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضى أن يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى أن يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما

خفض بنية الباء قال ومعنى الكلام ان ربك هو أعلم بمن يضل وقال بعض نحويى الكوفة موضعه رفع لانه بمعنى أى والرافع له يضل والصواب من القول فى ذلك أنه رفع بيضل وهو فى معنى أى وغير معلوم فى كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيرا وقد زعم بعضهم أن قوله أعلم فى هذا الموضع بمعنى يعلم واستشهد لقيله ببيت حاتم الطائى

فحالفت طىء من دوننا حلفا * والله أعلم ما كنا لهم خذلا

(وبقول خنساء)

القوم أعلم ان جفنته * تغدو غداة الريح أو تسرى

وهذا الذى قاله قائل هذا التأويل وان كان جائزا فى كلام العرب فليس قول الله تعالى ان ربك هو أعلم من يضل عن سبيله منه وذلك أنه عطف عليه بقوله وهو أعلم بالمهتدين فأبان بدخول الباء فى المهتدين أن أعلم ليس بمعنى يعلم لأن ذلك اذا كان بمعنى يفعل لم يوصل بالباء كما لا يقال هو يعلم بزيد بمعنى يعلم زيدا ﴿ القول فى تأويل قوله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعباده المؤمنين به وبآياته فكلوا أيها المؤمنون مما ذكيتم من ذبائحكم وذبحتموه الذبح الذى بينت لكم أنه تحل به الذبيحة لكم وذلك ماذبحه المؤمنون بى من أهل دينكم دين الحق أو ذبحه من دان بتوحيدى من أهل الكتاب دون ما ذبحه أهل الاوثان ومن لا كتاب له من المجوس ان كنتم بآياته مؤمنين يقول ان كنتم بحجج الله التى أتتكم وأعلامه بإحلال ما أحللت لكم وتحريم ما حرمت عليكم من المطاعم والمآكل مصدقين ودعوا عنكم زخرف ما توحيه الشياطين بعضها الى بعض من زخرف القول لكم وتلبيس دينكم عليكم غرورا وكان عطاء يقول فى ذلك ما حدثنا به محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح وكل شئ يدل على ذكره يأمر به ﴿ القول فى تأويل قوله (ومالكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه) اختلف أهل العلم بكلام العرب فى تأويل قوله ومالكم أن لا تأكلوا فقال بعض نحويى البصريين معنى ذلك وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا قال وذلك نظير قوله ومالنا أن لا نقاتل يقول أى شئ لنا فى ترك القتال قال ولو كانت لا زائدة لا يقع الفعل ولو كانت فى معنى ومالنا وكذا لكانت ومالنا وأن لا نقاتل وقال غيره انما دخلت لا للمنع لان تأويل مالك ومامنعك واحد مامنعك لا تفعل ذلك ومالك لا تفعل واحد فلذلك دخلت لا قال وهذا الموضع تكون فيه لا وتكون فيه أن مثل قوله يبين الله لكم أن تضلوا وأن لا تضلوا يمنعكم من الضلال بالبيان * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى قول من قال معنى قوله ومالكم فى هذا الموضع وأى شئ يمنعكم أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وذلك أن الله تعالى ذكره تقدم الى المؤمنين بتحليل ما ذكر اسم الله عليه وإباحة أكل ما ذبح بدينه أو دين من كان يدين ببعض شرائع كتبه المعروفة وتحريم ما أهل به لغيره من الحيوان وزجرهم

الى آخرها فان هذا القدر من التأخر غير ضائر وقوله (الا ما اضطررتم) أى دعتكم الضرورة الى أكله بسبب شدة المجاعة (وان كثيرا ليضلون) المبالغة فى قراءة ضم الياء أكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال غير مضل قيل انه عمرو بن لحى فمن دونه من المشركين لانه أول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب وأكل الميتة وقوله (بأهوائهم بغير علم) يريد أن عمرو بن لحى أقدم على هذه المذاهب عن الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون (١٠) الميتة ويناظرون فى احلالها أو يحتجون عليها بقولهم اذا حل ما تذبحونه أنتم فلأن يحل ما يذبحه الله تعالى أولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن فى نبوة محمد صلى الله عليه وآله وفى الآية دلالة على أن النزاع فى الدين بمجرد التقليد حرام (ان ربك هو أعلم بالمعتدين) فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر آية جامعة فقال (وذروا ظاهر الاثم وباطنه) فقيل ظاهره الزنا فى الحوانيت وباطنه الصديقة فى السر قال الضحاك كان أهل الجاهلية يرون الزنا حلالا ما كان سرا والأصح أن النهى عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما أعلنتم وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانبارى يريد وذروا الاثم من جميع جهاته كما تقول ما أخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا أى ما أخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهى عن الاثم مع بيان أنه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهى عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك أن الداعى له الى ترك ذلك الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمنى والندم على أفعال الخيرات ومنه يعلم أن ما يوجد فى القلب قد يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل (ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون) أى يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف بمحو الاقتراف كما يقال التوبة انهم تمحو الحوبة وظاهر النص يدل على انه يعاقب المذنب البتة الا أن المسلمين أجمعوا على أنه اذا تاب لم يعاقب وأهل السنة على أنه اذا لم يتب احتمل العفو (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) نقل عن عطاء أنه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام أو شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية وأجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم بالذبح ثم اختلفوا فقال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه فهو حرام ترك الذكر عمدا

عن الاصغاء لما يوحى الشياطين بعضهم الى بعض من زخرف القول فى الميتة والمنخنقة والمتردية وسائر ما حرم الله من المطاعم ثم قال وما يمنعكم من أكل ما ذبح بدينى الذى ارتضيته وقد فصلت لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وبينته لكم بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به الى قوله فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فلا لبس عليكم فى حرام ذلك من حلاله فتمتنعوا من أكل حلاله حذرا من مواقعة حرامه فاذ كان ذلك معناه فلا وجه لقول متأول ذلك وأى شئ لكم فى أن لا تأكلوا الا ان ذلك انما يقال كذلك لمن كان كف عن أكله رجاء ثواب بالكف عن أكله وذلك يكون ممن آمن بالكف فكف اتباعا لامر الله وتسليما لحكمه ولا نعلم أحدا من سلف هذه الامة كف عن أكل ما أحل الله من الذبائح رجاء ثواب الله على تركه ذلك واعتقادا منه أن الله حرمه عليه فبين بذلك اذ كان الامر كما وصفنا أن أولى التأويلين فى ذلك بالصواب ما قلنا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى قوله فصل وفصلنا وفصل بين أو بين بما يغنى عن اعادته فى هذا الموضع كما حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وقد فصل لكم ما حرم عليكم يقول قد بين لكم ما حرم عليكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد مثله * واختلفت القراء فى قول الله جل ثناؤه وقد فصل لكم ما حرم عليكم فقرأه بعضهم بفتح أول الحرفين من فصل وحرم أى فصل ما حرمه من مطاعمكم فبينه لكم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقد فصل بفتح فاء فصل وتشديد صاده ما حرم بضم حائه وتشديد رائه بمعنى وقد فصل الله لكم المحرم عليكم من مطاعمكم وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وقد فصل لكم بضم فائه وتشديد صاده ما حرم عليكم بضم حائه وتشديد رائه على وجه ما لم يسم فاعله فى الحرفين كليهما وروى عن عطية العوفى انه كان يقرأ ذلك وقد فصل بتخفيف الصاد وفتح الفاء بمعنى وقد أتاكم حكم الله فيما حرم عليكم * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان كل هذه القراآت الثلاث التى ذكرناها سوى القراءة التى ذكرناها عن عطية قراآت معروفات مستفيضة القراءة بها فى قراء الامصار وهن متفقات المعانى غير مختلفات فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب فيه الصواب وأما قوله الا ما اضطررتم اليه فانه يعنى تعالى ذكره أن ما اضطررنا اليه من المطاعم المحرمة التى بين تحريمها لنا فى غير حال الضرورة لنا حلال ما كنا اليه مضطرين حتى تزول الضرورة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا ما اضطررتم اليه من الميتة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ يقول تعالى ذكره وان كثيرا من الناس يجادلونكم فى أكل ما حرم الله عليكم أيها المؤمنون بالله من الميتة ليضلون أتباعهم باهوائهم من غير علم منهم بصحة ما يقولون ولا برهان عندهم بما فيه يجادلون الا ركوبا منهم لاهوائهم واتباعا منهم لدواعى نفوسهم اعتداء وخلافا لامر الله ونهيه وطاعة للشياطين ان ربك هو أعلم بالمعتدين يقول ان ربك يا محمد الذى أحل لك ما أحل وحرم عليك ما حرم هو أعلم بمن اعتدى حدوده فتجاوزها الى خلافها وهو لهم بالمرصاد * واختلفت القراء فى قراءة قوله ليضلون فقرأته عامة أهل الكوفة ليضلون بمعنى

أو نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين أبو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى (وانه لفسق) والضمير عائد الى الاكل الذى دل عليه الفعل أو الى الموصول على أنه فى نفسه فسق مثل رجل عدل أو على تقدير حذف المضاف أى وان أكله لفسق وقد أجمع المسلمون على أنه لا يفسق بأكل ذبيحة المسلم الذى ترك التسمية ولقوله تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم) وهذه المناظرة كانت فى مسئلة الميتة (١١) وذلك ان المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتل الكلب والصقر حلال وماقتله الله حرام فأنزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى أوليائهم من المشركين ليخاصموا محمدا وأصحابه فى أكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعنى مردة المجوس ليوحون الى أوليائهم من مشركى قريش وذلك أنه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس من أهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا وأصحابه يزعمون أن مايذبحونه حلال وأن مايذبحه الله حرام فوقع فى أنفس ناس من المسلمين شئ فنزلت الآية ثم قال (وان أطعتموهم) يعنى فى استحلال الميتة (انكم لمشركون) قال الزجاج وفيه دليل على أن كل من أحل شيأ مما حرم الله تعالى أو حرم شيأ مما أحل الله فهو مشرك لانه أثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعى الفسق فى آية أخرى وهى قوله قل لا أجد فيما أوحى الى محرما الى قوله أو فسقا أهل لغير الله به مفسر بما أهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق فى هذه الآية أيضا مفسر به نزلنا عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم انه لم يوجد ذكر الله ههنا المروى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال أو لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب أو نقول هب أن هذا الدليل يوجب الحرمة الا أن معنا مايدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فى الاشياء الاباحة والعمومات الدالة على الحل كقوله خلق لكم مافى الارض جميعا كلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال أحل لكم الطيبات ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعى ومع ذلك فالاولى بالمسلم أن يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبى فى الآية دلالة على ان الايمان اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا وأجيب بأنه لم لا يجوز أن يراد بالشرك ههنا اعتقاد

أنهم يضلون غيرهم وقرأ ذلك بعض البصريين والحجازيين ليضلون بمعنى انهم هم الذين يضلون عن الحق فيجورون عنه * وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بمعنى أنهم يضلون غيرهم وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم عن اضلالهم من تبعهم ونهاه عن طاعتهم واتباعهم الى مايدعونه اليه فقال وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ثم أخبر أصحابه عنهم بمثل الذى أخبره عنهم ونهاهم من قبول قولهم عن مثل الذى نهاه عنه فقال لهم وان كثيرا منهم ليضلونكم بأهوائهم بغير علم نظير الذى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وذروا ظاهر الاثم وباطنه﴾ يقول تعالى ذكره ودعوا أيها الناس علانية الاثم وذلك ظاهره وسره وذلك باطنه كذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه أى قليله وكثيره وسره وعلانيته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال سره وعلانيته حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع ابن أنس فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه يقول سره وعلانيته وقوله ماظهر منها ومابطن قال سره وعلانيته حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال نهى الله عن ظاهر الاثم وباطنه أن يعمل به سرا أو علانية وذلك ظاهره وباطنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه معصية الله فى السر والعلانية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال هو ماينوى مما هو عامل * ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى بالظاهر من الاثم والباطن منه فى هذا الموضع فقال بعضهم الظاهر منه ماحرم جل ثناؤه بقوله ولا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء وقوله حرمت عليكم أمهاتكم الآية والباطن منه الزنا ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه قال الظاهر منه لا تنكحوا مانكح آباؤكم من النساء الا ماقد سلف والامهات والبنات والاخوات والباطن الزنا * وقال آخرون الظاهر أولات الرايات من الزوانى والباطن ذوات الاخدان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وذروا ظاهر الاثم وباطنه أما ظاهره فالزوانى فى الحوانيت وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سرا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزناة ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ماظهر منها يعنى العلانية ومابطن يعنى السر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين وأبيه عن خصيف عن مجاهد لا تقربوا الفواحش ماظهر

منها وما بطن قال ما ظهر منها الجمع بين الاختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا * وقال آخرون الظاهر التعري والتجرد من الثياب وما يستر العورة في الطواف والباطن الزنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ظاهره العرية التي كانوا يعملون بها حين يطوفون بالبيت و باطنه الزنا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى ذكره تقدم الى خلقه بترك ظاهر الاثم وباطنه وذلك سره وعلانيته والاثم كل ما عصى الله به من محارمه وقد يدخل في ذلك سر الزنا وعلانيته ومعاهرة أهل الرايات وأولات الاخدان منهن ونكاح حلائل الآباء والأمهات والبنات والطواف بالبيت عريانا وكل معصية لله ظهرت أو بطنت واذ كان ذلك كذلك وكان جميع ذلك اثما وكان الله عم بقوله وذروا ظاهر الاثم و باطنه جميع ما ظهر من الاثم وجميع ما بطن لم يكن لاحد أن يخص من ذلك شيأ دون شئ الا بحجة للعذر قاطعة غير أنه لو جاز أن يوجه ذلك الى الخصوص بغير برهان كان توجيهه الى أنه عنى بظاهر الاثم وباطنه في هذا الموضع ما حرم الله من المطاعم والمآكل من الميتة والدم وما بين الله تحريمه في قوله حرمت عليكم الميتة الى آخر الآية أولى اذ كان ابتداء الآيات قبلها بذكر تحريم ذلك جرى وهذه في سياقها ولكنه غير مستنكر أن يكون عنى بها ذلك وأدخل فيها الامر باجتناب كل ما جانسه من معاصي الله فخرج الامر عاما بالنهي عن كل ما ظهر أو بطن من الاثم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يعملون بما نهاهم الله عنه و يركبون معاصي الله و يأتون ما حرم الله سيجزون يقول سيثيبهم الله يوم القيامة بما كانوا في الدنيا يعملون من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه لا تأكلوا أيها المؤمنون مما مات فلم تذبحوه أنتم أو يذبحه موحد يدين لله بشرائع شرعها له في كتاب منزل فانه حرام عليكم ولا ما أهل به لغير الله مما ذبحه المشركون لاوثانهم فان أكل ذلك فسق يعني معصية كفر فكنى بقوله وانه عن الاكل وانما ذكر الفعل كما قال الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا يراد به فزاد قولهم ذلك ايمانا فكنى عن القول وانما جرى ذكره بفعل وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقال بعضهم عنى بذلك شياطين فارس ومن على دينهم من المجوس الى أوليائهم من مردة مشركي قريش يوحون اليهم زخرف القول ليصل الى نبي الله وأصحابه في أكل الميتة ذكر من قال ذلك حدثني عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري قال ثنا موسى بن عبد العزيز القنباري قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة لما نزلت هذه الآية بتحريم الميتة قال أوحت فارس الى أوليائها من قريش أن خاصموا محمدا وكانت أولياءهم في الجاهلية وقولوا له ان ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله قال ابن عباس بشمشار من ذهب فهو حرام فأنزل الله هذه

ان الله شريكا في الحكم ۞ التأويل وكلمهم الموتى أي قلوبهم الميتة وحشرنا أي أريناهم جميع الآيات المودعة في المكونات الا أن يشاء الله فان المشيئة تعبر السعية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن أكثرهم يجهلون أن الهدى ليس بالمنى وانه بمشيئة المولى ثم أخبر ان البلايا للسائرين الى الله هي المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس هي النفس الامارة التي هي أعدى الاعداء والذين آتيناهم الكتاب هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال (١٢) فلا تكونن نهي التكوين في الازل وتمت كلمة ربك كلامه وقضاؤه في الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر والحسن والقبح والايمان والكفر وأحسن شئ خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم وكذلك شر شئ هو الانسان عند فساد استعداده ثم رددناه أسفل سافلين ولاهل الكمال ترق في كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل في القبح الى الابد أيضا اظهارا للقدرة الكاملة غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذي حاجة العليم بما يستأهله كل موجود وان تطع أكثر من في الارض وهم أهل الاهواء وأقلهم أهل الحق وان هم الا يخرصون في دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا يسلك بالهوى وانما يسلك بالصدق والهدى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه فمن أمارات الايمان أن يأكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويذيبوه بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله أذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث موت الجنان والحرمان من الجنان وقد فصل لكم يا أهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والآخرة ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضروريات البشر في الدارين بأمر المولى لا بالطبع والهوى ان ربك هو أعلم بالمعتدين الذين جاوزوا المولى وركنوا الى الدنيا والعقبى وذروا ظاهر الاثم يعني الاعمال الطبيعية وباطنه يعني الاخلاق الذميمة الردية الآية سيجزون بما كانوا يقترفون لان الاخلاق الظلمانية توجب صدأ مرآة القلب وتزيد هارينا الى أن يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تأكلوا طعاما الا بأمر الله وعلى ذكر الله وفي طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعني ظلام الطعام يؤدي الى الفسق الذي هو الخروج من النور الروحاني الى الكلمة النفسانية وان الشياطين ليوحون فان للشيطان مجالا في الوسوسة اذا كانت النفوس

فى المجادلة مع القلوب لتدعوها الى متابعة الهوى الله حسبى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل (١٣) صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) ۞ القراآت ميتا بالتشديد أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب والتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر فى موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء أبو جعفر ونافع وسهل وأبو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء فى الصاد أبو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون ۞ الوقوف بخارج منها ط يعملون ○ فيها ط وما يشعرون ○ رسل الله ط رسالاته ط يمكرون ○ للاسلام ج لابتداء شرط آخر مع العطف فى السماء ج لايؤمنون ○ مستقيما ط يذكرون ○ يعملون ○ جميعا ج للحذف أى يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس الاول ج لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين أجلت لنا ط قال النار يغلظ الصوت على النار اشارة الى أن النار مبتدأ بعد القول وليست فاعله يشاء الله ط عليم ○ يكسبون ○ يومكم هذا ط كافرين ○ ۞ التفسير انه سبحانه بعد أن ذكر أن المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدى بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا وأعطاه نورا يهتدى به فى مصالحه

الآية وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال الشياطين فارس وأولياؤهم قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عمرو بن دينار عن عكرمة ان مشركى قريش كاتبوا فارس على الروم وكاتبتهم فارس وكتبت فارس الى مشركى قريش ان محمدا وأصحابه يزعمون انهم يتبعون أمر الله فاذبح الله بسكين من ذهب فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة وأما ماذبحوا هم يأكلون وكتب بذلك المشركون الى أصحاب محمد عليه السلام فوقع فى أنفس ناس من المسلمين من ذلك شئ فنزلت وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الآية ونزلت يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال آخرون انما عنى بالشياطين الذين يغرون بنى آدم انهم أوحوا الى أوليائهم من قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سماك عن عكرمة قال كان مما أوحى الشياطين الى أوليائهم من الانس كيف تعبدون شيأ لا تأكلون مما قتل وتأكلون أنتم ماقتلتم فروى الحديث حتى بلغ النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم قال ابليس الذى يوحى الى مشركى قريش قال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال شياطين الجن يوحون الى شياطين الانس يوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال سمعت أن الشياطين يوحون الى أهل الشرك يأمرونهم أن يقولوا اما الذى يموت وما الذى تذبحون الاسواء يأمرونهم أن يخاصموا بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم وان أطعتموهم انكم لمشركون قال قول المشركين اما ماذبح الله للميتة فلا تأكلون وأما ماذبحتم بأيديكم فحلال حدثنا محمد بن عمار الرازى قال ثنا سعيد بن سليمن قال ثنا شريك عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس ان المشركين قالوا للمسلمين ماقتل ربكم فلا تأكلون وماقتلتم أنتم تأكلونه فأوحى الله الى نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما حرم الله الميتة أمر الشيطان أولياءه فقال لهم ماقتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم فقال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف الازرق عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال جادل المشركون المسلمين فقالوا امابال ماقتل الله لا تأكلونه وماقتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الى آخر الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم يقولون ماذبح الله فلا تأكلوه وماذبحتم أنتم فكلوه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة ان ناسا من المشركين دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم أن ماقتلت أنت وأصحابك حلال وماقتله الله حرام فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم

وأن الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان أو عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وأبا جهل وذلك ان أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن (١٤) أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فأنزلت الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وأبي جهل وذلك أنه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وأبي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وأيضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحياة والنور قال بعض العلماء قوله أومن كان ميتا اشارة الى أول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فأحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي أن يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله (وجعلنا له نورا) اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل تكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل أي الفعل القريب وقوله (يمشي به في الناس) اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن أن يقال الحياة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من أمرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين أو نور

الله عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الحضرمي أن ناسا من المشركين قالوا أما ما قتل الصقر والكلب فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين قال قالوا يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم فتأكلونه وأما ما قتل ربكم فتحرمونه فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون وان أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه انكم اذا لمشركون حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك قال قال المشركون ما قتلتم فتأكلونه وما قتل ربكم لا تأكلونه فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان أطعتموهم انكم لمشركون قول المشركين أما ما ذبح الله للميتة فلا تأكلون منه وأما ما ذبحتم بأيديكم فهو حلال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال جادلهم المشركون في الذبيحة فقالوا أما ما قتلتم بأيديكم فتأكلونه وأما ما قتل الله فلا تأكلونه يعنون الميتة فكانت هذه مجادلتهم اياهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق الآية يعني عدو الله ابليس أوحى الى أوليائه من أهل الضلالة فقال لهم خاصموا أصحاب محمد في الميتة فقولوا أما ما ذبحتم وقتلتم فتأكلون وأما ما قتل الله فلا تأكلون وأنتم تزعمون أنكم تتبعون أمر الله فأنزل الله على نبيه وان أطعتموهم انكم لمشركون وانا والله ما نعلمه كان شرك قط الا باحدى ثلاث ان يدعو مع الله الها آخر أو يسجد لغير الله أو يسمي الذبائح لغير الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ان المشركين قالوا للمسلمين كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه فقال الله لئن أطعتموهم فأكلتم الميتة انكم لمشركون حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم قال كانوا يقولون ما ذكر الله عليه وما ذبحتم فكلوا فنزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله ليجادلوكم قال يقول يوحي الشياطين الى أوليائهم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله فقال ان الذي قتلتم يذكر اسم الله عليه وان الذي مات لم يذكر اسم الله عليه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت

الحكمة والاقوال متقاربة وأما مثل الكافر فهو (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وفيه ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا تكاد تزول عنه فيبقى متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة أى كمن صفته هذه والمراد كمن هو فى الظلمات ثم قال (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة أو الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة أو المجاز أولى بدليل قوله (وكذلك جعلنا) أى وكما جعلنا فى مكة (١٥) صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا أو وكما زينا للكافرين أعمالهم كذلك جعلنا (فى كل قرية أكابر) وهى جمع الاكبر و (مجرميها) مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها أكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين أكابر لانهم لاجل رياستهم أقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولأن كثرة المال وقوة الجاه تحمل الناس على المبالغة فى حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والأيمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام فى (ليمكروا) على أصله عند الاشاعرة واستدلوا به على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل فى قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال فى معرض التهديد (وما يمكرون الا بأنفسهم) لان وباله يعود عليهم (وما يشعرون) وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم موعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول أبى جهل وأضرابه زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت أولى بها منك لانى أكبر منك سنا وأكثر منك مالا فقال (واذا جاءتهم آية) أى معجزة قاهرة أو وحى (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله) قال الضحاك أراد كل واحد منهم ذلك كما فى الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه أن يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور فى الآية المتقدمة وللمفسرين فى مقترحهم قولان أحدهما وهو الاشهر أنهم أرادوا أن تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبى صلى الله عليه وسلم وأن يكونوا متبوعين لا تابعين ومخدومين لا خادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن أن المعنى واذا جاءتهم آية من القرآن تأمرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من

سمعت الضحاك فى قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم هذا فى شأن الذبيحة قال قال المشركون للمسلمين تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم وحرم عليكم ما ذبح هو لكم وكيف هذا وأنتم تعبدونه فأنزل الله هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه الى قوله لمشركون * وقال آخرون كان الذين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوما من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى وسفيان بن وكيع قالا ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ابن عبد الأعلى خاصمت اليهود النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابن وكيع جاءت اليهود الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أنأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله فأنزل الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن الشياطين يوحون الى أوليائهم ليجادلوا المؤمنين فى تحريمهم أكل الميتة بما ذكرنا من جدالهم اياهم وجائز أن يكون الموحون كانوا شياطين الانس يوحون الى أوليائهم منهم وجائز أن يكونوا شياطين الجن أوحوا الى أوليائهم من الانس وجائز أن يكون الجنسان كلاهما تعاونا على ذلك كما أخبر الله عنهما فى الآية الاخرى التى يقول فيها وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بل ذلك الاغلب من تأويله عندى لان الله أخبر نبيه انه جعل له أعداء من شياطين الجن والانس كما جعل لانبيائه من قبله يوحى بعضهم الى بعض المزين من الاقوال الباطلة ثم أعلمه ان أولئك الشياطين يوحون الى أوليائهم من الانس ليجادلوه ومن تبعه من المؤمنين فيما حرم الله من الميتة عليهم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى الله جل ثناؤه بنهيه عن أكله مما لم يذكر اسم الله عليه فقال بعضهم هو ذبائح كانت العرب تذبحها لآلهتها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه قال يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح قلت لعطاء فما قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ينهى عن ذبائح كانت فى الجاهلية على الأوثان كانت تذبحها العرب وقريش * وقال آخرون هى الميتة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال الميتة * وقال آخرون بل عنى بذلك كل ذبيحة لم يذكر اسم الله عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن حميد بن زيد قال سئل الحسن سأله رجل قال له أتيت بطير كذا فمنه ما ذبح فذكر اسم الله عليه ومنه ما نسى أن يذكر اسم الله عليه واختلط الطير فقال الحسن كله كله قال وسألت محمد بن سيرين فقال قال الله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن أيوب وهشام عن محمد بن سيرين عن عبد الله بن يزيد الخطمى قال كلوا من ذبائح أهل الكتاب والمسلمين ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن أشعث

الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى أبي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا آيات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين تدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقوله سبحانه فى جوابهم على سبيل الاستئناف (الله أعلم حيث يجعل رسالته) على القول الاول ظاهر وأما على القول الثانى فوجهه أن القوم اذ اقترحوا تلك الآيات فلو أظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا (١٦) من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية فى تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال آخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة من علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية منورة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس مالم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحى والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين أو أكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من آمن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مدار أمره على التغليظ والتشديد وفى الآية تعريض بأن حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب أخلاقهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى (سيصيب الذين أجرموا صغار) ذل وهوان (عند الله) أى فى الآخرة أو فى الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل أو المراد من عند الله فحذف من أو قوله عند الله مستأنف أى معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لابد فيه من أمرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين أنه يقابلهم بضد مقصودهم فأول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد جميع ذلك بسبب مكرهم ونكرهم (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) يقال شرح فلان أمره اذا أظهره وأوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح أى وسعه لقبول ذلك الاثر ولاشك أن توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان فى عمل من الاعمال أن نفعه زائد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوى طلبه ورغبته فى حصوله وظهر فى القلب استعداد شديد لتحصيله فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان

عن ابن سيرين عن عبد الله بن يزيد قال كنت أجلس اليه فى حلقة فكان يجلس فيها ناس من الانصار هو رأسهم فاذا جاء سائل فانما يسأله ويسكتون قال فجاءه رجل فسأله فقال رجل ذبح فنسى أن يسمى فتلا هذه الآية ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه حتى فرغ منها * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله عنى بذلك ما ذبح للاصنام والآلهة وما مات أو ذبحه من لا تحل ذبيحته وأما من قال عنى بذلك ما ذبحه المسلم فنسى ذكر اسم الله فقول بعيد من الصواب لشذوذه وخروجه عما عليه الحجة مجمعة من تحليله وكفى بذلك شاهدا على فساده وقد بينا فساده من جهة القياس فى كتابنا المسمى لطيف القول فى أحكام شرائع الدين فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله لفسق فانه يعنى وان أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة وما أهل به لغير الله لفسق واختلف أهل التأويل فى معنى الفسق فى هذا الموضع فقال بعضهم معناه المعصية فتأويل الكلام على هذا وان أكل ما لم يذكر اسم الله عليه لمعصية لله واثم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانه لفسق قال الفسق المعصية * وقال آخرون معنى ذلك الكفر وأما قوله وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى المعنى بقوله وان الشياطين ليوحون والصواب من القول فيه وأما ايحاؤهم الى أوليائهم فهو اشارتهم الى ما أشار والهم اليه اما بقول واما برسالة واما بكتاب وقد بينا معنى الوحى فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عكرمة عن أبى زميل قال كنت قاعدا عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه فقال يا أبا عباس زعم أبو اسحق أنه أوحى اليه الليلة يعنى المختار بن أبى عبيد فقال ابن عباس صدق فنفرت فقلت يقول ابن عباس صدق فقال ابن عباس هما وحيان وحى الله ووحى الشيطان فوحى الله الى محمد ووحى الشياطين الى أوليائهم ثم قرأ وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم وأما الأولياء فهم النصراء والظهراء فى هذا الموضع ويعنى بقوله ليجادلوكم ليخاصموكم بالمعنى الذى قد ذكرت قبل وأما قوله وان أطعتموهم انكم لمشركون فانه يعنى وان أطعتموهم فى أكل الميتة وما حرم عليكم ربكم كما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وان أطعتموهم يقول وان أطعتموهم فى أكل ما نهيتكم عنه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان أطعتموهم فأكلتم الميتة وأما قوله انكم لمشركون يعنى انكم اذا مثلهم اذ كان هؤلاء يأكلون الميتة استحلالا فاذا أنتم أكلتموها كذلك فقد صرتم مثلهم مشركين * واختلف أهل العلم فى هذه الآية هل نسخ من حكمها شئ أم لا فقال بعضهم لم ينسخ منها شئ وهى محكمة فيما عنيت به وعلى هذا قول عامة أهل العلم وروى عن الحسن البصرى وعكرمة ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين ولا تأكلوا

مما

ممالم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق فنسخ واستثنى من ذلك فقال وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه الآية محكمة فيما أنزلت لم ينسخ منها شئ وأن طعام أهل الكتاب حلال وذبائحهم ذكية وذلك مما حرم الله على المؤمنين أكله بقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه بمعزل لأن الله انما حرم علينا بهذه الآية الميتة وما أهل به للطواغيت وذبائح أهل الكتاب ذكية سموا عليها أو لم يسموا لأنهم أهل توحيد وأصحاب كتب لله يدينون بأحكامها يذبحون الذبائح بأديانهم كما يذبح المسلم بدينه سمى الله على ذبيحته أو لم يسمه الا أن يكون ترك من ذكر تسمية الله على ذبيحته على الدينونة بالتعطيل أو بعبادة شئ سوى الله فيحرم حينئذ أكل ذبيحته سمى الله عليها أو لم يسم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ﴾ وهذا الكلام من الله جل ثناؤه يدل على نهيه المؤمنين برسوله يومئذ عن طاعة بعض المشركين الذين جادلوهم فى أكل الميتة بما ذكرنا عنهم من جدالهم اياهم به وأمره اياهم بطاعة مؤمن منهم كان كافرا فهداه جل ثناؤه لرشده ووفقه للايمان فقال لهم أطاعة من كان ميتا يقول من كان كافرا فجعله جل ثناؤه لانصرافه عن طاعته وجهله بتوحيده وشرائع دينه وتركه الاخذ بنصيبه من العمل لله بما يؤديه الى نجاته بمنزلة الميت الذى لا ينفع نفسه بنافعة ولا يدفع عنها من مكروه نازلة فأحييناه يقول فهديناه للاسلام فأنعشناه فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها ويعمل فى خلاصها من سخط الله وعقابه فى معاده فجعل ابصاره الحق تعالى ذكره بعد عماه عنه ومعرفته بوحدانيته وشرائع دينه بعد جهله بذلك حياة وضياء يستضىء به فيمشى على قصد السبيل ومنهج الطريق فى الناس كمن مثله فى الظلمات لا يدرى كيف يتوجه وأى طريق يأخذ لشدة ظلمة الليل واضلاله الطريق فكذلك هذا الكافر الضال فى ظلمات الكفر لا يبصر رشدا ولا يعرف حقا يعنى فى ظلمات الكفر يقول أفطاعة هذا الذى هديناه للحق وبصرناه الرشاد كطاعة من مثله مثل من هو فى الظلمات متردد لا يعرف المخرج منها فى دعاء هذا الى تحريم ما حرم الله وتحليل ما أحل وتحليل هذا ما حرم الله وتحريمه ما أحل وقد ذكر أن هذه الآية نزلت فى رجلين بأعيانهما معروفين أحدهما مؤمن والآخر كافر ثم اختلف أهل التأويل فيهما فقال بعضهم أما الذى كان ميتا فأحياه الله فعمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا سليمن ابن أبى هوذة عن شعيب السراج عن أبى سنان عن الضحاك فى قوله أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه كمن مثله فى الظلمات قال أبو جهل بن هشام * وقال آخرون بل الميت الذى أحياه الله عمار بن ياسر رضى الله عنه وأما الذى مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فأبو جهل بن هشام ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سفيان بن عيينة عن بشر بن تيم عن رجل عن عكرمة أومن كان ميتا فأحييناه

حصل فى القلب علم أو اعتقاد أو ظن بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل فى النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لأن المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه وأكثر استعمال شرح الصدر فى جانب الحق والاسلام وقد ورد فى الكفر أيضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا * قال المفسرون لما نزلت هذه الآية سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه (١٧) وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من أمارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وسلم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد أن تترتب على اعتقاد أن عمل الآخرة زائد النفع والخير والتجافى عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة أما قوله (حرجا) فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج فى اللغة أضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذى لا تناله الراعية حكى الواحدى باسناده عن ابن عباس أنه قرأ هذه الآية وقال هل ههنا أحد من بنى بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادى الكثير الاشجار المشتبك الذى لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى (يصعد فى السماء) كأنما يزاول أمرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكأن الكافر فى نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد أن قلبه يتباعد عن الاسلام وقوله تباعد ما بين الارض والسماء (كذلك يجعل) أى كما جعل ضيق الصدر فى قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج أى مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة فى الدنيا والعذاب فى الآخرة قالت الاشاعرة فى الآية دلالة على أن الهداية والضلال من الله تعالى بيانه أن العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا لداعية ولا معنى

وجعلناله نورا يمشى به فى الناس قال نزلت فى عمار بن ياسر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن ابن عيينة عن بشر بن تيم عن عكرمة أومن كان ميتافأحييناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس عمار بن ياسر كمن مثله فى الظلمات أبو جهل بن هشام وبنحو الذى قلنافى الآية قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أومن كان ميتا فأحييناه قال ضالافهديناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس قال هدى كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها قال فى الضلالة أبدا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أومن كان ميتافأحييناه هديناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات فى الضلالة أبدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد أومن كان ميتافأحييناه قال ضالافهديناه حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أومن كان ميتافاحييناه يعنى من كان كافرا فهديناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس يعنى بالنور القرآن من صدق به وعمل به كمن مثله فى الظلمات يعنى بالظلمات الكفر والضلالة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أومن كان ميتافأحييناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس يقول الهدى يمشى به فى الناس يقول فهو الكافر يهديه الله للاسلام يقول كان مشركا فهديناه كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أومن كان ميتا فأحييناه هذا المؤمن معه من الله نور وبينة يعمل بها ويأخذ واليها ينتهى كتاب الله كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها وهذا مثل الكافر فى الضلالة متحير فيها متسكع لايجد مخرجا ولامنفذا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أومن كان ميتافاحييناه وجعلناله نورايمشى به فى الناس يقول من كان كافرا فجعلناه مسلما وجعلناله نورايمشى به فى الناس وهو الاسلام يقول هذا كمن هو فى الظلمات يعنى الشرك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلناله نورايمشى به فى الناس قال الاسلام الذى هداه الله اليه كمن مثله فى الظلمات ليس من أهل الاسلام وقرأ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور قال والنور يستضىء به مافى بيته ويبصره وكذلك الذى آتاه الله هذا النور يستضىء به فى دينه ويعمل به فى نوره كما يستضىء صاحب هذا السراج قال كمن مثله فى الظلمات لايدرى مايأتى ولامايقع عليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره كما خذلت هذا الكافر الذى يجادلكم أيها المؤمنون بالله ورسوله فى أكل ماحرمت عليكم من المطاعم عن الحق فزينت له سوء عمله فرآه حسنا ليستحق به ماأعددت له من أليم العقاب كذلك زينت لغيره ممن كان على مثل ماهو عليه من الكفر بالله وآياته ما كانوا يعملون من معاصى الله ليستوجبوا بذلك من

للداعية الا علمه أو اعتقاده أو ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعى يوجب الفعل ولابد أن تنتهى تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى فى قلبه اعتقاد أن الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر مال القلب اليه واذا خلق فى قلبه اعتقاد أن الايمان يحصد سبب المفسدة الدينية والدنيوية نبا طبعه عنه وبقى على الكفر فحاصل الآية أن من أراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن أراد منه (١٨) الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لادلالة فى الآية على قولكم لانه ليس فيها أكثر من أنه اذا أراد أن يهدى انسانا أو يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها أنه أراد ذلك أو لم يرده نظيره قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا فبين أنه كيف يفعل اللهو لو أراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وأيضا لم قلتم انه أراد ومن يرد أن يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله أن يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو أنه يفعل به ألطافا تدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد أن يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقى فى صدره الضيق والحرج لافى كل الاوقات بل فى بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار فى الكافرين وأيضا لم لايجوز أن يقال المعنى فمن يرد الله أن يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام فى ذلك الوقت الذى يهديه فيه الى الجنة لما رأى من فوائد الايمان ونتائجه من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فتزداد رغبته فيه ومن يرد أن يضله يوم القيامة عن طريق الجنة ففى ذلك الوقت يضيق صدره للحزن الشديد الذى ناله عند الحرمان من الجنة والدخول فى النار وقال فى الكشاف فمن يرد الله أن يهديه أن يلطف به ولايريد أن يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب فى الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد أن يضله أى يخذله ويخليه وشأنه وهو الذى لالطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان فعلهم وأجيب عن قولهم ليس فى الآية انه أراد ذلك أو لم يرده بأن قوله فى آخر الآية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بأنه فعل به ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج فى صدره كذلك يجعل وفيه أيضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد أن يضله هو أنه

يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان أكثر من يعتريه الحزن فى الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وعلى آله خص البلاء بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالآخرة كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل أحد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه فى ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف تمام من أن فعل الايمان يتوقف على أن تحصل فى القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا (١٩) القول فى جانب الكفر فان سمى الداعيتين أحد باللطف والخذلان فلا مشاحة فى الاسامى * قال القاضى فى تفسيره روى عن محمد بن كعب القرظى أنه قال تذاكرنا أمر القدرية عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيامة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل أين خصماء الله فتقوم القدرية قال ولا يخفى أنهم الذين ينسبون أفعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فأى ذنب لنا حتى تعاقبنا أنت الذى خلقته فينا وأردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسرت لما غيره فهؤلاء لابد أن يكونوا خصماء الله أما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وأزاح العلة وانما أتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماؤه هذا كلام القاضى وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب فى العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعى عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطنى ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء(١) وان من واظب على الكفر سبعين سنة ثم انه فى آخر زمن حياته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين أعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى أن الشيخ أبا الحسن الاشعرى لما فارق مجلس أستاذه أبى على الجبائى وترك مذهبه وكثر اعتراضه على أقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق أن أبا على عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ أبو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائى وقال لبعض من حضر هناك من العجائز انى أعلمك

فعلهم ما لهم عند ربهم من النكال وفى هذا أوضح البيان على تكذيب الله الزاعمين أن الله فوض الامور الى خلقه فى أعمالهم فلا صنع له فى أفعالهم وأنه قد سوى بين جميعهم فى الاسباب التى بها يصلون الى الطاعة والمعصية لأن ذلك لو كان كما قالوا لكان قد زين لانبيائه وأوليائه من الضلالة والكفر نظير ما زين من ذلك لاعدائه وأهل الكفر به وزين لاهل الكفر به من الايمان به نظير الذى زين منه لانبيائه وأوليائه وفى اخباره جل ثناؤه أنه زين لكل عامل منهم عمله ما ينبئ عن تزيين الكفر والفسوق والعصيان وخص أعداءه وأهل الكفر بتزيين الكفر لهم والفسوق والعصيان وكره اليهم الايمان به والطاعة ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بأنفسهم وما يشعرون﴾ يقول جل ثناؤه وكما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا بكل قرية عظماءها مجرميها يعنى أهل الشرك بالله والمعصية له ليمكروا فيها بغرور من القول أو بباطل من الفعل بدين الله وأنبيائه وما يمكرون أى ما يحيق مكرهم ذلك الا بأنفسهم لان الله تعالى ذكره من وراء عقوبتهم على صدهم عن سبيله وهم لا يشعرون يقول لا يدرون ما قد أعد الله لهم من أليم عذابه فهم فى غيهم وعتوهم على الله يتمادون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أكابر مجرميها قال عظماءها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة نزلت فى المستهزئين قال ابن جريج عن عمرو عن عطاء عن عكرمة أكابر مجرميها الى قوله بما كانوا يمكرون بدين الله وبنبيه عليه السلام وعباده المؤمنين والأكابر جمع أكبر كما الأفاضل جمع أفضل ولو قيل هو جمع كبير جمع أكابر لأنه قد يقال أكبر كما قيل قل هل أنبئكم بالاخسرين أعمالا واحدهم الخاسر لكان صوابا وحكى عن العرب سماعا الاكابرة والاصاغرة والاكابر والاصاغر بغير الهاء على نية النعت كما يقال هو أفضل منك وكذلك تفعل العرب بما جاء من النعوت على أفعل اذا أخرجوها الى الاسماء مثل جمعهم الاحمر والاسود الاحامر والاحامرة والاساود والاساودة ومنه قول الشاعر

ان الأحامرة الثلاثة أهلكت * مالى وكنت بهن قدما مولعا
الخمر واللحم السمين أدمه * والزعفران فلن أزال مبقعا

وأما المكر فانه الخديعة والاحتيال للممكور به بالغدر ليورطه الماكر به مكروها من الامر ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يقول تعالى ذكره واذا جاءت هؤلاء المشركين الذين يجادلون المؤمنين بزخرف القول فيما حرم الله عليهم ليصدوا عن سبيل الله آية يعنى حجة من الله على صحة ما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله وحقيقته قالوا للنبى الله وأصحابه لن نؤمن يقول يقولون

---

(١) بمراجعة الفخر فى هذا المقام تعلم ما سقط من الكلام اه

مسئلة فاذكرها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلاثة من البنين واحد في غاية الزهد وآخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فأخبرني أيها الشيخ عن أحوالهم فقال الجبائي أما الزاهد ففي درجات الجنة وأما الكافر ففي دركات النار وأما الصبي فمن أهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو أراد أن يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها أخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لأن الله تعالى يقول له انما أخوك وصل الى تلك الدرجات لأنه أتعب نفسه في العلم والعمل وأنت فليس معك ذلك فقال أبو الحسن قولي له لو أن الصبي يقول يارب العالمين ليس الذنب لي لانك أمتني قبل بلوغي ولو أبلغتني فربما زدت على أخي الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال لها أبو الحسن قولي له لو أن الاخ الكافر الفاسق رفع رأسه من الدرك الاسفل من النار وقال يارب العالمين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فرأى أبا الحسن فعلم أن المسئلة منه لا من العجوز ثم ان أبا الحسين البصري جاء بعد أربعة أدوار وأكثر مجيبا عن الجبائي قائلا نحن لا نرضى بهذا الجواب وانما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي أنه هل يجب على الله تعالى أن يكلف العبد أم لا فقال البصريون انه غير واجب ولكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب وعلى الاول لله تعالى أن يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على أحد بشيء أن أتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطالة عمر أخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته بها أما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وأورد على القسم الاول انه تعالى لما أوصل التفضل الى أحدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لأنه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآته المنصوبة على الجواد لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا أيضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور وتبطل كلية مذهبكم وأورد على الشق الثاني أن

لن نصدق بما عاد عانا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من الايمان به وبما جاء به من تحريم ما ذكر أن الله حرمه علينا حتى نؤتى يعنون حتى يعطيهم الله من المعجزات مثل الذي أعطى موسى من فلق البحر وعيسى من إحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص يقول تعالى ذكره الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني بذلك جل ثناؤه ان آيات الانبياء والرسل لم يعطها من البشر الا رسولا مرسلا وليس العادلون بربهم الأوثان والأصنام منهم فيعطوها يقول جل ثناؤه فأنا أعلم بمواضع رسالاتي ومن هو لها أهل فليس لكم أيها المشركون أن تتخيروا ذلك على أنتم لان تخير الرسول الى المرسل دون المرسل اليه والله أعلم اذا أرسل رسالة بموضع رسالاته ۞ القول في تأويل قوله ﴿سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معلمه ما هو صانع بهؤلاء المتمردين عليه سيصيب يا محمد الذين اكتسبوا الاثم بشركهم بالله وعبادتهم غيره صغار يعني ذلة وهوان كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله قال الصغار الذلة وهو مصدر من قول القائل صغر يصغر صغارا وصغرا وهو أشد الذل وأما قوله صغار عند الله فان معناه سيصيبهم صغار من عند الله كقول القائل سيأتيني رزقي عند الله يعني من عند الله يراد بذلك سيأتيني الذي لي عند الله وغير جائز لمن قال سيصيبهم صغار عند الله أن يقول جئت عند عبد الله بمعنى جئت من عند عبد الله لان معنى سيصيبهم صغار عند الله سيصيبهم الذي عند الله من الذل بتكذيبهم رسوله فليس ذلك بنظير جئت من عند عبد الله وقوله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون يقول يصيب هؤلاء المكذبين بالله ورسوله المستحلين ما حرم الله عليهم من الميتة مع الصغار عذاب شديد بما كانوا يكيدون للاسلام وأهله بالجدال بالباطل والزخرف من القول غرورا لأهل دين الله وطاعته ۞ القول في تأويل قوله ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ يقول تعالى ذكره فمن يرد الله أن يهديه للايمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه فيوفقه له يشرح صدره للاسلام يقول فيسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله له بلطفه ومعونته حتى يستنير الاسلام في قلبه فيضيء له ويتسع له صدره بالقبول كالذي جاء الاثر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن مرة عن أبي جعفر قال لما نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح الصدر قال اذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح قالوا فهل لذلك آية يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا قال وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا كيف يشرح صدره يا رسول الله قال نور يقذف فيه فينشرح له وينفسح قالوا فهل لذلك من أمارة يعرف

قولنا تكليفه يتضمن مفسدة ليس معناه ان ذات التكليف تتضمن المفسدة والالم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فمعناه اذا انه تعالى علم أنه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا آخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر أن يترك الله تعالى تكليفه وجب أن يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والالزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال (وهذا صراط ربك) في المشار اليه وجوه منها أنه المذكور في الآية المتقدمة أما (٢١) على مذهب الاشاعرة وهو أن الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره وأما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذي قررنا طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل أو هو محذوف أي أحقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن (قد فصلنا الآيات) ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله (لقوم يذكرون) لانه تقرر في عقل كل واحد أن أحد طرفي الممكن لا يترجح عن الآخر الا لمرجح فكأنه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح أحد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وحينئذ يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظمة نعمته في الصراط المستقيم بين ما أعده للمتذكرين فقال (لهم دار السلام) أي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله أو دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان أنواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى (عند ربهم) أنها معدة عنده وفي ضمانه كما يقال لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها (وهو وليهم) أي قريب منهم بالرحمة والرضوان أو

بها قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثنا هناد قال ثنا قبيصة عن سفيان عن عمرو بن مرة عن رجل يكنى أبا جعفر كان يسكن المدائن قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال نور يقذف في القلب فينشرح وينفسح قالوا يارسول الله هل له من أمارة يعرف بها ثم ذكر باقي الحديث مثله حدثني محمد بن العلاء قال ثنا سعيد بن عبد الملك بن واقد الحراني قال ثنا محمد بن سلمة عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أبي أنيسة عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قال اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا فهل لذلك من امارة يعرف بها قال الانابة الى دار الخلود والتنحي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل الموت حدثني سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان بن عيينة عن خالد بن أبي كريمة عن عبد الله بن المسور قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قالوا يارسول الله وهل لذلك من علامة تعرف قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت حدثني ابن سنان القزاز قال ثنا محبوب بن الحسن الهاشمي عن يونس عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قالوا يارسول الله وكيف يشرح صدره قال يدخل فيه النور فينفسح قالوا وهل لذلك من علامة يارسول الله قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل أن ينزل الموت وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام أما يشرح صدره للاسلام فيوسع صدره للاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام بلا اله الا الله يجعل لها في صدره متسعا ۞ القول في تأويل قوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) يقول تعالى ذكره ومن أراد الله اضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره وصده عن سبيله يجعل صدره بخذلانه وغلبة الكفر عليه حرجا والحرج أشد الضيق وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه وهو ههنا الصدر الذي لا تصل اليه الموعظة ولا يدخله نور الايمان لرين الشرك عليه وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة وهي الشجرة الملتف بها الاشجار لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها كما حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الله بن عمار رجل من أهل اليمن عن أبي الصلت الثقفي أن عمر بن الخطاب رحمة الله

عليه قرأهذه الآية ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بنصب الراء قال وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيقا حرجا قال صفوان فقال عمر ابغونى رجلا من كنانة واجعلوه راعيا وليكن مدلجيا قال فأتوه به فقال له عمر يافتى ما الحرجة قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التى لاتصل اليها راعية ولا وحشية ولاشئ قال فقال عمر كذلك قلب المنافق لايصل اليه شئ من الخير حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا يقول من أراد الله أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل الاسلام عليه ضيقا والاسلام واسع وذلك حين يقول وما جعل عليكم فى الدين من حرج يقول ماجعل عليكم فى الاسلام من ضيق * واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه شاكا ذكر من قال ذلك حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا حميد عن مجاهد ضيقا حرجا قال شاكا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ضيقا حرجا أما حرجا فشاكا * وقال آخرون معناه ملتبسا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يجعل صدره ضيقا حرجا قال ضيقا ملتبسا حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسن عن قتادة انه كان يقرأ ضيقا حرجا يقول ملتبسا * وقال آخرون معناه أنه من شدة الضيق لايصل اليه الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن حبيب بن أبى عمرة عن سعيد بن جبير يجعل صدره ضيقا حرجا قال لايجد مسلكا الا صعدا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى ضيقا حرجا قال ليس للخير فيه منفذ حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله لايجد لها فى صدره مساغا حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة فى قوله ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا بلا اله الا الله حتى لايستطيع أن تدخله * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم ضيقا حرجا بفتح الحاء والراء من حرجا وهى قراءة عامة المكيين والعراقيين بمعنى جمع حرجة على ماوصفت وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ضيقا حرجا بفتح الحاء وكسر الراء ثم اختلف الذين قرؤا ذلك فى معناه فقال بعضهم هو بمعنى الحرج وقالوا الحرج بفتح الحاء والراء والحرج بفتح الحاء وكسر الراء بمعنى واحد وهما لغتان مشهورتان مثل الدنف والدنف والوحد والوحد والفرد والفرد * وقال آخرون منهم بل هو بمعنى الاثم من قولهم فلان آثم حرج وذكر عن العرب سماعا منها حرج عليك ظلمى بمعنى ضيق وإثم * والقول عندى فى ذلك انهما قراءتان مشهورتان ولغتان مستفيضتان بمعنى واحد وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب لاتفاق معنيهما وذلك كما ذكرنا من الروايات عن العرب فى الوحد والفرد بفتح الحاء من الوحد والراء من الفرد وكسرهما بمعنى واحد وأما الضيق

مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم وذلك أن القوم قد عرفوا أن المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وأن النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ماسواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لاجرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال (بما كانوا يعملون) أى بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطعوا العمل ولا يتكلوا وذلك أن بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيآت النفسانية قد تؤثر فى البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيآت البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على أعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها فى جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم أردفها بذكر من تعلق بضده فقال (ويوم نحشرهم) والمراد واذكر يوم كذا أو يوم نحشرهم قلنا أو متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يامعشر الجن كان مالا يوصف لفظاعته والضمير اما أن يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم فى قوله شياطين الانس والجن أو يعود الى جميع المكلفين الذين علموا أن الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لايكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا فى الدنيا انتهى حالهم فى الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم (يامعشر الجن) لانه يبعد أن يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله (قد استكثرتم من الانس) لابد فيه من اضمار لان الجن أى الشياطين لايقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما يقال استكثر الامير من الجنود أما قوله (وقال أولياؤهم من الانس) فان قال الأقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال للجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس أيضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) وفيه قولان الاول أن المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففى الاستمتاع وجهان أحدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بأرض منفردا وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا

الوادى من سفهاء قومه فبيت آمنا فى نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن وأما استمتاع الجن بالانس فهو أن الانسى اذا عاذ بالجنى كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجنى يقول قد سدت الجن والانس لان الانسى قد اعترف له بأنه يقدر أن يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبى وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانى الوجهين أن الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالأتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس (٣٣) بالخادم وأما انتفاع الانس بالجن فهو أن دلوهم على الشهوات واللذات الى أن بلغوا هذا المبلغ الذى أيقنوا أنه يسوء عاقبتهم وهذا اختيار الزجاج والقول الثانى أن البعضين كليهما من الانس لأن استمتاع الجن بالانس وبالعكس أمر قليل نادر (وبلغنا أجلنا الذى أجلت لنا) أى ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت بأجله لأنهم أقروا بأنهم بلغوا أجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة فى القيامة (قال) الله تعالى فى جوابهم (النار مثواكم) مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوى ثويا اذا أقام به قال أبو على الفارسى المثوى اسم للمصدر دون المكان لان قوله تعالى (خالدين فيها) حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار أهل أن يقيموا فيها خالدين (الا ما شاء الله) قيل المراد منه أوقات المحاسبة ووقت كونهم فى المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم فى محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق فى علمه أنهم يسلمون ويصدقون النبى صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم أن يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو أن الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذى يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التى ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير روى أنهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال فى الكشاف أو يكون هذا من قول الموتور الذى ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه أن ينفس عن خناقه أهلكنى الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم لانه اطماع محض ويأس كلى وقال أبو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الخلود وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كأنهم قالوا وبلغنا

فان عامة القراء على فتح ضاده وتشديد يائه خلا بعض المكيين فانه قرأه ضيقا بفتح الضاد وتسكين الياء وتخفيفه وقد يتجه لتسكينه ذلك وجهان أحدهما أن يكون سكنه وهو ينوى معنى التحريك والتشديد كما قيل هين لين بمعنى هين لين والآخر أن يكون سكنه بنية المصدر من قولهم ضاق هذا الامر يضيق ضيقا كما قال رؤبة

وقد علمنا عند كل مأزق * ضيق بوجه الامر أى مضيق

ومنه قول الله ولا تك فى ضيق مما يمكرون وقال رؤبة أيضا * وشفها اللوح بمأزول ضيق * بمعنى ضيق وحكى عن الكسائى أنه كان يقول الضيق بالكسر فى المعاش والموضع وفى الامر الضيق وفى هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها عن أن السبب الذى به توصل الى الايمان والطاعة غير السبب الذى به توصل الى الكفر والمعصية وأن كلا السببين من عند الله وذلك أن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه أنه يشرح صدر من أراد هدايته للاسلام ويجعل صدر من أراد اضلاله ضيقا عن الاسلام حرجا كأنما يصعد فى السماء ومعلوم أن شرح الصدر للايمان خلاف تضييقه له وانه لو كان توصل بتضييق الصدر عن الايمان اليه لم يكن بين تضييقه عنه وبين شرحه له فرق ولكان من ضيق صدره عن الايمان قد شرح صدره له ومن شرح صدره له فقد ضيق عنه اذ كان موصولا بكل واحد منهما أعنى من التضييق والشرح(٣) الى ما يوصل به الى الآخر ولو كان ذلك كذلك وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبى جهل للايمان به وضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وهذا القول من أعظم الكفر بالله وفى فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذى به آمن المومنون بالله ورسله وأطاعه المطيعون غير السبب الذى كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون وأن كلا السببين من عند الله وبيده لانه أخبر جل ثناؤه أنه هو الذى يشرح صدر هذا المؤمن به للايمان اذا أراد هدايته ويضيق صدر هذا الكافر عنه اذا أراد اضلاله ❊ القول فى تأويل قوله ﴿كأنما يصعد فى السماء﴾ وهذا مثل من الله تعالى ذكره ضربه لقلب هذا الكافر فى شدة تضييقه اياه عن وصوله اليه مثل امتناعه من الصعود الى السماء وعجزه عنه لان ذلك ليس فى وسعه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عطاء الخراسانى كأنما يصعد فى السماء يقول مثله كمثل الذى لا يستطيع أن يصعد فى السماء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن عطاء الخراسانى مثله * وبه قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة يجعل صدره ضيقا حرجا بلا اله الا الله حتى لا يستطيع أن تدخله كأنما يصعد فى السماء من شدة ذلك عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنما يصعد فى السماء من ضيق صدره * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق كأنما يصعد بمعنى يتصعد فأدغموا التاء فى الصاد فلذلك شددوا الصاد وقرأ ذلك بعض الكوفيين يصاعد بمعنى يتصاعد فادغم التاء فى الصاد وجعلها

(٣) لعله الى ما يوصل له بالآخر فتنبه

أجلنا الذي سميته لنا الامن أهلكته قبل الاجل المسمى يعني الآجال الاخترامية (ان ربك حكيم) فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة (عليم) بما يستأهله كل طائفة فكأنه تعالى يقول انما حكمت لهؤلاء بعذاب الأبد لعلمي أنهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن أن بعضهم يتولى بعضا بين أن ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) وذلك أن القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح أحد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله (٢٤) قطعا للتسلسل وأيضا لما بين أنه سبحانه ولي أهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر أن أولياء أهل النار من يشبههم في الظلم والخزي والنكال وأشار اليه بقوله (بما كانوا يكسبون) أي بسبب كون ذلك البعض مكتسبا للظلم وهذه مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الآية دلالة على أن الرعية متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان أرادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب السموية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة لا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي أعطفهم عليكم ثم بين أن كفار الثقلين لا يكون لهم الى الجحود يوم القيامة سبيل وأنهم لا يعذبون الا بالحجة فقال (يا معشر الجن والانس) قال أهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطة يجمعهم أمير واحد (ألم يأتكم رسل منكم) استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالآية وبقوله وان من أمة الا خلا فيها نذير على أن من الجن رسلا كالانس ولان استئناس الجنس بالجنس أكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والأكثرون على أنه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني آدم

صادا مشددة وقرأ ذلك بعض قراء المكيين كأنما يصعد من صعد يصعد وكل هذه القراآت متقاربات المعاني وبأيها قرأ القارئ فهو مصيب غير أني أختار القراءة في ذلك بقراءة من قرأه كأنما يصعد بتشديد الصاد بغير ألف بمعنى يتصعد لكثرة القراء بها ولقيل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني خطبة النكاح ۞ القول في تأويل قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره كما يجعل الله صدر من أراد اضلاله ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء من ضيقه عن الايمان فيجزيه بذلك كذلك يسلط الله الشيطان عليه وعلى أمثاله ممن أبى الايمان بالله ورسوله فيغويه ويصده عن سبيل الحق وقد اختلف أهل التأويل في معنى الرجس فقال بعضهم هو كل ما لا خير فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الرجس ما لا خير فيه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ما لا خير فيه * وقال آخرون الرجس العذاب ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال الرجس عذاب الله * وقال آخرون الرجس الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله الرجس قال الشيطان * وكان بعض أهل المعرفة بلغات العرب من الكوفيين يقول الرجس والنجس لغتان ويحكى عن العرب أنها تقول ما كان رجسا ولقد رجس رجاسة ونجس نجاسة وكان بعض نحويي البصريين يقول الرجس والرجز سواء وهما العذاب * والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله ابن عباس ومن قال ان الرجس والنجس واحد للخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول اذا دخل الخلاء اللهم اني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم حدثني بذلك عبد الرحمن بن البختري الطائي قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن اسمعيل بن مسلم عن الحسن وقتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد بين هذا الخبر أن الرجس هو النجس القذر الذي لا خير فيه وأنه من صفة الشيطان ۞ القول في تأويل قوله (وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) يقول تعالى ذكره وهذا الذي بيناه لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك يقول طريق ربك ودينه الذي ارتضاه لنفسه دينا وجعله مستقيما لا اعوجاج فيه فاثبت عليه وحرم ما حرمته عليك وأحل ما أحللته لك فقد بينا الآيات والحجج على حقيقة ذلك وصحته لقوم يذكرون يقول لمن يتذكر ما احتج الله به عليه من الآيات والعبر فيعتبر بها وخص بها الذين يتذكرون لانهم هم أهل التمييز والفهم وأولوا الحجا والفضل فقيل يذكرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهذا صراط ربك مستقيما يعني

وزعموا أن ذلك مجمع عليه ورد بأنه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم على المطلوب بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع وأجيب عن قول الضحاك بأن الآية تقتضي أن رسل الجن والانس تكون بعضا من أبعاض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وأيضا لا يبعد أن يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس

وينذرون قومهم بذلك قال وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن الآية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما أنه تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال إذ أرسلنا إليهم اثنين ثم إنه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لأنه أزال العذر وأزاح العلة بسبب أنه أرسل الرسل إليهم فإذا وصلت البشارة والنذارة إلى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي أراد رسل من أحدكم وهو الإنس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ أي من أحدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل أن يبعث محمد (٢٥) يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وآله بعث إلى الجن والإنس أما قوله (يقصون عليكم آياتي) فالمراد منه التنبيه على الأدلة بالتأويل بل وبالتلاوة (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) يخوفونكم عذاب هذا اليوم فلم يجحدوا بدا من الاعتراف فلذلك (قالوا شهدنا على أنفسنا) والسبب في أنهم أقروا في هذه الآية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو أنهم يختلفو الأحوال في يوم القيامة مضطربون فتارة يقرون وأخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم أخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا بقوله (وغرتهم الحياة الدنيا) وعن حالهم في الآخرة بقوله (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) والمقصود من شرح أحوالهم في القيامة زجر أمثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على أن لا وجوب قبل ورود الشرع وإلا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة ۞ التأويل أو من كان ميتا في حالة العدم فأحييناه بالحياة الحقيقية أي بالحي الذي لا يموت وجعلناه نور الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محبوس في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية أي كل قالب أكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما أوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره أي ينظر إلى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله وهو نور الإيمان فينشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب وهذا الضوء هو المسمى بنور الإسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاستداد إلى أن يصير الإيمان إيقانا والإيقان عيانا والعيان عينا ضيقا التراحم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كأنما يصعد في السماء لأنه سفلي بالطبع لا يصعد إلا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط

به الإسلام ۞ القول في تأويل قوله (لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون) يعني تعالى ذكره بقوله لهم للقوم الذين يذكرون آيات الله فيعتبرون بها ويوقنون بدلالتها على ما دلت عليه من توحيد الله ومن نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك فيصدقون بما وصلوا بها إلى علمه من ذلك وأما دار السلام فهي دار الله التي أعدها لأوليائه في الآخرة جزاء لهم على ما أبلوا في الدنيا في ذات الله وهي جنته والسلام اسم من أسماء الله تعالى كما قال السدي

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي لهم دار السلام عند ربهم الله هو السلام والدار الجنة وأما قوله وهو وليهم فإنه يقول والله ناصر هؤلاء القوم الذين يذكرون آيات الله بما كانوا يعملون يعني جزاء بما كانوا يعملون من طاعة الله ويتبعون رضوانه ۞ القول في تأويل قوله (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس) يعني تعالى ذكره بقوله ويوم يحشرهم جميعا ويوم يحشر هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وغيرهم من المشركين مع أوليائهم من الشياطين الذين كانوا يوحون إليهم زخرف القول غرورا ليجادلوا به المؤمنين فيجمعهم جميعا في موقف القيامة يقول للجن يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وحذف يقول للجن من الكلام اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام عليه منه وعني بقوله قد استكثرتم من الإنس استكثرتم من إضلالهم وإغوائهم كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتم منهم كثيرا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس قال قد أضللتم كثيرا من الإنس حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله قد استكثرتم من الإنس قال كثر من أغويتم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قد استكثرتم من الإنس يقول أضللتم كثيرا من الإنس ۞ القول في تأويل قوله (وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض) يقول تعالى ذكره فيجيب أولياء الجن من الإنس فيقولون ربنا استمتع بعضنا ببعض في الدنيا فأما استمتاع الإنس بالجن فكان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض قال كان الرجل في الجاهلية ينزل الأرض فيقول أعوذ بكبير هذا الوادي فذلك استمتاعهم فاعتذروا يوم القيامة وأما استمتاع الجن بالإنس فإنه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الإنس من تعظيمهم إياهم في استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الجن والإنس ۞ القول في تأويل قوله (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) يقول تعالى ذكره قالوا وبلغنا الوقت الذي وقت لموتنا وإنما يعني جل ثناؤه بذلك أنهم قالوا استمتع بعضنا ببعض أيام حياتنا إلى حال موتنا كما حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله وبلغنا أجلنا الذي

أجلت لنا فالموت ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عما هو قائل لهؤلاء الذين يحشرهم يوم القيامة من العادلين به في الدنيا الأوثان ولقرنائهم من الجن فأخرج الخبر عما هو كائن مخرج الخبر عما كان لتقدم الكلام قبله بمعناه والمراد منه فقال الله لأولياء الجن من الانس الذين قد تقدم خبره عنهم النار مثواكم يعني نار جهنم مثواكم الذي تثوون فيه أي تقيمون فيه والمثوى هو المفعل من قولهم ثوى فلان بمكان كذا اذا أقام فيه خالدين فيها يقول لابثين فيها الا ما شاء الله يعني الا ما شاء الله من قدر مدة ما بين مبعثهم من قبورهم الى مصيرهم الى جهنم فتلك المدة التي استثناها الله من خلودهم في النار ان ربك حكيم في تدبيره في خلقه وفي تصريفه اياهم في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من أفعاله عليم بعواقب تدبيره اياهم وما اليه صائر أمرهم من خير وشر وروي عن ابن عباس انه كان يتأول في هذا الاستثناء أن الله جعل أمر هؤلاء القوم في مبلغ عذابه اياهم الى مشيئته حدثني المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم قال ان هذه الآية آية لا ينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه أن لا ينزلهم جنة ولا نارا ۞ القول في تأويل قوله ﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل نولي فقال بعضهم معناه نجعل بعضهم لبعض وليا على الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال ثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وانما يولي الله بين الناس بأعمالهم فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ۞ وقال آخرون معناه نتبع بعضهم بعضا في النار من الموالاة وهو المتابعة بين الشيء والشيء من قول القائل واليت بين كذا وكذا اذا تابعت بينهما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا في النار يتبع بعضهم بعضا ۞ وقال آخرون معنى ذلك نسلط بعض الظلمة على بعض ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا قال ظالمي الجن وظالمي الانس وقرأ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين قال نسلط ظلمة الجن على ظلمة الانس ۞ وأولى هذه الاقوال في تأويل ذلك بالصواب قول من قال معناه وكذلك نجعل بعض الظالمين لبعض أولياء لان الله ذكر قبل هذه الآية ما كان من قول المشركين فقال جل ثناؤه وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وأخبر جل ثناؤه أن بعضهم أولياء بعض ثم عقب خبره ذلك بخبره عن أن ولاية بعضهم بعضا بتوليته اياهم فقال وكما جعلنا بعض هؤلاء المشركين من الجن والانس أولياء بعض يستمتع بعضهم ببعض كذلك نجعل بعضهم أولياء بعض في كل الامور بما كانوا يكسبون من معاصي الله ويعملونه ۞ القول في تأويل قوله ﴿يامعشر

الجن

ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف يهدي السعيد وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام أي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم يحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يامعشر الجن أي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس أي غلبتم على الصفات الانسانية وقال أولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو أن يستعين بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو أن يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء آدم وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعني أن مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بأن الثوى في النار أيضا بقضاء الله الا أن يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم بأهل الجنة وبأهل النار وكذلك أي كما جعلنا مردة الجن والانس بعضهم أولياء بعض فكذلك نجعل بعض الظالمين أولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري ألم يأتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على أنفسهم أقروا عند الحرمان عن السعادة العظمى أنهم بذواتهم كانوا صدأ مرآة قلوبهم وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى وما التوفيق الا منه ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا

وان لم يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴿ القراآت عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان أبو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التأنيث بزعمهم بضم الزاى على وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على (٢٧) البناء للفاعل قتل بالنصب أولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التأنيث ابن عامر ويزيد وأبو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد وقرأ ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف ﴿ الوقوف غافلون ٥ مما عملوا ط يعملون ٥ ذو الرحمة ط آخرين ٥ لآت لا لان الواو بعده للحال بمعجزين ٥ عامل ج لابتداء التقرير مع فاء التعقيب تعلمون ٥ لا لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهامية أو موصوله عاقبة الدار ط الظالمون ٥ لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله ج للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق حكما شركائهم ط يحكمون ٥ دينهم ط يفترون ٥ افتراء عليه ط يفترون ٥ أزواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم ٥ على الله ط مهتدين ٥ ﴿ التفسير (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أى الأمر ذلك ويحتمل أن يكون مبتدأ خبره (أن لم يكن) وهو للتعليل والمعنى الأمر ما قصصنا عليك أو ذلك الذى ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وأن هى الناصبة للافعال أو مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشأن محذوفا أى أن الحديث كذا ويجوز أن يكون أن لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله (بظلم) أى بسبب ظلم أقدموا عليه وهذا أليق باصول الاشاعرة أو المراد ظالما لكم فيكون من فعل الله وهذا أنسب بأصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو أهلكهم قبل بعثة الرسل ولم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة أن يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن ظلما ولكنه يكون فى صورة الظلم فأطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لأحد فى شئ من أفعاله وأما قوله (وأهلها غافلون) فليس المراد من هذه الغفلة أن يتغافل المرء

الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عما هو قائل يوم القيامة لهؤلاء العادلين به من مشركى الانس والجن يخبر أنه يقول لهم تعالى ذكره يومئذ يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يقول يخبرونكم بما أوحى اليهم من تنبيهى اياكم على مواضع حججى وتعريفى لكم أدلتى على توحيدى وتصديق أنبيائى والعمل بأمرى والانتهاء الى حدودى وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول يحذرونكم لقاء عذابى فى يومكم هذا وعقابى على معصيتكم اياى فتنتهوا عن معاصى وهذا من الله جل ثناؤه تقريع وتوبيخ لهؤلاء الكفرة على ما سلف منهم فى الدنيا من الفسوق والمعاصى ومعناه قد أتاكم رسل منكم ينبهونكم على خطا ما كنتم عليه مقيمين بالحجج البالغة وينذرونكم وعيد الله على مقامكم على ما كنتم عليه مقيمين فلم تقبلوا ذلك ولم تتذكروا ولم تعتبروا * واختلف أهل التأويل فى الجن هل أرسل منهم اليهم أم لا فقال بعضهم قد أرسل اليهم رسل كما أرسل الى الانس منهم رسل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن قال سئل الضحاك عن الجن هل كان فيهم نبى قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألم تسمع الى قول الله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى يعنى بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن فقالوا بلى * وقال آخرون لم يرسل منهم اليهم رسول ولم يكن له من الجن قط رسول مرسل وانما الرسل من الانس خاصة فأما من الجن فالنذر قالوا وانما قال الله ألم يأتكم رسل منكم والرسل من أحد الفريقين كما قال مرج البحرين يلتقيان ثم قال يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح دون العذب منهما وانما معنى ذلك يخرج من بعضهما أو من أحدهما قال وذلك كقول القائل لجماعة أدور إن فى هذه الدور لشرا وان كان الشر فى واحدة منهن فيخرج الخبر عن جميعهن والمراد به الخبر عن بعضهن وكما يقال أكلت خبزا ولبنا اذا اختلطا ولو قيل أكلت لبنا كان الكلام خطأ لان اللبن يشرب ولا يؤكل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم قال جمعهم كما جمع قوله ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها ولا يخرج من الانهار حلية قال ابن جريج قال ابن عباس هم الجن الذين لقوا قومهم وهم رسل الى قومهم فعلى قول ابن عباس هذا ان من الجن رسلا للانس الى قومهم فتأويل الآية على هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس ألم يأتكم أيها الجن والانس رسل منكم فأما رسل الانس فرسل من الله اليهم وأما رسل الجن فرسل رسل الله من بنى آدم وهم الذين اذ سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين وأما الذين قالوا بقول الضحاك فانهم قالوا ان الله تعالى ذكره أخبر أن من الجن رسلا أرسلوا اليهم كما أخبر أن من الانس رسلا أرسلوا اليهم قالوا ولو جاز أن يكون خبره عن رسل الجن بمعنى أنهم رسل الانس جاز أن يكون خبره عن رسل الانس بمعنى انهم رسل الجن قالوا وفى فساد هذا المعنى ما يدل على ان الخبرين جميعا بمعنى الخبر عنهم انهم رسل

عما يوعظ به وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وأن لا يزيل عذرهم وعلتهم قالت الأشاعرة فى الآية دلالة على أنه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان العقل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب أحدا على أمر من الأمور قبل بعثة الرسل لكن بعدها والمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن أن يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح أحوال أهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال (ولكل درجات) أى ولكل عامل فى عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى (مما عملوا) أى من جزاء أعمالهم وقيل ان أول الآية مختصة بأهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولأهل المعصية تكون الدركات والمه الاشارة بقوله (وما ربك بغافل عما يعملون) قالت الاشاعرة فى الآية دليل على مسألة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة فى وقت معين وبحسب فعل معين وأثبت تلك الدرجة فى اللوح المحفوظ وأشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين أنه ليس يحتاج الى طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال (وربك الغنى ذو الرحمة) اما انه غنى فى ذاته وصفاته وأفعاله وفى أحكامه عن كل ما سواه فلوجوب وجوده وأن ما سواه ممكن لذاته مفتقر فى الوجود وفى الامور التابعة للوجود اليه فلا غنى الا هو وأما انه ذو الرحمة فلأن كل ما دخل فى الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على أن الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا رحمته الكاملة ورأفته الشاملة والذى يتصور من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فتمكن الشخص من الانتفاع بها ليس الا منه تعالى ومن هذا يعلم تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع لباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بأنه ذو الرحمة كان لظان أن يظن أن للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله تعالى (ان يشأ يذهبكم) أنه قادر على وضع الرحمة فى هذا الخلق وقادر على أن يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن

الله لان ذلك هو المعروف فى الخطاب دون غيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركى الجن والانس عند تقريعه اياهم بقوله لهم ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا أنهم يقولون شهدنا على أنفسنا بأن رسلك قد أتتنا بآياتك وأنذرتنا لقاء يومنا هذا فكذبناها وجحدنا رسالتها ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها قال الله خبرا مبتدأ وغرت هؤلاء العادلين بالله الأوثان والأصنام وأولياءهم من الجن الحياة الدنيا يعنى زينة الحياة الدنيا وطلب الرياسة فيها والمنافسة عليها أن يسلموا الأمر الله فيطيعوا فيها رسله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فاكتفى بذكر الحياة الدنيا من ذكر المعانى التى غرتهم وخدعتهم فيها اذ كان فى ذكرها مكتفى عن ذكر غيرها لدلالة الكلام على ما ترك ذكره يقول الله تعالى وشهدوا على أنفسهم يعنى هؤلاء العادلين به يوم القيامة أنهم كانوا فى الدنيا كافرين به وبرسله لتتم حجة الله عليهم باقرارهم على أنفسهم بما يوجب عليهم عقوبته وأليم عذابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول تعالى ذكره ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أى انما أرسلنا الرسل يا محمد الى من وصفت أمره وأعلمتك خبره من مشركى الانس والجن يقصون عليهم آياتى وينذرونهم لقاء معادهم الى من أجل أن ربك لم يكن مهلك القرى بظلم وقد يتجه من التأويل فى قوله بظلم وجهان أحدهما ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم أى بشرك من أشرك وكفر من كفر من أهلها كما قال لقمان ان الشرك لظلم عظيم وأهلها غافلون يقول لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث اليهم رسلا تنبههم على حجج الله عليهم وتنذرهم عذاب الله يوم معادهم اليه ولم يكن بالذى يأخذهم غفلة فيقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير * والآخر ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم يقول لم يكن ليهلكهم دون التنبيه والتذكير بالرسل والآيات والعبر فيظلمهم بذلك والله غير ظلام للعبيد * وأولى القولين بالصواب عندى القول الأول أن يكون معناه أن لم يكن ليهلكهم بشركهم دون ارسال الرسل اليهم والاعذار بينه وبينهم وذلك أن قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم عقيب قوله ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فكان فى ذلك الدليل الواضح على أن نص قوله ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم انما هو انما فعلنا ذلك من أجل أنا لا نهلك القرى بغير تذكير وتنبيه وأما قوله ذلك فانه يجوز أن يكون نصبا بمعنى فعلنا ذلك ويجوز أن يكون رفعا بمعنى الابتداء كأنه قال ذلك كذلك وأما أن فانها فى موضع نصب بمعنى فعلنا ذلك من أجل أن لم يكن ربك مهلك القرى فاذا حذف ما كان يخفضها تعلق بها الفعل فنصب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولكل عامل فى طاعة الله أو معصيته منازل ومراتب من عمله يبلغه الله اياها ويثيبه بها ان خيرا فخير وان شرا فشر وما ربك بغافل عما يعملون يقول جل ثناؤه وكل ذلك من عملهم يا محمد بعلم من ربك يحصيها ويثبتها لهم عنده ليجازيهم عليها عند لقائهم اياه ومعادهم اليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وربك

الغنى

العالمين أكمل وأتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف (ويستخلف من بعدكم) أى من بعد ذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الاعلى طريق البدل من فائت وقوله (ما يشاء) أى خلق ثالث ورابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من أمثال الجن والانس لكن أطوع وقال أبو مسلم يعنى خلقا ثالثا مخالفا الثقلين ليكون أقوى فى دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة قدر (٢٩) على تصويرها بصور أخرى مخالفة لها وقال فى الكشاف المعنى كما أنشأكم من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام ثم ذكر حال المعاد فقال (انما توعدون لآت) قال الحسن أى من مجىء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل أن يقال انما توعدون لآت اشارة الى لطفه أى ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله (وما أنتم بمعجزين) أى خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره يقال أعجزه الشئ أى فاته فالجزم فى جانب الوعد والتعريض فى جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان أغلب ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكرى البعث فقال (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) قال الواحدى قراءة الافراد أوجه لان المصدر لا يجمع فى أغلب الاحوال وقال فى الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الآية اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان أى اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه (انى عامل) على مكانتى التى أنا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فانى ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليهم على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم (فسوف تعلمون) أينا تكون له العاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادى أى قل اعملوا فستجزون وهكذا فى سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فصار استئنافا ومحل من نصب ان كان بمعنى الذى أو رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى أى و (عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التى خلق الله هذه الدار لها وهى مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وأدب ووثوق بأن المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة عليه

الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين﴾ يقول جل ثناؤه وربك يا محمد الذى أمر عباده بما أمرهم به ونهاهم عما نهاهم عنه وأثابهم على الطاعة وعاقبهم على المعصية الغنى عن عباده الذين أمرهم بما أمر ونهاهم عما نهى وعن أعمالهم وعبادتهم اياه وهم المحتاجون اليه لانه بيده حياتهم ومماتهم وأرزاقهم وأقواتهم ونفعهم وضرهم يقول عز ذكره فلم أخلقهم يا محمد ولم آمرهم بما أمرتهم به وأنههم عما نهيتهم عنه لحاجة لى اليهم ولا الى أعمالهم ولكن لأتفضل عليهم برحمتى وأثيبهم على احسانهم ان أحسنوا فانى ذو الرأفة والرحمة وأما قوله ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء فانه يقول ان يشأ ربك يا محمد الذى خلق خلقه لغير حاجة منه اليهم والى طاعتهم اياه يذهبكم يقول يهلك خلقه هؤلاء الذين خلقهم من ولد آدم ويستخلف من بعدكم ما يشاء يقول ويأت بخلق غيركم وأمم سواكم يخلفونكم فى الارض من بعدكم يعنى من بعد فنائكم وهلاككم كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين كما أحدثكم وابتدعكم من بعد خلق آخرين كانوا قبلكم ومعنى من فى هذا الموضع التعقيب كما يقال فى الكلام أعطيتك من دينارك ثوبا بمعنى مكان الدينار ثوبا لا أن الثوب من الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما أنشأكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر أنهم أنشئوا من أصلاب قوم آخرين ولكن معنى ذلك ما ذكرنا من أنهم أنشئوا مكان خلق خلف قوم آخرين قد هلكوا قبلهم والذرية الفعلية من قول القائل ذرأ الله الخلق بمعنى خلقهم فهو يذرؤهم ثم ترك الهمزة فقيل ذرا الله ثم أخرج الفعلية بغير همز على مثال العلية وقد روى عن بعض المتقدمين أنه كان يقرأ من ذريئة قوم آخرين على مثال فعيلة وعن آخر انه كان يقرأ ومن ذرية على مثال علية والقراءة التى عليها القراء فى الامصار ذرية بضم الذال وتشديد الياء على مثال علية وقد بينا اشتقاق ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ههنا وأصل الانشاء الاحداث يقال قد أنشأ فلان يحدث القوم بمعنى ابتدأ وأخذ فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به أيها العادلون بالله الاوثان والاصنام ان الذى يوعدكم به ربكم من عقابه على اصراركم على كفركم واقع بكم وما أنتم بمعجزين يقول لن تعجزوا ربكم هربا منه فى الارض فتفوتوه لانكم حيث كنتم فى قبضته وهو عليكم وعلى عقوبتكم بمعصيتكم اياه قادر يقول فاحذروه وأنيبوا الى طاعته قبل نزول البلاء بكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك من قريش الذين يجعلون مع الله الها آخر اعملوا على مكانتكم يقول اعملوا على حيالكم وناحيتكم كما حدثنى على بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يا قوم اعملوا على مكانتكم يعنى على ناحيتكم يقال منه هو يعمل على مكانته ومكينته وقرأ ذلك بعض الكوفيين على مكاناتكم على جمع المكانة والذى عليه قراء الأمصار على مكانتكم على التوحيد انى عامل يقول جل ثناؤه لنبيه قل لهم اعملوا ما أنتم عاملون فانى عامل ما أنا عامله مما أمرنى به ربى فسوف تعلمون يقول فسوف تعلمون عند نزول

لاله ثم حكى أنواعا من جهالاتهم وركاكات أقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفير العقلاء عن الالتفات الى أقوال أمثالهم فقال (وجعلوا لله) قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله (فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا) وجعل الاوثان شركاء لانهم جعلوا لها نصيبا من أموالهم ينفقونها عليها ثم قال (فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم) وفى تفسيره وجوه قال ابن عباس كان المشركون يجعلون لله (٠ ٣) تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم أنفقوه عليه وما كان لله أطعموه الضيفان والمساكين ولا يأكلون منه البتة ثم ان سقط شئ مما جعلوه لله فى نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غنى عن هذا وان سقط شئ مما جعلوا للاوثان فى نصيب الله تعالى أخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدى كان اذا هلك لاوثانهم شئ أخذوا بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد ذلك تركوه وقال قتادة اذا أصابهم شدة استعانوا بالله واذا أصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم وقال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه وأما ان زكا نصيب الله ولم يزك نصيب الالهة قالوا لابد لآلهتنا من نفقة وأخذوا نصيب الاله تعالى فأعطوه السدنه فمعنى (فلا يصل الى الله) أنه لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين ومعنى الوصول الى شركائهم أنهم ينفقونه عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرأ فيه ان الله تعالى كان أولى بأن يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه أى خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال (ساء ما يحكمون) وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا من
جانب الاصنام فى الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثانى جعلوا بعض الحرث لله و بعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم أحدثوه من قبل أنفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع وأشار اليه بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الأصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر ومدر الخامس لا تأثير للاصنام فى حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث

نقمة الله بكم أينا كان المحق فى عمله والمصيب سبيل الرشاد أنا أم أنتم وقوله تعالى ذكره لنبيه قل لقومك ياقوم اعملوا على مكانتكم أمر منه له بوعيدهم وتهددهم لا اطلاق لهم فى عمل ما أرادوا من معاصى الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه من تكون له عاقبة الدار فسوف تعلمون أيها الكفرة بالله عند معاينتكم العذاب من الذى تكون له عاقبة الدار منا ومنكم يقول من الذى يعقب دنياه ما هو خير له منها أو شر منها بما قدم فيها من صالح أعماله أو سيئها ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه فقال انه لا يفلح الظالمون يقول انه لا ينجح ولا يفوز بحاجته عند الله من عمل بخلاف ما أمره الله به من العمل فى الدنيا وذلك معنى ظلم الظالم فى هذا الموضع وفى من التى فى قوله من تكون له وجهان من الاعراب الرفع على الابتداء والنصب بقوله تعلمون لاعمال العلم فيه والرفع فيه أجود لان معناه فسوف تعلمون أينا له عاقبة الدار فالابتداء فى من أصح وأفصح من اعمال العلم فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام لربهم مما ذرأ خالقهم يعنى مما خلق من الحرث والانعام يقال منه ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرأ وذروا اذا خلقهم نصيبا يعنى قسما وجزأ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة النصيب الذى جعلوا لله والذى جعلوه لشركائهم من الاوثان والشيطان فقال بعضهم كان ذلك جزأ من حروثهم وأنعامهم يقررونه لهذا وجزأ آخر لهذا ذكر من قال ذلك حدثنى اسحق ابن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله الآية قال كانوا اذا أدخلوا الطعام فجعلوه حزما جعلوا منها لله سهما وسهما لآلهتهم وكان اذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لآلهتهم الى الذى جعلوه لله ردوه الى الذى جعلوه لآلهتهم واذا هبت الريح من نحو الذى جعلوه لله الى الذى جعلوه لآلهتهم أقروه ولم يردوه فذلك قوله ساء ما يحكمون حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا قال جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبا وللشيطان والاوثان نصيبا فان سقط من ثمره ما جعلوا لله فى نصيب الشيطان تركوه وان سقط مما جعلوه للشيطان فى نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه الى نصيب الشيطان وان انفجر من سقى ما جعلوه لله فى نصيب الشيطان تركوه وان انفجر من سقى ما جعلوه للشيطان فى نصيب الله سدوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقى الماء وأما ما جعلوا للشيطان من الانعام فهو قول الله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم الآية وذلك أن أعداء الله كانوا اذا احترثوا حرثا أو كانت لهم ثمرة جعلوا لله منها جزأ وللوثن جزأ فما كان من حرث أو ثمرة أو شئ

من نصيب الأوثان حفظوه وأحصوه فان سقط منه شئ فيما سمى لله ردوه الى ما جعلوا للوثن وان سبقهم الماء الى الذى جعلوه للوثن فسقى شيأ جعلوه لله جعلوا ذلك للوثن وان سقط شئ من الحرث والثمرة التى جعلوا لله فاختلط بالذى جعلوا للوثن قالوا هذا فقير ولم يردوه الى ما جعلوا لله وان سبقهم الماء الذى جعلوا لله فسقى ما سمى للوثن تركوه للوثن وكانوا يحرمون من انعامهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام فيجعلونه للاوثان ويزعمون انهم يحرمونه لله فقال الله فى ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال يسمون لله جزأ من الحرث ولشركائهم وأوثانهم جزأ فما ذهبت به الريح مما سموا لله الى جزء أوثانهم تركوه وما ذهب من جزء أوثانهم الى جزء الله ردوه وقالوا الله عن هذا غنى والانعام السائبة والبحيرة التى سموا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الآية عمد ناس من أهل الضلالة فجزؤا من حروثهم ومواشيهم جزأ لله وجزأ لشركائهم وكانوا اذا خالط شئ مما جزؤا لله فيما جزؤا لشركائهم خلوه فاذا خالط شئ مما جزؤا لشركائهم فيما جزؤا لله ردوه على شركائهم وكانوا اذا أصابتهم السنة استعانوا بما جزؤا لله وأقروا ما جزؤا لشركائهم قال الله ساء ما يحكمون حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قال كانوا يجزؤن من أموالهم شيأ فيقولون هذا لله وهذا للاصنام التى يعبدون فاذا ذهب مما جعلوا لشركائهم فخالط ما جعلوا لله ردوه وان ذهب مما جعلوه لله فخالط شيأ مما جعلوه لشركائهم تركوه وان أصابتهم سنة أكلوا ما جعلوا لله وتركوا ما جعلوا لشركائهم فقال الله ساء ما يحكمون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الى يحكمون قال كانوا يقسمون من أموالهم قسما فيجعلونه لله ويزرعون زرعا فيجعلونه لله ويجعلون لآلهتهم مثل ذلك فما خرج للآلهة أنفقوه عليها وما خرج لله تصدقوا به فاذا هلك الذى يصنعون لشركائهم وكثر الذى لله قالوا ليس بد لآلهتنا من نفقة وأخذوا الذى لله فانفقوه على آلهتهم واذا أجدب الذى لله وكثر الذى لآلهتهم قالوا لو شاء أزكى الذى له فلا يردون عليه شيأ مما للآلهة قال الله لو كانوا صادقين فيما قسموا لبئس اذا ما حكموا أن يأخذوا منى ولا يعطونى فذلك حين يقول ساء ما يحكمون * وقال آخرون النصيب الذى كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه الى شركائهم أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا حتى بلغ وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قال كل شئ جعلوه لله من ذبح يذبحونه لا يأكلونه أبدا حتى يذكروا معه أسماء الآلهة وما كان للآلهة لم يذكروا اسم الله معه وقرأ الآية

*النوع الثانى من أحكامهم الفاسدة قوله (وكذلك زين) كان أهل الجاهلية يدفنون بناتهم أحياء خوفا من الفقر أو من التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له كذا غلاما لينحرن أحدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين أطاعوهم فى معصية الله تعالى وعلى الثانى هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثانى الكلبى وتقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله والآلهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذى علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام (قتل أولادهم) بالوأد أو بالنحر ثم ان وجه القراءة الاكثرى ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به وأما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشرى من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله

* لله در اليوم من لامها *

وضعف بغير الظرف كقوله

فزججتها بمزجة * زج القلوص أبى مزاده

وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندى فى هذا المقام أن القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقرا آت السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد فى القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير فى أشعار العرب وتراكيبهم أم لا وان ورد فكثير أم لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله *بين ذراعى وجبهة الاسد* والمضاف مضمر مع الثانى كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير عرض الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم أولادهم قتل شركائهم ومعنى (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم فى النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان كان من الشيطان (وليلبسوا عليهم دينهم) ليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذى أتاهم بهذه الاوضاع الفاسدة أراد أن يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذى وجب أن يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم فى دين ملتبس (ولو شاء الله ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم أو لما فعل الشياطين والسدنة التزيين أو الارداء أو اللبس أو جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعتزلة حملوا هذه المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر ثم قال (فذرهم وما يفترون) على قانون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على

المأمور بأنه لا يأتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الآية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب آيات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الآيات * النوع الثالث من أحكامهم الباطلة أنهم قسموا أنعامهم أقساما فأولها أن قالوا (هذه أنعام وحرث حجر) وحجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وأصل (٣٢) الحجر المنع وسمي العقل الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي أي في منعه كانوا اذا عينوا شيأ من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء (و) ثانيها أن قالوا (هذه أنعام حرمت ظهورها) وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة (و) ثالثها (أنعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون عليها أسماء الاصنام وقيل هي أنعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل (افتراء عليه) وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء ثم قال (سيجزيهم بما كانوا يفترون) والمقصود منه الوعيد * (و) النوع الرابع من قضاياهم الفاسدة أن (قالوا ما في بطون هذه الانعام) يعنون أجنة البحائر والسوائب (خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا) هذا ان ولد حيا (وان يكن ميتة فهم فيه شركاء) أي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى أن كان تامة أو لان التقدير وان يكن لهم أو هنالك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتأنيثه لان تأنيث الميتة غير حقيقي أو لان الميتة لكل ميت ذكرا أو أنثى فكأنه قيل ميت ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب (سيجزيهم وصفهم) أي جزاء وصفهم على الله الكذب في التحليل والتحريم (انه حكيم عليم) ليكون الزجر واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف أنث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حمل على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الأجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجهان آخران أن تكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وأن يكون مصدرا كالعاقبة والعافية أي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح أحكامهم وأفعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم والضلال وعدم الاهتداء

حتى بلغ ساء ما يحكمون * وأولى التأويلين بالآية ما قال ابن عباس ومن قال بمثل قوله في ذلك لان الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسما مقدرا فقالوا هذا لله وجعلوا مثله لشركائهم وهم أوثانهم باجماع من أهل التأويل عليه فقالوا هذا لشركائنا وان نصيب شركائهم لا يصل منه الى الله بمعنى لا يصل الى نصيب الله وما كان لله وصل الى نصيب شركائهم فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل جائزا أن تكون قد وصلت وما أخبر عنه انه قد وصل لم يصل وذلك خلاف ما دل عليه ظاهر الكلام لان الذبيحتين تذبح احداهما لله والاخرى للآلهة جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت وخلطوها اذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحا للآلهة دون اختلاط الاعيان واتصال بعضها ببعض وأما قوله ساء ما يحكمون فانه خبر من الله جل ثناؤه عن فعل هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم يقول جل ثناؤه وقد أساؤا في حكمهم اذ أخذوا من نصيبي لشركائهم ولم يعطوني من نصيب شركائهم وانما عنى بذلك تعالى ذكره الخبر عن جهلهم وضلالتهم وذهابهم عن سبيل الحق بأنهم لم يرضوا أن عدلوا عن خلقهم وغذاهم وأنعم عليهم بالنعم التي لا تحصى ما لا يضرهم ولا ينفعهم حتى فضلوه في اقسامهم عند أنفسهم بالقسم عليه ﴿ القول في تأويل قوله ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وكما زين شركاء هؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام لهم ما زينوا لهم من تصييرهم لربهم من أموالهم قسما بزعمهم وتركهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لله الى قسم شركائهم في قسمهم وردهم ما وصل من القسم الذي جعلوه لشركائهم الى قسم نصيب الله الى قسم شركائهم كذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين فحسنوا لهم وأد البنات ليردوهم يقول ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم فعلوا ذلك بهم ليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس فيضلوا ويهلكوا بفعلهم ما حرم الله عليهم ولو شاء الله أن لا يفعلوا ما كانوا يفعلون من قتلهم لم يفعلوه بأن كان يهديهم للحق ويوفقهم للسداد فكانوا لا يقتلونهم ولكن الله خذلهم عن الرشاد فقتلوا أولادهم وأطاعوا الشياطين التي أغوتهم يقول الله لنبيه متوعدا لهم على عظيم فريتهم على ربهم فيما كانوا يقولون في الأنصباء التي يقسمونها هذا لله وهذا لشركائنا وفي قتلهم أولادهم ذرهم يا محمد وما يفترون وما يتقولون عليّ من الكذب والزور فاني لهم بالمرصاد ومن وراء العذاب والعقاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم زينوا لهم من قتل أولادهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله قتل أولادهم شركاؤهم شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثني المثنى قال

ثنا

فقال (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) الآية وذلك أن الولد نعمة عظيمة من الله تبقى ذكره ونسله فالسعى فى ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر أو نحوه أو لفائدة موهومة هى القربة الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما أحل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من أعظم الذنوب وأكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم آخرا بالضلال ثم بعدم الاهتداء ليحصل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن (٣٣) والله أعلم ۞ التأويل مهلك القرى أى قرى أشخاص

ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم الآية قال شركاؤهم زينوا لهم ذلك ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم قال شياطينهم التى عبدوها زينوا لهم قتل أولادهم **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات وأما ليردوهم فيهلكوهم وأما ليلبسوا عليهم دينهم فيخلطوا عليهم دينهم * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته قراء الحجاز والعراق وكذلك زين بفتح الزاى من زين لكثير من المشركين قتل أولادهم بنصب القتل شركاؤهم بالرفع بمعنى أن شركاء هؤلاء المشركين الذين زينوا لهم قتل أولادهم فيرفعون الشركاء بفعلهم وينصبون القتل لانه مفعول به وقرأ ذلك بعض قراء أهل الشام وكذلك زين بضم الزاى لكثير من المشركين قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالخفض بمعنى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم ففرقوا بين الخافض والمخفوض بما عمل فيه من الاسم وذلك فى كلام العرب قبيح غير فصيح وقد روى عن بعض أهل الحجاز بيت من الشعر يؤيد قراءة من قرأ بما ذكرت من قراءة أهل الشام رأيت رواة الشعر وأهل العلم بالعربية من أهل العراق ينكرونه وذلك قول قائلهم

فزججته متمكنا * زج القلوص أبى مزاده

والقراءة التى لا أستجيز غيرها وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم بفتح الزاى من زين ونصب القتل بوقوع زين عليه وخفض أولادهم باضافة القتل اليهم ورفع الشركاء بفعلهم لانهم هم الذين زينوا للمشركين قتل أولادهم على ما ذكرت من التأويل وانما قلت لا أستجيز القراءة بغيرها لاجماع الحجة من القراء عليه وأن تأويل أهل التأويل بذلك ورد ففى ذلك أوضح البيان على فساد ما خالفها من القراءة ولولا أن تأويل جميع أهل التأويل بذلك ورد ثم قرأ قارئ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم بضم الزاى من زين ورفع القتل وخفض الاولاد والشركاء على أن الشركاء مخفوضون بالرد على الاولاد بأن الاولاد شركاء آبائهم فى النسب والميراث كان جائزا ولو قرأه كذلك قارئ غير أنه رفع الشركاء وخفض الاولاد كما يقال ضرب عبد الله أخوك فيظهر الفاعل بعد ان جرى الخبر بما لم يسم فاعله كان ذلك صحيحا فى العربية جائزا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء الجهلة من المشركين أنهم كانوا يحرمون ويحللون من قبل أنفسهم من غير أن يكون الله أذن لهم بشئ من ذلك يقول تعالى ذكره وقال

الانسان نظلم وهو صرف الاستعداد الفطرى فى استيفاء اللذات الفانية وأهلها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغنى عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة ذو الرحمة خلقهم ليربحوا عليه لا ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم أى على ما جبلتم عليه انى عامل على ما جبلت عليه قتل أولادهم شركاؤهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون لانهم ذهبوا مذهب الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور اذا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا أولادهم لان ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب أهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال أهل التحقيق من أمارات اليقين وحقائقه كثرة العيال على بساط التوكل ﴿وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات

الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا

عادفان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة (٣٤) فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾

القراآت حصاده بفتح الحاء أبو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضان بغير همزة أبو عمرو غير شجاع وأوقية والأعشى والاصبهانى عن ورش ويزيد وحمزة فى الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلى وخلف ونافع وأبو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعى عن البزى والقواس غير ابن مجاهد وأبى عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا أن تكون بتاء التأنيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن رومى عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا ممالة على وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهرا الحلوانى عن قالون والبرجمى ۞ الوقوف متشابه ط ولا تسرفوا ط المسرفين ٥ لا لأن قوله حمولة منصوب بأنشأ وفرشا ط الشيطان ط مبين ٥ لا لأن ثمانية منصوب بانشأ جنات أزواج ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ط أرحام الانثيين ط لانتهاء الاستفهام صادقين ٥ لا لأن اثنين منصوب بأنشأ أيضا ومن البقر اثنين ط أرحام الانثيين ط لأن أم فى قوله أم كنتم بمعنى ألف استفهام توبيخ بهذا ج للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم ط الظالمين ٥ لغير الله ج رحيم ٥ ظفر ج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ط ببغيهم ز للابتداء بان واثبات وصف الصدق مطلقا وللوصل وجه لان المعنى وانا لصادقون فيما أخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة ط لاختلاف الجملتين المجرمين ٥ من شئ ط بأسنا ط لنا ط تخرصون ٥ البالغة ج للشرط مع الفاء أجمعين ٥ حرم هذا ج لذلك معهم ج الفرج

هؤلاء العادلون بربهم من المشركين جهلا منهم لأنعام لهم وحرث هذه أنعام وهذا حرث حجر يعنى بالانعام والحرث ما كانوا جعلوه لله ولآلهتهم التى قد مضى ذكرها فى الآية قبل هذه وقيل ان الانعام السائبة والوصيلة والبحيرة التى سموا **حدثنى** بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الانعام السائبة والبحيرة التى سموا والحجر فى كلام العرب الحرام يقال حجرت على فلان كذا أى حرمت عليه ومنه قول الله ويقولون حجرا محجورا ومنه قول المتلمس

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها * حجر حرام ألا ثم الدهاريس

وقول رؤبه

* وجارة البيت لها (٣) حجرى * يعنى المحرم ومنه قول الآخر

فبت مرتفقا والعين ساهرة * كأن نومى على الليل محجور

أى حرام يقال حجر وحجر بكسر الحاء وضمها وبضمها كان يقرأ فيما ذكر الحسن وقتادة **حدثنى** عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن الحسين عن قتادة انه كان يقرؤها وحرث حجر يقول حرام مضمومة الحاء وأما القراء من الحجاز والعراق والشام فعلى كسرها وهى القراءة التى لا أستجيز خلافها لاجماع الحجة من القراء عليها وأنها اللغة الجودى من لغات العرب وروى عن ابن عباس أنه كان يقرؤها وحرث حرج بالراء قبل الجيم **حدثنى** بذلك الحرث قال ثنى عبد العزيز قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه كان يقرؤها كذلك وهى لغة ثالثة معناها ومعنى الحجر واحد وهذا كما قالوا جذب وجبذ وناء ونأى ففى الحجر اذا لغات ثلاث حجر بكسر الحاء والجيم قبل الراء وحجر بضم الحاء والجيم قبل الراء وحرج بكسر الحاء والراء قبل الجيم وبنحو الذى قلنا فى تأويل الحجر قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث عن حميد عن مجاهد وأبى عمرو وحرث حجر يقول حرام **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وحرث حجر فالحجر ما حرموا من الوصيلة وتحريم ما حرموا **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وحرث حجر قال حرام **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذه أنعام وحرث حجر الآية تحريم كان عليهم من الشياطين فى أموالهم وتغليظ وتشديد وكان ذلك من الشياطين ولم يكن من الله **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله وقالوا هذه أنعام وحرث حجر فيقولون حرام أن نطعم الا من شئنا **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذه أنعام وحرث حجر نحتجرها على من نريد وعمن نريد لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قال انما احتجروا ذلك لآلهتهم وقالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم قالوا نحتجرها عن النساء ونجعلها للرجال **حدثت** عن الحسين بن

لتناهى جزاء الشرط مع العطف يعدلون ﴿﴾ التفسير إنه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وإنه بالغ فى تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح أحوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكرى البعث والقيامة ثم أتبعه حكاية أقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلى وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته و وجوب توحيده فقال (وهو الذى أنشأ) الآية نشأ الشئ ينشأ نشأ (٣٥) اذا ظهر وارتفع وأنشأه الله ينشئه انشاء أظهره ورفعه (جنات معروشات وغير معروشات) يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعض الاعناب تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى أن يتخذ له عروش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجرى مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغنى باستوائه وقوة ساقه عن التعريش وقيل المعروشات ما فى البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما أنبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فبقى غير معروش (والنخل والزرع) فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التى تقتات (مختلفا أكله) والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على أحدهما كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها أى اليهما والمراد أن لكل شئ منهما طعما غير طعم الآخر ومختلفا حال مقدرة أى أنشأه مقدرا اختلاف أكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك (متشابها وغير متشابه) فى القدر واللون والطعم ثم قال (كلوا من ثمره) وقد قال فى الآية المتقدمة أعنى نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شئ الآية الى قوله انظروا الى ثمره تنبيها على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن فى الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية أبدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة وقدم اباحة الاكل على اخراج الحق كيلا يظن أنه يحرم على المالك تناوله لمكان شركة المتشاركين فيه وفى الآية اشارة الى ان خلق هذه النعم إما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثانى لانه حق الغير وفيه ان الاصل فى المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل و يمكن أن يستدل به على ان الاصل عدم وجوب

الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أنعام وحرث حجر أما حجر يقول محرم وذلك أنهم كانوا يصنعون فى الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها كانوا يحرمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها و يعزلون من حرثهم شيأ معلوما لآلهتهم و يقولون لا يحل لنا ما سمينا لآلهتنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أنعام وحرث حجر ما جعلوه لله ولشركائهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ﴿﴾ القول فى تأويل قوله ﴿وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون﴾ يقول تعالى ذكره وحرم هؤلاء الجهلة من المشركين ظهور بعض أنعامهم فلا يركبون ظهورها وهم ينتفعون برسلها ونتاجها وسائر الاشياء منها غير ظهورها للركوب وحرموا من أنعامهم أنعاما أخر فلا يحجون عليها ولا يذكرون اسم الله عليها ان ركبوها بحال ولا ان حلبوها ولا ان حملوا عليها وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لى أبو وائل أتدرى ما أنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال أنعام لا يحجون عليها حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال ثنا شاذان قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال قال لى أبو وائل أتدرى ما قوله حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال قلت لا قال هى البحيرة كانوا لا يحجون عليها حدثنا أحمد بن عمرو البصرى قال ثنا محمد بن سعيد الشهيد قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن أبى وائل وانعام لا يذكرون اسم الله عليها قال لا يحجون عليها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما أنعام حرمت ظهورها فهى البحيرة والسائبة والحام وأما الانعام التى لا يذكرون اسم الله عليها قال اذا ولدوها ولا ان نحروها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قال كان من ابلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا فى شئ من شأنها لا ان ركبوها ولا ان حلبوا ولا ان حملوا ولا ان منحوا ولا ان عملوا شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وانعام لا يذكرون اسم الله عليها وأما قوله افتراء على الله فانه يقول فعل هؤلاء المشركون ما فعلوا من تحريمهم ما حرموا وقالوا ما قالوا من ذلك كذبا على الله وتخرصا الباطل عليه لانهم أضافوا ما كانوا يحرمون من ذلك على ما وصفه عنهم جل ثناؤه فى كتابه الى أن الله هو الذى حرمه فنفى الله ذلك عن نفسه وأكذبهم وأخبر نبيه والمؤمنين أنهم كذبة فيما يدعون ثم قال عز ذكره سيجزيهم يقول سيثيبهم ربهم بما كانوا يفترون على الله الكذب ثوابهم ويجزيهم بذلك جزاءهم ﴿﴾ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ما فى بطون هذه الانعام فقال بعضهم عنى بذلك اللبن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل

عن أبي اسحق عن عبد الله بن أبي الهذيل عن ابن عباس وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا قال اللبن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن أبي اسحق عن ابن أبي الهذيل عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ألبان البحائر كانت للذكور دون النساء وان كانت ميتة اشترك فيها ذكورهم واناثهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال ما في بطون البحائر يعني ألبانها كانوا يجعلونه للرجال دون النساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عيسى ابن يونس عن زكريا عن عامر قال البحيرة لا يأكل من لبنها الا الرجال وان مات منها شئ أكله الرجال والنساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا الآية فهو اللبن كانوا يحرمونه على اناثهم ويشرب به ذكرانهم وكانت الشاة اذا ولدت ذكرا ذبحوه وكان للرجال دون النساء وان كانت أنثى تركت فلم تذبح وان كانت ميتة فهم فيه شركاء فنهى الله عن ذلك * وقال آخرون بل عنى بذلك ما في بطون البحائر والسوائب من الأجنة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فهذه الانعام ما ولد منها من حي فهو خالص للرجال دون النساء وأما ما ولد من ميت فيأكله الرجال والنساء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن مجاهد ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا السائبة والبحيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وأولى الاقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الكفرة أنهم قالوا في أنعام بأعيانها ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا دون اناثنا واللبن مما في بطونها وكذلك أجنتها ولم يخصص الله بالخبر عنهم أنهم قالوا بعض ذلك حرام عليهن دون بعض واذ كان ذلك كذلك فالواجب أن يقال انهم قالوا ما في بطون تلك الأنعام من لبن وجنين حل لذكورهم خالصة دون إناثهم وانهم كانوا يؤثرون بذلك رجالهم الا أن يكون الذي في بطونها من الاجنة ميتا فيشترك حينئذ في أكله الرجال والنساء * واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله أنثت الخالصة فقال بعض نحويي البصرة وبعض الكوفيين أنثت لتحقيق الخلوص كأنه لما حقق لهم الخلوص أشبه الكثرة فجرى مجرى راوية ونسابة وقال بعض نحويي الكوفة أنثت لتأنيث الانعام لان ما في بطونها مثلها فأنثت لتأنيثها ومن ذكره فلتذكير ما قال وهي في قراءة عبد الله خالص قال وقد تكون الخالصة في تأنيثها مصدرا كما تقول العافية والعاقبة وهو مثل قوله إنا أخلصناهم بخالصة * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال أريد بذلك المبالغة في خلوص ما في بطون الانعام التي كانوا حرموا ما في بطونها على أزواجهم لذكورهم

دون

الصوم وأن من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وأن المجنون اذا أفاق في أثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وأن الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الأصول من المعلوم من لغة العرب أن صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة أو الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة قوله (اذا أثمر) وقد علم أنه اذا لم يثمر لم يؤكل منه هي أن يعلم أن أول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا أدرك وأينع أما قوله (وآتوا (٣٦) حقه يوم حصاده) فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك أن الآية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب أن المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكاة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه وكذا اذا دسته واذا عرفت كيله فاعزل زكاته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكاة وبأن قوله وآتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير أن هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرض العشر أو نصف العشر فيما سقي بالسواقي نسخ والقول الاول أصح ثم ان أبا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكاة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهي العنب والنخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بأن لفظ الحصاد مخصوص بالزرع وأجيب بأن الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو أيضا بها على أن العشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب أن بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة ثم قال تعالى (ولا تسرفوا) ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا أعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيأ فقد أسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروي أن ثابت بن قيس بن شماس عمد الى سمائة نخلة فجذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل منها الى منزله شيأ فنزلت الآية ولا تسرفوا أي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة فقد أسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد تكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر سرف المال ما ذهب منه في غير منفعة وعلى

هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام فى الانعام والحرث وقال الزهرى ولا تنفقوا فى معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان أبو قبيس ذهبا فأنفقه رجل فى طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو أنفق درهما فى معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى أراده حاتم الطائى حين قيل له لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المسرفين) والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من أهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله (حمولة وفرشا) معطوف على (٣٧) جنات أى وأنشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (كلوا مما رزقكم الله) قالت المعتزلة أى مما أحلها لكم (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) لا تسلكوا طريقه الذى يدعوكم اليه فى التحليل والتحريم من عند أنفسكم كما فعل أهل الجاهلية (انه لكم عدو مبين) بين العداوة وفى انتصاب (ثمانية أزواج) وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره أن يكون مفعول كلوا والعرب تسمى الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والأنثى وقال ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله (من الضأن اثنين) أى زوجين اثنين (ومن المعز اثنين) وفى الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهرى الضائن خلاف الماعز والجمع بمعنى اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن أيضا مثل حارس وحرس وقال فى الكشاف انه قرئ بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها (قل آلذكرين حرم أم الانثيين) نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس وبالانثيين الأنثى من الضأن وهى النعجة والأنثى من المعز وهى العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيأ من نوعى ذكورها واناثها ولا مما يشتمل عليه أرحام الانثيين أى مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسى الابل والبقر يعنى الجمل والثور والانثيان منهما الناقة والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك

دون اناثهم كما فعل ذلك بالراوية والنسابة والعلامة اذا أريد بها المبالغة فى وصف من كان ذلك من صفته كما يقال فلان خالصة فلان وخلصانه وأما قوله ومحرم على أزواجنا فان أهل التأويل اختلفوا فى المعنى بالأزواج فقال بعضهم عنى بها النساء ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ومحرم على أزواجنا قال النساء * وقال آخرون بل عنى بالازواج البنات ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ومحرم على أزواجنا قال الازواج البنات وقالوا ليس للبنات منه شئ والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هؤلاء المشركين أنهم كانوا يقولون لما فى بطون هذه الانعام يعنى أنعامهم هذا محرم على أزواجنا والازواج انما هى نساؤهم فى كلامهم وهن لا شك بنات من هن أولاده وحلائل من هن أزواجه وفى قول الله عز وجل ومحرم على أزواجنا الدليل الواضح على أن تأنيث الخالصة كان لما وصفت من المبالغة فى وصف ما فى بطون الانعام بالخلوصة للذكور لأنه لو كان لتأنيث الانعام لقيل ومحرمة على أزواجنا ولكن لما كان التأنيث فى الخالصة لما ذكرت ثم لم يقصد فى المحرم ما قصد فى الخالصة من المبالغة رجع فيها الى تذكير ما واستعمال ما هو أولى به من صفته وأما قوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فاختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه يزيد بن القعقاع وطلحة بن مصرف فى آخرين وان تكن ميتة بالتاء فى تكن ورفع ميتة غير أن يزيد كان يشدد الياء من ميتة ويخففها طلحة حدثنى بذلك المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى عن طلحة بن مصرف وحدثنا أحمد بن يوسف عن القاسم واسمعيل بن جعفر عن يزيد وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة والبصرة وان يكن ميتة بالياء وميتة بالنصب وتخفيف الياء وكأن من قرأ وان يكن بالياء ميتة بالنصب أراد وان يكن ما فى بطون تلك الانعام فذكر يكن لتذكير ما ونصب الميتة لانه خبر يكن وأما من قرأ وان تكن ميتة فانه ان شاء الله أراد وان يكن ما فى بطونها ميتة فأنث تكن لتأنيث ميتة وقوله فهم فيه شركاء فانه يعنى أن الرجال وأزواجهم شركاء فى أكله لا يحرمونه على أحد منهم كما ذكرنا عمن ذكرنا ذلك عنه قبل من أهل التأويل وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وان يكن ميتة فهم فيه شركاء قال تأكل النساء مع الرجال ان كان الذى يخرج من بطونها ميتة فهم فيه شركاء وقالوا ان شئنا جعلنا للبنات فيه نصيبا وان شئنا لم نجعل وظاهر التلاوة بخلاف ما تأوله ابن زيد لان ظاهرها يدل على أنهم قالوا وان يكن ما فى بطونها ميتة فنحن فيه شركاء بغير شرط مشيئة وقد زعم ابن زيد أنهم جعلوا ذلك الى مشيئتهم ۞ القول فى تأويل قوله (سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم) يقول جل ثناؤه سيجزى أى سيثيب ويكافئ هؤلاء المفترين عليه الكذب فى تحريمهم ما لم يحرمه الله وتحليلهم ما لم يحلله الله واضافتهم كذبهم فى ذلك الى الله وقوله وصفهم يعنى بوصفهم الكذب على الله وذلك كما قال جل ثناؤه فى موضع آخر من كتابه وتصف ألسنتهم الكذب والوصف والصفة فى كلام العرب واحد وهما مصدران مثل الوزن والزنة وبنحو الذى قلنا فى معنى الوصف

أنهم كانوا يحرّمون ذكور الانعام تارة واناثها أخرى وأولادها كيفما كانت ذكورا أو اناثا أو من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوّة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بأن هذا يحل وهذا يحرم وأكد ذلك بقوله (نبؤني بعلم) أخبروني بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) في أن الله حرمه * واعلم أنه سبحانه منّ على عباده بانشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا أنه فصل بين بعض (٣٨) المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك بأجنبي وانما هي جملة معترضة جيء بها تأكيدا وتشديدا للتحليل فالاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد أما قوله (أم كنتم شهداء) فأم منقطعة أي بل أكنتم شهداء ومعناه الانكار ونحوه أعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فتهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى أمثالهم بالظلم بقوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة اسمعيل عليه السلام وبحر البحائر وسيب السوائب والاقرب أن اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوّات وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على أن الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى وأجيب بأنه ليس كل ما كان مذموما منا كان مذموما من الله تعالى فان تمكين العبد من أسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) قال القاضي لا يهديهم الى ثوابه والى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الاشاعرة معناه أنه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم أتبعه هؤلاء البيان التحجيح في الباب فقال (قل لا أجد فيما أوحي الى محرما) أي طعاما محرما (على طاعم يطعمه) على آكل يأكله (الا أن يكون) ذلك المأكول أو الموجود أو الطعام (ميتة أو دما مسفوحا) مصبوبا سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الانعام وهي أحياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما وما يختلط باللحم من الدم فانه غير سائل وسئل أبو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي ترى فيها

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سيجزيهم وصفهم قال قولهم الكذب في ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية سيجزيهم وصفهم قال كذبهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيجزيهم وصفهم أي كذبهم وأما قوله انه حكيم عليم فانه يقول جل ثناؤه ان الله في مجازاتهم على وصفهم الكذب وقيلهم الباطل عليه حكيم في سائر تدبيره في خلقه عليم بما يصلحهم وبغير ذلك من أمورهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين﴾ يقول تعالى ذكره قد هلك هؤلاء المفترون على ربهم الكذب العادلون به الاوثان والاصنام الذين زين لهم شركاؤهم قتل أولادهم وتحريم ما حرمت عليهم من أموالهم فقتلوا طاعة لها أولادهم وحرموا ما أحل الله لهم وجعله لهم رزقا من أنعامهم سفها منهم يقول فعلوا ما فعلوا من ذلك جهالة منهم بما لهم وعليهم ونقص عقول وضعف أحلام منهم وقلة فهم بعاجل ضره وآجل مكروهه من عظيم عقاب الله عليه لهم افتراء على الله يقول تكذيبا على الله وتخرصا عليه الباطل قد ضلوا يقول قد تركوا محجة الحق في فعلهم ذلك وزالوا عن سواء السبيل وما كانوا مهتدين يقول ولم يكن فاعلو ذلك على هدى واستقامة في أفعالهم التي كانوا يفعلون قبل ذلك ولا كانوا مهتدين للصواب فيها ولا موفقين له ونزلت هذه الآية في الذين ذكر الله خبرهم في هذه الآيات من قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا الذين كانوا يبحرون البحائر ويسيبون السوائب ويئدون البنات كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم قال نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومضر كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى فاذا كانت الجارية التي توأد غدا الرجل أو راح من عند امرأته وقال لها أنت علي كظهر أمي ان رجعت اليك ولم تئديها فتخد لها في الارض خدا وترسل الى نسائها فيجتمعن عندها ثم يتداولنها حتى اذا أبصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم ذكر ما صنعوا في أولادهم وأموالهم فقال قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم فقال هذا صنيع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه وقوله وحرموا ما رزقهم الله الآية وهم أهل الجاهلية جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا تحكما من الشياطين في أموالهم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم الآية وكان أبو رزين يتأول قوله قد ضلوا أنه معنيّ به قد ضلوا قبل

حرة الدم فقال لا بأس به انما النهي عن الدم المسفوح وباقي الآية ظاهر مما سلف في أمثالها وانتصاب فسقا على انه معطوف على المنصوبات قبله وأهل صفة له منصوبة المحل سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وعلى هذا فقد عطف أهل على يكون والضمير في به يعود الى ما يرجع اليه المستكن في يكون قالت العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين في الآية أنه لم يجد فيما أوحي اليه قرآنا أو غيره محرما سوى هذه الاربعة وقد أكد هذا (٣٩) بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الى قوله وما أكل السبع الا ما ذكيتم من أقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان الشريعة من أولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول انه سبحانه قد وصف الخمر بانه رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا أن النجاسة علة لتحريم الاكل وكل نجس فانه يحرم أكله هذا بعد اجماع الامة على تحريم الخبائث والنجاسات وان جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روي انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الاربعة وزيف بأن تحريم شئ خامس نسخ والاصل عدمه ثم بين سبحانه أنه حرم على اليهود أشياء أخر سوى هذه الاربعة فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا) وذلك نوعان الاول أنه حرم عليهم (كل ذي ظفر) وفيه لغات ضم الفاء والعين وهي الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن واختلف في ذي الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء انه الابل فقط وعنه في رواية أخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة وزيف بأن الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبأن البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع أن لهما حافرا واذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعموم التحريم خاص بهم ولهذا اقدم الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل

هؤلاء الافعال من قتل الاولاد وتحريم الرزق الذي رزقهم الله بأمور غير ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن سفيان عن الاعمش عن أبي رزين في قوله قد خسر الذين قتلوا أولادهم الى قوله قد ضلوا قال قد ضلوا قبل ذلك ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات﴾ وهذا اعلام من الله تعالى ذكره ما أنعم به عليهم من فضله وتنبيه منه لهم على موضع احسانه وتعريف منه لهم ما أحل وحرم وقسم في أموالهم من الحقوق لمن قسم له فيها حقا يقول تعالى ذكره وربكم أيها الناس أنشأ أي أحدث وابتدع خلقا لا الآلهة والاصنام جنات يعني بساتين معروشات وهي ما عرش الناس من الكروم وغير معروشات غير مرفوعات مبنيات لا ينبته الناس ولا يرفعونه ولكن الله يرفعه وينبته وينميه كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله معروشات يقول مسموكات * وبه عن ابن عباس وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات فالمعروشات ما عرش الناس وغير معروشات ما خرج في البر والجبال من الثمرات حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما جنات فالبساتين وأما المعروشات فما عرش كهيئة الكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وهو الذي أنشأ جنات معروشات قال ما يعرش من الكروم وغير معروشات قال ما لا يعرش من الكرم ۞ القول في تأويل قوله ﴿والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا أثمر﴾ يقول جل ثناؤه وأنشأ النخل والزرع مختلفا أكله يعني بالاكل الثمر يقول وخلق النخل والزرع مختلفا ما يخرج منه مما يؤكل من الثمر والحب والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه في الطعم منه الحلو والحامض والمز كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله متشابها وغير متشابه قال متشابها في المنظر وغير متشابه في الطعم وأما قوله كلوا من ثمره اذا أثمر فانه يقول كلوا من رطبه ما كان رطبا ثمره كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازي قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب في قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا موسى بن عبيدة في قوله كلوا من ثمره اذا أثمر قال من رطبه وعنبه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم هذا أمر من الله بايتاء الصدقة المفروضة من الثمر والحب ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنا عمرو قال ثنا عبد الصمد قال ثنا يزيد بن درهم قال سمعت أنس بن مالك يقول وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة المفروضة حدثنا عمرو قال ثنا معلى بن أسد قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا الحجاج بن أرطاة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن محمد بن عبيد الله عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس وآتوا

بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ماسوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير
* النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة يعني اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا أيضا ليس على الاطلاق لقوله (الا ما حملت ظهورهما) قال (٤٠) ابن عباس الا ما علق بالظهر من الشحم فاني لم أحرمه وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونها وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لانه يحمر عند الهزال ولهذا لو حلف لا يأكل الشحم فأكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثاني قوله (أو الحوايا) قال الجوهري الحوايا الامعاء واحدها حوية وفي معناها حاوية البطن وحاوياء البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين والفحوى أو ما اشتمل على الامعاء يعني أن الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث (أو ما اختلط بعظم) قال جمهور المفسرين يعني شحم الألية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والرأس وفي العينين والاذنين فانه مخلوط بعظم فهو حلال لهم والحاصل ان الشحم الذي حرم الله عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل ان الحوايا غير معطوف على المستثنى وانما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم الا ما حملت الظهور فانه غير محرم ودخول كلمة أو كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا والمعنى كل هؤلاء أهل أن يعصى فاعص هذا واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا (ذلك) الجزاء وهو تحريم الطيبات (جزيناهم ببغيهم) بسبب قتلهم الانبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وغير منه ذلك من قبائح أفعالهم (وانا لصادقون) في هذه الاخبار أو فيما يوعد به العصاة قال القاضي نفس التحريم لا يجوز أن يكون عقوبة على جرم صدر عنهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان وأجيب بأن المنع من الانتفاع يمكن أن يكون لمزيد الثواب ويمكن أن يكون بشؤم الجرم المتقدم (فان كذبوك) في ادعاء النبوة والرسالة أو في تبليغ الاحكام وعلى أصول المعتزلة فان كذبوك في انجاز ايعاد لعصاة وزعموا أن

حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثنا عمرو بن علي وابن وكيع وابن بشار قالوا ثنا عبد الرحمن قال ثنا ابراهيم بن نافع المكي عن ابن عباس عن أبيه في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثنا عمرو قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبو هلال عن حيان الاعرج عن جابر بن زيد وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يونس عن الحسن في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هي الصدقة قال ثم سئل عنها مرة أخرى فقال هي الصدقة من الحب والثمار حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليم وغيره عن سعيد بن المسيب أنه قال وآتوا حقه يوم حصاده قال الصدقة المفروضة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هي الصدقة من الحب والثمار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعني بحقه زكاته المفروضة يوم يكال أو يعلم كيله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وآتوا حقه يوم حصاده وذلك أن الرجل كان اذا زرع فكان يوم حصاده وهو أن يعلم ما كيله وحقه فيخرج من كل عشرة واحدا وما يلتقط الناس من سنبله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا حقه يوم حصاده وحقه يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السماء أو العين السائحة أو سقاه الطل والطل الندى أو كان بعلا العشر كاملا وان سقي برشاء نصف العشر قال قتادة وهذا فيما يكال من الثمرة وكان هذا اذا بلغت الثمرة خمسة أوسق وذلك ثلثمائة صاع فقد حق فيها الزكاة وكانوا يستحبون أن يعطوا مما لا يكال من الثمرة على قدر ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وطاوس وآتوا حقه يوم حصاده قالا هو الزكاة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطي العشر أو نصف العشر حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه وعن قتادة وآتوا حقه يوم حصاده قالا الزكاة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس وآتوا حقه يوم حصاده قال العشر ونصف العشر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن الحكم بن عتيبة عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله وآتوا حقه يوم حصاده يعني يوم كيله ما كان من بر أو تمر أو زبيب وحقه زكاته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده قال كل

الله واسع الرحمة وأنه يخلف الوعيد جوداوكرما (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) فلذلك لا يعجل بالعقوبة (ولا يرد بأسه) اذا جاء وقت عذابه (عن القوم المجرمين) يعني المكذبين وعلى أصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل التوبة ثم حكى أعذار الكفار الواهية فقال (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير أن أكد بالمنفصل لمكان الفصل بعد حرف العطف بلا الزائدة لتأكيد النفي أخبر الله (١٤٩) تعالى عما سوف يقولونه ولما قالوه قال في سورة النحل وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ وانما قال في سورة النحل زيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل أشياء وتحريم أشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه وأما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شئ مع الله سبحانه ولا تدل على تحريم شئ فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الآية لفظة من دونه مرتين حذف معه نحن لتطرد الآية في حكم التخفيف أما تفسير الآية فزعمت المعتزلة أنها تدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة أوجه * الاول أن الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما * الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على أنهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل أخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ أدلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتأخرين في تكذيب الانبياء وفي دفع دعوتهم عن أنفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى * الثالث قوله حتى ذاقوا بأسنا وذلك يدل على أنهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب * الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار أي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة * الخامس ان تتبعون الا الظن * السادس وان أنتم الا تخرصون * السابع قل فلله الحجة البالغة

منه واذا حصدته فآت حقه وحقه عشوره حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يونس بن عبيد عن الحسن أنه قال في هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة اذا كلته حدثنا عمرو قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي رجاء قال سألت الحسن عن قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال الزكاة حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت ابن زيد بن أسلم عن قول الله وآتوا حقه يوم حصاده فقلت له هو العشور قال لم فقلت له عن أبيك قال عن أبي وغيره * وقال آخرون بل ذلك حق أوجبه الله في أموال أهل الاموال غير الصدقة المفروضة * ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا محمد بن جعفر عن أبيه وآتوا حقه يوم حصاده قال شيأ سوى الحق الواجب قال وكان في كتابه عن علي بن الحسين حدثنا عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال القبضة من الطعام حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال من النخل والعنب والحب كله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء أرأيت ما حصدت من الفواكه قال ومنها أيضا تؤتي وقال من كل شئ حصدت تؤتي منه حقه يوم حصاده من نخل أو عنب أو حب أو فواكه أو خضر أو قصب من كل شئ من ذلك قلت لعطاء أواجب على الناس ذلك كله قال نعم ثم تلا وآتوا حقه يوم حصاده قال قلت لعطاء وآتوا حقه يوم حصاده هل في ذلك شئ موقت معلوم قال لا حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يعطى من حصاده يومئذ ما تيسر وليس بالزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عيسى بن يونس عن عبد الملك عن عطاء وآتوا حقه يوم حصاده قال ليس بالزكاة ولكن يطعم من حضره ساعتئذ حصده حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن حماد وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون رطبا حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حضرك المساكين طرحت لهم منه واذا أنقيته وأخذت في كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته واذا أخذت في جذاذ النخل طرحت لهم من التفاريق واذا أخذت في كيله حثوت لهم منه واذا علمت كيله عزلت زكاته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال سوى الفريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال يلقي الى السؤال عند الحصاد من السنبل فاذا طين (٣) أو طبن «الشك من أبي جعفر» ألقى اليهم فاذا حمله فأراد أن يجعله كدسا ألقى اليهم واذا داس أطعم منه واذا فرغ وعلم كم كيله عزل زكاته وقال في النخل عند الجذاذ يطعم من الثمرة والشماريخ فاذا كان عند كيله أطعم من التمر فاذا فرغ عزل زكاته حدثنا عمرو بن علي ومحمد بن بشار قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد الزرع ألقى من السنبل واذا جذ النخل ألقى من الشماريخ

(٣) كذا في أصله وحرر

[لانه أزال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك أنكم تقولون لو أتينا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم أن يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على أن يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا أن ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف وهذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم أجمعين * وبوجه آخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان (٤٢) تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوا جميع أهل الاديان ولا تعادوهم * أجابت الاشاعرة بأنا قد بينا بالدلائل القاطعة من أول القرآن الى ههنا صحة مذهبنا فوجب تأويل هذه الآية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى أن ذلك من تكذيبهم وآ كاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لأحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وأمر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس أول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة ثم ان ظاهر آخر الآية معنا وهو قوله فلو شاء لهداكم أجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر تعسف والله أعلم ثم لما أبطل جميع حجج الكفار بين أنه ليس لهم على قولهم شهود فقال (قل هلم) ومعناه اذا كان لازما أقبل واذا كان متعديا أحضر قال الخليل أصله هالم من قولهم لم الله شعثه أي جمعه كأنه قال لم نفسك الينا أي اقرب والهاء للتنبيه واستعطاف المأمور ثم حذفت ألفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتذكير والتأنيث في لغة أهل الحجاز وأهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي هلممن والاول أفصح وقد يوصل باللام كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء أصلها هل أم أرادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى أم اقصد وقيل ان أصل استعماله أن تقول أهل لك في الطعام أم أي اقصد ثم شاع في الكل أمر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر أن لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداء يشهدون لانه ليس الغرض احضار أناس يشهدون بالتحريم وانما

فاذا كاله بزكاة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عند الحصاد وعند الدياس وعند الصرام يقبض لهم منه فاذا كاله عزل زكاته * وبه عن سفيان عن مجاهد مثله الا أنه قال سوى الزكاة حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآتوا حقه يوم حصاده قال شيء سوى الزكاة في الحصاد والجداد اذا حصدوا واذا جذوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح في قول الله وآتوا حقه يوم حصاده قال واجب حين يصرم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال في هذه الآية وآتوا حقه يوم حصاده قال اذا حصد أطعم واذا أدخله البيدر واذا داسه أطعم منه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أشعث عن ابن عمر قال يطعم المعتر سوى ما يعطى من العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال قبضة عند الحصاد وقبضة عند الجذاذ حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن أشعث عن ابن سيرين قال كانوا يعطون من اعتر بهم الشيء حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال الضغث حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى مثل الضغث حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حماد عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال مثل هذا من الضغث ووضع يحيى اصبعه الابهام على المفصل الثاني من السبابة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال نحو الضغث حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر عن أبي جعفر عن سفيان عن حماد عن ابراهيم قال يعطى ضغثا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر بن برقان عن يزيد بن الاصم قال كان النخل اذا صرم يجيء الرجل بالعذق من نخله فيعلقه في جانب المسجد فيجيء المسكين فيضربه بعصاه فاذا تناثر أكل منه فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حسن أو حسين فتناول تمرة فانتزعها من فيه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصدقة ولا أهل بيته فذلك قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران ويزيد بن الاصم قالا كان أهل المدينة اذا صرموا يجيئون بالعذق فيضعونه في المسجد ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه فيسقط منه فهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن جعفر عن زيد وميمون في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قالا كان الرجل اذا جذ النخل يجيء بالعذق فيعلقه في جانب المسجد فيأتيه المسكين فيضربه بعصاه فيأكل ما يتناثر منه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس وآتوا حقه يوم حصاده قال لقط السنبل حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن مجاهد قال كانوا يعلقون العذق في المسجد عند الصرام فيأكل منه الضعيف * وبه عن معمر قال قال مجاهد

المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال (فان شهدوا) أى فان وقعت شهادتهم (فلا تشهد معهم) أى لاتسلم لهم ماشهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب ولاجل ذلك قال أيضا (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب وليرتب عليه ماقى الآية فيعلم أن المتصف بهذه الصفات لاتكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة ۞ التأويل وهو الذى أنشأ جنات فى القلوب معروشات من شجرة الاسلام والايمان (٤٣) والاحسان وغير معروشات هى الصفات الروحانية التى جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان الاخلاص بالشواهد والاحوال متشابها أعمالها وغير متشابه أحوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لابالدعاوى والقيل والقال وآتوا حقه وحقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاده أوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذى يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع فى الكلام فى غير وقته والحرص على الدعوة قبل أوانها ومن الانعام أى ومن الصفات الحيوانية التى هى مركوزة فى الانسان ماهو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ماهو مستعد للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التحرز عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغى انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات أخر كلها محمودة اذا استعملت فى محالها وبمقدار ما ينبغى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولة والذكر من الضأن والمعز هما صفة شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية والجهولية وأنثاهما الحمولية والاستسلام للاستعمال فبهذه الصفات

وآتوا حقه يوم حصاده يطعم الشئ عند صرامه حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال الضغث ومايقع من السنبل * وبه عن سالم عن سعيد وآتوا حقه يوم حصاده قال العلف حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال كان هذا قبل الزكاة للمساكين القبضة والضغث لعلف دابته حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو عاصم قال ثنا محمد بن رفاعة عن محمد بن كعب فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال ماقل منه أو كثر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن ابن أبى نجيح وآتوا حقه يوم حصاده قال عند الزرع يعطى القبض وعند الصرام يعطى القبض ويتركهم فيتبعون آثار الصرام * وقال آخرون كان هذا شيأ أمر الله به المؤمنين قبل أن تفرض عليهم الصدقة المؤقتة ثم نسخته الصدقة المعلومة فلافرض فى مال كائنا ما كان زرعا كان أو غرسا الا الصدقة التى فرضها الله فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن الحجاج عن الحكم عن ابن عباس قال نسخها العشر ونصف العشر * وبه عن حجاج عن سالم عن ابن الحنفية قال نسخها العشر ونصف العشر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير وآتوا حقه يوم حصاده قال هذا قبل الزكاة فلما نزلت الزكاة نسختها فكانوا يعطون الضغث حدثنا ابن حميد وأبو وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يفعلون ذلك حتى سن العشر ونصف العشر فلما سن العشر ونصف العشر ترك حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال هى منسوخة نسختها العشر ونصف العشر حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن المغيرة عن ابراهيم وآتوا حقه يوم حصاده قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر * وبه عن سفيان عن يونس عن الحسن قال نسختها الزكاة * وبه عن سفيان عن السدى قال نسختها الزكاة وآتوا حقه يوم حصاده حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن شباك عن ابراهيم فى قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال هذه السورة مكية نسختها العشر ونصف العشر قلت عمن قال عن العلماء * وبه عن سفيان عن مغيرة عن شباك عن ابراهيم قال نسختها العشر ونصف العشر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما وآتوا حقه يوم حصاده فكانوا اذا مر بهم أحد يوم الحصاد أو الجذاذ أطعموه منه فنسخها الله عنهم بالزكاة وكان فيما أنبتت الأرض العشر ونصف العشر حدثنا

امانته صار الانسان حامل أعباء الامانة التي أبت المكونات عن حملها وهو أيضا حملة عرش القلب فافهم وقد أحل الله تعالى استعمالها * واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم أنه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ الكلام في نفسه حق وصدق الا أنهم لما ذكروه في معرض الالزام دفعا للأذية والا لام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه أعلم بالصواب ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع﴾ (٤٤)

ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن يونس عن الحسن قال كانوا يرضخون لقرابتهم من المشركين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية وآتوا حقه يوم حصاده قال نسخه العشر ونصف العشر كانوا يعطون اذا حصدوا واذا ذروا فنسختها العشر ونصف العشر * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال كان ذلك فرضا فرضه الله على المؤمنين في طعامهم وثمارهم التي تخرجها زروعهم وغروسهم ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة والوظيفة المعلومة من العشر ونصف العشر وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم أن صدقة الحرث لا تؤخذ الا بعد الدياس والتنقية والتذرية وأن صدقة التمر لا تؤخذ الا بعد الجفاف فاذا كان ذلك كذلك وكان قوله جل ثناؤه وآتوا حقه يوم حصاده ينبئ عن أنه أمر من الله جل ثناؤه بايتاء حقه يوم حصاده وكان يوم حصاده هو يوم جده وقطعه والحب لا شك أنه في ذلك اليوم في سنبله والثمر وان كان ثمر نخل أو كرم غير مستحكم جفوفه ويبسه وكانت الصدقة من الحب انما تؤخذ بعد دياسه وتذريته وتنقيته كيلا والتمر انما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كيلا علم ان ما يؤخذ صدقة بعد حين حصده غير الذي يجب ايتاؤه المساكين يوم حصاده فان قال قائل وما تنكر أن يكون ذلك ايجابا من الله في المال حقا سوى الصدقة المفروضة قيل لانه لا يخلو أن يكون ذلك فرضا واجبا أو نفلا فان يكن فرضا واجبا فقد وجب أن يكون سبيله سبيل الصدقات المفروضات التي من فرط في أدائها الى أهلها كان بربه آثما ولأمره مخالفا وفي قيام الحجة بأن لا فرض لله في المال بعد الزكاة يجب وجوب الزكاة سوى ما يجب من النفقة لمن يلزم المرء نفقته ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك أو يكون ذلك نفلا فان يكن ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الخيار في اعطاء ذلك الى رب الحرث والثمر وفي ايجاب القائلين بوجوب ذلك ما ينبئ عن أن ذلك ليس كذلك واذا خرجت الآية من أن يكون مرادا بها الندب وكان غير جائز أن يكون لها مخرج في وجوب الفرض بها في هذا الوقت علم أنها منسوخة ومما يؤيد ما قلنا في ذلك من القول دليلا على صحته انه جل ثناؤه أتبع قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومعلوم أن من حكم الله في عباده مذ فرض في أموالهم الصدقة المفروضة المؤقتة القدر أن القائم بأخذ ذلك ساستهم ورعاتهم واذا كان ذلك كذلك فما وجه نهي رب المال عن الاسراف في ايتاء ذلك والآخذ مجبر وانما يأخذ الحق الذي فرض الله فيه فان ظن ظان أن ذلك انما هو نهي من الله القيم بأخذ ذلك من الرعاة عن التعدي في مال رب المال والتجاوز الى أخذ ما لم يبح له أخذه فان آخر الآية وهو قوله ولا تسرفوا معطوف على أوله وهو قوله وآتوا حقه يوم حصاده فان كان المنهي عن الاسراف القيم بقبض ذلك فقد يجب أن يكون المأمور بايتائه المنهي عن الاسراف فيه وهو السلطان وذلك قول ان قاله قائل كان خارجا من قول جميع أهل التأويل ومخالفا المعهود من الخطاب وكفى بذلك شاهدا على خطئه فان قال قائل وما تنكر أن يكون معنى قوله وآتوا حقه يوم حصاده وآتوا حقه يوم كيله لا يوم فصله وقطعه ولا يوم جذاذه وقطافه فقد علمت من قال ذلك من أهل التأويل وذلك ما حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا

بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ ﴿القراآت﴾ تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد حذفوا احدى التاءين الباقون بالتشديد لأجل ادغام تاء التفعل في الذال وأن هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلي وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراطي بفتح الياء ابن عامر والأعشى والبرجمي فتفرق بتشديد التاء البزي وابن فليح أن يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك في النحل (٤٥) علي وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية

ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله وحدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن الحجاج عن سالم المكي عن محمد بن الحنفية قوله وآتوا حقه يوم حصاده قال يوم كيله يعطي العشر ونصف العشر مع آخرين قد ذكرت الرواية فيما مضى عنهم بذلك قيل لان يوم كيله غير يوم حصاده ولن يخلو معنى قائلي هذا القول من أحد أمرين اما أن يكونوا وجهوا معنى الحصاد الى معنى الكيل فذلك مالا يعقل في كلام العرب لان الحصاد والحصد في كلامهم الجذ والقطع لا الكيل أو يكونوا وجهوا تأويل قوله وآتوا حقه يوم حصاده الى وآتوا حقه بعد يوم حصاده اذا كلتموه فذلك خلاف ظاهر التنزيل وذلك ان الامر في ظاهر التنزيل بايتاء الحق منه يوم حصاده لا بعد يوم حصاده ولا فرق بين قائل انما عنى الله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده بعد يوم حصاده وآخر قال عنى بذلك قبل يوم حصاده لانهما جميعا قائلان قولا دليل ظاهر التنزيل بخلافه ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين﴾ اختلف أهل التأويل في الاسراف الذي نهى الله عنه بهذه الآية ومن المنهي عنه فقال بعضهم المنهي عنه رب النخل والزرع والثمر والسرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية مجاوزة القدر في العطية الى ما يجحف برب المال ذكر من قال ذلك حدثنا عمرو بن علي قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا عاصم عن أبي العالية في قوله وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا الآية قال كانوا يعطون شيأ سوى الزكاة ثم تسارفوا فأنزل الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبي العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ سوى الزكاة ثم تباروا فيه وأسرفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن عاصم الأحول عن أبي العالية وآتوا حقه يوم حصاده قال كانوا يعطون يوم الحصاد شيأ ثم تسارفوا فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نزلت في ثابت بن قيس بن شماس جذ نخلا فقال لا يأتين اليوم أحد الا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة فقال الله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال قلت لعطاء ولا تسرفوا يقول لا تسرفوا فيما يؤتى يوم الحصاد أم في كل شئ قال بلى في كل شئ ينهى عن السرف قال ثم عاودته بعد حين فقلت ما قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قال ينهى عن السرف في كل شئ ثم تلا ولم يسرفوا ولم يقتروا حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان بن حسين عن أبي بشر قال أطاف الناس باياس بن معاوية بالكوفة فسألوه ما السرف فقال ما تجاوز أمر الله فهو سرف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تسرفوا لا تعطوا أموالكم فتغدوا فقراء * وقال آخرون الاسراف الذي نهى الله عنه في هذا الموضع منع الصدقة والحق الذي أمر الله رب المال بايتائه أهله بقوله وآتوا حقه يوم حصاده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع

فارقوا وكذلك في الروم حمزة وعلي الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين أمثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربي الى بفتح ياء المتكلم أبو عمرو وأبو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياي بالسكون ومماتي بالفتح أبو جعفر ونافع الباقون بالعكس وأنا أول بالمد نافع وأبو جعفر ﴿الوقوف﴾ شيأ ط للحذف أي وأحسنوا بالوالدين احسانا ج لابتداء النهي مع احتمال العطف أي وأن لا تقتلوا من املاق ط واياهم ج للعطف مع العارض وما بطن ط للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانتهاء بيان الاحكام الى توكيد الايصاء للاحكام تعقلون ٥ أشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ط لاحتمال ما بعده الحال أو الاستئناف ذا قربى ج لتناهي جواب اذا وتقدم مفعول أوفوا تذكرون ٥ لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون ٥ يؤمنون ٥ ترحمون ٥ لا لأن التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا ص لغافلين ٥ لا للعطف أهدى منهم ج للفاء مع أن قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون ٥ بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون ٥ في شئ ط يفعلون ٥ أمثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون ٥ مستقيم ج لاحتمال أن دينا نصب على البدل من محل الى صراط أو على الاغراء أي الزموا حنيفا ج لابتداء النفي مع اتحاد المعنى المشركين ٥ العالمين ٥ لا لا شريك له ج المسلمين ٥ كل شئ ط لانتهاء الاستفهام الى الاخبار الا عليها ج لتفصيل الأمرين على التهويل مع اتفاق الجملتين أخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ٥

آ تاكم ط العقاب ز للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف أوضح رحيم ٥ ۞ التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار في باب التحليل والتحريم أتبعه البيان الشافي في الباب فقال (قل تعالوا) وهو من الخاص الذي صار عاما الان أصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه وما في قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا بأتل أو بحرم واما منصوب بحرم على أن ما استفهامية فلا راجع والمعنى أقل (٤٦) أي شئ حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما أجمله في قوله ما حرم فيلزم أن يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب أن المراد من التحريم البيان المضبوط أو الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتدأ فقال عليكم أن لا تشركوا أو أن مفسرة أي ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا في النواهي واضح وأما الاوامر فيعلم بالقرينة أن التحريم راجع الى أضدادها وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا يجوز أن يجعل أن ناصبة والا لزم عطف الطلب أعني الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين في هذه السورة أحسن بيان وذلك أن منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فأشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ أصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين أبطل قولهم بقوله لا أحب الآفلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يقولون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عم النهي بقوله لا تشركوا به شيأ ثم حث على احسان الوالدين وكفى به خصلة شريفة أن جعله تاليا لتوحيده ثم أوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى (من املاق) أي من خوف الفقر كما صرح بذلك في الآية الاخرى ولا تقتلوا أبو أولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك أزيل ذلك الوهم بقوله (نحن نرزقكم واياهم) فكما يجب على الوالد الاتكال في رزق نفسه على الله فكذا القول في حال الولد قال شمر أملق لازم ومتعد أملق الرجل اذا افتقر وأملق الدهر ما عنده اذا أفسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال في سبحان بالعكس لان التقدير في الآية من املاق بكم نحن

قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني أبو بكر بن عبد الله عن عمرو بن سليم وغيره عن سعيد بن المسيب في قوله ولا تسرفوا قال لا تمنعوا الصدقة فتعصوا * حدثنا عمرو بن علي قال ثنا محمد بن الزبرقان قال ثنا محمد بن عبيدة عن محمد بن كعب ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين والسرف أن لا يعطي في حق * وقال آخرون انما خوطب بهذا السلطان نهي أن يأخذ من رب المال فوق الذي ألزم الله ماله ذكر من قال ذلك حدثنا يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا قال قال للسلطان لا تسرفوا الا تأخذوا بغير حق فكانت هذه الآية بين السلطان وبين الناس يعني قوله كلوا من ثمره اذا أثمر الآية * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى بقوله ولا تسرفوا عن جميع معاني الاسراف ولم يخصص منها معنى دون معنى واذ كان ذلك كذلك وكان الاسراف في كلام العرب الاخطاء باصابة الحق في العطية اما بتجاوز حده في الزيادة واما بتقصير عن حده الواجب كان معلوما ان المفرق ماله مباراة والباذله للناس حتى أجحفت به عطيته مسرف بتجاوزه حد الله الى ما ليس له وكذلك المقصر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه وذلك كمنعه ما ألزمه ايتاءه منه أهل سهمان الصدقة اذا وجبت فيه أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون داخلون في معنى من أتى ما نهى الله عنه من الاسراف بقوله ولا تسرفوا في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم اذ كان ما قبله من الكلام أمرا من الله بايتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده فان الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاص من الامور والحكم بها على العام بل عامة آي القرآن كذلك فكذلك قوله ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى الاسراف أنه على ما قلنا قول الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم من ولا سرف

يعني بالسرف الخطأ في العطية ۞ القول في تأويل قوله (ومن الانعام حمولة وفرشا) يقول تعالى ذكره وأنشأ من الانعام حمولة وفرشا مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات والحمولة ما حمل عليه من الابل وغيرها والفرش صغار الابل التي لم تدرك أن يحمل عليها * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم الحمولة ما حمل عليه من كبار الابل ومسانها والفرش صغارها التي لا يحمل عليها لصغرها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن أبي الاحوص عن عبد الله في قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار من الابل وفرشا الصغار من الابل * وقال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس الحمولة هي الكبار والفرش الصغار من الابل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد قال الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل * وبه عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد الحمولة ما حمل من الابل والفرش ما لم يحمل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا

نرزقكم واياهم وهنالك زيدت الخشية التى تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ماظهر منها ومابطن كامر فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية فى الظاهر ولم يحترز عنها فى الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال أمره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم أفرز من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على فظاعتها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق (٤٧) وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم صدر عنها كما جاء فى الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق وينخرط فى سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل أن الأصل فى قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بأمر منفصل ثم لما بين النواهى الخمسة أتبعه الكلام الذى يقرب الى القلوب القبول فقال (ذلكم وصاكم) لما فى لفظ التوصية من الرأفة والاستعطاف ومعنى (لعلكم تعقلون) لكى تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها فى الدين والدنيا ثم ذكر أربعة أنواع أخر من التكاليف وذلك قوله (ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى) أى بالخصلة أو الطريقة التى (هى أحسن) وهى السعى فى تثميره واعلائه ورعايته وجوه الغبطة لاجله كامر فى أول سورة النساء (حتى يبلغ أشده) أى احفظوا ماله الى هذه الغاية أى أوان الاحتلام ولكن بشرط أن يؤنس منه الرشد قال الفراء واحد الأشد شد فى القياس ولم يسمع وقال أبو الهيثم الواحد شدة كانعم فى نعمة والشدة القوة ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) بالعدل والسوية وايفاء الكيل اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان أى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا أمر الله المعطى بايفاء ايتاء ذى الحق حقه من غير نقصان وأمر صاحب الحق بأخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال (لا نكلف نفسا الا وسعها) ليعلم أن الواجب هو القدر الممكن من العدالة والسوية لا التحقيق المؤدى الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حيث لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع انه لا قدرة له عليه أو يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعى كما تقدم مرارا (واذا قلتم فاعدلوا ولو كان) المقول له أو عليه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وفرشا قال صغار الابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله فى قوله حمولة وفرشا قال الحمولة الكبار والفرش الصغار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن ابن مسعود فى قوله حمولة وفرشا الحمولة ما حمل من الابل والفرش هن الصغار حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن أبى الاحوص عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه من الابل والفرش الصغار * قال ابن المثنى قال محمد قال شعبة انما كان حدثنى سفيان عن أبى اسحق حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال قال الحسن الحمولة من الابل والبقر وقال بعضهم الحمولة من الابل وما لم يكن من الحمولة فهو الفرش حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن حمولة وفرشا قال الحمولة ما حمل عليه والفرش حواشيها يعنى صغارها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فالحمولة ما حمل من الابل والفرش صغار الابل الفصيل وما دون ذلك مما لا يحمل ويقال الحمولة من البقر والابل والفرش الغنم * وقال آخرون الحمولة ما حمل عليه من الابل والخيل والبغال وغير ذلك والفرش الغنم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ومن الانعام حمولة وفرشا فأما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شئ يحمل عليه وأما الفرش فالغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس الحمولة من الابل والبقر وفرشا المعز والضأن حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن الانعام حمولة وفرشا قال أما الحمولة فالابل والبقر قال وأما الفرش فالغنم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كان غير الحسن يقول الحمولة الابل والبقر والفرش الغنم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن الانعام حمولة وفرشا أما الحمولة فالابل وأما الفرش فالفصلان والعجاجيل والغنم وما حمل عليه فهو حمولة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله حمولة وفرشا الحمولة الابل والفرش الغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن الحسن وفرشا قال الفرش الغنم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حمولة وفرشا قال الحمولة ما تركبون والفرش ما تأكلون وتحلبون شاة لا تحمل تأكلون لحمها وتتخذون من أصوافها لحافا وفرشا * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الحمولة هى ما حمل من الانعام لان ذلك من صفتها اذا حملت لا أنه اسم لها كالابل والخيل والبغال فاذا كانت انما سميت حمولة لانها تحمل فالواجب أن يكون كل ما حمل على ظهره من الانعام فحمولة وهى جمع لا واحد لها من لفظها كالركوبة

(ذا قربى) حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى أن يحمل على الأقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل فى الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بأن يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا الى رضا الله وختم الاوامر بقوله (وبعهد الله أوفوا) كما قال (٤٨) أوفوا بالعقود ويندرج فى هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة (وان هذا صراطى) من قرأ بالفتح والتخفيف فباعماله فى ضمير الشأن والتقدير تعالوا اتل ما حرم وأتل انه هذا صراطى وكذا فيمن قرأ بالتشديد وبالفتح الا أن ضمير الشأن لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبله أى ذلكم وصاكم به وبان هذا أو بما بعده والتقدير وبان هذا صراطى مستقيما (فاتبعوه) ومن كسر فلأن التلاوة فى معنى القول أو على الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم (ولا تتبعوا السبل) المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فتفرق بكم) الباء للتعدية أى فيفرقكم ذلك الاتباع (عن سبيله) المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وآله أنه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه الآية فهذه الآية بالحقيقة اجمال لما فى الآيتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الأولى بقوله لعلكم تعقلون لانها أمور ظاهرة جلية يكفى فى تعقلها أدنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكور فيها أمور خفية تحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال أو نقول الأمور الخمسة المذكورة فى الآية الاولى كلها عظام جسام وكانت الوصية بها من أبلغ الوصايا فختم الآية بما فى الانسان من أشرف السجايا وهو العقل الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة فى الثانية فأشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون أى تتعظون بمواعظ الله تعالى قوله (ثم آتينا موسى الكتاب) معطوف على وصاكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل وأجيب بأن التكاليف التسعة المذكورة تكاليف لا تختلف

والجزورة وكذلك الفرش انما هو صفة لما لطف فقرب من الارض جسمه ويقال له الفرش وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها فى استواء أسنانها ولطفها بالفرش من الارض وهى الارض المستوية التى يتوطؤها الناس فأما الحمولة بضم الحاء فانها الاحمال وهى الحمول أيضا بضم الحاء

القول فى تأويل قوله ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين﴾ يقول جل ثناؤه كلوا مما رزقكم الله أيها المؤمنون فأحل لكم ثمرات حروثكم وغروسكم ولحوم أنعامكم اذ حرم بعض ذلك على أنفسهم المشركون بالله فجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وللشيطان مثله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ولا تتبعوا خطوات الشيطان كما اتبعها باحرو البحيرة وسيبوا السوائب فتحرموا على أنفسكم من طيب رزق الله الذى رزقكم ما حرموه فتطيعوا بذلك الشيطان وتعصوا به الرحمن كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تتبعوا طاعته هى ذنوب لكم وهى طاعة للخبيث ان الشيطان لكم عدو يبغى هلاككم وصدكم عن سبيل ربكم مبين قد أبان لكم عدوانه بمناصبته أباكم بالعداوة حتى أخرجه من الجنة بكيده وخدعه وحسدا منه له وبغيا عليه

القول فى تأويل قوله ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين﴾ وهذا تقريع من الله جل ثناؤه العادلين به الأوثان من عبدة الأصنام الذين بحروا البحائر وسيبوا السوائب ووصلوا الوصائل وتعليم منه نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به الحجة عليهم فى تحريمهم ما حرموا من ذلك فقال للمؤمنين به وبرسوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وغير معروشات ومن الانعام أنشأ حمولة وفرشا ثم بين جل ثناؤه الحمولة والفرش فقال ثمانية أزواج وانما نصب الثمانية لانها ترجمة عن الحمولة والفرش وبدل منها كأن معنى الكلام ومن الانعام أنشأ ثمانية أزواج فلما قدم قبل الثمانية الحمولة والفرش بين ذلك بعد فقال ثمانية أزواج على ذلك المعنى من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فذلك أربعة لان كل واحد من الاثنين من الضأن زوج فالأنثى منه زوج الذكر والذكر منه زوج الانثى وكذلك ذلك من المعز ومن سائر الحيوان فلذلك قال جل ثناؤه ثمانية أزواج كما قال ومن كل شئ خلقنا زوجين لان الذكر زوج الأنثى والأنثى زوج الذكر فهما وان كانا اثنين فهما زوجان كما قال جل ثناؤه وجعل منها زوجها ليسكن اليها وكما قال أمسك عليك زوجك وكما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن الضحاك من الضأن اثنين ذكر وأنثى ومن البقر اثنين ذكر وأنثى ومن الابل اثنين ذكر وأنثى ويقال للاثنين هما زوج كما قال لبيد

من كل محفوف يظل عصيه * زوج عليه كلة وقرامها

ثم قال لهم كلوا مما رزقكم الله من هذه الثمار واللحوم واركبوا هذه الحمولة أيها المؤمنون فلا تتبعوا خطوات الشيطان فى تحريم ما حرم هؤلاء الجهلة بغير أمرى اياهم بذلك قل يا محمد لهؤلاء الذين حرموا ما حرموا من الحرث والانعام اتباعا للشيطان من عبدة الأوثان والأصنام الذين زعموا

أن الله حرم عليهم ماهم محرمون من ذلك آلذكرين حرم ربكم أيها الكذبة على الله من الضأن والمعز فانهم ان ادّعوا ذلك وأقروا به كذبوا أنفسهم وأبانوا جهلهم لانهم اذا قالوا يحرم الذكرين من ذلك أوجبوا تحريم كل ذكرين من ولد الضأن والمعز وهم يستمتعون بلحوم الذكران منها وظهورها وفى ذلك فساد دعواهم وتكذيب قولهم أم الأنثيين فانهم ان قالوا حرم ربنا الأنثيين أوجبوا تحريم لحوم كل أنثى من ولد الضأن والمعز على أنفسهم وظهورها وفى ذلك أيضا تكذيب لهم ودحض دعواهم أن ربهم حرم ذلك عليهم اذ كانوا يستمتعون بلحوم بعض ذلك وظهوره أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يقول أم حرم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين يعنى أرحام أنثى الضأن وأنثى المعز فلذلك قال أرحام الأنثيين وفى ذلك أيضا لو أقروا به فقالوا حرم علينا ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين بطول قولهم وبيان كذبهم لانهم كانوا يقرّون باقرارهم بذلك أن الله حرم عليهم ذكور الضأن والمعز واناثها أن يأكلوا لحومها أو يركبوا ظهورها وقد كانوا يستمتعون ببعض ذكورها واناثها وما التى فى قوله أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نصب عطفا بها على الأنثيين نبؤنى بعلم يقول قل لهم خبرونى بعلم ذلك على صحته أىّ ذلك حرم ربكم عليكم وكيف حرم ان كنتم صادقين فيما تنحلونه ربكم من دعواكم وتضيفونه اليه من تحريمكم وانما هذا اعلام من الله جل ثناؤه نبيه أن كل ما قاله هؤلاء المشركون فى ذلك وأضافوه الى الله فهو كذب على الله وأنه لم يحرم شيأ من ذلك وأنهم انما اتبعوا فى ذلك خطوات الشيطان وخالفوا أمره وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين الآية ان كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرا ذكرا ولا أنثى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال سلهم آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أى لم أحرم من هذا شيأ نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين فذكر من الابل والبقر نحو ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ثمانية أزواج فى شأن ما نهى الله عنه من البحيرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ثمانية أزواج قال هذا فى شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسيب قال ابن جريج يقول من أين حرمت هذا من قبل الذكرين أم من قبل الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين وانها لا تشتمل الا على ذكر أو أنثى فمن أين جاء التحريم فأجابوا هم وجدنا آباءنا كذلك يفعلون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين يقول أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذى عددت ذكر وأنثى فالذكرين حرمت عليكم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يقول أىّ ما اشتملت عليه أرحام الانثيين ما تشتمل الا على ذكر أو أنثى فما حرمت عليكم ذكرا ولا أنثى من الثمانية انما ذكر هذا من أجل ما حرموا من الانعام حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال

بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس أن هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهنّ دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لأول شئ فى التوراة وأما الشرائع التى كانت التوراة مختصة بها فهى انما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكأنه قيل ذلكم وصاكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم أعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وأنزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان فى الآية حذفا تقديره (٤٩) ثم قل يا محمد صلى الله عليه وآله انا آتينا والمعنى اتل ما أوحى اليك ثم اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب وقوله (تماما على الذى أحسن) مفعول له أى لتتم نعمتنا على الذى أحسن أى على من كان محسنا صالحا أو المراد تماما للنعمة والكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ وكل ما أمر به أو تماما على الذى أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشئ اذا أجاد معرفته أى زيادة على علمه وقرئ أحسن بالرفع أى على الدين الذى هو أحسن دين وأرضاه (وتفصيلا لكل شئ) فيدخل فى ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه وآله وصحة دينه وشرعه (وهدى) دلالة (ورحمة) لكى يؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب (وهذا كتاب أنزلناه) لا شك أنه القرآن (مبارك) كثير الخير والنفع أو ثابت لا يتطرق اليه النسخ كما فى الكتابين (فاتبعوه واتقوا) لكى ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى أو اتقوا لترحموا جزاء على التقوى أو اتقوا مخالفته على رجاء الرحمة قال الفراء قوله (أن تقولوا) مفعول واتقوا وقال الكسائى التقدير انا أنزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا أنزلناه كراهة أن تقولوا والخطاب لاهل مكة (انما أنزل الكتاب)

أى التوراة والانجيل (على طائفتين من قبلنا) اليهود والنصارى (وان كنا) هى المخففة من الثقيلة واللام فى (لغافلين) هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهانهم وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأمثالها مع كونهم أميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال (فقد جاءكم) أى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو أنزل عليكم الكتاب لكنتم أهدى منهم فقد جاءكم (بينة من ربكم) فيما يعلم سمعا (وهدى) فيما يعلم سمعا وعقلا (ورحمة

من الله فى صلاح المعاش والمعاد (فمن أظلم) بعد هذه المعجزات والبينات (ممن كذب بآيات الله وصدف عنها) أى منع غيره منها الا ان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الآية بأشد الوعيد وأبلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الأدلة وازاحة العذر لا يؤمنون البتة وشرح أحوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال (هل ينظرون) أى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى وتقدير الآية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجىء أحد هذه الامور مجىء الملائكة أو مجىء الرب ويعنى به عذابه (٥٠) وبأسه كما سلف فى البقرة أو مجىء المعجزات القاهرة قال فى الكشاف الملائكة ملائكة الموت أو ملائكة العذاب ومجىء الرب مجىء كل آية ثم قال (يوم يأتى بعض آيات ربك) وأجمعوا على ان المراد بهذه الآيات علامات القيامة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر أمر الساعة اذ أشرف النبى صلى الله عليه وآله فقال أتتذاكرون الساعة انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت أشراط الساعة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ولا نفسا ما كسبت فى ايمانها خيرا ثم أوعدهم بقوله (قل انتظروا انا منتظرون) ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله (ان الذين فارقوا دينهم) أو فرقوا ومعنى القراءتين فى الحقيقة واحد لان الذى فرق دينه بمعنى أنه أقر ببعض وكفر ببعض فقد فارقه أى تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبدون الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا أى فرقا واخوانا فى الضلالة والشيعة كل فرقة تشيع امامها وقال مجاهد وقتادة هم اليهود والنصارى تفرقوا فرقا وكفر بعضهم بعضا وأخذوا بعضا وتركوا بعضا كقوله واحد أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وعن مجاهد أيضا أنهم من هذه الامة وهم أهل البدع والشبهات وفى الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وهى الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة (لست منهم فى شئ) أى انك بعيد من أقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل

ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن أما اشتملت عليه أرحام الانثيين قال ما حملت الرحم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل آلذكرين حرم أم الانثيين قال هذا قولهم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا قال وقال ابن زيد فى قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قال الانعام هى الابل والبقر والضأن والمعز هذه الانعام التى قال الله ثمانية أزواج قال وقال فى قوله هذه أنعام وحرث حجر نحتجرها على من نريد وعمن نريد وقوله وأنعام حرمت ظهورها قال لا يركبها أحد وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها فقال آلذكرين حرم أم الأنثيين أى هذين حرم على هؤلاء أى ان تكون لهؤلاء حل وعلى هؤلاء حرام **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين يعنى هل تشتمل الرحم الا على ذكر أو أنثى فهل يحرمون بعضا ويحلون بعضا **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين فهذه أربعة أزواج ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين يقول لم أحرم شيأ من ذلك نبؤنى بعلم ان كنتم صادقين يقول كله حلال والضأن جمع لا واحد له من لفظه وقد يجمع الضأن الضئين والضئين مثل الشعير والشعير كما يجمع العبد على عبيد وعبيد وأما الواحد من ذكوره فضائن والانثى ضائنة وجمع الضائنة ضوائن وكذلك المعز جمع على غير واحد وكذلك المعزى وأما الماعز فجمعه مواعز ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين﴾ وتأويل قوله ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نحو تأويل قوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين وهذه أربعة أزواج على نحو ما بينا من الازواج الاربعة قبل من الضأن والمعز فذلك ثمانية أزواج كما وصف جل ثناؤه وأما قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم فانه أمر من الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين قص قصصهم فى هذه الآيات التى مضت يقول له عز ذكره قل لهم يا محمد أى هذه سألتكم عن تحريمه حرم ربكم عليكم من هذه الازواج الثمانية فان أجابوك عن شئ مما سألتهم عنه من ذلك فقل لهم أخبرا قلتم ان الله حرم هذا عليكم أخبركم به رسول عن ربكم أم شهدتم ربكم فرأيتموه فوصاكم بهذا الذى تقولون وتروون على الله فان هذا الذى تقولون من اخباركم عن الله أنه حرام بما تزعمون على ما تزعمون لا يعلم الا بوحى من عنده مع رسول يرسله الى خلقه أو بسماع منه فبأى هذين الوجهين علمتم أن الله حرم ذلك كذلك برسول أرسله اليكم فأنبؤنى بعلم ان كنتم صادقين أم شهدتم ربكم فأوصاكم بذلك وقال لكم حرمت ذلك عليكم فسمعتم تحريمه منه وعهده اليكم بذلك فانه لم يكن

مقصور عليهم لا يتعداهم اليك وقال السدى معناه لم تؤمر بقتالهم فلما أمر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهى عن القتال فى وقت لا ينافى الامر فى وقت آخر فلا نسخ (انما أمرهم الى الله) بالاستئصال والاهلاك (ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) وفيه من الوعيد ما فيه وفى الآية حث على أن كلمة المسلمين يجب أن تكون واحدة ليستأهلوا الثواب الجزيل كما قال (من جاء بالحسنة) هى لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم (فله عشر أمثالها) أقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها كقراءة من قرأ عشر أمثالها بالرفع والتنوين قيل هذا أقل الموعود وقد وعد سبعمائة وبغير حساب وقيل ليس المراد التحديد بل أراد الاضعاف مطلقا كقول القائل لئن أسديت الىّ معروفا لأكافئنك بعشرة أمثاله وفى الوعيد لئن كلمتنى واحدة لأكلمنك عشرا روى أبو ذر أن النبى صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أغفر فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدى بحسنة فاكتبوها له حسنة وان لم يعملها فان عملها فعشر أمثالها وان هم بسيئة فلا تكتبوها فان عملها فسيئة (وهم لا يظلمون) أى لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم * أسئلة * ما الحكمة فى الاضعاف جوابه كان للامم أعمار طويلة وطاعات كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خيرا من ألف شهر وأضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وأيضا لو أن الخصماء يتعلقون بهم يوم القيامة فيذهبون بأعمالهم الى أن تبقى الأضعاف فيقول الله أضعافهم ليست من فعلهم هى من رحمتى فلا أقتص منهم أبدا * آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه أن الكافر كان على عزم الكفر لو عاش أبدا فاستحق العقاب الابدى بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم تكون عقوبته منقطعة وأيضا الذى جهله الكافر وهو ذات القديم سبحانه وصفاته شئ لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه * آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو فى كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام أيام قلائل * آخر أحدث فى رأس انسان موضحتين فوجب أرشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب أرش موضحة واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب * آخر قد يجتمع بسبب أطراف تبان ولطائف تزال

واحد من هذين الامرين يقول جل ثناؤه فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا يقول فمن أشد ظلما لنفسه وأبعد عن الحق ممن تخرص على الله قيل الكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحلل ليضل الناس بغير علم يقول ليصدهم عن سبيله ان الله لا يهدى القوم الظالمين يقول لا يوفق الله للرشد من افترى على الله وقال عليه الزور والكذب وأضاف اليه تحريم ما لم يحرم كفرا بالله وجحود النبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كالذى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا الذى تقولون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال كانوا يقولون يعنى الذين كانوا يتخذون البحائر والسوائب ان الله أمر بهذا فقال الله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم

القول فى تأويل قوله ﴿قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا ولشركائهم من الآلهة والانداد مثله والقائلين هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم والمحرمين من أنعام أخر ظهورها والتاركين ذكر اسم الله على أخر منها والمحرمين بعض ما فى بطون بعض أنعامهم على اناثهم وأزواجهم ومحليه لذكورهم المحرمين ما رزقهم الله افتراء على الله واضافة منهم ما يحرمون من ذلك الى أن الله هو الذى حرمه عليهم أجاءكم من الله رسول بتحريمه ذلك عليكم فأنبؤنا به أم وصاكم الله بتحريمه مشاهدة منكم له فسمعتم منه تحريمه ذلك عليكم فحرمتموه فانكم كذبة ان ادعيتم ذلك ولا يمكنكم دعواه لأنكم اذا ادعيتموه علم الناس كذبكم فانى لا أجد فيما أوحى الىّ من كتابه وآى تنزيله شيأ محرما على آكل يأكله مما تذكرون أنه حرمه من هذه الانعام التى تصفون تحريم ما حرم عليكم منها بزعمكم الا أن يكون ميتة قد ماتت بغير تذكية أو دما مسفوحا وهو المنصب أو الا أن يكون لحم خنزير فانه رجس أو فسقا يقول أو الا أن يكون فسقا يعنى بذلك أو الا أن يكون مذبوحا ذبحه ذابح من المشركين من عبدة الاوثان لصنمه وآلهته فذكر عليه اسم وثنه فان ذلك الذبح فسق نهى الله عنه وحرمه ونهى من آمن به عن أكل ما ذبح كذلك لانه ميتة وهذا اعلام من الله جل ثناؤه للمشركين الذين جادلوا نبى الله وأصحابه فى تحريم الميتة بما جادلوهم به أن الذى جادلوهم فيه من ذلك هو الحرام الذى حرمه الله وأن الذى زعموا أن الله حرمه حلال قد أحله الله وأنهم كذبة فى اضافتهم تحريمه الى الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما قال كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء ويحلون أشياء فقال قل لا أجد مما كنتم تحرمون وتستحلون الا هذا الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه فى قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما الآية قال كان

ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد ترتقى الى نيف وعشرين الاذنان آوابطال حسهما العينان آوالبصر الاجفان المارن الشفتان اللسان أوالنطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر والانثيان الحلمتان الشفران الاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء أو الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال لذة الطعام الافضاء البطش المشى وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجات فان عاد الجانى قبل الاندمال وحز الرقبة أوقده بنصفين لم يجب الا دية النفس وكل ذلك يدل على أن رعاية المماثلة غير معتبرة فى الشرع والجواب عن الاسئلة الثلاثة أن هذه الامور من تعبدات الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن أن يجاب عن الثالث بأن بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل فى دية النفس لعسر ضبط ذلك والجزاء الحقيق موكول الى يوم الجزاء والله أعلم قال أهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب والتفضل فرقا لأن الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التى لا تكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائى العشرة تفضل والثواب غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم أن يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد أن يكون الواحد ثوابا الا أنه يكون أعلى شأنا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله أنواع الدلائل والرد على أصناف المشركين وبالغ فى تقرير اثبات القضاء والقدر ورد على أهل الجاهلية أباطيلهم أمره بأن يقول (اننى هدانى ربى) ليعلم أن الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل وقيما فيعل من قام كسيد من ساد ومن قرأ قيما فعلى أنه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة و(ملة ابراهيم) عطف بيان و(حنيفا) حال من ابراهيم أو من الملة والمعنى هدانى وعرفنى ملة ابراهيم حال كونه أو كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال فى صفة ابراهيم (وما كان من المشركين) ردا على من زعم عليه شيأ من ذلك ثم كما عرفه الدين القويم والطريق المستقيم علمه كيف يصنع به ويؤديه فقال (قل ان صلاتى ونسكى) أى عبادتى وتقربى اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابى أنه قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك ههنا الذبائح جمع بين الصلاة والذبح كما فى قوله فصل لربك

أهل الجاهلية يستحلون أشياء ويحرمون أشياء فقال الله لنبيه قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما مما كنتم تستحلون الا هذا وكانت أشياء يحرمونها فهى حرام الآن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه قال ما يؤكل قلت فى الجاهلية قال نعم وكذلك كان يقول الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا * قال ابن جريج وأخبرنى ابراهيم بن أبى بكر عن مجاهد قل لا أجد فيما أوحى الى محرما قال مما كان فى الجاهلية يأكلون لا أجد محرما من ذلك على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وأما قوله أو دما مسفوحا فان معناه أو دما مسالا مهراقا يقال منه سفحت دمه اذا أرقته أسفحه سفحا فهو دم مسفوح كما قال طرفة بن العبد

إنى وجدك ما هجوتك والأنصاب يسفح فوقهن دم

وكما قال عبيد بن الابرص

اذا ما عادة منا نساء * سفحن الدمع من بعد الرنين

يعنى صببن وأسلن الدمع وفى اشتراطه جل ثناؤه فى الدم عند اعلامه عباده تحريمه اياه المسفوح منه دون غيره الدليل الواضح أن ما لم يكن منه مسفوحا فحلال غير نجس وذلك كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة أو دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون من العروق ما تتبعت اليهود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه الا أنه قال لاتبع المسلمون حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة بنحوه حدثنا أبو كريب قال أخبرنا وكيع عن عمران بن حدير عن أبى مجلز فى القدر يعلوها الحمرة من الدم قال انما حرم الله الدم المسفوح حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبى مجلز قال سألته عن الدم وما يتلطخ بالمذبح من الرأس وعن القدر يرى فيها الحمرة قال انما نهى الله عن الدم المسفوح حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أو دما مسفوحا قال حرم الدم ما كان مسفوحا وأما لحم خالطه دم فلا بأس به حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله قل لا أجد فيما أوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا يعنى مهراقا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أخبرنى ابن دينار عن عكرمة او دما مسفوحا قال لولا هذه الآية لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عائشة أنها كانت لا ترى بلحوم السباع بأسا والحمرة والدم يكونان على القدر بأسا وقرأت هذه الآية قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الآية حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يحيى بن سعيد قال ثنى القاسم بن محمد عن عائشة

والنحر وقيل صلاتى وحجى أخذا من مناسك الحج (ومحياى ومماتى) أى حياتى وموتى مصدران ميميان وقال فى الكشاف المراد وما آتيه فى حياتى وأموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه أنه لا يكفى فى العبادات أن يؤتى بها كيف كانت بل لا بد أن يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين (وبذلك) من الاخلاص (أمرت وأنا أول المسلمين) لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام أمته وقال فى التفسير الكبير انه تعالى أمر رسوله أن يبين أن صلاته وسائر عباداته وحياته ومماته (٥٣) كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك أن المحيا والممات بخلق الله فكذا الصلاة والنسك وبذلك من التوحيد أمرت ثم لما أمر نبيه بالتوحيد المحض أمره أن يذكر ما يجرى مجرى الدليل عليه فقال (قل أغير الله أبغى ربا) وتقريره أن طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب ومن اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بأن الله تعالى خالق الكل فكأنه سبحانه قال قل يا محمد منكرا أغير الله أطلب ربا مع أن هؤلاء الذين اتخذوا من دونه آلهة مقرون بأنه خالق تلك الاشياء ولا يدخل فى العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه آخر الموجود اما واجب لذاته أو ممكن لذاته وقد ثبت أن الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو اذن رب كل شئ وصريح العقل شاهد بأن المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد ذكر أنه لا يرجع اليه من كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال (ولا تكسب كل نفس الا عليها) ومعناه أن اثم الجانى عليه لا على غيره (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس أخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين أن رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هنالك الا الله تعالى فقال (ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال (وهو الذى جعلكم خلائف الارض) قيل الخطاب لبنى آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لامة محمد صلى الله عليه وآله لأنه خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) فى الشرف

قالت (٣) وذكرت هذه الآية أو دما مسفوحا قلت وان البرمة ليرى فى مائها الصفرة وقد بينا معنى الرجس فيما مضى من كتابنا هذا وأنه النجس والنتن وما يعصى الله به بشواهده فاغنى عن اعادته فى هذا الموضع وكذلك القول فى معنى الفسق وفى قوله أهل لغير الله به قد مضى ذلك كله بشواهده الكافية من وفق لفهمه عن تكراره واعادته * واختلفت القراء فى قراءة قوله الا أن يكون ميتة فقرأ ذلك بعض قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة الا أن يكون بالياء ميتة مخففة الياء منصوبة على أن فى يكون مجهولا والميتة فعل له فنصبت على انها فعل يكون وذكروا يكون لتذكير المضمر فى يكون وقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والكوفة الا أن تكون بالتاء ميتة بتخفيف الياء من الميتة ونصبها وكأن معنى نصبهم الميتة معنى الاولين وأنثوا تكون لتأنيث الميتة كما يقال انها قائمة جاريتك وانه قائم جاريتك فيذكر المجهول مرة ويؤنث أخرى لتأنيث الاسم الذى بعده وقرأ ذلك بعض المدنيين الا أن تكون ميتة بالتاء فى تكون وتشديد الياء من ميتة ورفعها فجعل الميتة اسم تكون وأنث تكون لتأنيث الميتة وجعل تكون مكتفية بالاسم دون الفعل لان قوله الا أن تكون ميتة استثناء والعرب تكتفى فى الاستثناء بالاسماء عن الافعال فيقولون قام الناس الا أن يكون أخاك والا أن يكون أخوك فلا تأتى ليكون بفعل وتجعلها مستغنية بالاسم كما يقال قام القوم الا أخاك والا أخوك فلا يعتد الاسم الذى بعد حرف الاستثناء نفلا * والصواب من القراءة فى ذلك عندى الا أن يكون بالياء ميتة بتخفيف الياء ونصب الميتة لان الذى فى يكون من المكنى من ذكر المذكر وانما هو قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ذلك ميتة أو دما مسفوحا فأما قراءة ميتة بالرفع فانه وان كان فى العربية غير خطأ فانه فى القراءة فى هذا الموضع غير صواب لأن الله يقول أو دما مسفوحا فلا خلاف بين الجميع فى قراءة الدم بالنصب وكذلك هو فى مصاحف المسلمين وهو عطف على الميتة فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الميتة لو كانت مرفوعة لكان الدم وقوله أو فسقا مرفوعين ولكنها منصوبة فيعطف بهما عليها بالنصب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم﴾ وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن اضطر غير باغ ولا عاد والصواب من القول فيه عندنا فيما مضى من كتابنا هذا فى سورة البقرة بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأن معناه فمن اضطر الى أكل ما حرم الله من أكل الميتة والدم المسفوح أو لحم الخنزير أو ما أهل لغير الله به غير باغ فى أكله اياه تلذذا الا لضرورة حالة من الجوع ولا عاد فى أكله بتجاوزه ما حده الله وأباحه له من أكله وذلك أن يأكل منه ما يدفع عنه الخوف على نفسه بترك أكله من الهلاك لم يتجاوز ذلك الى أكثر منه فلا حرج عليه فى أكله ما أكل من ذلك فان الله غفور فيما فعل من ذلك فساتر عليه بتركه عقوبته عليه ولو شاء عاقبه عليه رحيم باباحته اياه أكل ذلك عند حاجته اليه ولو شاء حرمه عليه ومنعه منه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر﴾ يقول تعالى ذكره وحرمنا على اليهود

---

(٣) فيه اختصار يعلم مما قبله

والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وابقاء الثواب فقال (ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم) فأدخل اللام في قرينة الترغيب وأسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض (٥٤) لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا قال سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة أصحاب السبت لان ذلك قد ورد عقيب ذكر المسخ فناسب التأكيد باللام وانما أخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون أدل على كمال رأفته ووفور احسانه ❁ التأويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم الثقة بالله وأوفوا الكيل أوفوا بكيل العمر وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله أوفوا بأن لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى أن الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وسلم تماما على الذي أحسن أي على من أحسن من أمتك اسلامه وفيه أن الكتب المنزلة كلها وشرائع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيفي الذي هو الاسلام ولهذا أمر بأن يقتدي بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل أن يراد بالذي أحسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه أنزلناه مبارك وبركته أنه أنزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله أتم وأكمل مما جاء في الكتابين ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا أن تأتيهم داخل الملائكة عيانا وتسوقهم الى الله قهرا والجاء أو يأتي ربك اليهم اذ لم يأتوا اليه في متابعتك قل انتظروا المستحيلات انا منتظرون للمعاد في المعاد ان الذين فارقوا الدين الحقيقي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المبتدعة والزنادقة والمتزيدة رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شيء لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما أمرهم الى الله في بدء الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم

كل ذي ظفر وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الاصابع كالابل والنعام والاوز والبط ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وهو البعير والنعامة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال هو الذي ليس بمنفرج الأصابع حدثني علي بن الحسين الأزدي قال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال كل شيء (١) متفرق الأصابع ومنه الديك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال كل ذي ظفر النعامه والبعير حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر فكان يقال البعير والنعامة وأشباههما من الطير والحيتان حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كل ذي ظفر قال الابل والنعام ظفر يد البعير ورجله والنعام أيضا كذلك وحرم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما كل ذي ظفر فالابل والنعام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شيخ عن مجاهد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قال قلت ما شقا شقا قال كل ما لم تفرج قوائمه لم يأكله اليهود البعير والنعامة والدجاج والعصافير تأكلها اليهود لانها قد فرجت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد كل ذي ظفر قال النعامة والبعير شقا شقا قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه ما شقا شقا قال كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم قال وما انفرج أكلته اليهود قال انفرجت قوائم الدجاج والعصافير فيهود تأكلها قال ولم تنفرج قائمة البعير خفه ولا خف النعامة ولا قائمة الوزين فلا تأكل اليهود الابل ولا النعام ولا الوزين ولا كل شيء لم تنفرج قائمته وكذلك لا تأكل حمار وحش وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الابل فقط * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي ذكرنا عن ابن عباس ومن قال بمثل مقالته لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه حرم على اليهود كل ذي ظفر فغير جائز اخراج شيء من عموم هذا الخبر الا ما أجمع أهل العلم أنه خارج منه واذا كان ذلك كذلك وكان النعام وكل ما لم يكن من البهائم والطير مما له ظفر غير منفرج الأصابع داخلا في ظاهر التنزيل وجب أن يحكم له بأنه داخل في الخبر اذ لم يأت بأن بعض ذلك غير داخل في الآية خبر عن الله ولا عن رسوله وكانت الامة أكثرها مجمع على أنه فيه

(١) لعله غير متفرق ليوافق ما قبله تأمل كتبه مصححه

يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قبل ذلك حتى يقدر على الاتيان بتلك الحسنة وهى حسنة الايجاد من العدم
وحسنة الاستعداد حيث خلقه فى أحسن تقويم وحسنة التربية وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تبين
الحسنات من السيآت وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص فى الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الامثلها
لان السيئة بذر يزرع فى أرض النفس والنفس خبيثة لانها أمارة بالسوء والحسنة بذر يزرع فى أرض القلب والقلب طيب والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى
خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق
أنه كما للاعداد ثلاث مراتب الآحاد
والعشرات والمئات وبعد ذلك تكون
الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك
للانسان أربع مراتب النفس
والقلب والروح والسر فالعمل الواحد
فى مرتبة النفس أى اذا صدر
عنها يكون واحدا وفى مرتبة القلب
يكون بعشر أمثالها وفى مرتبة الروح
يكون بمائة وفى مرتبة السر يكون
بألف الى أضعاف كثيرة بقدر صفاء
السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى
وهذا سر ما جاء فى القرآن والحديث
من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى
أعلم ورسوله قل اننى هدانى ربى
من أسفل سافلين القالب بجذبة
العناية الأزلية ونسكى أى سيرى
على منهاج الصلاة معراج المؤمن
ومحياى أى حياة قلبى وروحى ومماتى
أى موت نفسى لطلب رب العالمين
والوصول اليه وأنا أول المستسلمين
عند الايجاد لأمر كن كما قال أول
ما خلق الله نورى قل أغير الله كيف
أطلب غير الله وهو حبيبى والمحب
لا يطلب الا الحبيب واذا هو رب
كل شئ فيكون ماله لى وان طلبت
غيره دونه يكون ذلك الغير على لا لى
كما قال ولا تكسب كل نفس الا
عليها لان النفس أمارة بالسوء
والسوء عليها الا لها ولا تزر وازرة وزر أخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه
لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يتألم بعذابها وانما تكون النفس فقط مأخوذة بوزرها معاقبة بما هى أهله وان كان القلب منقلب الحال وأزاغه
الله تعالى باصبع القهر الى محاذاة النفس فتصدأ مرآة القلب بصفات النفس وأخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة
والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظائف العبودية فيكون مأخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو

داخل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما﴾
اختلف أهل التأويل فى الشحوم التى أخبر الله تعالى أنه حرمها على اليهود من البقر والغنم فقال
بعضهم هى شحوم الثروب خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول قاتل الله اليهود حرم الله عليهم الثروب ثم أكلوا أثمانها * وقال آخرون بل ذلك
كان كل شحم لم يكن مختلطا بعظم ولا على عظم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثرب وكل شحم
كان كذلك ليس فى عظم * وقال آخرون بل ذلك شحم الثرب والكلى ذكر من قال ذلك حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله حرمنا عليهم شحومهما
قال الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول انما حرمه اسرائيل فنحن نحرمه حدثنى يونس
قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حرمنا عليهم شحومهما قال انما حرم عليهم الثروب
والكليتين هكذا هو فى كتابى عن يونس وأنا أحسب انه الكلى * والصواب فى ذلك من القول
أن يقال ان الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما الا ما استثناه منها مما حملت
ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم فكل شحم سوى ما استثناه الله فى كتابه من البقر والغنم فانه
كان محرما عليهم وبنحو ذلك من القول تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك قوله قاتل الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها وأما قوله الا
ما حملت ظهورهما فانه يعنى الا شحوم الجنب وما علق بالظهر فانها لم تحرم عليهم وبنحو الذى قلنا
فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال
ثنى معاوية عن على عن ابن عباس الا ما حملت ظهورهما يعنى ما علق بالظهر من الشحوم حدثنى
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما ما حملت ظهورهما
فالأليات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح قال الألية مما
حملت ظهورهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو الحوايا﴾ «قال أبو جعفر» والحوايا جمع واحدها
حاوياء وحاوية وحوية وهى ما تحوى من البطن فاجتمع واستدار وهى بنات اللبن وهى المباعر وتسمى
المرابض وفيها الامعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت
ظهورهما أو ما حملت الحوايا فالحوايا رفع عطفا على الظهور وما التى بعد الا نصب على الاستثناء من
الشحوم وبمثل ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا
أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس أو الحوايا وهى المبعر حدثنى
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أو الحوايا
قال المبعر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد
الحوايا المبعر والمربض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح

الذى جعل كل واحد من بنى آدم وقته خليفة ربه فى الارض وسر الخلافة أن صوّره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات فى استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق بأخلاقه منكم القائم به وبأوامره فى العباد والبلاد ومن الذى رجع القهقرى الى صفات البهائم وأبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس فى سجين الطبيعة لغفور رحيم لمن وفقه لمرضاته ورفع درجاته الله حسبى

عن مجاهد أوالحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن عطاء عن سعيد بن جبير أوالحوايا قال المباعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير أوالحوايا قال المباعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوالحوايا قال المبعر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أوالحوايا قال المبعر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة والمحاربى عن جويبر عن الضحاك قال المبعر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أوالحوايا يعنى البطون غير الثروب حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أوالحوايا هو المبعر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدى أوالحوايا قال المباعر وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أوالحوايا قال الحوايا المرابض التى تكون فيها الامعاء تكون وسطها وهى بنات اللبن وهى فى كلام العرب تدعى المرابض ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ يقول تعالى ذكره ومن البقر والغنم حرمنا على الذين هادوا شحومهما سوى ما حملت ظهورهما أو ما حملت حواياهما فانا أحللنا ذلك لهم والا ما اختلط بعظم فهو لهم أيضا حلال فرد قوله أو ما اختلط بعظم على قوله الا ما حملت ظهورهما فما التى فى قوله أو ما اختلط بعظم فى موضع نصب عطفا على ما التى فى قوله الا ما حملت ظهورهما وعنى بقوله أو ما اختلط بعظم شحم الألية والجنب وما أشبه ذلك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج أو ما اختلط بعظم قال شحم الألية بالعصعص فهو حلال وكل شئ فى القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم فهو حلال حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو ما اختلط بعظم مما كان من شحم على عظم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون﴾ يقول تعالى ذكره فهذا الذى حرمنا على الذين هادوا من الانعام والطير ذوات الاظافير غير المنفرجة ومن البقر والغنم ما حرمنا عليهم من شحومهما الذى ذكرنا فى هذه الآية حرمناه عليهم عقوبة منا لهم وثوابا على أعمالهم السيئة وبغيهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون انما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم فعلنا ذلك بهم ببغيهم وقوله وانا لصادقون يقول وانا لصادقون فى خبرنا هذا عن هؤلاء اليهود عما حرمنا عليهم من الشحوم ولحوم الانعام والطير التى ذكرنا أنا حرمنا عليهم وفى غير ذلك من أخبارنا وهم الكاذبون فى زعمهم أن ذلك انما حرمه اسرائيل على نفسه وأنهم انما حرموه لتحريم اسرائيل اياه على نفسه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان كذبوك يا محمد هؤلاء

حروفها ١٤٢١٠ كلمها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

﴿تفسير سورة الاعراف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿المص كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين أرسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ ۞ القراآت يتذكرون بياء الغيبة ثم تاء التفعل ابن عامر والباقون كما مر فى آخر الانعام ۞ الوقوف المص ه كوفى للمؤمنين ه أولياء ط تذكرون ه قائلون ه ظالمين ه المرسلين ه لا للعطف غائبين ه الحق ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط تشكرون ه ۞ التفسير قد تقدم فى أول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص أنا الله أعلم وأفصل وقال السدى معناه أنا المصوّر وقيل معناه ألم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن فى صدرك حرج منه كما زاد فى الرعد واء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز أن يكون المص مبتدأ وكتاب يعنى به السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز أن يكون المص خبر مبتدا محذوف وكذا كتاب أى هذه المص هو كتاب أنزل اليك والدليل على أنه منزل من الله تعالى هو أنه ما تلمذ لأستاذ ولا تعلم من معلم ولا طالع

كما بأولم يخالط أهل الأخبار والأشعار وقد مضى على ذلك أربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب المشتمل على علوم الأولين والآخرين فلن تبقى شبهة في أنه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القرآن زعموا أن الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات وأجيب بأن الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة مخلوقة فان قيل الحروف أعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها

بالنزول أجيب بأنه تعالى أحدث هذه

هؤلاء اليهود فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم كما بينا في هذه الآية فقل ربكم ذو رحمة بنا وبمن كان به مؤمنا من عباده وبغيرهم من خلقه واسعة تسع جميع خلقه المحسن والمسيء لا يعاجل من كفر به بالعقوبة ولا من عصاه بالنقمة ولا يدع كرامة من آمن به وأطاعه ولا يحرمه ثواب عمله رحمة منه بكلا الفريقين ولكن بأسه وذلك سطوته وعذابه لا يرده اذا أحله عند غضبه على المجرمين بهم عنهم شيء والمجرمون هم الذين أجرموا فاكتسبوا الذنوب واجترحوا السيئات وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فان كذبوك اليهود فقل ربكم ذو رحمة واسعة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال كانت اليهود يقولون انما حرمه اسرائيل يعني الثرب وشحم الكليتين فنحن نحرمه فذلك قوله فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا﴾ يقول جل ثناؤه سيقول الذين أشركوا وهم العادلون بالله الأوثان والأصنام من مشركي قريش لو شاء الله ما أشركنا يقول قالوا احتجاجا من الاذعان للحق بالباطل من الحجة لما تبين لهم الحق وعلموا باطل ما كانوا عليه مقيمين من شركهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون من الحروث والانعام على ما قد بين تعالى ذكره في الآيات الماضية قبل ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وما بعد ذلك لو أراد الله منا الايمان به وافراده بالعبادة دون الاوثان والآلهة وتحليل ما حرم من البحائر والسوائب وغير ذلك من أموالنا ما جعلنا لله شريكا ولا جعل ذلك له آباؤنا من قبلنا ولا حرمنا ما نحرمه من هذه الاشياء التي نحن على تحريمها مقيمون لأنه قادر أن يحول بيننا وبين ذلك حتى لا يكون لنا الى فعل شيء من ذلك سبيل اما بأن يضطرنا الى الايمان وترك الشرك به والى القول بتحليل ما حرمنا واما بأن يلطف بنا بتوفيقه فنصير الى الاقرار بوحدانيته وترك عبادة ما دونه من الانداد والاصنام والى تحليل ما حرمنا ولكنه رضي منا ما نحن عليه من عبادة الاوثان والاصنام واتخاذ الشريك له في العبادة والانداد وأراد ما نحرم من الحروث والانعام فلم يحل بيننا وبين ما نحن عليه من ذلك قال الله مكذبا لهم في قيلهم ان الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك وتحريم ما نحرم ورادا عليهم باطل ما احتجوا به من حجتهم في ذلك كذلك كذب الذين من قبلهم يقول كما كذب هؤلاء المشركون يا محمد ما جئتهم به من الحق والبيان كذب من قبلهم من فسقة الامم الذين طغوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه وردوا عليهم نصائحهم حتى ذاقوا بأسنا يقول حتى أسخطونا فغضبنا عليهم فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه فعطبوا بذوقهم اياه فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة يقول وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم ان هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال

الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال (فلا يكن في صدرك حرج) أي شك وسمي الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرج كما أن المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى (منه) أي من شأن الكتاب أي لا تشك في انه منزل من عند الله أو من تبليغه أي لا يضيق صدرك من الأداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا أرينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثله قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره أمر للمشركين وانه في الحقيقة أمر للمؤمنين بأن يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله (لتنذر) أقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتأخير أي أنزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير أن الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي واللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب

النظم اللام بمعنى أن كقوله يريدون أن يطفؤا وفي موضع آخر ليطفؤا والتقدير لا يضق صدرك ولا تضعف عن أن تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب أنزله الله عليك واذا علمت أنه تنزيل الله تعالى فاعلم أن عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف أحدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا تبال بأحد من أهل الضلال والابطال ثم قال (وذكرى للمؤمنين) قال ابن عباس يريد مواعظ

للمصدقين وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار
فعلها كأنه قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب أو بأنه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل أن تنذر أى للانذار
وللذكرى وانما لم نقل على محل لتنذر لان المفعول له يجب أن يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر
وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين (٥٨) والتحقيق فيه أن النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر
اللذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر
قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية
مستعدة للانجذاب الى عالم القدس
الا أنها غشيتها غواش من عالم
الجسم فعرض لها نوع ذهول
وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف وأما الصنف الثانى
فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها
أنوار أرواح رسل الله تعالى تذكرت
معدنها وأبصرت مركزها
واشتاقت الى ما هنالك من الروح
والراحة والريحان فلم تحتج الا الى
تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه
أنزل هذا الكتاب على رسوله ليكون
انذارا فى حق طائفة وذكرى فى
شأن طائفة ثم كما أمر الرسول
بالتبليغ والانذار مع قلب قوى
وعزم صحيح أمر المرسل اليهم وهم
الامة بالمتابعة فقال (اتبعوا ما أنزل
اليكم من ربكم) ومعنى كونه منزلا
اليهم أنهم مخاطبون بذلك مكلفون
به والا فهو بالحقيقة منزل على
الرسول قالت العلماء المنزل متناول
للقرآن والسنة جميعا عن الحسن
يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله
وسنة رسوله وفى الآية دلالة على أن
تخصيص عموم القرآن بالقياس
غير جائز لان متابعة المنزل واجبة
فلو عمل بالقياس لزم التناقض فان
قيل العمل بالقياس لكونه
مستفادا من القرآن وهو قوله
فاعتبر واعمل بالقرآن أيضا قلنا
بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء أولى من العمل بالمنزل بواسطة ثم أكد الامر المذكور بقوله (ولا لهدا كم
تتبعوا من دونه) أى لا تتخذوا من دون الله (أولياء) من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز أن يكون
الضمير فى من دونه لما أنزل أى لا تتبعوا من دون دين الله أولياء احتج نفاة القياس بأن الآية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما أنزل الله تعالى
والعمل بالقياس متابعة غير ما أنزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبر والا فانقول لو كان الامر كذلك لكان تارك

أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى
معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا وقال كذلك
كذب الذين من قبلهم ثم قال ولو شاء الله ما أشركوا فانهم قالوا عبادتنا الآلهة تقربنا الى الله زلفى
فأخبرهم الله أنها لا تقربهم وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول الله سبحانه لو شئت لجمعتهم على
الهدى أجمعين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد ولا حرمنا من شئ قال قول قريش يعنى ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة حدثنى المثنى
قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا حرمنا من شئ قول
قريش بغير يقين ان الله حرم هذه البحيرة والسائبة فان قال قائل وما برهانك على أن الله تعالى
انما كذب من قيل هؤلاء المشركين قولهم رضى الله منا عبادة الاوثان وأراد منا تحريم ما حرمنا من
الحروث والانعام دون أن يكون تكذيبه اياهم كان على قولهم لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا
ولا حرمنا من شئ وعلى وصفهم اياه بأنه قد شاء شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما كانوا يحرمون
قيل له الدلالة على ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم سلكوا فى
تكذيبهم نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم فيما آتاهم به من عند الله من النهى عن عبادة شئ غير الله
تعالى وتحريم غير ما حرم الله فى كتابه وعلى لسان رسوله مسلك أسلافهم من الامم الخالية المكذبة
الله ورسوله والتكذيب منهم انما كان لمكذب ولو كان ذلك خبرا من الله عن كذبهم فى قيلهم
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بتخفيف الذال وكان ينسبهم فى
قيلهم ذلك الى الكذب على الله لا الى التكذيب مع علل كثيرة يطول بذكرها الكتاب وفيما ذكرنا
كفاية لمن وفق لفهمه ۞ القول فى تأويل قوله (قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان
تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل
يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام المحرمين ما هم له محرمون من الحروث والانعام
القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ ولكنه رضى منا ما نحن عليه من الشرك
وتحريم ما نحرم هل عندكم بدعواكم ما تدعون على الله من رضاه باشراككم فى عبادته ما تشركون
وتحريمكم من أموالكم ما تحرمون علم يقين من خبر من يقطع خبره العذر أو حجة توجب لنا اليقين
من العلم فتخرجوه لنا يقول فتظهروا ذلك لنا وتبينوه كما بينا لكم مواضع خطا قولكم وفعلكم
وتناقض ذلك واستحالته فى المعقول والمسموع ان تتبعون الا الظن يقول له قل لهم ان تقولون
ما تقولون أيها المشركون وتعبدون من الاوثان والاصنام ما تعبدون وتحرمون من الحروث
والانعام ما تحرمون الا ظنا وحسبانا أنه حق وأنكم على حق وهو باطل وأنتم على باطل وان أنتم
الا تخرصون يقول وان أنتم وما أنتم فى ذلك كله الا تخرصون يقول الا تتقولون الباطل على الله
ظنا بغير يقين علم ولا برهان واضح ۞ القول فى تأويل قوله (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء

العمل بمقتضى القياس كافر لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وقد اجمعت الامة على عدم تكفيره أجاب مثبتو القياس بأن كون القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف بأنكم أثبتم أن الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع أمتي على الضلالة والفرع لا يكون أقوى من الاصل أجاب المثبتون بأن الآيات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس

لهداكم أجمعين} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام القائلين على ربهم الكذب في تحريمهم ما حرموا من الحروث والانعام ان عجزوا عن اقامة الحجة عند قيلك لهم هل عندكم من علم بما تدعون على ربكم فتخرجوه لنا وعن اخراج علم ذلك لك واظهاره وهم لا شك عن ذلك عجزة وعن اظهاره مقصرون لانه باطل لا حقيقة له فلله الذي حرم عليكم أن تشركوا به شيأ وأن تتبعوا خطوات الشيطان في أموالكم من الحروث والانعام الحجة البالغة دونكم أيها المشركون ويعني بالبالغة أنها تبلغ مراده في ثبوتها على من احتج بها عليه من خلقه وقطع عذره اذا انتهت اليه فيما جعلت حجة فيه فلو شاء لهداكم أجمعين يقول فلو شاء ربكم لوفقكم أجمعين للاجماع على افراده بالعبادة والبراءة من الانداد والآلهة والدينونة بتحريم ما حرم الله وتحليل ما حلله الله وترك اتباع خطوات الشيطان وغير ذلك من طاعاته ولكنه لم يشأ ذلك فخالف بين خلقه فيما شاء منهم فمنهم كافر ومنهم مؤمن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لا حجة لأحد عصى الله ولكن لله الحجة البالغة على عباده وقال فلو شاء لهداكم أجمعين قال لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ۞ القول في تأويل قوله {قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الاوثان الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم هلم شهداءكم يقول هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم وأهل العالية من تهامة توحد هلم في الواحد والاثنين والجمع وتذكر في المؤنث والمذكر فتقول للواحد هلم يا فلان وللاثنين والجمع كذلك وللانثى مثله ومنه قول الاعشى

وكان دعا قومه دعوة * هلم الى أمركم قد صرم

ينشد هلم وهلموا وأما أهل السافلة من نجد فانهم يوحدون للواحد ويثنون للاثنين ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال هلم وللواحدة من النساء هلمي وللاثنين هلما وللجماعة من الرجال هلموا وللنساء هلممن قال الله لنبيه فان شهدوا يقول يا محمد فان جاؤك بشهداء يشهدون أن الله حرم ما يزعمون أن الله حرمه عليهم فلا تشهد معهم فانهم كذبة وشهود زور في شهادتهم بما شهدوا به من ذلك على الله وخاطب بذلك جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم والمراد به أصحابه والمؤمنون به ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يقول ولا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله في تحريم ما حرم وتحليل ما أحل لهم ولكن اتبع ما أوحي اليك من كتاب ربك الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة يقول ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة فتكذب بما هم به مكذبون من احياء الله خلقه بعد مماتهم ونشره اياهم بعد فنائهم وهم بربهم يعدلون يقول وهم مع تكذيبهم بالبعث بعد الممات وجحودهم قيام الساعة

قوي الظن وحصل الترجيح * ومن الحشوية من أنكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالآية وأجيب بأن العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال (قليلا ما تذكرون) أي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما في ترك المتابعة من الوعيد فقال (وكم من قرية) فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتأكيد والبيان أي كثير من القرى (أهلكناها) مثل زيد ضربته وتقدير النصب أيضا غير بعيد وفي الآية حذف لا لقرينة الاهلاك فقط فان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك أهلها ولكنه يقال التقدير وكم من أهل قرية لقوله (فجاءها بأسنا) والبأس بالاهل أنسب ولقوله أو هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم ولان معنى البيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا للكلام على اللفظ أو كما يقال الرجال فعلت * وههنا سؤال وهو ان قوله فجاءها بأسنا يقتضي ان يكون الهلاك مقدما على مجيء البأس ولكن الامر بالعكس والعلماء أجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها أو أردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا ومنها أن معنى الاهلاك ومعنى مجيء البأس واحد فكأنه قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد تجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء البأس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد أن يقال البأس والهلاك يقعان معا

كما يقال أعطيتني فأحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها أن ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير أهلكناهم فحكمنا بمجيء البأس لأن الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء البأس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه أمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله (بياتا) قال الجوهري بيت العدو أي أوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين أو (٦٠) مبيتين ثم قال (أوهم قائلون) والجملة حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءها بأسنا مبيتين أو بائتين أو قائلين وانما حسن ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لانها استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف وبينه جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا أو هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا أما معنى القيلولة فالمشهور انها نومة الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وكأنه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والرفاه والأمن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق أمارة

أيا راقد الليل مسرورا بأوله ۞ ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

فقوم لوط أهلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء البأس فقال (فما كان دعواهم) أي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على أنفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرارهم على أنفسهم بالشرك وقال أهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم أشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين أي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعواهم وعلى عكسه محل ان قالوا يجوز أن يكون نصبا أو رفعا كما سبق في اعراب قوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا آجلا فقال (فلنسألن الذين أرسل اليهم) نسأل

بالله يعدلون الاوثان والاصنام فيجعلونها له عدلا ويتخذونها له ندا يعبدونها من دونه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا يقول قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب وقالوا أمرنا الله به قال الله لرسوله فان شهدوا فلا تشهد معهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا قال البحائر والسيب ۞ القول في تأويل قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقا يقينا لا الباطل تخرصا تخرصكم على الله الكذب والفرية ظنا ولكن وحيا من الله أوحاه الي وتنزيلا أنزله علي أن لا تشركوا بالله شيأ من خلقه ولا تعدلوا به الأوثان والاصنام ولا تعبدوا أشيأ سواه وبالوالدين احسانا يقول وأوصى بالوالدين احسانا وحذف أوصى وأمر لدلالة الكلام عليه ومعرفة السامع بمعناه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى من الكتاب وأما أن في قوله أن لا تشركوا به شيأ فرفع لان معنى الكلام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم هو أن لا تشركوا به شيأ واذا كان ذلك معناه كان في قوله تشركوا وجهان الجزم بالنهي وتوجيه لا الى معنى النهي والنصب على توجيه الكلام الى الخبر ونصب تشركوا بأن لا كما يقال أمرتك أن لا تقوم وان شئت جعلت أن في موضع نصب ردا على ما وبيانا عنها ويكون في قوله تشركوا أيضا من وجهي الاعراب نحو ما كان فيه منه وأن في موضع رفع ويكون تأويل الكلام حينئذ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أتل أن لا تشركوا به شيأ فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون قوله تشركوا نصبا بأن لا أم كيف يجوز توجيه قوله أن لا تشركوا به على معنى الخبر وقد عطف عليه بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق وما بعد ذلك من جزم النهي قيل جاز ذلك كما قال تعالى ذكره قل اني أمرت أن أكون أول من أسلم فجعل أن أكون خبرا وأن اسما ثم عطف عليه وكما قال الشاعر

حج وأوصى بسليمى الأعبدا ۞ أن لا ترى ولا تكلم أحدا ۞ ولا يزل شرابها مبردا

فجعل قوله أن لا ترى خبرا ثم عطف بالنهي فقال ولا تكلم ولا يزل ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم) يعني تعالى ذكره بقوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق ولا تئدوا أولادكم فتقتلوهم من خشية الفقر على أنفسكم بنفقاتهم فان الله هو رازقكم واياهم ليس عليكم رزقهم فتخافوا بحياتهم على أنفسكم العجز عن أرزاقهم وأقواتهم والاملاق مصدر من قول القائل أملقت من الزاد فأنا أملق املاقا وذلك اذا فني زاده وذهب ماله وأفلس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله

المرسل اليهم عما أجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين (ولنسئلن المرسلين) عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ثم قال (فلنقصن عليهم) أي على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة في سؤال المرسل اليهم بعد ما أخبر عنهم أنهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب أنهم لما أقروا بأنهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم أو التقصير تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بأنه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلتحق كل التقصير بالامة فيتضاعف اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع مواجب التقصير ويتضاعف أسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان أن القوم لعلهم لا يسئلون عن الأعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها أو المراد نفي سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة فلا تناقض وفي الآية ابطال قول من زعم أنه لا حساب على الأنبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ في الأرض ولا في السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة أحوال يوم القيامة وزن الأعمال فقال (والوزن) وهو مبتدأ خبره (يومئذ) وقوله (الحق) صفة المبتدأ أي الوزن العدل يوم يسأل الله الأمم ورسلهم وقيل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا أن يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفي كيفية الميزان قولان الأول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيامة يوزن به أعمال العباد خيرها وشرها وكيف توزن فيه وجهان أحدهما ان المؤمن تتصور أعماله بصور حسنة وأعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي تكون فيها أعمال العباد يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيامة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان

ابن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق الاملاق الفقر قتلوا أولادهم خشية الفقر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تقتلوا أولادكم من املاق أي خشية الفاقة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تقتلوا أولادكم من املاق قال الاملاق الفقر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله من املاق قال شياطينهم يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك في قوله من املاق يعني من خشية فقر ۞ القول في تأويل قوله (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) يقول تعالى ذكره ولا تقربوا الظاهر من الاشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم لا تناكرون ركوبها والباطن منها الذي تأتونه سرا في خفاء لا تجاهرون به فان كل ذلك حرام وقد قيل انما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن لانهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضا وليس ما قالوا من ذلك بمدفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عني به بعض دون جميع وغير جائز احالة ظاهر كتاب الله الى باطن الا بحجة يجب التسليم لها ذكر من قال ما ذكرنا من قول من قال الآية خاص المعنى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن أما ما ظهر منها فزواني الحوانيت وأما ما بطن فما خفي حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون ذلك حلالا ما كان سرا فحرم الله السر منه والعلانية ما ظهر منها يعني العلانية وما بطن يعني السر حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال كانوا في الجاهلية لا يرون بالزنا بأسا في السر ويستقبحونه في العلانية فحرم الله الزنا في السر والعلانية * وقال آخرون في ذلك بمثل الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن سرها وعلانيتها حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة نحوه * وقال آخرون ما ظهر نكاح الأمهات وحلائل الآباء وما بطن الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر جمع بين الأختين وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده وما بطن الزنا * وقال آخرون في ذلك بما حدثني اسحق بن زياد العطار البصري قال ثنا محمد بن اسحق البلخي قال ثنا تميم بن شاكر الباهلي عن عيسى بن أبي حفصة قال سمعت الضحاك يقول

على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض فى احداهما لوسعتهن وجبريل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى برجل يوم القيامة الى الميزان و يؤتى له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع فى كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالأنملة فيه شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع فى الآخرة فترجح قال القاضى يجب أن يحمل هذا على (٦٢) انه يأتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية ورد بأنه خلاف الظاهر وبأنه لا يبعد أن يكون ثواب كلمة الشهادة أوفى وأوفر من سائر الأعمال لان معرفة الله تعالى أشرف العقائد والأعمال وروى الواحدى فى البسيط انه اذا خف حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجزته بطاقة كالأنملة فيلقيها فى كفة الميزان اليمنى التى فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبى صلى الله عليه وسلم بأبى أنت وأمى ما أحسن وجهك وخلقك فمن أنت فيقول أنا نبيك وهذه صلواتك التى كنت تصليها على قد وافتك أحوج ما تكون اليها القول الثانى قول مجاهد والضحاك والأعمش وكثير من المتأخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل فى الأخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازا عن العدل ومما يؤكد ذلك أن أعمال العباد أعراض وأنها قد فنيت وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها وأما قولهم الموزون صحائف الاعمال أو صور مخلوقة على حسب مقادير الأعمال فنقول المكلف يوم القيامة اما أن يكون مقرا بأنه تعالى عادل حكيم وحينئذ يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب فى علمه بأنه عدل وصواب واما أن لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقية الرجحان أجاب الأولون بأن جميع المكلفين يعترفون يوم القيامة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة فى وضع الميزان ظهور الرجحان لأهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر * واختلف العلماء أيضا فى كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هنالك نور فى رجحان الحسنات وظلمة فى رجحان السيآت وقال آخرون بل يظهر الرجحان فى الكفة واختلف أيضا فى الموازين فقيل انها جمع موزون وأراد الأعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب

فى قوله ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر الخمر وما بطن الزنا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق يعنى بالنفس التى حرم الله قتلها نفس مؤمن أو معاهد وقوله الا بالحق يعنى بما أباح قتلها به من أن تقتل نفسا فتقتل قودا بها أو تزنى وهى محصنة فترجم أو ترتد عن دينها الحق فتقتل فذلك الحق الذى أباح الله جل ثناؤه قتل النفس التى حرم على المؤمنين قتلها به ذلكم يعنى هذه الأمور التى عهد الينا فيها ربنا أن لا نأتيه وأن لا ندعه هى الأمور التى وصانا والكافرين بها أن نعمل جميعا به لعلكم تعقلون يقول وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن ولا تقربوا ماله الا بما فيه صلاحه وتثميره كما حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التجارة فيه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن فليثمر ماله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا فضيل بن مرزوق العنزى عن سليط بن بلال عن الضحاك بن مزاحم فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال يبتغى له فيه ولا يأخذ من ربحه شيأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن قال التى هى أحسن أن يأكل بالمعروف ان افتقر وان استغنى فلا يأكل قال الله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال وسئل عن الكسوة فقال لم يذكر الله الكسوة انما ذكر الأكل وأما قوله حتى يبلغ أشده فان الأشد جمع شد كما الأضر جمع ضر وكما الأشر جمع شر والشد القوة وهو استحكام قوة شبابه وسنه كما شد النهار ارتفاعه وامتداده يقال أتيته شد النهار ومد النهار وذلك حين امتداده وارتفاعه وكان المفضل فيما بلغنى ينشد بيت عنترة

عهدى به شد النهار كأنما * خضب اللبان ورأسه بالعظلم

ومنه قول الآخر

يطيف به شد النهار ظعينة * طويلة أنقاء اليدين سحوق

وكان بعض البصريين يزعم أن الأشد اسم مثل الآنك فأما أهل التأويل فانهم مختلفون فى الحين الذى اذا بلغه الانسان قيل بلغ أشده فقال بعضهم يقال ذلك له اذا بلغ الحلم ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال أخبرنى يحيى بن أيوب عن عمرو بن الحرث عن ربيعة فى قوله حتى يبلغ أشده قال الحلم حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا عمى قال ثنى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه مثله * قال ابن وهب وقال لى مالك مثله حدثت عن

الحمانى

قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فما الموجب لترك الظاهر والمصير الى التأويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وأيضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر أهل الموقف فى قسمين منهم من تزيد حسناته (٦٣) على سيآته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم أهل الكفر لانه حكم عليهم بأنهم الذين خسروا أنفسهم بسبب الظلم بآيات الله أى التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب أياما ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل فى الآية دلالة على أن الذى تكون حسناته وسيآته متعادلتين متساويتين غير موجود والله أعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الآجل رغب الخلائق فى قبول دعوة الأنبياء بطريق آخر وهو تذكير النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال (ولقد مكناكم فى الأرض) أقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) هى جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها أو ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى تحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالأثمار أو بواسطة كالاكتساب والوجه فى معايش تصريح الياء لانها أصلية لا زائدة كصحائف بالهمز فى صحيفة وعن ابن عامر أو نافع فى بعض الروايات الهمز تشبيها بصحائف واستبعده النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بأنهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال (قليلا ما تشكرون) وفيه اشارة الى أنهم قد يشكرون وقليل من عبادى الشكور ۞ التأويل المص هو اله من لطفه أفرد عباده للمحبة وللمعرفة وأنعم عليهم بالصدق والصبر لقبول كمالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب أنزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما أنزل من الكتب فى الألواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق عطن فألقى الألواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن شرف أمته بأن أمرهم باتباع ما أنزل اليهم ليتخلقوا بأخلاق الله وكم من قرية قلب أفسدناها استعدادها فجاءها بأسنا أى ازاغتها لو هم باصبع

الحمانى قال ثنا هشيم عن مجاهد عن عامر حتى يبلغ أشده قال الأشد الحلم حيث تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيآت * وقال آخرون انما يقال ذلك له اذا بلغ ثلاثين سنة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى يبلغ أشده قال أما أشده فثلاثون سنة ثم جاء بعدها حتى اذا بلغوا النكاح وفى الكلام محذوف ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف وذلك أن معنى الكلام ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده فاذا بلغ أشده فآنستم منه رشدا فادفعوا اليه ماله لأنه جل ثناؤه لم ينه أن يقرب مال اليتيم فى حال يتمه الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده ويحل لوليه بعد بلوغه أشده أن يقربه بالتى هى أسوأ ولكنه نهاهم أن يقربوا حياطة منه له وحفظا عليه ليسلموه اليه اذا بلغ أشده ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها﴾ يقول تعالى ذكره قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن أوفوا الكيل والميزان يقول لا تبخسوا الناس الكيل اذا كلتموهم والوزن اذا وزنتموهم ولكن أوفوهم حقوقهم وايفاؤهم ذلك اعطاؤهم حقوقهم تامة بالقسط يعنى بالعدل كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بالقسط بالعدل وقد بينا معنى القسط بشواهده فيما مضى وكرهنا اعادته وأما قوله لا نكلف نفسا الا وسعها فانه يقول لا نكلف نفسا من ايفاء الكيل والوزن الا ما يسعها فيحل لها ولا تحرج فيه وذلك أن الله جل ثناؤه علم من عباده أن كثيرا منهم تضيق نفسه عن أن تطيب لغيره بما لا يجب عليها له فأمر المعطى بايفاء رب الحق حقه الذى هو له ولم يكلفه الزيادة لما فى الزيادة عليه من ضيق نفسه بها وأمر الذى له الحق بأخذ حقه ولم يكلفه الرضا بأقل منه لما فى النقصان عنه من ضيق نفسه فلم يكلف نفسا منهما الا ما لا حرج فيه ولا ضيق فلذلك قال لا نكلف نفسا الا وسعها وقد استقصينا بيان ذلك بشواهده فى موضع غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذا قلتم فاعدلوا واذا حكمتم بين الناس فتكلمتم فقولوا الحق بينهم واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذى يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم ولا يحملنكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحق فيما احتكم اليكم فيه وبعهد الله أوفوا يقول وبوصية الله التى أوصاكم بها فأوفوا وايفاء ذلك أن يطيعوه فيما أمرهم به ونهاهم وأن يعملوا بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك هو الوفاء بعهد الله وأما قوله ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للعادلين بالله الأوثان والأصنام من قومك هذه الأمور التى ذكرت لكم فى هاتين الآيتين هى الأشياء التى عهد الينا ربنا ووصاكم بها ربكم وأمركم بالعمل بها لا بالبحائر والسوائب والوصائل والحام وقتل الأولاد ووأد البنات واتباع خطوات الشيطان لعلكم تذكرون يقول أمركم بهذه الأمور التى أمركم بها فى هاتين الآيتين ووصاكم بها وعهد اليكم فيها لتتذكروا عواقب

القهارية وأهلها ناعون على فراش الحسبان قائلون فى نهار الخذلان فما كان ادّعاؤهم الاان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الأدب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى أنفسهم ولم يعلموا أن الله تعالى مقلب أفئدتهم وأبصارهم فلنسئلن الذين أرسل اليهم وهم عامة الخلائق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما أمرتم أم لا فيكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب أوهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسئلن المرسلين سؤال انعام واكرام هل بلغتم (٦٤) وهل وجدتم أمما قابلى الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فليعلمن انا ما أرسلنا الرسل اليهم عبثا وانما أرسلناهم لأمر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لأهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا روى أنه يوم القيامة يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالأعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والأحوال الكاملة فأولئك هم المفلحون من شرأناتيهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به أعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به أوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به أحواله ولخفيه ميزانا يوزن به أخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق وذلك أنه ليس من نعوت المخلوقين وانما هو خلق رب العالمين والعباد مأمورون بالتخلق بأخلاقه خسروا أنفسهم أفسدوا استعدادها ولقد مكناكم هيأنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش ولكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان هى معيشة نفسه الأمارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب مراتب الانسانية وانها لم تكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان وهى القلب والسر والخفى فعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه هى الوصال والوصول ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى

أمركم وخطأ ما أنتم عليه مقيمون فتنزجروا عنها وترتدعوا وتنيبوا الى طاعة ربكم وكان ابن عباس يقول هذه الآيات هن الآيات المحكمات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن أبى صالح عن أبى اسحق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس قال هن الآيات المحكمات قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا ثنا وهب ابن جرير قال ثنا أبى قال سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله عن عبيد الله بن عدى بن الخيار قال سمع كعب الاحبار رجلا يقرأ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقال والذى نفس كعب بيده ان هذا الأول شئ فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبيه عن سعيد بن مسروق عن رجل عن الربيع بن خيثم أنه قال لرجل هل لك فى صحيفة عليها خاتم محمد ثم قرأ هؤلاء الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق الرازى عن أبى سنان عن عمرو بن مرة قال قال الربيع ألا أقرأ عليكم صحيفة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفل خاتمها فقرأ هذه الآيات قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال جاء اليه نفر فقالوا قد جالست أصحاب محمد فحدثنا عن الوحى فقرأ عليهم هذه الآيات من الانعام قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ قالوا ليس عن هذا نسألك قال فما عندنا وحى غيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال هؤلاء الآيات التى أوصى بها من محكم القرآن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قلتم فاعدلوا قال قولوا الحق

القول فى تأويل قوله ﴿وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى وصاكم به ربكم أيها الناس فى هاتين الآيتين من قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وأمركم بالوفاء به هو صراطه يعنى طريقه ودينه الذى ارتضاه لعباده مستقيما يعنى قويما لا اعوجاج به عن الحق فاتبعوه يقول فاعملوا به واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه فاتبعوه ولا تتبعوا السبل يقول ولا تسلكوا طريقا سواه ولا تركبوا منهجا غيره ولا تبغوا دينا خلافه من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان وغير ذلك من الملل فانها بدع وضلالات فتفرق بكم عن سبيله يقول فيشتت بكم ان اتبعتم السبل المحدثة التى ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان اتباعكم اياها عن سبيله يعنى عن طريقه ودينه الذى شرعه لكم وارتضاه وهو الاسلام الذى وصى به الأنبياء وأمر به الأمم قبلكم ذلكم وصاكم به يقول تعالى ذكره هذا الذى وصاكم به ربكم من قوله لكم ان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل وصاكم به لعلكم تتقون يقول لتتقوا الله فى أنفسكم فلا تهلكوها وتحذروا ربكم فيها فلا تسخطوه عليها فيحل بكم نقمته وعذابه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن

ابن

من ناروخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما (٦٥) ماووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون

ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال البدع والشبهات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تتبعوا السبل البدع والشبهات حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وقوله وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ونحو هذا في القرآن قال أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله يقول لا تتبعوا الضلالات حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حماد عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط عن يمين ذلك الخط وعن شماله خطوطا فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليها ثم قرأ هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله قال سبيله الاسلام وصراطه الاسلام نهاهم أن يتبعوا السبل سواه فتفرق بكم عن سبيله عن الاسلام حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبان أن رجلا قال لابن مسعود ما الصراط المستقيم قال تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه وطرفه في الجنة وعن يمينه جواد وعن يساره جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن أخذ في تلك الجواد انتهت به الى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به الى الجنة ثم قرأ ابن مسعود وان هذا صراطي مستقيما الآية * واختلفت القراء في قراءة قوله وان هذا صراطي مستقيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وأن بفتح الالف من أن وتشديد النون ردا على قوله أن لا تشركوا به شيأ بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن هذا صراطي مستقيما وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وان بكسر الالف من ان وتشديد النون منها على الابتداء وانقطاعها عن الاول اذ كان الكلام قد انتهى بالخبر عن الوصية التي أوصى الله بها عباده دونه عندهم والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مستفيضتان في قراء الامصار وعوام المسلمين صحيح معناهما فبأي القراءتين قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته وذلك أن الله تعالى ذكره قد أمر باتباع سبيله كما أمر عباده بالاشياء وان أدخل ذلك مدخل فيما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم وما أمركم به ففتح على ذلك أن فمصيب وان كسرها اذ كانت التلاوة قولا وان كان بغير لفظ القول لبعدها من قوله أتل وهو يريد اعمال ذلك فيه فمصيب وان كسرها بمعنى ابتداء وانقطاع عن الاول والتلاوة وأن ما أمر النبي

القراآت لأملأن بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله أعلم الوقوف الا ابليس ط لانه معرفة فلا تصلح الجملة صفة له الساجدين ٥ اذ أمرتك ط منه ج لانقطاع النظم مع اتحاد المقول طين ٥ الصاغرين ٥ يبعثون ٥ المنظرين ٥ المستقيم ٥ لا للعطف شمائلهم ط شاكرين ٥ مدحورا ط لان ما بعده ابتداء قسم محذوف أجمعين ٥ الظالمين ٥ الخالدين ٥ الناصحين ٥ بغرور ج لأن جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة ط لان الواو للاستئناف مبين ٥ أنفسنا سكتة للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين ٥ عدو ط لعطف المختلفين الى حين ٥ تخرجون ٥ التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا أن خلق أبانا آدم فجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكير النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا

من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة فى الارض مسجود الملائكة والغرض من الكل أن التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله فى سبعة مواضع فى البقرة وههنا وفى الحجر وفى سبحان وفى الكهف وفى طه وفى ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى * وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضى أن أمر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا

والامر فى الواقع بالعكس وأجاب المفسرون بوجوه منها أن المضاف محذوف أى خلقنا أباكم آدم طيناغيره صوّر ثم صورنا أباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلام أصل البشر نظيره قوله لبنى اسرائيل المعاصرين واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور أى ميثاق أسلافكم وقال صلى الله عليه وسلم ثم أنتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل وانما قتله أحدهم ومنها ان المراد من خلقناكم آدم ثم صورناكم أى صورنا ذرية آدم فى ظهره فى صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم أنا قلنا للملائكة ومنها أن الخلق فى اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيئته بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر فى هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى أثبت فى اللوح المحفوظ صورهم كما أنه أثبت صور كل كائن كما جاء فى الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة ثم بعد هذين الامرين أحدث الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رضى الله عنه وهذا التأويل عندى أقرب الوجوه فى تأويل هذه الآية وأما أن ابليس هل هو من الملائكة أم لا فقد تقدم فى أوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته أما قوله سبحانه (ما منعك أن لا تسجد) فظاهره يقتضى أنه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من ان السجود كما قال فى سورة ص ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رضى الله عنهم أقوال أولها وهو الاشهر أن لا صلة زائدة كما فى لا أقسم وكما فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم وهذا قول الكسائى والفراء والزجاج والاكثرين قال فى الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذى تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل فى لئلا يعلم ليتحقق علم أهل الكتاب وفى ما منعك أن لا تسجد ما منعك أن

صلى الله عليه وسلم بتلاوته على من أمر بتلاوة ذلك عليهم قد انتهى دون ذلك فصيب وقد قرأ ذلك عبد الله بن أبى اسحق البصرى وأن بفتح الألف من أن وتخفيف النون منها بمعنى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وأن هذا صراطى فخففها اذ كانت أن فى قوله أن لا تشركوا به شيأ مخففة وكانت أن من قوله وأن هذا صراطى معطوفة عليها فجعلها نظيرة ما عطفت عليه وذلك وان كان مذهبا فلا أحب القراءة به لشذوذها عن قراءة قراء الامصار وخلاف ما هم عليه فى أمصارهم ❊ القول فى تأويل قوله ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن وتفصيلا لكل شئ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ثم آتينا موسى الكتاب ثم قل بعد ذلك يا محمد آتى ربك موسى الكتاب فترك ذكر قل اذ كان قد تقدم فى أول القصة ما يدل على أنه مراد فيها ذلك قوله قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فقص ما حرم عليهم وأحل ثم قال ثم قل آتينا موسى فحذف قل لدلالة قوله قل عليه وانه مراد فى الكلام وانما قلنا ذلك مراد فى الكلام لان محمدا صلى الله عليه وسلم لا شك أنه بعث بعد موسى بدهر طويل وأنه انما أمر بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه بعد مبعثه ومعلوم أن موسى أوتى الكتاب من قبل أمر الله محمدا بتلاوة هذه الآيات على من أمر بتلاوتها عليه وثم فى كلام العرب حرف يدل على أن ما بعده من الكلام والخبر بعد الذى قبلها ثم اختلف أهل التأويل فى معنى قوله تماما على الذى أحسن فقال بعضهم معناه تماما على المحسنين ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن قال على المؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد تماما على الذى أحسن المؤمنين والمحسنين وكأن مجاهدا وجه تأويل الكلام ومعناه الى أن الله جل ثناؤه أخبر عن موسى أنه آتاه الكتاب فضيلة على ما آتى المحسنين من عباده فان قال قائل فكيف جاز أن يقال على الذى أحسن فيوحد الذى والتأويل على الذين أحسنوا قيل ان العرب تفعل ذلك خاصة فى الذى وفى الألف واللام اذا أرادت به الكل والجميع كما قال جل ثناؤه والعصر ان الانسان لفى خسر وكما قالوا أكثر الذى هم فيه فى أيدى الناس وقد ذكر عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذين أحسنوا وذلك من قراءته كذلك يؤيد قول مجاهد واذا كان المعنى كذلك كان قوله أحسن فعلا ماضيا فيكون نصبه لذلك وقد يجوز أن يكون أحسن فى موضع خفض غير أنه نصب اذ كان أفعل وأفعل لا يجرى فى كلامها فان قيل فبأى شئ خفض قيل ردا على الذى اذ لم يظهر له ما يرفعه فيكون تأويل الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى هو أحسن ثم حذف هو وجاور أحسن الذى فعرف بتعريفه اذ كان كالمعرفة من أجل أن الألف واللام لا يدخلانه والذى مثله كما تقول العرب مررت بالذى خير منك وشر منك وكما قال الراجز

تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعله أراد أن زيادة لا اشارة الى نفي ماعدا المذكور فليلزم منه تحقق المذكور وثانيها أن اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار أي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي أدينك أم عقلك أم حياؤك والمعنى أنه لم يوجد أحد هذه فما امتنعت من ضربي وثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع وأراد الداعي فكأنه قال ما دعاك الى أن لا تسجد لان مخالفة أمر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن (٦٧) الداعي اليها وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد وأقول يمكن ان لا يعلق قوله أن لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود أن لا تسجد أي لئلا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ماسببه (اذ أمرتك) أمر ايجاب وفائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على أن مجرد الامر يقتضي الوجوب والالم يترتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والالم يستوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استأنف اللعين قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه أن مثله مستبعد أن يؤمر بما أمر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال (أنا خير منه) ثم بين هذه المقدمة بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أفضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الأجرام اللطيفة كلها وأيضا النار قوية التأثير والفعل والارض ليس فيها الا القبول والانفعال والفعل أشرف من الانفعال وأيضا النار مناسبة للحرارة الغريزية وهي مادة الحياة والنضج وأما الارضية فالبرد واليبس تناسب الموت والحياة أشرف من الموت وأيضا فبين التميز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كانت أفضل أوقات عمر الحيوان بخلاف وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية والمخلوق من الافضل أفضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع وأما أن الأشرف لا يجوز أن يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه شبهة ابليس والمقدمات بأسرها ممنوعة أما أن النار أفضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوائد ليست لغيره وكل منها ضروري في الوجود وفي

ان الزبيري الذي مثل الحلم * مسى (١) بأسلابكم أهل العلم

فأتبع مثل الذي في الاعراب ومن قال ذلك لم يقل مررت بالذي عالم لان عالما نكرة والذي معرفة ولا تتبع نكرة معرفة * وقال آخرون معنى ذلك تماما على الذي أحسن موسى فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن فيما أعطاه الله حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال من أحسن في الدنيا تمم الله له ذلك في الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن يقول من أحسن في الدنيا تمت عليه كرامة الله في الآخرة وعلى هذا التأويل الذي تأوله الربيع يكون أحسن نصبا لأنه فعل ماض والذي بمعنى ما وكان الكلام حينئذ ثم آتينا موسى الكتاب تماما على ما أحسن موسى أي آتيناه الكتاب لاتمم له كرامتي في الآخرة تماما على احسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته * وقال آخرون في ذلك معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما على احسان الله الى أنبيائه وأياديه عندهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن قال تماما من الله واحسانه الذي أحسن اليهم وهداهم للاسلام وآتاهم ذلك الكتاب تماما لنعمته عليهم واحسانه وأحسن على هذا التأويل أيضا في موضع نصب على أنه فعل ماض والذي على هذا القول والقول الذي قاله الربيع بمعنى ما وذكر عن يحيى بن يعمر أنه كان يقرأ ذلك تماما على الذي أحسن رفعا بتأويل على الذي هو أحسن حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا الحجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء عن يحيى بن يعمر «قال أبو جعفر» وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها وان كان لها في العربية وجه صحيح لخلافها ما عليه الحجة مجمعة من قرأة الامصار * وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه ثم آتينا موسى الكتاب تماما لنعمنا عنده على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهر معانيه في الكلام وأن ايتاء موسى كتابه نعمة من الله عليه ومنة عظيمة فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحسن طاعة ولو كان التأويل على ما قاله ابن زيد كان الكلام ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسنا أو ثم آتى الله موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وفي وصفه جل ثناؤه نفسه بايتائه الكتاب ثم صرفه الخبر بقوله أحسن الى غير المخبر عن نفسه بقرب ما بين الخبرين الدليل الواضح على أن القول غير القول الذي قاله ابن زيد وأما ما ذكر عن مجاهد من توجيهه الذي الى معنى الجميع فلا دليل في الكلام يدل على صحة ما قال من ذلك بل ظاهر الكلام بالذي اخترنا من القول أشبه واذا تنوزع في تأويل الكلام كان

(١) في نسخة بأسلافكم بالفاء ولم نعثر على البيت حرره كتبه مصححه

التركيب فلكل فضيلة فى مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تأمل ماذكرناه فى تفسير قوله سبحانه وتعالى الذى جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم أن طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن فى النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار والترفع وفى الارض الا الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلامه وأما ان المخلوق من الافضل أفضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة (٦٨) المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان من النار والتكليف يتناول الحى بعد انتهائه الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال صلى الله عليه وسلم ائتونى بأعمالكم ولا تأتونى بانسابكم ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى كلام الحكماء العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت أن دعوى اللعين فى قوله أنا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل للمفضول تواضعا واسقاطا لحق النفس ولم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال أو لتشريف المفضول والرفع من مقداره قالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس أخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول فى جملة المتكبرين على الله فدل ذلك على أنه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس انه كانت الطاعة بابليس أولى من القياس فعصى ربه وقاس وأول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشئ من رأيه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن أن يجاب بأنه انما استحق الذم لان قياسه كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح أمر من كان مخلوقا من النار بسجوده لمن كان مخلوقا من الارض لكان قبح أمر من كان مخلوقا من النور المحض بسجوده لمن هو مخلوق من الارض أولى ويحتمل أن يزيف هذا الجواب بأن التشريف على اذا رضى بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وحينئذ لا يقبح أمره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا بأس وأما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح أمره بالسجود فقياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص النص بالقياس كما ادعينا (قال) أى الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف أو قال على لسان بعض ملائكته (فاهبط) يعنى اذ لم تمتثل أمرى فاهبط (منها)

أولى معانيه به أغلبه على الظاهر الا أن يكون من العقل أو الخبر دليل واضح على أنه معنى به غير ذلك وأما قوله وتفصيلا لكل شئ فانه يعنى وتبيينا لكل شئ من أمر الدين الذى أمروا به فتأويل الكلام اذا ثم آتينا موسى التوراة تماما لنعمنا عنده وأياديناقبله تتم به كرامتنا عليه على احسانه وطاعته ربه وقيامه بما كلفه من شرائع دينه وتبيينا لكل ما لقومه وأتباعه اليه الحاجة من أمر دينهم كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتفصيلا لكل شئ فيه حلاله وحرامه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره آتينا موسى الكتاب تماما وتفصيلا لكل شئ وهدى يعنى بقوله وهدى تقويما لهم على الطريق المستقيم وبيانا لهم سبل الرشاد لئلا يضلوا ورحمة يقول ورحمة منا بهم ورأفة لننجيهم من الضلالة وعمى الحيرة وأما قوله لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون فانه يعنى ايتائى موسى الكتاب تماما لكرامة الله موسى على احسان موسى وتفصيلا لشرائع دينه وهدى لمن اتبعه ورحمة لمن كان منهم ضالا لينجيه الله به من الضلالة وليؤمن بلقاء ربه اذا سمع مواعظ الله التى وعظ بها خلقه فيه فيرتدع عما هو عليه مقيم من الكفر به وبلقائه بعد مماته فيطيع ربه ويصدق بما جاءه به نبيه موسى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهذا القرآن الذى أنزلناه الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه يقول فاجعلوه اماما تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس واتقوا يقول واحذروا الله فى أنفسكم أن تضيعوا العمل بما فيه وتتعدوا حدوده وتستحلوا محارمه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا كتاب أنزلناه مبارك وهو القرآن الذى أنزله الله على محمد عليه السلام فاتبعوه يقول فاتبعوا حلاله وحرموا حرامه وقوله لعلكم ترحمون يقول لترحموا فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين﴾ اختلف أهل العربية فى العامل فى أن التى فى قوله أن تقولوا وفى معنى هذا الكلام فقال بعض نحويى البصرة (١) معنى ذلك ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذى أحسن كراهية أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا * وقال بعض نحويى الكوفة بل ذلك فى موضع نصب بفعل مضمر قال ومعنى الكلام فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اتقوا ان تقولوا قال ومثله بقول الله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون * وقال آخرون منهم هو فى موضع نصب قال ونصبه من مكانين أحدهما أنزلناه لئلا يقولوا انما أنزل الكتاب على والآخر من قوله اتقوا قال ولا يصلح فى موضع أن كقوله يبين الله لكم أن تضلوا * وأولى هذه الاقوال عندى بالصواب قول من قال نصب ان لتعلقها بالانزال لان معنى الكلام وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا تقولوا انما أنزل الكتاب

---

(١) الذى فى الفخر أنزلناه «أى القرآن» كراهة أن تقولوا اه وهو الظاهر من المقام تأمل

قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا فى جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة أمر بالهبوط من السماء التى هى مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التى هى مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون) فما يصح (لك أن تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من أهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا أهين وفى ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار كما قال النبى صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرنى الى يوم (٦٩) يبعثون) طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده أنه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل (قال) مطلقا (انك من المنظرين) قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله فى موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم أى اليوم الذى يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال آخرون لم يوقت الله تعالى له أجلا والمراد الوقت المعلوم فى علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز أن يعلم أجله لانه يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب أجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصى فيكون قبيحا أجاب الاولون بأن من علم الله تعالى من حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء أو على الكفر والمعاصى كابليس فان اعلامه بوقت أجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا يتفاوت حاله بسبب ذلك التعريف والاعلام (قال فبما أغويتنى) الاغواء ضد الارشاد وأصل الغى الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض فى جوفه من كثرة شرب اللبن ولا يمكن أن يتعلق الباء بقوله لأقعدن لان لام القسم تأبى ذلك لا يقال والله بزيد لأمرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام وحرف النفى الذى هو ما وهى تعمل من حيث المعنى لا من حيث اللفظ فكأنها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شئ من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف وما مصدرية تقديره فبما أغويتنى أى فبسبب اغوائك اياى أقسم ويجوز أن تكون الباء للقسم أى فأقسم باغوائك لأقعدن ومعنى القسم بالاغواء انه من جملة آثار القدرة أى بقدرتك على ونفاذ سلطانك فى لأقعدن وقال فى الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضا للسعادة الأبدية فكان جديرا بأن يقسم به وهذا يناسب أصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف بصفات الذات

على طائفتين من قبلنا فأما الطائفتان اللتان ذكرهما الله وأخبر أنه انما أنزل كتابه على نبيه محمد لئلا يقول المشركون لم ينزل علينا كتاب فنتبعه ولم نؤمر ولم ننه فليس علينا حجة فيما نأتى ونذر اذ لم يأت من الله كتاب ولا رسول وانما الحجة على الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا فانهما اليهود والنصارى وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى نخاف ان تقوله قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا قال اليهود والنصارى قال ان تقول قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وهم اليهود والنصارى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أما الطائفتان فاليهود والنصارى وأما وان كنا عن دراستهم لغافلين فانه يعنى أن تقولوا وقد كنا عن تلاوة الطائفتين الكتاب الذى أنزلت عليهم غافلين لا ندرى ما هى ولا نعلم ما يقرؤن وما يقولون وما أنزل اليهم فى كتابهم لانهم كانوا أهله دوننا ولم نعن به ولم نؤمر بما فيه ولا هو بلساننا فيتخذوا ذلك حجة فقطع الله بانزاله القرآن على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حجتهم تلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن تلاوتهم لغافلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كنا عن دراستهم لغافلين أى عن قراءتهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان كنا عن دراستهم لغافلين قال الدراسة القراءة والعلم وقرأ ودرسوا ما فيه قال علموا ما فيه لم يأتوه بجهالة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان كنا عن دراستهم لغافلين يقول وان كنا عن قراءتهم لغافلين لا نعلم ما هى ❁ القول فى تأويل قوله ﴿أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ يقول تعالى ذكره وهذا كتاب أنزلناه مبارك لئلا يقول المشركون من عبدة الاوثان من قريش انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا أو لئلا يقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا فأمرنا بما فيه ونهينا وبين لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه لكنا أهدى منهم أى لكنا أشد استقامة على طريق الحق واتباعا للكتاب وأحسن عملا بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا يقول الله فقد جاءكم بينة من ربكم يقول فقد جاءكم كتاب بلسانكم

كالقدرة والعظمة والجلال والعزة عين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعنى بصفات الفعل ما يجوز أن يوصف بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب وقال بعضهم ما للاستفهام كأنه قيل بأى شئ أغويتنى ثم ابتدأ فقال لأقعدن ويرد على هذا القول أن اثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس أضاف الاغواء ههنا الى الله وفى قوله فبعزتك لاغوينهم أضاف الاغواء الى نفسه والاول يدل على (٧٠) الجبر والثانى على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا فى هذه المسئلة أجابت المعتزلة عن قوله فبما أغويتنى بأن قول ابليس واعتقاده ليس بحجة أو المراد انه تعالى لما أمره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى أضاف الغى الى الله وقد يقال لا تحملنى على ضربك أى لا تفعل ما أضربك عنده أو المراد بالاغواء الاهلاك واللعن وقالت الأشاعرة نحن لا ننازع فى أن المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيفما كان يرجع الى حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا أنا نقطع بأن الغاوى لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها غواية والدور أو التسلسل محال فلا بد أن ينتهى الى خالق الكل وهو المقصود أما قوله (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) فانتصابه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه ۞ فيه كما عسل الطريق الثعلب

قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن أى على الظهر والبطن والمراد لأعترضن لهم أى لبنى آدم المذكورين فى قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل أنه يواظب على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من أراد المبالغة فى تكميل أمر من الأمور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود ۞ واعلم ان العلماء اختلفوا فى أن كفر ابليس كفر عناد أو كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن قائل بالثانى لقوله فبما أغويتنى فدل ذلك على انه اعتقد ان الذى هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده ورد بأنه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب وهو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب بأنه أراد بالاغواء أيضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة فى الآية دلالة

عربى مبين حجة عليكم واضحة بينة من ربكم وهدى يقول وبيان للحق وفرقان بين الصواب والخطا ورحمة لمن عمل به واتبعه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم يقول قد جاءكم بينة لسان عربى مبين حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين وحين قلتم لو أن علينا كتاب لكنا أهدى منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فهذا قول كفار العرب فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾ يقول جل ثناؤه فمن أخطأ فعلا وأشد عدوانا منكم أيها المشركون المكذبون بحجج الله وأدلته وهى آياته وصدف عنها يقول وأعرض عنها بعدما أتته فلم يؤمن بها ولم يصدق بحقيقتها وأخرج جل ثناؤه الخبر بقوله فمن أظلم ممن كذب بآيات الله مخرج الخبر عن الغائب والمعنى به المخاطبون به من مشركى قريش وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله وصدف عنها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وصدف عنها يقول أعرض عنها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يصدفون عن آياتنا يعرضون عنها والصدف الاعراض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصدف عنها أعرض عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون أى يعرضون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وصدف عنها فصد عنها وقوله سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب يقول سيثيب الله الذين يعرضون عن آياته وحججه ولا يتدبرونها ولا يتعرفون حقيقتها فيؤمنوا بما دلتهم عليه من توحيد الله وحقية نبوة نبيه وصدق ما جاءهم به من عند ربهم سوء العذاب يقول شديد العقاب وذلك عذاب النار التى أعدها الله لكفرة خلقه به بما كانوا يصدفون يقول يفعل الله ذلك بهم جزاء بما كانوا يعرضون عن آياته فى الدنيا فلا يقبلون ما جاءهم به نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك﴾ يقول جل ثناؤه هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الاوثان والاصنام الا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم أو أن يأتيهم ربك يا محمد بين خلقه فى موقف القيامة أو يأتى بعض آيات ربك يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال من أهل التأويل ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا أن تأتيهم الملائكة يقول عند الموت حين توفاهم أو يأتى ربك ذلك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك طلوع الشمس من مغربها

حدثنا

على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد فى دينه ولا فى دنياه والا لم يمهل ابليس حين استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الأنبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى الكفر والضلال ثم انه أمات الأنبياء وأبقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه أن يفعل ذلك قال الجبائى فى دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله أحد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل أيضا بدليل قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به أحد لكان بقاؤه مفسدة وقال أبو هاشم يجوز أن يضل به قوم ويكون خلقه جاريا مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة فى الثواب وضعف قول الجبائى بأنا نعلم بالضرورة أن الانسان اذا جلس عنده جلساء السوء وحسنوا فى عينه أمرا من الأمور مرة بعد أخرى فانه لا يكون حاله فى الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا الشيطان المزين للقبائح فى قلوب الكفار والفساق وزيف قول أبى هاشم بأن خلق الزيادة فى الشهوة حجة أخرى لنا فى أنه تعالى لا يراعى المصلحة وتقرير الحجة أن خلق تلك الزيادة يوقع فى الكفر وعقاب الأبد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته أن يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة شئ لا حاجة اليه والأهم رفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الأهم لطلب الزيادة التى لا ضرورة اليها أما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه أحدها (من بين أيديهم) أى أشككهم فى صحة البعث والقيامة (ومن خلفهم) ألقى اليهم أن الدنيا قديمة أزلية وثانيها من بين أيديهم أنفرهم عن الرغبة فى سعادات الآخرة ومن خلفهم أقوى رغبتهم فى لذات الدنيا وطيباتها فالآخرة بين أيديهم لانهم يردون عليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدى من بين أيديهم يعنى الدنيا لانها بين يدى الانسان وانه يشاهدها ومن خلفهم الآخرة لانها تأتى بعد ذلك وأما قوله (وعن ايمانهم وعن شمائلهم) فقيل عن أيمانهم فى الكفر والبدعة وعن شمائلهم فى أنواع المعاصى وقيل عن ايمانهم فى الصرف عن الحق وعن شمائلهم فى الترغيب فى الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم أقوى دواعيهم الى السيآت قال ابن الانبارى وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلنى عن يمينك أى من المقدمين

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا أن تأتيهم الملائكة بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك قال آية موجبة طلوع الشمس من مغربها أو ما شاء الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة يقول بالموت أو يأتى ربك وذلك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة عند الموت أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يقول طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله فى قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك قال يصبحون والشمس والقمر من ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد ابن حميد فى حديثه فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا وقال كالبعيرين المقترنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة تقبض الانفس بالموت أو يأتى ربك يوم القيامة أو يأتى بعض آيات ربك

﴿﴾ القول فى تأويل قوله ﴿يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا﴾ يقول تعالى ذكره يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركا بالله أن يؤمن بعد مجىء تلك الآية وقيل ان تلك الآية التى أخبر الله جل ثناؤه أن الكافر لا ينفعه ايمانه عند مجيئها طلوع الشمس من مغربها ذكر من قال ذلك وما ذكر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى عيسى بن عثمان الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل وجرير عن عمارة عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها قال فاذا رآها الناس آمن من عليها فتلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكرى واسحق بن شاهين قالا أخبرنا خالد بن عبد الله الطحان عن يونس عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أتدرون أين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله أعلم قال انها تذهب الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى الى أن تنتهى الى مستقر لها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعى من حيث شئت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجرى لا ينكر الناس منها شيأ حتى تنتهى فتخر ساجدة فى مستقر لها تحت العرش فيصبح الناس لا ينكرون منها شيأ فيقال لها اطلعى من مغربك فتصبح طالعة

ولا تجعلني عن شمالك أي من المؤخرين وعن الاصمعي هو عندنا باليمين أي بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى أربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية احداها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين أيديهم وثانيتها القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثتها الشهوة ومحلها الكبد التي عن يمين البدن ورابعتها الغضب ومنشؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة مالم تستعن بشئ من هذه القوى الاربع لم تقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين أيديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات أو في الصفات كشبه المجسمة واما في الافعال كشبه المعتزلة في التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه وبحضرمنه فيعتقد أن الغائب مثل الشاهد ومن خلفهم شبهات أهل التعطيل لان هذه باراء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المأمورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات وعن شقيق رضي الله عنه مامن صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لاتخف ان الله غفور رحيم فأقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأما من خلفي فيخوفني من وقوع أولادي في الفقر فاقرأ ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها وأما من يميني فيأتيني من قبل النساء فأقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين مايشتهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود قريبا في الطريق والرصد من الجهات مثل الوسوسة اليهم وتسويله بكل مايمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك * بقي ههنا بحث وهو انه تعالى كيف قال من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد تختلف حروف الظروف كما تختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على

من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون أي يوم ذلك قالوا الله ورسوله أعلم قال ذاك يوم لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** مؤمل بن هشام ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية عن يونس عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن عاصم عن زر عن صفوان بن عسال قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من قبل مغرب الشمس بابا مفتوحا للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه فاذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** المفضل بن اسحق قال ثنا أشعث بن عبد الرحمن بن زبيد اليامي عن أبيه عن زبيد عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي قال ذكرت التوبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عاما أو أربعين عاما فلا يزال كذلك حتى يأتي بعض آيات ربك **حدثني** محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال أنه قال ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما فاذا طلعت الشمس من مغربها لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمن من عليها فذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيومئذ يؤمن الناس كلهم أجمعون وذلك حين لاينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي عون عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال التوبة مقبولة مالم تطلع الشمس من مغربها **حدثنا** أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا سليمن بن عبد الرحمن قال ثنا ابن عياش قال ثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن مالك بن يخامر عن معاوية بن أبي سفيان وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاتزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو أسامة وجعفر بن عون بنحوه **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي حيان التيمي عن أبي زرعة قال جلس ثلاثة من المسلمين الى مروان بن الحكم بالمدينة فسمعوه وهو يحدث عن الآيات ان أولها خروج الدجال فانصرف القوم الى عبد الله ابن عمرو فحدثوه بذلك فقال لم يقل مروان شيأ قد حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شيأ لم أنسه لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها أو خروج الدابة على الناس ضحى أيتهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على أثرها

انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن أنه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي و يبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقال بعض المفسرين (٧٣) خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد والمباينة وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد أن يتباعد عن الملك ولا كذلك حال القدام والخلف وقالت الحكماء من بين أيديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن أيمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب والناشئ منهما الأفعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على أنهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن وأما في الظاهر فقد روى ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليه من الجهات فأوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهتا الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة ؛ قال القاضي هذا

القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه أن يدخل في بدن ابن آدم ويخالطه لانه لو أمكنه ذلك لكان بأن يذكره في باب المغالبة أحق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم أما قوله (ولا تجد أكثرهم شاكرين) فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف وأجاب بعضهم بأنه كان قد رآه في اللوح المحفوظ فقال على سبيل القطع واليقين وقال آخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدقه الله

قريبا ثم قال عبد الله بن عمرو وكان يقرأ الكتب أظن أولهما خروجا طلوع الشمس من مغربها وذلك أنها كلما غربت أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فيؤذن لها في الرجوع حتى اذا بدا لله أن تطلع من مغربها فعلت كما كانت تفعل أتت تحت العرش فسجدت واستأذنت في الرجوع فلم يرد عليها شيأ فتفعل ذلك ثلاث مرات لا يرد عليها بشئ حتى اذا ذهب من الليل ماشاء الله أن يذهب وعرفت أن لو أذن لها لم تدرك المشرق قالت ما أبعد المشرق رب من لي بالناس حتى اذا صار الافق كأنه طوق استأذنت في الرجوع فقيل لها اطلعي من مكانك فتطلع من مغربها ثم قرأ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا حماد عن يحيى بن سعيد أبي حيان عن الشعبي ان ثلاثة نفر دخلوا على مروان بن الحكم فذكر نحوه عن عبد الله بن عمرو حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سمعت عاصم بن أبي النجود يحدث عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرة سبعين عاما لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن حجاج عن عاصم عن زر بن حبيش عن صفوان ابن عسال قال اذا طلعت الشمس من مغربها فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثني المثنى قال ثنا أبو ربيعة فهد قال ثنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال غدونا الى صفوان بن عسال فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه مسيرة سبعين عاما فلا يزال مفتوحا حتى تطلع من قبله الشمس ثم قرأ هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك الى خيرا حدثني الربيع بن سليمان قال ثنا شعيب بن الليث قال ثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن عبد الرحمن بن هرمز أنه قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من المغرب قال فاذا طلعت الشمس من المغرب آمن الناس كلهم وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن ابن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها قبل منه حدثني المثنى قال ثنا فهد قال ثنا حماد عن يونس بن عبيد عن ابراهيم بن يزيد التيمي عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت أتت تحت العرش فسجدت فيقال لها اطلعي من حيث غربت ثم قرأ هذه الآية هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة الى آخر الآية حدثني المثنى قال ثنا يزيد بن هرون عن سفيان بن حسين عن الحكم عن ابراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال كنت ردف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين غربت فقال انها تغرب في عين حمئة تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى يأذن لها فاذا أراد أن يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غربت فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن

تعالى فى ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادى الشكور وقيل ان النفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع الكامنة وهى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهى بأسرها تدعو النفس الى عالم الجسم وأما التى تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهى العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة أكثر من استيلاء واحدة لاسيما وهى فى أول الخلقة تكون قوية (٧٤) والعقل يكون ضعيفا وهى بعد قوتها يعسر جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين (قال) الله تعالى فى جوابه اذا كان هذا عزمك فـ(اخرج منها مذؤما مدحورا) الذام العيب والذأم يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفى المثل لا تعدم الحسناء ذاما واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و(لأملأن) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم فغلب ضمير المخاطب كما فى قوله انكم قوم تجهلون أى انكم وانهم على هذا فقوله لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره * قال القاضى كما أن الكافر يتبعه كذلك الفاسق يتبعه فلذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار وأجيب بشرط عدم العفو قوله (ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الآية فيها من المسائل ان قوله اسكن امر تعبد أو أمر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف وأن زوج آدم هى حواء وأن تلك الجنة كانت جنة الخلد أو جنة من جنان السماء أو جنة من جنان الارض وان قوله وكلا أمر اباحة لا أمر تكليف وأن قوله ولا تقربا نهى تنزيه أو نهى تحريم وأن الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص أو بالنوع وانها أى شجرة كانت وأن ذلك الذنب كان صغيرا أو كبيرا وأن الظلم فى قوله فتكونا من الظالمين بأى معنى هو وأن هذه الواقعة وقعت قبل نبوة آدم أو بعدها ونحن قد قضينا الوطر عن جميعها فى سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة (فوسوس لهما الشيطان) الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب والمصدر الوسواس أيضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ومعنى وسوس اليه ألقاها اليه أى تكلم معه كلاما خفيا يكرره (ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوآتهما) قيل اللام لام العاقبة

آمنت من قبل حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة عن موسى بن المسيب عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال نظر النبى صلى الله عليه وسلم يوما الى الشمس فقال يوشك أن تجىء حتى تقف بين يدى الله فيقول ارجعى من حيث جئت فعند ذلك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فهو انه لا ينفع مشركا ايمانه عند الآيات وينفع أهل الايمان عند الآيات ان كانوا اكتسبوا خيرا قبل ذلك قال ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية من العشيات فقال لهم يا عباد الله توبوا الى الله فانكم توشكون أن تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك حبست التوبة وطوى العمل وختم الايمان فقال الناس هل لذلك من آية يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم والليل مكانه لم ينقض ثم يأتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا رأوا ذلك خافوا أن يكون ذلك بين يدى أمر عظيم فاذا أصبحوا وطال عليهم طلوع الشمس فبيناهم ينتظرونها اذ طلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن صالح مولى التوأمة عن أبى هريرة أنه سمعه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا كلهم أجمعون فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها الآية * وبه قال حدثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى ابن أبى عتيق انه سمع عبيد بن عمير يتلو يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال يقول فتحدث والله أعلم أنها الشمس تطلع من مغربها * قال ابن جريج وأخبرنى عمرو بن دينار أنه سمع عبيد بن عمير يقول ذلك * قال ابن جريج وأخبرنى عبد الله بن أبى مليكة أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الآية التى لا ينفع نفسا ايمانها اذا طلعت الشمس من مغربها * قال ابن جريج وقال مجاهد ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شعبة عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن زرارة بن أوفى عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى وعبد الوهاب ابن عوف عن ابن سيرين قال ثنى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود قال كان عبد الله بن مسعود يقول ما ذكر من الآيات فقد مضين غير أربع طلوع الشمس من مغربها ودابة الارض والدجال وخروج يأجوج ومأجوج والآية التى تختم بها الاعمال طلوع الشمس من مغربها ألم تر أن الله قال يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا

لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما آل أمرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط
الجاه الذى كان غرضه أو لعله رأى فى اللوح المحفوظ أو سمع من الملائكة انه اذا أكل من الشجرة بدت عورته وفى ذلك سقوط حشمته وقوله
وورى مجهول وارى أى ستر والسوأة فرج الرجل والمرأة ثم بين وسوسة ابليس بانه (قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين)
أى الا كراهة أن تكونا ملكين الى قوله انى لكما لمن الناصحين * سؤال كيف يطمع (٧٥) ابليس آدم فى أن يكون ملكا عند الا كل
من الشجرة مع انه شاهد الملائكة
ساجدين معترفين بفضله والجواب
بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت
بعد النبوة وبعد سجود الملائكة له
ان هذا أحد ما يدل على ان الملائكة
الذين سجدوا لآدم هم ملائكة
الارض أما ملائكة السموات وملائكة
العرش والكرسى والملائكة المقربون
فما سجدوا البتة لآدم والا كان هذا
التطميع فاسدا أو ربما يجاب بأنه
أراد انه يصير مثل الملك فى البقاء والدوام
وزيف بلزوم التكرار من قوله أو
تكونا من الخالدين قال الواحدى
كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر
اللام كأن الملعون أتاهما من جهة
الملك كقوله هل أدلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واعترض بأنه
لا نزاع فى هذه القراءة الشاذة وانما
النزاع فى القراءة المشهورة ويمكن ان
يجاب بأن آدم لعله رغب فى أن يصير
من الملائكة فى القدرة والقوة
والبطش والخلقة بأن يصير
جوهرا نورانيا مقره العرش والكرسى
نقل أن عمرو بن عبيد قال للحسن
ان آدم وحواء هل صدقاه فى قوله
فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه
لكانا من الكافرين أراد الحسن
ان تصديق الخلود يوجب انكار
البعث والقيامة وانه كفر ويمكن أن
يقال لو أراد بالخلود طول المكث لم
يلزم التكفير ولو سلم أن الخلود مفسر
بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام
من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعى لم يصل الى آدم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على
ان التصديق لم يوجد من آدم لا قطعا ولا ظنا وانما أقدما على الا كل لغلبة الشهوة كما نجد من أنفسنا عند الشهوة أن نقدم على الفعل اذا زين
لنا الغير ما نشتهيه وان لم نعتقد ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم أن الترغيب كان فى مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر
انه على طريقة التخيير * سؤال المقاسمة من الجانبين فكيف يتصور التقاسم بين آدم وابليس والجواب كأنه قال لهما وأقسم بالله انى لكما ناصح

خيرا قال فهى طلوع الشمس من مغربها حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة
عن سليمن عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كأنهما بعيران مقرونان * قال شعبة وحدثنا
قتادة عن زرارة عن عبد الله بن مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها
حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن
مسعود يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر كالبعيرين المقترنين
حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور والاعمش عن أبى الضحى عن مسروق
عن عبد الله يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال طلوع الشمس من مغربها مع القمر
كالبعيرين القرينين * وقال ثنا أبى عن اسرائيل وأبيه عن أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه
عن عبد الله قال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال
ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن ابن أم عبد كان يقول لا يزال باب التوبة مفتوحا حتى تطلع
الشمس من مغربها فاذا رأى الناس ذلك آمنوا وذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من
قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا بشر قال ثنا عبد الله بن جعفر قال ثنا العلاء
ابن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة
حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت آمن الناس كلهم فيومئذ لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن
دينار عن عبيد بن عمير يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال حدثنا
أبى عن الحسن بن عقبة أبى كبران عن الضحاك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال
طلوع الشمس من مغربها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل
قال أخبرنى أشعث بن أبى الشعثاء عن أبيه عن ابن مسعود فى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن
آمنت من قبل قال لا تزال التوبة مبسوطة ما لم تطلع الشمس من مغربها حدثنى محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم يأتى بعض آيات
ربك قال طلوع الشمس من مغربها حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال
أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه كان يقول فى هذه الآية يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل يقول اذا جاءت الآيات لم ينفع نفسا ايمانها يقول طلوع الشمس
من مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عاصم بن أبى
النجود عن زر بن حبيش عن صفوان بن عسال يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من
مغربها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن وهب
ابن جابر عن عبد الله بن عمرو يوم يأتى بعض آيات ربك قال طلوع الشمس من مغربها * وقال
آخرون بل ذلك بعض الآيات الثلاث الدابة و يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها

وقالا له نقسم بالله انك ان صدقت ناصح أو اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم (فدلاهما بغرور) أي أوقعهما فيما أراد من تغرير وأصله ان الرجل العطشان يدلي رجله في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه وقيل أي جرأهما على أكل الشجرة من قولهم فلان يدل على أقرانه في الحرب كالبازي يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين

وكان آدم يظن ان لا يحلف أحد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من بعض عبيده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) فيه دلالة على انهما تناولا اليسير قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في آية أخرى فأكلا منها لم يدل على الأكل لان الذوق قد يكون من غير أكل (بدت لهما سوآتهما) ظهرت عوراتهما أي عورتاهما مثل صغت قلوبكما مكان قلبا كما (وطفقا يخصفان) أخذا في الفعل وهو الخصف ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج أي يجعلان ورقة على ورقة ليستترا بهما كما تخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق التين وفيه دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم ألا ترى أنهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة (ألم أنهكما) عتاب من الله وتوبيخ وباقي الآيات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير أسرار المتشابهات الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس مالك حذف المنادى في هذه أن السورة لان مضى ذكره هنا أقرب فلم يحتج الى اعادة اسم العين بالنداء قوله ما منعك أن لا تسجد وفي ص ما منعك أن تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في هذه السورة لانه لما حذف النداء ازداد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بأن المخاطب به ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما منعك أن تسجد ومالك أن لا تسجد وحذف أن تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جعفر بن عون عن المسعودي عن القاسم قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث ما لم تطلع الشمس من مغربها أو الدابة أو فتح يأجوج ومأجوج حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال قال عبد الله التوبة معروضة على ابن آدم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة وطلوع الشمس من مغربها وخروج يأجوج ومأجوج حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن عامر عن عائشة قالت اذا خرج أول الآيات طرحت الاقلام وحبست الحفظة وشهدت الاجساد على الاعمال حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أبيه عن أبي حازم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجت لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا معاوية بن عبد الكريم قال ثنا الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة الارض وخويصة أحدكم وأمر العامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر ان نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فذكر نحوه *

وأولى الاقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها وأما قوله أو كسبت في ايمانها خيرا فانه يعني أو عملت في تصديقها بالله خيرا من عمل صالح تصدق قيله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لا ينفع كافرا لم يكن آمن بالله قبل طلوعها كذلك ايمانه بالله ان آمن وصدق بالله ورسله لانها حالة لا تمتنع نفس من الاقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله فحكم ايمانهم كحكم ايمانهم عند قيام الساعة وتلك حال لا يمتنع الخلق من الاقرار بوحدانية الله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم الى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار ولا ينفع من كان بالله وبرسله مصدقا ولفرائض الله مضيعا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة اذا هي طلعت من مغربها أعماله ان عمل وكسبه ان اكتسب لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا يقول كسبت في تصديقها خيرا عملا صالحا فهؤلاء أهل القبلة وان كانت مصدقة ولم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية لم يقبل منها وان عملت قبل الآية خيرا ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها قال من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع ايمانه قبل الله منه العمل بعد نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك ۞ القول في تأويل قوله (قل انتظروا إنا منتظرون) يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام انتظروا

مامنعك أن لاتسجد قوله أنا خير منه الآية في ص مثله كلاهما في جواب مامنعك ظاهر الآية وزاد في الحجر لفظ الكون فقال لم أكن لأسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث قيل مالك أن لا تكون مع الساجدين قوله أنظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر رب فأنظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح الاسم اقتصر ههنا أيضا على الخطاب دون ذكر المنادى بخلاف السورتين وأما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلأن داعية الفاء ما تضمنه النداء من أدعو وأنادى نحو قوله ربنا فاغفر أي (٧٧) أدعوك فاغفر فلما حذف النداء في هذه السورة تركت الفاء وكذلك من قوله انك من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما أغويتني وفي الحجر رب بما أغويتني بزيادة النداء ليوافق ماقبله وزاد في هذه السورة الفاء وكذا في ص فبعزتك لأغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤما ليس في القرآن غيره وانما اختص هذا الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لأقعدن لهم الى آخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذا الذام أشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ الموضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى اجمعا بين الاقامة فيها والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تأخير الأكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض الافاضل في الجواب عن هذه المسائل ان اقتصاص ما مضى اذا لم يقصد به أداء الالفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا أدى المعنى المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى السحر والله أعلم ۞ التأويل ولقد خلقناكم أرواحكم ثم صورناكم أي خلقنا الارواحكم أجسادا كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بألفي ألف عام ولتصوير الاجساد بداية وهي قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسط يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهاية هي حالة الكهولية في الاغلب ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وأنتم في صلبه وهذا من التمكين أيضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولائتمارهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود لما فيه من الاستكبار الناري قال مامنعك خطاب

أن تأتيكم الملائكة بالموت فتقبض أرواحكم أو أن يأتي ربكم لفصل القضاء بيننا وبينكم في موقف القيامة أو أن يأتيكم طلوع الشمس من مغربها فتطوى صحف الاعمال ولا ينفعكم ايمانكم حينئذ ان آمنتم حتى تعلموا حينئذ المحق منا من المبطل والمسيء من المحسن والصادق من الكاذب وتتبينوا عند ذلك بمن يحيق عذاب الله وأليم نكاله ومن الناجي منا ومنكم ومن الهالك انا منتظرو ذلك ليجزل الله لنا ثوابه على طاعتنا اياه واخلاصنا العبادة له وافرادناه بالربوبية دون ماسواه ويفصل بيننا وبينكم بالحق وهو خير الفاصلين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ اختلف القراء في قراءة قوله فرقوا فروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن دينار أن عليا رضي الله عنه قرأ ان الذين فارقوا دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير قال قال حمزة الزيات قرأها علي رضي الله عنه فارقوا دينهم * وقال ثنا الحسن بن علي عن سفيان عن قتادة فارقوا دينهم وكأن عليا ذهب بقوله فارقوا دينهم خرجوا فارتدوا عنه من المفارقة وقرأ ذلك عبد الله بن مسعود كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن رافع عن زهير قال ثنا أبو اسحق أن عبد الله كان يقرؤها فرقوا دينهم وعلى هذه القراءة أعني قراءة عبد الله قراء المدينة والبصرة وعامة قراء الكوفيين وكأن عبد الله تأول بقراءته ذلك كذلك أن دين الله واحد وهو دين ابراهيم الحنيفية المسلمة ففرق ذلك اليهود والنصارى فتهود قوم وتنصر آخرون فجعلوه شيعا متفرقة * والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان قد قرأت بكل واحدة منهما أئمة من القراء وهما متفقتا المعنى غير مختلفتيه وذلك ان كل ضال فلدينه مفارق وقد فرق الاحزاب دين الله الذي ارتضاه لعباده فتهود بعض وتنصر آخرون وتمجس بعض وذلك هو التفريق بعينه ومصير أهله شيعا متفرقين غير مجتمعين فهم لدين الله الحق مفارقون وله مفرقون فبأي ذلك قرأ القارئ فهو للحق مصيب غير أني أختار القراءة بالذي عليه عظم القراء وذلك تشديد الراء من فرقوا ثم اختلف أهل التأويل في المعنيين بقوله ان الذين فارقوا دينهم فقال بعضهم عنى بذلك اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وكانوا شيعا قال يهود حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فرقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا من اليهود والنصارى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء هؤلاء اليهود والنصارى وأما قوله فرقوا دينهم فيقول تركوا دينهم وكانوا شيعا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا وذلك أن

الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال فى الجواب منعنى تقديرك وقضاؤك ولكنه كان أعور العين اليمنى بصيرا بالعين التى رأى بها أنانيته فقال أنا خير منه أى منعنى خيريتى منه أن أسجد لمن هو دونى واستدل على خيريته بأنه خلق من نار وهى علوية نورانية لطيفة وآدم خلق من طين وهو سفلى ظلمانى كثيف وهذا القياس معارض بأن النار من خاصيتها الاحراق والفناء والطين من خواصه النشوء والانماء والاستمساك الذى (٧٨) بقوته يصير الانسان مستمسكا للفيض الالهى ونفخ الروح فيه فاستحق سجود الملائكة لانه صار كعبة حقيقية فلما ابتلى ابليس بالصغار وطرد من الجوار أخذ فى النوح وأيس من الروح ورضى بالبعاد واطمأن بالحياة فقال أنظرنى فأجيب الى ماسأل ليكون وبالا عليه ويزيد فى شقوته ولكن لم يجبه بأن لايذيقه ألم الموت لقوله فى موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما أغويتنى لم تكن حوالته الاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لأغوينهم لأقعدن ثم لآتينهم من الجهات التى فيها حظوظ النفس من بين أيديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل الطعن فى الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن أيمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك النصيحة مع أهاليهم وأقاربهم وترك الأمر بالمعروف مع عامة المسلمين أو المراد من بين أيديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على أنفسهم ماليس فيها من الكشوف والاحوال أو من بين أيديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول أن أو من بين أيديهم أثور عليهم أهاليهم وأولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم أثور عليهم آباءهم وأمهاتهم وعن ايمانهم أثور عليهم أحباءهم وعن شمائلهم أثور عليهم أعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعنى شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على أنفسكما لأن للمحبة نارا ونورا فمن لم يرد نارها لم يجد نورها ومن يرد نارها احترقت أنانيته فيبقى بلا هوية نفسه مع هوية ربه فههنا يجد نور المحبة

اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد فتفرقوا فلما بعث محمد أنزل الله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يعنى اليهود والنصارى حدثنا ابن وكيع قال ثنا حسين بن على عن شيبان عن قتادة فارقوا دينهم قال هم اليهود والنصارى * وقال آخرون عنى بذلك أهل البدع من هذه الأمة الذين اتبعوا متشابه القرآن دون محكمه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن طاوس عن أبى هريرة قال ان الذين فرقوا دينهم قال نزلت هذه الآية فى هذه الأمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن طاوس عن أبى هريرة ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا قال هم أهل الضلالة حدثنى سعيد بن عمرو السكونى قال ثنا بقية ابن الوليد قال كتب الى عباد بن كثير قال ثنى ليث عن طاوس عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه برىء ممن فارق دينه الحق وفرقه وكانوا فرقا فيه وأحزابا شيعا وأنه ليس منهم ولاهم منه لأن دينه الذى بعثه الله به هو الاسلام دين ابراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين فكان من فارق دينه الذى بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنى ويهودى ونصرانى ومتحنف مبتدع قد ابتدع فى الدين ماضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة ابراهيم المسلم فهو برىء من محمد صلى الله عليه وسلم ومحمد منه برىء وهو داخل فى عموم قوله ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ وأما قوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم نزلت هذه الآية على نبى الله بالأمر بترك قتال المشركين قبل وجوب فرض قتالهم ثم نسخها الأمر بقتالهم فى سورة براءة وذلك قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله لم يؤمر بقتالهم ثم نسخت فأمر بقتالهم فى سورة براءة * وقال آخرون بل نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم اعلاما من الله له أن من أمته من يحدث بعده فى دينه وليست بمنسوخة لانها خبر لا أمر والنسخ انما يكون فى الامر والنهى ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مالك بن مغول عن على بن الأقمر عن أبى الاحوص أنه تلا هذه الآية ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ ثم يقول برئ نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى وابن ادريس وأبو أسامة ويحيى بن آدم عن مالك بن مغول بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا شجاع أبو بدر عن عمرو بن قيس الملائى قال قالت أم سلمة ليتق امرؤ

وبتنوربه كقوله يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينة ادم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان حريص على مامنع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم وأولاده الا أن تكونا ملكين أى من أهل السلو كالملكين فى زوايا الجنة أو تكونا من الخالدين فى الجنة كالحور والرضوان فسقاهما ابليس فى كأس القسم شراب ذكر الحبيب وقاسمهما فلما غرقا فى لجة المحبة وذاقا شجرة المحبة بدت لهما سوآتهما أى سوآت نار المحبة قبل نورها (٧٩) وهى نار فرقة الأحبة فى البداية وطفقا الاشتعال نائرة المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارهما فلما التهبت احترقت بلظى نارها حبة الوصلة ونعب غراب البين بالفرقة

فبينما نحن فى لهو وفى طرب
بدا سحاب فراق صوبه هطل
وان من كنت مشغوفا بطلعته
مضى وأقفر منه الرسم والطلل
فالصبر مرتحل والوجد متصل
والدمع منهمل والقلب مشتعل

وناداهما ربهما نداء العزة والكبرياء ألم أنهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن فى عداوته صداقة مخفية تظهر ولو بعد حين

واخجلتا من وقوفى باب دارهم
لو قيل لى مغضبا من أنت يارجل

فانغسل بماء الخجل منهما رعونات البشرية ولوث العجب والانانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لديه وعلما ان لامنجا ولا ملجأ منه الا اليه فقالا ربنا ظلمنا أنفسنا بأن أوقعناها فى شبكة المحبة لا المحبة تبقينا بالوصال ولا المحنة تفنينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا بتجلى الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو النفس عدو القلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح فى أرض البدن مقام وتمتع فى الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة تستحق الخطاب ارجعى من الهبوط وارفعى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها * فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا لاتيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته * ومدمن القرع للابواب أن يلجا قال فيها أى فى المحبة تحيون بصدق الهمة وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى

أن لايكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ ثم قرأت ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شئ قال عمرو بن قيس قالها مرة الطيب وتلا هذه الآية * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان قوله لست منهم فى شئ اعلام من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة فى دينه برىء ومن الأحزاب من مشركى قومه ومن اليهود والنصارى وليس فى اعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم لانه غير محال أن يقال فى الكلام لست من دين اليهود والنصارى فى شئ فقاتلهم فان أمرهم الى الله فى أن يتفضل على من شاء منهم فيتوب عليه ويهلك من أراد اهلاكه منهم كافرا فيقبض روحه أو يقتله بيدك على كفره ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون عند مقدمهم عليه واذ كان غير مستحيل اجتماع الامر بقتالهم وقوله لست منهم فى شئ انما أمرهم الى الله ولم يكن فى الآية دليل واضح على أنها منسوخة ولا ورد بأنها منسوخة عن الرسول خبر كان غير جائز أن يقضى عليها بأنها منسوخة حتى تقوم حجة موجبة صحة القول بذلك لما قد بينا من أن المنسوخ هو مالم يجز اجتماعه وناسخه فى حال واحدة فى كتابنا كتاب اللطيف عن أصول الاحكام وأما قوله انما أمرهم الى الله فانه يقول أنا الذى الى أمر هؤلاء المشركين الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا والمبتدعة من أمتك الذين ضلوا عن سبيلك دونك ودون كل أحد إما بالعقوبة ان أقاموا على ضلالتهم وفرقتهم دينهم فأهلكهم بها وإما بالعفو عنهم بالتوبة عليهم والتفضل منى عليهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يقول ثم أخبرهم فى الآخرة عند ورودهم على يوم القيامة بما كانوا يفعلون فأجازى كلا منهم بما كانوا فى الدنيا يفعلون المحسن منهم بالاحسان والمسىء بالاساءة ثم أخبر جل ثناؤه ما مبلغ جزائه من جازى منهم بالاحسان أو بالاساءة فقال من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره من وافى ربه يوم القيامة فى موقف الحساب من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا بالتوبة والايمان والاقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته وذلك هو الحسنة التى ذكرها الله فقال من جاء بها فله عشر أمثالها ويعنى بقوله فله عشر أمثالها فله عشر حسنات أمثال حسنته التى جاء بها ومن جاء بالسيئة يقول ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله فلا يجزى الا ما ساءه من الجزاء كما وافى الله به من عمله السئ وهم لا يظلمون يقول ولا يظلم الله الفريقين لا فريق الاحسان ولا فريق الاساءة بأن يجازى المحسن بالاساءة والمسىء بالاحسان ولكنه يجازى كلا الفريقين من الجزاء ما هو له لانه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيأ الا فى موضعه الذى يستحق أن يضعه فيه ولا يجازى أحدا الا بما يستحق من الجزاء وقد دللنا فيما مضى على أن معنى الظلم وضع الشئ فى غير موضعه بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع فان قال قائل فان كان الأمر كما ذكرت من أن معنى الحسنة فى هذا الموضع الايمان بالله والاقرار بوحدانيته والتصديق برسوله والسيئة فيه الشرك به والتكذيب لرسوله فللايمان أمثال فيجازى

عالم الحقيقة (يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يابنى آدم
لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا
الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما
لا تعلمون قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم (٨٠) عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق
عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين
أولياء من دون الله ويحسبون أنهم
مهتدون يابنى آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا
تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من
حرم زينة الله التى أخرج لعباده
والطيبات من الرزق قل هى للذين
آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم
القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم
يعلمون قل انما حرم ربى الفواحش
ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى
بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم
ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا
جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا
يستقدمون) ۞القراآت وريا شا أبو زيد
عن المفضل الباقون ريشا ولباس
بالنصب أبو جعفر ونافع وابن عامر
وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع
نافع الاخرون بالنصب ربى الفواحش
مرسلة الياء حمزة ۞الوقوف وريشا
ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ
بالنصب وقف على التقوى خير ط
يذكرون ٥ سوآتهما ط لا يؤمنون
٥ أمرنا بها ط بالفحشاء ط
ما لا تعلمون ٥ الدين ط تعودون
٥ على جواز الوصل لرد النهاية الى
البداية الضلالة ج مهتدون ٥ ولا
تسرفوا ج لاحتمال الفاء أو اللام
المسرفين ٥ من الرزق ط يوم
القيامة ط يعلمون ٥ ما لا تعلمون
٥ أجل ج لأن جواب اذا منتظر مع دخول الفاء فيها ولا يستقدمون ٥ ۞التفسير لما ذكر أن الارض مستقر قال
لبنى آدم ذكر أنه أنزل كل ما يحتاجون اليه فى الدين والدنيا فقال (يابنى آدم قد أنزلنا) وأيضا لما ذكر واقعة آدم فى انكشاف العورة وانه كان
يخصف عليها أتبعه ذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بأن التستر باب من أبواب التقوى ومعنى انزال اللباس أنه قضى ثمة وكتب
أو أنه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج وأنزلنا الحديد والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير
لانه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال

بها المؤمن وان كان له مثل فكيف يجازى به والايمان انما هو عندك قول وعمل والجزاء من الله
لعباده عليه الكرامة فى الآخرة والانعام عليه بما أعد لأهل كرامته من النعيم فى دار الخلود وذلك
أعيان ترى وتعاين وتحس ويلتذ بها لا قول يسمع ولا كسب جوارح قيل ان معنى ذلك غير الذى
ذهبت اليه وانما معناه من جاء بالحسنة فوافى الله بها له مطيعا فان له من الثواب ثواب عشر حسنات
أمثالها فان قلت فهل لقول لا اله الا الله من الحسنات مثل قيل له مثل هو غيره وليس له مثل هو
قول لا اله الا الله وذلك هو الذى وعد الله جل ثناؤه من أتاه به أن يجازيه عليه من الثواب بمثل عشرة
أضعاف ما يستحقه قائله وكذلك ذلك فيمن جاء بالسيئة التى هى الشرك الا أنه لا يجازى صاحبها
عليها الا ما يستحقه عليها من غير اضعافه عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر
من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد
ابن جبير قال لما نزلت من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال رجل من القوم فان لا اله الا الله حسنة
قال نعم أفضل الحسنات حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن الأعمش والحسن
ابن عبيد الله عن جامع بن شدّاد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة لا اله الا الله
حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا حفص قال ثنا الأعمش والحسن بن عبيد الله عن
جامع بن شداد عن الاسود بن هلال عن عبد الله قال من جاء بالحسنة قال من جاء بلا اله الا الله قال
ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن الحسن بن عبيد الله
عن جامع بن شدّاد عن الاسود بن هلال عن عبد الله من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله حدثنا ابن
وكيع قال ثنا معاوية بن عمرو المعنى عن زائدة عن عاصم عن شقيق من جاء بالحسنة قال
لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيان
عن أشعث عن جعفر عن سعيد وعن عثمان بن الاسود عن مجاهد والقاسم بن أبى بزة من جاء بالحسنة
قالوا لا اله الا الله كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قالوا بالشرك وبالكفر حدثنا ابن وكيع
قال ثنا ابن نمير وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء
بالسيئة قال الشرك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا موسى بن عبيدة
عن محمد بن كعب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال لا اله الا الله حدثنا ابن بشار قال ثنا
عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى المحجل عن ابراهيم من جاء بالحسنة قال لا اله الا الله ومن جاء
بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن أبى
المحجل عن أبى معشر عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى
المحجل عن ابراهيم مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أبى المحجل عن أبى معشر
قال كان ابراهيم يحلف بالله ما يستثنى أن من جاء بالحسنة لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة من جاء
بالشرك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك عن عطاء فى قوله من جاء
بالحسنة قال كلمة الاخلاص لا اله الا الله ومن جاء بالسيئة قال بالشرك حدثنا ابن وكيع

قال ثنا أبى وحدثنا المثنى بن ابراهيم قال ثنا أبونعيم جميعا عن سفيان عن الأعمش عن أبى صالح من جاء بالحسنة قال لااله الاالله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عثمان بن الاسود عن القاسم بن أبى بزة من جاء بالحسنة قال كلمة الاخلاص ومن جاء بالسيئة قال الكفر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك من جاء بالحسنة قال لااله الاالله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبوخالد الأحمر عن أشعث عن الحسن من جاء بالحسنة قال لااله الاالله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد من جاء بالحسنة قال لااله الاالله حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله من جاء بالحسنة يقول من جاء بلا اله الاالله ومن جاء بالسيئة قال الشرك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الاعمال ستة موجبة وموجبة ومضعفة ومضعفة ومثل ومثل فاما الموجبتان فمن لقى الله لا يشرك به شيأ دخل الجنة ومن لقى الله مشركا به دخل النار وأما المضعف والمضعف فنفقة المؤمن فى سبيل الله سبعمائة ضعف ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها وأما مثل ومثل فاذا هم العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة حدثنا المثنى قال ثنا أبونعيم قال ثنا الأعمش عن شمر بن عطية عن شيخ من التيم عن أبى ذر قال قلت يارسول الله علمنى عملا يقربنى الى الجنة ويباعدنى من النار قال اذا عملت سيئة فاعمل حسنة فانها عشر أمثالها قال قلت يارسول الله لااله الاالله من الحسنات قال هى أحسن الحسنات

* وقال قوم عنى بهذه الآية الأعراب فأما المهاجرون فان حسناتهم سبعمائة ضعف أو أكثر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبى عن قتادة عن أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد الخدرى فى قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال هذه للأعراب وللمهاجرين سبعمائة حدثنا محمد بن نشيط بن هرون الحربى قال ثنا يحيى بن أبى بكر قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية العوفى عن عبدالله بن عمر قال نزلت هذه الآية فى الأعراب من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها قال قال رجل فما للمهاجرين قال ماهو أعظم من ذلك ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما واذا قال الله لشئ عظيم فهو عظيم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالرحمن بن سعد قال ثنا أبوجعفر عن الربيع قال نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة فان قال قائل وكيف قيل عشر أمثالها فأضيف العشر الى الامثال وهى الامثال وهل يضاف الشئ الى نفسه قيل أضيفت اليها لانه مراد بها فله عشر حسنات أمثالها فالامثال حلت محل المفسر وأضيف العشر اليها كما يقال عندى

ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهرى الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شئ يعيش به الانسان ومنه قولهم رشت فلانا أصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال أما قوله (ولباس التقوى) فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء وخبره اما الجملة التى هى ذلك خير كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لان أسماء الاشارة كالضمائر فى صلاح العود بسببها واما المفرد الذى هو خير وذلك بدل أو عطف بيان أو صفة بتأويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما التعظيم لباس التقوى واما أن يكون المراد بلباس التقوى هو اللباس الموارى للسوأة لأن موارة السوأة من التقوى تفضلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس أى اللباس الذى أنزله الله تعالى ليوارى به السوأة هو لباس التقوى لأن قوما من أهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعرى وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق، فى أبواب البر والصدق خير لك من غيره فيعده أو المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها فى الحروب أو يراد الملبوسات المعدة لأجل اقامة الصلاة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدى وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لاتبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لاتزال عورته مكشوفة وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما يظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الآية ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا أخذ به وأقرب الى الله

تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذى يتجمل به فأضاف اللباس الى التقوى كما أضيف الى الجوع والخوف فى قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده (لعلهم يذكرون) فيعرفون عظيم النعمة فيه ثم حذر أولاد آدم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام أن تكون عبرة لمن يسمعها فقال (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين

أى فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على منع أولاده عن ان يدخلوا الجنة أقدر ومحل كما أخرج نصب على المصدر أى فتنة مثل اخراج أبويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة ومحل (ينزع عنهما لباسهما) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى ان نزع عنهما واللام فى (ليريهما سوآتهما) لام العاقبة أو لام الغرض كما تقدم فى قوله ليبدى لهما قال ابن عباس يرى آدم (٨٢) سوأة حواء ويرى حواء سوأة آدم وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضى الله عنها ما رأيت منه ولا رأى منى وحمله العلماء على الكراهية لا على التحريم واختلفوا فى اللباس الذى نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الأظفار وقيل اللباس الذى هو ثياب الجنة قال الكعبى فى الآية دلالة على أن المعاصى والفتن كلها منسوبة الى الشيطان وأجيب بأنه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعى ثم علل النهى وأكد التحذير بقوله (انه يراكم هو وقبيله) أى جماعته من الثلاثة فصاعدا والقبيل بنو أب واحد وقال ابن قتيبة أى أصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله أى وجماعته (من حيث لا ترونهم) أى يكيدون ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه فى أن الانس لا يرون الجن رقة أجسام الجن ولطافتها والوجه فى رؤية الجن الانس كثافة أجسام الانس والوجه فى رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوى شعاع أبصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله فى قوة أبصارنا لرأيناهم كما يرى بعضنا بعضا ولو أنه تعالى كثف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم وقال أهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق فى عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك فى عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول أوقات الاستقبال من غير تخصيص ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم أنفسهم ليس فى استطاعتهم وأن زعم من يدعى رؤيتهم زور ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صور أنفسهم بأى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط الناس وازالة العقل عنهم لكان أولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين خواص الانس أشد وعن مجاهد قال ابليس أعطينا

عشر نسوة (١) فلانه أريد بالامثال مقامها فقيل عشر أمثالها فأخرج العشر مخرج عدد الآيات والمثل مذكر لا مؤنث ولكنها لما وضعت موضع الآيات وكان المثل يقع للذكر والمؤنث فجعلت خلفا منها فعل بها ماذكرت ومن قال عندى عشر أمثالها لم يقل عندى عشر صالحات لان الصالحات فعل لا يعدوا انما تعد الاسماء والمثل اسم ولذلك جاز العدد به وقد ذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك فله عشر بالتنوين أمثالها بالرفع وذلك وجه صحيح فى العربية غير أن القراء فى الامصار على خلافها فلا نستجيز خلافها فيما هى عليه مجتمعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان والاصنام اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم يقول قل لهم اننى أرشدنى ربى الى الطريق القويم هو دين الله الذى ابتعثه به وذلك الحنيفية المسلمة فوفقنى له دينا قيما يقول مستقيما ملة ابراهيم يقول دين ابراهيم حنيفا يقول مستقيما وما كان من المشركين يقول وما كان من المشركين بالله يعنى ابراهيم صلوات الله عليه لأنه لم يكن ممن يعبد الاصنام واختلفت القراء فى قراءة قوله دينا قيما فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين دينا قيما بفتح القاف وتشديد الياء الحاقا منهم ذلك بقول الله ذلك الدين القيم وبقوله ذلك دين القيمة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين دينا قيما بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها وقالوا القيم والقيم بمعنى واحد وهما لغتان معناهما الدين المستقيم * والصواب من القول فى ذلك عندى انهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب مصيب غير أن فتح القاف وتشديد الياء أعجب الى لانه أفصح اللغتين وأشهرهما ونصب قوله دينا على المصدر من معنى قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم وذلك ان المعنى هدانى ربى الى دين قويم فاهتديت له دينا قيما فالدين منصوب من المحذوف الذى هو اهتديت الذى ناب عنه قوله اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم * وقال بعض نحويى البصرة انما نصب ذلك لانه لما قال هدانى ربى الى صراط مستقيم قد أخبر أنه عرف شيأ فقال دينا قيما كأنه قال عرفت دينا قيما ملة ابراهيم وأما معنى الحنيف فقد بينته فى مكانه فى سورة البقرة بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والاصنام الذين يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والاوثان ان صلاتى ونسكى يقول وذبحى ومحياى يقول وحياتى ومماتى يقول ووفاتى لله رب العالمين يعنى أن ذلك كله له خالصا دون ما أشركتم به أيها المشركون من الاوثان لا شريك له فى شئ من ذلك من خلقه ولا لشئ منهم فيه نصيب لانه لا ينبغى أن يكون

(١) لا يخفى ما فيه ولعل الأصل ولأنه أريد بالأمثال الآيات وأقيمت الأمثال مقامها قيل الخ تأمل

ذلك

ذلك الاله خالصا وبذلك أمرت يقول وبذلك أمرنى ربى وأنا أول المسلمين يقول وأنا أول من أقر وأذعن وخضع من هذه الامة لربه بأن ذلك كذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال النسك فى هذا الموضع الذبح حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد ان صلاتى ونسكى قال النسك الذبائح فى الحج والعمرة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونسكى ذبيحتى فى الحج والعمرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ونسكى ذبيحتى فى الحج والعمرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن اسمعيل وليس بابن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبحى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن اسمعيل عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال ذبيحتى حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدى عن سفيان عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال ابن مهدى لا أدرى من اسمعيل هذا صلاتى ونسكى قال صلاتى وذبيحتى حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال ثنا الثورى عن اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير فى قوله صلاتى ونسكى قال وذبيحتى حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ونسكى قال ذبحى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ونسكى قال ذبيحتى حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك صلاتى ونسكى قال الصلاة الصلاة والنسك الذبح * وأما قوله وأنا أول المسلمين فان محمد بن عبد الأعلى حدثنا قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وأنا أول المسلمين قال أول المسلمين من هذه الأمة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شئ ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان الداعيك الى عبادة الاصنام واتباع خطوات الشيطان أغير الله أبغى ربا يقول أسوى الله أطلب سيدا يسودنى وهو رب كل شئ يقول وهو سيد كل شئ دونه ومدبره ومصلحه ولا تكسب كل نفس الا عليها يقول ولا تجترح نفس اثما الا عليها أى لا يؤخذ بما أتت من معصية الله تبارك وتعالى وركبت من الخطيئة سواها بل كل ذى اثم فهو المعاقب باثمه والمأخوذ بذنبه ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول ولا تأثم نفس آثمة باثم نفس أخرى غيرها ولكنها تأثم باثمها وعليه تعاقب دون اثم أخرى غيرها وانما يعنى بذلك المشركين الذين أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول هذا القول لهم يقول قل لهم انا لسنا مأخوذين بآثامكم وعليكم عقوبة اجرامكم ولنا جزاء أعمالنا وهذا كما أمره الله جل ثناؤه فى موضع آخر أن يقول لهم لكم دينكم ولى دين وذلك كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال كان فى ذلك الزمان لا مخرج للعلماء

أربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصمه الله والضمير فى انه للشأن وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل ثم قال (انا جعلنا الشياطين) الآية واحتج أهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى أضلهم وأغواهم ويتأكد هذا النص بقوله انا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا اعتذر القاضى بأن المراد من الجعل الحكم بأن الشيطان ولى لمن لا يؤمن أو المراد التخلية بينهم وبينهم (٨٣) كمن يربط الكلب فى داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل وأجيب بأن حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب أنه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة حكم الله وبأن الارسال انما يصدق على التسلط لا على التخلية المجردة قوله (واذا فعلوا فاحشة) قال بعضهم نزلت فى اتخاذهم البحائر والسوائب وقيل فى الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة فى القبح أعنى الكبيرة والمراد أنهم كانوا يفعلون أشياء هى فى أنفسها فواحش ويعتقدون أنها طاعات فوبخوا على ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند كل عاقل والثانية ان الله أمرهم بذلك فأجاب عنها بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) فللمعتزلة أن يحتجوا به على أن الشئ انما يقبح لوجه عائد اليه وأن كونه فى نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهى ولهذا أكد هذا المعنى بقوله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) والجواب أن عدم الامر بالفحشاء لا ينافى ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعى الا أنه تعالى مريد لجميع الكائنات وأن شيأ منها لا يخرج عن حكمه وارادته وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال (قل أمر ربى بالقسط) قال عطاء والسدى أى بالعدل وبما ظهر فى العقول كونه حسنا وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وأفعاله وأحكامه أما قوله (وأقيموا) فليس من باب عطف الطلب على الخبر وانما التقدير وقل أقيموا (وجوهكم) أى استقبلوا القبلة واستقيموا وأخلصوا (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود كأن المعنى وجهوا وجوهكم حيثما كنتم فى الصلاة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلاة وأنتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن أحدكم انى لا أصلى الا فى مسجد قومى ثم لما أمر بالتوجه الى القبلة أمر بعده بالدعاء والأظهر أن المراد به أعمال الصلاة سميت دعاء لان أشرف أجزاء الصلاة هو الدعاء والذكر ويمكن أن يقال الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله

وماأمروا الاليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد لتحقق الجزاء فقال (كما بدأكم تعودون) قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون أحياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم مؤمنا أو كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في أول الامر للشقاوة يعمل بعمل أهل الشقاوة وكانت عاقبته ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل أهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (٨٤) (فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره مابعده أي وخذل أو أضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت به قال القاضي المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة أي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق أن يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز أن يأمر أنبياءه باضلالهم عن الدين كما أمرهم باقامة الحدود المستحقة وأجيب بأن قوله هدى وحق ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبأن الهدى الى الجنة أو الضلال عنها لابد أن يكون محكوما به في الازل وخلاف حكمه محال ثم بين ما لأجله حقت على هذه الفرقة الضلالة أعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الأسباب فقال (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم بين أن جهلهم مركب لا بسيط فقال (ويحسبون أنهم مهتدون) وفيه أن مجرد الظن والحسبان لا يكفي في أصول الدين بل لابد فيه من القطع واليقين ثم لما أمر بالقسط وكان من جملته أمر اللباس والمأكول والمشروب وأيضا أمر باقامة الصلاة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال (يابني آدم خذوا زينتكم) عن ابن عباس قال كان أناس من الاعراب يطوفون بالبيت عراة حتى ان كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر تقيها من الذباب وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * ومابدا منه فلا أحله

ونهاه وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقال الكلبي كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في أيام حجهم

العادين الا احدى خلتين احداهما أفضل من صاحبتها اما أمر ودعاء الى الحق أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل في عملهم وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك وتحب لله وتبغض لله ولا تشارك أحدا في اثم قال وقد أنزل في ذلك آية محكمة قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء الى قوله فيه تختلفون وفي ذلك قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة يقال من الوزر وزر يوزر فهو وزير ووزر يوزر فهو موزور ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء العادلين بربهم الاوثان كل عامل منا ومنكم فله ثواب عمله وعليه وزره فاعملوا ما أنتم عاملوه ثم الى ربكم أيها الناس مرجعكم يقول ثم اليه مصيركم ومنقلبكم فينبئكم بما كنتم فيه في الدنيا تختلفون من الاديان والملل اذ كان بعضكم يدين باليهودية وبعض بالنصرانية وبعض بالمجوسية وبعض بعبادة الاصنام وادعاء الشركاء مع الله والانداد ثم يجازي جميعكم بما كان يعمل في الدنيا من خير أو شر فتعلموا حينئذ من المحسن منا والمسيء ۞ القول في تأويل قوله ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأمته والله الذي جعلكم أيها الناس خلائف الارض بأن أهلك من كان قبلكم من القرون والامم الخالية واستخلفكم فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة كما الوصائف جمع وصيفة وهي من قول القائل خلف فلان فلانا في داره يخلفه خلافة فهو خليفة فيها كما قال الشماخ

تصيبهم وتخطيني المنايا * وأخلف في ربوع عن ربوع

وذلك كما حدثني الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وهو الذي جعلكم خلائف الارض قال أما خلائف الأرض فأهلك القرون واستخلفنا فيها بعدهم وأما قوله ورفع بعضكم فوق بعض درجات فانه يقول وخالف بين أحوالكم فجعل بعضكم فوق بعض بأن رفع هذا على هذا بما بسط لهذا من الرزق ففضله بما أعطاه من المال والغنى على هذا الفقير فيما خوله من أسباب الدنيا وهذا على هذا بما أعطاه من الايد والقوة على هذا الضعيف الواهن القوى فخالف بينهم بأن رفع من درجة هذا على درجة هذا وخفض من درجة هذا عن درجة هذا وذلك كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ورفع بعضكم فوق بعض درجات يقول في الرزق وأما قوله ليبلوكم فيما آتاكم فانه يعني ليختبركم فيما خولكم من فضله ومنحكم من رزقه فيعلم المطيع له منكم فيما أمره به ونهاه عنه والعاصي ومن المؤدي مما آتاه الحق الذي أمره بأدائه منه والمفرط في أدائه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد لسريع العقاب لمن أسخطه بارتكابه معاصيه وخلافه أمره فيما أمره به

يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون يارسول الله نحن أحق بذلك فأنزل الله الآية قال أكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الثياب وأيضا الزينة لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه يناسب ما تقدم من ذكر اللباس والرياش ولان ظاهر الامر الوجوب وكل ماسوى اللبس غير واجب فوجب حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة فيه أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالآية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلاة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي الباقي داخلا تحت اللفظ فاذن ستر العورة واجب في الصلاة والا فسدت صلاته قال أصحاب أبي حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على أقصى وجوه النظافة أخذ الزينة فيكفي في صحة الصلاة وأجيب بأن اللام في قوله وأقيموا الصلاة تنصرف الى المعهود السابق وهو صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه يصلي في الثوب المغسول بماء الورد أما قوله (وكلوا) أي اللحم والدسم (واشربوا) فقد قيل انهما أمر اباحة بالاتفاق فوجب أن يكون أخذ الزينة أيضا على الاباحة وأجيب بأنه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع أن الاكل والشرب قد يكونان واجبين أيضا في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات ويتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل أيضا مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله (ولا تسرفوا) وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني وهو قول أبي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم أخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وأيضا انهم حرموا على أنفسهم في وقت الحج ما أحله الله تعالى لهم قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي أولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شئ والعلم علمان علم أبدان وعلم أديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله

ونهاه ولمن ابتلى منه فيما منحه من فضله وطوله توليا وادبارا عنه مع انعامه عليه وتمكينه إياه في الارض كما فعل بالقرون السالفة وانه لغفور يقول وانه لساتر ذنوب من ابتلى منه اقبالا اليه بالطاعة عند ابتلائه اياه بنعمته واختباره اياه بأمره ونهيه فغطى عليه فيها وتارك فضيحته بها في موقف الحساب رحيم بتركه عقوبته على سالف ذنوبه التي سلفت بينه وبينه اذ تاب وأناب اليه قبل لقائه ومصيره اليه

(تفسير السورة التي يذكر فيها الاعراف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ﴿المص﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى المص فقال بعضهم معناه أنا الله أفصل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن شريك عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس المص أنا الله أفصل حدثني الحرث قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عمار بن محمد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير في قوله المص أنا الله أفصل * وقال آخرون هو هجاء حروف اسم الله تعالى الذي هو المصور ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي المص قال هي هجاء المصور * وقال آخرون هي اسم من أسماء الله أقسم به ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبدالله صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله المص قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة المص قال اسم من أسماء القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون هي حروف هجاء مقطعة * وقال آخرون هي من حساب الجمل * وقال آخرون هي حروف تحوي معاني كثيرة دل الله بها خلقه على مراده من كل ذلك * وقال آخرون هي حروف اسم الله الأعظم وقد ذكرنا كل ذلك بالرواية فيه وتعليل كل فريق قال فيه قولا وما الصواب من القول عندنا في ذلك بشواهده وأدلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع القول في تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿كتاب أنزل اليك﴾ «قال أبو جعفر» يعني تعالى ذكره هذا القرآن يا محمد كتاب أنزله الله اليك ورفع الكتاب بتأويل هذا كتاب القول في تأويل قوله ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يضق صدرك يا محمد من الانذار به من أرسلتك لانذاره به وابلاغه من أمرتك بابلاغه اياه ولا تشك في انه من عندي واصبر بالمضي لامر الله واتباع طاعته فيما كلفك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولو العزم من الرسل فان الله معك والحرج هو الضيق

كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولا يؤثر عن رسولكم شئ فى الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب فى ألفاظ يسيرة قال وما هى قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصرانى ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فأنكر ذلك عليهم بقوله (قل من حرم زينة الله) قال ابن عباس وأكثر المفسرين هى اللباس الساتر للعورة وقال (٨٦) آخرون انها تتناول جميع أنواع الزينة من الملابس والمراكب والحلى وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غلبنى حديث النفس عزمت على ان اختصى فقال مهلا يا عثمان فان خصاء أمتى الصيام قال فان نفسى تحدثنى بالترهب فقال ان ترهب أمتى القعود فى المساجد لانتظار الصلوات فقال تحدثنى نفسى بالسياحة قال سياحة أمتى الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسى تحدثنى ان أخرج مما أملك فقال الاولى أن تكفى نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال نفسى تحدثنى ان أطلق خولة فقال ان الهجرة فى أمتى هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسى تحدثنى ان لا أغشاها فقال ان المسلم اذا غشى أهله وما ملكت عينه فان لم يصب من وقعته تلك ولدا كان له وصيف فى الجنة وان كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وان مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيامة قال فان نفسى تحدثنى ان لا آكل اللحم قال مهلا انى آكل اللحم اذا وجدته ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعله قال فان نفسى تحدثنى ان لا أمس الطيب قال مهلا فان جبريل يأمرنى بالطيب غبا وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتى فانه من رغب عن سنتى ومات فليس منى ولو مات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضى واعلم ان كل واقعة تقع فاما أن لا يكون فيها نفع ولا ضرأو تساوى ضرها ونفعها فوجب وتذكر الحكم فى القسمين بقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وجب لاطلاق الآية وان كان الضرر خالصا وكان تركه خالص النفع فيلتحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقى القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقى القدر الزائد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التى لا نهاية لها فى الحل والحرمة الا أن نجد نصا خاصا

فى كلام العرب وقد بينا معنى ذلك بشواهده وأدلته فى قوله ضيقا حرجا بما أغنى عن اعادته وقال أهل التأويل فى ذلك ما حدثنى به محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال لا تكن فى شك منه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فلا يكن فى صدرك حرج منه شك منه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فلا يكن فى صدرك حرج منه قال أما الحرج فشك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهدا فى قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه قال شك من القرآن * قال أبو جعفر وهذا الذى ذكرته من التأويل عن أهل التأويل هو معنى ما قلنا فى الحرج لان الشك فيه لا يكون الا من ضيق الصدر به وقلة الاتساع لتوجيهه وجهته التى هى وجهته الصحيحة وانما اخترنا العبارة عنه بمعنى الضيق لان ذلك هو الغالب عليه من معناه فى كلام العرب كما قد بيناه قبل

۞ القول فى تأويل قوله ﴿لتنذر به وذكرى للمؤمنين﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره هذا كتاب أنزلناه اليك يا محمد لتنذر به من أمرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين وهو من المؤخر الذى معناه التقديم ومعناه كتاب أنزل اليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن فى صدرك حرج منه واذا كان ذلك معناه كان موضع قوله وذكرى نصبا بمعنى أنزلنا اليك هذا الكتاب لتنذر به وتذكر به المؤمنين ولو قيل معنى ذلك هذا كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه أن تنذر به وتذكر به المؤمنين كان قولا غير مدفوعة صحته واذا وجه معنى الكلام الى هذا الوجه كان فى قوله وذكرى من الاعراب وجهان أحدهما النصب بالرد على موضع لتنذر به والآخر الرفع عطفا على الكتاب كأنه قيل المص كتاب أنزل اليك وذكرى للمؤمنين

۞ القول فى تأويل قوله ﴿اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك الذين يعبدون الاوثان والاصنام اتبعوا أيها الناس ما جاءكم من عند ربكم بالبينات والهدى واعملوا بما أمركم به ربكم ولا تتبعوا شيأ من دونه يعنى شيأ غير ما أنزل اليكم ربكم يقول لا تتبعوا أمر أوليائكم الذين يأمرونكم بالشرك بالله وعبادة الاوثان فانهم يضلونكم ولا يهدونكم فان قال قائل وكيف قلت معنى الكلام قل اتبعوا وليس فى الكلام موجودا ذكر القول قيل انه وان لم يكن مذكورا صريحا فان فى الكلام دلالة عليه وذلك قوله فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به ففى قوله لتنذر به الامر بالانذار وفى الامر بالانذار الامر بالقول لان الانذار قول فكان معنى الكلام أنذر القوم وقل لهم اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولو قيل معناه لتنذر به

فى الواقعة فنقضى به تقديما للخاص على العام قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما أن يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضائعا لان هذا النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص أولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى أعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت فى الحياة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة وللكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا (٨٧) واما فى الآخرة فانها خالصة لهم فقال (قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة) من قرأ بالرفع فلانه خبر بعد خبر قال أبو على أو على الخبر وللذين آمنوا متعلق به والتقدير هى خالصة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا (يوم القيامة) وعلى هذا يكون فى الحياة ظرفا لآمنوا ويوم القيامة ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها فى غير يوم القيامة غير خالصة لهم بل تكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون فى الحياة ظرفا للمحذوف أى هى للذين آمنوا غير خالصة فى الحياة الدنيا وهى لهم خالصة يوم القيامة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقى التقدير كما ذكرنا آنفا (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين أصول الافعال المحرمة وحصرها فى ستة أنواع لان الجناية اما على الفروج وأشار اليها بقوله (قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) واما أن تكون على العقول وهى شرب الخمر واليها الاشارة بقوله (والاثم) وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه خصص أولا ثم عمم واما أن تكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليهن الاشارة بقوله (والبغى بغير الحق) ومعنى بغير الحق أن لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا أن يكون لهم فيه حق فحينئذ يخرج عن أن يكون بغيا واما أن تكون الجناية على الاديان اما بالطعن فى التوحيد واليه أشار بقوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) أى لا سلطان حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) فان قيل الفاحشة وغيرها هى التى نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربى المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله فى ذاته على أمور باعتبارها يجب النهى عنه فيزول الاشكال ثم شدد أمر التكاليف بالآجال المحدودة والانفاس المعدودة فقال (ولكل أمة أجل) عن

وتذكر به المؤمنين فتقول لهم اتبعوا ما أنزل اليكم كان غير مدفوع وقد كان بعض أهل العربية يقول قوله اتبعوا خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ومعناه كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه اتبع ما أنزل اليك من ربك ويرى أن ذلك نظير قول الله يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن اذ ابتدأ خطاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم جعل الفعل للجميع اذ كان أمر الله نبيه بأمر أمرا منه لجميع أمته كما يقال للرجل يفرد بالخطاب والمراد به هو وجماعة أتباعه أو عشيرته وقبيلته أما تتقون الله أما تستحيون من الله ونحو ذلك من الكلام وذلك وان كان وجها غير مدفوع فالقول الذى اخترناه أولى بمعنى الكلام لدلالة الظاهر الذى وصفنا عليه وقوله قليلا ما تذكرون يقول قليلا ما تتعظون وتعتبرون فتراجعون الحق ۞ القول فى تأويل قوله (وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حذر هؤلاء العابدين غيرى والعادلين بى الآلهة والاوثان سخطى لأحل بهم عقوبتى فأهلكهم كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم فكثيرا ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصونى وكذبوا رسلى وعبدوا غيرى فجاءها بأسنا بياتا يقول فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلا قبل أن يصبحوا أو جاءتهم قائلين يعنى نهارا فى وقت القائلة وقيل وكم لان المراد بالكلام ما وصفت من الخبر عن كثرة ما قد أصاب الامم السالفة من المثلات بتكذيبهم رسله وخلافهم عليه وكذلك تفعل العرب اذا أرادوا الخبر عن كثرة العدد كما قال الفرزدق

كم عمة لك يا جرير وخالة * فدعاء قد حلبت على عشارى

فان قال قائل فان الله تعالى ذكره انما أخبر أنه أهلك قرى فما فى خبره عن اهلاكه القرى من الدليل على اهلاكه أهلها قيل ان القرى لا تسمى قرى ولا القرية قرية الا وفيها مساكن لاهلها وسكان منهم ففى اهلاكها اهلاك من فيها من أهلها وقد كان بعض أهل العربية يرى أن الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية والمراد به أهلها والذى قلنا فى ذلك أولى بالحق لموافقته ظاهر التنزيل المتلو فان قال قائل وكيف قيل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وهل هلكت قرية الا بمجىء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها فكيف قيل أهلكناها فجاءها وان كان مجىء بأس الله اياها بعد هلاكها فما وجه مجىء ذلك قوما قد هلكوا وبادوا ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم قيل ان لذلك من التأويل وجهين كلاهما صحيح واضح منهجه أحدهما أن يكون معناه وكم من قرية أهلكناها بخذلاننا اياها عن اتباع ما أنزلنا اليها من البينات والهدى واختيارها اتباع أمر أوليائها المغويها عن طاعة ربها فجاءها بأسنا اذ فعلت ذلك بياتا أو هم قائلون فيكون اهلاك الله اياها خذلانه لها عن طاعته ويكون مجىء بأس الله اياهم جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه اياهم والآخر منهما أن يكون الاهلاك هو البأس بعينه فيكون فى ذكر الاهلاك الدلالة على ذكر مجىء البأس وفى ذكر مجىء البأس الدلالة على ذكر الاهلاك واذا كان ذلك كذلك كان سواء عند العرب بدئ بالاهلاك ثم عطف عليه بالبأس أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالاهلاك وذلك

ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى أمهل كل أمة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم قبل ذلك ولا يؤخرهم عنه والمقصود وعيد أهل مكة وقيل معناه ان أجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وأورد على القول الاول أنه ليس لكل أمة من الامم وقت معين في نزول عذاب الاستئصال وعلى الثاني انه كان ينبغي أن يقال ولكل انسان أو أحد أجل و يمكن أن يقال الامة هي الجماعة في كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت في الآجال فزال (٨٨) السؤال وليس المراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته أزيد من ذلك ولا أنقص ولا يقدر على أن يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا أو صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اختار أن الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان أقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح أهل النجوم جزء من أربعة وعشرين جزأ من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا وقوع ذلك الاجل في الوقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون وأجيب بأن مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل كقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه أخرى ۞ التأويل قد أنزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يواري سوآت الافعال القبيحة في الظاهر وسوآت الصفات الذميمة النفسانية والحيوانية بآداب الطريقة في الباطن وريشا زينة وجمالا في الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو لباس القلب والروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى فيواري به سوآت الطمع في الدنيا ومافيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى فيواري به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى فيواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من التقوى بقاؤه بهوية المولى فيواري فنا بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالفتوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى وهو الحقيقة ذلك من آيات الله أي انزال الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا ومافيها ومتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق في طلب الحق كما أخرج أبويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة

كقولهم زرتني فأكرمتني اذا كانت الزيارة هي الكرامة فسواء عندهم قدم الزيارة وأخر الكرامة أو قدم الكرامة وأخر الزيارة فقال أكرمتني فزرتني وكان بعض أهل العربية يزعم أن في الكلام محذوفا لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحا وأن معنى ذلك وكم من قرية أهلكناها فكان مجيء بأسنا اياها قبل اهلاكنا وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل ولا من خبر يجب التسليم له واذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها كان بينا فساده * وقال آخر منهم أيضا معنى الفاء في هذا الموضع معنى الواو وقال تأويل الكلام وكم من قرية أهلكناها وجاءها بأسنا بياتا وهذا قول لا معنى له اذ كان للفاء عند العرب من الحكم ماليس للواو في الكلام فصرفها الى الأغلب من معناها عندهم ما وجد الى ذلك سبيل أولى من صرفها الى غيره فان قال وكيف قيل فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون وقد علمت أن الأغلب من شأن أو في الكلام اجتلاب الشك وغير جائز أن يكون في خبر الله شك قيل ان تأويل ذلك خلاف ما اليه ذهبت وانما معنى الكلام وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بياتا و بعضها وهم قائلون ولو جعل مكان أو في هذا الموضع الواو لكان الكلام كالمحال ولصار الأغلب من معنى الكلام ان القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بياتا وفي وقت القائلة وذلك خبر عن البأس انه أهلك من قد هلك وأفنى من قد فني وذلك من الكلام خلف ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل اذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بياتا من القرى التي جاءها ذلك قائلة ولو فصلت لم يخبر عنها الا بالواو وقيل فجاءها بأسنا خبرا عن القرية أن البأس أتاها وأجرى الكلام على ما ابتدئ به في أول الآية ولو قيل فجاءهم بأسنا بياتا لكان صحيحا فصيحا ردا للكلام الى معناه اذ كان البأس انما قصد به سكان القرية دون بنيانها وان كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب نحو من الذي نال سكانها وقد رجع في قوله أو هم قائلون الى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان وان كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها ولو قيل أو هي قائلة كان صحيحا اذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام فان قال قائل أو ليس قوله أو هم قائلون خبرا عن الوقت الذي أتاهم فيه بأس الله من النهار قيل بلى فان قال أو ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدال على الوقت قيل ان ذلك وان كان كذلك فانهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع استثقالا للجمع بين حرفي عطف اذ كان أو عندهم من حروف العطف وكذلك الواو فيقولون لقيتني مملقا أو أنا مسافر يعني أو وأنا مسافر فيحذفون الواو وهم مريدوها في الكلام لما وصفت ۞ القول في تأويل قوله ﴿فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره فلم يكن دعوى أهل القرية التي أهلكناها اذ جاءهم بأسنا وسطوتنا بياتا أو هم قائلون الا اعترافهم على أنفسهم بأنهم كانوا الى أنفسهم مسيئين وبربهم آثمين ولأمره ونهيه مخالفين وعني بقوله جل ثناؤه دعواهم في هذا الموضع دعاءهم وللدعوى في كلام العرب وجهان أحدهما الدعاء والآخر الادعاء للحق ومن الدعوى التي معناها الدعاء قول الله تبارك وتعالى

فازالت تلك دعواهم ومنه قول الشاعر

وان مذلت رجلى دعوتك أشتفى * بدعواك من مذل بها فيهون

وقد بينا فيما مضى قبل أن البأس والبأساء الشدة بشواهد ذلك الدالة على صحته بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وفى هذه الآية الدلالة الواضحة على صحة ما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم وقد تأول ذلك كذلك بعضهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن أبى سنان عن عبد الملك بن ميسرة الزراد قال قال عبد الله بن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهلك قوم حتى يعذروا من أنفسهم قال قلت لعبد الملك كيف يكون ذلك قال فقرأ هذه الآية فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الآية فان قال قائل وكيف قيل فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين وكيف أمكنتهم الدعوى بذلك وقد جاءهم بأس الله بالهلاك أقالوا ذلك قبل الهلاك فان كانوا قالوه قبل الهلاك فانهم قالوا قبل مجىء البأس والله يخبر عنهم أنهم قالوه حين جاءهم لا قبل ذلك أو قالوه بعد ما جاءهم فتلك حالة قد هلكوا فيها فكيف يجوز وصفهم بقيل ذلك اذا عاينوا بأس الله وحقيقة ما كانت الرسل تعدهم من سطوة الله قيل ليس كل الأمم كان هلاكها فى لحظة ليس بين أوله وآخره مهل بل كان منهم من غرق بالطوفان فكان بين أول ظهور السبب الذى علموا أنهم به هالكون وبين آخره الذى عم جميعهم هلاكه المدة التى لا خفاء بها على ذى عقل ومنهم من متع بالحياة بعد ظهور علامة الهلاك لأعينهم أياما ثلاثة كقوم صالح وأشباههم فحينئذ لما عاينوا أوائل بأس الله الذى كانت رسل الله تتوعدهم به وأيقنوا حقيقة نزول سطوة الله بهم دعوا ياويلنا انا كنا ظالمين فلم يك ينفعهم ايمانهم مع مجىء وعيد الله وحلول نقمته بساحتهم فحذر ربنا جل ثناؤه الذين أرسل اليهم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من سطوته وعقابه على كفرهم به وتكذيبهم رسوله ماحل بمن كان قبلهم من الأمم اذ عصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره لنسألن الأمم الذين أرسلت اليهم رسلى ماذا عملت فيما جاءتهم به الرسل من عندى من أمرى ونهيى هل عملوا بما أمرتهم به وانتهوا عما نهيتهم عنه وأطاعوا أمرى أم عصونى فخالفوا ذلك ولنسألن المرسلين يقول ولنسألن الرسل الذين أرسلتهم الى الامم هل بلغتهم رسالاتى وأدت اليهم ما أمرتهم بأدائه اليهم أم قصروا فى ذلك ففرطوا ولم يبلغوهم وكذلك كان أهل التأويل يتأولونه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين قال يسأل الله الناس عما أجابوا المرسلين ويسأل المرسلين عما بلغوا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فلنسألن الذين أرسل اليهم الى قوله غائبين قال يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن

الحق وما علما أن فيها هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصان كان مستورا فيهما فأراهما بعد تناول الشجرة إنه يراكم هو وقبيله يعنى من الروحانيين الذين لا صورة لهم فى الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحانى من الانسان بعض الافعال التى تتولد عن الاوصاف البشرية كما رأوا فى آدم وقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم أى انما يرونكم من حيث البشرية التى منشؤها الصفات الحيوانية فأنتم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التى هى منشأ علوم (٨٩) الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم فى هذا المقام وأنتم ترونهم بالنظر الروحانى بل بالنور الربانى انا جعلنا الشياطين أولياء خلقناهم مستعدين لتولية أمور أهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هى طلب الدنيا وحبها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها والله أمرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالكسب الحلال بقدر الحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل أمر ربى بالقسط كما بدأكم لطفا أو قهرا تعودون اليه فأهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة وأهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون فى النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين أنوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا فى مقام العندية كما قال أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط فى حفظ القوة بحيث تضيع حقوق العبودية زينة الله فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب وأقدارها وزين القلوب بالشواهد وأنوارها وزين الارواح بالمعارف وأسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها فمن تصدى لطلب هذه المقامات فهى مباحة له من غير تأخير وقصور وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بحظوظ النفس فهذه الكرامات والمقامات لهؤلاء السادة فى الدنيا مشوبة بشواهد الآفات النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما فى صدورهم من غل الفواحش ما يقطع على

العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ماظهر منها ارتكاب المناهى ومابطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ماظهر منها تتبع
ما لا نفسهم نصيب منه ولو بذرة ومابطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ماظهر منها ترك أدب من الآداب أو التعلق بسبب
من الاسباب ومابطن الركون الى شئ فى الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى وهو حب
غير الله فانه وضع فى غير موضعه وأن يستغيثوا (٩٠) بغير الله مالم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وأن تقولوا بفتوى النفس وهواها

أو بنظر العقل على الله مالا تعلمون
حقيقتها أو تقولوا فى معرفة الله
وبيان أحوال السائرين مالستم به
عارفين ولكل أمة من السائرين الى
الله أو الى الجنة مدة مضروبة فى الازل
وفيه وعد للاولياء واستمالة لقلوبهم
ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم
﴿يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم
يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك
أصحاب النار هم فيها خالدون فمن
أظلم ممن افترى على الله كذبا أو
كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم
من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا
يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون
من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
قال ادخلوا فى أمم قد خلت من
قبلكم من الجن والانس فى النار
كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى
اذا اداركوا فيها جميعا قالت أخراهم
لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم
عذابا ضعفا من النار قال لكل
ضعف ولكن لا تعلمون وقالت
أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا
من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم
تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا
واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج

الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا عليه
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا
الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾
۞ القراآت حتى اذا اداركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تداركوا بالتاء سهل مخير وكذلك قوله تعالى قلتم وقالوا اثاقلتم وادارأتم اطيرنا وافق الكسائى

السدى فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين يقول فلنسألن الامم ما عملوا فيما جاءت به
الرسل ولنسألن الرسل هل بلغوا ما أرسلوا به حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد
المدنى قال قال مجاهد فلنسألن الذين أرسل اليهم الامم ولنسألن الذين أرسلنا اليهم عما ائتمناهم عليه
هل بلغوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين﴾ يقول تعالى ذكره فلنخبرن
الرسل ومن أرسلتهم اليه بيقين علم بما عملوا فى الدنيا فيما كنت أمرتهم به وما كنت نهيتهم عنه وما
كنا غائبين عنهم وعن أفعالهم التى كانوا يفعلونها وان قال قائل وكيف يسأل الرسل والمرسل اليهم
وهو يخبر أنه يقص عليهم بعلم بأعمالهم وأفعالهم فى ذلك قيل ان ذلك منه تعالى ذكره ليس بمسئلة
استرشاد ولا مسئلة تعرف منهم ماهو به غير عالم وانما هو مسألة توبيخ وتقرير معناها الخبر كما يقول
الرجل للرجل ألم أحسن اليك فأسأت وألم أصلك فقطعت فكذلك مسئلة الله المرسل اليهم بأن
يقول لهم ألم يأتكم رسلى بالبينات ألم أبعث اليكم النذر فتنذركم عذابى وعقابى فى هذا اليوم من
كفر بى وعبد غيرى كما أخبر جل ثناؤه أنه قائل لهم يومئذ ألم أعهد اليكم يابنى آدم ألا تعبدوا
الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ونحو ذلك من القول الذى ظاهره
ظاهر مسألة ومعناه الخبر والقصص وهو بعد توبيخ وتقرير وأما مسألة الرسل الذى هو قصص
وخبر فان الامم المشركة لما سئلت فى القيامة قيل لها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم
أنكر ذلك كثير منهم وقالوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقيل للرسل هل بلغتم ما أرسلتم به أو قيل
لهم ألم تبلغوا الى هؤلاء ما أرسلتم به كما جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما قال جل
ثناؤه لأمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس
ويكون الرسول عليكم شهيدا فكل ذلك من الله مسألة للرسل على وجه الاستشهاد لهم على من
أرسلوا اليه من الامم وللمرسل اليهم على وجه التقرير والتوبيخ وكل ذلك بمعنى القصص والخبر فأما
الذى هو عن الله منفى من مسألته خلقه فالمسألة التى هى مسألة استرشاد واستثبات فيما لا يعلمه
السائل عنها ويعلمه المسؤل ليعلم السائل علم ذلك من قبله فذلك غير جائز أن يوصف الله به لانه
العالم بالاشياء قبل كونها وفى حال كونها وبعد كونها وهى المسألة التى نفاها جل ثناؤه
عن نفسه بقوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وبقوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
يعنى لا يسأل عن ذلك أحدا منهم علم مستثبت ليعلم علم ذلك من قبل من سأل منه لانه العالم بذلك
كله وبكل شئ غيره وقد ذكرنا ما روى فى معنى ذلك من الخبر فى غير هذا الموضع فكرهنا اعادته
وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقول فى معنى قوله فلنقصن عليهم بعلم أنه ينطق لهم كتاب عملهم
عليهم بأعمالهم وهذا قول غير بعيد من الحق غير أن الصحيح من الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ليس بينه وبينه ترجمان فيقول
له أتذكر يوم فعلت كذا وفعلت كذا حتى يذكره ما فعل فى الدنيا والتسليم لخبر رسول الله صلى الله

عليه وسلم أولى من التسليم لغيره ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴾ الوزن مصدر من قول القائل وزنت كذا وكذا أزنه وزنا وزنة مثل وعدته أعده وعدا وعدة وهو مرفوع بالحق والحق به ومعنى الكلام والوزن يوم نسأل الذين أرسل اليهم والمرسلين الحق ويعنى بالحق العدل وكان مجاهد يقول الوزن فى هذا الموضع القضاء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ القضاء وكان يقول أيضا معنى الحق ههنا العدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال العدل * وقال آخرون معنى قوله والوزن يومئذ الحق وزن الاعمال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله والوزن يومئذ الحق توزن الاعمال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن جناح بعوضة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والوزن يومئذ الحق قال قال عبيد بن عمير يؤتى بالرجل الطويل العظيم فلا يزن جناح بعوضة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يوسف بن صهيب عن موسى عن بلال بن يحيى عن حذيفة قال صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام قال يا جبريل زن بينهم فرد على المظلوم وان لم يكن له حسنات حمل عليه من سيآت صاحبه فيرجع الرجل وعليه مثل الجبال فذلك قوله والوزن يومئذ الحق * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فمن ثقلت موازينه فقال بعضهم معناه فمن كثرت حسناته ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فمن ثقلت موازينه قال حسناته * وقال آخرون معنى ذلك فمن ثقلت موازينه التى توزن بها حسناته وسيآته قالوا وذلك هو الميزان الذى يعرفه الناس له لسان وكفتان ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال لى عمرو ابن دينار قوله والوزن يومئذ الحق قال انا نرى ميزانا وكفتين سمعت عبيد بن عمير يقول يجعل الرجل العظيم الطويل فى الميزان ثم لا يقوم بجناح ذباب * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى ذكرناه عن عمرو بن دينار من أن ذلك هو الميزان المعروف الذى يوزن به وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيآت كما قال جل ثناؤه فمن ثقلت موازينه موازين عمله الصالح فأولئك هم المفلحون يقول فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح وأدركوا الفوز بالطلبات والخلود والبقاء فى الجنات لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ما وضع فى الميزان شئ أثقل من حسن الخلق ونحو ذلك من الاخبار التى تحقق أن

فى تناقلتم أخراهم لأولاهم بالامالة الشديدة ابراهيم بن حماد وحمزة وعلى وخلف وقرأ أبو عمرو وغير ابراهيم بن حماد أولاهم بالامالة اللطيفة أخراهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجارى والخزاز عن هبيرة فى أخراهم بالامالة الشديدة فآتهم بضم الهاء رويس وكذلك كل كلمة سقطت الياء لعلة الا قوله ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبة أبو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التأنيث والتخفيف أبو عمرو وقرأ حمزة وعلى وخلف بفتح ياء تحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التأنيث والتشديد (٩١) غواشى بالياء فى الوقف يعقوب وكذلك كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين أولاجتماع الساكنين وهو مذهب سهل من طريق ابن دريد ما كنا بغير واو العطف ابن عامر الآخرون بالواو أورثتموها وبابه باد غام الثاء أبو عمرو وحمزة وعلى وهشام ۞ الوقوف آياتى لا لان الفاء بعده لجواب الشرط ولاهم يحزنون ○ النار ط خالدون ○ بآياته ط من الكتاب ط يتوفونهم لا لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين ○ فى النار ط أختها ط جميعا لا لما قلنا من النار ط لا يعلمون ○ يكسبون ○ الخياط ط المجرمين ○ غواش ج الظالمين ○ وسعها ط وجعل أولئك خبر الموصول أوجه بناء على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضة الجنة ط خالدون ○ الأنهار ط للعطف مع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق ط لابتداء النداء بانها جزاء بعد انتهاء الحمد والثناء على أنها عطاء تعملون ○ ۞ التفسير لما بين أحوال التكليف وأن لكل أحد أجلا معينا لا يتقدم ولا يتأخر بين أنهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا فى أشد العذاب فقال (يابنى آدم اما يأتينكم) واعرابه مثل مامر فى سورة البقرة فاما يأتينكم منى هدى والراجع محذوف أى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون أقطع لعذرهم وأقرب الى الفهم والانس ومعنى آياتى أحكامى وشرائعى الدالة على صحة المبدا والمعاد ثم فظع شأن الجاحدين بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته والاول الحكم بوجود مالم يوجد كأقوال أصناف المشركين وطوائف المبتدعة والثانى انكار حكم وجد من نبى أو كتاب ثم أخبر عن عاقبة أمرهم فقال (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) قيل أى العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج أى أنواع البلايا المعدة لكل صنف منهم من

ذلك ميزان يوزن به الاعمال على ما وصفت فان أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه وجهته وقال أو بالله حاجة الى وزن الاشياء وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه اياه وبعده وفي كل حال أو قال وكيف توزن الاعمال والاعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة وانما توزن الاشياء لتعرف ثقلها من خفتها وكثرتها من قلتها وذلك لا يجوز الا على الاشياء التي توصف بالثقل والخفة والكثرة والقلة قيل له في قوله وما وجه وزن الله الاعمال وهو العالم بمقاديرها قبل كونها وزن ذلك نظير اثباته اياه في أم الكتاب واستنساخه ذلك في الكتاب من غير حاجة به اليه ومن غير خوف من نسيانه وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده بل ليكون ذلك حجة على خلقه كما قال جل ثناؤه في تنزيله كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الآية فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان حجة عليهم ولهم اما بالتقصير في طاعته والتضييع واما بالتكميل والتتميم وأما وجه جواز ذلك فانه كما حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا جعفر بن عون قال ثنا عبد الرحمن بن زياد الافريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة الى الميزان فيوضع في الكفة فيخرج له تسعة وتسعون سجلا فيها خطاياه وذنوبه قال ثم يخرج له كتاب مثل الانملة فيها شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم قال فتوضع في الكفة فترجح بخطاياه وذنوبه فكذلك وزن الله أعمال خلقه بأن يوضع العبد وكتب حسناته في كفة من كفتي الميزان وكتب سيآته في الكفة الاخرى ويحدث الله تبارك وتعالى ثقلا وخفة في الكفة التي الموزون بها أولى احتجاجا من الله بذلك على خلقه كفعله بكثير منهم من استنطاق أيديهم وأرجلهم استشهادا بذلك عليهم وما أشبه ذلك من حججه ويسئل من أنكر ذلك فيقال له ان الله أخبرنا تعالى ذكره أنه يثقل موازين قوم في القيامة ويخفف موازين آخرين وتظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحقيق ذلك فما الذي أوجب لك انكار الميزان أن يكون هو الميزان الذي وصفنا صفته الذي يتعارفه الناس أحجة عقل فقد يقال وجه صحته من جهة العقل وليس في وزن الله جل ثناؤه خلقه وكتب أعمالهم لتعريفهم أثقل القسمين منها بالميزان خروج من حكمة ولا دخول في جور في قضية فما الذي أحال ذلك عندك من حجة أعقل أو خبر اذ كان لا سبيل الى حقيقة القول بافساد ما لا يدفعه العقل الا من أحد الوجهين اللذين ذكرت ولا سبيل الى ذلك وفي عدم البرهان على صحة دعواه من هذين الوجهين وضوح فساد قوله وصحة ما قاله أهل الحق في ذلك وليس هذا الموضع من مواضع الاكثار في هذا المعنى على من أنكر الميزان الذي وصفنا صفته اذ كان قصدنا في هذا الكتاب البيان عن تأويل القرآن دون غيره ولولا ذلك لقرنا الى ما ذكرنا نظائره وفي الذي ذكرنا من ذلك كفاية لمن وفق لفهمه ان شاء الله ۞ القول في تأويل قوله (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) يقول جل ثناؤه ومن خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل باقراره بتوحيد الله والايمان به وبرسوله واتباع

السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا أن ننصفهم ولا نتعدى عليهم وأن نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيئته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك أو على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كأنه سبحانه بين أنهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا أن ذلك (٩٢) ليس بمانع من أن ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) وذلك أن حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام وانه ههنا جملة شرطية فدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب يكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت وأعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الآخرة والرسل ملائكة العذاب يتوفون عدتهم عند حشرهم الى النار أي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم أحد قال في الكشاف ما وقعت موصولة بأين في خط المصحف قلت واني رأيت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الآية أين الآلهة التي تدعون أي تعبدونهم وتدعونهم في الشدائد (قالوا) على سبيل الاعتراف والعود الى الانصاف (ضلوا عنا) أي غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم (وشهدوا على أنفسهم) بالاعتراف أو بشهادة الجوارح عند معاينة الموت (أنهم كانوا كافرين) ثم شرح بقية أحوال الكفار وذلك قوله (قال) أي الله وعن مقاتل هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز أن يكلم الكفار وان كان كلام سخط (ادخلوا في أمم) قيل أي ادخلوا في النار مع أمم والاولى ان لا يلتزم أمره الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة أمم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان أصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن فيهم سابق ومسبوق (كلما دخلت أمة لعنت أختها) في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك واليهودي يلعن اليهودي والنصراني يلعن النصراني وكذا المجوس وسائر أديان الضلالة واذا لعنت نظيرها فلأن تلعن غيرها أولى (حتى اذا اداركوا فيها) أي تداركوا بمعنى تلاحقوا

أمره ونهيه فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته بما كانوا بآياتنا يظلمون يقول بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون فلا يقرون بصحتها ولا يوقنون بحقيقتها كالذى حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن الاعمش عن مجاهد ومن خفت موازينه قال حسناته وقيل فأولئك ومن فى لفظ الواحد لان معناه الجمع ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا

❁ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد مكناكم فى الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد وطنا لكم أيها الناس فى الارض وجعلناها لكم قرارا تستقرون فيها ومهادا تمتهدونها وفراشا تفترشونها وجعلنا لكم فيها معايش تعيشون بها أيام حياتكم من مطاعم ومشارب نعمة منى عليكم واحسانا منى اليكم قليلا ما تشكرون يقول وأنتم قليل شكركم على هذه النعم التى أنعمتها عليكم لعبادتكم غيرى واتخاذكم الها سواى والمعايش جمع معيشة * واختلفت القراء فى قراءتها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار معايش بغير همز وقرأه عبد الرحمن الاعرج معائش بالهمز والصواب من القراءة فى ذلك عندنا معايش بغير همز لانها مفاعل من قول القائل عشت تعيش فالميم فيها زائدة والياء فى الحكم متحركة لان واحدها مفعلة معيشة متحركة الياء نقلت حركة الياء منها إلى العين فى واحدها فلما جمعت ردت حركتها اليها لسكون ما قبلها وتحركها وكذلك تفعل العرب بالياء والواو اذا سكن ما قبلهما وتحركتا فى نظائر ما وصفنا من الجمع الذى يأتى على مثال مفاعل وذلك مخالف لما جاء من الجمع على مثال فعائل التى تكون الياء فيها زائدة ليست بأصل فان ما جاء من الجمع على هذا المثال فالعرب تهمزه كقولهم هذه مدائن وصحائف ونظائر لان مدائن جمع مدينة والمدينة فعيلة من قولهم مدنت المدينة وكذلك صحائف جمع صحيفة والصحيفة فعيلة من قولك صحفت الصحيفة فالياء فى واحدها زائدة ساكنة فاذا جمعت همزت لخلافها فى الجمع الياء التى كانت فى واحدها وذلك انها كانت فى واحدها ساكنة وهى فى الجمع متحركة ولو جعلت مدينة مفعلة من دان يدين وجمعت على مفاعل كان الفصيح ترك الهمز فيها وتحريك الياء وربما همزت العرب جمع مفعلة فى ذوات الياء والواو وان كان الفصيح من كلامها ترك الهمز فيها اذا جاءت على مفاعل تشبيها منهم جمعها بجمع فعيلة كما تشبه مفعلا بفعيل فتقول مسيل الماء من سال يسيل ثم تجمعها جمع فعيل فتقول هى أمسلة فى الجمع تشبيها منهم لها بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه أبعرة وكذلك يجمع المصير وهو مفعل مصران تشبيها له بجمع بعير وهو فعيل اذ تجمعه بعران وعلى هذا همز الأعرج معايش وذلك ليس بالفصيح فى كلامها وأولى ما قرئ به كتاب الله من الألسن أفصحها وأعرفها دون أنكرها وأشذها

❁ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويل ذلك ولقد خلقناكم فى ظهر آدم أيها الناس ثم صورناكم فى أرحام النساء خلقا مخلوقا ومثالا ممثلا فى صورة آدم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى

واجتمعوا فى النار وأدرك بعضهم بعضا واستقر معه (قالت أخراهم) أى آخرتهم دخولا فى النار (لاولاهم) دخولا فيها أو أتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لا بد وأن يكون مقدما على الضال فى دخول النار واللام بمعنى التعليل أى لاجل أولاهم وذلك لأن خطابهم مع الله لا معهم (ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم) الفاء للجزاء (عذابا ضعفا) أى مضاعفا وذلك عذاب الضلال وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه فى أعينهم والسعى فى اخفاء الدلائل قال أبو عبيدة الضعف (٩٣) مثل الشئ مرة واحدة وهو قول الشافعى فى رجل أوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدى يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الأزهرى العرب تريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على المثلين بدليل قوله عز من قائل فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وأقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وانما قال الشافعى ما قال لان ذلك متيقن وما فوقه مشكوك (قال) أى الله أو خازن النار (لكل) من القادة والأتباع (ضعف) اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم وروجوا أمرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب للشخص الذى يستحق العذاب ظلم وأجيب فى التفسير الكبير بأن عذاب الكفار مؤبد فكل ألم يحصل فانه يعقبه حصول ألم آخر الى غير النهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب أن يقال معنى تضعيف عذاب التابع والمتبوع أن ذلك العذاب زائد على مقدار ما تستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من جهة التابعية والمتبوعية والله أعلم (ولكن لا تعلمون) من قرأه على الغيبة فمعناه لا يعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون أيها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب أو لا تعلمون يا أهل الدنيا ما مقدار ذلك (وقالت أولاهم لأخراهم) اذ قد حكم الله بأن لكل منا ضعفا (فما كان) أى فما ثبت (لكم علينا من فضل) لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) يحتمل أن يكون من قول القادة وأن يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار يوم القيامة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا أن الكذب يجوز أن يصدر عنهم يوم القيامة الا أن هذا الكلام لا يجوز أن يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بأن لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال (ان

الذين كذبوا بآياتنا) وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد (واستكبروا عنها) أي ترفعوا عن قبولها (لا تفتح لهم أبواب السماء)
قال ابن عباس أي لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
ومن قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء التي هي موضع بهجة الأرواح وأماكن سعاداتها
كما جاء في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء (٩٤) فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب و يقال
لها ذلك حتى تنتهي الى السماء السابعة و يستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء وقيل بناء على أن الجنة في السماء معناه ولا يؤذن لهم في الصعود الى السماء ولا تطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل أي لا تنزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى أن طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلاثة وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل من أعظم الاجسام المشهورة عند العرب كما قال

لا عيب بالقوم من طول ومن عظم
جسم الجمال وأحلام العصافير

وكان سم الابرة مثلا في ضيق المسلك حتى قيل أضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة بأخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا أفعل كذا حتى يشيب فيها الغراب و يبيض القار وقرئ الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه لانه حبل ضخم من ليف أو خوص من آلات السفن واختار ابن عباس هذا التفسير قائلا ان الله تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه وأهل التناسخ أولوا الآية بأن الارواح التي كانت في الابدان البشرية لما عصت وأذنبت فانها بعد موت الابدان ترد من بدن الى بدن

طلحة عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قوله خلقناكم يعني آدم وأما صورناكم فذريته حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية قال أما خلقناكم فآدم وأما صورناكم فذرية آدم من بعده حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي جعفر عن الربيع ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في الارحام حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن ابن سعد قال أخبرنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقناكم خلق آدم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولقد خلقناكم ثم صورناكم يقول خلقنا آدم ثم صورنا الذرية في الارحام حدثنا بشر بن آدم قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلق الله آدم من طين ثم صورناكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال خلق الله آدم ثم صور ذريته من بعده حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن هرون عن نصر بن مشاوش عن الضحاك خلقناكم ثم صورناكم قال ذريته حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني ذريته * وقال آخرون بل معنى ذلك ولقد خلقناكم في أصلاب آبائكم ثم صورناكم في بطون أمهاتكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شريك عن سماك عن عكرمة ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم في أصلاب الرجال وصورناكم في أرحام النساء حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال سمعت الاعمش يقرأ ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء * وقال آخرون بل معنى ذلك خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم يعني في ظهره ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولقد خلقناكم قال آدم ثم صورناكم قال في ظهر آدم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولقد خلقناكم ثم صورناكم في ظهر آدم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال صورناكم في ظهر آدم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال سمعت مجاهدا في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال في ظهر آدم لما تصيرون اليه من الثواب في الآخرة * وقال آخرون معنى ذلك ولقد خلقناكم في بطون أمهاتكم ثم صورناكم

فيها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عمن ذكره قال خلقنا كم ثم صورنا كم قال خلق الله الانسان فى الرحم ثم صوره فشق سمعه وبصره وأصابعه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب قول من قال تأويله ولقد خلقنا كم ولقد خلقنا آدم ثم صورنا كم بتصويرنا آدم كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجل بالافعال تضيفها اليه والمعنى فى ذلك سلفه وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتينا كم بقوة وما أشبه ذلك من الخطاب الموجه الى الحى الموجود والمراد به السلف المعدوم فكذلك ذلك فى قوله ولقد خلقنا كم ثم صورنا كم معناه ولقد خلقنا أبا كم آدم ثم صورناه وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال فى ذلك بالصواب لان الذى يتلو ذلك قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصور ذريته فى بطون أمهاتهم بل قبل أن يخلق أمهاتهم وثم فى كلام العرب لا تأتى الا بايذان انقطاع ما بعدها عما قبلها وذلك كقول القائل قمت ثم قعدت لا يكون القعود اذ عطف به بثم على قوله قمت الا بعد القيام وكذلك ذلك فى جميع الكلام ولو كان العطف فى ذلك بالواو جاز أن يكون الذى بعدها قد كان قبل الذى قبلها وذلك كقول القائل قمت وقعدت جائز أن يكون القعود فى هذا الكلام قد كان قبل القيام لان الواو تدخل فى الكلام اذا كانت عطفا لتوجب للذى بعدها من المعنى ما وجب للذى قبلها من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان فى وقت واحد أو وقتين مختلفين أو ان كانا فى وقتين أيهما المتقدم وأيهما المتأخر فلما وصفنا قلنا ان قوله ولقد خلقنا كم ثم صورنا كم لا يصح تأويله الا على ما ذكرنا فان ظن ظان أن العرب اذ كانت ربما نطقت بثم فى موضع الواو فى ضرورة شعر كما قال بعضهم

سألت ربيعة من خيرها * أبا ثم أما فقالت لمه

يعنى أبا وأما فان ذلك جائز أن يكون نظيره فان ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شئ منه الى الشاذ من لغاتها وله فى الأفصح الاشهر معنى مفهوم ووجه معروف وقد وجه بعض من ضعفت معرفته بكلام العرب ذلك الى أنه من المؤخر الذى معناه التقديم وزعم أن معنى ذلك ولقد خلقنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ثم صورنا كم وذلك غير جائز فى كلام العرب لانها لا تدخل ثم فى الكلام وهى مراد بها التقديم على ما قبلها من الخبر وان كانوا قد يقدمونها فى الكلام اذا كان فيه دليل على أن معناها التأخير وذلك كقولهم قام ثم عبد الله عمرو فأما اذا قيل قام عبد الله ثم قعد عمرو فغير جائز أن يكون قعود عمرو كان الا بعد قيام عبد الله اذا كان الخبر صدقا فقول الله تبارك وتعالى ولقد خلقنا كم ثم صورنا كم ثم قلنا للملائكة اسجدوا نظير قول القائل قام عبد الله ثم قعد عمرو فى أنه غير جائز أن يكون أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان الا بعد الخلق والتصوير لما وصفنا قبل وأما قوله

ولا تزال تبقى فى التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فتنفذ فى سم الخياط وحينئذ تصير مطهرة عن تلك الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون المار ذكرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين أنهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم يدخلون النار فقال (لهم من جهنم مهاد) أى فراش (ومن فوقهم غواش) هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك أى يجللك (٩٥) والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثله فى جوار أعنى انه للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء أو عن اسكان الياء (وكذلك نجزى الظالمين) هم المشركون أو الفسقة الذين ظلموا أنفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وقوله (لا نكلف نفسا الا وسعها) وقدمر تفسيره فى آخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن وفيه تنبيه للقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها تحصل بالعمل السهل من غير ما حرج وصعوبة فبعدا لمن فاتته وسحقا لمن فارقته ومن جعله خبرا فالعائد محذوف أى لا نكلف نفسا منهم ثم وصف أخلاق أهل الجنة فقال (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى أن يغل وللآية تفسيران الاول أزلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من أن يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التوادد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم الثانى ان درجات أهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى أزال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرئ بعض أهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببديع ولا بعيد من حال أهل الجنة فان أولياء الله تعالى فى دار الدنيا أيضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجة لغيره أحسن من زوجته ولا الى مشتهى ألذ مما رزقه الله وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون

كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام ببركة أولئك الكرام (تجرى من تحتهم الانهار) وهذه من جملة أسباب التنزه والترفه ان أجرى
على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان أريد بها أنواع المكاشفات وأصناف التجليات (وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا) النعيم المقيم
والفوز العظيم بأن يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف أو بأن أعطى العقل ونصب الادلة وأزاح العلة (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا
الله) من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف (٩٦) الواو فلانها جملة يقرب معناها من معنى الاولى وكأنها تفسرها فلا حاجة الى العطف
المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فجعله واسطة لهدايتنا أولطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف (ونودوا أن تلكم) بأنه تلكم (الجنة) والضمير للشأن والحديث ويجوز كونه بمعنى أى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكأنه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز أن يكون التبعيد للتعظيم ومعنى (أورثتموها) صارت اليكم كما يصير الميراث الى أهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف أو العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان أهل الجنة يرثون منازل أهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله (بما كنتم تعملون)
يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة ذلك
بفضله وجعل العمل أمارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا أو الملك الموكل بذلك والله تعالى أعلم ۞ التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الهامات
من أنفسكم من طريق قلوبكم وأسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول أكرمنى
الله بالكرامات والمقامات ولم يعط أو كذب بمقامات أعطاها بعض أوليائه أولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا

للملائكة اسجدوا لآدم فانه يقول جل ثناؤه فلما صورنا آدم وجعلناه خلقا سويا ونفخنا فيه من روحنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ابتلاء منا واختبارا لهم بالأمر ليعلم الطائع منهم من العاصى فسجدوا يقول فسجد الملائكة الا إبليس فانه لم يكن من الساجدين لآدم حين أمره الله مع من أمر من سائر الملائكة غيره بالسجود وقد بينا فيما مضى المعنى الذى من أجله امتحن جل جلاله ملائكته بالسجود لآدم وأمر إبليس وقصصه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيله لابليس اذ عصاه فلم يسجد لآدم اذ أمره بالسجود له يقول قال الله لابليس ما منعك أى شىء منعك أن لا تسجد أن تدع السجود لآدم اذ أمرتك أن تسجد قال أنا خير منه يقول قال ابليس أنا خير من آدم خلقتنى من نار وخلقته من طين فان قال قائل أخبرنا عن ابليس ألحقته الملامة على السجود أم على ترك السجود فان تكن لحقته الملامة على ترك السجود فكيف قيل له ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك وان كان النكير على السجود فذلك خلاف ما جاء به التنزيل فى سائر القرآن وخلاف ما يعرفه المسلمون قيل ان الملامة لم تلحق ابليس الا على معصيته ربه بتركه السجود لآدم اذ أمره بالسجود له غير أن فى تأويل قوله ما منعك أن لا تسجد اذ أمرتك بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافا أبدأ بذكر ما قالوا ثم أذكر الذى هو أولى ذلك بالصواب فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك ما منعك أن تسجد ولا ههنا زائدة كما قال الشاعر

أبى جوده لا البخل واستعجلت به * نعم من فتى لا يمنع الجوع قاتله

وقال فسرته العرب أبى جوده البخل وجعلوا لا زائدة حشوا ههنا وصلوا بها الكلام قال وزعم يونس أن أبا عمرو كان يجر البخل ويجعل لا مضافة اليه أراد أبى جوده لا التى هى للبخل ويجعل لا مضافة لأن لا قد تكون للجود والبخل لأنه لو قال له امنع الحق ولا تعط المسكين فقال لا كان هذا جودا منه * وقال بعض نحويى الكوفة نحو القول الذى ذكرناه عن البصريين فى معناه وتأويله غير أنه زعم أن العلة فى دخول لا فى قوله أن لا تسجد أن فى أول الكلام جحدا يعنى بذلك قوله لم يكن من الساجدين فان العرب ربما أعادوا فى الكلام الذى فيه جحد الجحد كالاستيثاق والتوكيد له قال وذلك كقولهم

ما ان رأينا مثلهن لمعشر * سود الرؤس فوالج وفيول

فأعاد على الجحد الذى هو ما جحدا وهو قوله ان فجمعهما للتوكيد * وقال آخر منهم ليست لا بحشو فى هذا الموضع ولا صلة ولكن المنع ههنا بمعنى القول وانما تأويل الكلام من قال لك لا تسجد اذ أمرتك بالسجود ولكن دخل فى الكلام أن اذ كان المنع بمعنى القول لا فى لفظه كما يفعل ذلك فى سائر الكلام الذى يضارع القول وهو له فى اللفظ مخالف كقولهم ناديت أن لا تقم وحلفت أن لا تجلس وما أشبه

جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد أن كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون أنهم كانوا كافرين ساترين الحق بالباطل فهداهم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار وقدم الجن لان الله تعالى خلق أولا بنى الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى أهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة (٩٧) وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت أمة فى أعمال أهل النار لعنت أختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سنوها حتى اذا تداركوا الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لأن من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لأن المتأخر أيضا متقدم الذى يتلوه ويستن بسنته ولكن لا تعلمون أنكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم أبواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط أحكام الشريعة وآداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ماسوى الله أدق من الشعرة بألف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صارت أنفسهم فى حمل الاوزار كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فتذهبهم وتحرق أنانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى تيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن

ذلك من الكلام وقال بعض من روى أبى جوده لا البخل بمعنى كلمة البخل لان لا هى كلمة البخل فكأنه قال كلمة البخل وقال بعضهم معنى المنع الحول بين المرء وما يريده قال والممنوع مضطر به الى خلاف ما منع منه كالممنوع من القيام وهو يريده فهو مضطر من الفعل الى ما كان خلافا للقيام اذ كان المختار للفعل هو الذى له السبيل اليه والى خلافه فيؤثر أحدهما على الآخر فيفعله قال فلما كانت صفة المنع ذلك خوطب ابليس بالمنع فقيل له ما منعك ألا تسجد كان معناه كأنه قيل له أى شئ اضطرك الى أن لا تسجد * قال أبو جعفر والصواب عندى من القول فى ذلك أن يقال ان فى الكلام محذوفا قد كفى دليل الظاهر منه وهو أن معناه ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين قوله الا ابليس لم يكن من الساجدين أن ذلك معنى الكلام من ذكره ثم عمل قوله ما منعك فى أن ما كان عاملا فيه قبل أحوجك لو ظهر اذ كان قد ناب عنه وانما قلنا ان هذا القول أولى بالصواب لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون فى كتاب الله شئ لا معنى له وأن لكل كلمة معنى صحيحا فتبين بذلك فساد قول من قال لا فى الكلام حشو لا معنى لها وأما قول من قال معنى المنع ههنا القول فلذلك دخلت لا مع أن فان المنع وان كان قد يكون قولا وفعلا فليس المعروف فى الناس استعمال المنع فى الامر بترك الشئ لان المأمور بترك الفعل اذا كان قادرا على فعله وتركه ففعله لا يقال فعله وهو ممنوع من فعله الا على استكراه الكلام وذلك ان المنع من الفعل حول بينه وبينه فغير جائز ان يكون وهو محول بينه وبينه فاعلا له لانه ان جاز ذلك وجب ان يكون محولا بينه وبينه لا محولا وممنوعا لا ممنوعا وبعد فان ابليس لم يأتمر لامر الله تعالى بالسجود لآدم كبرا فكيف كان يأتمر لغيره فى ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم فيجوز أن يقال له أى شئ قال لك لا تسجد لآدم اذ أمرتك بالسجود له ولكن معناه ان شاء الله ما قلت ما منعك من السجود له فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك الى أن لا تسجد له على ما بينت وأما قوله أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فانه خبر من الله جل ثناؤه عن جواب ابليس اياه اذ سأله ما الذى منعه من السجود لآدم فأحوجه الى أن لا يسجد له واضطره الى خلافه أمره به وتركه طاعته أن المانع كان له من السجود والداعى له الى خلافه أمر ربه فى ذلك أنه أشد منه يدا وأقوى منه قوة وأفضل منه فضلا لفضل الجنس الذى منه خلق وهو النار من الذى خلق منه آدم وهو الطين فجهل عدو الله وجه الحق وأخطأ سبيل الصواب اذ كان معلوما أن من جوهر النار الخفة والطيش والاضطراب والارتفاع علوا والذى فى جوهرها من ذلك هو الذى حمل الخبيث بعد الشقاء الذى سبق له من الله فى الكتاب السابق على الاستكبار عن السجود لآدم والاستخفاف بأمر ربه فأورثه العطب والهلاك وكان معلوما أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والحلم والحياء والتثبت وذلك الذى فى جوهره من ذلك كان الداعى لآدم بعد السعادة التى كانت سبقت له من ربه فى الكتاب السابق الى التوبة من خطيئته ومسئلته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان الحسن وابن سيرين يقولان أول من قاس ابليس يعنيان بذلك

أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ (٩٨) القرآآت نعم بكسر العين حيث كان علي الباقون بالفتح مؤذن بغير همز النجاري عن ورش ويزيد والشموني وحمزة في الوقف أن مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وأبو عمرو وأبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب ۞ الوقوف حقا ج لانتهاء الاستفهام نعم ج للعطف مع الابتداء بالتأذين على الظالمين ○ لا لأن الذين صفتهم عوجا ج لاحتمال الواو الاستئناف أو الحال كافرون ○ لان ما بعده لم يدخل في التأذين ولم يجز أن يكون حالا حجاب ج لتناهي حال الفئتين واتفاق الجملتين بسيماهم ط يطمعون ○ أصحاب النار لا لأن ما بعده جواب اذا الظالمين ○ تستكبرون ○ برحمة ط لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون ○ رزقكم الله ط الكافرين ○ الحياة الدنيا ج للابتداء مع فاء التعقيب هذا لا وما مصدرية كما في كما نسوا والتقدير ننساهم كنسيانهم وجحودهم يجحدون ○ يؤمنون ○ الا تأويله ط بالحق ج لابتداء الاستفهام مع الفاء التعقيب كنا نعمل ط يفترون ○ ۞ التفسير لما شرح وعيد الكفار وثواب الابرار أتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال (ونادى) وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه من حيث تحقق وقوعه كالماضي والظاهر أن هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها قيل الجنة في أعلى السموات والنار في أسفل الارض هو ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء وأجيب بأن البعد الشديد والقرب القريب عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلا يسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل أهل الجنة لكل أهل النار لان أصحاب الجنة وأصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من أهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وأن في أن قد وجدنا مفسرة أو مخففة من الثقيلة كما مر في

القياس الخطا وهو هذا الذي ذكرنا من خطا قوله وبعده من اصابة الحق في الفضل الذي خص الله به آدم على سائر خلقه من خلقه اياه بيده ونفخه فيه من روحه واسجاده له الملائكة وتعليمه أسماء كل شئ مع سائر ما خصه به من كرامته فضرب عن ذلك كله الجاهل صفحا وقصد الى الاحتجاج بأنه خلقه من نار وخلق آدم من طين وهو في ذلك أيضا له غير كفؤ لو لم يكن لآدم من الله جل ذكره تكرمة شئ غيره فكيف والذي خص به من كرامته يكثر تعداده ويعل احصاؤه **حدثني** عمرو بن مالك قال ثنا يحيى بن سليم الطائفي عن هشام عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر الا بالمقاييس **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد ابن كثير عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن الحسن قوله خلقتني من نار وخلقته من طين قال قاس ابليس وهو أول من قاس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم قال للملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات اسجدوا لآدم فسجدوا كلهم أجمعون الا ابليس استكبر لما كان حدث نفسه من كبره واغتراره فقال لا أسجد له وأنا خير منه وأكبر سنا وأقوى خلقا خلقتني من نار وخلقته من طين يقول ان النار أقوى من الطين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله خلقتني من نار قال ثم جعل ذريته من ماء * قال أبو جعفر وهذا الذي قاله عدو الله ليس لما سأله عنه بجواب وذلك ان الله تعالى ذكره قال له ما منعك من السجود فلم يجب بأن الذي منعه من السجود انه خلقه من نار وخلق آدم من طين ولكنه ابتدأ خبرا عن نفسه فيه دليل على موضع الجواب فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه قال الله لابليس عند ذلك فاهبط منها وقد بينا معنى الهبوط فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فما يكون لك أن تتكبر فيها يقول تعالى ذكره فقال الله له اهبط منها يعني من الجنة فما يكون لك يقول فليس لك أن تستكبر في الجنة عن طاعتي وأمري فان قال قائل هل لأحد ان يتكبر في الجنة قيل ان معنى ذلك بخلاف ما اليه ذهبت وانما معنى ذلك فاهبط من الجنة فانه لا يسكن الجنة متكبر عن أمر الله فأما غيرها فانه قد يسكنها المستكبر عن أمر الله والمستكين لطاعته وقوله فاخرج انك من الصاغرين يقول فاخرج من الجنة انك من الذين قد نالهم من الله الصغار والذل والمهانة يقال منه صغر يصغر صغرا وصغارا وصغرانا وقد قيل صغر يصغر صغارا وصغارة وبنحو الذي قلنا قال السدي **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فاخرج انك من الصاغرين والصغار هو الذل ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين﴾ وهذه أيضا جهلة أخرى من جهلاته الخبيثة سأل ربه ما قد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله اليه وذلك انه سأل النظرة الى قيام الساعة وذلك

قوله أن تلكم الجنة وكذا قوله أن لعنة الله لان النداء والتأذين في معنى القول قال ابن عباس (وجدنا ما وعدنا ربنا) في الدنيا من الثواب (حقا) صدقا مطابقا للواقع (فهل وجدتم ما وعد ربكم) من العقاب (حقا) والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين (٩٩) ويحتمل أن يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة (قالوا نعم) قال سيبويه نعم عدة وتصديق أي تستعمل تارة عدة وتارة تصديقا فاذا قال أتعطيني قال نعم فهو عدة واذا قال قد كان كذا وكذا فقلت نعم فقد صدقت والحاصل أن نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا أو منفيين فلو قيل قام زيد أو أقام زيد فتقول نعم كان معناه نعم قام زيد مصدقا أو محققا ولو قيل ما قام زيد أو ألم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا أو محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا في جواب ألست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل أليس لي عليك دينار فقلت نعم التزمت بالدينار بناء على العرف الطارئ بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروى عن عمر أنه سأل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر أما النعم فالابل قولوا نعم وأنكر هذه الرواية أبو عبيد (فأذن مؤذن) قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور بأمر الله فينادي نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار ومعنى التأذين النداء والتصويت للاعلام ومنه الاذان لأنه اعلام بالصلاة وبوقتها والظالمون في الآية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر أنهم الكفار لان الصد عن سبيل الله أي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر أو بالحيلة والقاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله (ويبغونها عوجا) وقد مر في آل عمران والكفر بالآخرة كلاهما من أوصاف الكفرة وانما قدم بالآخرة تصحيحا لفواصل الآي ولم يرد لفظة هم هنا على القياس وأما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وقال ألا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك التبس أنهم هم أم غيرهم فكرر ليعلم أنهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف أهل الجنة والنار فقال (وبينهما) يعني بين الجنة والنار أو بين الفريقين (حجاب) وهو السور المذكور في قوله سبحانه

هو يوم يبعث فيه الخلق ولو أعطي ما سأل من النظرة كان قد أعطي الخلود وبقاء لا فناء معه وذلك أنه لا موت بعد البعث فقال جل ثناؤه له انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وذلك الى اليوم الذي قد كتب الله عليه فيه الهلاك والموت والفناء لأنه لا شئ يبقى فلا يفنى غير ربنا الحي الذي لا يموت يقول الله تعالى ذكره كل نفس ذائقة الموت والانظار في كلام العرب التأخير يقال منه أنظرته بحقي عليه أنظره به انظارا فان قال قائل فان الله قد قال له اذ سأله الانظار الى يوم يبعثون انك من المنظرين في هذا الموضع فقد أجابه الى ما سأل قيل له ليس الامر كذلك وانما كان مجيبا له الى ما سأل لو كان قال له انك من المنظرين الى الوقت الذي سألت أو الى يوم البعث أو الى يوم يبعثون أو ما أشبه ذلك مما يدل على اجابته الى ما سأل من النظرة وأما قوله انك من المنظرين فلا دليل فيه لولا الآية الاخرى التي قد بين فيها مدة انظاره اياه اليها وذلك قوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم على المدة التي أنظره اليها لانه اذا أنظره يوما واحدا أو أقل منه أو أكثر فقد دخل في عداد المنظرين وتم فيه وعد الله الصادق ولكنه قد بين قدر مدة ذلك بالذي ذكرناه فعلم بذلك الوقت الذي أنظر اليه وبنحو ذلك كان السدي يقول حدثني يونس بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم فلم ينظره الى يوم البعث ولكن أنظره الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم ينفخ في الصور النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في الارض فمات فتأويل الكلام قال ابليس لربه أنظرني أي أخرني وأجلني وأنسئ في أجلي ولا تمتني الى يوم يبعثون يقول الى يوم يبعث الخلق فقال تعالى ذكره انك من المنظرين الى يوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فان قال قائل فهل أحد منظر الى ذلك اليوم سوى ابليس فيقال له انك منهم قيل نعم من لم يقبض الله روحه من خلقه الى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة فهم من المنظرين بآجالهم اليه ولذلك قيل لابليس انك من المنظرين بمعنى انك ممن لا يميته الله الا ذلك اليوم ۞ القول في تأويل قوله (قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فبما أغويتني يقول فبما أضللتني كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس قوله فبما أغويتني يقول أضللتني حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فبما أغويتني قال فبما أضللتني وكان بعضهم يتأول قوله فبما أغويتني بما أهلكتني من قولهم غوى الفصيل يغوى غوى وذلك اذا فقد اللبن فمات من قول الشاعر

معطفة الاثناء ليس فصيلها * برازئها درا ولا ميت غوى

وأصل الاغواء في كلام العرب تزيين الرجل للرجل الشئ حتى يحسنه عنده غارا له وقد حكى عن بعض قبائل طئ أنها تقول أصبح فلان غاويا أي أصبح مريضا وكان بعضهم يتأول ذلك أنه بمعنى القسم كأن معناه عنده فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم كما يقال بالله لأفعلن

فضرب بينهم بسور له باب قيل أي حاجة الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم في أسفل سافلين وأجيب بأن بعد أحدهما عن الآخر لا يمنع أن يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير أعرف مما انخفض منه والاعراف في الآية يفسر بالمكان تارة وبغيره أخرى أما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الأعراف أعلى أعالي السور المضروب بين الجنة والنار وروى عن ابن عباس وعنه أيضا أن الأعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان أحدهما أنهم أقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب وثانيهما أنهم في الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه فقال أبو مجلز هم ملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار فقيل له يقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وأنت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه أن الرجل لغة يطلق على من يصلح أن يكون من نوعه أنثى بل يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام أجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على أحوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم أوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم تؤل عاقبة أمرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امهاتهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين أهل الجنة وقال قوم هم الفساق من أهل الصلاة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف وأما الذين فسروه بغير المكان وهو قول الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة أهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام أو بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا أدري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال قوم يعرفون أهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة مبيضة وأهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بأن هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص أصحاب الاعراف بذلك ويمكن أن يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة آمنين وقال المحققون انهم كانوا

كذا وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى المجازاة كأن معناه عنده فلأنك أغويتني أو فبأنك أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم وفي هذا بيان واضح على فساد ما يقول القدرية من أن كل من كفر أو آمن فبتفويض الله أسباب ذلك اليه وأن السبب الذي به يصل المؤمن الى الايمان هو السبب الذي به يصل الكافر الى الكفر وذلك أن ذلك لو كان كما قالوا لكان الخبيث قد قال بقوله فبما أغويتني فبما أصلحتني اذ كان سبب الاغواء هو سبب الاصلاح وكان في اخباره عن الاغواء اخبار عن الاصلاح ولكن لما كان سبباهما مختلفين وكان السبب الذي به غوى وهلك من عند الله أضاف ذلك اليه فقال فبما أغويتني وكذلك قال محمد بن كعب القرظي فيما حدثني موسى ابن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا أبو مودود سمعت محمد بن كعب القرظي يقول قاتل الله القدرية لابليس أعلم بالله منهم وأما قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فانه يقول لأجلسن لبني آدم صراطك المستقيم يعني طريقك القويم وذلك دين الله الحق وهو الاسلام وشرائعه وانما معنى الكلام لأصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك ولأغوينهم كما أغويتني ولأضلنهم كما أضللتني وذلك كما روى عن سبرة بن الفاكه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر وتذر أرضك وسماءك وانما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهد النفس والمال فقال أتقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه فجاهد وروى عن عون بن عبد الله في ذلك ما حدثنا ابن وكيع قال ثنا حيوة أبو يزيد عن عبد الله بن بكير عن محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة والذي قاله عون وان كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله وانما أخبر عدو الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ولم يخصص منه شيأ دون شئ فالذي روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل لان الخبيث لا يألو عباد الله الصد عن كل ما كان لهم قربة الى الله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل في معنى المستقيم في هذا الموضع ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد صراطك المستقيم قال الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال سمعت مجاهدا يقول لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال سبيل الحق فلأضلنهم الا قليلا * واختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي البصرة معناه لأقعدن لهم على صراطك المستقيم كما يقال توجه مكة أي الى مكة وكما قال الشاعر

كأني اذ أسعى لأظفر طائرا * مع النجم من جو السماء يصوب

يعني لأظفر بطائر فألقى الباء وكما قال أعجلتم أمر ربكم يعني أعجلتم عن أمر ربكم وقال بعض نحويي

يعرفون أهل الخير والصلاة والايمان والصلاة وأهل الشر والكفر والافساد وهم كانوا فى الدنيا شهداء الله على أهل الايمان والطاعة وعلى أهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الأعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل أحد بما يليق به ثم قال (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على أهلها ثم أخبر على سبيل الاستئناف أن أهل الاعراف لم يدخلوا الجنة (وهم يطمعون) كأن سائلا سأل عن حالهم أو على انه صفة أخرى لرجال فان قلنا ان أصحاب الاعراف هم الأشراف (١٠١) فيكون الله تعالى أخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على أحوال أهل الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العلا فى الجنة كما روى عن النبى صلى الله عليه وآله أنه قال ان أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى فى وسط السماء وان أبا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين ولا يخفى ما فى هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا أصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه أن ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار) قال الواحدى التلقاء جهة اللقاء وهى جهة المقابلة وهو فى الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الاحرفان تبيان وتلقاء وانه فى الاسم كثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما وقعت أبصار أصحاب الأعراف على أهل النار تضرعوا الى الله تعالى ان لا يجعلهم من زمرتهم وفى بناء الفعل للمفعول وأن لم يقل واذا أبصروا فائدة هى أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا ثم بين أن أصحاب الاعراف ينادون رجالا من أكابر أهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق الا بهم فقال (ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) المال أو كثرتكم واجتماعكم (وما كنتم تستكبرون) عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا فى التبكيت مشيرين الى فريق من أهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون أحوالهم وربما استهزؤا بهم وأنفوا من مشاركتهم فى دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) أما قوله (ادخلوا الجنة) الى آخر الآية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف أو من قول الملائكة لهم بأمره أو من قول بعضهم لبعض وذلك بعد أن يحبسوا ويجلسوا على

الكوفة المعنى والله أعلم لأقعدن لهم على طريقهم وفى طريقهم قال والقاء الصفة من هذا جائز كما تقول قعدت لك وجه الطريق وعلى وجه الطريق لان الطريق صفة فى المعنى يحتمل ما يحتمله اليوم والليلة والعام اذ قيل آتيك غدا وآتيك فى غد * وهذا القول هو أولى القولين فى ذلك عندى بالصواب لان القعود مقتض مكانا يقعد فيه فكما يقال قعدت فى مكانك يقال قعدت على صراطك وفى صراطك كما قال الشاعر

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

فلا تكاد العرب تقول ذلك فى أسماء البلدان لا يكادون يقولون جلست مكة وقمت بغداد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى قوله لآتينهم من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم من قبل الحق وعن شمائلهم من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يقول أشككهم فى آخرتهم ومن خلفهم أرغبهم فى دنياهم وعن ايمانهم أشبه عليهم أمر دينهم وعن شمائلهم أشهى لهم المعاصى وقد روى عن ابن عباس بهذا الاسناد فى تأويل ذلك خلاف هذا التأويل وذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم يعنى من الدنيا ومن خلفهم من الآخرة وعن أيمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم وتحقق هذه الرواية الاخرى التى حدثنى بها محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم قال أما بين أيديهم فمن قبلهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيمانهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيآتهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم الآية أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها وعن أيمانهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيآت والمعاصى ودعاهم اليها وأمرهم بها أتاك يا ابن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوقك لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله * وقال آخرون بل معنى قوله من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم قال من بين أيديهم من قبل دنياهم ومن خلفهم من قبل آخرتهم وعن ايمانهم من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم قال من بين أيديهم من دنياهم ومن خلفهم من آخرتهم وعن ايمانهم من

الاعراف وينظروا الى الفريقين ويقولوا قال المفسرون الرجال ههنا الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان وعمارا وأمثالهم يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا خدمنا ورعاتنا أقسموا أن لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم أصحاب الاعراف ثم ختم المناظرات بقوله (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) قال ابن عباس لما صار أصحاب الأعراف الى الجنة طمع أهل النار بفرج بعد (١٠٢) اليأس فقالوا ربنا ان لنا قرابات من أهل الجنة فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فأمر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر أهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ونظر أهل الجنة الى قراباتهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم وقالوا (أفيضوا علينا من الماء) طلبوا الماء أولا لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على أن أهل الجنة أعلى مكانا من أهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال آخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشئ قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم أنه لا يغنيه قوله (أو مما رزقكم الله) قيل أي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل أي من الثمار أو الطعام والمراد ألقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله

* علفتها تبنا وماء باردا * فيكون في الآية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كأن سائلا سأل فماذا أجابهم أهل الجنة فقيل (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) أي منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة أعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بأنهم (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة) وقدمر تفسير الوصفين في أوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر أن الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال عد وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيامة على سبيل الحكاية فقال (فاليوم ننساهم) أي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قاله الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون وقيل أي نعاملهم معاملة من نسي بتركهم في النار كما فعلوا هم في الاعراض عن آياتنا فسمي جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل أنه

حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيآتهم حدثنا سفيان قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم ثم لآتينهم من بين أيديهم قال من قبل الدنيا يزينها لهم ومن خلفهم من قبل الآخرة يبطئهم عنها وعن ايمانهم من قبل الحق يصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل يرغبهم فيه ويزينه لهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم أما من بين أيديهم فالدنيا أدعوهم اليها وأرغبهم فيها ومن خلفهم فمن الآخرة أشككهم فيها وأبعدها عليهم وعن أيمانهم يعني الحق فأشككهم فيه وعن شمائلهم يعني الباطل أخففه عليهم وأرغبهم فيه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله من بين أيديهم من دنياهم أرغبهم فيها ومن خلفهم آخرتهم أكفرهم بها وأزهدهم فيها وعن ايمانهم حسناتهم أزهدهم فيها وعن شمائلهم مساوي أعمالهم أحسنها اليهم * وقال آخرون معنى ذلك من حيث يبصرون ومن حيث لا يبصرون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قول الله من بين أيديهم وعن ايمانهم قال حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور قال تذاكرنا عند مجاهد قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فقال مجاهد هو كما قال يأتيهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم زاد ابن حميد قال يأتيهم من ثم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال قال مجاهد فذكر نحو حديث محمد بن عمرو عن أبي عاصم * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معناه ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقب قوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله دين الحق فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه من الوجه الذي أمرهم الله به فيصدهم عنه وذلك من بين أيديهم وعن أيمانهم ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه فيزينه لهم ويدعوهم اليه وذلك من خلفهم وعن شمائلهم وقيل ولم يقل من فوقهم لأن رحمة الله تنزل على عباده من فوقهم ذكر من قال ذلك حدثنا سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وأما قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين فانه يقول ولا تجد رب أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك التي أنعمت عليهم كتكرمتك أباهم آدم بما أكرمته به من اسجادك له ملائكتك وتفضيلك اياه علي وشكرهم اياه طاعتهم له بالاقرار بتوحيده واتباع أمره ونهيه وكان ابن عباس يقول في ذلك بما حدثني به المثنى قال ثنا

عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تجد أكثرهم شاكرين يقول موحدين ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ قال اخرج منها مذؤما مدحورا ﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن احلاله بالخبيث عدوّالله ما أحل به من نقمته ولعنته وطرده اياه عن جنته اذ عصاه وخالف أمره وراجعه من الجواب بما لم يكن له مراجعته به يقول قال الله له عند ذلك اخرج منها أى من الجنة مذؤما مدحورا يقول معيبا والذأم العيب يقال منه ذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم ويتركون الهمز فيقولون ذمته أذيمه ذيما وذاما والذأم والذيم أبلغ فى العيب من الذم وقد أنشد بعضهم هذا البيت

صحبتك اذ عمنى عليها غشاوة * فلما انجلت قطعت نفسي أذيمها

وأكثر الرواة على انشاده ألومها وأما المدحور فهو المقصى يقال دحره يدحره دحرا ودحورا اذا أقصاه وأخرجه ومنه قولهم ادحر عنك الشيطان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اخرج منها مذؤما مدحورا يقول اخرج منها لعينا منفيا حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مذؤما ممقوتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال اخرج منها مذؤما يقول صغيرا منفيا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله اخرج منها مذؤما مدحورا أما مذؤما فنفيا وأما مدحورا فطرودا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مذؤما قال منفيا مدحورا قال مطرودا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله اخرج منها مذؤما قال منفيا والمدحور قال المصغر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن يونس واسرائيل عن أبى اسحق عن التميمى عن ابن عباس اخرج منها مذؤما قال منفيا حدثنى أبو عمرو القرقسانى عثمان بن يحيى قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التميمى سأل ابن عباس ما اخرج منها مذؤما مدحورا قال مقيتا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اخرج منها مذؤما مدحورا فقال ما نعرف المذؤم والمذموم الا واحدا ولكن يكون (١) منتقصة وقال العرب لعامر يا عام ولحارث يا حار وانما أنزل القرآن على كلام العرب ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ وهذا قسم من الله جل ثناؤه أقسم أن من اتبع من بنى آدم عدوالله ابليس وأطاعه وصدق ظنه عليه أن يملأ من جميعهم يعنى من كفرة بنى آدم تباع ابليس ومن ابليس وذريته جهنم فرحم الله امرأ كذب ظن عدوالله فى نفسه وخيب فيها أمله وأمنيته ولم يكن ممن طمع فيها عدوه

(١) بياض فى الاصل بقدر كلمة

لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن أبى الدرداء ان الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع حتى يزداد عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذى غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى أهل الجنة كما فى هذه الآية فتقول أهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد ألف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا أخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون (١٠٣) من كل خير ويأخذون فى زفير وشهيق وعن ابن عباس فى صفة أهل الجنة انهم يرون الله عز وجل فى كل جمعة ولمنزل كل واحد منهم ألف باب فاذا رأوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لأهل الجنة وثمرتها أمثال القلال أشد بياضا من الفضة وألين من الزبد وأحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فتأهب لايهما شئت والله الموفق * ولما شرح الله تعالى حال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة فى مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدى الى الرشاد ويؤمن من الغلط والتخليط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل (على علم) بما فى كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بريئا من كل خلل وقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله (وهدى ورحمة) حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما (لقوم يؤمنون) لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب به فقال (هل ينظرون الا تأويله) والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعل فيهم أقواما تشككوا وتوقفوا ولهذا السبب انتظروه وأيضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تأتيهم لا محالة قال الفراء الضمير فى تأويله للكتاب أى الا عاقبة أمره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد أو عاقبة ما وعدوا به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب والتأويل مرجع الشئ ومصيره من

قولهم آل الشئ يؤل (يوم يأتى) يريد يوم القيامة وانتصابه على أنه ظرف (يقول) ومعنى (نسوه) تركوا العمل به والايمان أو انهم صاروا فى الاعراض عنه بمنزلة من نسيه (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى متلبسين بما هو الحق أو الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر والنشر وأحوال القيامة وأهوالها اذا عاينوها (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) منصوب باضمار أن بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع (أو) هل (نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل) فنوحد الله تعالى بدلا عن الشرك (١٠٤) ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على أن أهل الآخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن تبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون فى الحال ثم حكم بأن ذلك التمنى لا يفيدهم شيأ وأن مطلوبهم لا يكون البتة فقال (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) أى لا ينتفعون بالاصنام التى عبدوها فى الدنيا وليس تفيدهم نصرة الأوثان التى بالغوا فى نصرها ۞ التأويل نادى أهل المحبة أهل القطيعة أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعنى قوله ألا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فأذن مؤذن العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب فى غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا ومافيها وبينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى أهل النار أهل الجنة وكذا بين أهل الجنة وأهل الله وهم أصحاب الاعراف حجاب من أوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت أعرافا لانها موطن أهل المعرفة وسموا رجالا لانهم بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال فى النساء ولا يتصرف فيهم شئ منه فالأعراف مرتبة فوق الجنان فى حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم يعنى هنيئا لكم ما أنتم فيه من النعيم والحور والقصور ثم أخبر عن همة أهل الاعراف فقال لم يدخلوها أى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ابتلاء ليعرفوا أنه تعالى من أى دركة خلصهم وبأى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب الكمالات من الخواطر النفسانية وما أتاهم الله شئ من الدنيا والجاه والقبول والاشتغال بالخلق ليعرفوا قدر العزلة والتجريد والانس مع الله فى الخلوات رجالا يعرفونهم بسيماهم يعنى أهل الجنة وأهل النار ما أغنى قال

واستغشه ولم يستنصحه وان الله تعالى ذكره اعمانبه بهذه الآيات عباده على قدم عداوة عدوه وعدوهم ابليس لهم وسالف ماسلف من حسده لأبيهم وبغيه عليه وعليهم وعرفهم مواقع نعمه عليهم قديما فى أنفسهم ووالدهم ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب فينزجروا عن طاعة عدوه وعدوهم الى طاعته وينيبوا اليها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ يقول الله تعالى ذكره وقال الله لآدم يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما فأسكن جل ثناؤه آدم وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها ابليس وأخرجه منها وأباح لهما ان يأكلا من ثمارها من أى مكان شاآ منها ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى ذلك وما نرى من القول فيه صوابا فى غير هذا الموضع فكرهنا اعادته فتكونا من الظالمين يقول فتكونا ممن خالف أمر ربه وفعل ما ليس له فعله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فوسوس لهما فوسوس اليهما وتلك الوسوسة كانت قوله لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين واقسامه لهما على ذلك وقيل وسوس لهما والمعنى ما ذكرت كما قيل عرضت له بمعنى استبنت اليه وانما يعنى عرضت من هؤلاء اليه فكذلك معنى ذلك فوسوس من نفسه اليهما الشيطان بالكذب من القيل ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوآتهما كما قال رؤبة * وسوس يدعو مخلصا رب الفلق * ومعنى الكلام فجذب ابليس الى آدم حواء وألقى اليهما ما نهاكما ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ليبدى لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما فغطاه بستره الذى ستره عليهما وكان وهب بن منبه يقول فى الستر الذى كان الله سترهما به ما حدثنى به حوثرة بن محمد المنقرى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن منبه فى قوله فبدت لهما سوآتهما قال كان عليهما نور لا ترى سوآتهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ يقول جل ثناؤه وقال الشيطان لآدم وزوجته حواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها الا لئلا تكونا ملكين وأسقطت لا من الكلام لدلالة ما ظهر عليها كما أسقطت من قوله يبين الله لكم أن تضلوا والمعنى يبين الله لكم أن لا تضلوا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يزعم أن معنى الكلام ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا كراهة أن تكونا ملكين كما يقال اياك أن تفعل كراهية أن تفعل أو تكونا من الخالدين فى الجنة الماكثين فيها أبدا فلا تموتا والقراءة على فتح اللام بمعنى ملكين من الملائكة وروى عن ابن عباس ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا عيسى الأعمى عن السدى قال كان ابن عباس يقرأ الا أن تكونا ملكين بكسر اللام * وعن يحيى ابن أبى كثير ما حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنى القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون

قال ثنا يعلى بن حكيم عن يحيى بن أبي كثير أنه قرأها ملكين بكسر اللام وكأن ابن عباس ويحيي وجها تأويل الكلام الى أن الشيطان قال لهما مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين من الملوك وأنهما تأولا في ذلك قول الله في موضع آخر قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * قال أبو جعفر والقراءة التي لا أستجيز القراءة في ذلك بغيرها القراءة التي عليها قراء الامصار وهي فتح اللام من ملكين بمعنى ملكين من الملائكة لما قد تقدم من بياننا في أن كل ما كان مستفيضا في قرأة الاسلام من القراءة فهو الصواب الذي لا يجوز خلافه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وقاسمهما وحلف لهما كما قال في موضع آخر تقاسموا بالله لنبيتنه بمعنى تحالفوا بالله وكما قال خالد بن زهير عم أبي ذؤيب

وقاسمها بالله جهدا لأنتم * ألذ من السلوى اذا ما نشورها

بمعنى وحالفها بالله وكما قال أعشى بني ثعلبة

رضيعي لبان ثدي أم تقاسما * بأسحم داج عوض لا نتفرق

بمعنى تحالفا وقوله اني لكما لمن الناصحين أي لمن ينصح لكما في مشورته لكما وأمره اياكما بأكل ثمر الشجرة التي نهيتما عن أكل ثمرها وفي خبري اياكما بما أخبركما به من أنكما ان أكلتماه كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فحلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال اني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وكان بعض أهل العلم يقول من خادعنا بالله خدعنا ۞ القول في تأويل قوله ﴿فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ يعني جل ثناؤه بقوله فدلاهما بغرور فخدعهما بغرور يقال منه مازال فلان يدلي فلانا بغرور بمعنى مازال يخدعه بغرور ويكلمه بزخرف من القول باطل فلما ذاقا الشجرة يقول فلما ذاق آدم وحواء ثمر الشجرة يقول طعماه بدت لهما سوآتهما يقول انكشفت لهما سوآتهما لأن الله أعراهما من الكسوة التي كان كساهما قبل الذنب والخطيئة فسلبهما ذلك بالخطيئة التي أخطآ أو المعصية التي ركبا وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يقول أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنة ليواريا سوآتهما كما حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوآتهما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آدم كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بالخطيئة بدت له عورته وكان لا يراها فانطلق فارا فتعرضت له شجرة فحبسته بشعره فقال لها أرسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا آدم أمني تفر قال لا ولكني استحيتك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان بن

عنكم جمعكم يا أهل الجنة وأهل الله من الطاعات و يا أهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير في حقيقة لا اله الا الله أهؤلاء الذين أقسمتم يعني أن من المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر في بعض الاوقات من يقول لدناءة همته لأهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعني الجنة المضافة اليه في قوله ادخلي جنتي في حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا * اعلم ان أهل الجنة وأهل النار يرون أهل الله وهم أصحاب الأعراف بالصورة ماداموا في مواطن الكونين فاذا دخلوا الجنة الحقيقية المضافة الى الله في حظائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن باباجعفر الابهري انه دخل على باباطاهر الهمداني فقال أين كنت فاني حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال باباطاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الأخص فما رأيتني أفيضوا علينا من الماء كانوا في الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان أهل الجنة لما جوعوا بطونهم لوليمة الفردوس كان اشتغالهم في الجنة بشهوات النفس والمضايفة بها فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفي الحقيقة انما حرمهما عليهم في الأزل فلم يوفقوا لمعاملات تورث الجنة هل ينظرون الا تأويله أي مايؤل اليه عاقبته في شأنهم فللمؤمنين كشف الغطاء وسبوغ العطاء ولأهل الجحود الفرقة والافتقار وعذاب النار أعاذنا الله تعالى منها ﴿ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات [illegible]ه ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وا[illegible] طمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانز[illegible] الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ ۞ القراآت

يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وأبو بكر وحماد وسهل و يعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين ابن عامر و بفتح النون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف وأبو زيد عن المفضل و بضم الباء الموحدة والشين الساكنة عاصم غير أبي زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد أبو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون بكسرها ۞ الوقوف حثيثا ط لمن قرأ والشمس وما بعده مرفوعات بأمره ط والامر ط العالمين ٥ وخفية ط المعتدين ٥ للعطف مع الآية وطمعا ط المحسنين ٥ رحمته ط الثمرات ط تذكرون ٥ باذن ربه ج للابتداء مع العطف نكدا ط يشكرون ٥ ۞ التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير أمر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدا وهو ذكر الدلائل الدالة على التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم و يصلح شأنكم و يوصل اليكم الخيرات و يدفع عنكم المكاره هو الذى بلغ بكمال قدرته وعلمه وحكمته و رحمته الى حيث خلق هذه الاجسام الجسام وأودع فيها أنواع المنافع وأصناف الفوائد فكيف يليق أن يرجع الى غيره فى طلب الخيرات و يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الأدب أصل ست سدس بدليل سديس وأسداس ثم ان العرب كانوا يخاطبون اليهود فالظاهر أنهم سمعوا بعض أوصاف الخالق منهم فكأنه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى سمعتم من عقلاء الناس أنه هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتهما ونهاية جلالتهما فى ستة أيام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادهما دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر أنه خلقهما فى ستة أيام فى أثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع وأجيب بأنه أراد أن يعلم عباده الرفق والتأنى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشئ اذا أحدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم أن ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق أما اذا أحدثت الأشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك أقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث محدث حكيم عليم

عيينة وابن مبارك عن الحسن عن عمارة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة فلما أكلا منها بدت لهما سوآتهما وكان الذى وارى عنهما من سوآتهما أظفارهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ورق التين يلصقان بعضها الى بعض فانطلق آدم موليا فى الجنة فأخذت برأسه شجرة من الجنة فناداه أى آدم أمنى تفر قال لا ولكنى استحيتك يارب قال أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك قال بلى يارب ولكن وعزتك ما حسبت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال وهو قول الله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين قال فبعزتى لأهبطنك الى الأرض ثم لا تنال العيش الا كدا قال فأهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فأهبطا فى غير رغد من طعام وشراب فعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى حتى اذا بلغ حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يخصفان قال يرقعان كهيئة الثوب **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يخصفان عليهما من الورق كهيئة الثوب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وكانا قبل ذلك لا يريانها وطفقا يخصفان الآية * وقال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا الحسن عن أبى بن كعب أن آدم عليه السلام كان رجلا طوالا كأنه نخلة سحوق كثير شعر الرأس فلما وقع بما وقع به من الخطيئة بدت له عورته عند ذلك وكان لا يراها فانطلق هاربا فى الجنة فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة فقال لها أرسلينى قالت انى غير مرسلتك فناداه ربه يا آدم أمنى تفر قال رب انى استحيتك **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جعفر ابن عون عن سفيان الثورى عن ابن أبى ليلى عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ابن أبى ليلى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن حسام بن معبد عن قتادة وأبى بكر عن غير قتادة قال كان لباس آدم فى الجنة ظفرا كله فلما وقع بالذنب كشط عنه وبدت سوأته قال أبو بكر قال غير قتادة فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ورق التين **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله بدت لهما سوآتهما قال كانا لا يريان سوآتهما **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب بن منبه يقول ينزع عنهما لباسهما قال كان لباس آدم وحواء عليهما السلام نورا على فرجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما أصابا الخطيئة بدت لهما سوآتهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين﴾ يقول تعالى ذكره

ونادى آدم وحواء ربهما ألم أنهكما عن أكل ثمرة الشجرة التى أكلتما ثمرها وأعلمكما أن ابليس لكما عدو مبين يقول قد أبان عداوته لكما بترك السجود لآدم حسدا وبغيا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قوله وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين لم أكلتها وقد نهيتك عنها قال يارب أطعمتنى حواء قال لحواء لم أطعمته قالت أمرتنى الحية قال للحية لم أمرتها قالت أمرنى ابليس قال ملعون مدحور أما أنت ياحواء فكما دميت الشجرة تدمين كل شهر وأما أنت ياحية فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك وسيشدخ رأسك من لقيك اهبطوا بعضكم لبعض عدو حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أكل آدم من الشجرة قيل له لم أكلت من الشجرة التى نهيتك عنها قال حواء أمرتنى قال فانى قد أعقبتها أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها قال فرنت حواء عند ذلك فقيل لها الرنة عليك وعلى ولدك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن آدم وحواء فيما أجاباه به واعترافهما على أنفسهما بالذنب ومسئلتهما اياه المغفرة منه والرحمة خلاف جواب اللعين ابليس اياه ومعنى قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا قال آدم وحواء لربهما يا ربنا فعلنا بأنفسنا من الاساءة اليها بمعصيتك وخلاف أمرك وبطاعتنا عدونا وعدوك فيما لم يكن لنا أن نطيعه فيه من أكل الشجرة التى نهيتنا عن أكلها وان لم تغفر لنا يقول وان أنت لم تستر علينا ذنبنا فتغطيه علينا وتترك فضيحتنا به بعفوك بتك اياناعليه وترحمنا بتعطفك علينا وتركك أخذنا به لنكونن من الخاسرين يعنى لنكونن من الهالكين وقد بينا معنى الخاسر فيما مضى بشواهده والرواية فيه عما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال آدم عليه السلام يارب أرأيت ان تبت واستغفرتك قال اذا أدخلك الجنة وأما ابليس فلم يسأله التوبة وسأل النظرة فأعطى كل واحد منهما ما سأل حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك فى قوله ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا الآية قال هى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن فعله بابليس وذريته وآدم وولده والحية يقول تعالى ذكره لآدم وحواء وابليس والحية اهبطوا من السماء الى الارض بعضكم لبعض عدو كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو بن طلحة عن أسباط عن السدى اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال فلعن الحية وقطع قوائمها وتركها تمشى على بطنها وجعل رزقها من التراب واهبطوا الى الارض آدم وحواء وابليس والحية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عوانة عن اسمعيل بن سالم عن أبى صالح اهبطوا بعضكم لبعض عدو قال آدم وحواء والحية وقوله ولكم فى الارض مستقر يقول ولكم يا آدم وحواء

قادر رحيم وأيضا ثبت بالدليل أنه تعالى يخلق العاقل أولا ثم يخلق السموات والارض بعده لان خلق مالا ينتفع به فى الحال يجر الى العبث ثم ان ذلك العاقل ملكا كان أو جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شئ آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك أقوى فى افادة اليقين لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة وأما تقدير المدة بستة أيام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على أى مقدار فرض وقيل ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الأيام قبل خلق الشمس التى نيط تقدير الازمنة بطلوعها وغروبها فالجواب أن المراد خلق السموات والارض فى مقدار ستة أيام كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشى فى الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس أن هذه الايام أيام الآخرة كل يوم ألف سنة مما تعدون والأكثرون على أنها أيام الدنيا لان التعريف بها يقع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ونقول يمكن أن تحمل الايام الستة على الاطوار الستة التى للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدنى والنباتى والحيوانى والله تعالى أعلم بمراده أما قوله سبحانه (ثم استوى على العرش) فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذى يلى العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد باستقراره على العرش بلا تناهيه احاطته به من الجوانب ونفوذه فى الكل لا كاحاطة الفلك الحاوى بالمحوى ولا كنفوذ النور المحسوس فى الشرف بل على نحو آخر تعوزه العبارة ومنها انه تعالى لو كان فى مكان وجهة لكان اما أن يكون غير متناه من كل الجهات أو متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشئ الذى هو محل السموات اما أن يكون عين الشئ الذى هو محل الارض أو غيره وعلى الاول يلزم أن يكون السماء والارض حالين فى محل واحد فهما شئ واحد لا شيآن وعلى الثانى يلزم التركيب

وابليس والحية فى الارض قرار تستقرونه وفراش تمهدونه كما حدثنى المثنى قال ثنا آدم العسقلانى قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبى العالية فى قوله ولكم فى الارض مستقر قال هو قوله هو الذى جعل لكم الارض فراشا وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثت عن عبيد الله عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس قوله ولكم فى الارض مستقر قال القبور ٭ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر آدم وحواء وابليس والحية اذ أهبطوا الى الأرض أنهم عدو بعضهم لبعض وأن لهم فيها مستقرا يستقرون فيه ولم يخصصها بأن لهم فيها مستقرا فى حال حياتهم دون حال موتهم بل عم الخبر عنها بأن لهم فيها مستقرا فذلك على عمومه كما عم خبر الله ولهم فيها مستقر فى حياتهم على ظهرها وبعد وفاتهم فى بطنها كما قال جل ثناؤه ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وأما قوله ومتاع الى حين فانه يقول جل ثناؤه ولكم فيها متاع تستمتعون به الى انقطاع الدنيا وذلك هو الحين الذى ذكره كما حدثت عن عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن السدى عمن حدثه عن ابن عباس ومتاع الى حين قال الى يوم القيامة والى انقطاع الدنيا والحين نفسه الوقت غير أنه مجهول القدر يدل على ذلك قول الشاعر

وما مراحك بعد الحلم والدين ٭ وقد علاك مشيب حين لا حين

أى وقت لا وقت ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله للذين أهبطهم من سمواته الى أرضه فيها تحيون يقول فى الارض تحيون يقول تكونون فيها أيام حياتكم وفيها تموتون يقول فى الارض تكون وفاتكم ومنها تخرجون يقول ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم اليه لبعث القيامة أحياء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم﴾ يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرون للطواف اتباعا منهم أمر الشيطان وتركا منهم طاعة الله فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذى أنعم به عليهم حتى أبدى سوآتهم وأظهرها من بعضهم لبعض مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يستترون به وأنهم قد سار بهم سيرته فى أبويهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذى كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوآتهما فعراهما منه يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يعنى بانزاله عليهم ذلك خلقه لهم ورزقه اياهم واللباس ما يلبسون من الثياب يوارى سوآتكم يقول يستر عوراتكم عن أعينكم وكنى بالسوآت عن العورات واحدتها سوأة وهى فعلة من السوء وانما سميت سوأة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده كما قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم ٭ لم يبالوا سوأة الرجله

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا

أبو

والتجزئة فى ذاته تعالى وأما ان كان متناهيا من الجهات فلو حصل فى جميع الاحياز فهو محال بالبديهة وان حصل فى حيز واحد فلو كان جوهرا فردا لزم أن يكون واجب الوجود أحقر الأشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه تكون مغايرة لمقابلتها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز أن يكون الشئ المحدود من جانب أو جوانب قديما أزليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز أن يقال فاعل العالم هو الشمس والقمر أو كوكب آخر وأيضا يصح على الشق المتناهى أن يكون غير متناه وعلى غير المتناهى أن يكون متناهيا لان الأشياء المتساوية فى تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقى فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل أن يكون انه غير متناه ولا يلزم من ذلك أن يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشئ للحل غير كونه نفس المحل أو مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل لا أصل له عند الرجل البرهانى ومنها أنه لو كان البارى تعالى حاصلا فى المكان والجهة لكان الامر المسمى بالجهة اما أن يكون موجودا مشارا اليه أو لا يكون فان كان موجودا كان له بعد وامتداد وللحاصل فيه أيضا بعد وامتداد فيلزم تداخل البعدين ومع ذلك يلزم كون الجهة والحيز أزليين ضرورة كون البارى تعالى أزليا ومحال أن يكون ما سوى الواجب أزليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بأن ذلك أيضا وارد عليكم فى قولكم الجسم حاصل فى الحيز والجهة وأجيب بأن مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم المحوى وهذا المعنى بالاتفاق فى حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل أن يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا فى حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز أن يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هنالك لزم فى الاجسام أيضا بل لا بعد هنالك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام فى الخارج ومنها انه لو امتنع وجود البارى تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة فى تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من أن استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة

لامعنى له الا الفراغ المحض ولان هـذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية فى تمام الماهيـة فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محـدث فحصوله فى الحيز محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو أولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل أن يقول ما لا يتناهى لا يعقل له حيز معـين ولو فرض لا تناهى الاحياز أيضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشئ الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشئ والمعية بعـد ذلك لا تضر (١٠٩) ومنها لو كان فى الحيز والجهة لكان مشارا اليـه بالحس ثم ان كان قابلا للقسـمة لزم التجـزى والا لكان نقطة أو جوهرا فردا فلا يبعـد أن يقال ان اله العالم جزء من ألف جزء من رأس ابرة ملتصقـة بذنب قملة أو نملة ولقائل أن يقول لا نسلم أن كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العـقل يعجز عن ادراكه فضـلا عن الحس وباقى الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمـة بالنفس يشار اليها بحسب الحس فـلا بد أن يكون جانب يمينه مغـايرا لجانب شماله فيكـون منقسـما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبنى على نفى الجوهر الفرد ومنها لو كان فى حـيز لكان اما أعظـم من العرش أو مسـاويا له أو أصـغر منـه والثالث باطـل بالاجماع والاولان يسـتلزمان الانقسام لان المساوى للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليـه لان القدر الذى فضل به عليه مغاير لما سواه ولقائل أن يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار وتستحيل هذه التقادير ومنها انه لو فرض كونه تعالى غـير متناه من جميع الجـهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهى الابعـاد وانه محال لبرهان تناهى الابعاد ولقائل أن يقول ان برهـان تناهى الأبعاد لا يسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسمانى ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا فى الحيز لكان كونه هنالـ اما أن يمنع من حصول جسم آخر فيه أو لا يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام فى هذا المعنى ثم انه ان لم تحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه ما يصح عليها من التغيرات وانه محال وان حصل بينه وبينها المخالفـة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغاير الما به المخالفـة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وأيضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما أن يكون محـلا لما به المخالفة أو حالا فيه أو لا هـذا ولا ذاك فان كان محلا له كان البعـد جوهرا قائما بنفسه

أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد فى قول الله لباسا يوارى سوآتكم قال كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة ولا يلبس أحـدهم ثوبا طاف فيه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شـبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال سمعت مجاهـدا يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال أربع آيات نزلت فى قريش كانوا فى الجاهلية لا يطوفون بالبيت الا عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف قال سمعت معبدا الجهنى يقول فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قال اللباس الذى يلبسون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهـد يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال كانت قريش تطوف عراة لا يلبس أحـدهم ثوبا طاف فيه وقد كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة حدثنا محمـد بن بشار قال ثنا محمـد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهنى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قال اللباس الذى يوارى سوآتكم هو لبوسكم هذا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لباسا يوارى سوآتكم قال هى الثياب حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول اللباس الثياب حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمين قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سـوآتكم قال يعنى ثياب الرجـل التى يلبسـها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وريشا﴾ اختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامـة قراء الامصار وريشا بغـير ألف وذكر عن زر بن حبيش والحسن البصرى أنهـما كانا يقرآنه ورياشا حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن أبان العطار قال حدثنا عاصم أن زر بن حبيش قرأها ورياشا * قال أبو جعفر والصواب من القـراءة فى ذلك قراءة من قرأ وريشا بغـير ألف لاجماع الحجة من القراء عليها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم خبر فى اسناده نظر أنه قرأه ورياشا فمن قرأ ذلك ورياشا فانه محتمل أن يكون أراد به جمع الريش كما تجمع الذئب ذئابا والبـئر بئارا ويحتمل أن يكون أراد به مصـدرا من قول القائل راشه الله يريشـه رياشا وريشا كما يقال لبسه يلبسه لباسا ولبسا وقد أنشد بعضهم

فلما كشفن اللبس عنـه مسحنه * بأطراف طفل زان غيـلا موشما

بكسر اللام من اللبس والرياش فى كلام العرب الأثاث وما ظهر من الثياب من المتاع مما يلبس أو يحشى من فراش أو دثار والريش انما هو المتاع والأموال عندهم وربما استعملوه فى الثياب والكسوة دون سائر المال يقولون أعطاه سرجا بريشـه ورحلا بريشه أى بكسوته وجهازه ويقولون انه لحسـن ريش الثياب وقد يستعمل الرياش فى الخصب ورفاهة العيش وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال الرياش المال حدثنى المثنى قال ثنا عبـد الله

والامور التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية فكل ما يصح على بعضها يصح على البواقي وكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محالا وذوات وما به المشاركة حالا وصفة فذلك المحل ان كان له أيضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل آخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا محلا كان أجنبيا مباينا فتكون ذات الله تعالى مساوية لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليه ما يصح عليها هذا محال وعلى التقدير الثاني وهو أن ذاته تعالى لا تمنع من حصول جسم آخر في حيزه لزم سريانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما مر والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال ولقائل أن يقول كون البارئ تعالى مع الحيز مغاير لكون الجسم في الحيز فأين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فمن أين يلزم التركيب قوله فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي بها حصلت المخالفة أعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بلا جوهر به والكلام في سريانه في الموجودات قد مر ومنها انه لو كان في حيز فان أمكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن المحدث أولى بأن يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وأيضا لا يبعد فرض أجسام أخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكرامية يساعدون على أنه كفر ولقائل أن يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احياز فأما النور المجرد فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه بأحدهما فلم لا يجوز أن لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه لايه ، وصفه بالتخلخل والتكاثف

قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وريشا يقول مالا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وريشا قال المال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وريشا قال اما ريشا فريش المال حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدني قال ثني من سمع عروة بن الزبير يقول الرياش المال حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله وريشا يعني المال * ذكر من قال هو اللباس ورفاهة العيش حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وريشا قال الرياش اللباس والعيش والنعيم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهني وريشا قال الرياش المعاش حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهني وريشا قال هو المعاش * وقال آخرون الريش الجمال ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وريشا قال الريش الجمال ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم لباس التقوى هو الايمان ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولباس التقوى هو الايمان حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولباس التقوى الايمان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرني حجاج عن ابن جريج ولباس التقوى الايمان * وقال آخرون هو الحياء ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر وسهل بن يوسف عن عوف عن معبد الجهني في قوله ولباس التقوى الذي ذكر الله في القرآن هو الحياء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا عوف قال قال معبد الجهني فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عوف عن معبد بنحوه * وقال آخرون هو العمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولباس التقوى ذلك خير قال لباس التقوى العمل الصالح * وقال آخرون بل ذلك هو السمت الحسن حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة قال ثنا عبد الله بن داود عن محمد بن موسى عن الزبال بن عمرو عن ابن عباس ولباس التقوى قال السمت الحسن في الوجه حدثني المثنى قال ثنا اسحق بن الحجاج قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن سليمن بن أرقم عن الحسن قال رأيت عثمان بن عفان على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قوهي محلول الزر وسمعته يأمر بقتل الكلاب وينهى عن اللعب بالحمام ثم قال يا أيها الناس اتقوا الله في هذه السرائر فاني سمعت

رسول

ونحو ذلك فتستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز آخر ولان العالم النورانى الذى لا نهاية له مملوء منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان الله العالم جبلا واقفا فى الحيز العالى وان كان نورا محضا جاز أن تفرض هذه الانوار التى تشرق على الجدران الها وأيضا ان كان له طرف وحد فان كان ذا عمق وثخن كان باطنه غير ظاهره والا كان سطحا فى غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل أرق منها ألف ألف مرة قلت ان أمثال هذه الكلمات لا تصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادى والشئ القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب أن هذا المستدل قد سمع من جمهور العقلاء أن الأجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة واللين واذا جاز أن يكون فى أنواع الاجسام نوع لا يمكن أن يتصف بهذين المتقابلين لان ذلك الموضع أجل وأشرف من أن يتصف بأحدهما فلم لا يجوز أن يكون فيما هو أشرف من ذلك النوع شئ لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش أو مباينا له ببعد متناه أو غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له ثخن كان سطحا رقيقا كما مر وان كان له ثخن فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا ببعد متناه فلا يمتنع أن يرتفع العالم من حيزه الى أن يماسه ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم أن يكون غير المتناهى محصورا بين الحاصرين ولقائل أن يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصلح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل وأشباه ذلك ومنها أن الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت أقوى كانت الفاعلية والتأثير أضعف وبالعكس ولهذا كان تأثير الارض أقل من تأثير الماء وتأثير الماء من تأثير الهواء وتأثير الهواء من تأثير النار بالاحراق والطبخ وتأثير النار من تأثير الافلاك المؤثرة فى العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة أشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريا من الحجم والجرم والكثافة والرزانة قلت فى الاستقراء نزاع انه صحيح تام أولا ولكن لا نزاع فى ان واجب الوجود تعالى شأنه برئ عن الجسمية والكثافة وعن كل شئ يقدح فى قيوميته وههنا حجج قد أوردت فى أوائل

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذى نفس محمد بيده ما عمل أحد قط سرا الا ألبسه الله رداءه علانية ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا ثم تلا هذه الآية وريشا ولم يقرأها وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله قال السمت الحسن * وقال آخرون هو خشية الله ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد المدنى قال ثنى من سمع عروة بن الزبير يقول لباس التقوى خشية الله * وقال آخرون لباس التقوى فى هذه المواضع ستر العورة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولباس التقوى يتقى الله فيوارى عورته ذلك لباس التقوى * واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المكيين والكوفيين والبصريين ولباس التقوى ذلك خير برفع ولباس وقرأ ذلك عامة قراء المدينة ولباس التقوى بنصب اللباس وهى قراءة بعض قراء الكوفيين فمن نصب ولباس فانه نصبه عطفا على الريش بمعنى قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا وأنزلنا لباس التقوى وأما الرفع فان أهل العربية مختلفون فى المعنى الذى ارتفع به اللباس فكان بعض نحويى البصرة يقول هو مرفوع على الابتداء وخبره فى قوله ذلك خير وقد استخطأه بعض أهل العربية فى ذلك وقال هذا غلط لانه لم يعد على اللباس فى الجملة عائد فيكون اللباس اذا رفع على الابتداء وجعل ذلك خير خبرا * وقال بعض نحويى الكوفة ولباس يرفع بقوله ولباس التقوى خير ويجعل ذلك من نعته وهذا القول عندى أولى بالصواب فى رافع اللباس لانه لا وجه للرفع الا أن يكون مرفوعا بخير واذا رفع بخير لم يكن فى ذلك وجه الا أن يجعل اللباس نعتا الا أنه عائد على اللباس من ذكره فى قوله ذلك خير فيكون خير مرفوعا بذلك وذلك به فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام اذا رفع لباس التقوى ولباس التقوى ذلك الذى قد علمتموه خير لكم يا بنى آدم من لباس الثياب التى توارى سوآتكم ومن الرياش التى أنزلناها اليكم فالبسوه وأما تأويل من قرأه نصبا فانه يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى هذا الذى أنزلنا عليكم من اللباس الذى يوارى سوآتكم والريش ولباس التقوى خير لكم من التعرى والتجرد من الثياب فى طوافكم بالبيت فاتقوا الله والبسوا ما رزقكم الله من الرياش ولا تطيعوا الشيطان بالتجرد والتعرى من الثياب فان ذلك سخرية منه بكم وخدعة كما فعل بأبويكم آدم وحواء فخدعهما حتى جردهما من لباس الله الذى كان ألبسهما بطاعتهما له فى أكل ما كان الله نهاهما عن أكله من ثمر الشجرة التى عصياه بأكلها وهذه القراءة أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب أعنى نصب قوله ولباس التقوى لصحة معناه فى التأويل على ما بينت وان الله انما ابتدأ الخبر عن انزاله اللباس الذى يوارى سوآتنا والرياش توبيخا للمشركين الذين كانوا يتجردون فى حال طوافهم بالبيت ويأمرهم بأخذ ثيابهم والاستتار بها فى كل حال مع الايمان به واتباع طاعته ويعلمهم أن كل ذلك خير من كل ما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله وتعريهم لأنه أعلمهم أن بعض ما أنزل اليهم خير من بعض ومما يدل على صحة ما قلنا فى ذلك الآيات التى بعد هذه الآية وذلك قوله يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما

سورة الانعام فى تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهـذه حجج عقلية عول عليها الامام فخر الدين الرازى رضى الله
عنه فى تفسيره الكبير وقد أوردنا عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لا لاعتقاد التشبيه والتجسيم أو تقليد الاولئك الاقوام بل تشحيذا
للذهن وتقريبا الى المعارف والحقائق وجذبا بضبع المتأمل فى المضايق والمزالق فليختر المنصف ما أراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما
لا يكشف المقال عنه غير الخيال والله أعلم بحقيقة الحال ثم قال رضى الله عنه وأما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى
قل هو الله أحد والأحد مبالغة فى كونه واحدا والذى يمتلئ منه العرش ويفضل عن العرش يكون مركبا من أجزاء فوق أجزاء العرش وذلك ينافى كونه أحدا وأجيب بأنه ذات واحدة حصلت فى كل الاحياز دفعة واحدة وزيف بأن هـذا معلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يقال جميع العرش الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا أن ذلك الجزء الذى لا يتجزأ حصل فى جملة الاحياز فظن انه أشياء كثيرة قلت وهذه مغالطة فان هـذا الجزء الذى لا يتجزأ لصغره غير الشئ الذى لا يقبل التجزئة والانقسام لذاته وأيضا المتحيز الذى مقداره ذراع فى ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع فى ذراع فلزم منه أن لا يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم فى ذاته حاصل فى جميع الأشياء لا منفصل عنها انفصال المحيط عن المحاط ولا متصل بها اتصال العرض السارى فى الاجسام ولهذا لا يلزمه بانقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه أن يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب أن ذلك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها
قوله والله الغنى فوجب أن يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها
ان فرعون طلب حقيقة الاله فى قوله وما رب العالمين ولم يزده موسى على ذكر الاوصاف وأما فرعون فقد طلب الاله فى السماء فى قوله فأطلع
الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع فى أن حقيقة ذاته كما هى لا يعلمها الا هو
والبسائط المحضة لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور أن يكون الاله شخصا مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم

لباسهما ليريهما سوآتهما وما بعـد ذلك من الآيات الى قوله وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون فانه جل ثناؤه يأمر فى كل ذلك بأخذ الزينة من الثياب واستعمال اللباس وترك التجرد والتعرى وبالايمان به واتباع أمره والعمل بطاعته وينهى عن الشرك به واتباع أمر الشيطان مؤكدا فى كل ذلك ما قد أجمله فى قوله يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير * وأولى الاقوال بالصحة فى تأويل قوله ولباس التقوى استشعار النفوس تقوى الله فى الانتهاء عما نهى الله عنه من معاصيه والعمل بما أمر به من طاعته وذلك يجمع الايمان والعمل الصالح والحياء وخشية الله والسمت الحسن لأن من اتقى الله كان به مؤمنا وبما أمره به عاملا ومنه خائفا وله مراقبا ومن أن يرى عند ما يكرهه من عباده مستحييا ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه فحسن سمته وهديه ورؤيت عليه بهجة الايمان ونوره وانما قلنا عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ذلك لان اللباس انما هو ادراع ما يلبس واحتباء ما يكتسى أو تغطية بدنه أو بعضه به فكل من ادرع شيأ واحتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه فهو له لابس ولذلك جعل جل ثناؤه الرجال للنساء لباسا وهن لهم لباسا وجعل الليل لعباده لباسا ذكر من تأول ذلك بالمعنى الذى ذكرنا من تأويله اذا قرئ قوله ولباس التقوى رفعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولباس التقوى الايمان ذلك خير يقول ذلك خير من الرياش واللباس يوارى سوآتكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولباس التقوى قال لباس التقوى خير وهو الايمان ۞ القول فى تأويل قوله (ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره ذلك الذى ذكرت لكم أنى أنزلته اليكم أيها الناس من اللباس والرياش من حجج الله وأدلته التى يعلم بها من كفر صحة توحيد الله وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة لعلهم يذكرون يقول جل ثناؤه جعلت ذلك لهم دليلا على ما وصفت ليذكروا فيعتبروا وينيبوا الى الحق وترك الباطل رحمة منى بعبادى ۞ القول فى تأويل قوله (يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) يقول تعالى ذكره يا بنى آدم لا يخدعنكم الشيطان فيبدى سوآتكم للناس بطاعتكم اياه عند اختباره لكم كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره اياهما فأطاعاه وعصيا ربهما فأخرجهما بما سبب لهما من مكره وخدعه من الجنة ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس ليريهما سوآتهما بكشف عورتهما واظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترة وقد بينا فيما مضى ان معنى الفتنة الاختبار والابتلاء بما أغنى عن اعادته وقد اختلف أهل التأويل فى صفة اللباس الذى أخبر الله جل ثناؤه أنه نزعه عن أبوينا وما كان فقال بعضهم كان ذلك أظفارا ذكر من لم يذكر قوله فيما مضى من كتابنا هذا فى ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن عكرمة ينزع عنهما لباسهما قال لباس كل دابة منها ولباس الانسان الظفر فأدركت آدم التوبة عند ظفره أو قال أظفاره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الحميد الحمانى عن نصر بن عمر

عن عكرمة عن ابن عباس قال تركت أظفاره عليه زينة ومنافع فى قوله ينزع عنهما لباسهما حدثنى أحمد بن الوليد القرشى قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال أخبرنا مخلد بن الحسين عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسهما الظفر فلما أصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت الاظفار تذكرة وزينة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سماك عن عكرمة فى قوله ينزع عنهما لباسهما قال كان لباسه الظفر فانتهت توبته الى أظفاره * وقال آخرون كان لباسهما نورا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن وهب بن منبه ينزع عنهما لباسهما النور حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا عمرو قال سمعت وهب ابن منبه يقول فى قوله ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما قال كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما لا يرى هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا * وقال آخرون انما عنى الله بقوله ينزع عنهما لباسهما يسلبهما تقوى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا مطلب بن زياد عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن ليث عن مجاهد ينزع عنهما لباسهما قال التقوى حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء وأن يجردهم من لباس الله الذى أنزله اليهم كما نزع عن أبويهم لباسهما واللباس المطلق من الكلام بغير اضافة الى شئ فى متعارف الناس هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء أو غطى بدنه أو بعضه واذ كان ذلك كذلك فالحق أن يقال ان الذى أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذى نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا وار يانه به أبدانهما وعورتهما وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرا ويجوز أن يكون كان ذلك نورا ويجوز أن يكون غير ذلك ولا خبر عندنا بأى ذلك تثبت به الحجة فلا قول فى ذلك أصوب من أن يقال كما قال جل ثناؤه ينزع عنهما لباسهما وأضاف جل ثناؤه الى ابليس اخراج آدم وحواء من الجنة ونزع ما كان عليهما من اللباس عنهما وان كان الله جل ثناؤه هو الفاعل ذلك بهما عقوبة على معصيتهما اياه اذ كان الذى كان منهما فى ذلك عن تشبيه ذلك لهما بمكره وخداعه فأضيف اليه أحيانا بذلك المعنى والى الله أحيانا بفعله ذلك بهما ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ يعنى جل ثناؤه بذلك ان الشيطان يراكم هو والهاء فى انه عائدة على الشيطان وقبيله يعنى وصنفه وجنسه الذى هو منه واحد جمعه قبل وهم الجن كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله انه يراكم هو وقبيله قال الجن والشياطين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه يراكم هو وقبيله قال قبيله نسله وقوله من حيث لا ترونهم يقول من حيث لا ترون أنتم أيها الناس الشيطان

من اله غيرى ومنها هذه الآية لانها تدل على أنه استقر على العرش بعد تخليق السموات والأرض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شئ فاذا خلق ما خلق من عالم الأجسام والاختلاط بقى ما وراءه نورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتبرئه من الآفلين ولو كان جسما لكان آفلا فى أفق الامكان والجواب أن نور الأنوار أجل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الأحياز ومع ما سواها أن يكون فى مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها أن أول الآية أعنى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشى الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان أجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه أنه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته فى تدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب أن الاستقرار بالتفسير الذى ذكرناه أدل شئ على المدح والثناء وحديث البق والبعوض خراف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا أو بعوضا صدق عليه أنه اله فلا يكون الاله دالا على المدح ومنها أنه سبحانه حكم فى آيات كثيرة بأنه خالق السموات فلو كان فوق العرش كان سماء لساكنى العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم أن يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم أن كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار أنه نور أو جسم أن ذاته سبحانه مخصوصة بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شئ هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة فى الآية قولان الاول القطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تأويل الآية وتفويض علمها الى الله والثانى الخوض فى التأويل وذلك من وجوه أحدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء أى استعلى على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

وثالثها ذكر القفال أن العرش فى كلامهم هو السرير الذى يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على عرشه واستقر على سرير ملكه اذا استقام له أمره

وقبله انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون يقول جعلنا الشياطين نصراء الكفار الذين لا يوحدون الله ولا يصدقون رسله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون﴾ ذكر أن معنى الفاحشة فى هذا الموضع ما حدثنى على بن سعيد بن مسروق الكندى قال ثنا أبو محياة عن منصور عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كانوا يطوفون بالبيت عراة يقولون نطوف كما ولدتنا أمهاتنا فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشئ فتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا فاحشتهم أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن مفضل عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير والشعبى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كانوا يطوفون بالبيت عراة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قال كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة فاذا قيل لم تفعلون ذلك قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذا فعلوا فاحشة قال طوافهم بالبيت عراة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال فى طواف الحمس فى الثياب وغيرهم عراة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا قال كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة فتلك الفاحشة التى وجدوا عليها آباءهم قل ان الله لا يأمر بالفحشاء الآية فتأويل الكلام اذا واذا فعل الذين لا يؤمنون بالله الذين جعل الله الشياطين لهم أولياء قبيحا من الفعل وهو الفاحشة وذلك تعريهم للطواف بالبيت وتجردهم له فعذلوا على ما أتوا من قبيح فعلهم وعوتبوا عليه قالوا وجدنا على مثل ما نفعل آباءنا فنحن نفعل مثل ما كانوا يفعلون ونقتدى بهديهم ونستن بسنتهم والله أمرنا به فنحن نتبع أمره فيه يقول الله جل ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم ان الله لا يأمر بالفحشاء يقول لا يأمر خلقه بقبائح الأفعال ومساويها أتقولون أيها الناس على الله مالا تعلمون يقول أتروون على الله أنه أمركم بالتعرى والتجرد من الثياب واللباس للطواف وأنتم لا تعلمون أنه أمركم بذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله ما أمر ربى بما تقولون بل أمر ربى بالقسط

والطرد وفى ضده خلا عرشه أى انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم بالوجه الذى ألفوه من ملوكهم ورؤسائهم لتستقر عظمة الله تعالى فى قلوبهم الا أن ذلك مشروط بنفى التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شئ ثم علموا بعقولهم أنه لم يحصل ذلك العلم بفكرة أو روية ولا باستعمال حاسة واذا قال قادر علموا منه أنه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا أنه غنى فى ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول فى كل من صفاته واذا أخبر أن له بيتا يجب على عباده حجه فهموا منه أنه نصب موضعا يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفى التشبيه وأنه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه ولم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا أمرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه أنه أمرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا أنه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا أخبر أنه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه أنه بعد أن خلقهما استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخى أنه يظهر تصرفه فى هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تأثير الفاعل لا يظهر الا فى القابل وقال أبو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البانى قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد أنه بعد أن خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قوله سبحانه (يغشى الليل النهار) قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار أو النهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال القفال لما أخبر بالاستواء على العرش وان أمر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته أراهم ذلك عيانا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر يعنى وقدم ذكر الليل والنهار لما فى تعاقبهما من المنافع الجليلة فبهما تتم أمور الحياة ثم وصف الحركة التى يحصلان منها بالسرعة والشدة فقال (يطلبه حثيثا) قال الليث الحث الاعجال وذلك أن حركة الفلك الأعظم أشد الحركات سرعة حتى انها فى مقدار ما تقول واحد واحد واحد يتحرك ألفا وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخا من مقعر فلكه والله أعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلت اما الاولى فمستأنفة

كأنه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشى الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل أن تكون هذه الجملة مبينة وأما الثانية ففى محل النصب على الحال من الملحق كما أن حثيثا منصوب على الحال من الطالب وهو الملحق بعينه ثم قال (والشمس والقمر والنجوم مسخرات) من قرأهن منصوبات فعناه وخلق هذه الأجرام حال كونهن تحت تسخيره ومن قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام أن يقال زيد مضروب وقوله (بأمره) متعلق بمسخرات أى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال فى الكشاف سمى ذلك أمرا على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك ومنهم من حمل هذا الأمر على الأمر الذى هو الكلام وعلى هذا لايبعد أن يكون بأمره متعلقا بخلق بدأ بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تأثيرها بالتسخين والقمر تأثيره بالترطيب وتوليد المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان لايتم ولايكمل الا بتأثير الحرارة فى الرطوبة ثم انه سبحانه وتعالى خص كل كوكب بخاصية عجيبة وتأثير غريب لايعلمه بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم أن الأجسام متماثلة فى الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة فى العالم العلوى والسفلى وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة أخرى لابد أن يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وأيضا ان لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المغرب الى المشرق وسيرا آخر بسبب حركة الفلك الأعظم فقوله يغشى الليل النهار تنبيه على أن حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الأعظم المسمى بالعرش وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره اشارة الى أن العرش يحرك جميع الأفلاك والكواكب وأنه سبحانه أودع فى جرمه قوة قاهرة قاسرة باعتبارها قويت على تحريك مادونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وأيضا أن أقسام الأجسام ثلاثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط

يعنى بالعدل كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قل أمر ربى بالقسط بالعدل حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قل أمر ربى بالقسط والقسط العدل وأما قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه وجهوا وجوهكم حيث كنتم فى الصلاة الى الكعبة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد الى الكعبة حيثما صليتم فى الكنيسة وغيرها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال اذا صليتم فاستقبلوا الكعبة فى كنائسكم وغيرها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد هو المسجد الكعبة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا خالد بن عبد الرحمن عن عمر بن ذر عن مجاهد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال الكعبة حيثما كنت حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال أقيموها للقبلة هذه القبلة التى أمركم الله بها * وقال آخرون بل عنى بذلك واجعلوا سجودكم لله خالصا دون ماسواه من الآلهة والأنداد ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد قال فى الاخلاص أن لاتدعوا غيره وأن تخلصوا له الدين * قال أبو جعفر وأولى هذين التأويلين بتأويل الآية ماقاله الربيع وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم الى ربهم لاالى ماسواه من الأوثان والأصنام وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا لامكاء ولاتصدية وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لان الله انما خاطب بهذه الآية قوما من مشركى العرب لم يكونوا أهل كنائس وبيع وانما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين فغير معقول أن يقال لمن لايصلى فى كنيسة ولابيعة وجه وجهك الى الكعبة فى كنيسة أو بيعة وأما قوله وادعوه مخلصين له الدين فانه يقول واعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة لاتخلطوا ذلك بشرك ولاتجعلوا فى شىء مما تعملون له شريكا كما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وادعوه مخلصين له الدين قال أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ثم توجهون الى البيت الحرام ۞ القول فى تأويل قوله (كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كما بدأكم تعودون فقال بعضهم تأويله كما بدأكم أشقياء وسعداء كذلك تبعثون يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال ان الله سبحانه بدأ خلق ابن آدم مؤمنا وكافرا كما قال جل ثناؤه هو الذى

وهى الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى . ولأمر ما أكثر الله سبحانه فى كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة بأحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس وأحوال الشمس والقمر والنجوم وأمر بالنظر فى ملكوت السماء والغبراء وبالتفكر فيهما قائلا أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض **(١١٦)** أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها أولم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية فالمعتقدون فى شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقائقها على سبيل التفصيل والكمال ولاريب أن اعتقاد الفريق الثانى يكون أكمل وأقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد أن جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا الطريق اثبات الصانع أما الذى ضم الى هذه المعرفة البحث عن أحوال هذا العالم العلوى والعالم السفلى على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى أن يصير علما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوائد والاغراض والغايات أنزل هذا الكتاب الكريم لا للتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب وأما قوله عز من قائل (ألا له الخلق والامر) فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم وجسمانى لانه مخصص بمقدار معين فكل ما كان بريئا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه أوجد بأمر كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق فى تسخيره وعالم الامر فى تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره * وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى أنه تعالى متكلم آمر ناه مخبر مستخبر لان قوله ألا له الخلق والامر دل على أن له الامر فوجب أن يكون له النهى وسائر أنواع الكلام ضرورة أنه لا قائل بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله ألا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر ولو سلم أنه لا يفيده فلا أقل من افادة أنه خالق بعض الاشياء

خلقكم فنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدأ خلقهم مؤمنا وكافرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور قال ثنا أصحابنا عن ابن عباس كما بدأكم تعودون قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يحيى بن الضريس عن أبى جعفر عن الربيع عن رجل عن جابر قال يبعثون على ما كانوا عليه المؤمن على ايمانه والمنافق على نفاقه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع عن أبى العالية قال عادوا الى علمه فيهم ألم تسمع الى قول الله فيهم كما بدأكم تعودون ألم تسمع قوله فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية كما بدأكم تعودون قال ردوا الى علمه فيهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو همام الاهوازى قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب فى قوله كما بدأكم تعودون قال من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتدأ الله خلقه عليه وان عمل بأعمال أهل السعادة كما أن ابليس عمل بأعمال أهل السعادة ثم صار الى ما ابتدئ عليه خلقه ومن ابتدئ خلقه على السعادة صار الى ما ابتدئ عليه خلقه وان عمل بأعمال أهل الشقاء كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء ثم صاروا الى ما ابتدئ عليه خلقهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ورقاء بن اياس أبى يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو دكين قال ثنا سفيان عن أبى يزيد عن مجاهد كما بدأكم تعودون قال يبعث المسلم مسلما والكافر كافرا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا محمد بن أبى الوضاح عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة يقول كما بدأكم تعودون كما خلقناكم فريق مهتدون وفريق ضال كذلك تعودون وتخرجون من بطون أمهاتكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن سفيان عن جابر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال تبعث كل نفس على ما كانت عليه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى عن شريك عن سالم عن سعيد ابن جبير كما بدأكم تعودون قال كما كتب عليكم تكونون حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد قال يبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كما بدأكم تعودون شقيا وسعيدا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قراءة عن مجاهد مثله * وقال آخرون معنى ذلك كما خلقكم ولم تكونوا شيأ تعودون بعد الفناء ذكر من قال ذلك حدثنا

ابن

وحينئذ يثبت المطلوب لأن افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد فى الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذى يكون مؤثرا فى وجود شئ واحد يجب أن يكون هو المؤثر فى جميع الممكنات ولا يحتاج الى الممكنات الثالثة قالت الأشاعرة كل أثر يصدر عن فلك أو ملك أو جنى أو انسى فخالق ذلك الاثر فى الحقيقة هو الله تعالى لقوله ألا له الخلق والامر ويتفرع على هذا أنه لا اله الا الله والا كان الثانى مدبرا وخالقا وأنه لا تأثير للكواكب فى أحوال هذا العالم وأن القول بالطبائع والعقول والنفوس على ما زعم الفلاسفة وأصحاب الطلسمات باطل وأن خالق أعمال العباد هو الله تعالى والقول بأن العلم يوجب العالمية والقدرة توجب القادرية باطل كل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان أمر الله مخلوقا لما صح هذا التمييز أجاب الجبائى بأنه لا يلزم من افراد الأمر بالذكر عقيب الخلق أن لا يكون الأمر داخلا فى الخلق كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكال وعارض الكعبى بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم أن تكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق فكلمات الله مخلوقة وقال القاضى اتفق المفسرون على أنه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد به نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد أن يقال الامر داخل فى الخلق ولكنه من حيث كونه أمرا يدل على نوع آخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد فى المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف فى المرتبة الثانية * وقال آخرون معنى قوله ألا له الخلق أنه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب أن يكون معناه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر ويلزم منه أن يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن ذلك الامر بحسب مشيئته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق أنه ان شاء أمر وان شاء لم يأمر هذا خلف وأجيب بأنه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة

ابن وكيع قال ثنا غندر عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم ولم تكونوا شيأ فأحياكم كذلك يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الأعلى عن عوف عن الحسن كما بدأكم تعودون قال كما بدأكم فى الدنيا كذلك تعودون يوم القيامة أحياء حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة كما بدأكم تعودون قال بدأ خلقهم ولم يكونوا شيأ ثم ذهبوا ثم يعيدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كما بدأكم تعودون فريقا هدى يقول كما خلقنا كم أول مرة كذلك تعودون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كما بدأكم تعودون يحييكم بعد موتكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كما بدأكم تعودون قال كما خلقهم أولا كذلك يعيدهم آخرا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب القول الذى قاله من قال معناه كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيأ تعودون بعد فنائكم خلقا مثله يحشركم الى يوم القيامة لان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم بما فى هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية لا يؤمنون بالمعاد ولا يصدقون بالقيامة فأمره أن يدعوهم الى الاقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة ومثيب من أطاعه ومعاقب من عصاه فقال له قل لهم أمر ربى بالقسط وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد وأن ادعوه مخلصين له الدين وأن أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر وأن أقروا بأن كما ترك ذكر أن مع أقيموا اذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات الى الاقرار بالصفة التى عليها ينشر من نشر وانما يؤمر بالدعاء الى ذلك من كان بالبعث مصدقا فأما من كان له جاحدا فانما يدعى الى الاقرار به ثم يعرف كيف شرائط البعث على أن فى الخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى حدثناه محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى المغيرة ابن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ثم قرأ كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن يوسف قال ثنا سفيان عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا أيها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين ما يبين صحة القول الذى قلنا فى ذلك من أن معناه أن الخلق يعودون الى الله يوم القيامة خلقا أحياء كما بدأهم فى الدنيا خلقا أحياء يقال منه بدأ الله الخلق يبدؤهم وأبدأهم يبدئهم ابداء بمعنى خلقهم لغتان فصيحتان ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عما سبق من

علمه فى خلقه وجرى به فيهم قضاؤه فقال هدى الله منهم فريقا فوفقهم لصالح الاعمال فهم مهتدون وحق على فريق منهم الضلالة عن الهدى والرشاد باتخاذهم الشيطان من دون الله وليا واذا كان التأويل هذا كان الفريق الاول منصوبا باعمال هدى فيه والفريق الثانى بوقوع قوله حق على عائد ذكره فى عليهم كما قال جل ثناؤه يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما ومن وجه تأويل ذلك الى أنه كما بدأكم فى الدنيا صنفين كافرا ومؤمنا كذلك تعودون فى الآخرة فريقين فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة نصب فريقا الاول بقوله تعودون وجعل الثانى عطفا عليه وقد بينا الصواب عندنا من القول فيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الفريق الذى حق عليهم الضلالة انما ضلوا عن سبيل الله وجاروا عن قصد المحجة باتخاذهم الشياطين نصراء من دون الله وظهراء جهلا منهم بخطإ ما هم عليه من ذلك بل فعلوا ذلك وهم يظنون أنهم على هدى وحق وأن الصواب ما أتوه وركبوا وهذا من أبين الدلالة على خطإ قول من زعم أن الله لا يعذب أحدا على معصية ركبها أو ضلالة اعتقدها الا أن يأتيها بعد علم منه بصواب وجهها فيركبها عنادا منه لربه فيها لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن بين فريق الضلالة الذى ضل وهو يحسب أنه هاد وفريق الهدى فرق وقد فرق الله بين أسمائهما وأحكامهما فى هذه الآية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يتعرون عند طوافهم ببيته الحرام ويبدون عوراتهم هنالك من مشركى العرب والمحرمين منهم أكل ما لم يحرمه الله عليهم من حلال رزقه تبررا عند نفسه لربه يابنى آدم خذوا زينتكم من الكساء واللباس عند كل مسجد وكلوا من طيبات ما رزقتكم وحللته لكم واشربوا من حلال الأشربة ولا تحرموا الا ما حرمت عليكم فى كتابى أو على لسان رسولى محمد صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى ابن حبيب بن عربى قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا شعبة عن سلمة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان النساء كن يطفن بالبيت عراة وقال فى موضع آخر بغير ثياب الا أن تجعل المرأة على فرجها خرقة فيما وصف ان شاء الله وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

قال فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثنا عمرو بن على قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وكانت المرأة تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

فقال الله خذوا زينتكم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن ابن عباس خذوا

زينتكم

فى الآية دلالة على أنه ليس لاحد أن يلزم غيره شيأ الا الله ففعل الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الألم لا يوجب العوض السادس دلت الآية على أن القبيح لا يجوز أن يقبح لوجه عائد اليه وأن الحسن لا يحسن لامر عائد اليه والا لم يأمر الا بما حصل فيه وجه الحسن ولم ينه الا عما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهى كيف شاء وأراد هذا خلف السابعة أطلق الخلق والامر فيعلم أنه لو أراد خلق ألف عالم بما فيه من العرش والكرسى والكواكب فى أقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان أهل السنة يقولون معنى قوله الامر لله أنه صفة له فكذا الخلق صفة قائمة بذاته فلا يكون مخلوقا وأجيب بأن الخلق لو كان غير المخلوق فاما أن يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما أن يكون حادثا فيفتقر الى خلق آخر ويتسلسل ويمكن أن يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة له الامر يقتضى أن لا أمر الا لله وقول النبى صلى الله عليه وآله اذا أمرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم لا ينافى ذلك لان الموجب لأمره فى الحقيقة هو أمر الله تعالى العاشرة فى الآية دلالة على أن لله تعالى أمرا ونهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع كان واجب الوقوع فكان الأمر به تحصيلا للحاصل وان كان غير معلوم الوقوع كان ممتنع الوقوع فكان الأمر به أمرا بما يمتنع وقوعه وهو محال وأيضا انه تعالى ان خلق الداعى الى فعله كان واجب الوقوع والا فلا فائدة فى الامر به وأيضا الكافر أو الفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم أنه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الأمر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وأيضا التكليف ان لم يكن لفائدة فى الأمر فهو عبث وان كان لفائدة فلا بد أن تعود الى المكلف لانه سبحانه غنى بجميع الفوائد منحصرة فى تحصيل نفع أو دفع ضر والله تعالى قادر على تحصيلهما للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف اضرارا محضا والجواب أن أول الآية دل على انه تعالى هو

زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر ووهب بن جرير عن شعبة عن سلمة بن كهيل قال سمعت مسلما البطين يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت عريانة قال غندر وهي عريانة قال وهب كانت المرأة تطوف بالبيت وقد أخرجت صدرها وما هنالك قال غندر وتقول من يعيرني تطوافا تجعله على فرجها وتقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

فأنزل الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي وابن فضيل عن عبد الملك عن عطاء خذوا زينتكم قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا ثيابهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن عبد الملك عن عطاء بنحوه حدثني عمرو قال ثنا يحيى قال ثنا عبد الملك عن عطاء في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد البسوا ثيابكم حدثنا يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان ناس يطوفون بالبيت عراة فنهوا عن ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فأمروا أن يلبسوا الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما وارى العورة ولو عباءة حدثنا عمرو قال ثنا يحيى بن سعيد وأبو عاصم وعبد الله بن داود عن عثمان بن الاسود عن مجاهد في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال ما يواري عورتك ولو عباءة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله خذوا زينتكم عند كل مسجد في قريش لتركهم الثياب في الطواف حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي قال ثنا سفيان عن سالم عن سعيد بن جبير خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن ابراهيم عن نافع عن ابن طاوس عن أبيه خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الشملة من الزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن طاوس خذوا زينتكم عند كل مسجد قال الثياب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سويد وأبو اسامة عن حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كانوا يطوفون بالبيت عراة فطافت امرأة بالبيت

الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن منه تعالى أن يأمر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا كما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا أو من كونه موجب عوض أو ثواب ولما بين أن له الأمر والنهي والحكم والتكليف ذكر أنه يستحق الثناء والتقديس فقال (تبارك الله رب العالمين) وللبركة تفسيران أحدهما الثبات والدوام ولا ريب أنه الواجب لذاته القائم بذاته الدائم الغني بذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ولاشك أن كل الخيرات والكمالات فائضة من جوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وأرشد الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين أتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب والمآرب الدينية والدنيوية فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) قال في الكشاف نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم أو الكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف الشيء على نفسه في قوله وادعوه خوفا وطمعا والأظهر أنه على الأصل ومن الناس من أنكر الدعاء قال لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع أو كان مرادا في الأزل أو كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وأيضا انه نوع من سوء الأدب وعدم الرضا بالقضاء وقد يطلب ما ليس بنافع له وفيه من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق أن الدعاء نوع من أنواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسائل والوسائط والروابط ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء أكرم على الله سبحانه من الدعاء الا أنه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء والسمعة واليهما أشار بقوله تضرعا وخفية ونحن قد أطنبنا في تحقيق الدعاء وشرائطه في سورة البقرة في تفسير قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الآية بقوله (انه لا يحب المعتدين) وللمسلمين اتفاق على أنه ليس معنى المحبة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع ولكنها عبارة عن ايصاله الثواب والخير الى العبد وهذا مبني

على قول الكعبي وأبي الحسين انه تعالى غير موصوف بالارادة وأن كونه مريدا لأفعال نفسه عبارة عن ايجادها وفعلها وكونه مريدا لأفعال غيره هو كونه آمرا بها وأما الأشاعرة ومعتزلة البصرة القائلون بصفة الارادة فانهم فسروا المحبة بارادة ايصال الثواب وقال بعض العلماء انا نجد في الشاهد أن الأب يحب ابنه فيترتب على تلك المحبة ارادة ايصال الخيرات الى ذلك الابن وكانت هذه الارادة أثرا من آثار تلك المحبة وثمرة من ثمراتها غاية ما في الباب أن هذه المحبة في الشاهد عبارة عن الشهوة وميل الطبع ورغبة في النفس وذلك في حقه تعالى محال الا أنا نقول لم لا يجوز أن يقال ان محبة الله صفة أخرى يترتب عليها ايصال الثواب أو ارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ماهي وكيف هي لأن عدم العلم بالشئ لا يوجب العلم بعدم ذلك الشئ نظير ذلك أن أهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الأجسام والألوان ويعني بالمعتدين المجاوزين ما أمروا به فيشمل كل من خالف أمر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده أنه أمر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره الوجوب اذ قد أثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ومن هنا اختلف أرباب الطريقة ان الأولى في العبادات الاخفاء أم الاظهار فقيل الأولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الأولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالأولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار آمنا من شائبة الرياء فالأولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التأمين أفضل وقال أبو حنيفة الاخفاء أفضل لأنه ان كان دعاء وجب اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من أسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فان لم يثبت الوجوب فلا أقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله (ولا تفسدوا في الأرض) فيدخل فيه خمسة أشياء المنع من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الأموال

وهي عريانة فقالت

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد قال كان حي من أهل اليمن كان أحدهم اذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دنست فيه فيقول من يعيرني مئزرا فان قدر على ذلك والا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال الله يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد يقول ما يواري العورة عند كل مسجد حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الحمس قريش وأحلافهم فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس فانه لا يحل له ان يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الحمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب نفسه ألقاها اذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد * وبه عن معمر قال قال ابن طاوس عن أبيه الشملة من الزينة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية كان ناس من أهل اليمن والأعراب اذا حجوا البيت يطوفون به عراة ليلا فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا في المسجد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد خذوا زينتكم قال زينتهم ثيابهم التي كانوا يطرحونها عند البيت ويتعرون و حدثني به مرة أخرى باسناده عن ابن زيد في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال كانوا اذا جاؤا البيت فطافوا به حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها فان وجدوا من يعيرهم ثيابا والا طافوا بالبيت عراة فقال من حرم زينة الله قال ثياب الله التي أخرج لعباده الآية * وكالذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال أحل الله الأكل والشرب ما لم يكن سرفا أو مخيلة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين في الطعام والشراب حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم فقال الله لهم كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يقول لا تسرفوا في التحريم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تسرفوا الا تأكلوا حراما ذلك الاسراف وقوله انه لا يحب المسرفين

المسرفين يقول ان الله لا يحب المتعدين حده فى حلال أو حرام الغالين فيما أحل الله أو حرم باحلال الحرام و بتحريم الحلال ولكنه يحب أن يحلل ما أحل و يحرم ما حرم وذلك العدل الذى أمر به

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يتعرون عند طوافهم بالبيت و يحرمون على أنفسهم ما أحللت لهم من طيبات الرزق من حرم أيها القوم عليكم زينة الله التى خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتتجملوا بلباسها والحلال من رزق الله الذى رزق خلقه لمطاعمهم ومشاربهم * واختلف أهل التأويل فى المعنى بالطيبات من الرزق بعد اجماعهم على أن الزينة ما قلنا فقال بعضهم الطيبات من الرزق فى هذا الموضع اللحم وذلك أنهم كانوا لا يأكلونه فى حال احرامهم ذكر من قال ذلك منهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو الودك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق الذى حرموا على أنفسهم قال كانوا اذا حجوا أو اعتمروا حرموا الشاة عليهم وما يخرج منها وحدثنى به يونس مرة أخرى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل من حرم زينة الله الى آخر الآية قال كان قوم يحرمون ما يخرج من الشاة لبنها وسمنها ولحمها فقال الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال والزينة من الثياب حدثنى المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن رجل عن الحسن قال لما بعث الله محمدا فقال هذا نبى هذا خيارى استنوا به خذوا فى سننه وسبيله لم تغلق دونه الابواب ولم تقم دونه الحجبة ولم يغد عليه (١) بالجفان ولم يرجع عليه بها وكان يجلس بالارض و يأكل طعامه بالارض و يلعق يده و يلبس الغليظ و يركب الحمار و يردف عبده وكان يقول من رغب عن سنتى فليس منى قال الحسن فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها ثم ان علوجا فساقا أكلة الربا والغلول قد سفههم ربى ومقتهم زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا و زخرفوا هذه البيوت يتأولون هذه الآية قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وانما جعل ذلك لاولياء الشيطان قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه من كلام لم يحفظه سفيان * وقال آخرون بل عنى بذلك ما كانت الجاهلية تحرم من البحائر والسوائب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق وهو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم البحيرة والسائبة والوصيلة والحام حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قال ان الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الثياب وغيرها وهو قول الله قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هذا فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ يقول الله تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء الذين أمرتك أن تقول لهم من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق اذ عيوا بالجواب فلم يدروا ما يجيبونك زينة الله التى أخرج لعباده وطيبات رزقه للذين صدقوا الله

(١) كذا فى أصله وفى نسخة بالحجاب بحيم وموحدتين بينهما ألف وحرر كتبه مصححه

بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواط والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك أن قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد فى الوجود والمنع من الماهية يقتضى المنع من جميع أنواعه ومعنى (بعد اصلاحها) بعد ان أصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين أو المراد اصلاح الارض بسبب ارسال الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضى وقوع الهرج والمرج وحدوث الفتن فى الارض وفى الآية دلالة على أن الاصل فى المضار الحرمة وان وجدنا نصا خاصا يدل على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص على العام وفيها أيضا دلالة على أن كل عقد وقع التراضى به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لأن رفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالأخص فجميع أحكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على أن الاصل فى المضار والآلام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق بأنها كانت تدل على ان الاصل فى المنافع واللذات الاباحة والحل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين أن الدعاء لا بد أن يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء وبعدم المنافى وهو الافساد بالوجوه الخمسة ذكر أن فائدة الدعاء والباعث

ورسوله واتبعوا ما أنزل اليك من ربك في الدنيا وقد شركهم في ذلك فيها من كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وهي للذين آمنوا بالله ورسوله خالصة يوم القيامة لا يشركهم في ذلك يومئذ أحد كفر بالله ورسوله وخالف أمر ربه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول شارك المسلمون الكفار في الطيبات فأكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا من صالح نسائها وخلصوا بها يوم القيامة وحدثني به المثنى مرة أخرى بهذا الاسناد بعينه عن ابن عباس فقال قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يعني يشارك المسلمون المشركين في الطيبات في الحياة الدنيا ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول قل هي في الآخرة خالصة لمن آمن بي في الدنيا لا يشركهم فيها أحد وذلك أن الزينة في الدنيا لكل بني آدم فجعلها الله خالصة لاوليائه في الآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال اليهود والنصارى يشركونكم فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة خالصة للمؤمنين في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار فأما في الدنيا فقد شاركوهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة من عمل بالايمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة ومن ترك الايمان في الدنيا قدم على ربه لا عذر له حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشترك فيها معهم المشركون خالصة يوم القيامة للذين آمنوا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة يقول المشركون يشاركون المؤمنين في الدنيا في اللباس والطعام والشراب ويوم القيامة يخلص اللباس والطعام والشراب للمؤمنين وليس للمشركين في شيء من ذلك نصيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال الدنيا يصيب منها المؤمن والكافر ويخلص خير الآخرة للمؤمنين وليس للكافر فيها نصيب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال هذه يوم القيامة للذين آمنوا لا يشركهم فيها أهل الكفر ويشركونهم فيها في الدنيا واذا كان يوم القيامة فليس لهم فيها قليل ولا كثير * وقال سعيد بن جبير في ذلك بما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن أبان وحيوية الرازي أبو يزيد عن يعقوب القمي عن سعيد بن جبير قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال ينتفعون بها في الدنيا ولا يتبعهم اثمها * واختلفت القراء في قراءة قوله خالصة فقرأ ذلك بعض قراء المدينة خالصة برفعها بمعنى قل هي خالصة للذين آمنوا وقرأه سائر قراء الامصار خالصة بنصبها على الحال من لهم وقد ترك ذكرها من الكلام اكتفاء منها بدلالة الظاهر عليها على ما قد وصفت في تأويل الكلام ان معنى الكلام قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا

عليه أحد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض عليه بأن أهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية أي كونه الهالنا وكوننا عبيداله اقتضى أن يحسن منه أن يأمر عبيده بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من أتى بها للخوف من العقاب والطمع في الثواب لم يأت بها لوجه وجوبها فوجب أن لا يصح وأجيب بأن المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط باسرها أي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع أعمالكم ولا تقطعوا أنكم وان اجتهدتم قد أديتم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي أن غاية التكليف من الآمر غير غايته من المأمور اذا فهب أن الغاية الاولى هي المصلحة أو الالهية والعبودية فلم لا يجوز أن تكون الغاية الثانية الخلاص من العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله (ان رحمة الله قريب من المحسنين) ظاهره أن يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التأنيث وجوها فقيل لان تأنيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد أو لأن المراد بالرحمة الترحم أو الرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب أو شبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض صوت العقبان أو الدجاجة والضغيب صوت الارنب وقيل المراد ذات مكان مشتركة

مشتركة وهي لهم في الآخرة خالصة ومن قال ذلك بالنصب جعل خبرهي في قوله للذين آمنوا * قال أبو جعفر وأولى القراءتين عندي بالصحة قراءة من قرأ نصبا لايثار العرب النصب في الفعل اذا تأخر بعد الاسم والصفة وان كان الرفع جائزا غير أن ذلك أكثر في كلامهم ۞ القول في تأويل قوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول تعالى ذكره كما بينت لكم الواجب عليكم في اللباس والزينة والحلال من المطاعم والمشارب والحرام منها وميزت بين ذلك لكم أيها الناس كذلك أبين جميع أدلتي وحججي وأعلام حلالي وحرامي وأحكامي لقوم يعلمون ما يبين لهم ويفقهون ما يميز لهم

۞ القول في تأويل قوله (قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل الله لهم من رزقه أيها القوم ان الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحل ذلك لعباده المؤمنين وطيبه لهم وانما حرم ربي القبائح من الاشياء وهي الفواحش ما ظهر منها فكان علانية وما بطن منها فكان سرا في خفاء وقد روى عن مجاهد في ذلك ما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله ما ظهر منها وما بطن قال ما ظهر منها طواف أهل الجاهلية عراة وما بطن الزنا وقد ذكرت اختلاف أهل التأويل في تأويل ذلك بالروايات فيما مضى فكرهت اعادته وأما الاثم فانه المعصية والبغي الاستطالة على الناس يقول تعالى ذكره انما حرم ربي الفواحش مع الاثم والبغي على الناس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والاثم والبغي أما الاثم فالمعصية والبغي أن يبغي على الناس بغير الحق حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا في قوله ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي قال نهى عن الاثم وهي المعاصي كلها وأخبر ان الباغي بغيه كائن على نفسه ۞ القول في تأويل قوله (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) يقول جل ثناؤه انما حرم ربي الفواحش والشرك به أن تعبدوا مع الله الها غيره ما لم ينزل به سلطانا يقول حرم ربكم عليكم أن تجعلوا معه في عبادته شركا لشيء لم يجعل لكم في اشراككم اياه في عبادته حجة ولا برهانا وهو السلطان وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون يقول وأن تقولوا ان الله أمركم بالتعري والتجرد للطواف بالبيت وحرم عليكم أكل هذه الانعام التي حرمتموها وسيبتموها وجعلتموها وصائل وحوامي وغير ذلك مما لا تعلمون أن الله حرمه أو أمر به أو أباحه فتضيفوا الى الله تحريمه وحظره والامر به فان ذلك هو الذي حرمه الله عليكم دون ما تزعمون أن الله حرمه أو تقولون ان الله أمر به جهلا منكم بحقيقة ما تقولون وتضيفونه الى الله

۞ القول في تأويل قوله (ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يقول تعالى ذكره مهددا للمشركين الذين أخبر جل ثناؤه عنهم أنهم كانوا اذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ووعيدا منه لهم على كذبهم عليه وعلى اصرارهم على الشرك به والمقام على كفرهم ومذكرا لهم ما أحل بأمثالهم من الامم الذين كانوا قبلهم ولكل أمة أجل يقول ولكل جماعة اجتمعت على تكذيب رسل الله ورد نصائحهم والشرك بالله مع متابعة ربهم حججه عليهم أجل يعني وقت لحلول العقوبات بساحتهم ونزول المثلات بهم على شركهم فاذا جاء أجلهم يقول فاذا جاء الوقت الذي وقته الله لهلاكهم وحلول العقاب بهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يقول لا يتأخرون بالبقاء في الدنيا ولا يتمتعون بالحياة فيها عن وقت هلاكهم وحين حلول أجل فنائهم ساعة من ساعات الزمان ولا يستقدمون يقول ولا يتقدمون بذلك أيضا عن

قريب كلابن وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت تقول العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريب لانه في تأويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الماضي وقربا من المستقبل أي الآخرة التي هي مقام رحمة الله ويمكن أن يقال المراد به قرب الحصول سواء كان في الدنيا أو في الآخرة كقوله ألا ان نصر الله قريب قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب أن لا يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض أن صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو وأجيب بأن المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من آمن بالله تعالى وأقر بالتوحيد والنبوة فقد أحسن والدليل عليه الاجماع على أن الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وآمن بالله ورسوله واليوم الآخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على أن قوله ماهية الرحمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر أيضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فأمتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي أتبعه ذكر الدلائل من أحوال هذا العالم وهي الآثار العلوية من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها أحوال الرياح والسحب والامطار وأيضا لما أقام الدلالة في الآية الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم أقام الدلالة في هذه الآية على صحة القول بالحشر والنشر ليتم بالآيتين تقرير المبدا والمعاد فقال (وهو الذي يرسل الرياح) الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم ذاته والا دام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل

الوقت الذى جعله الله لهم وقتا للهلاك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يابنى آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ يقول تعالى ذكره معرّفا خلقه ما أعد لحزبه وأهل طاعته والايمان به وبرسوله وما أعد لحزب الشيطان وأوليائه والكافرين به وبرسله يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقول ان يجئكم رسلى الذين أرسلهم اليكم بدعائكم الى طاعتى والانتهاء الى أمرى ونهيى منكم يعنى من أنفسكم ومن عشائركم وقبائلكم يقصون عليكم آياتى يقول يتلون عليكم آيات كتابى ويعرّفونكم أدلتى وأعلامى على صدق ما جاؤكم به من عندى وحقيقة ما دعوكم اليه من توحيدى فمن اتقى وأصلح يقول فمن آمن منكم بما أتاه به رسلى مما قص عليه من آياتى وصدّق واتقى الله فخافه بالعمل بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه على لسان رسوله وأصلح يقول وأصلح أعماله التى كان لها مفسدا قبل ذلك من معاصى الله بالتحوب منها فلا خوف عليهم يقول فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله اذا وردوا عليه ولا هم يحزنون على ما فاتهم من دنياهم التى تركوها وشهواتهم التى تجنبوها اتباعا منهم لنهى الله عنها اذا عاينوا من كرامة الله ما عاينوا هنالك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الله قال ثنا هياج قال ثنا عبد الرحمن بن زياد عن أبى سيار السلمى قال ان الله جعل آدم وذريته فى كفه فقال يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم نظر الى الرسل فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ثم بثهم فان قال قائل ما جواب قوله اما يأتينكم رسل منكم قيل قد اختلف أهل العربية فى ذلك فقال بعضهم فى ذلك الجواب مضمر يدل عليه ما ظهر من الكلام وذلك قوله فمن اتقى وأصلح وذلك لانه حين قال فمن اتقى وأصلح كأنه قال فأطيعوهم * وقال آخرون منهم الجواب فمن اتقى لان معناه فمن اتقى منكم وأصلح قال ويدل على أن ذلك كذلك تبعيضه الكلام فكان فى التبعيض اكتفاء من ذكر منكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ يقول جل ثناؤه وأما من كذب بإيتاء رسلى التى أرسلتها اليه وجحد توحيدى وكفر بما جاء به رسلى واستكبر عن تصديق حججى وأدلتى فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يقول هم فى نار جهنم ماكثون لا يخرجون منها أبدا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ يقول تعالى ذكره فمن أخطأ فعلا وأجهل قولا وأبعد ذهابا عن الحق والصواب ممن افترى على الله كذبا يقول ممن اختلق على الله زورا من القول فقال اذا فعل فاحشة ان الله أمرنا بها أو كذب بآياته يقول أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه فجحد حقيقتها ودافع صحتها أولئك يقول من فعل ذلك فافترى على الله الكذب وكذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول يصل اليهم حظهم مما كتب الله لهم فى اللوح المحفوظ ثم اختلف أهل التأويل فى صفة ذلك النصيب الذى لهم فى الكتاب وما هو فقال بعضهم هو عذاب الله الذى أعده لأهل الكفر به ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مروان عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أى من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن اسمعيل عن أبى صالح مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولئك ينالهم نصيبهم من

الكتاب

المختار قالت الحكماء من أسباب الريح أن يرتفع من الارض أجزاء أرضية لطيفة تسخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملتصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك فحينئذ ترجع الأدخنة وتتفرق فى الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الأدخنة أكثر وكان صعودها أقوى كان رجوعها أيضا أشد فكانت الرياح أقوى وزيف بأن صعود تلك الاجزاء الارضية انما يكون لاجل شدة تسخنها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك سلمنا أنها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك عنه ويسرة وأيضا ان حركة تلك الاجزاء لا تكون قاهرة فان الرياح اذا أصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس أحد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وأيضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت أشد وجب أن يكون حصول الاجزاء الغبارية الارضية أكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة فى وجه البحر وليس فيها شئ من الغبار ويمكن أن يجاب بأن الحكم بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبنى على ان الريح هى تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء حدث فيما يجاوره

الكتاب يقول ما كتب لهم من العذاب حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن كثير بن زياد عن الحسن في قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن جويبر عن أبي سهل عن الحسن قال من العذاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن رجل عن الحسن قال من العذاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما سبق لهم من الشقاء والسعادة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الشقوة والسعادة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كشقي وسعيد حدثنا واصل بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن فضيل عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن الحكم قال سمعت مجاهدا يقول أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو ما سبق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب لهم من الشقاوة والسعادة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ينالهم نصيبهم من الكتاب ما كتب عليهم من الشقاوة والسعادة كشقي وسعيد * قال حدثنا ابن المبارك عن شريك عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب من الشقاوة والسعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير وابن ادريس عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما قد سبق من الكتاب حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق عن عطية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما سبق لهم في الكتاب * قال ثنا سويد بن عمرو ويحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد أولئك ينالهم نصيبهم قال من الشقاوة والسعادة * قال حدثنا أبو معاوية عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ما قضي أو قدر عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ينالهم نصيبهم من الكتاب ينالهم الذي كتب عليهم من الاعمال حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن اسمعيل ابن سميع عن بكر الطويل عن مجاهد في قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال قوم يعملون أعمالا لا بد لهم أن يعملوها * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من كتابهم الذي كتب لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير وشر ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول نصيبهم من الاعمال من عمل خيرا جزي به ومن عمل شرا جزي به حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من أحكام الكتاب على قدر أعمالهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم نصيبهم في الآخرة من أعمالهم التي عملوا وأسلفوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أي أعمالهم أعمال السوء التي عملوها وأسلفوها حدثني أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر قال قال أبي أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب زعم قتادة من أعمالهم التي عملوا حدثت عن الحسين بن الفرج

من الهواء تحرك واضطراب وتموج شبه ما يحدث في الماء اذا ألقي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزيف بأنه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب أن وصول الكوكب الى الموضع الفلاني انما يوجب تحرك الهواء بتسخين أو تلطيف أو تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا أكثر أو أقل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك الهواء المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى أن يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض أجزاء الهواء ثم يستقر كل في موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتأثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قال في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل وأما في الروم فلمناسب ما قبل ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات وقال في الفرقان أرسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما بعده وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على أول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى أعلم أما قوله (نشرا) بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال بمعنى منتشرات وأما لان أرسل ونشر متقاربان كأنه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد يخفف كرسل ومن قرأ بشرا بضم الباء الموحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى (بين يدي رحمته) أمام نعمته وهي الغيث الذي

قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم نصيبهم من العمل يقول ان عمل من ذلك نصيب خير جزى خيرا وان عمل شرا جزى مثله * وقال آخرون معنى ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس في هذه الآية أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الخير والشر * قال حدثنا زيد عن سفيان عن منصور عن مجاهد قال ما وعدوا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا فيه من خير أو شر * قال حدثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ليث عن ابن عباس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال ما وعدوا فيه من خير أو شر حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ما وعدوا من خير أو شر حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن الحكم عن مجاهد في قول الله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال ينالهم ما سبق لهم من الكتاب * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب الذي كتبه الله على من افترى عليه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يقول ينالهم ما كتب عليهم يقول قد كتب لمن يفتري على الله ان وجهه مسود * وقال آخرون معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم مما كتب لهم من الرزق والعمر والعمل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال ثنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الرزق * قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب عن ابن لهيعة عن أبي صخر عن القرظي أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال عمله ورزقه وعمره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قال من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وقد فرغوا من هذه الاشياء كلها * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا ورزق وعمل وأجل وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله فأبان باتباعه ذلك قوله أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب أن الذي ينالهم من ذلك انما هو ما كان مقضيا عليهم في الدنيا أن ينالهم لانه قد أخبر ان ذلك ينالهم الى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب أو مما قد أعد لهم في الآخرة لم يكن محدودا بأنه ينالهم الى مجيء رسل الله لوفاتهم لان رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة وان عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء فان الله قد قضى عليهم بالخلود فيه فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه * القول في تأويل قوله ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا الى أن جاءتهم رسلنا يقول جل ثناؤه وهؤلاء الذين افتروا على الله

هو من أجل النعم وأحسنها وهذا بحسب الأغلب فان المطر قلما لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب تستعمل اليدين بدل قدام وأمام مجازا لأن اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين (حتى اذا أقلت) حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل يزعم أن ما رفعه قليل (سحابا) جمع سحابة ولهذا قال (ثقالا) على الجمع جمع ثقيلة والضمير في (سقناه) يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه على أصله أما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر أن يقال نحن أرسلنا واعلم أن السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته أن يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها أن أجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم تصير متفرقة ومنها ان تحرك الرياح يمنة ويسرة فتمنع الاجزاء المائية الرشة عن النزول فيبقى معلقا في الهواء ومنها ان ينساق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلة لها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحر الشديد كالسموم أو البرد الشديد ومنها مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالحقيقة تهب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد يشاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى أن ينفصل الريح الى ما فوق البحر وحينئذ

الكذب أو كذبوا بآيات ربهم ينالهم حظوظهم التى كتب الله لهم وسبق فى علمه لهم من رزق وعمل وأجل وخير وشر فى الدنيا الى أن تأتيهم رسلنا لقبض أرواحهم فاذا جاءتهم رسلنا يعنى ملك الموت وجنده يتوفونهم يقول يستوفون عددهم من الدنيا الى الآخرة قالوا أينما كنتم تدعون من دون الله يقول قالت الرسل أين الذين كنتم تدعونهم أولياء من دون الله وتعبدونهم لا يدفعون عنكم ما قد جاءكم من أمر الله الذى هو خالقكم وخالقهم وما قد نزل بساحتكم من عظيم البلاء وهلا يغيثونكم من كرب ما أنتم فيه فينقذونكم منه فأجابهم الاشقياء فقالوا ضل عنا أولياؤنا الذين كنا ندعو من دون الله يعنى بقوله ضلوا جاروا وأخذوا غير طريقنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا يقول الله جل ثناؤه وشهد القوم حينئذ على أنفسهم أنهم كانوا كافرين بالله جاحدين وحدانيته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال ادخلوا فى أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت أمة لعنت أختها﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قيله لهؤلاء المفترين عليه المكذبين آياته يوم القيامة يقول تعالى ذكره قال لهم حين وردوا عليه يوم القيامة ادخلوا أيها المفترون على ربكم المكذبون رسله فى جماعات من ضربائكم قد خلت من قبلكم يقول قد سلفت من قبلكم من الجن والانس فى النار ومعنى ذلك ادخلوا فى أمم هى فى النار قد خلت من قبلكم من الجن والانس وانما يعنى بالامم الاحزاب وأهل الملل الكافرة كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول جل ثناؤه كلما دخلت النار جماعة من أهل ملة لعنت أختها يقول شتمت الجماعة الاخرى من أهل ملتها تبريا منها وانما عنى بالاخت الأخوة فى الدين والملة وقيل أختها ولم يقل أخاها لانه عنى بها أمة وجماعة أخرى كأنه قيل كلما دخلت أمة لعنت أمة أخرى من أهل ملتها ودينها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كلما دخلت أمة لعنت أختها يقول كلما دخلت أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين يلعن المشركون المشركين واليهود اليهود والنصارى النصارى والصابئون الصابئين والمجوس المجوس تلعن الآخرة الاولى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿حتى اذا اداركوا فيها جميعا﴾ يقول تعالى ذكره حتى اذا تداركت الامم فى النار جميعا يعنى اجتمعت فيها يقال قد اداركوا وتداركوا اذا اجتمعوا يقول اجتمع فيها الاولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن محاورة الاحزاب من أهل الملل الكافرة فى النار يوم القيامة يقول الله تعالى ذكره فاذا اجتمع أهل الملل الكافرة فى النار فاداركوا قالت أخرى أهل كل ملة دخلت النار الذين كانوا فى الدنيا بعد أولى منهم تقدمتها وكانت لها سلفا واماما فى الضلالة والكفر لأولاها الذين كانوا قبلهم فى الدنيا ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيلك ودعونا الى عبادة غيرك وزينوا لنا طاعة الشيطان فآتهم اليوم من عذابك الضعف على عذابنا كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قالت أخراهم الذين كانوا فى آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وأما قوله قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون فانه خبر من الله عن جوابه لهم يقول قال الله للذين يدعونه فيقولون ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار لكلكم أولكم وآخركم وتابعوكم ومتبوعكم ضعف يقول مكرر عليه العذاب وضعف الشئ مثله مرة وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف مضعف حدثنى المثنى قال ثنا أبو

يعظم هبوب الرياح فى وجه البحر وعن ابن عمر الرياح ثمان أربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم وأربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبى صلى الله عليه وآله نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور والجنوب من ريح الجنة وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة أيام لأنتن أكثر الارض وعن السدى أنه تعالى يرسل الرياح فتأتى بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فينزل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهى المطر ومعنى (لبلد ميت) أى لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الأرض عامر أو غير عامر خال أو مسكون (فأنزلنا به الماء) قال الزجاج وابن الأنبارى أى بالبلد وجائز أن يراد بالسحاب أو بالسوق فالباء للسببية (فأخرجنا به) قال الزجاج أى بالبلد (من كل الثمرات) ويجوز أن يراد أى بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى أودع فى الماء قوة وطبيعة توجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال أكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما أجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء بالتراب (كذلك) مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى) فالتشبيه انما وقع فى أصل الاحياء أى كما أحيا هذا البلد وأنبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الموتى بعد أن كانوا ترابا لأن من قدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحياة فى بدن الميت وقال كثير من المفسرين المراد أنه تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال الماء كذلك يحيى الموتى

حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال الله لكل ضعف للاولى وللآخرة ضعف حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان قال ثنى غير واحد عن السدى عن مرة عن عبد الله ضعفا من النار قال أفاعى حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله فآتهم عذابا ضعفا من النار قال حيات وأفاعى وقيل ان الضعف في كلام العرب ما كان ضعفين والمضاعف ما كان أكثر من ذلك وقوله ولكن لا تعلمون يقول ولكنكم يا معشر أهل النار لا تعلمون ما قدر ما أعد الله لكم من العذاب فلذلك تسأل الضعف منه الامة الكافرة الاخرى لاختها الاولى ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون﴾ يقول جل ثناؤه وقالت أولى كل أمة وملة سبقت في الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم وحدثوا بعد زمانهم فيها فسلكوا سبيلهم واستنوا استنتهم فما كان لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله بمعصيتنا اياه وكفرنا به وجاءتنا وجاءتكم بذلك الرسل والنذر هل انتهيتم الى طاعة الله وارتدعتم عن غوايتكم وضلالتكم فانقضت حجة القوم وخصموا ولم يطيقوا جوابا بأن يقولوا فضلنا عليكم أنا اعتبرنا بكم فآمنا بالله وصدقنا رسله قال الله لجميعهم فذوقوا جميعكم أيها الكفرة عذاب جهنم بما كنتم في الدنيا تكسبون من الآثام والمعاصي وتجترحون من الذنوب والأجرام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران عن أبي مجلز وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون قال يقول فما فضلكم علينا وقد بين لكم ما صنع بنا وحذرتم حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فقد ضللتم كما ضللنا وكان مجاهد يقول في هذا بما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من التخفيف من العذاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فما كان لكم علينا من فضل قال من تخفيف وهذا القول الذي ذكرناه عن مجاهد قول لا معنى له لان قول القائلين فما كان لكم علينا من فضل لمن قالوا ذلك انما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال يدل على ذلك دخول كان في الكلام ولو كان ذلك منهم توبيخا لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم آتهم عذابا ضعفا من النار لكان التوبيخ أن يقال فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا ولم يقل فما كان لكم علينا من فضل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا فلم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا واستكبروا عنها يقول وتكبروا عن التصديق بها وأنفوا من اتباعها والانقياد لها تكبرا لا تفتح لهم لارواحهم اذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء ولا يصعد لهم في حياتهم الى الله قول ولا عمل لان أعمالهم خبيثة وانما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال جل ثناؤه اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا تفتح لهم أبواب السماء فقال بعضهم معناه لا تفتح لأرواح هؤلاء الكفار أبواب السماء ذكر من قال ذلك

بواسطة انزال مطر على الاجساد الرميم يروى أنه يمطر على أجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني أربعين يوما فينبتون عند ذلك أحياء وعن مجاهد تمطر السماء عليهم حتى تنشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحياة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما أنه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الآية بقوله (لعلكم تذكرون) والمعنى انكم شاهدتم أن الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم أحياها مرة أخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر وشبه القرآن بالمطر وذلك أن الارض الحرة اذا نزل بها المطر حصل فيها أنواع الأزهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من شوائب الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها أنوار القرآن لهرت عليها أنواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الآية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد أن الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل أمرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلأن يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الآخرة بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها في أداء الطاعات كان أولى

حدثنا ابن وكيع قال ثنا يعلى عن أبى سنان عن الضحاك عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء قال عنى بها الكفار ان السماء لا تفتح لارواحهم وتفتح لأرواح المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبومعاوية عن أبى سنان عن الضحاك قال قال ابن عباس تفتح السماء لروح المؤمن ولا تفتح لروح الكافر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تفتح لهم أبواب السماء قال ان الكافر اذا أخذ روحه ضربته ملائكة الارض حتى يرتفع الى السماء فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط فضربته ملائكة الارض فارتفع فاذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط الى أسفل الارضين واذا كان مؤمنا أخذ روحه وفتحت له أبواب السماء فلا يمر بملك الا حياه وسلم عليه حتى ينتهى الى الله فيعطيه حاجته ثم يقول الله ردوا روح عبدى فيه الى الارض فانى قضيت من التراب خلقه والى التراب يعود ومنه يخرج * وقال آخرون معنى ذلك أنه لا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء الى الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيدالله عن سفيان عن ليث عن عطاء عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم قول ولا عمل حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء يعنى لا يصعد الى الله من عملهم شئ حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا تفتح لهم أبواب السماء يقول لا تفتح لخير يعملون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يصعد لهم كلام ولا عمل حدثنا مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبدالله بن داود قال ثنا شريك عن منصور عن ابراهيم فى قوله لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرتفع لهم عمل ولا دعاء حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سعيد لا تفتح لهم أبواب السماء قال لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء * وقال آخرون معنى ذلك لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج لا تفتح لهم أبواب السماء قال لأرواحهم ولا لأعمالهم * قال أبو جعفر وانما اخترنا فى تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم فى شئ فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم فى شئ مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا فى ذلك وذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن الاعمش عن المنهال عن زاذان عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بأقبح أسمائه التى كان يدعى بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن عبدالرحمن عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقولون ذلك حتى يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت

أصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لأن تعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومنها ما تكون بالضد لا تقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التى لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوى هذا الكلام أن النفوس نراها مختلفة فى الصفات فمنها مجبولة على حب الالهيات منصرفة عن اللذات الجسمانيات كقوله تعالى ترى أعينهم تفيض من الدمع للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله ومنها قاسية قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ومنها مائلة الى الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة فى المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبين فى المال من يرغب فى العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعانى قوله سبحانه وتعالى باذن ربه أى بتيسيره وهو فى موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه فى طباق نكدا والنكد الذى لا خير فيه وتقدير الآية ونبات البلد الخبيث لا يخرج أو البلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو النبات وأقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد أن كان مجرورا بارزا من قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر أى ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الآيات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الآية بالحث على الشكر لان الذى

 سبق ذكره هو أن الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر الذى هو سبب الملاذ والطيبات

في الجسد الطيب ادخلي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى تنتهي الى السماء التي فيها الله واذا كان الرجل السوء قال اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك أبواب السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني ابن أبي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة لا يفتح لهم أبواب السماء بالياء من يفتح وتخفيف التاء منها بمعنى لا يفتح لهم جميعها بمرة واحدة وفتحة واحدة وقرأ ذلك بعض المدنيين وبعض الكوفيين لا تفتح بالتاء وتشديد التاء الثانية بمعنى لا يفتح لهم باب بعد باب وشيء بعد شيء * قال أبو جعفر والصواب في ذلك عندي من القول أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى وذلك أن أرواح الكفار لا تفتح لها ولا لأعمالهم الخبيثة أبواب السماء بمرة واحدة ولا مرة بعد مرة و باب بعد باب فكلا المعنيين في ذلك صحيح وكذلك الياء والتاء في يفتح وتفتح لان الياء بناء على فعل الواحد للتوحيد والتاء لان الابواب جماعة فيخبر عنها خبر الجماعة

﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين﴾ يقول جل ثناؤه ولا يدخل هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدا وذلك ثقب الابرة وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك فان العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما والسمام في جمع السم القاتل أشهر وأفصح من السموم وهو في جمع السم الذي هو بمعنى الثقب أفصح وكلاهما في العرب مستفيض وقد يقال لواحد السموم التي هي الثقوب سم وسم بفتح السين وضمها ومن السم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق

فنفست عن سميه حتى تنفسا * وقلت له لا تخش شيأ وراءنا

يعني بسميه ثقبي أنفه وأما الخياط فانه المخيط وهي الابرة قيل لها خياط ومخيط كما قيل قناع ومقنع وازار ومئزر وقرام ومقرم ولحاف وملحف وأما القراء من جميع الامصار فانها قرأت قوله في سم الخياط بفتح السين وأجمعت على قراءة الجمل بفتح الجيم والميم وتخفيف ذلك وأما ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير فانه حكي عنهم أنهم كانوا يقرؤن ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم على اختلاف في ذلك عن سعيد وابن عباس فأما الذين قرؤه بالفتح من الحرفين والتخفيف فانهم وجهوا تأويله الى الجمل المعروف وكذلك فسروه ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو زوج الناقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين عن ابراهيم عن عبد الله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الجمل زوج الناقة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبي حصين عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدي عن هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله قال الجمل زوج الناقة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة قال سمعت الحسن يقول الجمل الذي يقوم في المربد

فهذا دل من أحد الوجهين على وجود الصانع وقدرته ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله أعلم ﴿التأويل﴾ عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الآية وانما خص ستة أيام لان أنواع المخلوقات ستة الاول الارواح الانسانية ب الملكوتيات منها الملائكة والجن والشياطين وملكوت السموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة ج النفوس السماوية والارضية د الاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار ه الاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر و الأجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة القابلة للفيض الرحماني والاستواء كالعلم صفة من صفاته لا يشبه استواء المخلوقين كما أن علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن أسرار الخلافة الروح تتصرف في النطفة أيام الحمل فتجعلها عالما صغيرا فبدنه كالارض ورأسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما أن العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات يغشي أي يستولي ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار أنوار القلب وبالعكس ألا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة أدعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب أو تضرعا بأداء حق العبودية وخفية بطلب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين

حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال حتى يدخل البعير فى خرق الابرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن قال هو الجمل فلما أكثروا عليه قال هو الاشتر حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن عباد بن راشد عن الحسن مثله حدثنا المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن يحيى قال كان الحسن يقرؤها حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال فذهب بعضهم يستفهمه قال أشتر أشتر حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن شعيب بن الحبحاب عن أبى العالية حتى يلج الجمل قال الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى حصين أو حصين عن ابراهيم عن ابن مسعود فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال زوج الناقة يعنى الجمل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سلمان عن الضحاك أنه كان يقرأ الجمل وهو الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عبيد عن الضحاك حتى يلج الجمل الذى له أربع قوائم حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن الحباب عن قرة عن الحسن حتى يلج الجمل قال الذى بالمربد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل الاصفر حدثنا نصر بن على قال ثنا يحيى بن سليم قال ثنا عبد الكريم بن أبى المخارق عن الحسن فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الجمل ابن الناقة أو بعل الناقة وأما الذين خالفوا هذه القراءة فانهم اختلفوا فروى عن ابن عباس فى ذلك روايتان احداهما الموافقة لهذه القراءة وهذا التأويل ذكر الرواية بذلك عنه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط والجمل ذو القوائم وذكر أن ابن مسعود قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط وهو الجمل العظيم لا يدخل فى خرق الابرة من أجل أنه أعظم منها والرواية الاخرى ما حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو قلس السفينة حدثنى عبد الاعلى بن واصل قال ثنا أبو غسان مالك بن اسمعيل عن خالد ابن عبد الله الواسطى عن حنظلة السدوسى عن عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأ حتى يلج الجمل فى سم الخياط يعنى الحبل الغليظ فذكرت ذلك للحسن فقال حتى يلج الجمل قال عبد الاعلى قال أبو غسان قال خالد يعنى البعير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن فضيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأ الجمل مثقلة وقال هو حبل السفينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن مهدى عن هشيم عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال الجمل حبال السفن حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن مبارك عن حنظلة عن عكرمة عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال الحبل الغليظ حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس حتى يلج الجمل فى سم الخياط قال هو الحبل الذى يكون على السفينة

* واختلف عن سعيد بن جبير أيضا فى ذلك فروى عنه روايتان احداهما مثل الذى ذكرنا عن ابن عباس بضم الجيم وتثقيل الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا حسين المعلم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قرأها حتى يلج الجمل يعنى قلوس السفن يعنى الحبال الغلاظ والاخرى منهما بضم الجيم وتخفيف الميم ذكر الرواية بذلك عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عمرو عن سالم بن عجلان الافطس قال

الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا فى أرض القلوب بعد أن أصلحها الله برفع الوسائط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا فى الاصطناع أو خوفا من الاثنينية وطمعا فى الوحدة أو خوفا من الانفصال وطمعا فى الوصال ان رحمة الله قريب من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فأنزلنا به ماء المحبة فأخرجنا به ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موت القلوب من قبور الصدور ولعلكم تذكرون أيام حياتكم فى عالم الارواح اذ كنتم فى رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحى يتخلق باخلاقه الحميدة كذلك نصرف الآيات أى النفوس وصفاتها الى أوصاف القلب وأخلاقه ﴿لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة فاذكروا

قرأت على أبي حتى يلج الجمل فقال حتى يلج الجمل خفيفة هو حبل السفينة هكذا أقرأنيها سعيد بن جبير وأما عكرمة فانه كان يقرأ ذلك الجمل بضم الجيم وتشديد الميم ويتأوله كما حدثني ابن وكيع قال ثنا أبو تميلة عن عيسى بن عبيد قال سمعت عكرمة يقرأ الجمل مثقلة ويقول هو الحبل الذي يصعد به الى النخل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال الحبل الغليظ في خرق الابرة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال حبل السفينة في سم الخياط حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عبد الله بن كثير سمعت مجاهدا يقول الحبل من حبال السفن وكأن من قرأ ذلك بتخفيف الميم وضم الجيم على ماذكرنا عن سعيد بن جبير على مثال الصرد والجعل وجهه الى جماع جملة من الحبال جمعت جملا كما تجمع الظلمة ظلما والخربة خربا * وكان بعض أهل العربية ينكر التشديد في الميم ويقول انما أراد الراوي الجمل بالتخفيف فلم يفهم ذلك منه فشدده وحدثت عن الفراء عن الكسائي أنه قال الذي رواه عن ابن عباس كان أعجميا وأما من شدد الميم وضم الجيم فانه وجهه الى أنه اسم واحد وهو الحبل أو الخيط الغليظ * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وهو حتى يلج الجمل في سم الخياط بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها وفتح السين من السم لانها القراءة المستفيضة في قراء الامصار وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراء وكذلك ذلك في فتح السين من قوله سم الخياط واذ كان الصواب من القراءة ذلك فتأويل الكلام ولا يدخلون الجنة حتى يلج والولوج الدخول من قولهم ولج فلان الدار يلج ولوجا بمعنى دخل الجمل في سم الابرة وهو ثقبها وكذلك نجزي المجرمين يقول وكذلك نثيب الذين أجرموا في الدنيا ما استحقوا به من الله العذاب الاليم في الآخرة وبمثل الذي قلنا في تأويل قوله سم الخياط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن مهدي وسويد الكلبي عن حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق قال سألت الحسن عن قوله حتى يلج الجمل في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا كعب بن فروخ قال ثنا قتادة عن عكرمة في سم الخياط قال ثقب الابرة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن مثله حدثني محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في سم الخياط قال جحر الابرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في سم الخياط يقول جحر الابرة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثني عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في سم الخياط قال في ثقبه ۞ القول في تأويل قوله ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾ يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها من جهنم مهاد وهو ما امتهدوه مما يقعد عليه ويضطجع كالفراش الذي يفرش والبساط الذي يبسط ومن فوقهم غواش وهو جمع غاشية وذلك ما غشاهم فغطاهم من فوقهم وانما معنى الكلام لهم من جهنم مهاد من تحتهم فرش ومن فوقهم منها لحف وانهم بين ذلك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب لهم من جهنم مهاد قال الفراش ومن فوقهم غواش قال اللحف حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش قال المهاد الفرش والغواشي اللحف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا

الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين﴾ القراآت الله غيره بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلي الباقون بالرفع حملا على محل من اله اني أخاف بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع وابن كثير أبلغكم بالتخفيف حيث كان أبو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بصطة بالصاد أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وأبي عون عن قنبل وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرا ۞ الوقوف غيره ط عظيم ٥ مبين ٥ العالمين ٥ لا يعلمون ٥ ترجون ٥ بآياتنا ط عمين ٥ هودا ط غيره ط تتقون ٥ الكاذبين ٥ العالمين ٥ أمين ٥ لينذركم ط لتناهي الاستفهام بسطة ج تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ٥ آباؤنا ج للعدول مع فاء التعقيب الصادقين ٥ وغضب ط من سلطان ج لانتهاء الاستفهام الى أمر التهديد المنتظرين ٥ مؤمنين ٥ ۞ التفسير لما ذكر في تقرير المبدا والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على أن اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش أما المهاد لهم كهيئة الفراش والغواشى تتغشاهم من فوقهم وأما قوله وكذلك نجزى الظالمين فانه يقول وكذلك نثيب ونكافئ من ظلم نفسه فأكسبها من غضب الله ما لا قبل لها به بكفره بربه وتكذيبه أنبياءه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ يقول جل ثناؤه والذين صدّقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به من وحى الله وتنزيله وشرائع دينه وعملوا ما أمرهم الله به فأطاعوه وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها يقول لا نكلف نفسا من الاعمال الا ما يسعها فلا تحرج فيه أولئك يقول هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات أصحاب الجنة يقول هم أهل الجنة الذين هم أهلها دون غيرهم ممن كفر بالله وعمل بسيآتهم فيها خالدون يقول هم فى الجنة ماكثون دائم فيها مكثهم لا يخرجون منها ولا يسلبون نعيمهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار﴾ يقول تعالى ذكره وأذهبنا من صدور هؤلاء الذين وصف صفتهم وأخبر أنهم أصحاب الجنة ما فيها من حقد وغمر وعداوة كان من بعضهم فى الدنيا على بعض فجعلهم فى الجنة اذا أدخلهموها على سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خص الله به بعضهم وفضله من كرامته عليه تجرى من تحتهم أنهار الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال العداوة حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن سعيد بن بشير عن قتادة ونزعنا ما فى صدورهم من غل قال هى الاحن حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن ابن عيينة عن اسرائيل أبى موسى عن الحسن عن على قال فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسرائيل قال سمعته يقول قال على عليه السلام فينا والله أهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال على رضى الله عنه انى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله تعالى فيهم ونزعنا ما فى صدورهم من غل رضوان الله عليهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار قال ان أهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة فى أصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فينزع ما فى صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلم يشعثوا ولم يتسخوا بعدها أبدا حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن الجريرى عن أبى نضرة قال يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها اياه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين وصف جل ثناؤه وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات حين أدخلوا الجنة ورأوا ما أكرمهم الله به من كرامته وما صرف عنهم من العذاب المهين الذى ابتلى به أهل النار بكفرهم بربهم وتكذيبهم رسله الحمد لله الذى هدانا لهذا يقول الحمد لله الذى وفقنا للعمل الذى أكسبنا هذا الذى نحن فيه من كرامة الله وفضله وصرف عذابه عنا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله يقول وما كنا لنرشد لذلك لولا أن أرشدنا

الله صلى الله عليه وسلم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفى ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على أن الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث انه اخبار بالغيب لانه أمى لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحى لا محالة فمن القصص أولاها قصة آدم وقد مرت فى أول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمى نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فأهلكوا فندم أو حين راجع ربه فى شأن ابنه أو حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فعوتب على ذلك قال الله له أعبتنى اذ خلقته أم عبت الكلب وهذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة فى المسمى والصحيح أنه اسم أعجمى قال ابن عباس معنى أرسلنا بعثنا * وقال آخرون معناه أنه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير تكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع لا أنه أصل قال فى التفسير الكبير وهذا البحث مبنى على مسئلة أصولية هى أن الرسول أرسل الى قوم ليعرفهم أحكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم أو الغرض من بعثته مجرد تأكيد ما فى العقول وهذا الاختلاف بتفاريع المعتزلة ألتى أمرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بأنه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم هو القيامة أو الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلاث لان قول النبى صلى الله عليه وسلم بعد ظهور المعجزة حجة أو لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم من القرآن ذم التقليد

الله له ووفقنا عنه وطوله كما حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل أهل النار يرى منزله من الجنة فيقولون لو هدانا الله فتكون عليهم حسرة وكل أهل الجنة يرى منزله من النار فيقولون لولا أن هدانا الله فهذا شكرهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت أبا اسحق يحدث عن عاصم بن ضمرة عن علي قال ذكر عمر لشئ لا أحفظه ثم ذكر الجنة فقال يدخلون فاذا شجرة يخرج من تحت ساقها عينان قال فيغتسلون من احداهما فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر أبشارهم ويشربون من الاخرى فيخرج كل قذى وقذر أوشئ في بطونهم قال ثم يفتح لهم باب الجنة فيقال لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال فتستقبلهم الولدان فيحفون بهم كما تحف الولدان بالحميم اذا جاء من غيبته ثم يأتون فيبشرون أزواجهم فيسمونهم بأسمائهم وأسماء آبائهم فيقلن أنت رأيته قال فيستخفهن الفرح قال فيجئن حتى يقفن على أسكفة الباب قال فيجيئون فيدخلون فاذا أس بيوتهم بجندل اللؤلؤ واذا صروح صفر وخضر وحمر ومن كل لون وسرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة فلولا أن الله قدرها لهم لالتمعت أبصارهم مما يرون فيها فيعانقون الازواج ويقعدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق الآية

﴿القول في تأويل قوله (لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات انهم يقولون عند دخولهم الجنة ورؤيتهم كرامة الله التي أكرمهم بها وهوان أعداء الله في النار والله لقد جاءتنا في الدنيا وهؤلاء الذين في النار رسل ربنا بالحق من الاخبار عن وعد الله أهل طاعته والايمان به وبرسله ووعيده أهل معاصيه والكفر به وأما قوله ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون فان معناه ونادى مناد هؤلاء الذين وصف الله صفتهم وأخبر عما أعد لهم من كرامته أن يا هؤلاء هذه تلكم الجنة التي كانت رسلي في الدنيا تخبركم عنها أورثكموها الله عن الذين كذبوا رسله لتصديقكم اياهم وطاعتكم ربكم وذلك هو معنى قوله بما كنتم تعملون وبنحو ما قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال ليس من كافر ولا مؤمن الا وله في الجنة والنار منزل فاذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ودخلوا منازلهم رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا أهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين أهل الجنة منازلهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري عن سعد بن بكر عن سفيان الثوري عن أبي اسحق عن الاغر ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا واخلدوا فلا تموتوا وانعموا فلا تبأسوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن أبي اسحق عن الاغر عن أبي سعيد ونودوا أن تلكم الجنة الآية قال ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا * واختلف أهل العربية في أن التي مع تلكم فقال بعض نحويي البصرة هي أن الثقيلة خففت وأضمر فيها ولا يستقيم أن تجعلها الخفيفة لان بعدها اسما والخفيفة لا تليها الاسماء وقد قال الشاعر

في فتية كسيوف الهند قد علموا * أن هالك كل من يحفى وينتعل

(وقال آخر)

أكاشره وأعلم أن كلانا * على ما ساء صاحبه حريص

في مواضع كثيرة فيعلم أن نبي الله لا يأمر قومه بالتقليد المحض وأيضا فقد مر دلائل التوحيد والنبوة وصحة القرآن من أول سورة البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع أن الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بأنه واحد لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فتقع العبادة ضائعة والاله معناه المستحق للعبادة والا فهو في الازل غير معبود ومعنى الخوف في الآية قال بعضهم الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وآجلا * وقال آخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب أو لعل السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا أو لعله وصف العذاب بالعظم ولكنه جر على الجوار ثم انه تردد في وصف العذاب بالعظم لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف التحذير وجملة قوله اني أخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه أي الاشراف وصدور المجالس الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنراك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد والظن دون المشاهدة والبديهة نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال ليكون أبلغ في عموم السلب كأنه قال ليس بي نوع من أنواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه بأشرف الصفات وأجلها فاستدرك

قال فمعناه أنه كلا نا قال و يكون كقوله أن قد وجدنا في موضع أي وقوله أن أقيموا ولا تكون أن
التي تعمل في الافعال لانك تقول غاظني أن قام وأن ذهب فتقع على الافعال وان كانت لا تعمل
فيها وفي كتاب الله وانطلق الملأ منهم أن امشوا أي امشوا وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل
الكوفة فقال غير جائز أن يكون مع أن في هذا الموضع هاء مضمرة لان أن دخلت في الكلام لتقي
ما بعدها قال وأن هذه التي مع تلك هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية وليس بلفظ الحكاية نحو
ناديت أنك قائم وأن زيد قائم وأن قمت فتلي كل الكلام وجعلت أن وقاية لان النداء يقع على ما بعده
وسلم ما بعد أن كما سلم ما بعد القول ألا ترى أنك تقول قلت زيد قائم وقلت قام فتليها ما شئت من الكلام
فلما كان النداء بمعنى الظن وما أشبهه من القول سلم ما بعد أن ودخلت أن وقاية قال وأما أي فانها
لا تكون على أن لا يكون أي جواب الكلام وان تكفي من الاسم ﴿ القول في تأويل قوله
﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ونادى أهل الجنة أهل النار
بعد دخولهموها يا أهل النار قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا في الدنيا على ألسن رسله من الثواب على
الايمان به وبهم وعلى طاعته فهل وجدتم ما وعد ربكم على ألسنتهم على الكفر به وعلى معاصيه
من العقاب فأجابهم أهل النار بأن نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا كالذي حدثني محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم قال وجد أهل الجنة ما وعدوا من
ثواب وأهل النار ما وعدوا من عقاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني
أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وذلك أن الله وعد أهل الجنة النعيم والكرامة وكل خير علمه الناس أو لم
يعلموه ووعد أهل النار كل خزي وعذاب علمه الناس أو لم يعلموه فذلك قوله وآخر من شكله أزواج
قال فنادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم
حقا قالوا نعم يقول من الخزي والهوان والعذاب قال أهل الجنة فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا
من النعيم والكرامة فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين واختلفت القراء في قراءة قوله قالوا
نعم فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة والبصرة قالوا نعم بفتح العين من نعم وروي عن بعض
الكوفيين أنه قرأ قالوا نعم بكسر العين وقد أنشد بيتا لبني كلب

نعم اذا قالها منه محققة * ولا تخيب عسى منه ولا قمن

بكسر نعم قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندنا نعم بفتح العين لانها القراءة المستفيضة في قراء
الامصار واللغة المشهورة في العرب وأما قوله فأذن مؤذن بينهم يقول فنادى مناد وأعلم معلم بينهم أن
لعنة الله على الظالمين يقول غضب الله وسخطه وعقوبته على من كفر به وقد بينا القول في أن اذا
صحبت من الكلام ما ضارع الحكاية وليس بصريح الحكاية بأنها تشددها العرب أحيانا وتوقع
الفعل عليها فتفتحها وتخففها أحيانا وتعمل الفعل فيها فتنصبها به وتبطل عملها عن الاسم الذي يليها
فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واذ كان ذلك كذلك فسواء شددت أن أو خففت
في القراءة اذ كان معنى الكلام بأي ذلك قرأ القارئ واحدا وكانتا قراءتين مشهورتين في قراءة
الامصار ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة
كافرون﴾ يقول جل ثناؤه ان المؤذن بين أهل الجنة والنار يقول ان لعنة الله على الظالمين الذين
كفروا بالله وصدوا عن سبيله ويبغونها عوجا يقول حاولوا سبيل الله وهو دينه أن يغيروه ويبدلوه

قالا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك
بيان فرط جهالتهم وعتوهم حيث
وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى
بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده
وفيه أن مدح الانسان نفسه اذا
كان في موضع الضرورة جائز ثم ذكر
ما هو المقصود من البعثة وهو أمران
الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير
النصيحة فقال أبلغكم الآية والجملة
استئناف بيان لكونه رسولا من رب
العالمين أو صفة لرسول وانما جاز أن
تكون صفة ولفظ الرسول غائب
نظرا الى المعنى كقوله

* أنا الذي سمتن أمي حيدره *

رسالات ربي ما أوحي الي في الاوقات
المتطاولة أو ما أوحي الي في المعاني
المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح
مقادير الثواب والعقاب في الآخرة
ومقادير الحدود والزواجر في الدنيا
ويجوز أن يريد رسالاته اليه والى
الانبياء قبله من صحف جده
ادريس وهي ثلاثون صحيفة
ومن صحف شيث وهي خمسون
صحيفة وأنصح لكم قال الفراء
العرب لا تكاد تقول نصحتك
وان كان جائزا ولكن تقول نصحت
لك قال في الكشاف وفي زيادة اللام
مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة
وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة
مع خلوص النية من شوائب المكر
ومعنى الآية وأبلغكم تكاليف الله
ثم أرشدكم الى الاصلح الاصوب
وأدعوكم الى ما دعاني الله تعالى
وأحب لكم ما أحب لنفسي وأعلم
من الله ما لا تعلمون أي أعلم أنكم
ان عصيتم أمره عاقبكم بالطوفان
وذلك أنهم لم يسمعوا بقوم حل بهم
العذاب قبلهم أو أعلم أن الله يعاقبكم
في الآخرة عقابا أو أعلم من توحيد الله من صفات جلاله ما لا تعلمون ويكون المقصود حمل القوم على أن يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم

عما جعله الله له من استقامته وهم بالآخرة كافرون يقول وهم لقيام الساعة والبعث في الآخرة والثواب والعقاب فيها جاحدون والعرب تقول للميل في الدين والطريق عوج بكسر العين وفي ميل الرجل على الشيء والعطف عليه عاج اليه يعوج عياجا وعوجا وعوجا بالكسر من العين والفتح كما قال الشاعر (١)

قفانبكي منازل آل ليلى * على عوج اليها وانثناء

ذكر الفراء أن أبا الجراح أنشده إياه بكسر العين من عوج فأما ما كان خلقة في الانسان فانه يقال فيه عوج ساقه بفتح العين ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وبينهما حجاب وبين الجنة والنار حجاب يقول حاجز وهو السور الذي ذكره الله تعالى فقال فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وهو الاعراف التي يقول الله فيها وعلى الاعراف رجال كذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج قال بلغني عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبينهما حجاب وهو السور وهو الاعراف وأما قوله وعلى الاعراف رجال فان الاعراف جمع واحدها عرف وكل مرتفع من الارض عند العرب فهو عرف وانما قيل لعرف الديك عرف لارتفاعه على ما سواه من جسده ومنه قول الشماخ بن ضرار

وظلت بأعراف تعالى كأنها * رماح نحاها وجهة الريح راكز

يعني بقوله بأعراف بنشوز من الارض ومنه قول الآخر

كل كناز لحمه نياف * كالعلم الموفي على الاعراف

وكان السدي يقول انما سمي الاعراف أعرافا لان أصحابه يعرفون الناس حدثني بذلك محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الله بن يزيد سمع ابن عباس يقول الاعراف هو الشيء المشرف حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبيد الله بن يزيد قال سمعت ابن عباس يقول مثله حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور كعرف الديك حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب قال أبو موسى وحدثني عبيد الله بن يزيد انه سمع ابن عباس يقول ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الاعراف حجاب بين الجنة والنار سور له باب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت عن عبد الله بن الحرث عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعني بالاعراف السور الذي ذكر الله في القرآن وهو بين الجنة والنار حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن مجاهد عن ابن عباس قال الاعراف سور له عرف كعرف الديك حدثنا

(١) في اللسان قفانسأل منازل آل ليلى * متى عوج اليها وانثناء ولاختلاف حركة الروي وإيهام الشاعر أسكنا كتبه مصححه

(أوعجبتم) الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به * وقال آخرون الذكر المعجز كتابا أو غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل أي على لسانه قاله ابن قتيبة ونظيره آتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخبر على وجهك ومع وجهك كلاهما جائز وقيل أي منزل على رجل ومعنى منكم من بني نوعكم كأنهم استبعدوا أن يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم أن المقصود من الارسال التكليف وأن التكليف لا منفعة فيه للمعبود لتعاليه ولا للعابد لتضرره في الحال وأما في المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وأيضا ان العقل كاف في معرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه فعل لانه تعالى لا يكلف ما لا يطاق وان لم يكن مضطرا اليه ترك حذرا عن الخطر وبتقدير أنه لابد من الرسول فان ارسال الملائكة أولى لشدة بطشهم ووفور عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وبتقدير جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا أن من كان فقيرا خاملا لا يصلح للنبوة فأنكر نوح عليه السلام كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية أن يأمر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز أن يخاطبهم بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز أن يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس أسكن وقد مر في أول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الآية وانه ترتيب أنيق لان المقصود من

ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الاعراف سور بين الجنة والنار حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول الاعراف السور الذى بين الجنة والنار * واختلف أهل التأويل فى صفة الرجال الذين أخبر الله جل ثناؤه عنهم أنهم على الاعراف وما السبب الذى من أجله صاروا هنالك فقال بعضهم هم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيآتهم فجعلوا هنالك الى أن يقضى الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته اياهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا يونس بن أبى اسحق قال قال الشعبى أرسل الىّ عبد الحميد بن عبد الرحمن وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان مولى قريش واذا هما قد ذكرا من أصحاب الاعراف ذكرا ليس كما ذكرا فقلت لهما ان شئتما أنبأتكما بما ذكر حذيفة فقالا هات فقلت ان حذيفة ذكر أصحاب الاعراف فقال هم قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة فاذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فبيناهم كذلك اطلع اليهم ربك تبارك وتعالى فقال اذهبوا وادخلوا الجنة فانى قد غفرت لكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن الشعبى عن حذيفة أنه سئل عن أصحاب الأعراف قال فقال هم قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار قال فوقفوا هنالك على السور حتى يقضى الله فيهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وعمران بن عيينة عن حصين عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم ذنوب وحسنات فقصرت بهم ذنوبهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار فهم كذلك حتى يقضى الله بين خلقه فينفذ فيهم أمره حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فيقول ادخلوا الجنة بفضلى ومغفرتى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن يونس بن أبى اسحق عن عامر عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيآتهم عن الجنة حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيآته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيآته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار ثم قرأ قول الله فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح قال فمن استوت حسناته وسيآته كان من أصحاب الأعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا أهل الجنة وأهل النار فاذا نظروا الى أهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا أبصارهم الى يسارهم نظروا أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فيتعوذون بالله من منازلهم قال فأما أصحاب الحسنات فانهم يعطون نورا فيمشون به بين أيديهم وبأيمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا وكل أمة نورا فاذا أتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما رأى أهل الجنة ما لقى المنافقون قالوا ربنا أتمم لنا نورنا وأما أصحاب الأعراف فان النور كان فى أيديهم فلم ينزع من أيديهم فهنالك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال فقال ابن مسعود على أن العبد اذا عمل حسنة كتب له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم يقول هلك من غلب وحدانه أعشاره حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال أخبرنى ابن وهب قال أخبرنى عيسى الخياط عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم كانت لهم أعمال أنجاهم الله بها من النار وهم آخر من

البعثة الانذار ومن الانذار التقوى ومن التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائى والكعبى فى الآية دلالة على أنه تعالى لم يرد من المبعوث اليهم الا التقوى والفوز بالجنة دون الكفر والعذاب وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا (فكذبوه) فى ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف وأصروا وقال بعض العلماء ما فى حق العقلاء من التكذيب فبغير الباء نحو كذبوا رسلى وكذبوه وما فى حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا بآياتنا والتحقيق أن المراد كذبوا رسلنا برد آياتنا (فأنجيناه والذين) استقروا (معه فى الفلك) وأنجيناهم فى السفينة من الطوفان قيل كانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل كانوا تسعة وهم بنو سام وحام ويافث وستة ممن آمن به وانما قال فى سورة يونس فنجيناه ومن معه فى الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من أدل على العموم ولهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين (انهم كانوا قوما عمين) قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال أهل اللغة يقال رجل عم فى البصيرة وأعمى فى البصر فالعمى يدل على عمى ثابت والعامى على عمى حادث * القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه (والى عاد أخاهم هودا) والتقدير لقد أرسلنا نوحا الى قومه وأرسلنا الى عاد أخاهم هودا واتفقوا على أن هودا ما كان أخاهم فى الدين ثم قال الزجاج معناه أنه كان من آدم ومن جنسهم لا من جنس الملائكة والجن وقيل أراد واحدا منهم قاله الكلبى وهو من قولك يا أخا العرب لواحد منهم وقيل خص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا أعرف بحاله فى صدقه وأمانته

يدخل الجنة قد عرفوا أهل الجنة وأهل النار حدثنا ابن بشار قال ثنا أبوداود قال ثنا همام عن قتادة قال قال ابن عباس أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيآتهم فلم تزد حسناتهم على سيآتهم ولا سيآتهم على حسناتهم حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبى ثابت عن عبدالله بن الحرث عن ابن عباس قال الأعراف سور بين الجنة والنار وأصحاب الأعراف بذلك المكان حتى اذا بدا الله أن يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فألقوا فيه حتى تصلح ألوانهم ويبدو فى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها حتى اذا صلحت ألوانهم أتى بهم الرحمن فقال تمنوا ماشئتم قال فيتمنون حتى اذا انقطعت أمنيتهم قال لهم لكم الذى تمنيتم ومثله سبعين مرة فيدخلون الجنة وفى نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبدالرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن مجاهد عن عبدالله بن الحرث قال أصحاب الاعراف يؤمر بهم الى نهر يقال له الحياة ترابه الورس والزعفران وحافتاه قصب اللؤلؤ قال وأحسبه قال مكلل باللؤلؤ وقال فيغتسلون فيه فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء فيقال لهم تمنوا فيقال لهم لكم ماتمنيتم وسبعون ضعفا وانهم مساكين أهل الجنة * قال حبيب وحدثنى رجل انهم استوت حسناتهم وسيئاتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن مجاهد عن عبدالله بن الحرث قال أصحاب الأعراف ينتهى بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب من ذهب قال سفيان أراه قال مكلل باللؤلؤ قال فيغتسلون منه اغتسالة فتبدو فى نحورهم شامة بيضاء ثم يعودن فيغتسلون فيزدادون فكلما اغتسلوا ازدادت بياضا فيقال لهم تمنوا ماشئتم فيتمنون ماشاؤا فيقال لهم لكم ماتمنيتم وسبعون ضعفا قال فهم مساكين أهل الجنة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن حصين عن الشعبى عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فهم على سور بين الجنة والنار لم يدخلوها وهم يطمعون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان ابن عباس يقول الأعراف بين الجنة والنار حبس عليه أقوام بأعمالهم وكان يقول قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فلم تزد حسناتهم على سيئاتهم ولا سيئاتهم على حسناتهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبدالرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال قال ابن عباس أهل الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال ثنا يحيى بن يمان عن شريك عن منصور عن سعيد بن جبير قال أصحاب الاعراف استوت أعمالهم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فوقفوا هنالك على السور حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبى ثابت عن سفيع أو سميع « قال أبو جعفر كذا وجدت فى كتاب سفيع » عن أبى علقمة قال أصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم * وقال آخرون كانوا قتلوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن أبى مسعر عن شرحبيل بن سعد قال هم قوم خرجوا فى الغزو بغير اذن آبائهم حدثنى المثنى قال ثنا عبدالله بن صالح قال ثنى الليث قال ثنى خالد عن سعيد عن يحيى بن شبل أن رجلا من بنى النضير أخبره عن رجل من بنى هلال أن أباه أخبره أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم قوم غزوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم

فقتلوا

وقيل معناه صاحبهم والعرب تسمى صاحب القوم أخاهم قال صلى الله عليه وسلم ان أخا كم أذن وانما يقيم من أذن يريد صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لأخاهم وأما عاد فهم كانوا باليمن بالأحقاف قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذى بين عمان الى حضرموت واعلم أن ألفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة فى قصة نوح وبعضها يخالفها فلنبين أسرارها فمنها قوله هنالك فقال ياقوم اعبدوا الله وههنا قال ياقوم والفرق أن نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوتهم وما كان يؤخر الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة وأما هود فما كان جده الى هذا الحد فلاجرم جاء بالتعقيب فى قصة نوح دون قصة هود ويمكن أن يقال لما أضمر أرسلنا أضمر الفاء لان الداعى الى الفاء أرسلنا وفى الكشاف أن هذا وارد على سبيل الاستئناف ومنها قوله مالكم من اله غيره انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم وفى قصة هود مالكم من اله غيره أفلا تتقون لأن واقعة هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك أى لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذى اشتهر خبره فى الدنيا ومنها قال الملأ من قومه وفى قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اما أن هذا وصف وارد للذم لا غير واما أنه لم يكن فى أشراف قوم نوح من يؤمن وكان فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فأريد التفرقة بالوصف ومنها أن قوم نوح قالوا انا لنراك فى ضلال مبين وقوم هود قالوا انا لنراك فى سفاهة أى متمكنا منها تمكن المظروف من الظرف وذلك أن نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد السفينة

فقتلوا فأعتقهم الله من النار بقتلهم في سبيله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم فهم آخر من يدخل الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يزيد بن هرون عن أبي معشر عن يحيى بن شبل مولى بني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة * وقال آخرون بل هم قوم صالحون فقهاء علماء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن مجاهد قال أصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء * وقال آخرون بل هم ملائكة وليسوا بني آدم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي مجلز قوله وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال هم رجال من الملائكة يعرفون أهل الجنة وأهل النار قال ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم الى قوله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين قال فنادى أصحاب الاعراف رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت عمران قال قلت لابي مجلز يقول الله وعلى الاعراف رجال وتزعم أنت أنهم الملائكة قال فقال انهم ذكور وليسوا باناث حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمي عن أبي مجلز وعلى الاعراف رجال قال رجال من الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم أهل النار وأهل الجنة وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبي عدي عن التيمي عن أبي مجلز بنحوه * وقال ثنا يحيى بن يمان عن سفيان عن التيمي عن أبي مجلز قال أصحاب الاعراف الملائكة حدثني المثنى قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد قال أخبرنا التيمي عن أبي مجلز وعلى الأعراف رجال قال هم الملائكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن عمران بن حدير عن أبي مجلز وعلى الاعراف رجال قال هم الملائكة قلت يا أبا مجلز يقول الله تبارك وتعالى رجال وأنت تقول ملائكة قال انهم ذكران ليسوا باناث حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عمران بن حدير عن أبي مجلز في قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال الملائكة قال قلت يقول الله رجال قال الملائكة ذكور * قال أبو جعفر والصواب من القول في أصحاب الاعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم هم رجال يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده ولا انه متفق على تأويلها ولا اجماع من الامة على انهم ملائكة فاذ كان ذلك كذلك وكان ذلك لا يدرك قياسا وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون اناثهم ودون سائر الخلق غيرهم كان بينا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره هذا مع من قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الاخبار وان كان في أسانيدها ما فيها وقد حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الاعراف فقال هم آخر من يفصل بينهم من العباد واذا فرغ رب العالمين من فصله بين العباد قال أنتم قوم أخرجتكم حسناتكم من النار ولم تدخلكم الجنة وأنتم عتقائي فارعوا من الجنة حيث شئتم ۞ القول في تأويل قوله (يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون) يقول

مدة طويلة فوصفوه بضعف الرأي والبعد عن السداد وأما هود فاذ كر شيأ الا أنه زيف معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوه بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة قيل الظن بمعنى الجزم واليقين كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه أن الشك والتجويز في أصول الدين يوجب الكفر ومنها قول نوح وأنصح لكم وقال هود وأنا لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل دلت على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى آخر الآيات وأما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال وأعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من أسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم أمسك هود لسانه واقتصر على وصف نفسه بكونه أمينا ثقة أي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي أن آتي بالكذب والغش أو المراد تقرير الرسالة فانها تدور على الأمانة أي أنا لكم ناصح فيما أدعوكم اليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك الشخصين مع جلالة قدرهما دليل على أن الحكيم يجب أن لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها أن هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح أن فائدة الانذار هي حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك شيأ آخر يختص بهم فقال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء

تعالى ذكره وعلى الاعراف رجال يعرفون أهل الجنة بسيماهم وذلك بياض وجوههم ونضرة النعيم عليها ويعرفون أهل النار كذلك بسيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقة أعينهم فاذا رأوا أهل الجنة نادوهم سلام عليكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال يعرفون أهل النار بسواد الوجوه وأهل الجنة ببياض الوجوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أنزلهم الله بتلك المنزلة ليعرفوا من فى الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجوه ويتعوذوا بالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين وهم فى ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها وهم داخلوها ان شاء الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم الكفار بسواد الوجوه وزرقة العيون وسيما أهل الجنة مبيضة وجوههم حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف اذا رأوا أصحاب الجنة عرفوهم ببياض الوجوه واذا رأوا أصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله فأقيموا ذلك المقام اذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين واذا نظروا الى أهل الجنة عرفوهم ببياض الوجوه فذلك قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمين قال سمعت الضحاك فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم زعموا أن أصحاب الاعراف رجال من أهل الذنوب أصابوا ذنوبا وكان حسم أمرهم لله فجعلهم الله على الاعراف فاذا نظروا الى أهل النار عرفوهم بسواد الوجوه فتعوذوا بالله من النار واذا نظروا الى أهل الجنة نادوهم أن سلام عليكم قال الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال وهذا قول ابن عباس حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يعرفون كلا بسيماهم يعرفون الناس بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يعرفون كلا بسيماهم يعرفون أهل النار بسواد وجوههم وأهل الجنة ببياض وجوههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم قال أهل الجنة بسيماهم بيض الوجوه وأهل النار بسيماهم سود الوجوه قال وقوله يعرفون كلا بسيماهم قال أصحاب الجنة وأصحاب النار ونادوا أصحاب الجنة قال حين رأوا وجوههم قد ابيضت حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك يعرفون كلا بسيماهم قال بسواد الوجوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن بسيماهم قال بسواد الوجوه وزرقة العيون * والسيماء العلامة الدالة على الشئ فى كلام العرب وأصله من السمة نقلت واوها التى هى فاء الفعل الى موضع العين كما يقال اضمحل وامضحل وذكر سماعا عن بعض بنى عقيل هى أرض خامة يعنى وخمة ومنه قولهم له جاه عند الناس بمعنى وجه نقلت واوه الى موضع عين الفعل وفيها

من بعد قوم نوح) أى خلفتموهم فى الارض أو جعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف أى اذكر وقت جعلكم خلفاء (وزادكم فى الخلق بسطة) فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشئ الذى له مقدار وجسمية والمراد حصول الزيادة فى أجسامهم زيادة خارقة للعادة والا لم تذكر فى معرض الامتنان قال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا وقال آخرون تلك الزيادة هى مقدار ما تبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على أهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة فى القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين فى القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وفيما سواهما من عطاياه وآلاء الله نعمه واحدها الى ونحوه انى وآناء كعنب وأعناب قال الجوهرى واحدها ألى بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون فى وجوب الأعمال الظاهرة بالآية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر وأجيب بأن الآيات الدالة على وجوب العمل مخصصة أو مقيدة والتقدير فاذكروا آلاء الله واعملوا عملا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نعم الله عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا أن العبادة نهاية التعظيم ولا تليق الا بمن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شئ من النعم لانها جماد والجماد لا قدرة له أصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة

لغات ثلاث سيما مقصورة وسيماء ممدودة وسيمياء بزيادة ياء أخرى بعد الميم فيها ومدها على مثال الكبرياء كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن اذ رمى * له سيمياء لا تشق على البصر

وأما قوله ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون أى حلت عليكم أمنة الله من عقابه وأليم عذابه واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله لم يدخلوها وهم يطمعون فقال بعضهم هذا خبر من الله عن أهل الاعراف أنهم قالوا لأهل الجنة ما قالوا قبل دخول أصحاب الاعراف غير أنهم قالوه وهم يطمعون فى دخولها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أهل الاعراف يعرفون الناس فاذا مروا عليهم بزمرة يذهب بها الى الجنة قالوا سلام عليكم يقول الله لاهل الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون أن يدخلوها حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن لم يدخلوها وهم يطمعون قال والله ما جعل ذلك الطمع فى قلوبهم الا لكرامة يريدها بهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لم يدخلوها وهم يطمعون قال أنبأكم الله بمكانهم من الطمع حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى بكر الهذلى قال قال سعيد بن جبير وهو يحدث ذلك عن ابن مسعود قال أما أصحاب الاعراف فان النور كان فى أيديهم فانتزع من أيديهم يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون قال فى دخولها قال ابن عباس فأدخل الله أصحاب الاعراف الجنة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عكرمة وعطاء لم يدخلوها وهم يطمعون قالا فى دخولها * وقال آخرون انما عنى بذلك أهل الجنة وان أصحاب الاعراف يقولون لهم قبل أن يدخلوا الجنة سلام عليكم وأهل الجنة يطمعون أن يدخلوها ولم يدخلوها بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمى عن أبى مجلز ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون قال الملائكة يعرفون الفريقين جميعا بسيماهم وهذا قبل أن يدخل أهل الجنة الجنة أصحاب الاعراف ينادون أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون فى دخولها ۞ القول فى تأويل قوله (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) يقول تعالى ذكره واذا صرفت أبصار أصحاب الاعراف تلقاء أصحاب النار يعنى حيالهم ووجاههم فنظروا الى تشويه الله لهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها من سخطك ما أورثهم من عذابك ما هم فيه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال واذا مروا بهم يعنى بأصحاب الاعراف بزمرة يذهب بها الى النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال ان أصحاب الاعراف اذا نظروا الى أهل النار وعرفوهم قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى مكين عن أخيه عن عكرمة واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قال تحرد وجوههم للنار فاذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار فرأوا وجوههم مسودة وأعينهم مزرقة قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ۞ القول فى تأويل قوله (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون) يقول جل ثناؤه

الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم (أجئتنا لنعبد الله وحده) الهمزة للانكار اختصاص الله وحده بالعبادة وفى المجىء أوجه منها أن يكون لهود معتزل يتحنث فيه أى يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكأنهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجىء الملك ومنها أن يراد به القصد كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا أتعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده أى منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التى وقعت حالا بتأويل ولا يمكن أن يكون وحده ههنا اعترافا كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الفرض أنهم مشركون ثم ان قول هود فيما قبل أفلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم (فأتنا بما تعدنا) فأجابهم هود بقوله (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) ولا بد أن يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف أما الغضب فى حقه تعالى فارادة ايقاع السوء كما سبق مرارا وأما الرجس فقيل العذاب واعترض عليه بلزوم التكرار وقيل العقائد المذمومة والصفات القبيحة وذلك أن الرجس ضد التطهير كما قال سبحانه فى صفة أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد فى الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير أخص أما قوله قد وقع ولم يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض

من يقول بأن ارادة الله تعالى حادثة معناه أنه تعالى أحدث ارادة في ذلك الوقت وقيل أراد هود أنه أخبر بنزول العذاب

ونادى أصحاب الاعراف رجالا من أهل الارض يعرفونهم بسيماهم سيما أهل النار قالوا ما أغنى عنكم جمعكم ما كنتم تجمعون من الاموال والعدد في الدنيا وما كنتم تستكبرون يقول وتكبركم الذي كنتم تتكبرون فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فر بهم يعني بأصحاب الاعراف ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم قال يقول قال أصحاب الاعراف ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ونادى أصحاب الاعراف رجالا قال في النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وتكبركم وما كنتم تستكبرون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن سليمن التيمي عن أبي مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة الآية قلت لابي مجلز عن ابن عباس قال لا بل عن غيره حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمي عن أبي مجلز ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال نادت الملائكة رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال هذا حين دخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قال رجال عظماء من أهل الدنيا قال فبهذه الصفة عرف أهل الاعراف أهل الجنة من أهل النار وانما ذكر هذا حين يذهب رئيس أهل الخير ورئيس أهل الشر يوم القيامة قال وقال ابن زيد في قوله ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون قال على أهل طاعة الله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾ اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الكلام فقال بعضهم هذا قيل الله لاهل النار توبيخا لهم على ما كان من قيلهم في الدنيا لاهل الاعراف عند ادخاله أصحاب الاعراف الجنة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال أصحاب الاعراف رجال كانت لهم ذنوب عظام وكان حسم أمرهم لله يقومون على الاعراف فاذا نظروا الى أهل الجنة طمعوا أن يدخلوها واذا نظروا الى أهل النار تعوذوا بالله منها فأدخلوا الجنة فذلك قوله تعالى أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن جويبر عن الضحاك قال قال ابن عباس ان الله أدخل أصحاب الاعراف الجنة لقوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال الله لاهل التكبر والاموال أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني أصحاب الاعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أهؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون قال فقال حذيفة أصحاب الاعراف قوم تكافأت أعمالهم فقصرت بهم حسناتهم عن الجنة وقصرت بهم سيآتهم عن النار فجعلوا على الاعراف يعرفون الناس بسيماهم فلما قضى بين العباد أذن لهم في طلب الشفاعة فأتوا آدم عليه السلام فقالوا يا آدم أنت أبونا فاشفع لنا عند ربك فقال هل تعلمون أحدا خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسبقت

وقيل جعل المتوقع الذي لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد أنها ستكون البتة وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء أباه يبكي فقال له يا بني مالك فقال لسعني طوير كأنه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر ثم أنكر عليهم قبيح فعالهم فقال (أتجادلونني في أسماء) تناظرونني في شأن آلهة أشياء ما هي الا أسماء (سميتموها) أحدثتموها (أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) أي لا حجة على حقيقتها فتنزل والحاصل انها أسماء بلا مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما أعطاه الله تعالى عزا أصلا وسموا آخر منها باللات من الالهية وماله من الالهية أثر وانما قال في هذه السورة نزل وفي غيرها مما سيجيء أنزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة ويجرى ما بعده مجرى التفصيل للجملة أو أنواع للجنس والله أعلم ثم انه ذكر هم وعيدا محدودا فقال (فانتظروا) سوء عاقبة هذه الاصنام (اني معكم من المنتظرين) عاقبة السوء أو عاقبة الحسنى وذلك قوله (فأنجيناه والذين معه برحمة) بسبب رحمة كانوا يستحقونها (منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أي استأصلناهم ودمرناهم عن آخرهم وقد مر مثله في الانعام وفائدة نفي الايمان عنهم في قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات ربهم أن يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد وغيره كأنه قيل ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا

رحمة الله اليه غضبه وسجدت له الملائكة غيرى فيقولون لا قال فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى ابراهيم قال فيأتون ابراهيم عليه السلام فيسألونه أن يشفع لهم عند ربه فيقول هل تعلمون من أحد اتخذه الله خليلا هل تعلمون أحدا أحرقه قومه فى النار فى الله غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا ابنى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقول هل تعلمون من أحد كلمه الله تكليما وقربه نجيا غيرى فيقولون لا فيقول ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا عيسى فيأتونه فيقولون اشفع لنا عند ربك فيقول هل تعلمون أحدا خلقه الله من غير أب غيرى فيقولون لا فيقول هل تعلمون من أحد كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله غيرى قال فيقولون لا قال فيقول أنا حجيج نفسى ما علمت كنه ما أستطيع أن أشفع لكم ولكن ائتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتونى فأضرب بيدى على صدرى ثم أقول أنا لها ثم أمشى حتى أقف بين يدى العرش فأثنى على ربى فيفتح لى من الثناء ما لم يسمع السامعون بمثله قط ثم أسجد فيقال لى يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول رب أمتى فيقال هم لك فلا يبقى نبى مرسل ولا ملك مقرب الا غبطنى يومئذ بذلك المقام وهو المقام المحمود قال فآتى بهم باب الجنة فأستفتح فيفتح لى ولهم فيذهب بهم الى نهر يقال له نهر الحياة حافتاه قضب من ذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك وحصباؤه الياقوت فيغتسلون منه فتعود اليهم ألوان أهل الجنة وريحهم ويصيرون كأنهم الكواكب الدرية ويبقى فى صدورهم شامات بيض يعرفون بها يقال لهم مساكين أهل الجنة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك قال ان الله أدخلهم بعد أصحاب الجنة وهو قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون يعنى أصحاب الاعراف وهذا قول ابن عباس فتأويل الكلام على هذا التأويل الذى ذكرنا عن ابن عباس ومن ذكرنا قوله فيه قال الله لأهل التكبر عن الاقرار بوحدانية الله والاذعان لطاعته وطاعة رسله الجامعين فى الدنيا الأموال مكاثرة ورياء أيها الجبابرة الذين كانوا فى الدنيا أهؤلاء الضعفاء الذين كنتم فى الدنيا أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال قد غفرت لهم ورحمتهم بفضلى ورحمتى أدخلوا يا أصحاب الاعراف الجنة لا خوف عليكم بعدها من عقوبة تعاقبون بها على ما سلف منكم فى الدنيا من الآثام والاجرام ولا أنتم تحزنون على شئ فاتكم فى دنياكم * وقال أبو مجلز بل هذا القول خبر من الله عن قيل الملائكة لاهل النار بعد ما دخلوا النار تعييرا منهم لهم على ما كانوا يقولون فى الدنيا للمؤمنين الذين أدخلهم الله يوم القيامة جنته وأما قوله ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون فخبر من الله عن أمره أهل الجنة بدخولها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن التيمى عن أبى مجلز قال نادت الملائكة رجالا فى النار يعرفونهم بسيماهم ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة قال فهذا حين يدخل أهل الجنة الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن استغاثة أهل النار بأهل الجنة عند نزول عظيم البلاء بهم من شدة العطش والجوع عقوبة من الله لهم على ما سلف منهم فى الدنيا من ترك طاعة الله وأداء ما كان فرض عليهم فيها فى أموالهم من حقوق المساكين من الزكاة والصدقة يقول تعالى ذكره ونادى أصحاب النار بعد ما دخلوها أصحاب الجنة بعد ما سكنوها أن يا أهل الجنة أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله أى أطعمونا مما رزقكم الله من الطعام

مثل من آمن منهم أو معنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى أى لم يكونوا من المكذبين الذين لو بقوا لآمنوا قال فى الكشاف وان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله هودا نبيا وكان من أوسطهم وأشرفهم وأفضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وان الناس كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من أماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية احداهما وردة والاخرى جرادة ولما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله أهمه ذلك وقال قد هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى أن يكلمهم خيفة أن يظنوا أنه ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل قولا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
ويسقى أرض عاد إن عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما

الهينمة اخفاء الكلام فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام أى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم

وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم وأظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا ۞ (التأويل) لقد أرسلنا نوح الروح الى قومه ببلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبوا يعني النفس وصفاتها نوح الروح فأنجيناه والذين معه في الفلك الشريعة وأغرقنا النفس وصفاتها في البحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه وزادكم في الخلق بسطة كما أوقع التفاوت بين شخص وشخص فيما يعود الى المباني أوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعاني قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أي مقالتكم تدل على حالتكم انه أصابكم سطوات العذاب فمن أمارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتغريقه اياه في بحار الظنون والاوهام والجدال ﴿والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم﴾

كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال من الطعام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال يستطعمونهم ويستسقونهم فأجابهم أهل الجنة ان الله حرم الماء والطعام على الذين جحدوا توحيده وكذبوا في الدنيا رسله والهاء والميم في قوله ان الله حرمهما عائدتان على الماء وعلى ما التي في قوله أو مما رزقكم الله * وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن عثمان الثقفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه أو أباه فيقول قد احترقت أفض علي من الماء فيقال لهم أجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين وحدثني المثنى قال ثنا ابن دكين قال ثنا سفيان عن عثمان عن سعيد بن جبير ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قال ينادي الرجل أخاه يا أخي قد احترقت فأغثني فيقول ان الله حرمهما على الكافرين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين قال طعام أهل الجنة وشرابها ۞ القول في تأويل قوله ﴿الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ وهذا خبر من الله عن قيل أهل الجنة للكافرين يقول تعالى ذكره فأجاب أهل الجنة أهل النار ان الله حرمهما على الكافرين الذين كفروا بالله ورسله الذين اتخذوا دينهم الذي أمرهم الله به لهوا ولعبا يقول سخرية ولعبا وروي عن ابن عباس في ذلك ما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا الآية قال وذلك أنهم كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزؤا به اغترارا بالله وغرتهم الحياة الدنيا يقول وخدعهم عاجل ما هم فيه من العيش والخفض والدعة عن الاخذ بنصيبهم من الآخرة حتى أتتهم المنية يقول الله جل ثناؤه فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أي ففي هذا اليوم وذلك يوم القيامة ننساهم يقول نتركهم في العذاب المبين جياعا عطاشا بغير طعام ولا شراب كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا ورفضوا الاستعداد له باتعاب أبدانهم في طاعة الله وقد بينا معنى قوله ننساهم بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نسوا في العذاب حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فاليوم ننساهم قال نتركهم كما تركوا لقاء يومهم هذا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ننساهم قال نتركهم في النار حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نتركهم من الرحمة كما تركوا أن يعملوا للقاء يومهم هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا الآية يقول نسيهم الله من الخير ولم ينسهم من الشر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا في قوله فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا قال نؤخرهم في النار وأما قوله وما كانوا بآياتنا يجحدون فان معناه اليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وكما كانوا بآياتنا يجحدون فما التي في قوله وما كانوا معطوفة على ما التي في قوله كما نسوا

وتأويل الكلام فاليوم نتركهم في العذاب كما تركوا العمل في الدنيا للقاء الله يوم القيامة وكما كانوا بآيات الله يجحدون وهى حججه التى احتج بها عليهم من الانبياء والرسل والكتب وغير ذلك يجحدون يكذبون ولا يصدقون بشئ من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أقسم يا محمد لقد جئنا هؤلاء الكفرة بكتاب يعنى القرآن الذى أنزله اليه يقول لقد أنزلنا اليهم هذا القرآن مفصلا مبينا فيه الحق من الباطل على علم يقول على علم منا بحق ما فصل فيه من الباطل الذى ميز فيه بينه وبين الحق هدى ورحمة يقول بيناه ليهتدى ويرحم به قوم يصدقون به وبما فيه من أمر الله ونهيه وأخباره ووعده ووعيده فينقذهم به من الضلالة الى الهدى وهذه الآية مردودة على قوله كتاب أنزلناه اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم والهدى فى موضع نصب على القطع من الهاء التى فى قوله فصلناه ولو نصب على فعل فصلناه فيكون المعنى فصلنا الكتاب كذلك كان صحيحا ولو كان قرئ هدى ورحمة كان فى الاعراب فصيحا وكان خفض ذلك بالرد على الكتاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ يقول تعالى ذكره هل ينظرون الا تأويله هل ينتظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه الا تأويله يقول الا ما يؤول اليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله وصليهم جحيمه وأشباه هذا مما أوعدهم الله به وقد بينا معنى التأويل فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل ينظرون الا تأويله أى ثوابه يوم يأتى تأويله أى ثوابه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور قال ثنا معمر عن قتادة هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله قال تأويله عاقبته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد هل ينظرون الا تأويله قال جزاءه يوم يأتى تأويله قال جزاؤه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أبى زائدة عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هل ينظرون الا تأويله أما تأويله فعواقبه مثل وقعة بدر والقيامة وما وعد فيه من موعد حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس فى قوله هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فلا يزال يقع من تأويله أمر بعد أمر حتى يتم تأويله يوم القيامة ففى ذلك أنزل هل ينظرون الا تأويله حيث أثاب الله تبارك وتعالى أولياءه وأعداءه ثواب أعمالهم يقول يومئذ الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله قال يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم يأتى تأويله قال يوم يأتى تحقيقه وقرأ قول الله تعالى هذا تأويل رؤياى من قبل قال هذا تحقيقها وقرأ قول الله وما يعلم تأويله الا الله قال ما يعلم حقيقته ومتى يأتى الا الله تعالى وأما قوله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل فان معناه يوم يجىء ما يؤول اليه أمرهم من عقاب الله يقول الذين نسوه من قبل أى يقول الذين ضيعوا وتركوا ما أمروا به من العمل المنجيهم مما آل اليه أمرهم يومئذ من العذاب من قبل ذلك فى الدنيا لقد جاءت رسل ربنا بالحق أقسم المساكين حين عاينوا البلاء وحل بهم العقاب أن رسل الله التى أتتهم بالنذارة وبلغتهم عن الله الرسالة قد كانت نصحت لهم وصدقتهم عن الله وذلك حين لا ينفعهم التصديق

هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) ۞ القراآت وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام أبو جعفر ونافع وحفص وسهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص وهشام يدخل بينهما مدة

ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق أما الذين نسوه فتركوه فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم استيقنوا فقالوا قد جاءت رسل ربنا بالحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يقول الذين نسوه قال أعرضوا عنه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم يقولون عند حلول سخط الله بهم وورودهم أليم عذابه ومعاينتهم تأويل ما كانت رسل الله تعدهم هل لنا من أصدقاء وأولياء اليوم فيشفعوا لنا عند ربنا فتنجينا شفاعتهم عنده مما قد حل بنا من سوء فعالنا فى الدنيا أو نرد الى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضيه ويعتبه من أنفسنا قال هذا القول المساكين هنالك لأنهم كانوا عهدوا فى الدنيا أنفسهم لها شفعاء تشفع لهم فى حاجاتهم فيذكروا ذلك فى وقت لا خلة فيه لهم ولا شفاعة يقول الله جل ثناؤه قد خسروا أنفسهم يقول غبنوا أنفسهم حظوظها ببيعهم ما لا خطر له من نعيم الآخرة الدائم بالخسيس من عرض الدنيا الزائل وضل عنهم ما كانوا يفترون يقول وأسلمهم لعذاب الله وحاد عنهم أولياؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ويزعمون كذبا وافتراء أنهم أربابهم من دون الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله قد خسروا أنفسهم يقول شروها بخسران وانما رفع قوله أو نرد ولم ينصب عطفا على قوله فيشفعوا لنا لان المعنى هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو هل نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل ولم يرد به العطف على قوله فيشفعوا لنا ۞ القول فى تأويل قوله (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) يقول تعالى ذكره ان سيدكم ومصلح أموركم أيها الناس هو المعبود الذى له العبادة من كل شئ الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس والجمعة كما حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن مجاهد قال بدء الخلق العرش والماء والهواء وخلقت الارض من الماء وكان بدء الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وجمع الخلق فى يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة الايام كألف سنة مما تعدون ثم استوى على العرش وقد ذكرنا معنى الاستواء واختلاف الناس فيه فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وأما قوله يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا فانه يقول يورد الليل على النهار فيلبسه اياه حتى يذهب نضرته ونوره يطلبه يقول يطلب الليل النهار حثيثا يعنى سريعا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس يطلبه حثيثا يقول سريعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا قال يغشى الليل النهار فيذهب بضوئه ويطلبه سريعا حتى يدركه ۞ القول فى تأويل قوله (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم كل ذلك بأمره أمرهن الله فأطعن أمره ألا لله الخلق كله والامر الذى لا يخالف ولا يرد أمره دون ما سواه من الاشياء كلها ودون ما عبده المشركون من الآلهة والاوثان

آتنكم بالمد وبالياء أبو عمرو ويزيد أينكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير زيد ۞ الوقوف صالحا ج لئلا يظن أن صالحا صفة لا علم والجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب وغيره من الاعلام العربية غيره ط من ربكم ط أليم ه بيوتا ط لما مر فى قصة هود مفسدين ه من ربه ج مؤمنون ه كافرون ه المرسلين ه جاثمين ه ناصحين ه من العالمين ه من دون النساء ط لمكان الاضراب مسرفون ه من قريتكم ج لاحتمال التعليل استهزاء الا امرأته ز لاحتمال الاستئناف والأشبه أنها حال المرأة من الغابرين ه مطرا ط المجرمين ه ۞ التفسير القصة الرابعة قصة صالح مع قومه ثمود قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى وانه لا ينصرف تارة بتأويل القبيلة وينصرف أخرى بتأويل الحى أو باعتبار الأصل لانه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود أخو جديس وطسم وقد ورد القرآن بالصرف وعنعه جميعا قال تعالى ألا ان ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة دالة على صدقى وكأنه قيل ما تلك البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وانتصابها على الحال والعامل فيها

التى لاتضر ولاتنفع ولاتخلق ولاتأمر تبارك الله معبودنا الذى له عبادة كل شئ رب العالمين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا هشام أبو عبد الرحمن قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى عبد الغفار ابن عبد العزيز الانصارى عن عبد العزيز الشامى عن أبيه وكانت له صحبة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يحمد الله على ما عمل من عمل صالح وحمد نفسه قل شكره وحبط عمله ومن زعم أن الله جعل للعباد من الامر شيأ فقد كفر بما أنزل الله على أنبيائه لقوله ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين﴾ يقول تعالى ذكره ادعوا أيها الناس ربكم وحده فأخلصوا له الدعاء دون ما تدعون من دونه من الآلهة والاصنام تضرعا يقول تذللا واستكانة لطاعته وخفية يقول بخشوع قلوبكم وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه لا جهارا مراآة وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته فعل أهل النفاق والخداع لله ولرسوله كما حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك ابن فضالة عن الحسن قال ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس وان كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة فى بيته وعنده الزور وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبدا ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وذلك أن الله ذكر عبدا صالحا فرضى فعله فقال اذ نادى ربه نداء خفيا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم الاحول عن أبى عثمان النهدى عن أبى موسى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم فى غزاة فأشرفوا على واد يكبرون ويهللون ويرفعون أصواتهم فقال أيها الناس اربعوا على أنفسكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا معكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال السر وأما قوله انه لا يحب المعتدين فان معناه ان ربكم لا يحب من اعتدى فتجاوز حده الذى حده لعباده فى دعائه ومسألته ربه ورفعه صوته فوق الحد الذى حد لهم فى دعائهم اياه ومسألتهم وفى غير ذلك من الامور كما حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا معتمر بن سليمن قال أنبأنا اسمعيل بن حماد بن أبى سليمن عن عباد بن عباد عن علقمة عن أبى مجلز ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين قال لا يسأل منازل الانبياء عليهم السلام حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس انه لا يحب المعتدين فى الدعاء ولا فى غيره قال ابن جريج ان من الدعاء اعتداء يكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء ويؤمر بالتضرع والاستكانة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها لا تشركوا بالله فى الارض ولا تعصوه فيها وذلك هو الفساد فيها وقد ذكرنا الرواية فى ذلك فيما مضى وبينا معناه بشواهده بعد اصلاحها يقول بعد اصلاح الله اياها لاهل طاعته بابتعاثه فيهم الرسل دعاة الى الحق وايضاحه حججه لهم وادعوه خوفا وطمعا يقول وأخلصوا له الدعاء والعمل ولا تشركوا فى عملكم له شيأ غيره من الآلهة والاصنام وغير ذلك وليكن ما يكون منكم فى ذلك خوفا من عقابه وطمعا فى ثوابه وان من كان دعاؤه اياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين لان من لم يخف عقاب الله ولم يرج ثوابه لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه ان رحمة الله قريب من المحسنين يقول تعالى ذكره ان ثواب الله الذى وعد المحسنين على احسانهم فى الدنيا قريب منهم وذلك هو رحمته لانه ليس

ما فى اسم الاشارة أو حرف التنبيه من معنى الفعل أى أشير اليها أو أنبه عليها آية ولكم بيان لمن هى له آية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص أولئك الاقوام بها مع أنها آية لكل أحد أنهم عاينوها وغيرهم أخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة أو لعله يثبت سائر المعجزات الا أن القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فأظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما أضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشأنها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وبيت الله وبالحقيقة هى آية تشتمل على آيات نفس خروجها من الجبل آية وكونها الا من ذكر وأنثى آية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل آية وان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم آية وكذا الكلام فى قوتها المناسب للماء وفى غزارة لبنها وأنكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى أن جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود فى يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم (فذروها تأكل فى أرض الله) أى الناقة ناقة الله والارض أرض الله فدعوها تأكل فى أرض ربها ومما أنبت منها (ولا تمسوها بسوء) من الضرب والطرد وسائر أنواع الاذى اكراما لآية الله (فيأخذكم

بينهم وبين أن يصيروا الى ذلك من رحمته وما أعد لهم من كرامته الا أن تفارق أرواحهم أجسادهم ولذلك من المعنى ذكر قوله قريب وهو من خبر الرحمة والرحمة مؤنثة لانه أريد به القرب في الوقت لا في النسب والاوقات بذلك المعنى اذا رفعت أخبارا للاسماء أجرتها العرب مجرى الحال فوحدتها مع الواحد والاثنين والجمع وذكرتها مع المؤنث فقالوا كرامة الله بعيد من فلان وهي قريب من فلان كما يقولون هند قريب منا والهندان منا قريب والهندات منا قريب لأن معنى ذلك هي في مكان قريب منا فاذا حذفوا المكان وجعلوا القريب خلفا منه ذكروه ووحدوه في الجمع كما كان المكان مذكرا وموحدا في الجمع وأما اذا أنثوه أخرجوه مثنى مع الاثنين ومجموعا مع الجمع فقالوا هي قريبة منا وهما منا قريبتان كما قال عروة بن الورد

عشية لا عفراء منك قريبة * فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فأنث قريبة وذكر بعيدا على ما وصفت ولو كان القريب من القرابة في النسب لم يكن مع المؤنث الا مؤنثا ومع الجمع الا مجموعا وكان بعض نحويي البصرة يقول ذكر قريب وهو صفة للرحمة وذلك كقول العرب ريح خريق وملحفة جديد وشاة سديس قال وان شئت قلت تفسير الرحمة ههنا المطر ونحوه فلذلك ذكر كما قال وان كان طائفة منكم آمنوا فذكر لانه أراد الناس وان شئت جعلته كبعض ما يذكرون من المؤنث كقول الشاعر * ولا أرض أبقل ابقالها * وقد أنكر ذلك من قيله بعض أهل العربية ورأى أنه يلزمه ان جاز أن يذكر قريبا توجيها منه الرحمة الى معنى المطر أن يقول هند قام توجيها منه لهند وهي امرأة الى معنى انسان ورأى أن ما شبه به قوله ان رحمة الله قريب من المحسنين بقوله وان كان طائفة منكم آمنوا غير مشبهه وذلك أن الطائفة فيما زعم مصدر بمعنى الطيف كما الصيحة والصياح بمعنى ولذلك قيل وأخذ الذين ظلموا الصيحة

❁ القول في تأويل قوله (وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون) يقول تعالى ذكره ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره هو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته والنشر بفتح النون وسكون الشين في كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشئ السحاب وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهي نشر ومنه قول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر القطر

وبهذه القراءة قرأ ذلك عامة قراء الكوفيين خلا عاصم بن أبي النجود فانه كان يقرؤه بشرا على اختلاف عنه فيه فروى ذلك بعضهم عنه بشرا بالباء وضمها وسكون الشين وبعضهم بالباء وضمها وضم الشين وكان يتأول في قراءته ذلك كذلك قوله ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات تبشر بالمطر وانه جمع بشير بشرا كما يجمع النذير نذرا وأما قراء المدينة وعامة المكيين والبصريين فانهم قرؤا ذلك وهو الذي يرسل الرياح نشرا بضم النون والشين بمعنى جمع نشور جمع نشرا كما يجمع الصبور صبرا والشكور شكرا وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول معناها اذا قرئت كذلك انها الريح التي تهب من كل ناحية وتجيء من كل وجه وكان بعضهم يقول اذا قرئت بضم النون فينبغي أن تسكن شينها لان ذلك لغة بمعنى النشر بالفتح وقال العرب تضم النون من النشر أحيانا وتفتح أحيانا بمعنى واحد قال فاختلاف القراء في ذلك على قدر اختلافها في لغتها فيه وكان يقول هو نظير الخسف والخسف بفتح الخاء وضمها * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان قراءة من قرأ ذلك نشرا ونشرا بفتح النون وسكون الشين وبضم النون والشين قراءتان مشهورتان في قراء الامصار

عذاب أليم) يعني أخذ الاستقراز والاستئصال (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) تفسيره كما في قصة هود (وبوأكم في الارض) أنزلكم فيها والمباءة المنزل والارض أرض الحجر (تتخذون من سهولها) أي تبنون من سهول الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا وآجرا ورهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز أن تكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما جاءت في موضع آخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على أنه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء (فاذكروا آلاء الله) يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا أنتم تمامها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) قيل نهى عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في أوائل سورة البقرة (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا) أي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله (لمن آمن منهم) بدل من قوله الذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما أن يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على أن المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما أن يرجع

(١) فلا أحب القراءة بها وان كان لها معنى صحيح ووجه مفهوم فى المعنى والاعراب لما ذكرنا من العلة وأما قوله بين يدى رحمته فانه يقول قدام رحمته وأمامها والعرب كذلك تقول لكل شئ حدث قدام شئ وأمامه جاء بين يديه لان ذلك من كلامهم جرى فى أخبارهم عن بنى آدم وكثر استعماله فيهم حتى قالوا ذلك فى غير ابن آدم وما لا يدله والرحمة التى ذكرها جل ثناؤه فى هذا الموضع المطر فمعنى الكلام اذا والله الذى يرسل الرياح لينا هبوبها طيبا نسيمها أمام غيثه الذى يسوقه بها الى خلقه فينشئ بها سحابا ثقالا حتى اذا أقلتها والاقلال بها حملها كما يقال استقل البعير بحمله وأقله اذا حمله فقام به ساقه الله لاحياء بلد ميت قد تعفت مزارعه ودرست مشاربه وأجدب أهله فأنزل به المطر وأخرج به من كل الثمرات وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وهو الذى يرسل الرياح نشرا بين يدى رحمته الى قوله لعلكم تذكرون قال ان الله يرسل الريح فتأتى بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والارض من حيث يلتقيان فيخرجه من ثم ثم ينشره فيبسطه فى السماء كيف يشاء ثم يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وأما رحمته فهو المطر وأما قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون فانه يقول تعالى ذكره كما نحيى هذا البلد الميت بما ننزل به من الماء الذى ننزله من السحاب فنخرج به من الثمرات بعد موته وجدوبته وقحوط أهله كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء بعد فنائهم ودروس آثارهم لعلكم تذكرون يقول تعالى ذكره للمشركين به من عبدة الاصنام المكذبين بالبعث بعد الممات المنكرين للثواب والعقاب ضربت لكم أيها القوم هذا المثل الذى ذكرت لكم من احياء البلد الميت بقطر المطر الذى يأتى به السحاب الذى تنشره الرياح التى وصفت صفتها لتعتبروا فتذكروا وتعلموا أن من كان ذلك من قدرته فيسير فى قدرته احياء الموتى بعد فنائها واعادتها خلقا سويا بعد دروسها وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون وكذلك تخرجون وكذلك النشور كما نخرج الزرع بالماء * وقال أبو هريرة ان الناس اذا ماتوا فى النفخة الاولى أمطر عليهم من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان أربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء حتى اذا استكملت أجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم نومة فينامون فى قبورهم فاذا نفخ فى الصور الثانية عاشوا وهم يجدون طعم النوم فى رؤسهم وأعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فناداهم المنادى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله كذلك نخرج الموتى قال اذا أراد الله أن يخرج الموتى أمطر السماء حتى تشقق عنهم الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيى الله الموتى بالمطر كاحيائه الارض ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره والبلد الطيبة تربته العذبة مشاربه يخرج نباته اذا أنزل الله الغيث وأرسل عليه الحيا باذنه طيبا ثمره فى حينه ووقته والذى خبث فردؤت تربته وملحت مشاربه لا يخرج نباته الا نكدا يقول الا عسرا فى شدة كما قال الشاعر

(١) قوله فلا أحب الخ يظهر أن قبله سقطا ولعله وأما قراءتها بالباء فلا أحب [illegible] اه مصححه

الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على أن الاستضعاف من شأن أهل الايمان يستحقرهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم فى حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفى الآية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشأ من قلتهما (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على سبيل التهكم والسخرية لا للاستعلام والاسترشاد (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) جعلوا ارساله أمرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب وانما الكلام فى وجود الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك (قال الذين استكبروا) فى جوابهم (انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة) قال الازهرى العقر عند العرب كشف عرقوب البعير ثم أطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب وأسند العقر الى جميعهم مع أنه ما باشره الا بعضهم لانه كان برضاهم وقد يقال للقبيلة العظيمة أنتم فعلتم كذا ولعله لم يفعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم (وعتوا عن أمر ربهم) استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو فى الباطل وأمر ربهم شأنه أى دينه أو المراد ما أمر به صالح من قوله فذروها ولا تمسوها والمعنى أمر ربهم بتركها كان هو السبب فى عتوهم فان الانسان حريص على ما منع (وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين) أطلقوا

لا تنجز الوعد ان وعدت وان * أعطيت أعطيت تافها نكدا

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسر يقال منه نكد ينكد نكدا ونكدا فهو نكد ونكد والنكد المصدر ومن أمثالهم نكدا وجحدا ونكدا وجحدا والجحد الشدة والضيق ويقال اذا شفه وسئل قد نكدوه ينكدونه نكدا كما قال الشاعر

وأعط ما أعطيته طيبا * لا خير في المنكود والناكد

واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض أهل المدينة الا نكدا بفتح الكاف وقرأه بعض الكوفيين بسكون الكاف نكدا وخالفهما بعد سائر القراء في الامصار فقرؤه الا نكدا بكسر الكاف كأن من قرأه نكدا بنصب الكاف أراد المصدر وكأن من قرأه بسكون الكاف أراد كسرها فسكنها على لغة من قال هذه فخذ وكتد وكان الذي يجب عليه اذا أراد ذلك أن يكسر النون من نكد حتى يكون قد أصاب القياس * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه نكدا بفتح النون وكسر الكاف لاجماع الحجة من قراء الامصار عليه وقوله كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون يقول كذلك نبين آية بعد آية وندلي بحجة بعد حجة ونضرب مثلا بعد مثل لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وتبصيرهم اياهم سبيل أهل الضلالة باتباعهم ما أمرهم باتباعه وتجنبهم ما أمرهم بتجنبه من سبل الضلالة وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالبلد الطيب الذي يخرج نباته باذن ربه مثل للمؤمن والذي خبث فلا يخرج نباته الا نكدا مثل للكافر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا فهذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي لا تخرج منها البركة فالكافر هو الخبيث وعمله خبيث حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله والبلد الطيب والذي خبث قال كل ذلك من الارض السباخ وغيرها مثل آدم وذريته فيهم طيب وخبيث حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال هذا مثل ضربه الله في الكافر والمؤمن حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد يعني ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث هي السبخة لا يخرج نباتها الا نكدا والنكد الشئ القليل الذي لا ينفع فكذلك القلوب لما نزل القرآن فالقلب المؤمن لما دخله القرآن آمن به وثبت الايمان فيه والقلب الكافر لما دخله القرآن لم يتعلق منه بشئ ينفعه ولم يثبت فيه من الايمان شئ الا ما لا ينفع كما لم يخرج هذا البلد الا ما لا ينفع من النبات حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا قال الطيب ينفعه المطر فينبت والذي خبث السباخ لا ينفعه المطر لا يخرج نباته الا نكدا قال هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم انما خلقوا من نفس واحدة فمنهم من آمن بالله وكتابه فطاب ومنهم من كفر بالله وكتابه فخبث ۞ القول في تأويل قوله (لقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) أقسم ربنا جل ثناؤه للمخاطبين بهذه الآية أنه أرسل نوحا الى قومه منذرهم بأسه ومخوفهم سخطه على عبادتهم غيره فقال لمن كفر منهم يا قوم

اعبدوا

الوعد وأرادوا ما وعدهم من العذاب واستعجالهم العذاب انما كان لأجل تكذيبهم بكل ما أخبر عنه من الوعد والوعيد وذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين (فأخذتهم الرجفة) قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا أرجفتها الريح وهذا لا يناقض ما ورد في موضع آخر أنهم أهلكوا بالطاغية وفي آخر أنهم أهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة الهائلة (فأصبحوا في دارهم) أي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في آية أخرى فقال في ديارهم لانه أراد بالدار ما لكل واحد من منزله الخاص الا أنه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كأنها من السماء فبلوغها أكثر وأبلغ من الزلزلة ومعنى (جاثمين) موتى لا حراك بهم قال أبو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطئا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة التي تربط وتجمع قوائمها لترمى (فتولى عنهم) الفاء للتعقيب فالظاهر أن صالحا

اعبدوا الله الذى له العبادة وذلوا له بالطاعة واخضعوا له بالاستكانة ودعوا عبادة ما سواه من الانداد والآلهة فانه ليس لكم معبود يستوجب عليكم العبادة غيره فانى أخاف عليكم ان لم تفعلوا ذلك عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم بمجيئه اياكم بسخط ربكم وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله غيره فقرأ ذلك بعض أهل المدينة والكوفة مالكم من اله غيره بخفض غير على النعت للاله وقرأه جماعة من أهل المدينة والبصرة والكوفة مالكم من اله غيره برفع غير ردا لها على موضع من لان موضعها رفع لو نزعت من الكلام لكان الكلام رفعا وقيل مالكم اله غير الله فالعرب لما وصفت (١) من أن المعلوم بالكلام أدخلت من فيه أو أخرجت وانها تدخلها أحيانا فى مثل هذا من الكلام وتخرجها منه أحيانا تردما نعتت به الاسم الذى عملت فيه على لفظه فاذا خفضت فعلى كلام واحد لانها نعت للاله وأما اذا رفعت فعلى كلامين مالكم غيره من اله وهذا قول يستضعفه أهل العربية ۞ القول فى تأويل قوله (قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن جواب مشركى قوم نوح لنوح وهم الملأ والملأ الجماعة من الرجال لا امرأة فيهم أنهم قالوا له حين دعاهم الى عبادة الله وحده لا شريك له انا لنراك يا نوح فى ضلال مبين يعنون فى أمر زائل عن الحق مبين زواله عن قصد الحق لمن تأمله ۞ القول فى تأويل قوله (قال يا قوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين) يقول تعالى ذكره قال نوح لقومه مجيبا لهم يا قوم لم آمركم بما أمرتكم به من اخلاص التوحيد لله وافراده بالطاعة دون الانداد والآلهة زوالا منى عن محجة الحق وضلالا لسبيل الصواب وما بى ما تظنون من الضلال ولكنى رسول اليكم من رب العالمين بما أمرتكم به من افراده بالطاعة والاقرار له بالوحدانية والبراءة من الانداد والآلهة ۞ القول فى تأويل قوله (أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن نبيه نوح عليه السلام انه قال لقومه الذين كفروا بالله وكذبوه ولكنى رسول من رب العالمين أرسلنى اليكم فأنا أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم فى تحذيرى اياكم عقاب الله على كفركم به وتكذيبكم اياى وردكم نصيحتى وأعلم من الله ما لا تعلمون من أن عقابه لا يرد عن القوم المجرمين ۞ القول فى تأويل قوله (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) وهذا أيضا خبر من الله عز ذكره عن قيل نوح لقومه أنه قال لهم اذ ردوا عليه النصيحة فى الله وأنكروا أن يكون الله بعثه نبيا وقالوا له ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم يقول أوعجبتم أن جاءكم تذكير من الله وعظة يذكركم بما أنزل ربكم على رجل منكم قيل معنى قوله على رجل منكم مع رجل منكم لينذركم يقول لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه على كفركم به ولتتقوا يقول وكى تتقوا عقاب الله وبأسه بتوحيده واخلاص الايمان به والعمل بطاعته ولعلكم ترحمون يقول وليرحمكم ربكم ان اتقيتم الله وخفتموه وحذرتم بأسه وفتحت الواو من قوله أوعجبتم لانها واو عطف دخلت عليها ألف استفهام ۞ القول فى تأويل قوله (فكذبوه فأنجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين) يقول تعالى ذكره فكذب نوحا قومه اذ أخبرهم أنه لله رسول اليهم يأمرهم بخلع الانداد والاقرار بوحدانية الله والعمل بطاعته وخالفوا أمر ربهم ولجوا فى طغيانهم يعمهون فأنجاه الله فى الفلك والذين معه من المؤمنين به وكانوا بنوح عليه السلام ثلاثة عشر فيما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق نوح وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث وأزواجهم وستة أناسى ممن كان آمن به وكان حمل معه فى الفلك من كل زوجين اثنين كما قال تبارك وتعالى ومن آمن وما آمن معه الا قليل والفلك هو السفينة وأغرقنا

عليه السلام أدبر عنهم بعدما أبصرهم جاثمين وكأنه تولى وهو مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم (وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى) وحد الرسالة بخلاف ما مر فى قصتى نوح وهود لأن المراد هنالك أشياء كانا يأمران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع فى آخر القصة فأراد بها مجموع ما أدى من الرسالة أو أراد بذلك أداء حديث الناقة فقط (ونصحت لكم) لم آل جهدا فى النصيحة (ولكن لا تحبون الناصحين) حكاية لحال ماضية واعترض على هذا التفسير بأنه كيف يصح خطاب الموتى وأجيب بأنه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فى حياته فلم يصغ اليه يا أخى كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل منى حتى ألقيت بنفسك الى التهلكة والفائدة فى مثل هذا الكلام أن يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل أيضا يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تتكلم مع هؤلاء

---

(١) قوله من أن المعلوم بالكلام الخ سقط خبر أن من الناسخ ولعل الاصل من أن المعلوم بالكلام ملحوظ أدخلت الخ والحاصل ان العرب تردما نعتت به الاسم الذى عملت من فيه تارة الى لفظه فيكون كلاما واحدا وأخرى الى محله فيكون فى قوة كلامين تأمل كتبه مصححه

الذين كذبوا بآياتنا يقول وأغرق الله الذين كذبوا بحججه ولم يتبعوا رسله ولم يقبلوا نصيحته اياهم في الله بالطوفان إنهم كانوا قوما عمين يقول عمين عن الحق كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عمين قال عن الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قوما عمين قال العمى العامي عن الحق ۞ القول في تأويل قوله ﴿والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى عاد أخاهم هودا ولذلك نصب هودا لانه معطوف به على نوح عليهما السلام قال هود ياقوم اعبدوا الله فأفردوا له العبادة ولا تجعلوا معه الها غيره فانه ليس لكم اله غيره أفلا تتقون ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره وهو خالقكم ورازقكم دون كل ماسواه ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه انا لنراك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عما أجاب هودا به قومه الذين كفروا بالله قال الملأ الذين كفروا يعني الذين جحدوا توحيد الله وأنكروا رسالة الله هودا اليهم انا لنراك ياهود في سفاهة يعنون في ضلالة عن الحق والصواب بتركك ديننا وعبادة آلهتنا وانا لنظنك من الكاذبين في قيلك اني رسول من رب العالمين قال ياقوم ليس بي سفاهة يقول أي ضلالة عن الحق والصواب ولكني رسول من رب العالمين أرسلني فأنا أبلغكم رسالات ربي وأؤديها اليكم كما أمرني أن أؤديها ۞ القول في تأويل قوله ﴿أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون﴾ يعني بقوله أبلغكم رسالات ربي أؤدي ذلك اليكم أيها القوم وأنا لكم ناصح يقول وأنا لكم في أمري اياكم بعبادة الله دون ماسواه من الانداد والآلهة ودعائكم الى تصديقي فيما جئتكم به من عند الله ناصح فاقبلوا نصيحتي فاني أمين على وحي الله وعلى ما ائتمنني الله عليه من الرسالة لا أكذب فيه ولا أزيد ولا أبدل بل أبلغ ما أمرت به كما أمرت أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يقول أوعجبتم أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعظتكم على ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة على رجل منكم لينذركم بأس الله ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول فاتقوا الله في أنفسكم واذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب اذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم فانكم انما جعلكم ربكم خلفاء في الارض منهم لما أهلكهم أبدلكم منهم فيها فاتقوا الله أن يحل بكم نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم سنته في قوم نوح قبلكم على معصيتكم اياه وكفركم به وزادكم في الخلق بسطة زاد في أجسامكم طولا وعظما على أجسام قوم نوح وفي قوامكم على قوامهم نعمة منه بذلك عليكم فاذكروا نعمه وفضله الذي فضلكم به عليهم في أجسامكم وقوامكم واشكروا الله على ذلك باخلاص العبادة له وترك الاشراك به وهجر الاوثان والانداد لعلكم تفلحون يقول كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعيم في الآخرة وتنجحوا في طلباتكم عنده وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح يقول ذهب بقوم نوح واستخلفكم من بعدهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح أي ساكني الأرض بعد قوم نوح وبنحو الذي قلنا أيضا قالوا في تأويل قوله بسطة ذكر من قال ذلك

حدثني

الخسف فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب * وتفسير آخر وهو أن يكون تولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ماروى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا أعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن أمر الله وأفسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فندعو آلهتنا وتدعو الهك فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو وأشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة

حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وزادكم في الخلق بسطة قال ما القوام قوم عاد وأما الآلاء فانها جمع واحدها إلى بكسر الالف في تقدير معي ويقال ألى في تقدير قفا بفتح الالف وقد حكى سماعا من العرب إلى مثل حسي والآلاء النعم وكذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذكروا آلاء الله أي نعم الله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما آلاء الله فنعم الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاذكروا آلاء الله قال آلاؤه نعمه قال أبو جعفر وعاد هؤلاء القوم الذين وصف الله صفتهم وبعث اليهم هودا يدعوهم الى توحيد الله واتباع ما أتاهم به من عنده هم فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولد عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وكانت مساكنهم الشحر من أرض اليمن وما والى بلاد حضرموت الى عمان كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق عن محمد بن عبد الله بن أبي سعيد الخزاعي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت هل رأيته قال نعم يا أمير المؤمنين والله انك لتنعته نعت رجل قد رآه قال لا ولكني قد حدثت عنه فقال الحضرمي وما شأنه يا أمير المؤمنين قال فيه قبر هود صلوات الله عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانت منازل عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا الاحقاف قال والاحقاف الرمل فيما بين عمان الى حضرموت باليمن وكانوا مع ذلك قد فشوا في الارض كلها وقهروا أهلها بفضل قوتهم التي آتاهم الله وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صداء وصنم يقال له صمود وصنم يقال له الهباء فبعث الله اليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا فأمرهم أن يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر والله أعلم بغير ذلك فأبوا عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة واتبعه منهم ناس وهم يسير يكتمون ايمانهم وكان ممن آمن به وصدقه رجل من عاد يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله وكذبوا نبيهم وأكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع آية عبثا بغير نفع كلمهم هود فقال أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي ما هذا الذي جئتنا به الا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب قال اني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون الى قوله صراط مستقيم فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السماء ثلاث سنين فيما يزعمون حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء أو جهد فطلبوا الى الله الفرج منه كانت طلبتهم الى الله عند بيته الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة يعرف حرمتها ومكانها من الله قال ابن اسحق وكان البيت في ذلك الزمان معروفا مكانه والحرم قائم فيما يذكرون وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق بن لاوذ ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر وكان أبوه حيا في ذلك الزمان ولكنه كان قد كبر وكان ابنه يرأس قومه وكان السؤدد والشرف من العماليق فيما يزعمون في أهل ذلك البيت وكانت أم معاوية بن بكر كلهدة ابنة الخيبري رجل من عاد فلما قحط

أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك وآمنا بك فأخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال أبو موسى الاشعري أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك أن الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما قال السدي وكانت الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكأنها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تأتيهم وكانت اذا وقع الحر تصيف بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من أبنائهم ثم ولد العاشر فأبى أن يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام جلس مع قوم

المطر عن عاد وجهد وا قالوا اجهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل
ابن عنز ولقيم بن هزال من هذيل وعقيل بن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم
اسلامه وجلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر أخو أمه ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان
ابن صد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم
سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فأنزلهم
وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهرا يشربون
الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية
ابن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه فقال
هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى نازلون علىّ والله ما أدرى كيف أصنع
بهم ان أمرتهم بالخروج الى ما بعثوا له فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من
وراءهم من قومهم جهدا وعطشا أو كما قال فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا
قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله لعل ذلك أن يحركهم فقال معاوية بن بكر حين أشارتا عليه
بذلك

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى أرض عاد ان عادا * قد أمسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى
وان الوحش تأتيهم جهارا * ولا تخشى لعادىّ سهاما
وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

فلما قال معاوية ذلك الشعر غنتهم به الجرادتان فلما سمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض يا قوم
انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم
نبيكم وأنبتم اليه سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك فقال لهم جلهمة بن الخيبرى خال معاوية بن بكر حين
سمع قوله وعرف أنه قد اتبع دين هود وآمن به

أبا سعد فانك من قبيل * ذوى كرم وأمك من ثمود
فانا لا نطيعك ما بقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل والصداء مع الصمود
ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قالوا لمعاوية بن بكر وأبيه بكر احبسا عنا مرثد بن سعد فلا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين
هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل
معاوية بن بكر حتى أدركهم بها فقال لا أدعو الله بشئ مما خرجوا له فلما انتهى اليهم قام يدعو الله
بمكة وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون يقول اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولا تدخلنى فى شئ مما
يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد وقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ما سألك واجعل
سؤلنا مع سؤله وكان قد تخلف عن وفد عاد حين دعا لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من
دعوتهم قام فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فأعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا

يشربون الشراب فأرادوا ماء يمزجونه
به وكان يوم شرب الناقة فما وجدوا
الماء فاشتد ذلك عليهم فقال الغلام
هل لكم فى أن أعقر هذه الناقة
فشد عليها فلما بصرت به شدت
عليه فهرب منها الى جانب صخرة
فردوها عليه فلما مرت به تناولها
فعقرها فسقطت فذلك قوله تعالى
فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر
وأظهروا حينئذ كفرهم وقيل
زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة أم
غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت
الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى
فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه
فانطلق فصيلها حتى رقى جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم
أدركوا الفصيل عسى أن يرفع
عنكم العذاب فلم يقدروا عليه
وانفجرت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبحون
غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد
ووجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم
العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا
أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع
وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر
وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة
من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا
واستبعد بعضهم أن العاقل مع
مشاهدة هذه المعجزات والعلامات
كيف يبقى مصرا على كفره
وأجيب بأنهم عند مشاهدة العلامات
خرجوا عن حد التكليف وأن تكون
توبتهم مقبولة عن جابر أن رسول الله

ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب فقال اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لاتبق من آل عاد أحدا لا والدا تترك ولا ولدا الا جعلته همدا الا بنى اللوذية المهدا وبنو اللوذية بنو لقيم بن هزال بن هذيلة ابن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم ولم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة ومن كان من نسلهم الذين بقوا من عاد وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التى اختارها قيل بن عنز بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ أمرت به وكان أول من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح فيما يذكرون امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تيقنت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما أن أفاقت قالوا ماذا رأيت يا مهدد قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما كما قال الله والحسوم الدائمة فلم تدع من عاد أحدا الا هلك فاعتزل هود فيما ذكر لى ومن معه من المؤمنين فى حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ به الانفس وانها لتمر على عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر وابنه فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة مساء ثالثة من مصاب عاد فأخبرهم الخبر فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم عن الحرث ابن حسان البكرى قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على امرأة بالربذة فقالت هل أنت حاملى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم فحملتها حتى قدمت المدينة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر واذا بلال متقلد السيف واذا رايات سود قال قلت ما هذا قالوا عمرو بن العاص قدم من غزوته فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من على منبره أتيته فاستأذنت فأذن لى فقلت يا رسول الله ان بالباب امرأة من بنى تميم وقد سألتنى أن أحملها اليك قال يا بلال ائذن لها قال فدخلت فلما جلست قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم فان رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم حاجزا فعلت قال تقول المرأة فالى أين يضطر مضطرك يا رسول الله قال قلت ان مثلى مثل ما قال الاول معزى حملت حتفها قال قلت وحملتك تكونين على خصما أعوذ بالله أن أكون كوافد عاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وافد عاد قال قلت على الخبير سقطت ان عادا قحطت فبعثت من يستسقى لها فبعثوا رجالا فمروا على بكر بن معاوية فسقاهم الخمر وتغنتهم الجرادتان شهرا ثم فصلوا من عنده حتى أتوا جبال مهرة فدعوا فجاءت سحابات قال وكلما جاءت سحابة قال اذهبى الى كذا حتى جاءت سحابة فنودى خذها رمادا رمددا لاتدع من عاد أحدا قال فسمعه وكلمهم حتى جاءهم العذاب قال أبو كريب قال ابو بكر بعد ذلك فى حديث عاد قال فأقبل الذين أتاهم فأتى جبال مهرة فصعد فقال اللهم انى لم أجئك لاسير فأفاديه ولا لمريض فأشفيه

صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لاتسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان فى حرم الله قالوا من هو قال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف أمره وروى أن نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبى رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة أبى رغال وأنه دفن ههنا وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن وروى أن عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا ألفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لايدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولاتدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذى أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا على أتدرى من أشقى الاولين قال الله ورسوله أعلم قال عاقر ناقة صالح أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك * القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه

فاسق عادا ما كنت مسقيه قال فرفعت له سحابات قال فنودي منها اختر قال فجعل يقول اذهبي الى بني فلان اذهبي الى بني فلان قال فمرت آخرها سحابة سوداء فقال اذهبي الى عاد فنودي منها خذها رمادا رمددا لاتدع من عاد أحدا قال وكلمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون قال وكره بكر بن معاوية أن يقول لهم من أجل انهم عنده وانهم في طعامه قال فأخذ في الغناء وذكرهم حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا سلام أبو المنذر النحوي قال ثنا عاصم عن أبي وائل عن الحرث بن يزيد البكري قال خرجت لاشكو العلاء بن الحضرمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت بالربذة فاذا عجوز منقطع بها من بني تميم فقالت ياعبد الله ان لي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة فهل أنت مبلغي اليه قال فحملتها فقدمت المدينة قال فاذا رايات قلت ماشأن الناس قالوا يريد أن يبعث عمرو بن العاص وجها قال فجلست حتى فرغ قال فدخل منزله أو قال رحله فاستأذنت عليه فأذن لي فدخلت فقعدت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان بينكم وبين تميم شئ قلت نعم وكانت لنا الدائرة عليهم وقد مررت بالربذة فاذا عجوز منهم منقطع بها فسألتني أن أحملها اليك وها هي بالباب فأذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت فقلت يارسول الله اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزا فحميت العجوز واستوفزت وقالت الى أين يضطر مضطرك يارسول الله قال قلت أنا كما قال الاول معزى حملت حتفها حملت هذه ولا أشعر أنها كانت لي خصما أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد قال وما وافد عاد قال على الخبير سقطت قال وهو يستطعمني الحديث قلت ان عادا قحطوا فبعثوا قيلا وافدا فنزل على بكر فسقاه الخمر شهرا وغنته جاريتان يقال لهما الجرادتان فخرج الى جبال مهرة فنادى اني لم أجئ لمريض فأداويه ولا لأسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت مسقيه فمرت به سحابات سود فنودي منها خذها رمادا رمددا لاتبق من عاد أحدا قال فكانت المرأة تقول لاتكن كوافد عاد فيما بلغني أنه ما أرسل عليهم من الريح يارسول الله الا قدر ما يجري في خاتمي * قال أبو وائل فكذلك بلغني حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والى عاد أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان عادا أتاهم هود فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن فكذبوه وكفروا وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم انما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به وان عادا أصابهم حين كفروا قحوط المطر حتى جهدوا لذلك جهدا شديدا وذلك أن هودا دعا عليهم فبعث الله عليهم الريح العقيم وهي الريح التي لاتلقح الشجر فلما نظروا اليها قالوا هذا عارض ممطرنا فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فلما رأوها تنادوا البيوت فلما دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ثم أخرجتهم من البيوت فأصابتهم في يوم نحس والنحس هو الشؤم ومستمر استمر عليهم العذاب سبع ليال وثمانية أيام حسوما حسمت كل شئ مرت به فلما أخرجتهم من البيوت قال الله تنزع الناس من البيوت كأنهم أعجاز نخل منقعر انقعر من أصوله خاوية خوت فسقطت فلما أهلكهم الله أرسل اليهم طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فألقتهم فيه فذلك قوله فأصبحوا لايرى الا مساكنهم ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وذلك قوله فأهلكوا بريح صرصر عاتية والصرصر ذات الصوت الشديد ۞ القول في تأويل قوله ﴿قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا ان

كنت

تقديره أرسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز أن يكون معناه واذكر لوطا اذ قال لقومه على أن اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم أحد السببين أتأتون الفاحشة أتفعلون الخصلة المتمادية في القبح ماسبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله أي ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل أن تكون الباء فيه مثلها في قولك كتبت بالقلم وفي قوله تنبت بالدهن أي ما سبقكم ملتبسا بها من أحد من العالمين من الاولى زائدة لتأكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استئناف لانه أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وأنتم أول من عملها أو هو جواب سؤال مقدر كأنه قيل لم لا نأتيها فقال ماسبقكم بها من أحد فلا تفعلوا مالم تسبقوا به ويجوز أن تكون صفة للفاحشة كقوله

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

وههنا سؤال وهو أنه كيف يجوز دعوى عدم السبق في هذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها وينفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات أو المراد أن الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم

كنت من الصادقين) يقول تعالى ذكره قالت عاد لهود أجئتنا تتوعدنا بالعقاب من الله على ما نحن
عليه من الدين كي نعبد الله وحده وندين له بالطاعة خالصاً ونهجر عبادة الآلهة والاصنام التي كان
آباؤنا يعبدونها ونتبرأ منها فلسنا فاعلي ذلك ولا متبعيك على ما تدعونا اليه فأتنا بما تعدنا من العقاب
والعذاب على تركنا اخلاص التوحيد لله وعبادتنا ما نعبد من دونه من الاوثان ان كنت من أهل
الصدق على ما تقول وتعد ۞ القول في تأويل قوله (قال قد وقع عليكم من ربكم رجس
وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من
المنتظرين) يقول تعالى ذكره قال هود لقومه قد حل بكم عذاب وغضب من الله وكان أبو عمرو بن
العلاء فيما ذكر لنا عنه يزعم أن الرجز والرجس بمعنى واحد وأنها مقلوبة قلبت السين زايا كما
قلبت شتر وهي من شتس بسين وكما قالوا اقربوس وقربوز وكما قال الراجز

ألا لحى الله بني السعلات * عمرو بن يربوع لئام النات
* ليسوا بأعفاف ولا أكيات *

يريد الناس وأكياس فقلبت السين تاء كما قال رؤبة

كم قد رأينا من عديد مبزى * حتى وقمنا كيده بالرجز

روى عن ابن عباس أنه كان يقول الرجز السخط حدثني بذلك المثنى قال ثنا عبد الله بن
صالح قال ثنا معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله قد وقع عليكم من ربكم رجس
يقول سخط وأما قوله أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم فانه يقول أتخاصمونني
في أسماء سميتموها أصناما لا تضر ولا تنفع أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان يقول ما جعل
الله لكم في عبادتكم اياها من حجة تحتجون بها ولا معذرة تعتذرون بها لان العبادة انما هي
لمن ضر ونفع وأثاب على الطاعة وعاقب على المعصية ورزق ومنع فأما الجماد من الحجارة والحديد
والنحاس فانه لا نفع فيه ولا ضر الا أن تتخذ منه آلة ولا حجة لعابد عبده من دون الله في عبادته
اياه لان الله لم يأذن بذلك فيعذر من عبده بأنه يعبده اتباعا منه أمر الله في عبادته اياه ولا هو اذ كان
الله لم يأذن في عبادته مما يرجى نفعه أو يخاف ضره في عاجل أو آجل فيعبد رجاء نفعه أو دفع
ضره فانتظروا اني معكم من المنتظرين يقول فانتظروا حكم الله فينا وفيكم اني معكم من المنتظرين
حكمه وفصل قضائه فينا وفيكم ۞ القول في تأويل قوله (فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره فأنجينا نوحا والذين معه من أتباعه
على الايمان به والتصديق به وبما دعاهم اليه من توحيد الله وهجر الآلهة والاوثان برحمة منا وقطعنا
دابر الذين كذبوا بآياتنا يقول وأهلكنا الذين كذبوا من قوم هود بحججنا جميعا عن آخرهم
فلم نبق منهم أحدا كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقطعنا دابر الذين
كذبوا بآياتنا قال استأصلناهم وقد بينا فيما مضى معنى قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا بشواهده
بما أغنى عن اعادته وما كانوا مؤمنين يقول لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود ۞ القول في
تأويل قوله (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم
بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
أليم) يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا وثمود هو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن
نوح وهو أخو جديس بن عابر وكانت مساكنهما الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله
ومعنى الكلام والى بني ثمود أخاهم صالحا وانما منع ثمود لأن ثمود قبيلة كما بكر قبيلة وكذلك تميم
قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يقول قال صالح لثمود يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك

يوجد في الاعصار المتقدمة قال
الحسن كانوا ينكحون الرجال في
أدبارهم وكانوا لا ينكحون الا
الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس
استحكم ذلك فيهم حتى فعل
بعضهم ببعض أئنكم لتأتون الرجال
بيان لما أجمله في قوله أتأتون
الفاحشة وكلا الاستفهامين
للانكار وفي الثاني أكثر ولهذا زيد
فيه ان ومثله في النمل أتأتون
وبعده أئنكم لتأتون وفي العنكبوت
انكم لتأتون الفاحشة أئنكم
لتأتون الرجال فجمع بين ان وأئن
لموافقة آخر القصة انا منجوك انا
منزلون وانتصب شهوة على أنها
مفعول له أي لا حامل لكم على
غشيان الرجال من دون النساء الا
مجرد الشهوة أو مصدر وقع حالا
يقال شهي يشهى شهوة بل أنتم
قوم مسرفون اضراب عن
الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة
الموجبة لارتكاب القبائح وهو أنهم
قوم عادتهم الاسراف وتجاوز
الحدود في كل شيء وختم هذه الآية
بلفظ الاسم موافقة لرؤس
الآيات التي تقدمت العالمين
الناصحين جاثمين المرسلين وفي النمل
قال بل أنتم قوم تجهلون أما العدول
من الاسراف الى الجهل فلتغير
العبارة وكل اسراف جهل وكل
جهل اسراف وأما العدول من
الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها
من الآيات وكلها أفعال ينصرون
تتقون يعلمون واعلم أن قبح هذا
العمل كالامر المقرر في الطباع

له فما لكم اله يجوز لكم أن تعبدوه غيره وقد جاءتكم حجة وبرهان على صدق ما أقول وحقيقة ما اليه
أدعو من اخلاص التوحيد لله وافراده بالعبادة دون ما سواه وتصديق على انى له رسول وبينتى على
ما أقول وحقيقة ما جئتكم به من عند ربى وحجتى عليه هذه الناقة التى أخرجها الله من هذه الهضبة
دليلا على نبوّتى وصدق مقالتى فقد علمتم أن ذلك من المعجزات التى لا يقدر على مثلها أحد الا الله
وانما استشهد صالح فيما بلغنى على صحة نبوّته عند قومه ثمود بالناقة لانهم سألوه اياها آية ودلالة على
حقيقة قوله ذكر من قال ذلك وذكر سبب قتل قوم صالح الناقة حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن عبد العزيز بن رفيع عن أبى الطفيل قال قالت ثمود
لصالح ائتنا بآية ان كنت من الصادقين قال فقال لهم صالح اخرجوا الى هضبة من الارض فخرجوا
فاذا هى تتمخض كما تتمخض الحامل ثم انها انفرجت فخرجت من وسطها الناقة فقال صالح هذه
ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم لها شرب ولكم
شرب يوم معلوم فلما ملوها عقروها فقال لهم تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب قال
عبد العزيز وحدثنى رجل آخر أن صالحا قال لهم ان آية العذاب أن تصبحوا غدا حمرا واليوم الثانى
صفرا واليوم الثالث سودا قال فصبحهم العذاب فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا حدثنى محمد بن
الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى والى ثمود أخاهم صالحا قال ان الله
بعث صالحا الى ثمود فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله فى القرآن فسألوه أن يأتيهم بآية فجاءهم
بالناقة لها شرب ولهم شرب يوم معلوم وقال ذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها
جميعا فذلك قوله فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وكانوا قد أقروا به على وجه النفاق والتقية
وكانت الناقة لها شرب فيوم تشرب فيه الماء تمر بين جبلين فيرحمونها ففيهما أثرها حتى الساعة ثم
تأتى فتقف لهم حتى يحلبوا اللبن فيرويهم فكانت تصب اللبن صبا ويوم يشربون الماء لا تأتيهم وكان
معها فصيل لها فقال لهم صالح انه يولد فى شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فولد لتسعة منهم
فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم ولد للعاشر فأبى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك شئ فكان ابن
العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا فاذا مر بالتسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء كانوا مثل هذا
فغضب التسعة على صالح لانه أمرهم بذبح أبنائهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله ثم لنقولن لوليه
ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون قالوا نخرج فيرى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكون
فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى المسجد أتيناه فقتلناه ثم رجعنا الى الغار فكنا فيه ثم رجعنا
فقلنا ماشهدنا مهلك أهله وانا لصادقون يصدقوننا يعلمون أنا قد خرجنا الى سفر فانطلقوا فلما
دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا من الليل فسقط عليهم الغار فقتلهم فذلك قوله وكان فى المدينة
تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون حتى بلغ ههنا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم
أنا دمرناهم وقومهم أجمعين وكبر الغلام ابن العاشر ونبت نباتا عجبا من السرعة فجلس مع قوم
يصيبون من الشراب فأرادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء
قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم وقالوا فى شأن الناقة ما نصنع نحن باللبن لو كنا نأخذ هذا الماء
الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه أنعامنا وحروثنا كان خيرا لنا فقال الغلام ابن العاشر هل لكم
فى أن أعقرها لكم قالوا نعم فأظهروا دينهم فأتاها الغلام فلما بصرت به شدت عليه فهرب منها فلما
رأى ذلك دخل خلف صخرة على طريقها فاستتر بها فقال أحيشوها على فأحاشوها عليه فلما جازت
به نادوه تعلك فتناولها فعقرها فسقطت فذلك قوله فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر وأظهروا حينئذ

ووجوه القبح فيه كثيرة منها أن أكثر
الناس يحترزون فيه عن الولد لان
الولد يحمل المرء على طلب المال
واتعاب النفس فى وجوه المكاسب
الا أنه تعالى جعل الوقاع سببا
لحصول اللذة العظيمة حتى ان
الانسان يطلب تلك اللذة و يقدم على
الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء أم
أبى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا
ينقطع النوع فوضع اللذة فى
الوقاع يشبه وضع الشئ الذى
يشتهيه الحيوان فى الفخ والغرض
ابقاء النوع الانسانى الذى هو
أشرف الانواع فكل لذة لا تؤدى
الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها
لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف
الحكمة ومنها أن الذكورة مظنة
الفعل والانوثة مظنة الانفعال
فانعكاس القضية يكون خروجا
عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها
أن الاشتغال بمحض الشهوة تشبه
بالبهائم وخروج عن الغريزة
الانسانية وهب أن الفاعل يلتذ
بذلك العمل الا أنه سعى فى الحاق
العار العظيم بالمفعول مادام حيا
والعاقل لا يرضى لاجل لذة زائلة
الحاق منقصة دائمة بغيره ومنها أنه
يوجب استحكام العداوة بين الفاعل
والمفعول الى حيث يقدم المفعول
على قتل الفاعل أو على الحاق الضرر
به بكل طريق يقدر عليه وذلك
لنفور طبعه عن رؤيته وأما
حصول هذا العمل بين الرجل
والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة
والمحبة كما قال تعالى خلق لكم من

أمرهم وعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا وفزع ناس منهم الى صالح وأخبروه أن الناقة قد عقرت فقال علىّ بالفصيل فطلبوا الفصيل فوجدوه على رابية من الارض فطلبوه فارتفعت به حتى حلقت به فى السماء فلم يقدروا عليه ثم دعا الفصيل الى الله فأوحى الله الى صالح أن مرهم فليتمتعوا فى دارهم ثلاثة أيام فقال لهم صالح تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام وآية ذلك أن تصبح وجوهكم أول يوم مصفرة والثانى محمرة واليوم الثالث مسودة واليوم الرابع فيه العذاب فلما رأوا العلامات تكفنوا وتحنطوا ولطخوا أنفسهم بالمر ولبسوا الأنطاع وحفروا الأسراب فدخلوا فيها ينتظرون الصيحة حتى جاءهم العذاب فهلكوا فذلك قوله فدمرناهم وقومهم أجمعين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أهلك الله عادا وتقضى أمرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا فى الارض فنزلوا فيها وانتشروا ثم عتوا على الله فلما ظهر فسادهم وعبدوا غير الله بعث اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا وكانت منازلهم الحجر الى قرح وهو وادى القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام فبعث الله اليهم غلاما شابا فدعاهم الى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء وأكثر لهم التحذير وخوفهم من الله العذاب والنقمة سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فيما يدعوهم اليه فقال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا هذا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم وما يعبدون من دون الله فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم الى الله فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شئ مما يدعو به ثم قال له جندع بن عمرو بن حراش بن عمرو بن الدميل وكان يومئذ سيد ثمود وعظيمهم يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل وقالت ثمود لصالح مثل ما قال جندع بن عمرو فان فعلت آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو حق وأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت وفعل الله لتصدقنى ولتؤمنن بى قالوا نعم فأعطوه على ذلك عهودهم فدعا صالح ربه بأن يخرجها لهم من تلك الهضبة كما وصفوا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث أنهم نظروا الى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تتمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة ثم أسقطت الناقة فانصدعت عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء نتوج ما بين جنبيها لا يعلمه الا الله عظما فآمن به جندع بن عمرو ومن كان معه على أمره من رهطه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا به ويصدقوا فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صمعر بن جلهس وكانوا من أشراف ثمود وردوا أشرافها عن الاسلام والدخول فيما دعاهم اليه صالح من الرحمة والنجاة وكان لجندع ابن عم يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن لبيد بن جواس فأراد ان يسلم فنهاه أولئك الرهط عن ذلك فأطاعهم وكان من أشراف ثمود وأفاضلها فقال رجل من ثمود يقال له مهوس بن عنمة بن الدميل وكان مسلما

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبى دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهم بأن يجيب ولو أجابا
لأصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذئابا

أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها أنه تعالى أودع فى الرحم قوة جاذبة للمنى بحيث لا يبقى شئ منه فى مجاريه وأوعيته أما اذا واقع الذكر فانه يبقى شئ من أواخر المنى فى المجارى فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام فى الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم يقتضى حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان أو أنثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الآيتين أعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احداهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل وذلك لان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد أولى من شرع لوط وأجيب بأن الاعتماد على التواتر الظاهر من دين محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال تعالى وما كان جواب قومه بالواو كيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفى النمل تجهلون فما كان وفى العنكبوت وتأتون فى ناديكم المنكر فما كان لصحة تعقيب الفعل الفعل الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم وفى النمل أخرجوا آل لوط ليكون ما فى النمل تفسير الهذه

فكنت الناقة التى أخرجها الله لهم معها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فقال لهم صالح عليه السلام هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم وقال الله لصالح ان الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر أى ان الماء نصفان لهم يوم ولها يوم وهى محتضرة فيومها لاتدع شربها وقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فكانت فيما بلغنى والله أعلم اذا وردت وكانت ترد غبا وضعت رأسها فى بئر فى الحجر يقال لها بئر الناقة فيزعمون أنها منها كانت تشرب اذا وردت تضع رأسها فيها فما ترفعه حتى تشرب كل قطرة ماء فى الوادى ثم ترفع رأسها فتفسح يعنى تفحج لهم فيحتلبون ماشاؤا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملؤا كل آنيتهم ثم تصدر من غير الفج الذى منه وردت لاتقدر على أن تصدر من حيث ترد لضيقه عنها فلا ترجع منه حتى اذا كان الغد كان يومهم فيشربون ماشاؤا من الماء ويدخرون ماشاؤا اليوم الناقة فهم من ذلك فى سعة وكانت الناقة فيما يذكرون تصيف اذا كان الحر بظهر الوادى فتهرب منها المواشى أغنامهم وأبقارهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادى فى حره وجدبه وذلك أن المواشى تنفر منها اذا رأتها وتشتو فى بطن الوادى اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والجدب فأضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار وكانت مراتعها فيما يزعمون الحباب وحسمى كل ذلك ترعى مع وادى الحجر فكبر ذلك عليهم فعتوا عن أمر ربهم وأجمعوا فى عقر الناقة رأيهم وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وهى من بنى عبيد بن المهل أخى دميل بن المهل وكانت امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وكانت ذات مال من ابل وبقر وغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوف بنت المحيا بن زهير بن المحيا سيد بنى عبيد وصاحب أوثانهم فى الزمن الاول وكان الوادى يقال له وادى المحيا وهو المحيا الاكبر جد المحيا الاصغر أبى صدوف وكانت صدوف من أحسن الناس وكانت غنية ذات مال من ابل وغنم وبقر وكانتا من أشد امرأتين فى ثمود عداوة لصالح وأعظمهم به كفرا وكانتا يحبان أن تعقر الناقة مع كفرهما به لما أضرت به من مواشيهما وكانت صدوف عند ابن خال لها يقال له صنتم بن هراوة بن سعد بن الغطريف من بنى هليل فأسلم فحسن اسلامه وكانت صدوف قد فوضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح حتى رق المال فاطلعت على ذلك من اسلامه صدوف فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله والى الاسلام فأبت عليه وسبت ولده فأخذت بنيه وبناته منه فغيبتهم فى بنى عبيد بطنها الذى هى منه وكان صنتم زوجها من بنى هليل وكان ابن خالها فقال لها ردى على ولدى فقالت حتى أنافرك الى بنى صنعان بن عبيد أو الى بنى جندع بن عبيد فقال لها صنتم بل أنا أقول الى بنى مرداس بن عبيد وذلك ان بنى مرداس بن عبيد كانوا قد سارعوا فى الاسلام وأبطأ عنه الآخرون فقالت لا أنافرك الا الى من دعوتك اليه فقال بنو مرداس والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته اياهم ثم ان صدوف وعنيزة تحيلا فى عقر الناقة للشقاء الذى نزل فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقره الناقة وعرضت عليه نفسها بذلك ان هو فعل فأبى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة وكانت من أحسن الناس وكانت غنية كثيرة المال فأجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف بن جندع رجلا من أهل قرح وكان قدار رجلا أحمر أزرق قصيرا يزعمون أنه كان لزنية من رجل يقال له صهياد ولم يكن لابيه سالف الذى يدعى اليه ولكنه قد ولد على فراش سالف وكان يدعى له وينسب اليه فقالت أعطيك أى بناتى شئت على أن تعقر الناقة وكانت عنيزة شريفة من نساء ثمود وكان زوجها ذؤاب بن عمرو من أشراف رجال ثمود وكان

قدار

الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح فى الأولى وكنى فى الثانية قال فى الكشاف يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذى هو أصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لايتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم انهم أناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد أن ذلك العمل فى موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى طهارة فالمراد أنهم يتباعدون عن المعاصى والآثام فأنجيناه وأهله أى أنصاره وأتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس أراد المتصلين به فى النسب بدليل قوله الاامرأته يقال امرأة الرجل يعنى زوجته ولا يقال مرء المرأة يعنى زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين وفى النمل قدرناها من الغابرين أى كانت فى علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها من الغابرين فصارت من الغابرين والغبود المكث والبقاء أى من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا أو التذكير لتغليب

قـدارعزيزامنيعا فى قومه فانطلق قدار بن سالف ومصـدع بن مهرج فاستنفر اغواة من ثمود
فاتبعهما سبعة نفر فكانوا تسعة نفر أحد النفر الذين اتبعوهما رجل يقال له (١) هويل بن ميلغ خال
قـدار بن سالف أخو أمه لابيها وأمها وكان عزيزا من أهل حجر ودعير بن غنم بن داعر وهو من
بنى حـلاوة بن المهل ودأب بن مهرج أخو مصـدع بن مهرج وخمسة لم تحفظ لنا أسماؤهم
فرصـدوا الناقة حين صـدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصـل صخرة على طريقها وكمن لها
مصدع فى أصـل أخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم عنيزة
وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فأسفرت عنه لقدار وأرته اياه ثم ذمرته فشد على الناقة
بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن فى لبتها فنحرها وانطلق
سقبها حتى أتى جبلا منيعا ثم أتى صخرة فى رأس الجبل فرغا ولاذ بها واسم الجبل فيما يزعمون صور
فأتاهم صالح فلما رأى الناقة قـد عقرت قال انتهكتم حرمة الله فأبشروا بعذاب الله تبارك وتعالى
ونقمته فاتبع السقب أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصـدع بن مهرج فرماه
مصدع بسهم فانتظم قلبـه ثم جر برجله فأنزله ثم ألقوا لحمـه مع لحم أمه فلما قال لهم صالح أبشروا
بعذاب الله ونقمته قالوا له وهـم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيهـم
الاحد أول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت
شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حـين قالوا ذلك تصبحون غـداة يوم مؤنس
يعنى يوم الخميس ووجوهكم مصـفرة ثم تصبحون يوم العروبة يعنى يوم الجمعـة ووجوهكم محمرة ثم
تصبحون يوم شـيار يعنى يوم السبت ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العـذاب يوم الاول يعنى يوم
الاحد فلما قال لهـم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلموا فلنقتـل صالحا ان كان صادقا
عجلناه قبلنا وان كان كاذبا يكون قد ألحقناه بناقته فأتوه ليـلا ليبيتوه فى أهـله فدمغتهـم الملائكة
بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهـم أتوا منزل صالح فوجـدوهم مشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا
لصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشـيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا
فقد وعدكم أن العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان
كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهـم ليلتهم تلك والنفر الذين رضختهـم الملائكة بالحجارة
التسـعة الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن بقوله تعالى وكان فى المدينـة تسعة رهط يفسـدون
فى الارض ولا يصلحون الى قوله لآية لقوم يعلمون فأصبحوا من تلك الليـلة التى انصرفوا فيها عن
صالح ووجوههم مصفرة فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه وخرج صالح
هاربا منهم حتى لجأ الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل يكنى
بأبى هدب وهو مشرك فغيبه فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح فعذبوهم ليدلوهم عليه فقال
رجل من أصحاب صالح يقال له ميدع بن هرم يا نبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم عليك
قال نعم فدلهم عليه ميدع بن هرم فلما علموا بمكان صالح أتوا أبا هـدب فكلموه فقال لهـم عندى
صالح وليس لكم اليـه سبيل فأعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنـه ما أنزل الله بهم من عذابه فجعـل
بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم حين أصبحوا من يوم الخميس وذلك أن وجوههم أصبحت
مصفرة ثم أصبحوا يوم الجمعـة ووجوههم محمرة ثم أصبحوا يوم السبت ووجوههم مسودة حتى اذا
كان ليلة الاحد خرج صالح من بين أظهرهم ومن أسـلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين وتخلف
رجـل من أصحابه يقال له ميدع بن هرم فنزل قرح وهى وادى القرى وبين القرح وبين الحجر ثمانية
عشر ميلا فنزل على سيدهم رجـل يقال له عمرو بن غنم وقد كان أكل من لحم الناقة ولم يشترك

(١) وقع فى هـذه القصة أسماء لم نقف عليها بعد البحث فلتحرر

الذكور وكانت كافرة موالية لاهل سدوم روى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال (وأمطرنا عليهم مطرا) أى أرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينـة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهـم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل أمطر عليهم ثم خسف بهـم وروى أن تاجرا منهم كان فى الحرم

في قتلها فقال له مبدع بن هرم يا عمرو بن غنم اخرج من هذا البلد فان صالحا قال من أقام فيه هلك ومن خرج منه نجا فقال عمرو ما شركت في عقرها وما رضيت ما صنع بها فلما كانت صبيحة الاحد أخذتهم الصيحة فلم يبق منهم صغير ولا كبير الا هلك الا جارية مقعدة يقال لها الذريعة وهي كلبة ابنة السلق كانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعدما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع ما يرى شئ قط حتى أتت حيا من الأحياء فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود منه ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال قال معمر أخبرني من سمع الحسن يقول لما عقرت ثمود الناقة ذهب فصيلها حتى صعد تلا فقال يارب أين أمي ثم رغا رغوة فنزلت الصيحة فأخذتهم حدثني محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن بنحوه الا انه قال أصعد تلا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة تمتعوا ثلاثة أيام وقال لهم آية هلاككم أن تصبح وجوهكم مصفرة ثم تصبح اليوم الثاني محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة فأصبحت كذلك فلما كان اليوم الثالث وأيقنوا بالهلاك تكفنوا وتحنطوا ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم قال قتادة قال عاقر الناقة لهم لا أقتلها حتى ترضوا أجمعين فجعلوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون أترضين فتقول نعم والصبي حتى رضوا أجمعين فعقروها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فأخذتهم الصيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم الا رجلا واحدا كان في حرم الله قيل من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه * قال عبد الرزاق قال معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر أبي رغال فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا قبر أبي رغال قالوا فمن أبو رغال قال رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم فبحثوا عليه فاستخرجوا الغصن * قال عبد الرزاق قال معمر قال الزهري أبو رغال أبو ثقيف حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن جابر قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر ثم ذكر نحوه الا انه قال في حديثه قالوا ومن هو يارسول الله قال أبو رغال حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة قال كان يقال ان أحمر ثمود الذي عقر الناقة كان ولد زنية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق قال قال أبو موسى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر وأخبرني اسمعيل بن أمية بنحو هذا يعني بنحو حديث عبد الله بن عثمان بن خثيم عن جابر قال ومر النبي صلى الله عليه وسلم بقبر أبي رغال قالوا ومن أبو رغال قال أبو ثقيف كان في الحرم لما أهلك الله قومه منعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب قال فابتدره القوم يبحثون عنه حتى استخرجوا ذلك الغصن * وقال الحسن كان للناقة يوم ولهم يوم فأضر بهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي

فوقف له الحجر أربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه (فانظر) يا محمد أو كل من له أهلية النظر والاعتبار (كيف كان عاقبة المجرمين) وهذه الأمة وان أمنت من عذاب الاستئصال الا أن الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي أن ينفك عنه على أن عذاب الآخرة أشد وأبقى ولم يأمنوه بعد ۞ مسائل الاولى مذهب الشافعي أن اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة

أصابهم ثم قال هذا وادى النفر ثم رفع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادى وأما قوله ولا تمسوها بسوء فانه يقول ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر فيأخذكم عذاب أليم يعنى موجع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل صالح لقومه واعظا لهم واذكروا أيها القوم نعمة الله عليكم اذ جعلكم خلفاء يقول تخلفون عادا فى الارض بعد هلاكها وخلفاء جمع خليفة وانما جمع خليفة خلفاء وفعلاء انما هى جمع فعيل كما الشركاء جمع شريك والعلماء جمع عليم والحلماء جمع حليم لانه ذهب بالخليفة الى الرجل فكأن واحدهم خليف ثم جمع خلفاء فأما لو جمعت الخليفة على أنها نظيرة كريمة وحليلة ورغيبة قيل خلائف كما يقال كرائم وحلائل ورغائب اذ كانت من صفات الاناث وانما جمعت الخليفة على الوجهين الذين جاء بهما القرآن لانها جمعت مرة على لفظها ومرة على معناها وأما قوله وبوأكم فى الارض فانه يقول وأنزلكم فى الارض وجعل لكم فيها مساكن وأزواجا تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ذكر أنهم كانوا ينقبون الصخر مساكن كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتنحتون الجبال بيوتا كانوا ينقبون فى الجبال البيوت وقوله فاذكروا آلاء الله يقول فاذكروا نعمة الله التى أنعم بها عليكم ولا تعثوا فى الارض مفسدين وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تعثوا فى الارض مفسدين يقول لا تسيروا فى الارض مفسدين وقد بينت معنى ذلك بشواهده واختلاف المختلفين فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله قال الملأ الذين استكبروا من قومه قال الجماعة الذين استكبروا من قوم صالح عن اتباع صالح والايمان بالله وبه للذين استضعفوا يعنى لاهل المسكنة من تباع صالح والمؤمنين به منهم دون ذوى شرفهم وأهل السؤدد منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه أرسله الله الينا واليكم قال الذين آمنوا بصالح من المستضعفين منهم انا بما أرسل الله به صالحا من الحق والهدى مؤمنون يقول مصدقون مقرون أنه من عند الله وأن الله أمر به وعن أمر الله دعانا صالح اليه قال الذين استكبروا عن أمر الله وأمر رسوله صالح انا أيها القوم بالذى آمنتم به يقول صدقتم به من نبوة صالح وأن الذى جاء به حق من عند الله كافرون يقول جاحدون منكرون لا نصدق به ولا نقر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره فعقرت ثمود الناقة التى جعلها الله لهم آية وعتوا عن أمر ربهم يقول تكبروا وتجبروا عن اتباع الله واستعلوا عن الحق كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعتوا علوا عن الحق لا يبصرونه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد عتوا عن أمر ربهم علوا فى الباطل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله فعتوا عن أمر ربهم قال عتوا فى الباطل وتركوا الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وعتوا عن أمر ربهم قال علوا فى الباطل وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا فى تجبره وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا

لوط فالأصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يظهر نسخ فى شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالآية دلت على أن هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص وقال أبو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول ففى عقوبة الفاعل قولان أحدهما أن عقوبته القتل محصنا كان أو لم يكن لما روى

يقول قالوا جئتنا يا صالح بما تعدنا من عذاب الله ونقمته استعجالا منهم للعذاب ان كنت من المرسلين يقول ان كنت لله رسولا الينا فان الله ينصر رسله على أعدائه فعجل ذلك لهم كما استعجلوه يقول جل ثناؤه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ يقول تعالى ذكره فأخذت الذين عقروا الناقة من ثمود الرجفة وهي الصيحة والرجفة الفعلة من قول القائل رجف بفلان كذا يرجف رجفا وذلك اذا حركه وزعزعه كما قال الأخطل

إما تريني حناني الشيب من كبر * كالنسر أرجف والانسان مهدود

وانما عنى بالرجفة ههنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك لان ثمود هلكت بالصيحة فيما ذكر أهل العلم وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الرجفة قال الصيحة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فأخذتهم الرجفة وهي الصيحة حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فأخذتهم الرجفة قال الصيحة وقوله فأصبحوا في دارهم جاثمين يقول فأصبح الذين أهلك الله من ثمود في دارهم يعني في أرضهم التي هلكوا فيها وبلدتهم ولذلك وحد الدار ولم يجمعها فيقول في دورهم وقد يجوز أن يكون أريد بها الدور ولكن وجه بالواحدة الى الجمع كما قيل والعصر ان الانسان لفي خسر وقوله جاثمين يعني سقوطا صرعى لا يتحركون لانهم لا أرواح فيهم قد هلكوا والعرب تقول للبارك على الركبة جاثم ومنه قول جرير

عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدإ الجثوم

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأصبحوا في دارهم جاثمين قال ميتين ﴿ القول في تأويل قوله ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾ يقول تعالى ذكره فأدبر صالح عنهم حين استعجلوا العذاب وعقروا ناقة الله خارجا عن أرضهم من بين أظهرهم لان الله تعالى ذكره أوحى اليه اني مهلكهم بعد ثلاثة وقيل انه لم تهلك أمة ونبيها بين أظهرها فأخبر الله جل ثناؤه عن خروج صالح من بين قومه الذين عتوا على ربهم حين أراد الله احلال عقوبته بهم فقال فتولى عنهم صالح وقال لقومه ثمود لقد أبلغتكم رسالة ربي وأديت اليكم ما أمرني باداته اليكم ربي من أمره ونهيه ونصحت لكم في أدائي رسالة الله اليكم في تحذيركم بأسه باقامتكم على كفركم به وعبادتكم الاوثان ولكن لا تحبون الناصحين لكم في الله الناهين لكم عن اتباع أهوائكم الصادين لكم عن شهوات أنفسكم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا لوطا ولو قيل معناه واذكر لوطا يا محمد اذ قال لقومه اذ لم يكن في الكلام صلة الرسالة كما كان في ذكر عاد وثمود كان مذهبا وقوله اذ قال لقومه يقول حين قال لقومه من سدوم واليهم كان أرسل لوط أتأتون الفاحشة وكانت فاحشتهم التي كانوا يأتونها التي عاقبهم الله عليها اتيان الذكور ما سبقكم بها من أحد من العالمين يقول ما سبقكم بفعل هذه الفاحشة أحد من العالمين وذلك كالذي حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسمعيل بن علية عن ابن أبي نجيح عن عمرو بن دينار قوله ما سبقكم

انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه الفاعل والمفعول وأصحهما أن حده حد الزنا فيرجم ان كان محصنا ويجلد ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطء ويختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه أحدها يقتل بالسيف كالمرتد والثاني وبه قال مالك وأحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي عليه السلام أيضا والثالث يهدم عليه جدار أو يرمى من شاهق جبل ليموت أخذا من عذاب قوم لوط وأما المفعول فان

بهامن أحد من العالمين قال مار وى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط ۞ القول فى تأويل قوله (انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون) يخبر بذلك تعالى ذكره عن لوط أنه قال لقومه توبيخا منه لهم على فعلهم انكم أيها القوم لتأتون الرجال فى أدبارهم شهوة منكم لذلك من دون الذى أباحه الله لكم وأحله من النساء بل أنتم قوم مسرفون يقول انكم لقوم تأتون ما حرم الله عليكم وتعصونه بفعلكم هذا وذلك هو الاسراف فى هذا الموضع والشهوة الفعلة وهى مصدر من قول القائل شهيت هذا الشئ أشهاه شهوة ومن ذلك قول الشاعر

وأشعث يشهى النوم قلت له ارتحل * اذا ما النجوم أعرضت واسبطرت

فقام يجر البرد لو أن نفسه * يقال له خذها بكفيك جرت

۞ القول فى تأويل قوله (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم انهم أناس يتطهرون) يقول تعالى ذكره وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث الا أن قال بعضهم لبعض أخرجوا لوطا وأهله ولذلك قيل أخرجوهم فجمع وقد جرى قبل ذكر لوط وحده دون غيره وقد يحتمل أن يكون انما جمع بمعنى أخرجوا لوطا ومن كان على دينه من قريتكم فاكتفى بذكر لوط فى أول الكلام عن ذكر أتباعه ثم جمع فى آخر الكلام كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وقد بينا نظائر ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع انهم أناس يتطهرون يقول ان لوطا ومن تبعه أناس يتنزهون عما نفعله نحن من اتيان الرجال فى الادبار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانى بن سعيد النخعى عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن مجاهد انهم أناس يتطهرون من أدبار الرجال وأدبار النساء حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن الحجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله انهم أناس يتطهرون قال يتطهرون من أدبار الرجال والنساء حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الحسن بن عمارة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله انهم أناس يتطهرون قال من أدبار الرجال ومن أدبار النساء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انهم أناس يتطهرون قال يتحرجون حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انهم أناس يتطهرون يقول عابوهم بغير عيب وذموهم بغير ذم ۞ القول فى تأويل قوله (فأنجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين) يقول تعالى ذكره فلما أبى قوم لوط مع توبيخ لوط اياهم على ما يأتون من الفاحشة وابلاغه اياهم رسالة ربه بتحريم ذلك عليهم الا التمادى فى غيهم أنجينا لوطا وأهله المؤمنين به الا امرأته فانها كانت للوط خائنة وبالله كافرة وقوله من الغابرين يقول من الباقين وقيل من الغابرين ولم يقل الغابرات لانه يريد أنها ممن بقى مع الرجال فلما ضم ذكرها الى ذكر الرجال قيل من الغابرين والفعل منه غبر يغبر غبورا وغبرا وذلك اذا بقى كما قال الأعشى

عض بما أبقى المواسى له * من أمه فى الزمن الغابر

(وكما قال الآخر)

وأبى الذى فتح البلاد بسيفه * فأذلها لبنى أبان الغابر

يعنى الباقى فان قال قائل فكانت امرأة لوط ممن نجا من الهلاك الذى هلك به قوم لوط قيل لا بل

كان صغيرا أو مجنونا أو مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنا فيجلد ويغرب محصنا كان أو لم يكن وان أتى امرأة فى دبرها ولا ملك ولا نكاح فالأظهر أنه لواط لانه اتيان فى غير المأتى ويجىء فى الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنا لانه وطء أنثى فأشبه الوطء فى القبل فعلى هذا حده حد الزنا بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت

كانت فيمن هلك فان قال فكيف قيل الامرأته كانت من الغابرين وقد قلت ان معنى الغابر الباقى فقد وجب أن تكون قد بقيت قيل ان معنى ذلك غير الذى ذهبت اليه وانما عنى بذلك الامرأته كانت من الباقين قبل الهلاك والمعمرين الذين قد أتى عليهم دهر كبير ومر بهم زمن كثير حتى هرمت فيمن هرم من الناس فكانت ممن غبر الدهر الطويل قبل هلاك القوم فهلكت مع من هلك من قوم لوط حين جاءهم العذاب وقيل معنى ذلك من الباقين فى عذاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الاعجوزا فى الغابرين فى عذاب الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وأمطرنا على قوم لوط الذين كذبوا لوطا ولم يؤمنوا به مطرا من حجارة من سجيل أهلكناهم به فانظر كيف كان عاقبة المجرمين يقول جل ثناؤه فانظر يا محمد الى عاقبة هؤلاء الذين كذبوا الله ورسوله من قوم لوط فاجترموا معاصى الله وركبوا الفواحش واستحلوا ما حرم الله من أدبار الرجال كيف كانت والى أى شئ صارت هل كانت الا البوار والهلاك فان ذلك أو نظيره من العقوبة عاقبة من كذبك واستكبر عن الايمان بالله وتصديقك ان لم يتوبوا من قومك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وأرسلنا الى ولد مدين ومدين هم ولد مدين بن ابراهيم خليل الرحمن فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فان كان الامر كما قال فمدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن اسحق أن شعيبا الذى ذكر الله أنه أرسله اليهم من ولد مدين هذا وانه شعيب بن ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية بثرون فتأويل الكلام على ما قاله ابن اسحق ولقد أرسلنا الى ولد مدين أخاهم شعيب بن ميكيل يدعوهم الى طاعة الله والانتهاء الى أمره وترك السعى فى الارض بالفساد والصد عن سبيله فقال لهم شعيب ياقوم اعبدوا الله وحده لاشريك له مالكم من اله يستوجب عليكم العبادة غير الاله الذى خلقكم وبيده نفعكم وضركم قد جاءتكم بينة من ربكم يقول قد جاءتكم علامة وحجة من الله بحقيقة ما أقول وصدق ما أدعوكم اليه فأوفوا الكيل والميزان يقول أتموا للناس حقوقهم بالكيل الذى تكيلون به وبالوزن الذى تزنون به ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول ولا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها ومن ذلك قولهم تحسبها حمقاء وهى باخسة بمعنى ظالمة ومنه قول الله وشروه بثمن بخس يعنى به ردىء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقول لا تظلموا الناس أشياءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبخسوا الناس أشياءهم قال لا تظلموا الناس أشياءهم وقوله ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها يقول ولا تعملوا فى أرض الله بمعاصيه وما كنتم تعملونه قبل أن يبعث الله اليكم نبيه من عبادة غير الله والاشراك به وبخس الناس فى الكيل والوزن بعد اصلاحها يقول بعد أن قد أصلح الله الأرض بابتعاث النبى عليه السلام فيكم ينهاكم عما لا يحل لكم وما يكرهه الله لكم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى ذكرت لكم وأمرتكم به من اخلاص العبادة لله وحده لاشريك له وايفاء الناس حقوقهم من الكيل والوزن وترك الفساد فى الأرض خير لكم فى عاجل دنياكم وآجل آخرتكم عند الله يوم القيامة ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى فيما أقول لكم وأؤدى اليكم عن الله من أمره ونهيه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تقعدوا بكل صراط

توعدون

محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبى على الاصح ولو أتى امرأته أو جاريته فى الدبر فالاصح القطع بمنع الحد لانها محل استمتاعه بالجملة ۞ التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص أن يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بسقب سر السر وهو الخفى وناقة الله هى التى تحمل أمانة معرفته وتعطى ساكنى بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها ترتع فى رياض القدس وحياض الانس ولا تمسوها بسوء مخالفات الشريعة ومعارضات

توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعنى بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تجلسوا بكل طريق وهو الصراط توعدون المؤمنين بالقتل وكانوا فيما ذكر يقعدون على طريق من قصد شعيبا وأراده ليؤمن به فيتوعدونه ويخوفونه ويقولون انه كذاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بكل صراط توعدون قال كانوا يوعدون من أتى شعيبا وغشيه فأراد الاسلام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون والصراط الطريق يخوفون الناس أن يأتوا شعيبا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله قال كانوا يجلسون فى الطريق فيخبرون من أتى عليهم أن شعيبا عليه السلام كذاب فلا يفتنكم عن دينكم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى بكل صراط توعدون كل سبيل حق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن قيس عن السدى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون قال العشارون حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج قال ثنا أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة أو غيره شك أبو جعفر الرازى قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شئ الا خرقته قال ما هذا يا جبريل قال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون وهذا الخبر الذى ذكرناه عن أبى هريرة يدل على أن معناه كان عند أبى هريرة أن نبى الله شعيبا انما نهى قومه بقوله ولا تقعدوا بكل صراط توعدون عن قطع الطريق وأنهم كانوا قطاع الطريق وقيل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولو قيل فى غير القرآن لا تقعدوا فى كل صراط كان جائزا فصيحا فى الكلام وانما جاز ذلك لان الطريق ليس بالمكان المعلوم فجاز ذلك كما جاز أن يقال قعدله بمكان كذا وعلى مكان كذا وفى مكان كذا وقال توعدون ولم يقل تعدون لان العرب كذلك تفعل فيما أبهمت ولم تفصح به من الوعيد تقول أوعدته بالالف وتقدم منى اليه وعيد فاذا بينت عما أوعدت وأفصحت به قالت وعدته خيرا ووعدته شرا بغير ألف كما قال جل ثناؤه النار وعدها الله الذين كفروا وأما قوله وتصدون عن سبيل الله من آمن به فانه يقول وتردون عن طريق الله وهو الرد عن الايمان بالله والعمل بطاعته من آمن به يقول تردون عن طريق الله من صدق بالله ووحده وتبغونها عوجا يقول وتلتمسون لمن سلك سبيل الله وآمن به وعمل بطاعته عوجا عن القصد والحق الى الزيغ والضلال كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتصدون عن سبيل الله قال أهلها وتبغونها عوجا تلتمسون لها الزيغ حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وتبغونها عوجا قال تبغون السبيل عن الحق عوجا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وتصدون عن سبيل الله عن الاسلام

الطريقة فيأخذكم عذاب أليم بالانقطاع عن مواصلات الحقيقة اذ جعلكم خلفاء مستعدين للخلافة وبوأكم فى أرض القلوب تتخذون من سهولها وهى المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا فى الجنان وتنحتون من جبال أطوار القلب بيوتا هى مقامات السائرين الى الله فاذكروا آلاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثانى يوجب تلويح السر فالترويح بوجود المسار والتلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا فى الارض القلب

تبغونها عوجا يقول وتبغون السبيل عوجا أهلا كما يقول...

تدعون السبيل عوجا لا كا وقوله واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يذكرهم شعيب نعمة الله عندهم بأن كثر جماعتهم بعد أن كانوا قليلا عددهم وأن رفعهم من الذلة والخساسة يقول لهم فاشكروا الله الذى أنعم عليكم بذلك وأخلصوا له العبادة واتقوا عقوبته بالطاعة واحذروا نقمته بترك المعصية وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين يقول وانظروا ما نزل بمن كان قبلكم من الأمم حين عتوا على ربهم وعصوا رسله من المثلات والنقمات وكيف وجدوا عقبى عصيانهم اياه ألم يهلك بعضهم غرقا بالطوفان وبعضهم رجما بالحجارة وبعضهم بالصيحة والافساد فى هذا الموضع معناه معصية الله

ﻗ القول فى تأويل قوله ﴿وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره وان كان طائفة منكم وان كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا يقول صدقوا بالذى أرسلت به من اخلاص العبادة لله وترك معاصيه وظلم الناس وبخسهم فى المكاييل والموازين فاتبعونى على ذلك وطائفة لم يؤمنوا يقول وجماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه فاصبروا حتى يحكم الله بيننا يقول فاحتبسوا على قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين يقول والله خير من يفصل وأعدل من يقضى لانه لا يقع فى حكمه ميل الى أحد ولا محاباة لأحد والله أعلم

بالفساد للاستعداد الفطرى الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا من أوصاف القلب والروح أتعلمون أن صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القلب وساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا أى النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فأخذتهم رجفة الموت فأصبحوا فى دارقالبهم جاثمين والله العزيز

﴿تم الجزء الثامن من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء التاسع أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه﴾

تم الجزء الثامن من تفسير النيسابورى ويليه الجزء التاسع وأوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات

* (فهرست الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى) *

صحيفة

٣ ذكر من أرسل اليهم شعيب عليه السلام والعذاب الذى عذبوا به

١٠ ذكر طرف من أمر فرعون حين أرسل اليه موسى عليه السلام وألقى عصاه

١٣ ذكر ما فعله فرعون من تعليم طائفة السحر ليناظروا موسى

١٩ ذكر ما قالته بنو اسرائيل لموسى حين أدركهم فرعون

٢١ ذكر ما أرسل على فرعون وقومه من الآيات وما عذبوا به

٣٠ بيان أن بنى اسرائيل لم تملك مصر بعد فرعون وأن مشارق الارض ومغاربها التى ملكتها هى الشأم

٣١ بيان أن بنى اسرائيل حين خرجوا من البحر مروا على قوم لهم تماثيل بقر يعبدونها فتمنوا أن يكون لهم منها ما يعبد

٣٢ ذكر خروج موسى الى مناجاة ربه بعد غرق فرعون

٣٤ ذكر السبب فى سؤال موسى رؤية الله

٣٤ ذكر طرف مما يقوله أهل الكتاب فى قصة موسى عند طلب الرؤية

٣٦ ذكر ما تم للجبل حين التجلى

٤٠ ذكر ما قاله موسى لآدم وما قاله آدم له

٤٣ ذكر ما فعلته بنو اسرائيل من اتخاذ العجل بعد مفارقة موسى لهم

٤٥ ذكر طرف مما كان فى ألواح موسى من صفات هذه الامة

٤٦ بيان ما قيل فى من أى شئ كانت الالواح

٤٨ بيان ما يجب تعميمه من آى الكتاب

صحيفة

٥٠ ذكر خبر خروج موسى للميقات واختياره السبعين من قومه

٥٦ بيان ما أخبر الله أن يجعله لبنى اسرائيل فاختار واغيره فجعله لهذه الامة

٦١ ذكر القرية التى مسخ أهلها بعدوانهم فى السبت وسوق قصتهم

٧٠ ذكر ما وعدت به اليهود من الذلة والصغار الى يوم القيامة

٧٢ ذكر ما كانت عليه اليهود من أخذهم الرشا وحكمهم بغير الحق

٧٤ ذكر ما فعلته بنو اسرائيل مع موسى حتى رفع فوقهم الجبل

٧٥ ذكر اخراج ذرية آدم من ظهره

٨٢ ذكر قصة الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها

٩٠ ذكر صفة من خلقه للنار

٩٨ ذكر قصة ابليس مع حواء فى أول حملها

١٠٤ بيان الاخلاق التى أمر النبى أن يأخذ بها

١٠٦ بيان ما عليه أهل التقوى من تذكرهم عقاب الله عندما يطرأ لهم طيف من غضب أو غيره

١١٠ بيان الحال التى يجب الانصات فيها لقراءة القرآن وذكر الخلاف فيها

١١٤ * (تفسير سورة الانفال) *

١١٤ بيان الصواب فى معنى الانفال وبيان ما كان لهم من الاختلاف فى أمر الغنائم يوم بدر وكيف قسمها رسول الله لها

١٢٧ ذكر غزوة بدر وما تم فيها من امداد الملائكة

١٣٣ بيان ما يجب على المحارب من المصابرة وما يجوز له الفرار

١٣٥ بيان معجزة الرمى الذى فعله النبى فى بدر

صحيفة		صحيفة	
١٤٦	بيان ما فعله بعض المنافقين فى مكاتبة المشركين حتى نزل يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الآية	١٥٢	ذكر ما كان يدعو به المشركون
		١٥٤	ذكر فوائد الاستغفار
١٤٩	ذكر ما اتفق عليه المشركون فى دار الندوة من أذية رسول الله أو قتله	١٥٧	ذكر ما كان تفعله المشركون فى صلاتهم

(تم فهرست الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

(فهرست الجزء التاسع من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء التاسع من تفسير ابن جرير)

صحيفة	
٢	تفسير قوله والى مدين أخاهم شعيبا الآيات وبيان ما فيها من القراآت والوقوف
٣	بيان أن الانبياء يبدؤن قومهم في الموعظة بصدهم عما كانوا مقبلين عليه
٩	تأويل تلك الآيات
١٠	تفسير قوله وما أرسلنا في قرية الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٤	تأويل تلك الآيات
١٤	تفسير قوله ثم بعثنا من بعدهم موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٧	ذكر صفة الثعبان الذي تبدلت به العصا وما تم لفرعون عند رؤيته
٢٣	بيان الخلاف في أن فرعون فعل بالسحرة ما هم به أم لا
٢٤	تأويل تلك الآيات
٢٦	تفسير قوله وقال الملا الآيات وبيان القراآت والوقوف
٢٨	ذكر ما حصل بين عمرو بن عبيد والمنصور العباسي
٣٠	ذكر ما حصل لقوم فرعون حين دعا عليهم موسى
٣٣	ذكر ما فعلته بنو اسرائيل بعد ما جاوزوا البحر
٣٤	تأويل تلك الآيات
٣٥	تفسير قوله وواعدنا موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
٣٨	بيان المذاهب في كلام الله
٤٠	بيان ما استدل به الاشاعرة والمعتزلة على عدم الرؤية وجوازها
٤٤	ذكر قصة العجل الذي اتخذه السامري لبني اسرائيل وبيان الخلاف في الخوار
٤٩	تأويل تلك الآيات
٥١	تفسير قوله واختار موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف
٥٩	بيان الاوصاف التسعة التي وصف بها النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الآيات
٦٠	بيان ما ذكره جماعة من المفسرين من أن طائفة من بني اسرائيل دخلوا في نفق في الارض حتى خرجوا وراء الصين
٦٠	تأويل تلك الآيات
٦٣	تفسير قوله وقطعناهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٦٧	بيان أن أهل القرية الممسوخ أهلها كانوا ثلاث فرق أو اثنتين
٧٠	تأويل تلك الآيات
٧١	تفسير قوله واذ أخذ ربك الآيات وبيان القراآت والوقوف
٧٦	ذكر قصة بلعم بن باعوراء
٧٩	بيان ما تمسكت به الاشاعرة على أن الهداية والضلال بخلق الله وما أولت به المعتزلة الآية وما رد عليهم به
٨٥	تأويل تلك الآيات
٨٦	تفسير قوله أولم يتفكروا ما بصاحبهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
٩٣	ذكر ما وقع لآدم مع ابليس حين حملت زوجته
٩٧	تأويل تلك الآيات
٩٨	تفسير قوله خذ العفو الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٠٠	بيان أن الغضب متى يهيج وانه كيف تخف وطأته على الانسان
١٠٢	بيان الخلاف في الانصات للقرآن متى يجب
١٠٥	تأويل تلك الآيات
١٠٦	*(تفسير سورة الانفال)*
١١٠	بيان الخلاف في أن الانسان يجوز له أن يقول أنا مؤمن ان شاء الله أم لا
١١٢	ذكر قصة بدر
١١٧	بيان الاختلاف في قتال الملائكة يوم بدر

صحيفة	
١١٨	تأويل تلك الآيات
١٢٢	تفسير قوله اذ يغشيكم النعاس الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٣٠	بيان الرمى الذى رماه صلى الله عليه وسلم وهل هو فى بدر أو غيرها
١٣٣	تأويل تلك الآيات
١٣٦	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وبيان القراآت والوقوف

صحيفة	
١٣٩	بيان أن الانسان يلزمه اجابة الرسول ولو فى الصلاة
١٤٣	بيان ما وقع فى أهل الجمل من الآيات
١٤٤	بيان حصار يهود بنى قريظة
١٥٠	تأويل تلك الآيات
١٥٢	تفسير قوله واذا تتلى عليهم الآيات وبيان القراآت والوقوف
١٥٨	بيان المطعمين يوم بدر من كفار قريش

(تم فهرست الجزء التاسع من النيسابورى)

الجـــزء التــاسع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٧ هجريه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودنّ فى ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾ يقول تعالى ذكره قال الملأ الذين استكبروا يعنى بالملأ الجماعة من الرجال و يعنى بالذين استكبروا الذين تكبروا عن الايمان بالله والانتهاء الى أمره واتباع رسوله شعيب لما حذرهم شعيب بأس الله على خلافهم أمر ربهم وكفرهم به لنخرجنك ياشعيب ومن تبعك وصدقك وآمن بك وبما جئت به معك من قريتنا أولتعودنّ فى ملتنا يقول لترجعن أنت وهم فى ديننا وما نحن عليه قال شعيب مجيبا لهم أولو كنا كارهين ومعنى الكلام أن شعيبا قال لقومه أتخرجوننا من قريتكم وتصدّوننا عن سبيل الله ولو كنا كارهين لذلك ثم أدخلت ألف الاستفهام على واو ولو القول فى تأويل قوله ﴿قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ يقول جل ثناؤه قال شعيب لقومه اذ دعوه الى العود الى ملتهم والدخول فيها وتوعدوه بطرده ومن تبعه من قريتهم ان لم يفعل ذلك هو وهم قد افترينا على الله كذبا يقول قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن عدنا فى ملتكم فرجعنا فيها بعد اذ أنقذنا الله منها بأن بصرنا خطأها وصواب الهدى الذى نحن عليه وما يكون لنا أن نرجع فيها فندين بها ونترك الحق الذى نحن عليه الا أن يشاء الله ربنا الا أن يكون سبق لنا فى علم الله أنا نعود فيها فيمضى فينا حينئذ قضاء الله فينفذ مشيئته علينا وسع ربنا كل شئ علما يقول فان علم ربنا وسع كل شئ فأحاط به فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فان يكن سبق لنا فى علمه أنا نعود فى ملتكم فلا يخفى عليه شئ كان ولا شئ هو كائن فلا بد من أن يكون

ماقد

﴿والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أولتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ القراءة كما مر

* الوقوف شعيبا ط غيره ط اصلاحها ط مؤمنين ج لعطف المتفقتين أو وقوع العارض أو رأس الآية عوجا ج لاتفاق الجملتين

مع طول الكلام فكثركم ج لعطف المتفقتين المفسدين ه بيننا ج لاحتمال الواو الحال والاستئناف الحاكمين ه ملتنا ط كارهين ه وقيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان أقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منها ط الله ط ربنا ط علما ط توكلنا ز للعدول الفاتحين ه لخاسرون ه (٣) جاثمين ه ج ان وصل وقف على كان لم يغنوا فيها على جعل الذين بدلا من الضمير فى أصبحوا وكأن لم يغنوا حال لمعنى الفعل فى الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا من الذين الاول وقف على شعيب ويستأنف بكانوا ولا يخلو من تعسف الخاسرين ه ونصحت لكم ط لان كيف التعجب فيصلح للابتداء مع أن فيه فاء التعقيب كافرين ه والله أعلم ﴿التفسير﴾ القصة السادسة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن توبب بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه أمرهم باشياء الاول عبادة الله أمرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا أصل معتبر فى شرائع جميع الانبياء الثانى تصديق ما ادعاه من النبوة وأشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة أى معجزة دالة على نبوتى ففى الآية دلالة مجملة على أن لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغى لكل مدعى نبوة والا كان متنبئا غير أن معجزته لم تذكر فى القرآن كما لم يذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه يحكى أنه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا زربت التنين وأيضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد أولادا عنقها أسود وسائرها أبيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما أخبر وكل ذلك قبل أن يستنبأ موسى فقال أهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى ويسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على أن الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فأوفوا الكيل الآية واعلم أن للانبياء عليهم السلام أن يبدؤا فى الموعظة بما يكون قومهم مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف فكأنه يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشئ القليل وهو أمر

ما قد سبق فى علمه والا فانا غير عائدين فى ملتكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شئ علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول ما ينبغى لنا أن نعود فى شرككم بعد اذ نجانا الله منها الا أن يشاء الله ربنا فالله لا يشاء الشرك ولكن يقول الا أن يكون الله قد علم شيأ فانه وسع كل شئ علما وقوله على الله توكلنا يقول على الله نعتمد فى أمورنا واليه نستند فيما تعدوننا به من شركم أيها القوم فانه الكافى من توكل عليه ثم فزع صلوات الله عليه الى ربه بالدعاء على قومه اذ أيس من فلاحهم وانقطع رجاؤه من اذعانهم لله بالطاعة والاقرار له بالرسالة وخاف على نفسه وعلى من اتبعه من مؤمنى قومه من فسقتهم العطب والهلكة بتعجيل النقمة فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذى لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ولكنه عدل وحق وأنت خير الفاتحين يعنى خير الحاكمين ذكر الفراء أن أهل عمان يسمون القاضى الفاتح والفتاح وذكر غيره من أهل العلم بكلام العرب أنه من لغة مراد وأنشد لبعضهم بيتا وهو (١) ألا أبلغ بنى عصم رسولا * فانى عن فتاحتكم غنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك يعنى أقاضيك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق يقول اقض بيننا وبين قومنا حدثنى المثنى قال ثنا أبو دكين قال ثنا مسعر قال سمعت قتادة يقول قال ابن عباس ما كنت أدرى ما قوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول تعال أفاتحك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله افتح بيننا وبين قومنا بالحق أى اقض بيننا وبين قومنا بالحق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة افتح بيننا وبين قومنا بالحق اقض بيننا وبين قومنا بالحق حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله افتح بيننا فيقول احكم بيننا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال الحسن البصرى افتح احكم بيننا وبين قومنا وانا افتحنا لك فتحا مبينا حكمنا لك حكما مبينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس افتح اقض حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير قال ثنا مسعر عن قتادة عن ابن عباس قال لم أكن أدرى ما افتح بيننا وبين قومنا بالحق حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها انطلق أفاتحك ❊ القول فى تأويل قوله ﴿وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره وقالت الجماعة من كفرة رجال قوم شعيب وهم الملأ الذين جحدوا آيات الله وكذبوا رسوله وتمادوا

(١) الذى فى اللسان * ألا من مبلغ عمرا رسولا * الخ قال والبيت للاشعر الجعفى اه مصححه

في غيهم لآخرين منهم لئن أنتم اتبعتم شعيبا على ما يقول وأجبتموه الى ما يدعوكم اليه من توحيد الله والانتهاء الى أمره ونهيه وأقررتم بنبوته انكم اذا لخاسرون يقول لمغبونون في فعلكم وترككم ملتكم التي أنتم عليها مقيمون الى دينه الذي يدعوكم اليه وهالكون بذلك من فعلكم ﴿القول في تأويل قوله (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين) يقول فأخذت الذين كفروا من قوم شعيب الرجفة وقد بينت معنى الرجفة قبل وأنها الزلزلة المحركة لعذاب الله فأصبحوا في دارهم جاثمين على ركبهم موتى هلكى وكانت صفة العذاب الذي أهلكهم الله به كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والى مدين أخاهم شعيبا قال ان الله بعث شعيبا الى مدين والى أصحاب الايكة والايكة هي الغيضة من الشجر وكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والميزان فدعاهم فكذبوه فقال لهم ما ذكر الله في القرآن وما ردوا عليه فلما عتوا وكذبوه سألوه العذاب ففتح الله عليهم بابا من أبواب جهنم فأهلكهم الحر منه فلم ينفعهم ظل ولا ماء ثم انه بعث سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها فتنادوا الظلة عليكم بها فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم انطبقت عليهم فأهلكتهم فهو قوله فأخذهم عذاب يوم الظلة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن كانوا أهل بخس للناس في مكاييلهم وموازينهم مع كفرهم بالله وتكذيبهم نبيهم وكان يدعوهم الى الله وعبادته وترك ظلم الناس وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم فقال نصحا لهم وكان صادقا وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي يعقوب ابن أبي سلمة اذا ذكر شعيبا قال ذاك خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به فلما كذبوه وتوعدوه بالرجم والنفي من بلادهم وعتوا على الله أخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم فبلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهاء لما رآها قال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم سميرا وعمران بن شداد
اني أرى غيمة يا قوم قد طلعت * تدعو بصوت على صمانة الوادي
وانكم ان تروا فيها ضحاة غد * ما فيها الا الرقيم يمشي بين أنجاد

وسمير وعمران كاهناهم والرقيم كلبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني أبو اسحق قال فبلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى أنضجهم ثم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه من الحر حتى اذا دخلوا تحتها أطبقت عليهم فهلكوا جميعا ونجى الله شعيبا والذين آمنوا معه برحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال حدثني أبو عبد الله البجلي قال أبو جاد وهوز وحطي وسعفص وقرشت أسماء ملوك مدين وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب كامون فقالت أخت كامون تبكيه

كامون هد ركني * هلكه وسط المحله
سيد القوم أتاه الـ * ـحتف نار وسط ظله
جعلت نار عليهم * دارهم كالمضمحله

﴿القول في تأويل قوله (الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين)

مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فأوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال أو سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به أو أريد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو الميزان مصدر (٤) كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه اذا انقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال ثعلب وان شئت قلت باخسة وذلك بتأويل الانسان أو النسمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص أولا ثم عمم ليشمل جميع أنواع الظلم كالغصب والسرقة وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال روي أنهم كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطعا ثم أخذوها بنقصان ظاهر وأعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا أعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة دنيوية أو دينية والمعنى بعد اصلاح أهلها على حذف المضاف أو هو كقوله بل مكر الليل والنهار أي بعد الاصلاح فيها يعني اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى أن حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما أجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط قيل الصراط حقيقة وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من آمن بشعيب ويقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم أو كانوا يقطعون الطرق أو كانوا عشارين وقيل انه مجاز عن الدين أي لا تقعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل أن تمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان قال لأقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا أي التصق به وعلى مكان كذا

الخاسرين﴾ يقول تعالى ذكره فأهلك الذين كذبوا شعيبا فلم يؤمنوا به فأبادهم فصارت قريتهم منهم خاوية خلاء كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم ينزلوا قط ولم يعيشوا بها حين هلكوا يقال غنى فلان بمكان كذا فهو يغنى به غنى وغنيا اذا نزل به وكان به كما قال الشاعر

ولقد يغنى بها جيرانك الـ * ـمتمسكو منك بعهد ووصال

وقال رؤبة * وعهد مغنى دمنة بضلفعا * انما هو مفعل من غنى وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة كأن لم يغنوا فيها كأن لم يعيشوا كأن لم ينعموا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس كأن لم يغنوا فيها يقول كأن لم يعيشوا فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأن لم يغنوا فيها كأن لم يكونوا فيها قط وقوله الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يقول تعالى ذكره لم يكن الذين اتبعوا شعيبا الخاسرين بل الذين كذبوه كانوا هم الخاسرين الهالكين لانه أخبر عنهم جل ثناؤه أن الذين كذبوا شعيبا قالوا للذين أرادوا اتباعه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فكذبهم الله بما أحل بهم من عاجل نكاله ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما خسر تباع شعيب بل كان الذين كذبوا شعيبا لما جاءت عقوبة الله هم الخاسرين دون الذين صدقوا وآمنوا به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين﴾ يقول تعالى ذكره فأدبر شعيب عنهم شاخصا من بين أظهرهم حين أتاهم عذاب الله وقال لما أيقن بنزول نقمة الله بقومه الذين كذبوه حزنا عليهم يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى وأديت اليكم ما بعثنى به اليكم من تحذيركم غضبه على اقامتكم على الكفر به وظلم الناس أشياءهم ونصحت لكم بأمرى اياكم بطاعة الله ونهيكم عن معصيته فكيف آسى يقول فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وأتوجع لهلاكهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله فكيف آسى يعنى فكيف أحزن حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فكيف آسى يقول فكيف أحزن حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أصاب شعيبا على قومه حزن لما يرى بهم من نقمة الله ثم قال يعزى نفسه فيما ذكر الله عنه يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبى الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم معرفه سنته فى الامم التى قد خلت من قبل أمته ومذكر من كفر به من قريش لينزجروا عما كانوا عليه مقيمين من الشرك بالله والتكذيب لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وما أرسلنا فى قرية من نبى قبلك الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء وهو البؤس وشظف المعيشة وضيقها والضراء وهى الضر وسوء الحال فى أسباب دنياهم لعلهم يضرعون يقول فعلنا ذلك ليتضرعوا الى ربهم ويستكينوا اليه وينيبوا بالاقلاع عن كفرهم والتوبة من تكذيب أنبيائهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا

أى علا ذلك المكان وفيما اذا حل لحروف الجر تتعاقب فى مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال بأحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع أن صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معالم وحدود وأحكام كثيرة كل منها فى نفسه سبيل وكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فيها أوعدوه (ه) وصدوه والضمير فى به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة فى التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا أى تصفونها للناس بأنها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال فى الكشاف أو يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا تعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم أى وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة الغنى بعد الفقر وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا فى العدد والعدة والشدة ثم حذرهم سوء عاقبة من أفسد قبلهم من الامم وكانوا قريبى العهد مما أصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين رغبهم أولا ثم رهبهم ثانيا وأكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الآية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمؤمنين وحثاهم على الصبر على ما يلحقهم من أذى المشركين الى أن يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المحجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا أى أحد الامرين كائن لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو أن الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور عوده اليه وهب أن قول الكفار ليس بحجة أليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا فى ملتكم وأجيب بأن الكلام بنى على التغليب وأن شعيبا أراد عود قومه الا أنه نظم نفسه فى جملتهم لما ذكرنا أو لعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على القوم وشعيب

أجرى كلامه على وفق ذلك أو أنه كان فى أول أمره يخفى مذهبه فتوهموا أنه على دينهم أو أريد بالملة الشريعة التى صارت منسوخة بشرعه أو يطلق العود على الابتداء كقوله وان تكن الايام أحسن مرة * الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب فى جوابهم أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير (٦) أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهيتنا ثم صرح بأنه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك أن أصل الباب فى النبوة والرسالة صدق اللهجة والبراءة عن الكذب والعود فى ملتكم ينافى ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد أن علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانه أو المراد نجى قومه فغلب أو المراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال فى الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما أن يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما أكذبنا على الله ان عدنا فى الكفر بعد الاسلام لان الارتداد أعظم من الكفر حيث ان المرتد يزعم أنه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين الحق والباطل وكفره أزيد والثانى أن يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا أى ما ينبغى لنا وما يصح أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا قال أهل السنة فى الآية دلالة على أن المنجى من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدى ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفنى مسلما أجابت المعتزلة بوجوه الاول أن قوله الا أن يشاء قضية شرطية أى ان شاء بعد وليس فيه بيان أنه شاء أم أبى الثانى أن هذا على طريق التبعيد والاحالة لا وجه كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو أكرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر أفضل وما كان جائزا صح أن يكون مرادا لله تعالى كما أن المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين أفضل الرابع يحتمل أن يعود الضمير فى فيها الى قرية كأنه قال ان أخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشيئة عند أهل السنة لا توجب

أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء يقول بالفقر والجوع وقد ذكرنا فيما مضى الشواهد على صحة القول بما قلنا فى معنى البأساء والضراء بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقيل يضرعون والمعنى يتضرعون ولكن أدغمت التاء فى الضاد لتقارب مخرجهما

القول فى تأويل قوله ﴿ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون﴾ يقول تعالى ذكره ثم بدلنا أهل القرية التى أخذنا أهلها بالبأساء والضراء مكان السيئة وهى البأساء والضراء وانما جعل ذلك سيئة لانه مما يسوء الناس ولا تسوءهم الحسنة وهى الرخاء والنعمة والسعة فى المعيشة حتى عفوا يقول حتى كثروا وكذلك كل شئ كثر فانه يقال فيه قد عفا كما قال الشاعر ولكنا نعض السيف منها * بأسوق عافيات الشحم كوم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكان السيئة الحسنة قال مكان الشدة رخاء حتى عفوا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الرخاء والمال والولد حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مكان السيئة الحسنة قال السيئة الشر والحسنة الخير حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة يقول مكان الشدة الرخاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا قال بدلنا مكان ما كرهوا ما أحبوا فى الدنيا حتى عفوا من ذلك العذاب وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء واختلفوا فى تأويل قوله حتى عفوا فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى عفوا يقول حتى كثروا وكثرت أموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس حتى عفوا قال جموا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى عفوا قال كثرت أموالهم وأولادهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى عفوا حتى كثروا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم حتى عفوا قال حتى جموا وكثروا قال ثنا جابر ابن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس حتى عفوا قال حتى جموا قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك حتى عفوا يعنى جموا وكثروا قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن مجاهد حتى عفوا قال حتى كثرت أموالهم وأولادهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى عفوا كثروا كما يكثر النبات والريش ثم أخذهم عند ذلك بغتة وهم لا يشعرون وقال آخرون معنى ذلك حتى سروا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة حتى عفوا يقول حتى سروا بذلك وهذا الذى قاله قتادة فى معنى عفوا تأويل

لاوجه له في كلام العرب لانه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شئ من كلامها الا أن يكون أراد حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم فيكون ذلك وجها وان بعد وأما قوله وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فانه خبر من الله عن هؤلاء القوم الذين أبدلهم الحسنة السيئة التى كانوا فيها استدراجا وابتلاء أنهم قالوا اذ فعل ذلك بهم هذه أحوال قد أصابت من قبلنا من آبائنا ونالت أسلافنا ونحن لا نعدو أن نكون أمثالهم يصيبنا ما أصابهم من الشدة في المعايش والرخاء فيها وهى السراء لانها تسر أهلها وجهل المساكين شكر نعمة الله وأغفلوا من جهلهم استدامة فضله بالانابة الى طاعته والمسارعة الى الاقلاع عما يكرهه بالتوبة حتى أتاهم أمره وهم لا يشعرون يقول جل جلاله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون يقول فأخذناهم بالهلاك والعذاب فجأة أتاهم على غرة منهم بمجيئه وهم لا يدرون ولا يعلمون أنه يجيئهم بل هم بأنه آتيهم مكذبون حتى يعاينوه ويروه ۞ القول في تأويل قوله ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره أفأمن يا محمد هؤلاء الذين يكذبون الله ورسوله ويجحدون آياته استدراج الله اياهم بما أنعم به عليهم في دنياهم من صحة الأبدان ورخاء العيش كما استدرج الذين قص عليهم قصصهم من الامم قبلهم فان مكر الله لا يأمنه يقول لا يأمن ذلك أن يكون استدراجا مع مقامهم على كفرهم واصرارهم على معصيتهم الا القوم الخاسرون وهم الهالكون ۞ القول في تأويل قوله ﴿أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ يقول أولم يبين للذين يستخلفون في الارض بعد هلاك آخرين قبلهم كانوا أهلها فساروا سيرتهم وعملوا أعمالهم وعتوا عن أمر ربهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يقول أن لو نشاء فعلنا بهم كما فعلنا بمن قبلهم فأخذناهم بذنوبهم وعجلنا لهم بأسنا كما عجلناه لمن كان قبلهم ممن ورثوا عنه الارض فأهلكناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم يقول ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون موعظة ولا تذكيرا سماع منتفع بهما وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولم يهد قال يبين حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولم يهد أولم يبين حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يبين لهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها يقول أولم يتبين للذين يرثون الارض من بعد أهلها هم المشركون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أولم نهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أولم نبين لهم أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم قال والهدى البيان الذى بعث هاديا لهم مبينا لهم حتى يعرفوا ولولا البيان لم يعرفوا ۞ القول في تأويل قوله ﴿تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره هذه القرى التى ذكرت لك يا محمد أمرها وأمر أهلها يعنى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وشعيب

جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذى يوجب الجواز هو الامر فيحتمل أن يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير الا أن يأمر الله أن نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد أن يأمر الله تعالى بالعمل به مرة أخرى السادس قال الجبائى المراد من الملة الشريعة التى يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلاة فمن الجائز أن يكون بعض أحكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا أن يشاء الله ابقاء بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالآية على صحة قولهم من وجهين أحدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا أن نعود وذلك يقتضى أن كل ما شاء الله تعالى وجوده كان فعله جائزا مأذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مراد الله تعالى وثانيهما أن قوله لنخرجنك أو لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج أيضا بخلقه قلت للسنى أن يلتزم ذلك أما قوله وسع ربنا كل شئ فوجه تعلقه بما تقدمه على قول الجبائى هو أن التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا أن يشاء الله الا أن تختلف المصلحة في تلك العبادات فحينئذ يكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بأن وسع كل شئ علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو أن القوم لما قالوا لنخرجنك أو لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شئ علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو أن يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذا التفسير قوله عقيب ذلك على الله توكلنا أى لا على غيره وانتصاب علما على التمييز وفي قوله وسع بلفظ الماضى دلالة على أنه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شئ عن مقتضى علمه وهو معنى جفاف الاقلام وطى الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقى ويعلم من عموم كل شئ أنه علم الماضى والحال والمستقبل وعلم المعدوم أنه لو كان كيف يكون فهذه أقسام أربعة يقع كل منها على أربعة أوجه لانه علم الماضى كيف كان وعلم أنه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا أو مستقبلا أو معدوما محضا فانه كيف يكون

وكذا الكلام فى الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس أو نوع أو صنف أو شخص من الجواهر أو الاعراض صار مبلغا تتحير فيه عقول العقلاء بل تقف دون أول قطرة من قطرات بحاره ثم ان شعيبا لما أعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء قائلا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق (٨) قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدى احكم واقض وعن ابن عباس ما أدرى ما معناه حتى سمعت ابنة ذى يزن تقول لزوجها تعال أفاتحك أى أحاكمك وجوز الزجاج أن يكون معنى الآية أظهر أمرنا حتى يتضح وينكشف ما بيننا وبين قومنا والمراد أن ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم أثنى على الله بقوله وأنت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايمان فتح باب الخيرات وهو أشرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد كان خير الفاتحين هو العبد وللمعتزلة أن يقولوا لولا ألطافه المرجحة الداعية لم يوجد الايمان من العبد فصح أن الله هو خير الفاتحين ثم بين أن رؤساء قوم شعيب لم يقتصروا على الضلال بل بادروا الى الاضلال قائلين لمن دونهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون أى فى الدين أو فى الدنيا لانه يمنعكم من ازدياد الاموال بطريق البخس والتطفيف فأخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها يقال غنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان فيها أهلها وقال الزجاج أى كأن لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذى هو ضد الفقر وعلى التفسيرين شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط فى تلك الديار كقوله

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

قال فى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى
صحيح
الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا فى ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المختصون بالخسران العظيم دون أتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء والتكرير مبالغة فى رد مقالة

نقص عليك من أنبائها فنخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسل الله التى أرسلت اليهم لتعلم أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا على أعدائنا وأهل الكفر بنا ويعلم مكذبوك من قومك ما عاقبة أمر من كذب رسل الله فيرتدعوا عن تكذيبك وينيبوا الى توحيد الله وطاعته ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات يقول ولقد جاءت أهل القرى التى قصصت عليك نبأها رسلهم بالبينات يعنى بالحجج البينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم بما كذبوا من قبل ذلك وذلك يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا ليؤمنوا عند مجىء الرسل بما سبق فى علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صلب آدم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا له بالميثاق حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والانبياء ويدعوا علم ما أخفى الله عليهم فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون وفى ذلك قال ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصى حيث خلقهم فى زمان آدم وتصديق ذلك حيث قال لنوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم وقال فى ذلك ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وفى ذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفى ذلك قال لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولا حجة لأحد على الله * وقال آخرون معنى ذلك فما كانوا لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هلاكهم كما قال جل ثناؤه ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بما كذبوا من قبل قال كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه * قال أبو جعفر وأشبه هذه الاقوال بتأويل الآية وأولاها بالصواب القول الذى ذكرناه عن أبى بن كعب والربيع وذلك أن من سبق فى علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به فلن يؤمن أبدا وقد كان سبق فى علم الله تعالى لمن هلك من الامم التى قص نبأهم فى هذه السورة أنه لا يؤمن أبدا فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون فى سابق علمه قبل مجىء الرسل عند مجيئهم اليهم ولو قيل تأويله فما كان هؤلاء الذين ورثوا الارض يا محمد من مشركى قومك من بعد أهلها الذين كانوا بها من عاد وثمود ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده كان وجها ومذهبا غير أنى لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن وأما الذى قاله مجاهد من أن معناه لو ردوا ما كانوا ليؤمنوا فتأويل لا دلالة عليه من ظاهر التنزيل ولا من خبر عن الرسول

صحيح واذ كان ذلك كذلك فأولى منه بالصواب ما كان عليه من ظاهر التنزيل دليل وأما قوله كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فانه يقول تعالى ذكره كما طبع الله على قلوب هؤلاء الذين كفروا بربهم وعصوا رسله من هذه الامم التي قصصنا عليك نبأهم يا محمد في هذه السورة حتى جاءهم بأس الله فهلكوا به كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون أبدا من قومك ۞ القول في تأويل قوله ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره ولم نجد لأكثر أهل هذه القرى التي أهلكناها واقتصصنا عليك يا محمد نبأها من عهد يقول من وفاء بما وصيناهم به من توحيد الله واتباع رسله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه وهجر عبادة الاوثان والاصنام والعهد هو الوصية وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته وان وجدنا أكثرهم يقول وما وجدنا أكثرهم الا فسقة عن طاعة ربهم تاركين عهده ووصيته وقد بينا معنى الفسق قبل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى وان وجدنا أكثرهم لفاسقين قال القرون الماضية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد الاية قال القرون الماضية وعهده الذي أخذه من بني آدم في ظهر آدم ولم يفوا به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب وما وجدنا لاكثرهم من عهد قال في الميثاق الذي أخذه في ظهر آدم عليه السلام حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين وذلك أن الله انما أهلك القرى لانهم لم يكونوا حفظوا ما أوصاهم به ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره ثم بعثنا من بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب موسى بن عمران والهاء والميم اللتان في قوله من بعدهم هي كناية ذكر الانبياء عليهم السلام التي ذكرت من أول هذه السورة الى هذا الموضع بآياتنا يقول بحججنا وأدلتنا الى فرعون وملئه يعني الى جماعة فرعون من الرجال فظلموا بها يقول فكفروا بها والهاء والالف اللتان في قوله بها عائدتان على الآيات ومعنى ذلك فظلموا بآياتنا التي بعثنا بها موسى اليهم وانما جاز أن يقال فظلموا بها بمعنى كفروا بها لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه وقد دللت فيما مضى على أن ذلك معناه بما أغنى عن اعادته والكفر بآيات الله وضع لها في غير موضعها وصرف لها الى غير وجهها الذي عنيت به فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة هؤلاء الذين أفسدوا في الارض يعني فرعون وملأه اذ ظلموا بآيات الله التي جاءهم بها موسى عليه السلام وكان عاقبتهم أنهم أغرقوا جميعا في البحر ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين﴾ يقول جل ثناؤه وقال موسى لفرعون يا فرعون اني رسول من رب العالمين ۞ القول في تأويل قوله ﴿حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت

الملأ لاشباعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت والعرب قد تكرر للتفخيم والتعظيم فتقول أخوك الذي ظلمنا أخوك الذي أخذ أموالنا أخوك الذي هتك أعراضنا وأيضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى أن الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد أخر منها أن ذلك العذاب (٩) انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك أثر الكواكب والطبيعة والا حصل في أتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها أن ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها أن يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم أن هذا التولي جائز أن يكون قبل نزول العذاب وجائز أن يكون بعده قال الكلبي خرج من بينهم ولم يعذب قوم نبي حتى أخرج من بين أظهرهم ولما اشتد حزنه على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين أهلكوا أنفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والأسى شدة الحزن وقيل المراد لقد أعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك (التأويل) ولا تبخسوا فيه أن البخاسة والدناءة والحرص والظلم من الصفات التي يجب تزكية النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض أرض الطبيعة التي جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بأنواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور وبكثرة العدد والعدد نعمة تامة يجب أن تصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم أي الروح والقلب وطائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب واذاقة ألم الهجران أو لتعودن في ملتنا اشارة الى أن كل جنس لا يميل الا الى أشكاله والاوحد في بابه من يأمن نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الازلية افتح بيننا الحكم بيننا وبينهم باظهار حقيقة ما قدرت لنا من خاتمة

الخير واظهار ماقدرت لهم من خاتمة السوء فأخذتهم الرجفة فصارت صورتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا جاثمي الارواح فى ديار الاشباح كأن لم يغنوا فيها الان الباطل زاهق لامحالة ﴿وما أرسلنا فى قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم (١٠) بغتة وهم لا يشعرون ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أوأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لأكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾ * القرا آت لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد أو أمن بسكون الواو أبو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وابن كثير غير ابن فليح وقرأ ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها أولم نهد بالنون حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان أبو عمرو * (الوقوف) يضرعون ○ لا يشعرون ○ يكسبون ○ نائمون ○ لمن قرأ أوأمن بفتح الواو على أن الهمز للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لأن أو للعطف يلعبون ○ مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع أن الفاء للتعقيب الخاسرون ○ بذنوبهم ج للفصل بين الماضى والمستقبل والتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون ○ من أنبائها ج لعطف المختلفتين بالبينات ط لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءهم للامم الماضية مع أن الفاء توجب الاتصال من قبل ط الكافرين ○ من عهد ج لعطف الجملتين المختلفين لفاسقين ○ * ﴿التفسير﴾ انه سبحانه لما عرّفنا أحوال هؤلاء الانبياء وما جرى على أممهم ذكر ما دل على أن هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم وليس مقصورا عليهم

أعرفك

من الصادقين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصرة والكوفة حقيق على أن لا أقول بارسال الياء من على وترك تشديدها بمعنى أنا حقيق بأن لا أقول على الله الا الحق فوجهوا معنى على الى معنى الباء كما يقال رميت بالقوس وعلى القوس وجئت على حال حسنة وبحال حسنة وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يقول اذا قرئ ذلك كذلك فمعناه حريص على أن لا أقول الا بحق وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة حقيق عليّ أن لا أقول بمعنى واجب عليّ أن لا أقول وحق عليّ أن لا أقول * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما أئمة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب وقوله قد جئتكم ببينة من ربكم يقول قال موسى لفرعون وملئه قد جئتكم ببرهان من ربكم يشهد أيها القوم على صحة ما أقول وصدق ما أذكر لكم من ارسال الله اياى اليكم رسولا فأرسل يا فرعون معى بنى اسرائيل فقال له فرعون ان كنت جئت بآية يقول بحجة وعلامة شاهدة على صدق ما تقول فأت بها ان كنت من الصادقين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين﴾ يقول جل ثناؤه فألقى موسى عصاه فاذا هى ثعبان مبين يعنى حية مبين يقول تبين لمن رآها أنها حية وبما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فاذا هى ثعبان مبين قال تحولت حية عظيمة وقال غيره مثل المدينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا هى ثعبان مبين يقول فاذا هى حية كادت تتسوّره يعنى كادت تثب عليه حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فاذا هى ثعبان مبين والثعبان الذكر من الحيات فاتحة فاها واضعة لحيها الاسفل فى الارض والأعلى على سور القصر ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه فلما رآها ذعر منها ووثب فأحدث ولم يكن يحدث قبل ذلك وصاح يا موسى خذها وأنا مؤمن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان بن عيينة قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فاذا هى ثعبان مبين قال ألقى العصا فصارت حية فوضعت فقما لها أسفل القبة وفقما لها أعلى القبة قال عبد الكريم قال ابراهيم وأشار سفيان باصبعه الابهام والسبابة هكذا شبه الطاق فلما أرادت أن تأخذه قال فرعون يا موسى خذها فأخذها موسى بيده فعادت عصا كما كانت أول مرة حدثنا العباس بن الوليد قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى عصاه فتحولت حية عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون فلما رأى فرعون أنها قاصدة اليه اقتحم عن سريره فاستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثعبان مبين قال الحية الذكر حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهب بن منبه يقول لما دخل موسى على فرعون قال له موسى

وبين العلة التى لاجلها فعل بهم مافعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة أيضا وتقدير الكلام وما أرسلنا فى قرية من نبى فكذبه أهلها الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة فى الاموال والضراء الامراض فى الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون أى يتضرعون فأدغم التاء فى الضاد والمعنى ليحطوا أردية التعزز والاستكبار ويتبعوا نبيهم ثم بين أن تدبيره فى أهل القرى لا يجرى على نمط واحد فقال (ثم بدلنا مكان السيئة) وهى كل ما يسوء صاحبه (الحسنة) وهى (١١) ما يستحسنه الطبع والعقل أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النبات والشحم والوبر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما هو دأب الأشرين يقولون هذه عادة الدهر فى أهله يوم محنة ويوم منحة والمراد أنهم لم ينتفعوا بتدبير الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وأمن بعد خوف وراحة بعد عناء فأخذناهم بغتة آمن ما كانوا عليه ليكون ذلك أعظم فى الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة فى جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف أن العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع أبواب السعادات ولهذا قال (ولو أن أهل القرى) أى جنسها أو القرى المذكورة فى قوله وما أرسلنا فى قرية (آمنوا) بما يجب به الايمان فى باب المبدا والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض أى لآتيناهم بالخير من كل وجه أو أراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير أسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فأخذناهم بالجدب والمحل وهو ضد البركة والخير بما كانوا يكسبون أى بشؤم كسبهم وهو الكفر والمعاصى ثم خوف المكلفين نزول العذاب عليهم فى الوقت الذى يكونون فيه فى غاية الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار لانه الوقت الذى يغلب على المرء فيه التشاغل باللذات والمهمات فقال أفأمن قال فى الكشاف الهمزة للانكار والفاء للعطف على قوله فأخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والتقدير أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو وأما قوله أفأمنوا مكر الله فتكرير لقوله أفأمن أهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز أن يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى أفعلوا ما فعلوا فأمن وأما

أعرفك قال نعم قال ألم نربك فينا وليدا قال فرد اليه موسى الذى رد فقال فرعون خذوه فبادره موسى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين فحملت على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا وقام فرعون منهزما حتى دخل البيت **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله فألقى عصاه فاذا هى حية تسعى قال ما بين لحييها أربعون ذراعا **حدثنا** وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن جويبر عن الضحاك فاذا هى ثعبان مبين قال الحية الذكر قال أبو جعفر وأما قوله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين فانه يقول وأخرج يده فاذا هى بيضاء تلوح لمن نظر اليها من الناس وكان موسى فيما ذكر لنا آدم فجعل الله تحول يده بيضاء من غير برص له آية وعلى صدق قوله انى رسول من رب العالمين حجة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** العباس قال أخبرنا يزيد قال ثنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعنى من غير برص ثم أعادها الى كمه فعادت الى لونها الاول **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله بيضاء للناظرين يقول من غير برص **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص **حدثنى** المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله **حدثنى** موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ونزع يده أخرجها من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين **حدثنى** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله ونزع يده قال نزع يده من جيبه فاذا هى بيضاء للناظرين وكان موسى رجلا آدم فأخرج يده فاذا هى بيضاء أشد بياضا من اللبن من غير سوء قال من غير برص آية لفرعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون﴾ يقول تعالى ذكره قالت الجماعة من رجال قوم فرعون والأشراف منهم ان هذا يعنون موسى صلوات الله عليه لساحر عليم يعنون أنه يأخذ بأعين الناس بخداعه اياهم حتى يخيل اليهم العصا حية والآدم أبيض والشئ بخلاف ما هو به ومنه قيل سحر المطر الارض اذا جادها فقطع نباتها من أصوله وقلب الارض ظهرا لبطن فهو يسحرها سحرا والارض مسحورة اذا أصابها ذلك فشبه سحر الساحر بذلك لتخيله الى من سحره أنه يرى الشئ بخلاف ما هو به ومنه قول ذى الرمة فى صفة السراب

وساحرة العيون من الموامى * ترقص فى نواشزها الأروم

وقوله عليم يقول ساحر عليم بالسحر يريد أن يخرجكم من أرضكم أرض مصر معشر القبط السحرة

وقال فرعون للملا فماذا تأمرون يقول فأى شئ تأمرون أن نفعل فى أمره بأى شئ تشيرون فيه وقيل فماذا تأمرون والخبر بذلك عن فرعون ولم يذكر فرعون وقلما يجىء مثل ذلك فى الكلام وذلك نظير قوله قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب فقيل ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب من قول يوسف ولم يذكر يوسف ومن ذلك أن يقول قلت لزيد قم فانى قائم وهو يريد فقال زيد انى قائم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين﴾ يقول تعالى ذكره قال الملا من قوم فرعون لفرعون أرجئه أى أخره وقال بعضهم معناه احبس والارجاء فى كلام العرب التأخير يقال منه أرجيت هذا الامر وأرجأته اذا أخرته ومنه قول الله تعالى ترجى من تشاء منهن تؤخر فالهمز من كلام بعض قبائل قيس يقولون أرجأت هذا الامر وترك الهمز من لغة تميم وأسد يقولون أرجيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض العراقيين أرجه بغير الهمز وبجر الهاء وقرأه بعض قراء الكوفيين أرجه بترك الهمز وتسكين الهاء على لغة من يقف على الهاء فى المكنى فى الوصل اذا تحرك ماقبلها كما قال الراجز

أنحى على الدهر رجلا ويدا * فقسمه لا نصلح الا أفسدا

فنصلح اليوم ويفسده غدا

وقد يفعلون مثل هذا بهاء التأنيث فيقولون هذه طلحه قد أقبلت كما قال الراجز

لما رأى أن لادعه ولاشبع * مال الى أرطاة حقف فاضطجع

وقرأه بعض البصريين أرجئه بالهمز وضم الهاء على لغة من ذكرت من قيس * وأولى القراآت فى ذلك بالصواب أشهرها وأفصحها فى كلام العرب وذلك ترك الهمز وجر الهاء وان كانت الأخرى جائزة غير أن الذى اخترنا أفصح اللغات وأكثرها على ألسن فصحاء العرب واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أرجه فقال بعضهم معناه أخره ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عطاء الخراسانى عن ابن عباس قوله أرجه وأخاه قال أخره وقال آخرون معناه احبسه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أرجه وأخاه أى احبسه وأخاه وأما قوله وأرسل فى المدائن حاشرين يقول من يحشر السحرة فيجمعهم اليك وقيل هم الشرط ذكر من قال ذلك حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا مسلم بن ابراهيم قال ثنا الحكم بن ظهير عن السدى عن ابن عباس وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسمعيل بن ابراهيم ابن مهاجر عن أبيه عن مجاهد وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط قال ثنا حميد عن قيس عن السدى وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله فى المدائن حاشرين

من قرأ أو ساكنة فمعناه اما أحد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احدى هذه العقوبات واما للاضراب كما تقول أنا أخرج ثم تقول أو أقيم على أن المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات للاقامة أى لا بل أقيم ومعنى بياتا قد تقدم فى أول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهرى ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على أنه مفرد كصرد وتؤنث على أنها جمع ضحوة ثم بعده الضحاء ممدودا مذكرا وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وقوله وهم يلعبون يحتمل التشاغل بما لا يجدى عليهم من أمور الدنيا فهى لهو ولعب ويحتمل خوضهم فى كفرهم لان ذلك كاللعب فى أنه يضر ولا ينفع ومكر الله كما تقدم فى آل عمران عذاب بعد الاستدراج أو سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال يابنتاه ان أباك يخاف البيات يعنى المذكور فى الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الآمنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر أن الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال أولم يهد من قرأ بالياء ففاعله أن لو نشاء والمعنى أولم يهد الذين يخلفون أولئك المتقدمين فيرثون أرضهم وديارهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم أى بعقابها كما أصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فقوله أن لو نشاء منصوب والهداية بمعنى التبيين على القراءتين ولهذا عدى فعلها باللام والمفعول على القراءة الاولى محذوف والتقدير أولم يكشف لهم الحال والشأن المذكور وأما قوله ونطبع على قلوبهم فاما أن يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع كما مر فى الوقوف واما أن يكون متصلا بما قبله قال فى الكشاف وذلك هو يرثون أو ما دل عليه معنى أولم يهد كأنه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع ثم قال ولا يجوز أن يكون معطوفا على أصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل أن يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين أن يكونوا مطبوعين فاقتراف الذنوب غير الطبع لانه يذنب أولا أو يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وأيضا جاز أن يراد وشئنا الزدنا فى طبعهم أولأدمناه والله سبحانه أعلم بمراده ثم أخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهى مبتدأ وخبر وقوله نقص حال والعامل معنى اسم الاشارة أو خبر بعد خبر أو القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة وأما على الاولين فترجع الفائدة الى الحال أو الخبر الثانى كما ترجع الى الصفة فى قولك هو الرجل الكريم

والحاصل أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك وأيضا خصصنا تلك القرى بقصص بعض أنبائها لأنهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا أقرب الامم الى العرب فذكرنا أحوالهم تنبيها على الاحتراز عن مثل أعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اللام (١٣) لتأكيد النفي وأن الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدى فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم أقروا باللسان كرها وأضمروا التكذيب وقال الزجاج فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو أحييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا فى الزمان المستقبل بما كذبوا به فى الزمان الماضى أى استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى أن ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك أى مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذى كتب أن لا يؤمنوا أبدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائى هو أن يسم قلوب الكفار بسمات وعلامات تعرف الملائكة بها أن صاحبها لا يؤمن وقال الكعبى انما أضاف الطبع الى نفسه لأجل أن القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند أمره وامتحانه فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائى الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لأكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعنى بالعهد قوله للذر ألست بربكم أقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعنى من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هى المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة فى قوله لفاسقين وقد عملت فى ضمير شأن مقدر والتقدير وان الشأن والحديث علمنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة والآية اعتراض ويحتمل أن يعود الضمير على الامم

قال الشرط حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأرسل فى المدائن حاشرين قال الشرط ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين﴾ وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن مشورة الملا من قوم فرعون على فرعون أن يرسل فى المدائن حاشرين يحشرون كل ساحر عليم وفى الكلام محذوف اكتفى بدلالة الظاهر من اظهاره وهو فأرسل فى المدائن حاشرين يحشرون السحرة فجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا يقول ان لنا لثوابا على غلبتنا موسى عندك انا كنا يا فرعون نحن الغالبين وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا العباس قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فأرسل فى المدائن حاشرين فحشر له كل ساحر متعالم فلما أتوا فرعون قالوا بم يعمل هذا الساحر قالوا يعمل بالحيات قالوا والله ما فى الارض قوم يعملون بالسحر والحيات والحبال والعصى أعلم منا فما أجرنا ان غلبنا فقال لهم أنتم قرابتى وحامتى وأنا صانع اليكم كل شئ أحببتم حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال فرعون لا نغالبه يعنى موسى الا بمن هو منه فأعد علماء من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية بمصر يقال لها الفرما يعلمونهم السحر كما يعلم الصبيان الكتاب فى الكتاب قال فعلموهم سحرا كثيرا قال وواعد موسى فرعون موعدا فلما كان فى ذلك الموعد بعث فرعون فجاء بهم وجاء بعلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد علمتهم من السحر سحرا لا يطيقه سحر أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لهم به فأما سحر أهل الارض فانه لن يغلبهم فلما جاءت السحرة قالوا لفرعون ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين فحشروا عليه السحرة فلما جاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين يقول عطية تعطينا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم أى كاثره بالسحرة لعلك أن تجد فى السحرة من يأتى بمثل ما جاء به وقد كان موسى وهرون خرجا من عنده حين أراهم من سلطانه وبعث فرعون فى مملكته فلم يترك فى سلطانه ساحرا الا أتى به فذكر لى والله أعلم أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر فلما اجتمعوا اليه أمرهم أمره وقال لهم قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط وانكم ان غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتى قالوا وان لنا ذلك ان غلبناه قال نعم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قال السحرة كانوا سبعين قال أبو جعفر أحسبه أنا قال ألفا قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن ابن المنذر قال كان السحرة ثمانين ألفا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن عبد العزيز ابن رفيع عن خيثمة عن أبى سودة عن كعب قال كان سحرة فرعون اثنى عشر ألفا ۞ القول

فى تأويل قوله ﴿ قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين ﴾ يقول جل ثناؤه قال فرعون للسحرة اذ قالوا له ان لنا عندك ثوابا ان نحن غلبنا موسى قال نعم لكم ذلك وانكم لمن أقربه وأدنيه منى قالوا ياموسى يقول قالت السحرة لموسى ياموسى اختر أن تلقى عصاك أو نلقى نحن عصينا ولذلك أدخلت أن مع اما فى الكلام لانها فى موضع أمر بالاختيار فأن اذا فى موضع نصب لما وصفت من المعنى لان معنى الكلام اختر أن تلقى أنت أو نلقى نحن والكلام مع اما اذا كان على وجه الامر فلابد من أن يكون فيه أن كقولك للرجل اما أن تمضى واما أن تقعد بمعنى الامر امض أو اقعد فاذا كان على وجه الخبر لم يكن فيه أن كقوله وآخرون مرجون لأمر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم وهذا هو الذى يسمى التخيير وكذلك كل ما كان على وجه الخبر واما فى جميع ذلك مكسورة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى للسحرة ألقوا ما أنتم ملقون فألقت السحرة ما معهم فلما ألقوا ذلك سحروا أعين الناس خيلوا الى أعين الناس بما أحدثوا من التخييل والخدع أنها تسعى واسترهبوهم يقول واسترهبوا الناس بما سحروا فى أعينهم حتى خافوا من العصى والحبال ظنا منهم أنها حيات وجاؤا كما قال الله بسحر عظيم بتخييل عظيم كثير من التخييل والخداع وذلك كالذى حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حبالهم وعصيهم وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل الا معه حبل وعصا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم يقول فرقوهم فأوجس فى نفسه خيفة موسى حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا قال فأقبلت تخيل اليه من سحرهم أنها تسعى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال صف خمسة عشر ألف ساحر مع كل ساحر حباله وعصيه وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع وفرعون فى مجلسه مع أشراف مملكته ثم قالت السحرة ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون ثم أبصار الناس بعد ثم ألقى كل رجل منهم ما فى يده من العصى والحبال فاذا هى حيات كأمثال الحبال قد ملأت الوادى يركب بعضها بعضا فأوجس فى نفسه خيفة موسى وقال والله ان كانت لعصيا فى أيديهم ولقد عادت حيات وما تعدو هذه أو كما حدث نفسه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا القاسم بن أبى بزة قال جمع فرعون سبعين ألف ساحر وألقوا سبعين ألف حبل وسبعين ألف عصا حتى جعل يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون ﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فألقاها فاذا هى تلقم وتبتلع ما يسحرون كذبا وباطلا يقال منه لقفت الشئ فأنا ألقفه لقفا ولقفانا وذلك كالذى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر

عن

المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر ﴿ التأويل ﴾ الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء الولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يذهل عن الحق ولا يرجع اليه ولو أن أهل القرى يعنى صفات النفس آمنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من ألطاف الحق واتقوا مشتبهات (١٤) النفس لفتحنا عليهم أسباب العواطف من سماء الروح وأرض القلب فأخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وموافقات الطبع بياتا فى صور القهر ضحى فى صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من أهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن أهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ﴾ القراآت حقيق

على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف معي بفتح الياء حيث كان حفص أرجه باسكان هاء الضمير حمزة وعاصم غير المفضل أرجه بكسر الجيم
والهاء من غير اشباع يزيد وقالون أرجهي بالاشباع نافع غير قالون وعلي وعباس وخلف المفضل أرجئه بالهمزة أبو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب
وابن الأخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني أرجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام أرجئه بكسر الهاء ابن مجاهد

عن قتادة وأوحينا الى موسى أن ألق عصاك فألقى موسى عصاه فتحولت حية فأكلت سحرهم كله حدثنا عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فألقى عصاه فاذا هي حية تلقف ما يأفكون لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها الا التقمته فعرفت السحرة أن هذا أمر من السماء وليس هذا بسحر فخروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال أوحى الله الى موسى لا تخف وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون فألقى عصاه فأكلت كل حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أوحى الله اليه أن ألق ما في يمينك فألقى عصاه من يده فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى فجعلت تلقفها تبتلعها حية حية حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه ثم أخذها موسى فاذا هي عصاه في يده كما كانت ووقع السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون لو كان هذا سحرا ما غلبنا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي قال ثنا القاسم بن أبي بزة قال أوحى الله اليه أن ألق عصاك فألقى عصاه فاذا هي ثعبان فاغر فاه فابتلع حبالهم وعصيهم فألقي السحرة عند ذلك سجدا فما رفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله يأفكون قال يكذبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فاذا هي تلقف ما يأفكون قال يكذبون حدثنا ابراهيم ابن المستمر قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا قرة بن خالد السدوسي عن الحسن تلقف ما يأفكون قال حبالهم وعصيهم تسترطها استراطا ۞ القول في تأويل قوله (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون) يقول تعالى ذكره فظهر الحق وتبين لمن شهده وحضره في أمر موسى وانه لله رسول يدعو الى الحق وبطل ما كانوا يعملون من افك السحر وكذبه ومخايله وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوقع الحق قال ظهر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد في قوله فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال ظهر الحق وذهب الافك الذي كانوا يعملون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله فوقع الحق قال ظهر الحق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فوقع الحق ظهر موسى ۞ القول في تأويل قوله (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) يقول تعالى ذكره فغلب موسى فرعون وجموعه هنالك عند ذلك وانقلبوا صاغرين يقول وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين يقال منه صغر الرجل يصغر صغرا وصغرا وصغارا ۞ القول في تأويل قوله (وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون) يقول تعالى ذكره وألقي السحرة عندما عاينوا من عظيم قدرة الله ساقطين على وجوههم سجدا لربهم يقولون آمنا برب العالمين يقولون صدقنا بما جاءنا به موسى وان الذي علينا عبادته هو الذي يملك الجن

والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرأ قتيبة ونصير والدوري وحمزة في رواية ابن سعدان وأبي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وأبو جعفر ونافع وحفص أئن لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة آئن لنا بالمدة وقلب الهمزة ياء أبو عمرو ويزيد أين لنا بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير يزيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل آمنتم بهمزة واحدة ممدودة حفص أأمنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص آمنتم بالمد وتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وأبي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالصة الهاشمي عن قنبل وآمنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وأبو عون والهرندي عن قنبل (الوقوف) فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ه العالمين ه ج وقف لمن قرأ حقيق على بالتشديد أي واجب علي ومن قرأه مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين ه مبين ه للفصل بين الجملتين والوصل أجود للجمع بين الحجتين للناظرين ه عليم ه لا لأن ما بعده وصف لساحر من أرضكم ج لاحتمال أن ما بعده من تمام قول الملأ لفرعون وحده والجمع للتعظيم أوله ولعظماء حضرته وأن يكون ابتداء جواب من فرعون أي فماذا تشيرون فاهرون ه حاشرين ه لا لأن ما بعده جواب

الامر عليم ○ الغالبين ○ المقربين ○ الملقين ○ ألقواج لعطف عظيم ○ عصالـ ط لحق المحذوف لان التقدير فألقاها فاذاهى ما يأفكون ○ وكذلك يعملون ○ صاغرين ○ ج لمكان حروف العطف ساجدين ○ ج لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين ○ لا للبدل وهرون ○ آذن لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل أهلها ج (١٦) لأن سوف للتهديد مع العطف تعلمون ○ أجمعين ○ منقلبون ○ للآية مع اتحاد المقول جاءتنا ط للعدول عن المحاباة الى المناجاة المسلمين ○ ۞ التفسير القصة السابعة من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وقد ذكر فى هذه القصة من البسط والتفصيل مالم يذكر فى غيرها لأن جهل قومه أعظم وأفحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته أقوى من معجزات متقدميه من الانبياء والضمير فى قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى الرسل أو الى الامم المذكورين وفى قوله بآياتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبى لابدله من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبى فظلموا بها أى بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لأن وضع الانكار فى موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع للشئ فى غير موضعه أو ظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وأذوا من آمن بها فانظر أيها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذه قصة اجمالية ثم شرع فى تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين أى اله قادر عليم حكيم وفيه أن العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على أن لاأقول من قرأ بالتشديد فى علىّ حقيق اما بمعنى فاعل أى واجب علىّ ترك القول على الله الا بالحق أو بمعنى مفعول أى حق علىّ ذلك تقول العرب انى لمحقوق على أن أفعل خيرا وأما قراءة العامة حقيق على أن لا أقول مرسلة الياء ففيه وجوه أحدها أن يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط أى على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة أبىّ حقيق بأن لا أقول أى أنا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل مالزمك فقد لزمته فكأن المعنى

والانس وجميع الاشياء وغير ذلك ويدبر ذلك كله رب موسى وهرون لا فرعون كالذى حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رأت السحرة ما رأت عرفت أن ذلك أمر من السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره قال فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله يعنى صدقوا رسوله موسى عليه السلام لما عاينوا من عظيم قدرة الله وسلطانه آمنتم يقول أصدقتم بموسى وأقررتم بنبوته قبل أن آذن لكم بالايمان به ان هذا يقول تصديقكم اياه واقراركم بنبوته لمكر مكرتموه فى المدينة يقول لخدعة خدعتم بها من فى مدينتنا لتخرجوهم منها فسوف تعلمون ما أفعل بكم وتلقون من عقابى اياكم على صنيعكم هذا وكان مكرهم ذلك فيما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى حديث ذكره عن أبى مالك وعلى بن أبى طلحة عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى موسى وأمير السحرة فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به حق قال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر فوالله لئن غلبتنى لأومنن بك ولأشهدن أنك حق وفرعون ينظر اليهم فهو قول فرعون ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة اذ التقيتما لتظاهرا فتخرجا منها أهلها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون للسحرة اذ آمنوا بالله وصدقوا رسوله موسى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وذلك أن يقطع من أحدهم يده اليمنى ورجله اليسرى أو يقطع يده اليسرى ورجله اليمنى فيخالف بين العضوين فى القطع فمخالفته فى ذلك بينهما هو القطع من خلاف ويقال ان أول من سن هذا القطع فرعون ثم لأصلبنكم أجمعين وانما قال هذا فرعون لما رأى من خذلان الله اياه وغلبة موسى عليه السلام وقهره له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفرى وحبوية الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين قال أول من صلب وأول من قطع الأيدى والأرجل من خلاف فرعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ يقول تعالى ذكره قال السحرة مجيبة لفرعون اذ توعدهم بقطع الأيدى والأرجل من خلاف والصلب انا الى ربنا منقلبون يعنى بالانقلاب الى الله الرجوع اليه والمصير وقوله وما تنقم منا الا أن آمنا بآيات ربنا يقول ما تنكر منا يافرعون وما تجد علينا الا من أجل أن آمنا أى صدقنا بآيات ربنا يقول بحجج ربنا وأعلامه وأدلته التى لا يقدر على مثلها أنت ولا أحد سوى الله الذى له ملك السموات والارض ثم فزعوا الى الله بمسئلته الصبر على عذاب فرعون وقبض أرواحهم على الاسلام فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا يعنون بقولهم أفرغ أنزل علينا حبسا يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون ايانا وتوفنا مسلمين يقول واقبضنا اليك على الاسلام دين خليلك ابراهيم صلى الله عليه وسلم لا على الشرك بك فحدثنى موسى

ابن

أناثابت مستمر على أن لا أقول الا الحق وثالثها أن يضمن حقيق معنى حريص ورابعها أن يكون من القلب الذى يشجع عليه أمن الالباس فيؤل المعنى الى قراءة نافع وخامسها أن يكون اغراقا فى الوصف ومبالغة بالصدق والمراد أنا حقيق على قول الحق أى واجب علىّ أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلى ناطقا به وسادسها أن يكون على هذه هى التى تقرن (١٠٧) بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التى فطر الناس عليها ويقال جاءنى فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته وتحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الآية لم أتحقق الا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى دالا على وجود الاله القادر المختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم أى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فأرسل معى بنى اسرائيل أى أطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معى راجعين الى الارض المقدسة التى هى وطنهم ومولد آبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم فى الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان أحدهما لفظى وهو أن ههنا شرطين فأين جوابهما والجواب أن المؤخر فى اللفظ مقدم فى المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فأنت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما أن قوله ان كنت جئت بآية وقوله فأت بها كلاهما واحد فى المعنى فكيف يفيد تعليق أحدهما بالآخر وجوابه المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى عليه السلام باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا وأظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا أن أمره ظاهر لا يشك فى أنه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات أو المراد أنه أبان قول موسى عن قول المدعى الكاذب والثعبان فى اللغة الحية الضخم الذكر روى أنه كان أشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا

ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف فقتلهم وصلبهم كما قال عبدالله بن عباس حين قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا فى أول النهار سحرة وفى آخر النهار شهداء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن عبدالعزيز بن رفيع عن عبيد بن عمير قال كانت السحرة أول النهار سحرة وآخر النهار شهداء حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وألقى السحرة ساجدين قال ذكر لنا أنهم كانوا فى أول النهار سحرة وآخره شهداء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين قال كانوا أول النهار سحرة وآخره شهداء ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون ﴾ يقول تعالى ذكره وقالت جماعة رجال من قوم فرعون لفرعون أتدع موسى وقومه من بنى اسرائيل ليفسدوا فى الارض يقول كى يفسدوا خدمك وعبيدك عليك فى أرضك من مصر ويذرك وآلهتك يقول ويذرك ويدع خدمتك موسى وعبادتك وعبادة آلهتك وفى قوله ويذرك وآلهتك وجهان من التأويل أحدهما أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وقد تركك وترك عبادتك وعبادة آلهتك واذا وجه الكلام الى هذا الوجه من التأويل كان النصب فى قوله ويذرك على الصرف لا على العطف به على قوله ليفسدوا والثانى أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وليذرك وآلهتك كالتوبيخ منهم لفرعون على ترك موسى ليفعل هذين الفعلين واذا وجه الكلام الى هذا الوجه كان نصب ويذرك على العطف على ليفسدوا والوجه الاول أولى الوجهين بالصواب وهو أن يكون نصب ويذرك على الصرف لان التأويل من أهل التأويل به جاء وبعد فان فى قراءة أبىّ بن كعب الذى حدثنا به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال فى حرف أبى بن كعب وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك دلالة واضحة على أن نصب ذلك على الصرف وقد روى عن الحسن البصرى أنه كان يقرأ ذلك ويذرك وآلهتك عطفا بقوله ويذرك على قوله أتذر موسى كأنه وجه تأويله الى أتذر موسى وقومه ويذرك وآلهتك ليفسدوا فى الارض وقد تحتمل قراءة الحسن هذه أن يكون معناها أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض وهو يذرك وآلهتك فيكون يذرك مرفوعا على ابتداء الكلام وأما قوله وآلهتك فان قراء الامصار على فتح الالف منها ومدها بمعنى وقد ترك موسى عبادتك وعبادة آلهتك التى تعبدها وقد ذكر عن ابن عباس أنه قال كان له بقرة يعبدها وقد روى عن ابن عباس ومجاهد أنهما كانا يقرآنها ويذرك والاهتك بكسر الالف بمعنى ويذرك وعبودتك والقراءة التى لا نرى القراءة بغيرها هى القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة من القراء عليها ذكر من قال كان فرعون يعبد آلهة على قراءة من قرأ ويذرك وآلهتك حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ويذرك وآلهتك وآلهته فيما زعم ابن عباس كانت البقر كانوا اذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها فلذلك أخرج لهم عجلا بقرة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن عمرو عن الحسن قال كان لفرعون

وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأخذه البطن يومئذ أربعمائة مرة وكان لم يرمنه الحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاحوا ياموسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فأخذه موسى فعاد عصا (١٨) والنزع في اللغة القلع والاخراج أي أخرجها من جيبه أو من جناحه بدليل قوله في موضع آخر وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء روى انه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للناظرين الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم أن القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت أقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وسائر أنواع الحيوان أن يتولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد أن يكون حيا عالما قادرا قاهرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس أن يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون بأقصى المشرق وفي سليم البصر أن لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا أن يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون أنكروا ذلك على الاطلاق وزعموا أنه لا يجوز حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز أن على

تنقلب العصا ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة

فان زعم زاعم أن هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المخصص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل

جمانة معلقة في نحره يعبدها ويسجدلها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا أبان بن خالد قال سمعت الحسن يقول بلغني أن فرعون كان يعبد الها في السر وقرأ ويذرك وآلهتك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن أبي بكر عن الحسن قال كان لفرعون اله يعبده في السر ذكر من قال معنى ذلك ويذرك وعبادتك على قراءة من قرأ وإلاهتك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو عن الحسن عن ابن عباس ويذرك والاهتك قال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد قال ثنا أبي عن نافع عن ابن عمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه قرأ ويذرك والاهتك قال وعبادتك ويقول انه كان يعبد ولا يعبد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ويذرك وإلاهتك قال يترك عبادتك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن عمرو بن دينار عن ابن عباس أنه كان يقرأ والاهتك يقول وعبادتك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويذرك والاهتك قال عبادتك حدثنا سعيد بن الربيع الرازي قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن محمد بن عمرو بن حسين عن ابن عباس أنه كان يقرأ ويذرك والاهتك وقال انما كان فرعون يعبد ولا يعبد وقد زعم بعضهم أن من قرأ وإلاهتك انما يقصد الى نحو معنى قراءة من قرأ وآلهتك غير أنه أنث وهو يريد الها واحدا كأنه يريد ويذرك وإلاهك ثم أنث الاله فقال وإلاهتك وذكر بعض البصريين أن أعرابيا سئل عن الالاهة فقال هي علمة يريد علما فأنث العلم فكأنه شئ نصب للعبادة يعبد وقد قالت بنت عتيبة بن الحارث اليربوعي

تروحنا من اللعباء عصرا * وأعجلنا الالاهة أن تؤوبا

يعني بالالاهة في هذا الموضع الشمس وكأن هذا المتأول هذا التأويل وجه الالاهة اذا أدخلت فيها هاء التأنيث وهو يريد واحد الآلهة الى نحو ادخالهم الهاء في ولدتي وكوكبتي وأماتي وهو أهلة ذلك وكما قال الراجز

يا مضر الحمراء أنت أسرتي * وأنت ملجاتي وأنت ظهرتي

يريد ظهري وقد بين ابن عباس ومجاهد ما أرادا من المعنى في قراءتهما ذلك على ما قرآ فلا وجه لقول هذا القائل ما قال مع بيانهما عن أنفسهما ما ذهبا اليه من معنى ذلك وقوله قال سنقتل أبناءهم يقول قال فرعون سنقتل أبناءهم الذكور من أولاد بني اسرائيل ونستحيي نساءهم يقول ونستبقي اناثهم وانا فوقهم قاهرون يقول وانا عالون عليهم بالقهر يعني بقهر الملك والسلطان وقد بينا أن كل شئ عال بقهر وغلبة على شئ فان العرب تقول هو فوقه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه من بني اسرائيل لما قال فرعون للملا من قومه سنقتل أبناء بني اسرائيل ونستحيي نساءهم استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما ينوبكم من أمركم واصبروا على ما نالكم من المكاره في أنفسكم وأبنائكم من فرعون وكان قد تبع موسى من بني اسرائيل

على ما حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة ألف من بني اسرائيل وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يقول ان الارض لله لعل الله أن يورثكم ان صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون واحتسبتم ذلك واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها فان الله يورث أرضه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين يقول والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله وراقبه فخافه باجتناب معاصيه وأدى فرائضه ۞ القول في تأويل قوله (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) يقول تعالى ذكره قال قوم موسى لموسى حين قال لهم استعينوا بالله واصبروا أوذينا بقتل أبنائنا من قبل أن تأتينا يقول من قبل أن تأتينا برسالة الله الينا لان فرعون كان يقتل أولادهم الذكور حين أظله زمان موسى على ما قد بينت فيما مضى من كتابنا هذا وقوله ومن بعد ما جئتنا يقول ومن بعد ما جئتنا برسالة الله لان فرعون لما غلبت سحرته وقال للملأ من قومه ما قال أراد تجديد العذاب عليهم بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقيل ان قوم موسى قالوا لموسى ذلك حين خافوا أن يدركهم فرعون وهم منه هاربون وقد تراءى الجمعان فقالوا له يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من قبل أن تأتينا من قبل ارسال الله اياك وبعده حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو اسرائيل الى فرعون قد ردفهم قالوا انا لمدركون وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا انا لمدركون حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال سار موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر فالتفتوا فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا هذا البحر أمامنا وهذا فرعون بمن معه قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقوله قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم يقول جل ثناؤه قال موسى لقومه لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه ويستخلفكم يقول يجعلكم تخلفونهم في أرضهم بعد هلاكهم لا تخافونهم ولا أحدا من الناس غيرهم فينظر كيف تعملون يقول فيرى ربكم ما تعملون بعدهم من مسارعتكم في طاعته وتثاقلكم عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره ولقد اختبرنا قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالسنين يقول بالجدوب سنة بعد سنة والقحوط يقال منه أسنت القوم اذا أجدبوا ونقص من الثمرات يقول واختبرناهم مع الجدوب بذهاب ثمارهم وغلاتهم الا القليل لعلهم يذكرون يقول عظة لهم وتذكيرا لهم لينزجروا عن

يقع في تيه الاشكال والضلال مع أن زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم أبدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع أن المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد أن حجة موسى كانت قوية ظاهرة فمن حيث ان الحجة أبطلت أقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني أي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والتحقيق أن انقلاب العصا وغير ذلك أمور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفع ثم ان السحر كان غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم أتباع فرعون أن موسى عليه السلام كان لكونه في النهاية من علم السحر أتى بتلك الصفة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم ولا ينافي هذا ما حكاه الله تعالى في سورة الشعراء أنه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم أو لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملا منه فقالوه لغيرهم أو قالوا عنه لسائر الناس على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر أن قوله فماذا تأمرون من كلام فرعون اما لأن الامر لا يجوز أن يكون من الادنى للاعلى أو لانه من قولهم أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأي ولهذا قال الملا في جوابه أرجه وأخاه أي أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل بقضاء في شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري أرجأت الامر أخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي وقتادة أن المعنى احبسه وزيف بأنه خلاف اللغة الا أن يقال حبس المرء نوع من التأخير في أمره وبأن فرعون ما كان يظن أنه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا (وأرسل في المدائن حاشرين) أي جامعين جمع مدينة وهي فعيلة من مدن بالمكان عدن مدونا اذا أقام به ولهذا أطبق القراء على همز مدائن لانه كصحائف وقيل انها

ضلالتهم ويفزعوا الى ربهم بالتوبة وبنحو ماقلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين قال سنى الجوع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله بالسنين الجائحة ونقص من الثمرات دون ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى القاسم بن دينار قال ثنا عبيد الله بن موسى عن شيبان عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة فى قوله ونقص من الثمرات قال حيث لا تحمل النخلة الا ثمرة واحدة حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة عن كعب قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة ونقص من الثمرات قال يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أخذهم الله بالسنين بالجوع عاما فعاما ونقص من الثمرات فأما السنين فكان ذلك فى باديتهم وأهل مواشيهم وأما بنقص من الثمرات فكان ذلك فى أمصارهم وقراهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه﴾ يقول تعالى ذكره فاذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار ورأوا ما يحبون فى دنياهم قالوا لنا هذه نحن أولى بها وان تصبهم سيئة يعنى جدوب وقحوط وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يقول يتشاءموا بهم ويقولوا ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة العافية والرخاء قالوا لنا هذه نحن أحق بها وان تصبهم سيئة بلاء وعقوبة يطيروا يتشاءموا بموسى حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه قالوا ما أصابنا هذا الا بك يا موسى وبمن معك ما رأينا شرا ولا أصابنا حتى رأيناك وقوله فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه قال الحسنة ما يحبون واذا كان ما يكرهون قالوا ما أصابنا هذا الا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا قال قوم صالح اطيرنا بك وبمن معك فقال الله انما طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر الا عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كانوا يطيرون بموسى ومن معه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله يقول مصائبهم عند الله قال الله ولكن أكثرهم لا يعلمون حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

مفعلة من دنت أى ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد أصلها مدينة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بنحو مبيع فى مبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد (يأتوك بكل سحار) الباء بمعنى مع أو للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلاثين ألفا وقيل سبعين ألفا وقيل ثمانين ألفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بأن المجوس من أتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفى الآية دلالة على كثرة السحرة فى ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كانت مخالفة له فى الحقيقة كما أن الطب لما كان غالبا على أهل زمن عيسى كانت معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة والبلاغة غالبة فى عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلا جرم كانت معجزته العظمى وهى القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قدم فى سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا لبناء الكلام على سؤال مقدر كأن سائلا سأل ما قالوا اذ جاؤه فأجيب قالوا ان لنا لأجرا أى جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم أى ان لكم أجرا وانكم لمن المقربين أراد انى لا أقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روى أنه قال لهم تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وروى أنه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة أهل الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفى الآية اشارة الى أن أهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الحجر ذهبا بل قلبوا ملك فرعون الى أنفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل أن لا يغتر بأكاذيبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب حيث خيروا موسى أولا وقدموه فى الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين كما هو دأب المتناظرين والمتصارعين مع أن فى قولهم واما أن نكون نحن عن

مايدل على رغبتهم فى أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو من جهة تعريف الخبر واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وأن فى هذه الآية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا فى موضع أمر بالاختيار أعنى فى موضع نصب كقول القائل اخترذا أوذا كأنهم قالوا اختر أن تلقى بخلاف تلك الآية فان الامر لا يصلح هنالك قال موسى للسحرة ألقوا ما ترغبون فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بأن الامر الالهى يغلب ولن يغلب فان قيل ان (٢١) القاءهم الحبال والعصى معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر بالكفر كفر فالجواب من وجوه أحدها أنه انما أمرهم بشرط أن يعلموا فى فعلهم أن يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا أمر البتة كقول القائل اسقنى الماء من الجرة فهذا انما يكون أمرا بشرط حصول الماء فى الجرة والثانى أن موسى علم أنهم جاؤا لذلك فلا بد أن يفعلوه ودفع النزاع فى التقديم والتأخير الثالث انه أذن لهم فى الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده أن يجيب عنها ويبين لكل أحد ضعفها وسقوطها فلما ألقوا سحروا أعين الناس قال القاضى لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم فثبت أنهم خيلوا أمورا الحقيقة بخلافه وقال الواحدى بل المراد أنهم قلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروى أنهم أتوا بالحبال والعصى ولطخوا تلك الحبال بالزئبق وجعلوا الزئبق دواخل العصى فلما أثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض تخيل الى الناس أنها تسعى واسترهبوهم أى أرهبوهم والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج استدعوا رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك أيها الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا أن ذلك سحر لا يطيقه سحرة أهل الارض عن ابن عباس أنه خيل الى موسى عليه السلام أن حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فأوحى الله عز وجل اليه أن ألق عصاك وفى رواية الواحدى عنه ان المراد بالوحى ههنا الالهام وههنا اضمار والتقدير فألقاها فاذا هى تلقف قال الجوهرى لقفت الشئ بالكسر ألقفه وتلقفته أيضا تناولته بسرعة وما فى ما يأفكون موصولة أو مصدرية بمعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه أو افكهم

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألا انما طائرهم عند الله قال الامر من قبل الله * القول فى تأويل قوله ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال آل فرعون لموسى ياموسى مهما تأتنا به من علامة ودلالة لتسحرنا يقول لتلفتنا بها عما نحن عليه من دين فرعون فما نحن لك بمؤمنين يقول فما نحن لك فى ذلك بمصدقين على أنك محق فيما تدعونا اليه وقد دللنا فيما مضى على معنى السحر بما أغنى عن اعادته وكان ابن زيد يقول فى معنى مهما تأتنا به من آية ما حدثنى يونس قال قال ابن زيد فى قوله مهما تأتنا به من آية قال ان ما تأتنا به من آية وهذه فيها زيادة ما * القول فى تأويل قوله ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الطوفان فقال بعضهم هو الماء ذكر من قال ذلك حدثنى ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما جاء موسى بالآيات كان أول الآيات الطوفان فأرسل الله عليهم السماء حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى مالك قال الطوفان الماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال الطوفان الماء قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال الطوفان الغرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الماء والطاعون على كل حال حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الطوفان الموت على كل حال حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال الطوفان الماء وقال آخرون بل هو الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا المنهال ابن خليفة عن الحجاج عن الحكم بن ميناء عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطوفان الموت حدثنى عباس بن محمد قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء ما الطوفان قال الموت حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عطاء عمن حدثه عن مجاهد قال الطوفان الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن عبد الله بن كثير فأرسلنا عليهم الطوفان قال الموت قال ابن جريج وسألت عطاء عن الطوفان قال الموت قال ابن جريج وقال مجاهد الموت على كل حال حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن المنهال بن خليفة عن حجاج عن رجل عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطوفان الموت وقال آخرون بل ذلك كان أمرا من الله طاف بهم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا جرير عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان قال أمر الله الطوفان ثم قرأ فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن الطوفان من السيل البعاق والدباش وهو الشديد ومن الموت المتتابع الذريع السريع وقال بعضهم هو كثرة المطر والريح وكان بعض نحويى الكوفيين يقول الطوفان مصدر مثل الرجحان والنقصان لا يجمع وكان بعض نحويى البصرة يقول هو جمع واحدها فى القياس الطوفانة * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قاله ابن عباس على ما رواه

تسمية للأفوك بالافك قال المفسرون لما ألقى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى سدت الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم فلما أخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت فى الحجم والمقدار أصلا فلعل الله سبحانه أعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة أوفرقها أجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن ظهر وقال الفراء فتبين الحق من السحر وقيل الوقوع ظهور الشئ ووجوده نازلا الى مستقره (٢٢) وسبب هذا الظهور أن السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا ولم تفقد ولما فقدت ثبت أن ذلك بخلق الله وتقديره وبهذا تميز المعجزة عن السحر وقال القاضى معناه قوة الظهور بحيث لا يصح فيه نقيضه كما لا يصح فى الواقع أن يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التى أفكوها وهى تلك الحبال والعصى وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون أى الذى عملوه أو عملهم فغلبوا هنالك أى حين التحدى وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار أعظم فى حق المبطل من دحوض حجته روى أن تلك الحبال والعصى كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو أمر الهى قال المحققون انهم لاجل كمالهم فى علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل فى علم التوحيد والشريعة والحكمة وفى قوله وألقى السحرة ساجدين دليل على أن ملقيا ألقاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعى والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كأنهم ألقاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم أنهم سجدوا ثم قالوا آمنا برب العالمين وأجيب بأنه لا يبعد أنهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك أو أنهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله فى الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون اياى يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياى يعنون لانى أنا الذى ربيته فلما زادوا هرون زالت الشبهة وعرف الكل أنهم آمنوا بالله السماء وكفروا بفرعون وقيل أفردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم أن الداعى الى ايمانهم الذى

عنه أبو ظبيان انه أمر من الله طاف بهم وانه مصدر من قول القائل طاف بهم أمر الله يطوف طوفانا كما يقال نقص هذا الشئ ينقص نقصانا واذا كان ذلك كذلك جاز أن يكون الذى طاف بهم المطر الشديد وجاز أن يكون الموت الذريع ومن الدلالة على أن المطر الشديد قد يسمى طوفانا قول الحسن بن عرفطة

غير الجدة من آياتها * خرق الريح وطوفان المطر

ويروى خرق الريح بطوفان المطر وقول الراعى

تضحى اذا العيس أدركنا نكائثها * خرقاء يعتادها الطوفان والزؤد

وقول أبى النجم

قد مد طوفان فبث مددا * شهرا شآبيب وشهرا بردا

وأما القمل فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم هو السوس الذى يخرج من الحنطة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه وقال آخرون بل هو الدبى وهو صغار الجراد الذى لا أجنحة له ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال القمل الدبى حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال الدبى القمل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال القمل هو الدبى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال القمل الدبى حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة قال القمل هى الدبى وهى أولاد الجراد حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال القمل الدبى قال ثنا يحيى بن آدم عن قيس عمن ذكره عن عكرمة قال القمل بنات الجراد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال القمل الدبى وقال آخرون بل القمل البراغيث ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل قال زعم بعض الناس فى القمل أنها البراغيث وقال بعضهم هى دواب سود صغار ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال سمعت سعيد بن جبير والحسن قالا القمل دواب سود صغار وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يزعم أن القمل عند العرب الحمنان والحمنان ضرب من القردان واحدتها حمنانة فوق القمقامة والقمل جمع واحدتها قملة وهى دابة تشبه القمل تأكلها الابل فيما بلغنى وهى التى عناها الاعشى فى قوله

قوم تعالج قملا أبناؤهم * وسلاسلا أجدا وبابا مؤصدا

وكان الفراء يقول لم أسمع فيه شيأ فان لم يكن جمعا فواحده قامل مثل ساجد وراكع وان يكن اسما على معنى جمع فواحدته قملة ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الآيات والسبب

هو موسى وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما رأى أن أعلم الناس بالسحر أقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف أن يصير ذلك حجة عليه عند قومه فألقى فى الحال شبهة فى البين بعد ما أنكر عليهم ايمانهم أما الانكار فذلك قوله آمنتم له من لم يزد حرف الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخا أى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرأ بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفى قوله قبل أن آذن لكم دلالة على مناقضة فرعون فى ادعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز أن يأذن لهم فى أن يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذى يظهر على المبطلين وأما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها أى هذه حيلة احتلتموها أنتم وموسى أو تواطأتم عليها لغرض لكم وهو أن تخرجوا القبط وتسكنوا بنى اسرائيل وروى محمد ابن جرير عن السدى فى حديث عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضى الله عنهم أن موسى وأمير السحرة التقيا فقال له موسى أرأيتك ان غلبتك أتؤمن بى وتشهد أن ما جئت به حق فقال الساحر لآتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتنى لأومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمالى وتفصيله لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف أى من كل شق طرفا ثم لأصلبنكم أجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه أم لا فمن قائل انه لم يقع لانهم سألوا ربهم أن يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع وهو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملا أنهم قالوا لفرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ولو انه ترك أولئك السحرة لذكروهم أيضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بأنهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثانى بأنهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا أول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم أنهم قالوا عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون أى نحن لا نبالى بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونتخلص منك أو ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب

الذى من أجله أحدثها الله فيهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال لما أتى موسى فرعون قال له أرسل معى بنى اسرائيل فأبى عليه فأرسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيأ فخافوا أن يكون عذابا فقالوا لموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فأنبت لهم فى تلك السنة شيأ لم ينبته قبل ذلك من الزرع والثمر والكلا فقالوا هذا ما كنا نتمنى فأرسل الله عليهم الجراد فسلطه على الكلا فلما رأوا أثره فى الكلا عرفوا أنه لا يبقى الزرع فقالوا ياموسى ادع لنا ربك فيكشف عنا الجراد فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل فداسوا وأحرزوا فى البيوت فقالوا قد أحرزنا فأرسل الله عليهم القمل وهو السوس الذى يخرج منه فكان الرجل يخرج عشرة أجربة الى الرحى فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فأبوا أن يرسلوا معه بنى اسرائيل فبيناهو جالس عند فرعون اذ سمع نقيق ضفدع فقال لفرعون ما تلقى أنت وقومك من هذا فقال وما عسى أن يكون كيد هذا فما أمسوا حتى كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع فى فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذه الضفادع فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف عنهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان ما استقوا من الانهار والآبار أو ما كان فى أوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا الى فرعون فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال انه قد سحركم فقالوا من أين سحرنا ونحن لا نجد فى أوعيتنا شيأ من الماء الا وجدناه دما عبيطا فأتوه فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازى عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن عباس قال لما خافوا الغرق قال فرعون ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنؤمن لك ثم ذكر نحو حديث ابن حميد عن يعقوب حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم ان الله أرسل عليهم يعنى على قوم فرعون الطوفان وهو المطر فغرق كل شئ لهم فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم ونبتت به زروعهم فقالوا ما يسرنا أنا لم نمطر فبعث الله عليهم الجراد فأكل حروثهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به فدعا فكشفه وقد بقى من زروعهم بقية فقالوا لم تؤمنون وقد بقى من زرعنا بقية تكفينا فبعث الله عليهم الدبى وهو القمل فلحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان لاحدهم الطعام فيمتلئ دبى حتى ان أحدهم ليبنى الاسطوانة بالجص فيزلقها حتى لا يرتقى فوقها شئ يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملآن دبى فلم يصابوا ببلاء كان أشد عليهم من الدبى وهو الرجز الذى ذكر الله فى القرآن انه وقع عليهم فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشف عنهم ويؤمنوا به فلما كشف عنهم أبوا أن يؤمنوا فأرسل الله عليهم الدم فكان الاسرائيلى يأتى هو والقبطى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء هذا القبطى دما ويخرج للاسرائيلى ماء فلما اشتد ذلك عليهم سألوا موسى أن يكشفه ويؤمنوا به

أو انا جميعا يعنون أنفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا أو انا لا محالة ميتون فما تقدر أن تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم منا قال ابن عباس ما أتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله (٤٢) ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ثم لما لجؤا الى الدعاء كما هو دأب الصديقين عند نزول البلاء فقالوا ربنا أفرغ علينا صبرا أفض علينا سجال الثبات على متابعة الدين أو على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى أخبروا عن ايمانهم أولا وسألوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن أن يستدل بالآية على أن الايمان والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالآية على أن الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون أمثال ذلك على منح الالطاف واعلم أن مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هنالك يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة وأما قوله ههنا وأرسل في المدائن وهنالك وابعث فلأن الارسال يفيد معنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم أن المخاطب به فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لأن ضمير به في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنت به وآمنت له واحد وقال ههنا ثم لأصلبنكم وفي السورتين لأصلبنكم لأنه لما أفاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلاث يعود الى رعاية الفواصل فتنبه (التأويل) فظلموا بها بأن جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين أفسدوا الاستعداد الفطري بالركون الى الدنيا واذا تم احقيق على أن لا أقول على الله الا الحق لأني قائم بحقائق الجمع وان عن الخلق وآثار التفرقة فاذا هي ثعبان لأنه أضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه أن كل شيء أضفته الى نفسك وجعلته محل حاجاتك فانه ثعبان يبتلعك ولهذا قيل ألقها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه أن الايدي قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية نورانية

فكشف ذلك فأبوا أن يؤمنوا وذلك حين يقول الله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فأرسلنا عليهم الطوفان قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما ثم كشف عنهم فلم يؤمنوا وأخصبت بلادهم خصبا لم تخصب مثله فأرسل الله عليه الجراد فأكله الا قليلا فلم يؤمنوا أيضا فأرسل الله القمل وهي الدبى وهي أولاد الجراد فأكلت ما بقي من زروعهم فلم يؤمنوا فأرسل الله عليهم الضفادع فدخلت عليهم بيوتهم ووقعت في آنيتهم وفرشهم فلم يؤمنوا ثم أرسل الله عليهم الدم فكان أحدهم اذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما قال الله آيات مفصلات حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأرسلنا عليهم الطوفان حتى بلغ مجرمين قال أرسل الله عليهم الماء حتى قاموا فيه قياما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا لسوء ما يحضرهم ثم أنبتت أرضهم ثم أرسل الله عليهم الجراد فأكل عامة حروثهم وثمارهم ثم دعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضرهم فأرسل الله عليهم القمل هذا الدبى الذي رأيتم فأكل ما أبقى الجراد من حروثهم فلحسه فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم ثم عادوا بشر ما يحضرهم ثم أرسل الله عليهم الضفادع حتى ملأت بيوتهم وأفنيتهم فدعوا موسى فدعا ربه فكشف عنهم ثم عادوا بشر ما يحضرهم فأرسل الله عليهم الدم فكانوا لا يغترفون من مائهم الا دما أحمر حتى لقد ذكر أن عدو الله فرعون كان يجمع بين الرجلين على الاناء الواحد القبطي والاسرائيلي فيكون مما يلي الاسرائيلي ماء ومما يلي القبطي دما فدعوا موسى فدعا ربه فكشفه عنهم في تسع آيات السنين ونقص من الثمرات وأراهم يد موسى عليه السلام وعصاه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فأرسلنا عليهم الطوفان وهو المطر حتى خافوا الهلاك فأتوا موسى فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فانا نؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم المطر فأنبت الله به حرثهم وأخصب به بلادهم فقالوا ما نحب أنا لم نمطر بترك ديننا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الجراد فأسرع في فساد ثمارهم وزروعهم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد فانا سنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الجراد وكان قد بقي من زرعهم ومعاشهم بقايا فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فلن نؤمن لك ولن نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم القمل وهو الدبى فتتبع ما كان ترك الجراد فجزعوا وأحسوا بالهلاك قالوا يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا الدبى فانا سنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الدبى فقالوا ما نحن لك بمؤمنين ولا مرسلين معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فملأ بيوتهم منها ولقوا منها أذى شديدا لم يلقوا مثله فيما كان قبله انها كانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفئ نيرانهم قالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الضفادع فقد لقينا منها بلاء وأذى فانا سنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الضفادع فقالوا لا نؤمن لك ولا نرسل معك بني اسرائيل فأرسل الله عليهم الدم فجعلوا لا يأكلون الا الدم ولا يشربون الا الدم فقالوا يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا الدم فانا سنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه

فكشف

فكشف عنهم الدم فقالوا ياموسى لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فكانت آيات مفصلات بعضها على اثر بعض ليكون لله عليهم الحجة فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم فى اليم حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال أرسل على قوم فرعون الآيات الجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات قال فكان الرجل من بنى اسرائيل يركب مع الرجل من قوم فرعون فى السفينة فيغترف الاسرائيلى ماء ويغترف الفرعونى دما قال وكان الرجل من قوم فرعون ينام فى جانب فيكثر عليه القمل والضفادع حتى لا يقدر أن ينقلب على الجانب الآخر فلم يزالوا كذلك حتى أوحى الله الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال لما أتى موسى فرعون بالرسالة أبى أن يؤمن وأن يرسل معه بنى اسرائيل فاستكبر قال لن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الطوفان وهو الماء أمطر عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وامتنع منهم كل شئ فقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا هذا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا الله فكشف عنهم المطر فأنبت الله لهم حروثهم وأحيا بذلك المطر كل شئ من بلادهم فقالوا والله ما نحب أنا لم نكن أمطرنا هذا المطر ولقد كان خيرا لنا فلن نرسل معك بنى اسرائيل ولن نؤمن لك ياموسى فبعث الله عليهم الجراد فأكل عامة حروثهم فأسرع الجراد فى فسادها فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا الجراد فانا مؤمنون لك ومرسلون معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم الجراد وكان الجراد قد أبقى لهم من حروثهم بقية فقالوا قد بقى لنا من حروثنا ما كان كافينا فما نحن بتاركى ديننا ولن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم القمل والقمل الدبى وهو الجراد الذى ليست له أجنحة فتتبع ما بقى من حروثهم وشجرهم وكل نبات كان لهم فكان القمل أشد عليهم من الجراد فلم يستطيعوا للقمل حيلة وجزعوا من ذلك وأتوا موسى فقالوا ياموسى ادع لنا ربك يكشف عنا القمل فانه لم يبق لنا شيأ قد أكل ما بقى من حروثنا ولئن كشفت عنا القمل لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فكشف الله عنهم القمل فنكثوا وقالوا لن نؤمن لك ولن نرسل معك بنى اسرائيل فأرسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منها البيوت فلم يبق لهم طعام ولا شراب الا وفيه الضفادع فلقوا منها شيأ لم يلقوه فيما مضى فقالوا ياموسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل قال فكشف الله عنهم فلم يفعلوا فأنزل الله فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه اذا هم ينكثون الى وكانوا عنها غافلين حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسن بن واقد عن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله على آل فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تغرق أنفسها فى القدور وهى تغلى وفى التنانير وهى تفور فأثابها الله بحسن طاعتها برد الماء قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فرجع عدو الله يعنى فرعون حين آمنت السحرة مغلوبا مغلولا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادى فى الشر فتابع الله عليه بالآيات وأخذه بالسنين فأرسل عليه الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات فأرسل الطوفان وهو الماء ففاض على وجه الارض ثم ركد لا يقدرون على أن يحرثوا ولا يعملوا شيأ حتى جهدوا وجوعا فلما بلغهم ذلك قالوا ياموسى ادع لنا ربك

روحانية وأن اليد لموسى كانت روحانية فى جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى فى بعض الاوقات خرقا للعادات على يده الجسمانية يريد أن يخرجكم لاشك أن موسى أراد أن يخرجهم من أرضهم ولكن من أرض بشريتهم الى نور الروحانية قالوا أرجه وأخاه توهموا أن التأخير وحسن التدبير يغير شيأ من التقدير ولم يعلموا أن عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم أئن لنا لأجرا لم يعلموا أن أجرهم فى المغلوبية لا فى الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين أجرى الله تعالى هذا على لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا ياموسى اما أن تلقى أكرموا موسى بالتقديم والاستئذان فأكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم أى عظيم فى الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمة اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هى تلقف ما يأفكون فيه أن عصا الذكر اذا ألقيتها عند القاء سحرة صفات النفس تبتلع بفم لا النفى جميع ما سحروا به أعين الناس فوقع الحق باثبات لا اله الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا فى العيون فغلبوا أى سحرة صفات النفس اذ تنورت بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت أوامر الشرع ونواهيه وألقى السحرة ساجدين أى صارت صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية رب موسى الروح وهرون القلب واعلم أن صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها فى بحر الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفى القصة دلالة على أنه تعالى قد يبرز العدو فى صورة الولى مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل أن آذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن أن الايمان باذنه ولم يعلم أن الايمان باذن الله لمكر مكرتموه فى موافقة موسى الروح فى مدينة القالب لتخرجوا منها أهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لأقطعن بسكين التسويل عن الاعمال الصالحة ثم لأصلبنكم فى جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله أعلم (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم وانا فوقهم قاهرون قال موسى

لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال
عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم
يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه (٢٦) وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون

لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له
بشئ مما قالوا فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر فيما بلغنى حتى ان كان ليأكل مسامير الابواب
من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم فقالوا مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ
مما قالوا فأرسل الله عليهم القمل فذكر لى أن موسى أمر أن يمشى الى كثيب حتى يضربه بعصاه فمضى
الى كثيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملا حتى غلب على البيوت والاطعمة ومنعهم النوم
والقرار فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ مما قالوا فأرسل الله
عليهم الضفادع فملأت البيوت والاطعمة والآنية فلا يكشف أحد ثوبا ولا طعاما ولا اناء الا وجد فيه
الضفادع قد غلبت عليه فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشئ
مما قالوا فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دما لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون
من اناء الا عاد دما عبيطا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن محمد بن
كعب القرظى أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتى المرأة من بنى اسرائيل حين جهدهم
العطش فتقول اسقينى من مائك فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فيعود فى الاناء
دما حتى ان كانت لتقول لها اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتأخذ فى فيها ماء فاذا مجته فى فيها صار
دما فمكثوا فى ذلك سبعة أيام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى
نجيح عن مجاهد الجراد يأكل زروعهم ونباتهم والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم والدم
يكون فى بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم قال ثنا شبل عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال لما
سال النيل دما فكان الاسرائيلى يستقى ماء طيبا ويستقى الفرعونى دما ويشتركان فى اناء
واحد فيكون ما يلى الاسرائيلى ماء طيبا وما يلى الفرعونى دما حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج عن أبى بكر قال ثنى سعيد بن جبير أن موسى لما عالج فرعون بالآيات
الاربع العصا واليد ونقص من الثمرات والسنين قال يا رب ان عبدك هذا قد علا فى الارض
وعتا فى الارض وبغى علىّ وعلا عليك وعالى بقومه رب خذ عبدك بعقوبة تجعلها له ولقومه
نقمة وتجعلها لقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء
وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها فى بعض فامتلأت بيوت القبط ماء
حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل فى بيوت بنى اسرائيل قطرة
فجعلت القبط تنادى موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن
معك بنى اسرائيل قال فواثقوا موسى ميثاقا أخذ عليهم به عهودهم وكان الماء أخذهم يوم السبت
فأقام عليهم سبعة أيام الى السبت الآخر فدعا موسى ربه فرفع عنهم الماء فأعشبت بلادهم من ذلك
الماء فأقاموا شهرا فى عافية ثم جحدوا وقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا وخصبا لبلادنا ما نحب
أنه لم يكن قال وقد قال قائل لابن عباس انى سألت ابن عمر عن الطوفان فقال ما أدرى موتا كان أو ماء
فقال ابن عباس أما يقرأ ابن عمر سورة العنكبوت حين ذكر الله قوم نوح فقال فأخذهم الطوفان
وهم ظالمون أرأيت لو ماتوا الى من جاء موسى عليه السلام بالآيات الاربع بعد الطوفان قال فقال
موسى يا رب ان عبادك قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدى رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة

وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا
بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل
والضفادع والدم آيات مفصلات
فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما
كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم
بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا
منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذبوا
بآياتنا وكانوا عنها غافلين وأورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون
مشارق الارض ومغاربها التى باركنا
فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على
بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا
ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى اسرائيل
البحر فأتوا على قوم يعكفون على
أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه
وباطل ما كانوا يعملون قال أغير
الله أبغيكم الها وهو فضلكم على
العالمين واذ أنجيناكم من آل فرعون
يسومونكم سوء العذاب يقتلون
أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى
ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

* القرا آت سنقتل بالتخفيف ابن كثير
وأبو جعفر ونافع يورثها بالتشديد
الخراز عن هبيرة كلمات ربك
على الجمع يزيد فى رواية يعرشون
بضم الراء حيث كان ابن عامر
وأبو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم أنجاكم ابن عامر الاخرون ولقومى
أنجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف نافع * الوقوف وآلهتك ط نساءهم ج للابتداء بواو العطف واتحاد القائل قاهرون ○ واصبروا
ج لما قلنا من عباده ط للمتقين ○ ما جئتنا ط تعملون ○ يذكرون ○ لنا هذه ج لبيان تباين الاضافتين على التناقض ومن

معه ج لايعلمون ○ بهابمؤمنين ○ مجرمين ○ بما عهد عندك ج لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بنى اسرائيل ج لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون ○ غافلين ○ باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا ط لعكسه يعرشون ○ يعكفون ○ أصنام لهم ج لاتحاد القائل بلا عطف آلهة ط (٢٧) تجهلون ○ يعملون ○ العالمين ○ سوء العذاب ج لاحتمال كون ما بعده مستأنفا أو حالا نساءكم ط عظيم ○ والله أعلم ﴿التفسير﴾ ثم ان فرعون بعد وقوع هذه الواقعة لم يتعرض لموسى ولا أخذه ولا حبسه لانه كان كلما يرى موسى يخافه أشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على أخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى أتتركه وقومه ليفسدوا فى الارض أى يغيروا على الناس دينهم الذى كانوا عليه فيتوسلوا بذلك الى أخذ الملك وقوله ويذرك عطف على ليفسدوا وقوله وآلهتك مفعول معه والمراد أنه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع آلهته فقط ويحتمل أن يكون منصوبا على أنه جواب الاستفهام والمعنى أيكون منك أن تذر موسى ويكون من موسى أن يذرك وآلهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الأعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بأنه لعله كان اتخذ أصناما على صور الكواكب على أن الكواكب مدبرات العالم السفلى وأما المجدى فى هذا العالم للخلق والمربى لهم فهو نفسه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى أى أنا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على أنه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون أوهم قومه انه انما لم يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف منه فقال سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم فكأنه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى فى تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون أى سنعيد عليهم ما كنا محناهم به قبل من قتل الابناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة أنه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصله ما جرى بين فرعون وملئه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب أن الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من علم أنه لا مدبر للعالم

ولقومى عظة ولمن بعدهم آية فى الامم الباقية قال فبعث الله عليهم الجراد فلم يدع لهم ورقة ولا شجرة ولا زهرة ولا ثمرة الا أكلها حتى لم يبق جنى حتى اذا أفنى الخضر كلها أكل الخشب حتى أكل الابواب وسقوف البيوت وابتلى الجراد بالجوع فجعل لا يشبع غير أنه لا يدخل بيوت بنى اسرائيل فعجوا وصاحوا الى موسى فقالوا ياموسى هذه المرة ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فدعا لهم ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم أقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا لتكذيبهم ولانكارهم ولاعمالهم أعمال السوء قال فقال موسى يارب عبادك قد نقضوا عهدى وأخلفوا موعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فأرسل الله عليهم القمل قال أبو بكر سمعت سعيد بن جبير والحسن يقولان كان الى جنبهم كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب فضربه بعصاه ضربة فصار قملا تدب اليهم وهى دواب سود صغار فدب اليهم القمل فأخذ أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدرى عليهم فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك فدعا ربه فرفع عنهم القمل بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أنه ساحر منا اليوم جعل الرمل دواب وعزة فرعون لا نصدقه أبدا ولا نتبعه فعادوا لتكذيبهم وانكارهم فدعا موسى عليهم فقال يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فأرسل الله عليهم الضفادع فكان أحدهم يضطجع فتركبه الضفادع فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع أن ينصرف الى الشق الآخر ويفتح فاه لأكلته فيسبق الضفدع أكلته الى فيه ولا يعجن عجينا الا تشدخت فيه ولا يطبخ قدرا الا امتلأت ضفادع فعذبوا بها أشد العذاب فشكوا الى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فأخذ عهدهم وميثاقهم ثم دعا ربه فكشف الله عنهم الضفادع بعد ما أقام عليهم سبعا من السبت الى السبت فأقاموا شهرا فى عافية ثم عادوا لتكذيبهم وانكارهم وقالوا قد تبين لكم سحره يجعل التراب دواب ويجىء بالضفادع فى غير ماء فآذوا موسى عليه السلام فقال موسى يارب ان عبادك نقضوا عهدى وأخلفوا وعدى فخذهم بعقوبة تجعلها لهم عقوبة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فى الامم الباقية فابتلاهم الله بالدم فأفسد عليهم معايشهم فكان الاسرائيلى والقبطى يأتيان النيل فيستقيان فيخرج للاسرائيلى ماء ويخرج للقبطى دما ويقومان الى الحب فيه الماء فيخرج للاسرائيلى فى انائه ماء وللقبطى دما حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا ابن سعد قال سمعت مجاهدا فى قوله فأرسلنا عليهم الطوفان قال الموت والجراد قال الجراد يأكل أمتعتهم وثيابهم ومسامير أبوابهم والقمل هو الدبى سلطه الله عليهم بعد الجراد قال والضفادع تسقط فى أطعمتهم التى فى بيوتهم وفى أشربتهم وقال بعضهم الدم الذى أرسله الله عليهم كان رعافا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أحمد ابن خالد قال ثنا يحيى بن أبى بكير قال ثنا زهير قال قال زيد بن أسلم أما القمل فالقمل وأما الدم فسلط الله عليهم الرعاف وأما قوله آيات مفصلات فان معناه علامات ودلالات على صحة نبوة

الاالله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم أن الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما أمرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال (ان الارض) يعني أرض مصر أو جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية (لله يورثها من يشاء من عباده) ويعني بالتوريث جعل الشئ للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة (٢٨) لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من كلام المنصف والا فعلوم أن القبط لا تقوى لهم أو المراد أن كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر وقالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل أبنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من أنواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل (عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض) أرض مصر ولا ريب أن في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق أفاد قوة اليقين وأزال ما خامره من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج أي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قد عاوا انما يجازيهم على ما يقع منهم حديثا فتتعلق الرؤية الازلية به عن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب بتعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما يتقدمه ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشؤم التكذيب والتمرد فقال ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت على القحط كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحول والعام قال أبو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب النون ومنه قول الشاعر * دعاني من نجد فان سنينه * لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

موسى وحقية ما دعاهم اليه مفصلات قد فصل بينها فجعل بعضها يتلو بعضا وبعضها في اثر بعض وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال فكانت آيات مفصلات بعضها في اثر بعض ليكون لله الحجة عليهم فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله آيات مفصلات قال يتبع بعضها بعضا ليكون لله عليهم الحجة فينتقم منهم بعد ذلك وكانت الآية تمكث فيهم من السبت الى السبت وترفع عنهم شهرا قال الله عز وجل فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق آيات مفصلات أي آية بعد آية يتبع بعضها بعضا وكان مجاهد يقول فيما ذكر عنه في معنى المفصلات ما حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في آيات مفصلات قال معلومات ۞ القول في تأويل قوله (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) يقول تعالى ذكره فاستكبر هؤلاء الذين أرسل الله عليهم ما ذكر في هذه الآيات من الآيات والحجج عن الايمان بالله وتصديق رسوله موسى صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما دعاهم اليه وتعظموا على الله وعتوا عليه وكانوا قوما مجرمين يقول كانوا قوما يعملون بما يكرهه الله من المعاصي والفسق عتوا وتمردا ۞ القول في تأويل قوله (ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) يقول تعالى ذكره ولما وقع عليهم الرجز ولما نزل بهم عذاب الله وحل بهم سخطه ثم اختلف أهل التأويل في ذلك الرجز الذي أخبر الله انه وقع بهؤلاء القوم فقال بعضهم كان ذلك طاعونا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي عن جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير قال وأمر موسى قومه من بني اسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعون بالآيات الخمس الطوفان وما ذكر الله في هذه الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني اسرائيل فقال ليذبح كل رجل منكم كبشا ثم ليخضب كفه في دمه ثم ليضرب به على بابه فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله يرسل عليكم عذابا فنسلم وتهلكون فقالت القبط فما يعرفكم الله الا بهذه العلامات فقالوا هكذا أمرنا به نبينا فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفا فامسوا وهم لا يتدافنون فقال فرعون عند ذلك ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز وهو الطاعون لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشفه عنهم فكان أوفاهم كلهم فرعون فقال لموسى اذهب ببني اسرائيل حيث شئت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبوية الرازي وأبو داود الحفري عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير قال حبوية عن ابن عباس لئن كشفت عنا الرجز قال الطاعون وقال آخرون هو العذاب ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الرجز العذاب حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما كشفنا عنهم الرجز أي العذاب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولما وقع عليهم الرجز يقول العذاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله

ولما وقع عليهم الرجز قال الرجز العذاب الذي سلط الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون وقد بينا معنى الرجز فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده المغنية عن إعادتها * وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال إن الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب والسخط من الله عليهم فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لأن كل ذلك كان عذابا عليهم وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعونا ولم يخبرنا الله أي ذلك كان ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي ذلك كان خبر فنسلم له فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه ولما وقع عليهم الرجز ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمانع فيه بين أهل التأويل وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يقول بما أوصاك وأمرك به وقد بينا معنى العهد فيما مضى لئن كشفت عنا الرجز يقول لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنؤمنن لك يقول لنصدقن بما جئت به ودعوت إليه ولنقرن به لك ولنرسلن معك بني إسرائيل يقول ولنخلين معك بني إسرائيل فلا نمنعهم أن يذهبوا حيث شاؤا ۞ القول في تأويل قوله (فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون) يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه فأجابه فلما رفع الله عنهم العذاب الذي أنزله بهم إلى أجل هم بالغوه ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم إذا هم ينكثون يقول إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا ربهم وموسى ويقيمون على كفرهم وضلالهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله تعالى إلى أجل هم بالغوه قال عدد مسمى لهم من أيامهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون قال ما أعطوا من العهود وهو حين يقول الله ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين وهو الجوع ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون ۞ القول في تأويل قوله (فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم يقول انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليم وهو البحر كما قال ذو الرمة

داوية ودجى ليل كأنهما * يم تراطن في حافاته الروم

وكما قال الراجز * كبادح اليم سقاه اليم * بأنهم كذبوا بآياتنا يقول فعلنا ذلك بهم بتكذيبهم بحججنا وأعلامنا التي أريناهموها وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن النقمة التي أحللناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة والهاء والألف في قوله عنها كناية من ذكر النقمة فلو قال قائل هي كناية من ذكر الآيات ووجه تأويل الكلام إلى وكانوا عنها معرضين فجعل إعراضهم عنها غفولا منهم عنها إذ لم يقبلوها كان مذهبا يقال من الغفلة غفل الرجل عن كذا يغفل عنه غفلة وغفولا وغفلا ۞ القول في تأويل قوله (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع

والسنون من الجوع المصححة الشاذة عن ابن عباس السنون لأهل البوادي وأصحاب المواشي ونقص من الثمرات لأهل الأمصار وفائدة توسيط من أن يعلم أن كل الثمرات لم تنقص وإنما نقص بعضها لعلهم يذكرون فينتبهوا ويرجعوا إلى الانقياد والطاعة فإن مس الضر مما يلين الأعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة (٢٩) وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية قال القاضي في الآية دلالة على أنه تعالى أراد منهم أن يتذكروا لا أن يقيموا على ما هم عليه من الكفر وأجيب بأنه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا يرعوي عن الكفر والطغيان إلا من شاء وأراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه (فإذا جاءتهم الحسنة) قال ابن عباس أي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة (قالوا لنا هذه) أي نحن مخصوصون بذلك ولم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا أنها من الله فيشكروه عليها ويقوموا بحق نعمته (وإن تصبهم سيئة) أضداد ما ذكرنا (يطيروا) يتشاءموا بموسى ومن معه وأصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجهما وإنما عرفت الحسنة وخصت بإذا ونكرت السيئة وقرنت بإن لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته وشموله وأما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء (ألا إنما طائرهم عند الله) قال الأزهري يقال للشؤم طائر وطير وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا أي حصل ووقع ذلك في حظه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير لأن الفأل الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الإمام فخر الدين الرازي وذلك لأن الأرواح الإنسانية أقوى وأصفى من الأرواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالأول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الآية أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الكل رهين مشيئته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان أو بشؤمه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم وآله في المدينة

فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ يقول تعالى ذكره وأورثنا القوم الذين كان فرعون وقومه يستضعفونهم فيذبحون أبناءهم و يستحيون نساءهم و يستخدمونهم تسخيرا واستعبادا من بنى اسرائيل مشارق الارض الشأم وذلك ما يلى الشرق منها ومغاربها التى باركنا فيها يقول التى جعلنا فيها الخير ثابتا دائما لاهلها وانما قال جل ثناؤه وأورثنا لانه أورث ذلك بنى اسرائيل بمهلك من كان فيها من العمالقة وبمثل الذى قلنا فى قوله مشارق الارض ومغاربها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن فرات القزاز عن الحسن فى قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها قال الشأم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن فرات القزاز قال سمعت الحسن يقول فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا قبيصة عن سفيان عن فرات القزاز عن الحسن الارض التى باركنا فيها قال الشأم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها هى أرض الشأم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قوله مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها قال التى بارك فيها الشأم وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الارض ومغاربها نصب على المحل يعنى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها وان قوله وأورثنا انما وقع على قوله التى باركنا فيها وذلك قول لا معنى له لان بنى اسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ولم يكن له سلطان الا بمصر فغير جائز والامر كذلك أن يقال الذين يستضعفون فى مشارق الارض ومغاربها فان قال قائل فان معناه فى مشارق أرض مصر ومغاربها فان ذلك بعيد من المفهوم فى الخطاب مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير وأما قوله وتمت كلمة ربك الحسنى فانه يقول وفى وعد الله الذى وعد بنى اسرائيل بتمامه على ما وعدهم من تمكينهم فى الارض ونصره اياهم على عدوهم فرعون وكلمته الحسنى قوله جل ثناؤه ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل قال ظهور قوم موسى على فرعون وتمكين الله لهم فى الارض وما ورثهم منها حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه وأما قوله ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه فانه يقول وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع وما كانوا يعرشون يقول وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وأخرجناهم من ذلك كله وخربنا جميع ذلك وقد بينا معنى التعريش فيما مضى بشواهده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وما كانوا يعرشون يقول يبنون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعرشون يبنون البيوت والمساكن ما بلغت وكان عنبهم

فقالوا اغلت أسعارنا وقلت أمطارنا مذ أتانا قال فى الكشاف و يجوز أن يكون معناه ألا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لأجله و يعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم أنهم لجهلهم أسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم أنهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به الآية وفى مهما قولان فعن البصريين أن أصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائى أن مه بمعنى اكفف وما للشرط كأنه قيل كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى أيما شئ تأتنا به أو النصب بمعنى أى شئ تحضرنا تأتنا به ومن آية بيان لهما والضمير فى به وكذا فى بها يعود الى مهما لان البيان كالزيادة فلا يعود اليه شئ ما أمكن العود الى المبين الا أن الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وأنث أخرى حملا على المعنى وسموها آية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها و بقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فأرسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدرى وهو أول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح أنه المطر وأصله ما طاف وغلب من مطر أو سيل أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون و بيوت بنى اسرائيل و بيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا فى الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم تلك السنة من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله وزعموا أن هذا الذى جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شئ حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فأرسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فألقته فى البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحى التى جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فأقاموا شهرا فسلط الله عليهم غير

غيرمعروش حدثني المثنى قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يعرشون بكسر الراء سوى عاصم ابن أبي النجود فانه قرأه بضمها وهما لغتان مشهورتان في العرب يقال عرش يعرش ويعرش فاذا كان ذلك كذلك فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وأنهما معروفان من كلام العرب وكذلك تفعل العرب في فعل اذا ردته الى الاستقبال تضم العين منه أحيانا وتكسره أحيانا غير أن أحب القراءتين الي كسر الراء لشهرتها في العامة وكثرة القراءة بها وأنها أصح اللغتين

﴿ القول في تأويل قوله ﴿وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون﴾ يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني اسرائيل البحر بعد الآيات التي أريناهموها والعبر التي عاينوها على يدي نبي الله موسى فلم تزجرهم تلك الآيات ولم تعظهم تلك العبر والبينات حتى قالوا مع معاينتهم من الحجج ما يحق أن يذكر معها البهائم اذ مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يقول يقومون على مثل لهم يعبدونها من دون الله اجعل لنا ياموسى الها يقول مثالا نعبده وصنما نتخذه الها كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها ولا تنبغي العبادة لشئ سوى الله الواحد القهار وقال موسى صلوات الله عليه انكم أيها القوم قوم تجهلون عظمة الله وواجب حقه عليكم ولا تعلمون أنه لا تجوز العبادة لشئ سوى الله الذي له ملك السموات والارض وذكر عن ابن جريج في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال ابن جريج على أصنام لهم قال تماثيل بقر فلما كان عجل السامري شبه لهم أنه من تلك البقر فذلك كان أول شأن العجل قالوا ياموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون وقيل ان القوم الذين كانوا عكوفا على أصنام لهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية قوم كانوا من لخم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا بشر بن عمر قال ثنا العباس بن المفضل عن أبي العوّام عن قتادة فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قال على لخم وقيل انهم كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أبا واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة قلت يانبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة يعكفون حولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم الله أكبر هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة انكم ستركبون سنن الذين من قبلكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حنين فمررنا بسدرة فقلنا يانبي الله اجعل لنا هذه ذات أنواط فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن سنان بن أبي سنان عن أبي واقد الليثي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني سنان بن أبي سنان الديلي عن أبي واقد الليثي أنهم خرجوا من مكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين قال وكان للكفار سدرة يعكفون عندها

القمل وهو الحمنان كبار القردان عن أبي عبيدة وقيل الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاما ممتلئا قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم (٣١) كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فأخذ في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فأخذ عليهم العهود فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لانصدقك أبدا فأرسل الله عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم وكان أحدهم اذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله آيات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لايشكل على عاقل أنها معجزات أو فصل بين بعضها وبعض بزمان يمتحن فيه أحوالهم وينظر أيوفون بالعهد أم ينكثون كما روى أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات ولاشك أن كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجزة أخرى فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز أي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير أنه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان أصابهم فمات من القبط سبعون ألف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بعهده

عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم أي ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك أو تعلق المقسم عليه بالفعل فتكون باء الاستعطاف أي أسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو أن يكون قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام (٣٢) أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني

و يعلقون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط قال فمررنا بسدرة خضراء عظيمة قال فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط قال قلتم والذي نفسي بيده ما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون أنها السنن لتركبن سنن من كان قبلكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قيل موسى لقومه من بني اسرائيل يقول تعالى ذكره قال لهم موسى ان هؤلاء العكوف على هذه الاصنام الله مهلك ما هم فيه من العمل ومفسده ومخسرهم فيه باثابته اياهم عليه العذاب المهين وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم اياها فمضمحل لانه غير نافع عند مجيء أمر الله وحلوله بساحتهم ولا مدافع عنهم بأس الله اذا نزل بهم ولا منقذهم من عذابه اذا عذبهم في القيامة فهو في معنى ما لم يكن وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل وحدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قالا جميعا حدثنا أسباط عن السدي ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول مهلك ما هم فيه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه يقول خسران حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال هذا كله واحد كهيئة غفور رحيم عفو غفور قال والعرب تقول انه البائس المتبر وانه البائس المخسر ۞ القول في تأويل قوله ﴿قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لقومه أسوى الله ألتمسكم الها وأجعل لكم معبودا تعبدونه والله الذي هو خالقكم فضلكم على عالمي دهركم وزمانكم يقول أفأبغيكم معبودا لا ينفعكم ولا يضركم تعبدونه وتتركون عبادة من فضلكم على الخلق ان هذا منكم لجهل ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لليهود من بني اسرائيل الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم واذكروا مع قيلكم هذا الذي قلتموه لموسى بعد رؤيتكم من الآيات والعبر وبعد النعم التي سلفت مني اليكم والأيادي التي تقدمت فعلكم ما فعلتم اذ أنجيناكم من آل فرعون وهم الذين كانوا على منهاجه وطريقته في الكفر بالله من قومه يسومونكم سوء العذاب يقول اذ يحملونكم أقبح العذاب وسيئه وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا ما كان العذاب الذي كان يسومهم سيئه يقتلون أبناءكم الذكور من أولادهم ويستحيون نساءكم يقول يستبقون اناثهم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم يقول وفي سومهم اياكم سوء العذاب اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة ۞ القول في تأويل قوله ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة﴾ يقول تعالى ذكره وواعدنا موسى لمناجاتنا ثلاثين ليلة وقيل انها ثلاثون ليلة من ذي القعدة وأتممناها بعشر يقول وأتممنا الثلاثين الليلة بعشر ليال تتمة أربعين ليلة وقيل ان العشر التي أتمها به أربعين عشر ذي الحجة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر

ذي

اسرائيل أي نخليهم وشأنهم فتذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا في جميع الوقائع بل الى أجل هم بالغوه لا محالة ومعذبون فيه اذا هم ينكثون جواب لما أي لما كشفنا عنهم فاجؤا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فأغرقناهم في اليم وهو البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمي باليم لان المنتفعين به يتيممونه أي يقصدونه بأنهم كذبوا بآياتنا أي كان اغراقهم بسبب التكذيب وبأنهم كانوا عنها أي عن الآيات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا أي وكانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين أي معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد اهلاك المبطلين فقال وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام في الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعني أرض مصر والشام لانها هي التي كانت تحت تصرف فرعون وقوله التي باركنا فيها أي بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بأرض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بني اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان (وتمت كلمة ربك الحسنى) تأنيث الاحسن صفة للكلمة قيل يريد بالكلمة قوله في سورة القصص ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذي تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم في الارض لان الوعد بالشيء جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا (بما صبروا) أي بسبب صبرهم وفيه أن الصبر عنوان الظفر وضمين

بالنصر والفرج ودمرنا أى أهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعانى والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى أنشأ جنات معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون (٣٣) والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى اسرائيل

ذى الحجة قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة وعشر ذى الحجة ففى ذلك اختلفوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة هو ذو القعدة وعشر من ذى الحجة فذلك قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن الثلاثين التى كان واعد موسى ربه كانت ذا القعدة والعشر من ذى الحجة التى تمم الله بها الاربعين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وواعدنا موسى ثلاثين ليلة قال ذو القعدة وأتممناها بعشر قال عشر ذى الحجة قال ابن جريج قال ابن عباس مثله حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال ذو القعدة والعشر الاول من ذى الحجة قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مسروق وأتممناها بعشر قال عشر الاضحى وأما قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة فانه يعنى فكمل الوقت الذى واعد الله موسى أربعين ليلة وبلغها كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فتم ميقات ربه قال فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ يقول تعالى ذكره لما مضى لموعد ربه قال لاخيه هرون اخلفنى فى قومى يقول كن خليفتى فيهم الى أن أرجع يقال منه خلفه يخلفه خلافة وأصلح يقول وأصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله وعبادته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح وكان من اصلاحه أن لا يدع العجل يعبد وقوله ولا تتبع سبيل المفسدين يقول ولا تسلك طريق الذين يفسدون فى الارض بمعصيتهم ربهم ومعونتهم أهل المعاصى على عصيانهم ربهم ولكن اسلك سبيل المطيعين ربهم فكانت مواعدة الله موسى عليه السلام بعد أن أهلك فرعون ونجى منه بنى اسرائيل فيما قال أهل العلم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى الحجاج عن ابن جريج قوله وواعدنا موسى ثلاثين ليلة الآية قال يقول ان ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرق آل فرعون وخلص الى الارض الطيبة أنزل الله عليهم فيها المن والسلوى وأمره ربه أن يلقاه فلما أراد لقاء ربه استخلف هرون على قومه وواعدهم أن يأتيهم الى ثلاثين ليلة ميعادا من قبله من غير أمر ربه ولا ميعاده فتوجه ليلقى ربه فلما تمت ثلاثون ليلة قال عدو الله السامرى ليس يأتيكم موسى وما يصلحكم الا اله تعبدونه فناشدهم هرون وقال لا تفعلوا انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم فقالوا نعم فلما أصبحوا من غد ولم يروا موسى عاد السامرى لمثل قوله بالأمس قال وأحدث الله الاجل بعد الاجل الذى جعله بينهم عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة فعاد هرون فناشدهم الا ما انتظروا يومهم ذلك أيضا فان جاء والا فعلتم ما بدا لكم ثم عاد السامرى الثالثة لمثل قوله لهم وعاد هرون فناشدهم أن ينتظروا فلما لم يروه قال القاسم قال الحسن حدثنى حجاج قال ثنى أبو بكر بن عبد الله الهذلى قال قام السامرى الى هرون حين انطلق موسى فقال يا نبى الله

بعد ذلك فقال (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) روى أنه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم أى فمروا بقوم يعكفون يواظبون على عبادة أصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا بالرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكأنهم طلبوا من موسى أن يعين لهم أصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فتوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد فى المعبود أنه اله أو اعتقد أنه مقرب الى الله ونهاية التعظيم لا تليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكأن هذا القول لم يصدر من مشاهير بنى اسرائيل وعظمائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه أن يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال على اختلفنا عنه لا فيه ثم قلتم اجعل لنا الها ولما تجف أقدامكم ان هؤلاء يعنى عبدة تلك

التماثيل متبر أى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون أى يتبر الله أصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبر الان اشارة الى أن عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وأن مصيرهم الى النار لا محالة قال أغير الله

أبغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التي لو تأخرت كانت صفة كما تقول أبغيكم الها غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدي يقال بغيت فلانا شيأ و بغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون أبناء زمانكم ومعنى (٣٤) الهمزة الانكار والتعجب مما اقترحوه مع كونهم مغمورين في نعم الله فان الاله ليس شيأ يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآية الباقية قد مر تفسيرها في البقرة والفائدة في اعادتها ههنا التعجب والتعجيب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون لتناسب قوله سنقتل أبناءهم والله أعلم ﴿التأويل﴾ وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس أتذر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا في أرض البشرية ويذرك وآلهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل أبناءهم يعني أعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحي نساءهم أي الصفات التي عنها يتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال موسى الروح لقومه هم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض لله أي أرض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث أرض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته و يورث أرض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعني عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء بصفاتها أوذينا من قبل أن تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتأذى من أوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعي البشرية اياه عسى ربكم أن يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى أن الواردات الروحانية لا تكفي لافناء النفس وصفاتها ولا بد في ذلك من تجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة الكفور لا يرى فضل المنعم وكذا الملول اذا أراد قطيعة * مل الوصال وقال كان وكانا ولكن أكثرهم

انا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليا كثيرا من زينتهم وان الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه و ينفقونه وانما كان عارية من آل فرعون فليسوا باحياء فنردها عليهم ولا ندري لعل أخاك نبي الله موسى اذا جاء يكون له فيها رأي اما يقربها قربانا فتأكلها النار واما يجعلها للفقراء دون الاغنياء فقال له هرون نعم ما رأيت وما قلت فأمر مناديا فنادى من كان عنده شيء من حلي آل فرعون فليأتنا به فأتوه به فقال هرون ياسامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة فقبضها السامري وكان عدو الله الخبيث صائغا فصاغ منه عجلا جسدا ثم قذف في جوفه تربة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام اذ رآه في البحر فجعل يخور ولم يخر الا مرة واحدة وقال لبني اسرائيل انما تخلف موسى بعد الثلاثين ليلة يلتمس هذا هذا الهكم واله موسى فنسي يقول ان موسى عليه السلام نسي ربه ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه وكلمه ربه وناجاه قال موسى لربه أرني أنظر اليك قال الله له مجيبا لن تراني ولكن انظر الى الجبل كان سبب مسئلة موسى ربه النظر اليه ما حدثني به موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال ان موسى عليه السلام لما كلمه ربه أحب أن ينظر اليه قال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فحف حول الجبل وحف حول الملائكة بنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بنار ثم تجلى ربه للجبل حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله وقربناه نجيا قال ثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قربه الرب حتى سمع صريف القلم فقال عند ذلك من الشوق اليه رب أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن أبي بكر الهذلي قال لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين حتى سمع كلام الله اشتاق الى النظر اليه فقال رب أرني أنظر اليك قال لن تراني وليس لبشر أن يطيق أن ينظر الي في الدنيا من نظر الي مات قال الهي سمعت منطقك واشتقت الى النظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك قال فانظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أرني أنظر اليك قال أعطني حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استخلف موسى هرون على بني اسرائيل وقال اني متعجل الى ربي فاخلفني في قومي ولا تتبع سبيل المفسدين فخرج موسى الى ربه متعجلا للقيه شوقا اليه وأقام هرون في بني اسرائيل ومعه السامري يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته فسأل ربه أن ينظر اليه فقال الله لموسى انك لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني الآية قال ابن اسحق فهذا ما وصل الينا في كتاب الله عن خبر موسى لما طلب النظر الى ربه وأهل الكتاب يزعمون وأهل التوراة أن قد كان لذلك تفسير وقصة وأمور كثيرة ومراجعة لم تأتنا في كتاب الله والله أعلم قال ابن اسحق عن بعض أهل العلم الاول بأحاديث أهل الكتاب انهم يجدون في تفسير ما عندهم من خبر موسى حين طلب ذلك الى ربه انه كان من كلامه

لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة وعقولهم عن شهود الحق مصدودة فأرسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل الالهامات والضفادع الخواطر والدم أصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن قبولها والعمل بها وكانوا قوما مجرمين فى الازل فلهذا لم تفدهم الوسائط والاسباب ولما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة (٣٥) فأغرقناهم فى يم الدنيا وشهواتها وما كانوا يعرشون أى يرفعون بالتجبر والتكبر أنفسهم يقال عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على أصنام لهم من المعانى المعقولة والمعارف الروحانية فاستحسنوها وأرادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الربانى عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله وعنايته معكم ان هؤلاء يعنى صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعانى المعقولة وباطل ما كانوا يعملون فى غير طلب الحق والوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات الى الوصول الى المعارف والحقائق الالهيات ﴿وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم

اياه حين طمع فى رؤيته وطلب ذلك منه ورد عليه ربه منه ما رد أن موسى كان تطهر وطهر ثيابه وصام للقاء ربه فلما أتى طور سينا ودنا الله له فى الغمام فكلمه سبحه وحمده وكبره وقدسه مع تضرع وبكاء حزين ثم أخذ فى مدحته فقال رب ما أعظمك وأعظم شأنك كله من عظمتك انه لم يكن شئ من قبلك فأنت الواحد القهار كان عرشك تحت عظمتك نارا توقدك وجعلت سرادق من دونه سرادق من نور فما أعظمك رب وأعظم ملكك جعلت بينك وبين ملائكتك مسيرة خمسمائة عام فما أعظمك رب وأعظم ملكك فى سلطانك فاذا أردت شيأ تقضيه فى جنودك الذين فى السماء أو الذين فى الارض وجنودك الذين فى البحر بعثت الريح من عندك لا يراها شئ من خلقك الا أنت ان شئت فدخلت فى جوف من شئت من أنبيائك فبلغوا لما أردت من عبادك وليس أحد من ملائكتك يستطيع شيأ من عظمتك ولا من عرشك ولا يسمع صوتك فقد أنعمت على وأعظمت على فى الفضل وأحسنت الى كل الاحسان عظمتنى فى أمم الارض وعظمتنى عند ملائكتك وأسمعتنى صوتك وبذلت لى كلامك وآتيتنى حكمتك فان أعد نعماءك لا أحصيها وان أردت شكرك لا أستطيعه دعوتك رب على فرعون بالآيات العظام والعقوبة الشديدة فضربت بعصاى التى فى يدى البحر فانفلق لى ولمن معى ودعوتك حين جزت البحر فأغرقت عدوك وعدوى وسألتك الماء لى ولأمتى فضربت بعصاى التى فى يدى الحجر فمنه أرويتنى وأمتى وسألتك لأمتى طعاما لم يأكله أحد كان قبلهم فأمرتنى أن أدعوك من قبل المشرق ومن قبل المغرب فناديتك من شرقى أمتى فأعطيتهم المن من مشرقى لنفسى وآتيتهم السلوى من غربيهم من قبل البحر واشتكيت الحر فناديتك فظللت عليهم بالغمام فما أطيق نعماءك على أن أعدها ولا أحصيها وان أردت شكرها لا أستطيعها جئتك اليوم راغبا طالبا سائلا متضرعا لتعطينى ما منعت غيرى أطلب اليك وأسألك ياذا العظمة والعزة والسلطان أن ترينى أنظر اليك فانى قد أحببت أن أرى وجهك الذى لم يره شئ من خلقك قال له رب العزة فلا ترى يا ابن عمران ما تقول تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا أليس فى السموات معمرى فانهن قد ضعفن أن يحملن عظمتى وليس فى الارض معمرى فانها قد ضعفت أن تسع بجندى فلست فى مكان واحد فأتجلى لعين تنظر الى قال موسى يارب أن أراك وأموت أحب الى من أن لا أراك وأحيا قال له رب العزة يا ابن عمران تكلمت بكلام هو أعظم من سائر الخلق لا يرانى أحد فيحيا قال رب تمم على نعماءك وتمم على فضلك وتمم على احسانك هذا الذى سألتك ليس لى أن أراك فأقبض ولكن أحب أن أراك فيطمئن قلبى قال له يا ابن عمران لن يرانى أحد فيحيا قال موسى رب تمم على نعماءك وتمم على فضلك وتمم على احسانك هذا الذى سألتك ليس لى أن أراك فأموت على اثر ذلك أحب الى من الحياة فقال الرحمن المترحم على خلقه قد طلبت ياموسى وأعطيتك سؤلك ان استطعت أن تنظر الى فاذهب فاتخذ لوحين ثم انظر الى الحجر الاكبر فى رأس الجبل فان ما وراءه وما دونه مضيق لا يسع الا مجلسك يا ابن عمران ثم انظر فانى أهبط اليك وجنودى من قليل وكثير ففعل موسى كما أمره به نحت لوحين ثم صعد بهما الى الجبل فجلس على الحجر فلما استوى عليه أمر الله جنوده الذين فى السماء الدنيا فقال ضعى أكنافك حول الجبل فسمعت ما قال الرب ففعلت أمره ثم أرسل الله الصواعق

هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا
ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا
قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم (٣٦) وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا

يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء ولا
تجعلنى مع القوم الظالمين قال رب
اغفر لى ولأخى وأدخلنا فى رحمتك
وأنت أرحم الراحمين ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من
ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك
نجزى المفترين والذين عملوا
السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا
ان ربك من بعدها لغفور رحيم
ولما سكت عن موسى الغضب أخذ
الالواح وفى نسختها هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون﴾ القرا آت
أرنى أنظر بسكون الراء وفتح الياء
ابن الفليح وزمعة والخزاعى عن
البزى الباقون بكسر الراء وسكون
الياء دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف
انى اصطفيتك بفتح ياء المتكلم
ابن كثير وأبو عمرو برسالتى على
التوحيد أبو جعفر ونافع وابن
كثير الباقون برسالاتى آياتى
الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة
الرشد بفتحتين حمزة وعلى وخلف
الباقون بضم الراء وسكون الشين
من حليهم بفتح الحاء وسكون اللام
يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد
الياء حمزة وعلى الباقون مثله ولكن
بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا
بالخطاب والنداء حمزة وعلى وخلف
والمفضل الباقون على الغيبة ورفع
ربنا على الفاعلية بعدى أعجلتم بفتح
الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير
وأبو عمرو قال ابن أم بكسر الميم
ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الباقون بفتحها
ومثله يا ابن أم فى طه * (الوقوف)

والظلمة والضباب على ما كان يلى الجبل الذى يلى موسى أربعة فراسخ من كل ناحية ثم أمر الله ملائكة الدنيا أن يمروا بموسى فاعترضوا عليه فمروا به طيران النغر تنبع أفواههم بالتقديس والتسبيح بأصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد فقال موسى بن عمران عليه السلام رب انى كنت عن هذا غنيا ما ترى عيناى شيأ قد ذهب بصرهما من شعاع النور المتصفف على ملائكة ربى ثم أمر الله ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا أمثال الاسد لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما رأى ومما سمع فاقشعرت كل شعرة فى رأسه وجلده ثم قال ندمت على مسئلتى اياك فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ فقال له خير الملائكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الثالثة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فأقبلوا أمثال النسور لهم نخف ورجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس كلجب الجيش العظيم أو كلهب النار ففزع موسى وأيست نفسه وأساء ظنه وأيس من الحياة فقال له خير الملائكة ورأسهم مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء الرابعة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فأقبلوا وهبطوا عليه لا يشبههم شئ من الذين مروا به قبلهم ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبتاه وأرعد قلبه واشتد بكاؤه فقال خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم أمر الله ملائكة السماء الخامسة أن اهبطوا فاعترضوا على موسى فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم وامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال له خير الملائكة ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى طلب أن يرانى موسى بن عمران واعترضوا عليه فهبطوا عليه فى يد كل ملك مثل النخلة الطويلة نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت فى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكى ويقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى أنقلب مما أنا فيه أم لا ان خرجت أحرقت وان مكثت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران أن يمتلئ جوفك وينخلع قلبك ويشتد بكاؤك فاصبر للذى جلست لتنظر اليه يا ابن عمران وكان جبل موسى جبلا عظيما فأمر الله أن يحمل عرشه ثم قال مروا بى على عبدى ليرانى فقليل من كثير ما رأى فانفرج الجبل من عظمة الرب وغشى ضوء عرش الرحمن جبل موسى ورفعت ملائكة السموات أصواتها جميعا فارتج الجبل فاندك وكل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى بن عمران صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله الحياة برحمته فتغشاه برحمته وقلب الحجر الذى كان عليه وجعله كالمعدة كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فأقامه الروح مثل الام أقامت جنينها حين يصرع قال فقام موسى يسبح الله ويقول آمنت أنك ربى وصدقت أنه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك رب

أربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف القائل المفسدين ه ربه لا لأن ما بعده جواب لما اليك ط فسوف وأعظم
ترانى ج صعقا ط المؤمنين ه الشاكرين ه لكل شئ ج للعدول مع فاء التعقيب بأحسنها ج الفاسقين ه بغير الحق ج بها ج
لابتداء شرط آخر وليبان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ه غافلين ه أعمالهم ط يعملون ه خوار ط سبيلا

ه لئلا تصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ه ضلوا ج لان ما بعده جواب الخاسرين ه أسفا ج لما مر بعدى ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد القائل أمر ربكم ج لان قوله وألقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلوننى ط ز صلى والوصل أولى لان الفاء للجواب أى اذاهم هموا بقتلى فلا تشمتهم بضربى الظالمين ه فى رحمتك ز صلى الاولى أن

وأعظم ملائكتك أنت رب الأرباب واله الآلهة وملك الملوك تأمر الجنود الذين عندك فيطيعونك وتأمر السماء وما فيها فتطيعك لا تستنكف من ذلك ولا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لله الذى لا شريك له ما أعظمك وأجلك رب العالمين ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا﴾ يقول تعالى ذكره فلما اطلع الرب للجبل جعل الله الجبل دكا أى مستويا بالارض وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين بن محمد بن عمرو العنقزى قال ثنى أبى قال ثنا أسباط عن السدى عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ما تجلى منه الا قدر الخنصر جعله دكا قال ترابا وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط قال زعم السدى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال تجلى منه مثل الخنصر فجعل الجبل دكا وخر موسى صعقا فلم يزل صعقا ما شاء الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخر موسى صعقا قال مغشيا عليه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال انقعر بعضه على بعض وخر موسى صعقا أى ميتا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج وخر موسى صعقا أى ميتا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله دكا قال دك بعضه بعضا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك قال سمعت سفيان يقول فى قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ساخ الجبل فى الارض حتى وقع فى البحر فهو يذهب معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين عن حجاج عن أبى بكر الهذلى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا انقعر فدخل تحت الارض فلا يظهر الى يوم القيامة حدثنا أحمد بن سهيل الواسطى قال ثنا قرة بن عيسى قال ثنا الاعمش عن رجل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى ربه للجبل أشار باصبعه فجعله دكا وأرانا أبو اسمعيل باصبعه السبابة حدثنى المثنى قال ثنى الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن ثابت عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال هكذا باصبعه ووضع النبى صلى الله عليه وسلم الابهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل حدثنى المثنى قال ثنا هدبة بن خالد قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال ووضع الابهام قريبا من طرف خنصره قال فساخ الجبل فقال حميد لثابت تقول هذا قال فرفع ثابت يده فضرب صدر حميد وقال يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوله أنس وأنا أكتمه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا وذلك أن الجبل حين كشف الغطاء ورأى النور صار مثل دك من الدكات حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فانه أكبر منك وأشد خلقا فلما تجلى ربه للجبل فنظر الى الجبل لا يتمالك وأقبل الجبل يندك على أوله فلما رأى موسى ما يصنع

يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين ه الدنيا ط المفترين ه وآمنوا ج لظاهر ان والوجه الوصل لان ما بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم ه الالواح ج صلى لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ه ﴿التفسير﴾ لما أهلك الله سبحانه أعداء بنى اسرائيل سأل موسى ربه أن يؤتيه الكتاب الذى وعده فأمره بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره الله أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة لهذا السبب وقيل فائدة التفصيل أنه تعالى أمره بصوم ثلاثين وأن يعمل فيها ما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة فى العشر وكلم فيها وقال أبو مسلم الاصفهانى من الجائز أن يكون موسى عند تمام الثلاثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله فى طه وما أعجلك عن قومك يا موسى فلما أعلمه الله تعالى خبر قومه مع السامرى رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات فى عشرة أخرى فتم أربعون ليلة وقيل لا يمتنع أن يكون الوعد الاول لحضرة موسى وحده والوعد الثانى لحضرة المختارين معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة فى قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم أن الميقات كان عشرين ثم أتمه بعشر فصار ثلاثين والفرق بين الميقات والوقت أن الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشئ قدره مقدر أم لا وانتصب أربعين على الحال أى تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفنى فى قومى كن خليفتى فيهم وأصلح كن مصلحا أو وأصلح

مايجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل ومن دعالـ الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفة مع أنه شريكه فى النبوة بدليل وأشركه فى أمرى والشريك أعلى حالا من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكأنه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تأكيدا واطمئنانا والا فالنبي لايفعل الا الاصلاح (٣٨) ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كأنه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذى حددنا

له كما يقال أتيته لعشر خلون من شهر كذا (وكلمه ربه) للناس فى كلام الله مذاهب فقيل هو عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف والاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية أو جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة وعلى الثانى فالاشعرية قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤيته عند نا مع أنه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع سماع كلامه مع أنه ليس بحرف ولا صوت وقال أبو منصور الماتريدى الذى سمعه موسى عليه السلام أصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة (٢) واختلف العلماء أيضا فى أن الله تعالى كلم موسى وحده لظاهر الآية أو مع السبعين المختارين وهو قول القاضى لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت نبوة موسى فلا بد من ظهور هذا المعنى لغيره قال رب أرنى أنظر اليك أى أرنى نفسك واجعلنى متمكنا من رؤيتك فانظر اليك وأراك عن ابن عباس أن موسى عليه السلام جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقى السبعون فى أسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له فى الالواح كتابا وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب أرنى أنظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية وأنه عارف بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضى للمحصلين من العلماء فى هذا المقام أقوال أحدها قول الحسن وغيره أن موسى ما عرف أن الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح فى معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد أن يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم أن يكون موسى أدون حالا من علماء المعتزلة

الجبل خر صعقا واختلفت القراء فى قراءة قوله دكا فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة دكا مقصورا بالتنوين بمعنى دك الله الجبل دكا أى فتته واعتبارا بقول الله كلا اذا دكت الارض دكا دكا وقوله وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة واستشهد بعضهم على ذلك بقول حميد

يدك أركان الجبال هدمه * يخطر بالبيض الرقاق بهمه

وقرأته عامة قراء الكوفيين جعله دكاء بالمد وترك الجر والتنوين مثل حمراء وسوداء وكان ممن يقرؤه كذلك عكرمة ويقول فيه ما حدثنى به أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا عباد بن عباد عن يزيد بن حازم عن عكرمة قال دكاء من الدكاوات وقال لما نظر الله تبارك وتعالى الى الجبل صار صخره ترابا واختلف أهل العربية فى معناه اذا قرئ كذلك فقال بعض نحويى البصرة العرب تقول ناقة دكاء ليس لها سنام وقال الجبل مذكر فلا يشبه أن يكون منه الا أن يكون جعله مثل دكاء حذف مثل وأجراه مجرى واسأل القرية وكان بعض نحويى الكوفة يقول معنى ذلك جعل الجبل أرضا دكاء ثم حذفت الارض وأقيمت الدكاء مقامها اذ أدت عنها * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأ جعله دكاء بالمد وترك الجر لدلالة الخبر الذى رويناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحته وذلك أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال فساخ الجبل ولم يقل فتفتت ولا تحول ترابا ولا شك أنه اذا ساخ فذهب ظهر وجه الارض فصار بمنزلة الناقة التى قد ذهب سنامها وصارت دكاء بلا سنام وأما اذا دك بعضه فانما يكسر بعضه بعضا ويتفتت ولا يسوخ وأما الدكاء فانها خلف من الارض فلذلك أنثت على ما قد بينت فمعنى الكلام اذا فلما تجلى ربه للجبل ساخ فجعل مكانه أرضا دكاء وقد بينا معنى الصعق بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره فلما ثاب الى موسى عليه السلام فهمه من غشيته وذلك هو الافاقة من الصعقة التى خر لها موسى صلى الله عليه وسلم قال سبحانك تنزيها لك يارب وتبرئة أن يراك أحد فى الدنيا ثم يعيش تبت اليك من مسئلتى اياك ما سألتك من الرؤية وأنا أول المؤمنين بك من قومى أن لا يراك فى الدنيا أحد الا هلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن موسى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فى قوله تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال كان قبله مؤمنون ولكن يقول أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك الى يوم القيامة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال لما رأى موسى ذلك وأفاق عرف أنه قد سأل أمرا لا ينبغى له فقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أبو العالية عنى أنى أول من آمن بك أنه لن يراك أحد قبل يوم القيامة حدثنى عبد الكريم بن الهيثم قال ثنا ابراهيم ابن بشار قال قال سفيان قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وخر موسى صعقا فمرت به الملائكة وقد صعق فقالت يا ابن النساء الحيض لقد سألت ربك أمرا عظيما فلما أفاق قال سبحانك لا اله الا أنت تبت اليك وأنا أول المؤمنين قال أنا أول من آمن أنه لا يراك أحد من خلقك يعنى فى الدنيا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قال

(٢) لم يتم كلام الماتريدى وانظره فى الفخر ليتم لك الفرق بينه وبين المعتزلة كتبه مصححه

العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى و بأنهم يدعون العلم الضروري بأن كل ما كان مرئيا فانه يجب أن يكون مقابلا أو في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو أيضا محال وثانيها طريقة أبي علي وأبي هاشم أن موسى عليه السلام سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون (٣٩) المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى

سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين يقول أنا أول من يؤمن أنه لا يراك شيء من خلقك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك قال من مسئلتي الرؤية حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد قال سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد سبحانك تبت اليك أن أسألك الرؤية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عيسى بن ميمون عن مجاهد في قوله سبحانك تبت اليك قال تبت اليك من أن أسألك الرؤية وقال آخرون معناه قوله وأنا أول المؤمنين بك من بني اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي قال ثنا أبي قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين قال أول من آمن بك من بني اسرائيل حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي عن عكرمة عن ابن عباس وأنا أول المؤمنين يعني أول المؤمنين من بني اسرائيل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وأنا أول المؤمنين أنا أول قومي ايمانا حدثنا ابن وكيع والمثنى قالا ثنا أبو نعيم عن سفيان عن عيسى بن ميمون عن رجل عن مجاهد وأنا أول المؤمنين يقول أول قومي ايمانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وأنا أول المؤمنين قال أنا أول قومي ايمانا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وأنا أول المؤمنين قال أول قومي آمن وانما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله وأنا أول المؤمنين على قول من قال معناه أنا أول المؤمنين من بني اسرائيل لانه قد كان قبله في بني اسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد اسرائيل لصلبه وكانوا مؤمنين وأنبياء فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل ❁ القول في تأويل قوله ﴿قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى يا موسى اني اصطفيتك على الناس يقول اخترتك على الناس برسالاتي الى خلقي أرسلتك بها اليهم وبكلامي كلمتك وناجيتك دون غيرك من خلقي فخذ ما آتيتك يقول فخذ ما أعطيتك من أمري ونهيي وتمسك به واعمل به يريد وكن من الشاكرين لله على ما آتاك من رسالته وخصك به من النجوى بطاعته في أمره ونهيه والمسارعة الى رضاه ❁ القول في تأويل قوله ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾ يقول تعالى ذكره وكتبنا لموسى في ألواحه وأدخلت الألف واللام في الألواح بدلا من الاضافة كما قال الشاعر * والاحلام غير عوازب * وكما قال جل ثناؤه فان الجنة هي المأوى يعني هي مأواه وقوله من كل شيء يقول من التذكير والتنبيه على عظمة الله وعز سلطانه موعظة لقومه ومن أمر بالعمل بما كتب في الالواح وتفصيلا لكل شيء يقول وتبيينا لكل شيء من أمر الله ونهيه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو سعيد بن جبير وهو في أصل كتابي عن سعيد بن جبير

الله جهرة وزيف بأنه لو كان كذلك لقال موسى أرهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني و بأنه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها و بأن ذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تأخيره مع أنهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم أن يقولوا لا نسلم أن هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار أبي القاسم الكعبي أن موسى سأل ربه المعرفة الضرورية بحيث تزول عندها الخواطر والوساوس كما في معرفة أهل الآخرة ورد بأنه تعالى أراه من الآيات كالعصا واليد وغيرها ما لا غاية بعدها فكيف يليق به أن يقول أظهر لي آية تدل على أنك موجود ولو فرض أنه لائق بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل أن يقول منعه في الدنيا لحكمة علمها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول أبي بكر الاصم أن موسى أراد تأكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل أمر مطلوب للعقلاء وضعف بأنه كان الواجب عليه حينئذ أن يقول أريد يا الهي أن يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل أن يقول هذا تعين الطريق وفي الآية سؤال وهو أنه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي ليناسب قوله أنظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل أرني ومن حجج الاشاعرة أنه تعالى علق رؤيته على أمر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بأنه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه أي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها

قوله فلما تجلى ربه أي ظهر وبان ومنه جلوت العروس إذا أبرزتها أو ظهر للجبل اقتداره وتصدى له أمره وإرادته جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق أخوان ومن قرأ بالمد أراد أرضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكاء أيضا اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شأن الرؤية وأن أحدا لا يقوى على ذلك إلا بتقوية الله وتأييده وقالت

في قول الله وتفصيلا لكل شيء قال ما أمروا به ونهوا عنه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء من الحلال والحرام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله وتفصيلا لكل شيء قال ما أمروا به ونهوا عنه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قال عطية أخبرني ابن عباس أن موسى صلى الله عليه وسلم لما كربه الموت قال هذا من أجل آدم قد كان الله جعلنا في دار مثوى لا نموت فخطأ آدم أنزلنا ههنا فقال الله لموسى أبعث إليك آدم فتخاصمه قال نعم فلما بعث الله آدم سأله موسى فقال أبونا آدم عليهما السلام يا موسى سألت الله أن يبعثني لك قال موسى لولا أنت لم نكن ههنا قال له آدم أليس قد أتاك الله من كل شيء موعظة وتفصيلا أفلست تعلم أنه ما أصاب في الأرض من مصيبة ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها قال موسى بلى فخصمه آدم صلى الله عليهما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عبد الصمد بن معقل أنه سمع وهبا يقول في قوله وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء قال كتب له لا تشرك بي شيئا من أهل السماء ولا من أهل الأرض فإن كل ذلك خلقي لا تحلف باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ووقر والديك ۞ القول في تأويل قوله ﴿فخذها بقوة﴾ يقول تعالى ذكره وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء خذ الألواح بقوة وأخرج الخبر عن الألواح والمراد ما فيها واختلف أهل التأويل في معنى القوة في هذا الموضع فقال بعضهم معناها بجد ذكر من قال ذلك حدثني عبد الكريم قال ثنا إبراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فخذها بقوة قال بجد حدثني موسى قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي فخذها بقوة قال بجد واجتهاد وقال آخرون معنى ذلك فخذها بالطاعة لله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا إسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس في قوله فخذها بقوة قال بالطاعة وقد بينا معنى ذلك بشواهده واختلاف أهل التأويل فيه في سورة البقرة عند قوله خذوا ما آتيناكم بقوة فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ يقول تعالى ذكره قلنا لموسى وأمر قومك بني إسرائيل يأخذوا بأحسنها يقول يعملوا بأحسن ما يجدون فيها كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي وأمر قومك يأخذوا بأحسنها بأحسن ما يجدون فيها حدثني عبد الكريم قال ثنا إبراهيم قال ثنا سفيان قال ثنا أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال أمر موسى أن يأخذها بأشد مما أمر به قومه فإن قال قائل وما معنى قوله وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أكان من خصالهم ترك بعض ما فيها من الحسن قيل لا ولكن كان فيها أمر ونهي فأمرهم الله أن يعملوا بما أمرهم بعمله ويتركوا ما نهاهم عنه فالعمل بالمأمور به أحسن من العمل

المعتزلة الرؤية أمر محال لقوله لن تراني وكلمة لن إن لم تفد التأبيد فلا أقل من التأكيد وأيضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر إلى الجبل لتشاهد تدكك أجزائه وتفرق أبعاضه من عظمة التجلي وإذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الإنسان قالت الأشاعرة ههنا لم يبعد أن يخلق الله تعالى حينئذ في الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وأيضا قوله وخر موسى صعقا أي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الأنبياء فضلا عن غيرهم روي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة وأيضا قوله بعد الإفاقة من الصعقة سبحانك أنزهك عما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك إني تبت إليك من طلب الرؤية بغير إذن منك وإن كان لغرض صحيح هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الأشاعرة وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا أو بأنه لا يجوز السؤال منك إلا بإذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله إياها أخذ في تعداد سائر نعمه عليه وأمره أن يشتغل بشكرها فقال يا موسى إني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى بالنهي عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على جواز الرؤية في نفسها وإلا لم يكن إلى هذا العذر حاجة وإنما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لأن الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض أنه تعالى خصه من دون الناس بمجموع أمرين الرسالة

بالمنهى عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لموسى اذ كتب فى الالواح من كل شئ خذها بجد فى العمل بما فيها واجتهاد وأمر قومك يأخذوا بأحسن مافيها وانههم عن تضييعها وتضييع العمل بما فيها والشرك بى فان من أشرك بى منهم ومن غيرهم فانى سأريه فى الآخرة عند مصيره الى دار الفاسقين وهى نار الله التى أعدها لاعدائه وانما قال سأريكم دار الفاسقين كما يقول القائل لمن يخاطبه سأريك غدا الام يصير اليه حال من خالف أمرى على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم بنحو ماقلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنى عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال مصيرهم فى الآخرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا مسلم قال ثنا مبارك عن الحسن فى قوله سأريكم دار الفاسقين قال جهنم وقال آخرون معنى ذلك سأدخلكم أرض الشأم فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سأريكم دار الفاسقين منازلهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة دار الفاسقين قال منازلهم وقال آخرون معنى ذلك سأريكم دار قوم فرعون وهى مصر ذكر من قال ذلك ٧ وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى تأويل ذلك لان الذى قبل قوله جل ثناؤه سأريكم دار الفاسقين أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما فى التوراة فأولى الامور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه وفرط فى العمل لله وحاد عن سبيله دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه سأنزع عنهم فهم الكتاب ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور المروزى قال ثنى محمد بن عبد الله ابن بكر قال سمعت ابن عيينة يقول فى قول الله سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال يقول أنزع عنهم فهم القرآن وأصرفهم عن آياتى وتأويل ابن عيينة هذا يدل على أن هذا الكلام كان عنده من الله وعيدا لأهل الكفر بالله ممن بعث اليه نبينا صلى الله عليه وسلم دون قوم موسى لان القرآن انما أنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم دون موسى عليه السلام وقال آخرون فى ذلك معناه سأصرفهم عن الاعتبار بالحجج ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج سأصرف عن آياتى عن خلق السموات والارض والآيات فيها سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه سيصرف عن آياته وهى أدلته وأعلامه على حقية ما أمر به عباده وفرض عليهم من طاعته فى توحيده وعدله وغير ذلك من فرائضه والسموات والارض وكل موجود من خلقه فمن آياته والقرآن أيضا من آياته وقد عم بالخبر أنه يصرف عن آياته المتكبرين فى الارض بغير الحق وهم الذين حقت عليهم كلمة الله أنهم لا يؤمنون فهم عن فهم جميع آياته والاعتبار والادكار بها مصروفون

٧ هكذا بياض بالاصل والذى فى الدر عن قتادة دار الفاسقين قال مصر اه قال العراقى انه تصحيف

والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بلا وسط سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء فى الخبر أن نبينا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة المعراج بعين الرأس وفى ذلك دليل على أفضليته على موسى شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب والمراد بالرسالات (٤١) ههنا أسفار التوراة فخذ ما آتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بأن تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له فى الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا فى عدد الالواح وفى جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرائيل وقيل من زبرجدة خضراء أو ياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب أنها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى قطعها بيده وشققها بأصابعه وقيل طولها كان عشرة أذرع والتحقيق أن أمثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت عنه اذ ليس فى الآية مايدل على ذلك وأما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرائيل بالقلم الذى كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل أيضا كما قلنا (من كل شئ) مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو أخذت من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل فى الموعظة كل مايوجب الرغبة فى الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد وأراد بالتفصيل تبيين كل مايحتاج اليه بنو اسرائيل من أقسام الاحكام ويجوز أن يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا له فى الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منها فى سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب فى الالواح انى أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بى شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمى كذبا فان من حلف باسمى كاذبا فلا أزكيه ولا تزنوا ولا تقتلوا ولا تعقوا الوالدين فخذها على ارادة القول أى وكتبنا فقلنا له خذها أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والضمير للالواح أو لكل شئ لانه فى معنى الاشياء أو للرسالات

أو التوراة بقوة بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سئل ههنا أنه لما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون الكل
مأمورا به فظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يقتضي أن فيه ما ليس بأحسن وأنه لا يجوز لهم الأخذ به وأجاب العلماء بوجوه منها أن تلك التكاليف
منها ما هو حسن ومنها ما هو أحسن كالاقتصاص (٤٢) والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب

فيكون كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقال قطرب الأحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والأحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف أحر من الشتاء ثم ختم الآية بالوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم أي ليكن ذكر جهنم حاضرا في أذهانكم لتحذروا أن تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشأم ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما أصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود وأقرانهم يمرون عليها في أسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بأن الله تعالى سيرزقهم أرض أعدائهم ويؤيده ما قرئ سأورثكم وقوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتي الآية فاحتجت الأشاعرة بها على أنه تعالى قد يمنع عن الإيمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم أن المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وأيضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف ولا تكون العقوبة
عين المعاقب عليه فوجب تأويل الآية وقال الكعبي وأبو مسلم الأصفهاني إن هذا الكلام تمام لما وعد الله به موسى من النصرة والعصمة كانت
أي أصرفهم عن آياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال في حق نبينا صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل إليك إلى قوله والله يعصمك

لأنهم لو وفقوا الفهم بعض ذلك فهدوا للاعتبار به اتعظوا وأنابوا إلى الحق وذلك غير كائن منهم لأنه جل ثناؤه قال وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها فلا تبديل لكلمات الله ۞ القول في تأويل قوله ﴿وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ يقول تعالى ذكره وإن ير هؤلاء الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وتكبرهم فيها بغير الحق تجبرهم فيها واستكبارهم عن الإيمان بالله ورسوله والإذعان لأمره ونهيه وهم لله عبيد يغذوهم بنعمته ويريح عليهم رزقه بكرة وعشيا كل آية يقول كل حجة لله على وحدانيته وربوبيته وكل دلالة على أنه لا تنبغي العبادة إلا له خالصة دون غيره لا يؤمنوا بها يقول لا يصدقوا بتلك الآية أنها دالة على ما هي فيه حجة ولكنهم يقولون هي سحر وكذب وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا يقول وإن ير هؤلاء الذين وصف صفتهم طريق الهدى والسداد الذي إن سلكوه نجوا من الهلكة والعطب وصاروا إلى نعيم الأبد لا يسلكوه ولا يتخذوه لأنفسهم طريقا جهلا منهم وحيرة وإن يروا سبيل الغي يقول وإن يروا طريق الهلاك الذي إن سلكوه ضلوا وهلكوا وقد بينا معنى الغي فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته يتخذوه سبيلا يقول يسلكوه ويجعلوه لأنفسهم طريقا لصرف الله إياهم عن آياته وطبعه على قلوبهم فهم لا يفلحون ولا ينجحون ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول تعالى ذكره صرفناهم عن آياتنا أن يعقلوها ويفهموها فيعتبروا بها ويذكروا فينيبوا عقوبة منا لهم على تكذيبهم بآياتنا وكانوا عنها غافلين يقول وكانوا عن آياتنا وأدلتنا الشاهدة على حقيقة ما أمرناهم به ونهيناهم عنه غافلين لا يتفكرون فيها لاهين عنها لا يعتبرون بها فحق عليهم حينئذ قول ربنا فعطبوا واختلفت القراء في قراءة قوله الرشد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض المكيين وبعض البصريين الرشد بضم الراء وتسكين الشين وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة وبعض المكيين الرشد بفتح الراء والشين ثم اختلف أهل المعرفة بكلام العرب في معنى ذلك إذا ضمت راؤه وسكنت شينه وفيه إذا فتحتا جميعا فذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول معناه إذا ضمت راؤه وسكنت شينه الصلاح كما قال الله فإن آنستم منهم رشدا بمعنى صلاحا وكذلك كان يقرؤه هو ومعناه إذا فتحت راؤه وشينه الرشد في الدين كما قال جل ثناؤه تعلمني مما علمت رشدا بمعنى الاستقامة والصواب في الدين وكان الكسائي يقول هما لغتان بمعنى واحد مثل السقم والسقم والحزن والحزن وكذلك الرشد والرشد ۞ والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال إنهما قراءتان مستفيضة القراءة بهما في قراءة الأمصار متفقتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب بها ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء المستكبرون في الأرض بغير الحق وكل مكذب حجج الله ورسله وآياته وجاحد أنه يوم القيامة مبعوث بعد مماته ومنكر لقاء الله في آخرته ذهبت أعمالهم فبطلت وحصلت لهم أوزارها فثبتت لأنهم عملوا لغير الله وأتعبوا أنفسهم في غير ما يرضى الله فصارت أعمالهم عليهم وبالا يقول الله جل ثناؤه هل يجزون إلا ما كانوا يعملون يقول هل ينالون إلا ثواب ما كانوا يعملون فصار ثواب أعمالهم الخلود في نار أحاط بهم سرادقها إذ

كانت أعمالهم فى طاعة الشيطان دون طاعة الرحمن نعوذ بالله من غضبه وقد بينا معنى الحبوط والجزاء والآخرة فيما مضى بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين﴾ يقول تعالى ذكره واتخذ بنو اسرائيل قوم موسى من بعد ما فارقهم موسى ماضيا الى ربه لمناجاته ووفاء للوعد الذى كان ربه وعده من حليهم عجلا وهو ولد البقرة فعبدوه ثم بين تعالى ذكره ما ذلك العجل فقال جسدا له خوار والخوار صوت البقر يخبر جل ذكره عنهم أنهم ضلوا بما لا يضل بمثله أهل العقل وذلك أن الرب جل جلاله الذى له ملك السموات والارض ومدبر ذلك لا يجوز أن يكون جسدا له خوار لا يكلم أحدا ولا يرشد الى خير وقال هؤلاء الذين قص الله قصصهم لذلك هذا الهنا واله موسى فعكفوا عليه يعبدونه جهلا منهم وذهابا عن الله وضلالا وقد بينا سبب عبادتهم اياه وكيف كان اتخاذ من اتخذ منهم العجل فيما مضى بما أغنى عن اعادته وفى الحلى لغتان ضم الحاء وهو الاصل وكسرها وكذلك ذلك فى كل ما شاكله من مثل صلى وجثى وعتى وبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب لاستفاضة القراءة بهما فى القراءة لا تفارق بين معنييهما وقوله ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ألم ير الذين عكفوا على العجل الذى اتخذوه من حليهم يعبدونه أن العجل لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا يقول ولا يرشدهم الى طريق وليس ذلك من صفة ربهم الذى له العبادة حقا بل صفته أنه يكلم أنبياءه ورسله ويرشد خلقه الى سبيل الخير وينهاهم عن سبيل المهالك والردى يقول الله جل ثناؤه اتخذوه أى اتخذوا العجل الها وكانوا باتخاذهم اياه ربا معبودا ظالمين لانفسهم لعبادتهم غير من له العبادة واضافتهم الالوهة الى غير الذى له الالوهة وقد بينا معنى الظلم فيما مضى بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سقط فى أيديهم ولما ندم الذين عبدوا العجل الذى وصف جل ثناؤه صفته عند رجوع موسى اليهم واستسلموا لموسى وحكمه فيهم وكذلك تقول العرب لكل نادم على أمر فات منه أو سلف وعاجز عن شئ قد سقط فى يديه وأسقط لغتان فصيحتان وأصله من الاستئسار وذلك أن يضرب الرجل الرجل أو يصرعه فيرمى به من يديه الى الارض ليأسره فيكتفه فالمرمى به مسقوط فى يدى الساقط به فقيل لكل عاجز عن شئ ومصارع لعجزه متندم على ما فاته سقط فى يديه وأسقط وعنى بقوله ورأوا أنهم قد ضلوا ورأوا أنهم قد جاروا عن قصد السبيل وذهبوا عن دين الله وكفروا بربهم قالوا تائبين الى الله منيبين اليه من كفرهم به لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ثم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعض قراء أهل المدينة ومكة والكوفة والبصرة لئن لم يرحمنا ربنا بالرفع على وجه الخبر وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لئن لم ترحمنا ربنا بالنصب بتأويل لئن لم ترحمنا يا ربنا على وجه الخطاب منهم لربهم واعتل قارئو ذلك كذلك بأنه فى احدى القراءتين قالوا لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا وذلك دليل على الخطاب والذى هو أولى بالصواب من القراءة فى ذلك القراءة على وجه الخبر بالياء فى يرحمنا وبالرفع فى قوله ربنا لانه لم يتقدم ذلك ما يوجب أن يكون موجها الى الخطاب والقراءة التى حكيت على ما ذكرنا من قراءتها قالوا لئن لم ترحمنا ربنا لا نعرف

من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما فى آياتى من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا أنفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فحينئذ (٤٣) يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه آخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح أن يصرفهم عنها وعن الحسن أن من الكفار من يبالغ فى كفره وينتهى الى الحد الذى اذا وصل اليه مات قلبه وهى بالطبع والخذلان فالمراد بالصرف هؤلاء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى قوله بغير الحق اما أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده اذ لا كمال فوق كماله فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما أن يكون صلة للفعل أى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذى لا أصل له ومنه يعلم أن للمحق أن يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قاله الكسائى وفرق أبو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وبفتحتين الاستقامة فى الدين قوله تعالى مما علمت رشدا وسبيل الغى ضد ما ذكرنا ثم بين أن ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء أو النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب أنهم كذا وكذا ثم بين أن أولئك المتكبرين يجزون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة أى جحدوا المعاد حبطت أعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول أبى هاشم ان تارك الواجب يستحق العقاب بمجرد ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا لانها دلت على أن لا جزاء الا على عمل.

صحتها من الوجه الذى يجب التسليم اليه ومعنى قوله لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لئن لم يتعطف علينا ربنا بالتوبة برحمته ويتغمد بها ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذين حبطت أعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم﴾ يقول تعالى ذكره ولما رجع موسى الى قومه من بنى اسرائيل رجع غضبان أسفا لان الله كان قد أخبره أنه قد فتن قومه وأن السامرى قد أضلهم فكان رجوعه غضبان أسفا فالاسف والاسف شدة الغضب والتغيظ به على من أغضبه كما حدثنى عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا عبد السلام بن محمد الحضرمى قال ثنى شريح بن يزيد قال سمعت نصر بن علقمة يقول قال أبو الدرداء قول الله غضبان أسفا قال الاسف منزلة وراء الغضب أشد من ذلك وتفسير ذلك فى كتاب الله ذهب الى قومه غضبان وذهب أسفا وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى أسفا قال حزينا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا يقول أسفا حزينا وقال فى الزخرف فلما آسفونا يقول أغضبونا والأسف على وجهين الغضب والحزن حدثنا نصر بن على قال ثنا سليمان بن سليمان قال ثنا مالك بن دينار قال سمعت الحسن يقول فى قوله ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال غضبان حزينا وقوله قال بئسما خلفتمونى من بعدى يقول بئس الفعل فعلتم بعد فراقى اياكم وأوليتمونى فيمن خلفت ورائى من قومى فيكم ودينى الذى أمركم به ربكم يقال منه خلفه بخير وخلفه بشر اذا أولاه فى أهله أو قومه ومن كان منه بسبيل من بعد شخوصه عنهم خيرا أو شرا وقوله أعجلتم أمر ربكم يقول أسبقتم أمر ربكم فى نفوسكم وذهبتم عنه يقال منه عجل فلان هذا الامر اذا سبقه وعجل فلان فلانا اذا سبقه ولا تعجلنى يا فلان لا تذهب عنى وتدعنى وأعجلته استحثثته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال ابن أم ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى﴾ يقول تعالى ذكره وألقى موسى الالواح ثم اختلف أهل العلم فى سبب القائه اياها فقال بعضهم ألقاها غضبا على قومه الذين عبدوا العجل ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا الاصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب قال ثنى سعيد بن جبير قال قال ابن عباس لما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الالواح من الغضب وحدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا ابن عيينة قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال لما رجع موسى الى قومه وكان قريبا منهم سمع أصواتهم فقال انى لأسمع أصوات قوم لاهين فلما عاينهم وقد عكفوا على العجل ألقى الالواح فكسرها وأخذ برأس أخيه يجره اليه حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال أخذ موسى الالواح ثم رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فقال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا الى قوله فكذلك ألقى السامرى فألقى موسى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما انتهى موسى الى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل ألقى الالواح من يده ثم أخذ برأس أخيه ولحيته ويقول ما منعك اذ رأيتهم ضلوا

وترك الواجب ليس بعمل أجاب أبو هاشم بأنى لا أسمى ذلك العقاب جزاء ورد بأن الجزاء ما يجزى أى يكفى فى المنع عن النهى أو فى الحث على المأمور لكن العقاب على ترك الواجب كاف فى الزجر عن ذلك الترك فكان جزاء قيل ان بنى اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلى فاستعاروها منهم فأغرق الله (٤٤) القبط فبقيت تلك الحلى فى أيدى بنى اسرائيل فلهذا أضيفت اليهم على أن مجرد ملابسة الاستعارة أيضا تحقق الاضافة وتصححها والحلى جمع حلى كثدى وثدى ومن كسر الحاء فللاتباع بجمع السامرى تلك الحلى وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سألوا موسى أن يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامرى لهم عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك فقال قوم كان قد أخذ تراب حافر فرس جبرائيل فألقاه فى جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى وقال أكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع فى جوفه أنابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب الرياح فظهر منه صوت شديد يشبه خوار العجل وقال آخرون انه صير ذلك التمثال أجوف وخبأ تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال سبحانه واتخذ قوم موسى مع أن المتخذ هو السامرى وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكأنهم شاركوه أو لان المراد باتخاذ العجل هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده أى من بعد مضيه الى الطور قال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الآية لقول موسى فى الدعاء رب اغفر لى ولاخى ولو كان غيرهما أهلا للدعاء لأشركهم فى ذلك وقال آخرون بل كان قد بقى فى بنى اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما أو بقى ذهبا كما كان مال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار والجسد اسم للجسم ذى اللحم والدم والخوار انما يكون للبقرة لا للصورة واستبعده بعضهم وناقش فى أن الجسد مختص بذى الروح ثم قال ان ذلك الصوت لما أشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرأ على كرم الله وجهه جؤار بالجيم

والهمزة من جأر اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم انه سبحانه احتج على فساد كون ذلك العجل الها بقوله ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله أن يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومناهجه بما ركز فى العقول من الادلة وبما أنزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح أن يكون الها قالت الاشاعرة لو صح أن الاله يلزم (٤٥) أن يكون متكلما هاديا لزم أن يكون كل متكلم هاد إلها والحق أن الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا أن كل اله يجب أن يكون متكلما هاديا والموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على أنه يمكن أن يقال لا متكلم ولا هادى فى الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال فى البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم أخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط فى أيديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا فى وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج أريد بالايدى القلوب والانفس كما يقال حصل فى يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين وقال فى الكشاف ان من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها فأصل الكلام سقط فوه فى يده فحذف الفاعل وبنى الفعل للمفعول فيه كما يحذف الفعل ويبنى للمفعول فيه فى قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك لاعتقاد أن ذلك العمل خير وصواب وانه يورثه رفعة ورتبة فاذا بان أن ذلك العمل باطل فكأنه انحط وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا أخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه تدارك الحالة التى لاجلها حصل له الندم وكأنه قد سقط فى يد نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافى وحكى الواحدى أنه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن وقع فى يده السقيط لم يحصل منه على شئ قط لانه يذوب بأدنى حرارة فهذا مثل من خسر فى عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية فى أكثر الاعمال اليد والعاجز فى حكم الساقط فسقوط

ضلوا ألا تتبعنى أفعصيت أمرى وقال آخرون انما ألقى موسى الالواح لفضائل أصابها فيها لغير قومه فاشتد ذلك عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أخذ الالواح قال رب انى أجد فى الالواح أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون أى آخرون فى الخلق سابقون فى دخول الجنة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة أناجيلهم فى صدورهم يقرؤنها وكان من قبلهم يقرؤن كتابهم نظرا حتى اذا رفعوها لم يحفظوا شيأ ولم يعرفوه قال قتادة وان الله أعطاكم أيتها الامة من الحفظ شيأ لم يعطه أحدا من الامم قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة يؤمنون بالكتاب الاول وبالكتاب الآخر ويقاتلون فصول الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الكذاب فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة صدقاتهم يأكلونها فى بطونهم ثم يؤجرون عليها وكان من قبلهم من الامم اذا تصدق بصدقة فقبلت منه بعث الله عليها نارا فأكلتها وان ردت عليه تركت تأكلها الطير والسباع قال وان الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم قال رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها الى سبعمائة رب اجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة اذا هم أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها فاذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال رب انى أجد فى الالواح أمة هم المشفعون والمشفوع لهم فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال وذكر لنا أن نبى الله موسى عليه السلام نبذ الالواح وقال اللهم اجعلنى من أمة أحمد قال فأعطى نبى الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبى قال الله ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى قال فرضى نبى الله ثم أعطى الثانية ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى نبى الله صلى الله عليه وسلم كل الرضا حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال لما أخذ موسى الالواح قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم خير الامم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد قال يارب انى أجد فى الالواح أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتى قال تلك أمة أحمد ثم ذكر نحو حديث بشر بن معاذ الا أنه قال فى حديثه فألقى موسى عليه السلام الالواح وقال اللهم اجعلنى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم • والذى هو أولى بالصواب من القول فى ذلك أن يكون سبب القاء موسى الالواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل لان الله جل ثناؤه بذلك أخبر فى كتابه فقال ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتمونى من بعدى أعجلتم أمر ربكم وألقى الالواح وأخذ برأس أخيه يجره اليه وذلك أن الله لما كتب لموسى عليه السلام فى الالواح التوراة أدناه منه حتى سمع صريف القلم ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن السدى عن أبى عمارة عن على عليه السلام قال لما كتب الله الالواح لموسى عليه السلام وهو يسمع صريف الاقلام

الدهو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاحه وقيل ان في بمعنى على أي سقط على أيديهم فان من عادة النادم أن يطأطئ رأسه ويضعه على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا أنهم قد ضلوا أي قد تبينوا ضلالهم كأنهم أبصروه بعيونهم قال القاضي الكلام على التقديم والتأخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطا والترتيب الاصلي ولما رأوا أنهم قد ضلوا اسقط

في الالواح قال ثنا اسرائيل عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أدناه حتى سمع صريف الاقلام وقيل ان التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى موسى الالواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وكان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء وبقي الهدى والرحمة في السبع الباقي وهو الذي قال الله أخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وكانت التوراة فيما ذكر سبعين وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة كما **حدثني** المثنى قال ثنا محمد بن خالد المكفوف قال ثنا عبد الرحمن عن أبي جعفر عن الربيع بن أنس قال أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ منها الجزء في سنة لم يقرأها الا أربعة نفر موسى بن عمران وعيسى وعزير ويوشع بن نون صلوات الله عليهم واختلفوا في الالواح فقال بعضهم كانت من زمرد أخضر وقال بعضهم كانت من ياقوت وقال بعضهم كانت من برد ذكر الرواية بما ذكرنا من ذلك **حدثني** أحمد بن ابراهيم الدورقي قال ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال أخبرني يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ألقى موسى الالواح فتكسرت فرفعت الا سدسها قال ابن جريج وأخبرني ان الالواح من زبرجد وزمرد من الجنة **وحدثني** موسى بن سهل الرملي وعلي ابن داود وعبد الله بن أحمد بن شبويه وأحمد بن الحسن الترمذي قالوا أخبرنا آدم العسقلاني قال ثنا أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية قال كانت ألواح موسى عليه السلام من برد **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن أبي الجنيد عن جعفر بن أبي المغيرة قال سألت سعيد بن جبير عن الالواح من أي شيء كانت قال كانت من ياقوتة كتابة الذهب كتبها الرحمن بيده فسمع أهل السموات صريف القلم وهو يكتبها **حدثني** الحرث قال ثنا القاسم قال حدثنا عبد الرحمن عن محمد ابن أبي الوضاح عن خصيف عن مجاهد أو سعيد بن جبير قال كانت الالواح زمردا فلما ألقى موسى الالواح بقي الهدى والرحمة وذهب التفصيل قال ثنا القاسم قال ثنا الاشجعي عن محمد بن مسلم عن خصيف عن مجاهد قال كانت الالواح من زمرد أخضر وزعم بعضهم أن الالواح كانت لوحين فان كان الذي قال كما قال فانه قيل وكتبنا له في الالواح وهما لوحان كما قيل فان كان له اخوة وهما أخوان وأما قوله وأخذ برأس أخيه يجره اليه فان ذلك من فعل نبي الله صلى الله عليه وسلم كان لموجدته على أخيه هرون في تركه اتباعه واقامته مع بني اسرائيل في الموضع الذي تركهم فيه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قيل موسى عليه السلام له ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعني أفعصيت أمري حين أخبره هرون بعذره فقبل عذره وذلك قيله لموسى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت أن تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي وقال يا ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء الآية واختلفت القراء في قراءة قوله يا ابن أم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض أهل البصرة يا ابن أم بفتح الميم من الأم وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يا ابن أم بكسر الميم من الأم واختلف أهل العربية في فتح ذلك وكسره مع اجماع جميعهم على أنهما لغتان مستعملتان في العرب فقال بعض نحويي البصرة قيل ذلك بالفتح على أنهما اسمان جعلا اسما واحدا كما قيل يا ابن عم وقال هذا شاذ لا يقاس عليه وقال من قرأ ذلك يا ابن أم فهو على لغة الذين يقولون هذا غلام قد جاء جعله اسما واحدا آخره مكسور مثل قوله خاز باز وقال بعض

في أيديهم ويمكن أن يقال الواو لا تفيد الترتيب أو يقال الاقدام على ما لا يعلم كونه صوابا أو خطأ فاسد موجب للندم وقد يتكامل العلم فيظهر أنه خطأ جزما ثم انهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر أبونا آدم وأمنا حواء ان لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول أبي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان أسفا فانه يدل على أن هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على أنه تعالى أخبره بوقوع الواقعة في الميقات والأسف الشديد الغضب وهو قول أبي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبان على قومه أسفا من فتنتهم به بئسما خلفتموني خاطب عبدة العجل أو وجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف التقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد أو من بعد ما كنت أحمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة مستخلفهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة أعجلتم أمر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف السرعة فانها عمل الشيء في أول وقته قال ابن عباس

نحوى الكوفة قيل يا ابن أم ويا ابن عم فنصب كما ينصب المعرب فى بعض الحالات فيقال يا حسرتا
يا ويلتا قال فكأنهم قالوا يا أماه ويا عماه ولم يقولوا ذلك فى أخ ولو قيل ذلك لكان صوابا قال والذين
خفضوا ذلك فانه كثر فى كلامهم حتى حذفوا الياء قال ولا تكاد العرب تحذف الياء الا من الاسم
المنادى يضيفه المنادى الى نفسه الا قولهم يا ابن أم ويا ابن عم وذلك أنهما يكثر استعمالهما
فى كلامهم فاذا جاء ما لا يستعمل أثبتوا الياء فقالوا يا ابن أبى ويا ابن أختى وأخى ويا ابن خالتى
ويا ابن خالى والصواب من القول فى ذلك أن يقال اذا فتحت الميم من ابن أم فمراد به الندبة يا ابن
أماه وكذلك من ابن عم فاذا كسرت فمراد به الاضافة ثم حذفت الياء التى هى كناية اسم المخبر عن
نفسه وكأن بعض من أنكر نسبته كسر ذلك اذا كسر ككسر الزاى من خاز باز لان خاز باز لا يعرف
الثانى الا بالاول ولا الاول الا بالثانى فصار كالاصوات وحكى عن يونس الجرمى تأنيث أم وتأنيث
عم وقال لا يجعل اسما واحدا الا مع ابن المذكر قالوا وأما اللغة الجيدة والقياس الصحيح فلغة
من قال يا ابن أمى باثبات الياء كما قال أبو زبيد

يا ابن أمى ويا شقيق نفسى * أنت خلفتنى لدهر شديد

وكما قال الآخر . يا ابن أمى ولو شهدتك اذ تد * عو تميما وأنت غير مجاب

وانما أثبت هؤلاء الياء فى الام لانها غير مناداة وانما المنادى هو الابن دونها وانما تسقط العرب الياء
من المنادى اذا أضافته الى نفسها لا اذا أضافته الى غير نفسها كما قد بينا وقيل ان هرون انما قال لموسى
عليه السلام يا ابن أم ولم يقل يا ابن أبى وهما لاب واحد وأم واحدة استعطافا له على نفسه برحم الام
وقوله ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى يعنى بالقوم الذين عكفوا على عبادة العجل وقالوا هذا
الهنا واله موسى وخالفوا هرون وكان استضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع أمره وكادوا يقتلوننى
يقول قاربوا ولم يفعلوا واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تشمت فقرأ قراء الامصار ذلك فلا تشمت
بى الاعداء بضم التاء من تشمت وكسر الميم منها من قولهم أشمت فلان فلانا بفلان اذا سره فيه بما
يكرهه المشمت به وروى عن مجاهد أنه قرأ ذلك فلا تشمت بى الاعداء حدثنى بذلك عبد الكريم
قال ثنا ابراهيم بن بشار قال ثنا سفيان قال قال حميد بن قيس قرأ مجاهد فلا تشمت بى الاعداء
حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهد
فلا تشمت بى الاعداء حدثت عن يحيى بن زياد الفراء قال ثنا سفيان بن عيينة عن رجل عن
مجاهد أنه قال لا تشمت وقال الفراء قال الكسائى ما أدرى فلعلهم أرادوا فلا تشمت بى الاعداء فان
تكن صحيحة فلها نظائر العرب تقول فرغت وفرغت فمن قال فرغت قال أنا أفرغ ومن قال فرغت
قال أنا أفرغ وكذلك ركبت وركبت وشملهم أمر وشملهم فى كثير من الكلام قال والاعداء رفع لان
الفعل لهم لمن قال تشمت أو تشمت والقراءة التى لا أستجيز القراءة الا بها قراءة من قرأ فلا تشمت
بضم التاء الاولى وكسر الميم من أشمت به عدوه أشمته به ونصب الاعداء لاجماع الحجة من قراء
الامصار عليها وشذوذ ما خالفها من القراءة وكفى بذلك شاهدا على ما خالفها هذا مع انكار معرفة
عامة أهل العلم بكلام العرب شمت فلان فلانا بفلان وشمت فلان بفلان يشمت به وانما المعروف
من كلامهم اذا أخبروا عن شماتة الرجل بعدوه شمت به بكسر الميم يشمت به بفتحها فى الاستقبال

يعنى أعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن أعجلتم وعد ربكم الذى وعدكم من الاربعين وذلك أنهم قدروا أنه لما لم يأت على رأس الثلاثين
ليلة فقد مات وروى أن السامرى قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى أنهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا
ما أحدثوا وقال الكلبى أعجلتم عبادة العجل قبل أن يأتيكم أمر ربكم وقال عطاء أعجلتم سخط ربكم وفى الكشاف يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم
عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى
سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت
الامر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم
وهو انتظار موسى حافظين لعهده
وما وصاكم به وألقى الالواح التى فيها
التوراة لما لحقه من الدهش
والضجر غضبا لله عن النبى صلى
الله عليه وآله أنه قال يرحم الله أخى
موسى ما الخبر كالمعاينة لقد أخبره
الله تعالى بفتنة قومه فعرف أن
ما أخبره الله تعالى به حق وانه مع
ذلك متمسك بما فى يده وروى أن
التوراة كانت سبعة أسباع فلما ألقى
الالواح تكسرت فرفع منها ستة
أسباعها وبقى سبع واحد وكان
فيما رفع تفصيل كل شئ وفيما بقى
الهدى والرحمة قال فى التفسير
الكبير القاء الالواح ثابت بالقرآن
فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا
وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق
بالانبياء وأقول الجراءة تحصل
بنفس الالقاء لا بالتكسر الذى
لا يتعلق باختياره فكل ما يجعل
عذرا عن نفس الالقاء يصح أن
يجعل عذرا عن التكسر وأخذ
برأس أخيه أى بشعر رأسه يجره
اليه بذؤابته واعلم أن موسى عليه
السلام كان فى نفسه حديدا شديد
الغضب وكان هرون ألين منه
جانبا ولذلك كان أحب الى بنى
اسرائيل من موسى وقد استتبع
غضبه أمرين أحدهما القاء
الالواح والآخر أخذ رأس أخيه
جارا اليه فزعم مثبتو عصمة الانبياء أنه جر رأس أخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لأجل الاهانة والاستخفاف ثم ان
هرون خاف أن يتوهم جهال بنى اسرائيل أن موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن أم من كسرها فعلى طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها
بخمسة عشر لكثرة الاستعمال أو على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما أضافه الى الام اشارة الى أن أمهما واحدة على ما روى أنه كان

أخاه لامه ليكون أدعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكر محقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة أنصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدي العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي (٤٨) على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد أني واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق أن هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته أن يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي ما أقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولأخي ان عساه فرط في شأن الخلافة ثم أخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحياة الدنيا فالغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بأن قوله سينالهم للاستقبال وفي وقت نزول الآية كان القتل واقعا وأجيب بأن هذا الكلام حكاية عما أخبر الله تعالى موسى به في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز أن يكون الآيتان من تتمة قول موسى الا أن قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا أن يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى أن المضاف في الآية محذوف والتقدير ان الذين اتخذ آباؤهم العجل يعني الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا بضرب الجزية أو غضب وذلة كلاهما في الدنيا بالقتل والجلاء كما نال بني قريظة والنضير أو التقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال أولادهم وكذلك من نجزي المفترين أي كل مفتر في دين الله جزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن أنس ما من مبتدع الا ويجد فوق رأسه ذلة ثم قرأ هذه الآية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ظاهر الآية يدل على أن التوبة بشرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما أصعب شأن

وأما قوله ولا تجعلني مع القوم الظالمين فانه قول هرون لاخيه موسى يقول لا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي ولم أخالف أمرك محل من عصاك تخالف أمرك وعبد العجل بعدك فظلم نفسه وعبد غير من له العبادة ولم أشايعهم على شيء من ذلك كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال أصحاب العجل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بمثله * القول في تأويل قوله ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ يقول تعالى ذكره قال موسى لما تبين له عذر أخيه وعلم أنه لم يفرط في الواجب الذي كان عليه من أمر الله في ارتكاب ما فعله الجهلة من عبدة العجل رب اغفر لي مستغفرا من فعله بأخيه ولاخيه من سالف له بينه وبين الله تغمد ذنوبنا بستر منك تسترها به وأدخلنا في رحمتك يقول وارحمنا برحمتك الواسعة عبادك المؤمنين فانك أنت أرحم بعبادك من كل من رحم شيئا * القول في تأويل قوله ﴿ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم بتعجيل الله لهم ذلك وذلة وهي الهوان لعقوبة الله اياهم على كفرهم بربهم في الحياة الدنيا في عاجل الدنيا قبل آجل الآخرة وكان ابن جريج يقول في ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين قال هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام ومن فر منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضا وهذا الذي قاله ابن جريج وان كان قولا له وجه فان ظاهر كتاب الله مع تأويل أكثر أهل التأويل بخلافه وذلك أن الله عم بالخبر عمن اتخذ العجل أنه سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وتظاهرت الاخبار عن أهل التأويل من الصحابة والتابعين بأن الله اذ رجع الى بني اسرائيل موسى عليه السلام تاب على عبدة العجل من فعلهم بما أخبر به عن قيل موسى عليه السلام في كتابه وذلك قوله واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ففعلوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم فكان أمر الله اياهم بما أمرهم به من قتل بعضهم أنفس بعض عن غضب منه عليهم بعبادتهم العجل فكان قتل بعضهم بعضا هوانا لهم وذلة أذلهم الله بها في الحياة الدنيا وتوبة منهم الى الله قبلها وليس لأحد أن يجعل خبرا جاء الكتاب بعمومه في خاص مما عمه الظاهر بغير برهان من حجة خبر أو عقل ولا نعلم خبرا جاء بوجوب نقل ظاهر قوله ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الى باطن خاص ولا من العقل عليه دليل فيجب احالة ظاهره الى باطنه ويعني بقوله وكذلك نجزي المفترين وكما جزيت هؤلاء الذين اتخذوا العجل الها من احلال الغضب بهم والاذلال في الحياة الدنيا على كفرهم ربهم وردتهم عن دينهم بعد ايمانهم بالله كذلك نجزي كل من افترى على الله فكذب عليه وأقر بألوهية غيره وعبد شيئا سواه من الاوثان بعد اقراره بوحدانية الله وبعد ايمانه به وبأنبيائه ورسله وقبل ذلك اذا لم يتب من كفره قبل قتله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب قال تلا أبو قلابة سينالهم غضب

من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا الآية قال فهو جزاء كل مفتر يكون الى يوم القيامة أن يذله الله عز وجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب قال قرأ أبو قلابة يوما هذه الآية ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين قال هى والله لكل مفتر الى يوم القيامة قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن ثابت أن حميد بن قيس ابن عباد وحارثة بن قدامة دخلا على على بن أبى طالب رضى الله عنه فقالا أرأيت هذا الامر الذى أنت فيه وتدعو اليه أعهد عهده اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم رأى رأيته قال ما لكما ولهذا أعرضا عن هذا فقالا والله لا نعرض عنه حتى تخبرنا فقال ما عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كتابا فى قراب سيفى هذا فاستله فأخرج الكتاب من قراب سيفه واذا فيه انه لم يكن نبى الا له حرم وانى حرمت المدينة كما حرم ابراهيم عليه السلام مكة لا يحمل فيها السلاح لقتال من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه أما ترى هذا الكتاب فرجعا وتركاه وقالا انا سمعنا الله يقول ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم الآية وان القوم قد افتروا فرية ولا أدرى الا سينزل بهم ذلة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة فى قوله وكذلك نجزى المفترين قال كل صاحب بدعة ذليل ❁ القول فى تأويل قوله ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ وهذا خبر من الله تعالى ذكره أنه قابل من كل تائب اليه من ذنب أتاه صغيرة كانت معصيته أو كبيرة كفرا كانت أو غير كفر كما قبل من عبدة العجل توبتهم بعد كفرهم به بعبادتهم العجل وارتدادهم عن دينهم يقول جل ثناؤه والذين عملوا الاعمال السيئة ثم رجعوا الى طلب رضا الله بانابتهم الى ما يحب مما يكره والى ما يرضى مما يسخط من بعد سئ أعمالهم وصدقوا بأن الله قابل توبة المذنبين وتائب على المنيبين باخلاص قلوبهم ويقين منهم بذلك لغفور لهم يقول لساتر عليهم أعمالهم السيئة وغير فاضحهم بها رحيم بهم وبكل من كان مثلهم من التائبين * القول فى تأويل قوله ﴿ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ولما سكت عن موسى الغضب ولما كف موسى عن الغضب وكذلك كل كاف عن شئ ساكت عنه وانما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه وقد ذكر عن يونس الجرمى أنه قال يقال سكت عنه الحزن وكل شئ فيما زعم ومنه قول أبى النجم

وهمت الافعى بأن تسيحا * وسكت المكاء أن يصيحا

أخذ الالواح يقول أخذها بعد ما ألقاها وقد ذهب منها ما ذهب وفى نسختها هدى ورحمة يقول وفيما نسخ فيها أى منها هدى بيان للحق ورحمة للذين هم لربهم يرهبون يقول للذين يخافون الله ويخشون عقابه على معاصيه واختلف أهل العربية فى وجه دخول اللام فى قوله لربهم يرهبون مع استقباح العرب أن يقال فى الكلام رهبت لك بمعنى رهبتك وأكرمت لك بمعنى أكرمتك فقال بعضهم ذلك كما قال جل ثناؤه ان كنتم للرؤيا تعبرون أوصل الفعل باللام وقال بعضهم من أجل ربهم يرهبون وقال بعضهم انما دخلت عقب الاضافة الذين هم راهبون لربهم وراهبو ربهم ثم أدخلت اللام على هذا المعنى لانها عقيب الاضافة لا على التعليق وقال بعضهم

المستقيمين لكن عموم لفظ السيئات يدل على أن من أتى بجميع المعاصى ثم تاب فان الله يغفرها له فما أحسن حال التائبين (لغفور) ستور عليهم محاء للمصادر منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وفيه أن الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم وأجل ولما بين ما كان من موسى مع الغضب بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان (٤٩) انه خرج على قانون الاستعارة فكأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول ألق الالواح وغير ذلك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب كما يقال أدخلت الخف فى رجلى وانما أدخل الرجل فى الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به أخذ الالواح التى ألقاها منبها على زوال غضبه لانه أوكد ما تقدم من أمارات الغضب وفى نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ والكتب أى وفى مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تتكسر وأخذها موسى بأعيانها بعد ما ألقاها أو قلنا انها تكسرت وأخذ ما بقى منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روى عن ابن عباس انه لما ألقى الالواح تكسرت فصام أربعين يوما فأعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما فى الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون أدخل اللام فى المفعول لتقدمه فان تأخر الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز أن يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم أن تكون اللام صلة محذوف لكم ❁ التأويل ثلاثين ليلة لئلا تستكمل النفس الاربعين من ضعف البشرية وأتممناها بعشر لخصوصية الاربعين فى ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى الروح لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلى كن خليفتى فى قومى من الاوصاف البشرية وأصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هى السر الاعظم فى بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع

انما فعل ذلك لان الاسم تقدم الفعل فحسن ادخال اللام وقال آخرون قد جاء مثله في تأخير الاسم في قوله ردف لكم بعض الذى تستعجلون وذكر عن عيسى بن عمر أنه قال سمعت الفرزدق يقول نقدت له مائة درهم يريد نقدته مائة درهم قال والكلام واسع * القول في تأويل قوله ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى﴾ يقول تعالى ذكره واختار موسى من قومه سبعين رجلا للوقت والاجل الذى وعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من فعل سفهائهم في أمر العجل كما حدثني موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال ان الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناس من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا فلما أتوا ذلك المكان قالوا لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فأرناه فأخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى يبكى و يدعو الله و يقول رب ماذا أقول لبنى اسرائيل اذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم لو شئت أهلكتهم من قبل واياى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال اختار موسى من بنى اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه الا باذن منه وعلم فقال السبعون فيما ذكر لى حين صنعوا ما أمرهم به وخرجوا معه للقاء ربه لموسى أطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه الله وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى آدم أن ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ الله من أمره وانكشف عن موسى الغمام أقبل اليهم فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة وهى الصاعقة فالتقت أرواحهم فماتوا جميعا وقام موسى عليه السلام يناشد ربه ويدعوه و يرغب اليه و يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى قد سفهوا أفتهلك من ورائى من بنى اسرائيل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان الله أمره أن يختار من قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله أن قالوا اللهم أعطنا ما لم تعطه أحدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فأخذتهم الرجفة قال موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى حدثنا ابن وكيع قال ثنا خالد بن حيان عن جعفر عن ميمون واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال لموعدهم الذى وعدهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا قال اختارهم لتمام الوعد وقال آخرون انما أخذتهم الرجفة من أجل دعواهم على موسى قتل هرون ذكر من قال ذلك

حدثنا

عليه كاسات الشرب أثر فيه سماع الكلمات فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب أرنى أنظر اليك فقيل هيهات أنت بعد في بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن ترانى لأنه لا يرانى الا من كنت له بصرا فبى يبصر ولكن انظر الى جبل الأنانية فان استقر مكانه عند التجلى فسوف ترانى ببصر أنانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد أن بان ما بان وأشرقت الارض بنور ربها

قد كان ما كان سر الا أبوح به * فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فلو لم يكن جبل أنانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش في الحال وما عاش ولولا أن القلب يحيا عند الفناء بالتجلى لما أمكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلى ولا بالتحلى فافهم فلما أفاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلاهوتيته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال الخلق بك وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى بالانانية وانما ترى بنورهويتك برسالاتى و بكلامى دون رؤيتى وكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سألت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة والزيادة هى الرؤية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة أى بقوة الصدق والاخلاص أو بقوة واعانة منا سأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الآخرة أو الدنيا سأصرف عن آياتى فبحجاب التكبر يحجب المتكبر عن رؤية الآيات واتخذ قوم موسى أى سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح لميقات مكالمة الحق اتخذ من حلى زينة الدنيا ورعونات البشرية التى استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق به الى نفسه ولما سقط في أيديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص له قائلة ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الآية غضبان مما عبدت صفات القلب عجل الدنيا أسفا على ما فاتها من عبودية الحق أعجلتم أمر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل أوانه من غير أن يأمركم به ربكم وفيه اشارة الى أن أصحاب السلوك لا ينبغى أن يلتفتوا الى شئ من الدنيا في أثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيأمرهم المولى أن يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق وألقى الالواح يعنى

ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء الغضب الطبيعي وأخذ برأس أخيه القلب فانه أخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن أم هما من أب وأم واحد أبوهما الامر وأمهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان في عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفوني يعني ان أوصاف البشرية استذلوني بالغلبات عند غيبتك وكادوا (١٥) يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فيه أن صفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما عرض بتغير صفاته كما أن النفس لا تتغير من حيث هي عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الأمارية الى اللوامة والملهمة والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لي ولاخي اشارة الى أن للروح والقلب استعداد قبول الجذبة الالهية التي يدخلها بالسير في عالم الصفات وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون أن الله أعطاهم قوة لا يضرهم عبادة الهوى والدنيا وشهواتها ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق

حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان قال ثني أبو اسحق عن عمارة بن عبد السلولي عن علي رضي الله عنه قال انطلق موسى وهرون وشبر وشبير فانطلقوا الى سفح جبل فنام هرون على سرير فتوفاه الله فلما رجع موسى الى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال توفاه الله قالوا أنت قتلته حسدتنا على خلقه ولينه أو كلمة نحوها قال فاختاروا من شئتم قال فاختاروا سبعين رجلا قال فذلك قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال فلما انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني أحد ولكنني توفاني الله قالوا يا موسى لن تعصى بعد اليوم قال فأخذتهم الرجفة قال فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا وقال يا رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال فأحياهم الله وجعلهم أنبياء كلهم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق عن رجل من بني سلول أنه سمع عليا رضي الله عنه يقول في هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال كان هرون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل قال فلما مات دفنه موسى قال فلما أتى بني اسرائيل قالوا له أين هرون قال مات فقالوا قتلته قال فاختار منهم سبعين رجلا قال فلما أتوا القبر قال موسى أقتلت أو مت قال مت قال فأصعقوا فقال موسى رب ما أقول لبني اسرائيل اذا رجعت يقولون أنت قتلتهم قال فأحيوا وجعلوا أنبياء حدثني عبد الله بن الحجاج ابن المنهال قال ثنا أبي قال ثنا الربيع بن حبيب قال سمعت أبا سعيد يعني الرقاشي وقرأ هذه الآية واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال كانوا أبناء ما عدا عشرين ولم يتجاوزوا الاربعين وذلك أن ابن عشرين قد ذهب جهله وصباه وان من لم يتجاوز الاربعين لم يفقد من عقله شيأ وقال آخرون انما أخذت القوم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لا لأنهم كانوا من عبدته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقرأ حتى بلغ السفهاء منا ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول انما تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا أن يجامعوهم عليه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا ممن لم يكن قال ذلك القول على أنهم لم يجامعوهم عليه فأخذتهم الرجفة من أجل أنهم لم يكونوا باينوا قومهم حين اتخذوا العجل قال فلما خرجوا ودعوا أماتهم الله ثم أحياهم فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال قال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا والميقات الموعد فلما أخذتهم الرجفة بعد أن خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسألونه أن يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى أنهم قد أصابوا من المعصية ما أصابه قومهم قال ابن سعد فحدثني محمد بن كعب القرظي قال لم يستجب لهم من أجل أنهم لم ينهوهم عن المنكر ويأمروهم بالمعروف قال فأخذتهم الرجفة فماتوا ثم أحياهم الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عون عن سعيد بن حيان عن ابن عباس ان السبعين الذين اختارهم موسى من قومه انما أخذتهم الرجفة انهم لم يرضوا ولم ينهوا عن العجل حدثنا ابن بشار قال ثنا

محمد بن جعفر قال ثنا عون قال ثنا سعيد بن حيان عن ابن عباس بنحوه واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله قومه سبعين رجلا لميقاتنا فقال بعض نحويي البصرة معناه واختار موسى من قومه سبعين رجلا فلما نزع من أعمل الفعل كما قال الفرزدق

ومنا الذي اختير الرجال سماحة * وجودا اذا هب الرياح الزعازع

وكما قال الآخر * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نشب

وقال الراعي * اخترتك الناس اذ غثت خلائقهم * واعتل من كان يرجى عنده السول

وقال بعض نحويي الكوفة انما استجيز وقوع الفعل عليهم اذا طرحت من لانه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم فاذا جازت الاضافة مكان من ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا اخترتكم رجلا واخترت منكم رجلا وقد قال الشاعر * فقلت له اخترها قلوصا سمينة * وقال الراجز * تحت التي اختار له الله الشجر * بمعنى اختارها الله من الشجر وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب من التي بمعنى التبعيض ومن شأن العرب ان تحذف الشيء من حشو الكلام اذا عرف موضعه وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت فهذا من ذلك ان شاء الله وقد بينا معنى الرجفة فيما مضى بشواهدها وأنها ما رجف بالقوم وأرعبهم وحركهم وأهلكهم بعد فأماتهم أو أصعقهم فسلب أفهامهم وقد ذكرنا الرواية في غير هذا الموضع وقول من قال انها كانت صاعقة أماتتهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سبعين رجلا لميقاتنا اختارهم موسى لتمام الموعد فلما أخذتهم الرجفة ماتوا ثم أحياهم الله حدثني عبد الكريم قال ثنا ابراهيم قال ثنا سفيان قال قال أبو سعد عن عكرمة عن ابن عباس فلما أخذتهم الرجفة قال رجف بهم

القول في تأويل قوله ﴿أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا أي بعبادة من عبد العجل قالوا وكان الله انما أهلكهم لانهم كانوا ممن يعبد العجل وقال موسى ما قال ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا فأوحى الله الى موسى ان هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل فذلك حين يقول موسى ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقال آخرون معنى ذلك أن اهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم هلاك لمن وراءهم من بني اسرائيل اذا انصرفت اليهم وليسوا معي والسفهاء على هذا القول كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يريهم ربهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال لما أخذت الرجفة السبعين فماتوا جميعا قام موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني اسرائيل بما فعل السفهاء منا أي ان هذا لهم هلاك قد اخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع اليهم وليس معي رجل واحد فما الذي يصدقوني به أو يأمنوني عليه بعد هذا وقال آخرون في ذلك بما

وبه يعدلون﴾ القراآت عذابي أصيب بفتح الياء أبو جعفر ونافع آصارهم على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد ﴿الوقوف﴾ لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب واياي ط منا ج لتصدر ان النافية مع اتحاد القائل فتنتك ج لان ما بعده مستأنف وتهدي من تشاء (٥٢) ط الغافرين ٥ اليك ط من أشاء ط للفصل بين الجملتين تعظيما للشأن مع الاتفاق في اللفظ كل شيء ط للتبيين واختلاف الجملتين والفاء لاستئناف وعد على الخصوص يؤمنون ٥ ج لاحتمال ما بعده النصب أو الرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ج لان يأمرهم يحتمل أن يكون خبر مبتدا محذوف أي هو يأمرهم وأن يكون نعتا أي مكتوبا آمرا أو بدلا من مكتوبا أو مفعولا بعد مفعول أي يجدونه آمرا أو يكون التقدير الامي الذي يأمرهم فيكون كالبدل من الصلة كانت عليهم ط أنزل معه لا لأن ما بعده خبر فالذين المفلحون ٥ والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال أي استحق ملك السموات غير مشارك ويميت ط لطول الكلام والا فالفاء للجواب أي اذا كنت رسولا فآمنوا اجابة تهتدون ٥ يعدلون ٥ ﴿التفسير﴾ الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا أخذ خيره وخياره ومن هنا سمي فعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك أن صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون أصله واختار موسى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل فمن الافعال ما يتعدى الى المفعول الثاني بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرته ذنبي وجوز بعضهم في الآية أن يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا أول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا أو بيانا قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى أنه لم يجد الا ستين شيخا فأوحى الله اليه أن يختار من الشبان عشرة

حدثني

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا أتؤاخذنا وليس منا رجل واحد ترك عبادتك ولا استبدل بك غيرك * وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال ان موسى انما حزن على هلاك السبعين بقوله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وانه انما عنى بالسفهاء عبدة العجل وذلك أنه محال أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخير من قومه لمسألة ربه ما أراه أن يسأل لهم الا الأفضل فالأفضل منهم ومحال أن يكون الافضل كان عنده من أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله الها قال فان قال قائل فجائز أن يكون موسى عليه السلام كان معتقدا أن الله سبحانه يعاقب قوما بذنوب غيرهم فيقول أتهلكنا بذنوب من عبد العجل ونحن من ذلك برآء قيل جائز أن يكون معنى الاهلاك قبض الارواح على غير وجه العقوبة كما قال جل ثناؤه ان امرؤ هلك يعني مات فيقول أتميتنا بما فعل السفهاء منا وأما قوله ان هي الا فتنتك فانه يقول جل ثناؤه ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم ما عبدوا دونك الا فتنة منك أصابتهم ويعني بالفتنة الابتلاء والاختبار يقول ابتليتهم بها ليتبين الذي يضل عن الحق بعبادته اياه والذي يهتدي بترك عبادته وأضاف إضلالهم وهدايتهم الى الله اذ كان ما كان منهم من ذلك عن سبب منه جل ثناؤه وبنحو ما قلنا في الفتنة قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية ان هي الا فتنتك قال بليتك قال ثنا حبويه الرازي عن يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير الا فتنتك الا بليتك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا ابن جعفر عن الربيع بن أنس ان هي الا فتنتك قال بليتك قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء أن هو الا عذابك تصيب به من تشاء وتصرفه عمن تشاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هي الا فتنتك أنت فتنتهم وقوله أنت ولينا يقول أنت ناصرنا فاغفر لنا يقول فاستر علينا ذنوبنا بتركك عقابنا عليها وارحمنا تعطف علينا برحمتك وأنت خير الغافرين يقول خير من صفح عن جرم وستر على ذنب ۞ القول في تأويل قوله ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا هدنا اليك﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء نبيه موسى عليه السلام أنه قال فيه واكتب لنا أي اجعلنا ممن كتبت له في هذه الدنيا حسنة وهي الصالحات من الاعمال وفي الآخرة ممن كتبت له المغفرة لذنوبه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة قال مغفرة وقوله انا هدنا اليك يقول انا تبنا اليك وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل وعمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير وقال عمران عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن سعيد بن جبير قال تبنا اليك قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال تبنا اليك قال ثنا عبد الله بن بكر عن حاتم بن أبي مغيرة عن سماك أن ابن عباس قال في هذه الآية انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال أحسبه عن ابن عباس انا هدنا اليك قال تبنا اليك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي

فاختارهم فأصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين فقد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وللمفسرين خلاف في أن هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية أم غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا (٥٣) الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهي المراد من الرجفة في هذه الآية والذاهبون الى الثاني حملوا القصة على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك أن منهم من قال هذه الواقعة كانت قبل قتل الأنفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج أصحاب هذا المذهب على المغايرة بأنه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم أتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي أن تكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والا انخرم التناسب عن علي عليه السلام ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فأحياه الله تعالى فقال ما قتلني أحد فأخذتهم الرجفة هنالك قيل كانت موتا وقيل أخذتهم الرعدة حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياي قال في الكشاف هذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لأهلكني قبل هذا أتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال أهل العلم لا يجوز أن يظن موسى ان الله تعالى أهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد أراد انك لا تفعل ذلك كما تقول أتهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف أي لا تهلكنا قيل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب أن يقال أتهلكنا بما قاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل أو غيرها ومنه يعلم أن هذا الميقات غير ميقات طلب

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انا هدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنى يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد ابن جبير فى قوله انا هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا عبد الرحمن ووكيع بن الجراح قالا ثنا سفيان عن عبد الرحمن بن الاصبهانى عن سعيد بن جبير بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن الاصبهانى عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال تبنا اليك قال ثنا محمد بن يزيد عن العوام عن ابراهيم التيمى قال تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن العوام عن ابراهيم التيمى مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا هدنا اليك أى انا تبنا اليك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله هدنا اليك قال تبنا حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى انا هدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انا هدنا اليك يقول تبنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن ابى العالية قال هدنا اليك قال تبنا اليك قال ثنا أبى عن أبى جبير عن الضحاك قال تبنا اليك قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال تبنا اليك وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فذكر مثله قال ثنا أبى وعبيد الله عن شريك عن جابر عن مجاهد قال تبنا اليك قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير مثله قال ثنا أبى عن شريك عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن على عليه السلام قال انما سميت اليهود لانهم قالوا هدنا اليك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انا هدنا اليك يعنى تبنا اليك حدثنا ابن البرقى قال ثنا عمرو قال سمعت رجلا يسأل سعيدا انا هدنا اليك قال انا تبنا اليك وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى هذا الذى أصبت به قومك من الرجفة عذابى أصيب به من أشاء من خلق كما أصيب به هؤلاء الذين أصبتهم به من قومك ورحمتى وسعت كل شئ يقول ورحمتى عمت خلقى كلهم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم مخرجه عام ومعناه خاص والمراد به ورحمتى وسعت المؤمنين بى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستشهد بالذى بعده من الكلام وهو قوله فسأكتبها للذين يتقون الآية ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو سلمة المنقرى قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قرأ ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال جعلها الله لهذه الامة حدثنى عبد الكريم قال ثنا ابراهيم بن بشار قال قال سفيان قال أبو بكر الهذلى فلما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس أنا من الشئ فنزعها الله من ابليس قال فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون فقال اليهود نحن نتقى ونؤتى الزكاة ونؤمن بآيات ربنا فنزعها الله من اليهود فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى الآيات

الرؤية ان هى الافتتنك الضمير يعود الى الفتنة أى كما تقول ان هو الازيد وان هى الاهند قاله الواحدى ولعله يعود الى مقدر ذهنى والمعنى أن الفتنة التى وقع فيها السفهاء لم تكن الافتتنك ابتلاءك ومحنتك حين كلمتنى وسمعوا كلامك أو حين أسمعتهم صوت العجل تضل بها أى بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدى من (٥٤) تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة فى الآية دلالة ظاهرة على مذهبنا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لأن ضلوا واهتدوا فكانه أضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام أو الضمير يعود الى الرجفة أى تضل عن الجنة بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة أو لعدم الاعان بأنها من عندك من تشاء وتهدى الى الجنة بها أضداد ما قلنا من تشاء أو المراد بالاضلال الاهلاك أى تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء أنت ولينا يفيد الحصر أى لا ولى لنا ولا ناصر الا أنت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر أن قوله ان هى الافتتنك جراءة عظيمة فأشرك نفسه مع قومه فى طلب المغفرة والرحمة وأنت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع أو دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب أوجب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقد فسرناها فى سورة البقرة واعلم أن كونه تعالى وليا للعبد يناسبه أن يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيته وأيضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثانى وهو قوله انا هدنا اليك قال أهل اللغة الهود التوبة أى تبنا ورجعنا وقد تم ذكر السببين عهد عز الربوبية وعهد ذل العبودية فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم طلب المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة فى الدارين قال الله تعالى فى جواب موسى عذابى من حاله وصفته كلها أى أصيب به من أشاء اذ ليس لاحد على اعتراض فى ملكى وقالت المعتزلة أى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرأ الحسن من أساء من الاساءة ورحمتى من شأنها أنها وسعت كل شئ قالت الاشاعرة هذا من العام الذى أريد به الخاص

وقال أكثر المحققين ان رحمته فى الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمته وأما فى الآخرة فهى مختصة
بالمؤمنين وذلك قوله فسأ كتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر
مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير (٥٥) ولا حى الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير
واللذة وان حصل هنالك ألم فله
أعواض كثيرة واعلم أن تكاليف
الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة
فى نوعين التروك والافعال فقوله
فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى
التروك والتكليف الفعلى اما مالى
وهو قوله و يؤتون الزكاة واما غيره
وذلك قوله والذين هم بآياتنا
يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على
الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبى الامى الى آخره وصف
محمدا صلى الله عليه وسلم فى هذه
الآية بصفات تسع الاولى الرسالة
الثانية النبوة فان قيل النبوة
مندرجة تحت الرسالة فلم أفردها
بالذكر قلت لا بل بينهما عموم
وخصوص من وجه فقد يكون
رسولا ولا يكون نبيا كقوله جاعل
الملائكة رسلا وقد يكون نبيا
لا رسولا ككثير من الانبياء فلا
يكون أحد الوصفين على الاطلاق
مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر
الآخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا
الثالثة كونه أميا قال الزجاج معناه
انه على صفة أمة العرب قال صلى
الله عليه وآله انا أمة أمية لا نكتب
ولا نحسب وقيل انه منسوب الى
الام أى انه على هيئته يوم ولد
لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا
من جملة معجزات نبينا صلى الله عليه
وسلم وبيانه من وجوه الاول أنه
كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما
مرة بعد أخرى من غير تبديل
والخطيب من العرب اذا ارتجل
خطبة ثم أعادها فانه لا بد أن يزيد فيها وينقص فهذا المعنى من مدد سماوى كقوله سنقرئك فلا تنسى الثانى لو كان يحسن الخط والقراءة لصار
متهما بأنه طالع كتب الاولين ولما أتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة عرف أنه من السماء واليه الاشارة
بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث أن تعلم الخط لا يفتقر الا الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط

كلها قال فنزعها الله من ابليس ومن اليهود وجعلها لهذه الامة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال
ثنى حجاج عن ابن جريج قال لما نزلت ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس أنا من كل شئ قال الله
فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الآية فقالت اليهود ونحن
نتقى ونؤتى الزكاة فأنزل الله الذين يتبعون الرسول النبى الامى قال نزعها الله عن ابليس وعن اليهود
وجعلها لأمة محمد سأكتبها للذين يتقون من قومك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فقال ابليس أنا من ذلك الشئ
فأنزل الله فسأكتبها للذين يتقون معاصى الله والذين هم بآياتنا يؤمنون فتمنتها اليهود والنصارى
فأنزل الله شرطا وثيقا بينا فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى فهو نبيكم كان أميا لا يكتب
صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا خالد الحذاء عن أنيس بن أبى
العريان عن ابن عباس فى قوله واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال فلم
يعطها فقال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون الى قوله
الرسول النبى الامى **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن علية وعبد الاعلى عن خالد عن أنيس بن أبى
العريان قال عبد الاعلى عن أنيس بن أبى العريان وقال قال ابن عباس واكتب لنا فى هذه الدنيا
حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال فلم يعطها موسى قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى
وسعت كل شئ فسأكتبها الى آخر الآية **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى
معاوية عن على عن ابن عباس قال كان الله كتب فى الالواح ذكر محمد وذكر أمته وما ذخر لهم
عنده وما يسر عليهم فى دينهم وما وسع عليهم فيما أحل لهم فقال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى
وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون يعنى الشرك الآية * وقال آخرون بل ذلك على العموم
فى الدنيا وعلى الخصوص فى الآخرة ذكر من قال ذلك **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة فى قوله ورحمتى وسعت كل شئ قالا وسعت فى الدنيا البر
والفاجر وهى يوم القيامة للذين اتقوا خاصة وقال آخرون هى على العموم وهى التوبة ذكر من
قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك فقال
سأل موسى هذا فقال الله عذابى أصيب به من أشاء العذاب الذى ذكر ورحمتى التوبة وسعت
كل شئ فسأكتبها للذين يتقون قال فرحمته التوبة التى سأل موسى عليه السلام كتبها الله لنا
وأما قوله فسأكتبها للذين يتقون فانه يقول فسأكتب رحمتى التى وسعت كل شئ ومعنى أكتب
فى هذا الموضع أكتب فى اللوح الذى كتب فيه التوراة الذين يتقون يقول للقوم الذين يخافون
الله و يخشون عقابه على الكفر به والمعصية له فى أمره ونهيه فيؤدون فرائضه و يجتنبون معاصيه
وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى وصف الله هؤلاء القوم بأنهم يتقونه فقال بعضهم هو
الشرك ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على
عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون يعنى الشرك وقال آخرون بل هو المعاصى كلها ذكر من
قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسأكتبها للذين يتقون معاصى

مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين ومالم يصل اليه أحد من العالمين فالجمع بين هاتين الحالتين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين ۞ الصفة الرابعة الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل الضمير فى يجدون للذين يتبعونه من بنى اسرائيل ثم ان كان المراد أسلافهم فالوجه أن يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته فى التوراة اذ لا يمكن أن يتبعوه فى شرائعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل أنهم يجدون نعته مكتوبا عندهم فى الانجيل فمن المحال أن يجدوه فى الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى أن هذه الرحمة لا يفوز بها من بنى اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكاة وآمن بالدلائل فى زمن موسى واتبع نبى آخر الزمان فى شرائعه وفى هذا دليل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب فى التوراة والانجيل والا كان ذكر هذا الكلام من أعظم القوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعى فلا يرتكبه عاقل فلما أصر على ذلك دل على أن الامر فى نفسه كذلك ۞ الخامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى آل عمران ومجامع ذلك محصورة فى قوله صلى الله عليه وسلم ملاك الدين تعظيم أمر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها ۞ السابعة ويحل لهم الطيبات قيل أى ما يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعنى الاشياء التى حكم الله تعالى بحلها وزيف بأنه يجرى مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرار ويمكن أن يجاب بأن المراد ويبين لهم المحللات وفائدة العدول أن يعلم أن كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل فى كل ما تستطيبه النفس ويستلذه الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل يعنى ما يحرم عليه من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها ۞ الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه

الله وأما الزكاة وايتاؤها فقد بينا صفتها فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقد ذكر عن ابن عباس فى هذا الموضع أنه قال فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ويؤتون الزكاة قال يطيعون الله ورسوله فكان ابن عباس تأول ذلك بمعنى أنه العمل بما يزكى النفس ويطهرها من صالحات الاعمال وأما قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يقول وللقوم الذين هم بأعلامنا وأدلتنا يصدقون ويقرون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يتبعون الرسول النبىّ الامىّ الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل﴾ وهذا القول ابانة من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى نبيه عليه السلام أن يكتب لهم الرحمة التى وصفها جل ثناؤه بقوله ورحمتى وسعت كل شئ هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة أعنى الامى غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال ثنا زيد بن حباب عن حماد بن سلمة عن عطاء عن ابن عباس قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد فى قوله فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقال موسى عليه السلام ليتنى خلقت فى أمة محمد حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال الذين يتبعون محمدا صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن ليث عن شهر بن حوشب عن نوف الحميرى قال لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقات ربه قال الله لموسى أجعل لكم الأرض مسجدا وطهورا وأجعل السكينة معكم فى بيوتكم وأجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهور قلوبكم يقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير فقال موسى لقومه ان الله قد يجعل لكم الارض طهورا ومسجدا قالوا لا نريد أن نصلى الا فى الكنائس قال ويجعل السكينة معكم فى بيوتكم قالوا لا نريد الا أن تكون كما كانت فى التابوت قال ويجعلكم تقرؤن التوراة عن ظهور قلوبكم ويقرؤها الرجل منكم والمرأة والحر والعبد والصغير والكبير قالوا لا نريد أن نقرأها الا نظرا فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة الى قوله أولئك هم المفلحون حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبى كثير عن نوف البكالى قال لما انطلق موسى بوفد بنى اسرائيل كلمه الله فقال انى قد بسطت لهم الارض طهورا ومساجد يصلون فيها حيث أدركتهم الصلاة الا عند مرحاض أو قبر أو حمام وجعلت السكينة فى قلوبهم وجعلتهم يقرؤن التوراة عن ظهر ألسنتهم قال فذكر ذلك موسى لبنى اسرائيل فقالوا لا نستطيع حمل السكينة فى قلوبنا فاجعلها لنا فى تابوت ولا نقرأ التوراة الا نظرا ولا نصلى الا فى الكنيسة فقال الله فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة حتى بلغ أولئك هم المفلحون قال فقال موسى عليه السلام يارب اجعلنى نبيهم قال نبيهم منهم قال رب اجعلنى منهم قال لن تدركهم قال يارب أتيتك بوفد بنى اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فأنزل الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال نوف البكالى فاحمدوا الله الذى حفظ غيبتكم وأخذ لكم بسهمكم وجعل وفادة بنى اسرائيل لكم حدثنا محمد

ابن

الطيبع فالأصل فيها الحرمة الا بدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى أغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما أن الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم الى أعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الآية دلالة على أن الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا أصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع أكد الايمان به بقوله فالذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقروه وعظموه قال في الكشاف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق بينه وبين قوله ونصروه فرق كبير واتبعوا النور الذي أنزل معه وهو القرآن أي أنزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن أو يتعلق باتبعوا أي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعه النبي مصاحبين له في اتباعه أولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم أنه سبحانه لما قال فسأكتبها للذين يتقون بين أن من شروط نزول الرحمة لأولئك المتقين كونهم متبعين لرسول آخر الزمان ثم أراد أن يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على أن محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود يقال لهم العيسوية أتباع عيسى الاصفهاني زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة

ابن المثنى قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن يحيى بن أبي كثير عن نوف البكالي بنحوه الا أنه قال فاني أنزل عليكم التوراة تقرؤنها عن ظهر ألسنتكم رجالكم ونساؤكم وصبيانكم قالوا لا نصلي الا في كنيسة ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فسأكتبها للذين يتقون قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فسأكتبها للذين يتقون قال هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما قيل فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون تمنتها اليهود والنصارى فأنزل الله شرطا بينا وثيقا فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان أميا لا يكتب وقد بينا معنى الامي فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما قوله الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فان الهاء في قوله يجدونه عائدة على الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي هذا محمد صلى الله عليه وسلم حدثني ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله فنفتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا قال عطاء ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك فما اختلفا حرفا الا أن كعبا قال بلغته قلوبا غلوفيا وآذانا صموميا وأعينا عموميا حدثني أبو كريب قال ثنا موسى ابن داود قال ثنا فليح بن سليمان عن هلال بن علي قال ثني عطاء قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فذكر نحوه الا أنه قال في كلام كعب أعينا عموما وآذانا صموما وقلوبا غلوفا قال ثنا موسى قال ثنا عبد العزيز بن سلمة عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن عبد الله بنحوه وليس فيه كلام كعب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله الذي يجدونه مكتوبا عندهم يقول يجدون نعته وأمره ونبوته مكتوبا عندهم ❁ القول في تأويل قوله (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) يقول تعالى ذكره يأمر هذا النبي الامي أتباعه بالمعروف وهو الايمان بالله ولزوم طاعته فيما أمر ونهى فذلك المعروف الذي يأمرهم به وينهاهم عن المنكر وهو الشرك بالله والانتهاء عما نهاهم الله عنه وقوله ويحل لهم الطيبات وذلك ما كانت الجاهلية تحرمه من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي ويحرم عليهم الخبائث وذلك لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المطاعم والمشارب التي حرمها الله كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ويحرم عليهم الخبائث وهو لحم الخنزير والربا وما كانوا يستحلونه من المحرمات من المآكل التي حرمها الله وأما قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فان

أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم يعني بالاصر العهد والميثاق الذي كان أخذه على بني اسرائيل بالعمل بما في التوراة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال عهدهم حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن علي قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن يمان عن مبارك عن الحسن ويضع عنهم اصرهم قال العهود التي أعطوها من أنفسهم قال ثنا ابن نمير عن موسى بن قيس عن مجاهد ويضع عنهم اصرهم قال عهدهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم يقول يضع عنهم عهودهم ومواثيقهم التي أخذت عليهم في التوراة والانجيل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ما كان الله أخذ عليهم من الميثاق فيما حرم عليهم يقول يضع ذلك عنهم وقال بعضهم عني بذلك أنه يضع عن اتبع نبي الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان على بني اسرائيل في دينهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فجاء محمد صلى الله عليه وسلم باقالة منه وتجاوز عنه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ويضع عنهم اصرهم قال البول ونحوه مما غلظ على بني اسرائيل قال ثنا الحماني قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال شدة العمل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم قال من اتبع محمدا ودينه من أهل الكتاب وضع عنهم ما كان عليهم من التشديد في دينهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين قال قال أبو هريرة لابن عباس ما علينا في الدين من حرج أن نزني ونسرق قال بلى ولكن الاصر الذي كان على بني اسرائيل وضع عنكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويضع عنهم اصرهم قال اصرهم الذي جعله عليهم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الاصر هو العهد وقد بينا ذلك بشواهده في موضع غير هذا بما فيه الكفاية وأن معنى الكلام ويضع النبي الامي العهد الذي كان الله أخذ على بني اسرائيل من اقامة التوراة والعمل بما فيها من الاعمال الشديدة كقطع الجلد من البول وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الاعمال التي كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن وأما الاغلال التي كانت عليهم فكان ابن زيد يقول بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب عنه في قوله والاغلال التي كانت عليهم قال الاغلال وقرأ غلت أيديهم قال تلك الاغلال قال ودعاهم الى أن يؤمنوا بالنبي فيضع ذلك عنهم * القول في تأويل قوله (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره فالذين صدقوا بالنبي الامي وأقروا بنبوته وعزروه يقول وقروه وعظموه وحموه من الناس كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وعزروه يقول حموه ووقروه حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثني موسى بن قيس عن مجاهد وعزروه ونصروه قال عزروه

وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه أنه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث عن الصبي (٥٨) حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وأيضا يمكن وجود قوم في طرف من أطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب أن رفع القلم عن الاصناف الثلاثة أيضا حكم عليهم فبهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه قال بعض الاكابر ان الآية وان دلت على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على أن غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي أرسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بأن مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبأن آدم بعث الى كل أولاده في ذلك الزمان فيكون مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد أنه خاتم النبيين وحده وفي رواية أخرى وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم أن يكون كل واحد منها كذلك وأيضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانها عرفت التكليف لا بواسطة آدم بدليل ولا تقربا ثم لما أمر رسول الله بأن يقول للناس اني رسول الله اليكم أتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وأنها لا تتم الا بتقرير أصول أربعة أولها اثبات أن للعالم الها حيا عالما قادرا وأشار اليه بقوله الذي سددوا له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر أو كان له مؤثر موجب بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب أو رفع على المدح أو جر بدلا أو وصفا لله وثانيها أن اله العالم واحد وذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة أحدهما أولى من عبادة

الآخر وثالثها أنه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كل واحدة منها مبينة لما قبلها واذا ثبتت هذه الاصول الثلاثة ثبت أصل رابع وهو أنه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف أما الاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولاسيما اذا كان فردا منزها (٥٩) عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي

وأما الاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه أجرا ممتنع وأشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي اقتصر من الصفات المذكورة ههنا على الأمية لانها أجل الاوصاف وأدلها على حقيته وذلك أنه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه أبواب العلم والتحقيق وأظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس ذلك الا بتأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وآله يجب أن يكون ممن آمن بالله وبكتبه وانما لم يقل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن أن يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم أن الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيري اظهارا للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم أن الكمالات اما نظرية وأشار اليها بقوله فآمنوا بالله واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة من أقواله والثانية اشارة الى المستفادة من أفعاله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد أن يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا أن يدل دليل منفصل على أن ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي في لعلكم تهتدون قد مر في نظائره لاسيما في أول البقرة في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وأنه يجب على الخلق

سددوا أمره وأعانوا رسوله ونصروه وقوله ونصروه يقول وأعانوه على أعداء الله وأعدائه بجهادهم ونصب الحرب لهم واتبعوا النور الذي أنزل معه يعني القرآن والاسلام أولئك هم المفلحون يقول الذين يفعلون هذه الافعال التي وصف بها جل ثناؤه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم المنجحون المدركون ما طلبوا ورجوا بفعلهم ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فالتمسوا يعني اليهود الا أن حسدوا نبي الله فقال الله الذين آمنوا به وعزروه ونصروه فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به ولكن خياركم من آمن بالله واتبع النور الذي أنزل معه يريد قتادة بقوله فالتمسوا الا أن حسدوا نبي الله أن اليهود كان محمد صلى الله عليه وسلم بما جاءه من عند الله رحمة عليهم لو اتبعوه لانه جاء بوضع الاصر والاغلال عنهم فحملهم الحسد على الكفر به وترك قبول التخفيف لغلبة خذلان الله عليهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض كما كان من قبلي من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض فمن كان منهم أرسل كذلك فان رسالتي ليست الى بعضكم دون بعض ولكنها الى جميعكم وقوله الذي من نعت اسم الله وانما معنى الكلام قل يا أيها الناس اني رسول الله الذي له ملك السموات والارض اليكم ويعني جل ثناؤه بقوله الذي له ملك السموات والارض الذي له سلطان السموات والارض وما فيهما وتدبير ذلك وتصريفه لا اله الا هو يقول لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة الا له جل ثناؤه دون سائر الاشياء غيره من الانداد والاوثان الا لمن له سلطان كل شئ والقادر على انشاء خلق كل ما شاء واحيائه وافنائه اذا شاء اماتته فآمنوا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه قل لهم فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته وأقروا بوحدانيته وانه الذي له الالوهة والعبادة وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم انه مبعوث الى خلقه داع الى توحيده وطاعته ۞ القول في تأويل قوله ﴿النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ أما قوله النبي الامي فانه من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينت معنى النبي فيما مضى بما أغنى عن اعادته ومعنى قوله الامي الذي يؤمن بالله يقول الذي يصدق بالله وكلماته ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وكلماته فقال بعضهم معناه وآياته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذي يؤمن بالله وكلماته يقول آياته وقال آخرون بل عنى بذلك عيسى بن مريم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله الذي يؤمن بالله وكلماته قال عيسى بن مريم وحدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الذي يؤمن بالله وكلماته فهو عيسى بن مريم * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوة النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ولم يخصص الخبر جل ثناؤه عن ايمانه من كلمات الله ببعض دون بعض بل أخبرهم عن جميع الكلمات فالحق في ذلك أن يعم القول فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلها على ما جاء به ظاهر كتاب الله وأما قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون فاهتدوا به أيها

متابعته ذكر أن فى قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق أى يهدون الناس بكلمة الحق وبه أى بالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الآية متى حصلت وفى أى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الأمة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن كما أطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان أمة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز أن يكونوا أقاموا على ذلك الى أن جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز أن يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الآن بناء على أن خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع أن خبر هذه الشريعة طار فى كل أفق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن جبرائيل ذهب به صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرائيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبى الامى فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى أوصانا من أدرك منكم أحمد فليقرأ عليه منى السلام فرد محمد على موسى عليه السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت والله أعلم (التأويل) واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وأنا اخترتك ولا

الناس واعملوا بما أمركم أن تعملوا به من طاعة الله لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا فترشدوا وتصيبوا الحق فى اتباعكم اياه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن قوم موسى يعنى بنى اسرائيل أمة يقول جماعة يهدون بالحق يقول يهتدون بالحق أى يستقيمون عليه ويعملون وبه يعدلون أى وبالحق يعطون ويأخذون وينصفون من أنفسهم فلا يجورون وقد قال فى صفة هذه الامة التى ذكرها الله فى الآية جماعة أقوالا نحن ذاكرو ما حضرنا منها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة عن صدقة أبى الهذيل عن السدى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال قوم بينكم وبينهم نهر من شهد (٣) حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال بلغنى أن بنى اسرائيل لما قتلوا أنبياءهم كفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبينهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه حتى خرجوا من وراء الصين فهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس فذلك قوله وقلنا من بعده لبنى اسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا ووعد الآخرة عيسى بن مريم يخرجون معه قال ابن جريج قال ابن عباس ساروا فى السرب سنة ونصفا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما﴾ يقول تعالى ذكره فرقناهم يعنى قوم موسى من بنى اسرائيل فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى اثنتى عشرة قبيلة وقد بينا معنى الاسباط فيما مضى ومن هم واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث الاثنتى عشرة والاسباط جمع مذكر فقال بعض نحويى البصرة أراد اثنتى عشرة فرقة ثم أخبر أن الفرق أسباط ولم يجعل العدد على أسباط وكان بعضهم يستحكى على هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على عين الثانى ولكن الفرق قبل الاثنتى عشرة حتى تكون الاثنتا عشرة مؤنثة على ما قبلها ويكون الكلام وقطعناهم فرقا اثنتى عشرة أسباطا فيصح التأنيث لما تقدم وقال بعض نحويى الكوفة انما قال اثنتى عشرة بالتأنيث والسبط مذكر لان الكلام ذهب الى الامم فغلب التأنيث وان كان السبط ذكرا وهو مثل قول الشاعر

وان كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

ذهب بالبطن الى القبيلة والفصيلة فلذلك جمع البطن بالتأنيث وكان آخرون من نحويى الكوفة يقولون انما أنثت الاثنتا عشرة والسبط ذكر لذكر الامم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن الاثنتى عشرة أنثت لتأنيث القطعة ومعنى الكلام وقطعناهم قطعا اثنتى عشرة ثم ترجم عن القطع بالاسباط وغير جائز أن تكون الاسباط مفسرة عن الاثنتى عشرة وهى جمع لان التفسير فيما فوق العشر الى العشرين بالتوحيد لا بالجمع والاسباط جمع لا واحد وذلك كقولهم عندى اثنتا عشرة امرأة

(٣) قوله نهر من شهد كذا بالاصل وابن كثير وفى الدر نهر من سهل أى من رمل يجرى وفى روح المعانى بينكم وبينهم نهر من رمل يجرى وقال ولا أظنك تجد لهذه الحكاية سندا يعول عليه الى آخر ما قال كتبه مصححه

ولا يقال عندى اثنتاعشرة نسوة ففى ذلك أن الاسباط ليست بتفسير للاثنتى عشرة وان القول فى ذلك على ماقلنا وأما الامم فالجماعات والسبط فى بنى اسرائيل نحو القرن وقيل انما فرقوا أسباطا لاختلافهم فى دينهم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتاعشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وأوحينا الى موسى اذ فرقنا بنى اسرائيل قومه اثنتى عشرة فرقة وتيهناهم فى التيه فاستسقوا موسى من العطش وغور الماء أن اضرب بعصاك الحجر وقد بينا السبب الذى كان قومه استسقوه وبينا معنى الوحى بشواهده فانبجست فانصبت وانفجرت من الحجر اثنتاعشرة عينا من الماء قد علم كل أناس يعنى كل أناس من الاسباط الاثنتى عشرة مشربهم لا يدخل سبط على غيره فى شربه وظللنا عليهم الغمام يكنهم من حر الشمس وأذاها وقد بينا معنى الغمام فيما مضى قبل وكذلك المن والسلوى وأنزلنا عليهم المن والسلوى طعاما لهم كلوا من طيبات مارزقناكم يقول وقلنا لهم كلوا من حلال مارزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأجمعوا ذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير وماظلمونا يقول وما أدخلوا علينا نقصا فى ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ماسألوا وفعلهم مافعلوا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون أى ينقصونها حظوظها باستبدالهم الأدنى بالخير والارذل بالافضل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يامحمد من خطا فعل هؤلاء القوم وخلافهم على ربهم وعصيانهم نبيهم موسى عليه السلام وتبديلهم القول الذى أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم اسكنوا هذه القرية وهى قرية بيت المقدس فكلوا منها يقول من ثمارها وحبوبها ونباتها حيث شئتم منها يقول أنى شئتم منها وقولوا حطة يقول وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا نغفر لكم يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التى سلفت منكم فيعفو لكم عنها فلا يؤاخذكم بها سنزيد المحسنين منكم وهم المطيعون لله على ماوعدتكم من غفران الخطايا وقد ذكرنا الروايات فى كل ذلك باختلاف المختلفين والصحيح من القول لدينا فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره فغير الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول فقالوا وقد قيل لهم قولوا هذه حطة حنطة فى شعيرة وقولهم ذلك كذلك هو غير القول الذى قيل لهم قولوه يقول الله تعالى فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بعثنا عليهم عذابا أهلكناهم بما كانوا يغيرون مايؤمرون به فيفعلون خلاف ما أمرهم الله بفعله ويقولون غير الذى أمرهم الله بقيله وقد بينا معنى الرجز فيما مضى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره واسأل يامحمد هؤلاء

والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هى أن قلب موسى عليه السلام لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب أرنى أنظر اليك قدم عزة الربوبية وأظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فأخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وصعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام ثابتا فى مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان هى الا فتنتك تزيغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة الرؤية كما كتبت لمحمد صلى الله عليه وسلم فسأكتبها يعنى حسنة الرؤية والرحمة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصاب هذا المقام الزكاة الى طلابه والذين هم بأنوار شواهد الآيات بالتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفى قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى اشارة الى أن فى أمته من يكون مستعدا لاتباعه فى هذه المقامات الثلاثة ومعنى الأمى أنه أم الموجودات وأصل المكونات كما قال صلى الله عليه وسلم أول ماخلق الله روحى وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فأما اتباعه فى مقام الرسالة فبأن تأخذ منه ما آتاك وتنتهى عما نهاك وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص فى الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن أدى حقوق أحكام الرسالة فى الظاهر يفتح له ببركة ذلك أحوال النبوة فى الباطن فيصير صاحب الاشارات والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية ور بما يؤول حاله الى أن يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال

كما قال صلى الله عليه وآله علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل وأما اتباعه في مقام أميته فذلك لأخص الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي أنزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم اختطف بانوار الهوية عن أنانيته الى أو أدنى وهو مقام الوحدة كما قال (٦٢) قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير في متابعته من مقام البشرية الى أن بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة أنزل في مقام التوحيد ثم اختطف بأنوار المتابعة عن أنانيته الى مقام الوحدة فقد حظي من مقام أميته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده في مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم أي العهد الذي بين الله وبين حبيبه أن لا يوصل أحدا الى مقام أميته الا أمته وأهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة وأغلال عنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته وأشار الى هذه المعاني بقوله فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذي أنزل معه لم يملك سموات القلوب وأرض النفوس لا مدبر فيهما غيره يحيي قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلماته هي ما أوحي اليه ليلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون في الحكم بين العوام فشتان بين أمة غايتهم القصوى هي هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فأجيب بلن تراني وبين أمة أمية بلغوا بجذبات أنوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا أمة أميين وقال في حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى عليه السلام اللهم اجعلني من أمة من

اليهود وهم مجاورون عن أمر القرية التي كانت حاضرة البحر يقول كانت بحضرة البحر أي بقرب البحر وعلى شاطئه واختلف أهل التأويل فيها فقال بعضهم هي أيلة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطور حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير في قوله واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال سمعنا أنها أيلة حدثني سلام بن سالم الخزاعي قال ثنا يحيى بن سليم الطائفي قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف في حجره وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك فقال ويلك وتعرف القرية التي كانت حاضرة البحر فقلت تلك أيلة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة قال هي أيلة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال هي قرية على شاطئ البحر بين مصر والمدينة يقال لها أيلة حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال هم أهل أيلة القرية التي كانت حاضرة البحر حدثني الحرث قال ثنا أبو سعد عن مجاهد في قوله واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال أيلة وقال آخرون معناه ساحل مدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الآية ذكر لنا أنها كانت قرية على ساحل البحر يقال لها أيلة وقال آخرون هي مقنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر قال هي قرية يقال لها مقنا بين مدين وعينوني وقال آخرون هي مدين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال هي قرية بين أيلة والطور يقال لها مدين * والصواب من القول في ذلك أن يقال هي قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة وجائز أن تكون مدين وجائز أن تكون مقنا لان كل ذلك حاضرة البحر ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أي والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل الى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه الا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك وقوله اذ يعدون في السبت يعني به أهله اذ يعتدون في السبت أمر الله ويتجاوزونه الى ما حرمه الله عليهم يقال منه عدا فلان أمري واعتدى اذا تجاوزه وكان اعتداؤهم في السبت أن الله كان حرم عليهم السبت فكانوا يصطادون فيه السمك اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم الذي نهوا فيه عن العمل شرعا يقول شارعة ظاهرة على الماء من كل طريق وناحية كشوارع الطرق كالذي حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعد عن بشر ابن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يقول ظاهرة على الماء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس شرعا يقول من كل مكان وقوله ويوم لا يسبتون يقول ويوم لا يعظمونه تعظيمهم السبت وذلك سائر الايام غير يوم السبت لا تأتيهم الحيتان كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون يقول كما وصفنا لكم

محمد صلى الله عليه وسلم شوقا الى لقاء ربه فافهم جدا ﴿وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث (٦٣) شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون﴾ القراآت تغفر بالتاء الفوقانية مضمومة وفتح الفاء أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموعا جمع التكسير أبو عمرو خطيئتكم بالرفع وعلى الوحدة ابن عامر خطيئاتكم بالرفع مجموعا جمع السلامة أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب والمفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذى يليق بجمع سلامة المؤنث يسبتون من الاسبات

من الاختبار والابتلاء الذى ذكرنا باظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده واخفائها عنهم فى اليوم المحلل صيده كذلك نبلوهم ونختبرهم بما كانوا يفسقون يقول بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها واختلفت القراء فى قراءة قوله ويوم لا يسبتون فقرئ بفتح الياء من يسبتون من قول القائل سبت فلان يسبت سبتا وسبوتا اذا عظم السبت وذكر عن الحسن البصرى أنه كان يقرؤه ويوم لا يسبتون بضم الياء من أسبت القوم يسبتون اذا دخلوا فى السبت كما يقال أجمعنا مرت بنا جمعة وأشهرنا مر بنا شهر وأسبتنا مر بنا سبت ونصب يوم من قوله ويوم لا يسبتون بقوله لا تأتيهم لأن معنى الكلام لا تأتيهم يوم لا يسبتون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد اذ قالت أمة منهم جماعة منهم لجماعة كانت تعظ المعتدين فى السبت وتنهاهم عن معصية الله فيه لم تعظون قوما الله مهلكهم فى الدنيا بمعصيتهم اياه وخلافهم أمره واستحلالهم ما حرم عليهم أو معذبهم عذابا شديدا فى الآخرة قال الذين كانوا ينهونهم عن معصية الله مجيبيهم عن قولهم عظتنا اياهم معذرة الى ربكم نؤدى فرضه علينا فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولعلهم يتقون يقول ولعلهم أن يتقوا الله فيخافوه فينيبوا الى طاعته ويتوبوا من معصيتهم اياه وتعديهم على ما حرم عليهم من اعتدائهم فى السبت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قالوا معذرة الى ربكم لسخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون أى ينزعون عما هم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولعلهم يتقون قال يتركون هذا العمل الذى هم عليه واختلفت القراء فى قراءة قوله قالوا معذرة فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والكوفة والبصرة معذرة بالرفع على ما وصفت من معناها وقرأ ذلك بعض أهل الكوفة معذرة نصبا بمعنى اعذارا وعظناهم وفعلنا ذلك واختلف أهل العلم فى هذه الفرقة التى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم هل كانت من الناجية أم من الهالكة فقال بعضهم كانت من الناجية لانها كانت من الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء فى السبت

ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا هى قرية على شاطئ البحر بين مكة والمدينة يقال لها أيلة فحرم الله عليهم الحيتان يوم سبتهم فكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعا فى ساحل البحر فاذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمكثوا بذلك ما شاء الله ثم ان طائفة منهم أخذوا الحيتان يوم سبتهم فنهتهم طائفة وقالوا تأخذونها وقد حرمها الله عليكم يوم سبتكم فلم يزدادوا الا غيا وعتوا وجعلت طائفة أخرى تنهاهم فلما طال ذلك عليهم قالت طائفة من النهاة تعلمون أن هؤلاء قوم قد حق عليهم العذاب لم تعظون قوما الله مهلكهم وكانوا أشد غضبا لله من الطائفة الاخرى فقالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون وكل قد كانوا ينهون فلما وقع عليهم غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم والذين قالوا معذرة الى ربكم وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واسألهم عن القرية التى

زيدعن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل رئم أبو جعفر ونافع بيس على فيعل كسيد ابن عامر بيئس على فيعل بفتح العين الاعشى والبرجمي الباقون بئيس على فعيل تأذن بالتليين الاصفهاني عن ورش والشمونى وحمزة فى الوقف تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك أبو بكر وحماد والآخرون بالتشديد ۞ الوقوف أمما ط وان اتفقت الجملتان لان أوحينا عامل اذا استسقاه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن فى زمان الاستسقاء الحجر ط للحذف مع اتحاد الكلام أى فضرب فانبجست عينا ط مشربهم ط والسلوى ط مارزقناكم ط لحذف جمل أى قلنا لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وماظلمونا ط يظلمون ه خطيئاتكم ط المحسنين ه يظلمون ه البحر لا كيلا يصير مابعده ظرفا لقوله واسألهم فانه محال لاتأتيهم ج لاحتمال تعلق كذلك به أى يوم لا يسبتون لاتأتيهم اتيانا كاتيانهم يوم السبت والاصح أن كذلك صفة مصدر محذوف أى نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز أيضا يفسقون ه قوما لا لان الجملة بعده صفته شديدا ط يتقون ه يفسقون ه خاسئين ه العذاب ط رحيم ه وأمما ج لاحتمال كون مابعده صفة أو مستأنفا دون ذلك ز للعطف على قطعنا فان لم تجعل الجار صفة للامم كان عطفا مع عارض يرجعون ه سيغفر لنا ج يأخذوه ط مافيه ط يتقون ه تعقلون ه الصلاة ص على تقدير حذف أى لا نضيع أجرهم اذهم المصلحون ولا نضيع أجر المصلحين ج والوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير أى انا لا نضيع أجرهم المصلحين واقع بهم ط لحق المحذوف تتقون ه أى

(التفسير) انه سبحانه ختم قصة بنى اسرائيل بتعداد جمل من أحوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم أى صيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط أولاد الاولاد جمع سبط وأصله من السبط نبت يعتلفه الابل

كانت حاضرة البحر الى قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وذلك أن أهل قرية كانت حاضرة البحر كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم يقول اذا كانوا يوم يسبتون تأتيهم شرعا يعنى من كل مكان ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وانهم قالوا لو أنا أخذنا من هذه الحيتان يوم تجىء مايكفينا فيما سوى ذلك من الايام فوعظهم قوم مؤمنون ونهوهم وقالت طائفة من المؤمنين ان هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه والله مخزيهم ومعذبهم عذابا شديدا قال المؤمنون بعضهم لبعض معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ان كان هلاك فلعلنا ننجو واما أن ينتهوا فيكون لنا أجرا وقد كان الله جعل على بنى اسرائيل يوما يعبدونه ويتفرغون له فيه وهو يوم الاثنين فتعدى الخبثاء من الاثنين الى السبت وقالوا هو يوم السبت فنهاهم موسى فاختلفوا فيه فجعل عليهم السبت ونهاهم أن يعملوا فيه وأن يعتدوا فيه وان رجلا منهم ذهب ليحتطب فأخذه موسى عليه السلام فسأله هل أمرك بهذا أحد فلم يجد أحدا أمره فرجمه أصحابه حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال قال بعض الذين نهوهم لبعض لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا يقول لم تعظونهم وقد وعظتموهم فلم يطيعوكم فقال بعضهم معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن هانئ قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة عن ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال ما أدرى أنجا الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أم لا قال فلم أزل به حتى عرفته أنهم قد نجوا فكسانى حلة حدثنى المثنى قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية فذكر نحوه الا أنه قال فى حديثه فما زلت أبصره حتى عرف أنهم قد نجوا حدثنى سلام بن سالم الخزاعى قال ثنا يحيى بن سليم الطائفى قال ثنا ابن جريج عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس والمصحف فى حجره وهو يبكى فقلت ما يبكيك جعلنى الله فداءك قال فقرأ واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الى قوله بما كانوا يفسقون قال ابن عباس لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم فقلت أما تسمع الله يقول فلما عتوا عما نهوا عنه فسرى عنه وكسانى حلة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى رجل عن عكرمة قال جئت ابن عباس يوما وهو يبكى واذا المصحف فى حجره فأعظمت أن أدنو ثم لم أزل على ذلك حتى تقدمت فجلست فقلت ما يبكيك يا ابن عباس جعلنى الله فداءك فقال هؤلاء الورقات قال واذا هو فى سورة الاعراف قال تعرف أيلة قلت نعم قال فانه كان بها حى من يهود سيقت الحيتان اليهم يوم السبت ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغوصوا بعد كد ومؤنة شديدة كانت تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها الماخض تنتطح ظهورها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم ان الشيطان أوحى اليهم فقال انما نهيتم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه وكلوها فى غيره من الايام فقالت ذلك طائفة منهم وقالت طائفة منهم بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها فى يوم السبت وكانوا كذلك حتى جاءت الجمعة المقبلة فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت وقال الايمنون ويلكم الله ينهاكم عن أن تعترضوا لعقوبة الله وقال الأيسرون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الايمنون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون

أى ينتهون فهو أحب الينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا وان لم ينتهوا فمعذرة الى ربكم فمضوا على الخطيئة فقال الأيمنون قد فعلتم يا أعداء الله والله لانبايتنكم الليلة فى مدينتكم والله ما أراكم تصبحون حتى يصبيكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا فلم يجابوا فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت اليهم فقال أى عباد الله قردة والله تعاوى لها أذناب قال ففتحوا فدخلوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الانس ولا تعرف الانس أنسابها من القردة فجعلت القرود تأتى نسيبها من الانس فتشم ثيابه وتبكى فتقول لهم ألم ننهكم عن كذا فتقول برأسها نعم ثم قرأ ابن عباس فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون قال فأرى اليهود الذين نهوا قد نجوا ولا أرى الآخرين ذكروا ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها قال قلت اى جعلنى الله فداك ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم قال فأمر بى فكسيت بردين غليظين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر ذكر لنا أنه اذا كان يوم السبت أقبلت الحيتان حتى تنتطح على سواحلهم وأفنيتهم لما بلغها من أمر الله فى الماء فاذا كان فى غير يوم السبت بعدت فى الماء حتى يطلبها طالبهم فأتاهم الشيطان فقال انما حرم عليكم أكلها يوم السبت فاصطادوها يوم السبت وكلوها فيما بعد قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فصار القوم ثلاثة أصناف أما صنف فأمسكوا عن حرمة الله ونهوا عن معصية الله وأما صنف فأمسك عن حرمة الله هيبة لله وأما صنف فانتهك الحرمة ووقع فى الخطيئة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس فى قول الله حاضرة البحر قال حرمت عليهم الحيتان يوم السبت وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بلاء ابتلوا به ولا تأتيهم فى غيره الا أن يطلبوها بلاء أيضا بما كانوا يفسقون فأخذوها يوم السبت استحلالا ومعصية فقال الله لهم كونوا قردة خاسئين الا طائفة منهم لم يعتدوا ونهوهم فقال بعضهم لبعض لم تعظون قوما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم حتى بلغ ولعلهم يتقون لعلهم يتركون ما هم عليه قال كانوا قد بلوا بكف الحيتان عنهم وكانوا يسبتون فى يوم السبت ولا يعملون فيه شيأ فاذا كان يوم السبت أتتهم الحيتان شرعا واذا كان غير يوم السبت لم يأت حوت واحد قال وكانوا قوما قد قرموا بحب الحيتان ولقوا منه بلاء فأخذ رجل منهم حوتا فربط فى ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشفة ثم تركه فى الماء حتى اذا غربت الشمس من يوم الاحد اجتره بالخيط ثم شواه فوجد جار له ريح حوت فقال يا فلان انى أجد فى بيتك ريح نون فقال لا قال فتطلع فى تنوره فاذا هو فيه فأخبره حينئذ الخبر فقال انى أرى الله سيعذبك قال فلما لم يره عجل عذابا فلما أتى السبت الآخر أخذ اثنين فربطهما ثم اطلع جاره عليه فلما رآه لم يعجل عذابا جعلوا يصيدونه فاطلع أهل القرية عليهم فنهاهم الذين ينهون عن المنكر فكانوا فرقتين فرقة تنهاهم وتكف وفرقة تنهاهم ولا تكف فقال الذين نهوا وكفوا للذين ينهون ولا يكفون لم تعظون قوما الله مهلكهم

فكان الاب كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط فى بنى اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو أن مميز ما عدا العشرة الى تسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنى عشر سبطا وأجيب بأن كل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة كقوله

* بين رماحى مالك ونهشل * ولهذا أنث اثنتى عشرة وقال الزجاج المميز محذوف وأسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتى عشرة فرقة أسباطا وقال الفارسى والجوهرى أسباطا بدل من اثنتى عشرة والمميز كما قال الزجاج وقوله أمما بدل من اثنتى عشرة لان كل أسباط كانت جماعة كثيرة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقى الآية الى قوله بما كانوا يظلمون قدمر تفسيره فى البقرة وكذا بيان المتشابهات فلنذكر النوع الآخر من أحوالهم قوله تعالى واسئلهم عن القرية أى عن أهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلومة للرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله تعالى ولكن المراد تقرير ما كانوا قد أقدموا عليه من الاعتداء والفسق ليعلم أن لهم سابقة فى ذلك وليس كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم أول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا وكذا ليعرف ذلك الغير أنه محيط بتلك القصة وفيه أنه اذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحى فيكون معجزا والاكثرون على أن تلك القرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون فى السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال أى واسئلهم عن وقت عدوانهم قال فى الكشاف ويجوز أن يكون منصوبا بحاضرة أو بكانت بناء على أن كان الناقصة تعمل فى غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية حاضرة البحر فى وقت العدوان لانها حاضرته فى جميع الاحيان

وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون أو مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت وهو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع كركع وراكع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اذا دنت من الطريق ونجوم شوارع اذا دنت من المغيب فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها وعن الحسن تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض وقال ابن عباس

أو معذبهم عذابا شديدا فقال الآخرون معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فقال الله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء الى قوله بما كانوا يفسقون قال الله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وقال لهم أهل تلك القرية عملتم بعمل سوء من كان يريد يعتزل و يتطهر فليعتزل هؤلاء قال فاعتزل هؤلاء وهؤلاء في مدينتهم وضربوا بينهم سورا فجعلوا في ذلك السور أبوابا يخرج بعضهم الى بعض قال فلما كان الليل طرقهم الله بعذاب فأصبح أولئك المؤمنون لا يرون منهم أحدا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة الرجل وأزواجه وأولاده فجعلوا يدخلون على الرجل يعرفونه فيقولون يا فلان ألم نحذرك سطوات الله ألم نحذرك نقمات الله ونحذرك ونحذرك قال فليس الا بكاء قال وانما عذب الله الذين ظلموا الذين أقاموا على ذلك قال وأما الذين نهوا فكلهم قد نهى ولكن بعضهم أفضل من بعض فقرأ أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن داود عن عكرمة قال قرأ ابن عباس هذه الآية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال لا أدري أنجا القوم أو هلكوا فما زلت أبصره حتى عرف أنهم نجوا وكساني حلة حدثني يونس قال أخبرني أشهب بن عبد العزيز عن مالك قال زعم ابن رومان أن قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانت تأتيهم يوم السبت فاذا كان المساء ذهبت فلا يرى منها شيء الى السبت فاتخذ لذلك رجل منهم خيطا ووتدا فربط حوتا منها في الماء يوم السبت حتى اذا أمسوا ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجد الناس ريحه فأتوه فسألوه عن ذلك فجحدهم فلم يزالوا به حتى قال لهم فانه جلد حوت وجدناه فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك ولا أدري لعله قال ربط حوتين فلما أمسى من ليلة الاحد أخذه فاشتواه فوجدوا ريحه فجاؤا فسألوه فقال لهم لو شئتم صنعتم كما أصنع فقالوا له وما صنعت فأخبرهم ففعلوا مثل ما فعل حتى كثر ذلك وكانت لهم مدينة لها ربض فغلقوها عليهم فأصابهم من المسخ ما أصابهم فغدا اليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم يطلبون منهم ما يطلب الناس فوجدوا المدينة مغلقة عليهم فنادوا فلم يجيبوهم فتسوروا عليهم فاذا هم قردة فجعل القرد يدنو يتمسح بمن كان يعرف قبل ذلك ويدنو منه ويتمسح به وقال آخرون بل الفرقة التي قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم كانت من الفرقة الهالكة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن محمد بن اسحق عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله شرعا قال قال ابن عباس ابتدعوا السبت فابتلوا فيه فحرمت عليهم فيه الحيتان فكانوا اذا كان يوم السبت شرعت لهم الحيتان ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تر حتى السبت المقبل فاذا جاء السبت جاءت شرعا فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا كذلك ثم ان رجلا منهم أخذ حوتا فخزم أنفه ثم ضرب له وتدا في الساحل وربطه وتركه في الماء فلما كان الغد أخذه فشواه فأكله ففعل ذلك وهم ينظرون ولا ينكرون ولا ينهاه منهم أحد الا عصبة منهم نهوه حتى ظهر ذلك في الاسواق وفعل علانية قال فقالت طائفة للذين ينهون لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم في سخطنا أعمالهم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به الى قوله قلنا لهم كونوا قردة خاسئين قال ابن عباس كانوا ثلاثا

ومجاهد ان اليهود أمروا باليوم الذي أمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكور في البقرة وفيها دلالة على أن من أطاع الله تعالى خفف عليه أهوال الدنيا والآخرة ومن عصاه ابتلاه بأنواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى لوجب أن لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر أسباب الشرور والنوع الثالث قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب أمة منهم جماعة من صلحاء أهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى آيسوا الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مدمرهم أو معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بأن عاقبة المعصية شؤم والمنهمك في الفساد لا يكاد يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه أو موعظتنا أو قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة أو وعظناهم معذرة الى ربكم أي اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولا نايس أن يتقوا بعض الاتقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني أهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراآت شديد من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد والظاهر أن هذا العذاب غير المسخ المتأخر في قوله فلما عتوا تكبروا وتمردوا وأبوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن المنهي عنه يكون طاعة فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد أمر

التكوين والايجاد لا أن هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن أكلوا والله أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزيا فى الدنيا وأطولها عذابا فى الآخرة هاه وايم الله ماحوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة أدهى وأمر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ (٦٧) فى سورة البقرة الا أنه بقى ههنا بحث وهو أن أهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة والواعظة وأما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول أنه لو صح ذلك لكان اللائق أن يقال فى الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجمع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح أنهم ثلاث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون أما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق وأما الواعظة فقد نجوا بقى الكلام فى الثالثة فعن ابن عباس أنه توقف فيهم وكان يقول فيهم ليت شعرى ما فعل بهؤلاء وعنه أيضا أنهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذه الآية بكى وقال ان هؤلاء الذين سكتوا عن النهى عن المنكر هلكوا ونحن نرى أشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيأ وعن الحسن أنهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بأن الله مهلكهم أو يعذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهى بحال المنهى وأن النهى لا ينجع فيه سقط عنه النهى ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء أو لعلهم كانوا أحرص الطائفتين ولعل الامة سألوا عن علة الوعظ سؤال المسترشدين لا سؤال المنكرين والله تعالى أعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان وهو الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكأنه يؤذن النفس بأنه يفعله وأجرى مجرى فعل القسم فى الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فأجيب بجواب القسم أى حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد واختلف فى العائد فى عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على أن لهم

أثلاثا ثلث نهوا وثلث قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث أصحاب الخطيئة فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم فأصبح الذين نهوا عن السوء ذات يوم فى مجالسهم يتفقدون الناس لا يرونهم فعلقوا عليهم دورهم فجعلوا يقولون ان للناس لشأنا فانظروا ما شأنهم فاطلعوا فى دورهم فاذا القوم قد مسخوا فى ديارهم قردة يعرفون الرجل بعينه وانه لقرد ويعرفون المرأة بعينها وانها القردة قال الله فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى بكر الهذلى عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء الآية قال ابن عباس نجا الناهون وهلك الفاعلون ولا أدرى ما صنع بالساكتين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن ابن عباس لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هم ثلاث فرق الفرقة التى وعظت والموعوظة التى وعظت والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة وهم الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وقال الكلبى هما فرقتان الفرقة التى وعظت والتى قالت لم تعظون قوما الله مهلكهم قال هى الموعوظة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لأن أكون علمت من هؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أحب الى مما عدل به حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال قال ابن عباس واذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم قال أسمع الله يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن ماهان الحنفى أبى صالح فى قوله تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم قال كانوا فى المدينة التى على ساحل البحر وكانت الايام ستة الاحد الى الجمعة فوضعت اليهود يوم السبت وسبتوه على أنفسهم فسبته الله عليهم ولم يكن السبت قبل ذلك فوكده الله عليهم وابتلاهم فيه بالحيتان فجعلت تشرع يوم السبت فيتقون أن يصيبوا منها حتى قال رجل منهم والله ما السبت بيوم وكده الله علينا ونحن وكدناه على أنفسنا فلو تناولت من هذا السمك فتناول حوتا من الحيتان فسمع بذلك جاره فخاف العقوبة فهرب من منزله فلما مكث ما شاء الله ولم تصبه عقوبة تناول غيره أيضا فى يوم السبت فلما لم تصبهم العقوبة كثر من تناول فى يوم السبت واتخذوا يوم السبت وليلة السبت عيدا يشربون فيه الخمور ويلعبون فيه بالمعازف فقال لهم خيارهم وصلحاؤهم ويحكم انتهوا عما تفعلون ان الله مهلككم أو معذبكم عذابا شديدا أفلا تعقلون ولا تعدوا فى السبت فأبوا فقال خيارهم نضرب بيننا وبينهم حائطا ففعلوا وكان اذا كان ليلة السبت تأذوا بما يسمعون من أصواتهم وأصوات المعازف حتى اذا كانت الليلة التى مسخوا فيها سكنت أصواتهم أول الليل فقال خيارهم ما شأن قومكم قد سكنت أصواتهم الليلة فقال بعضهم لعل الخمر غلبتهم فناموا فلما أصبحوا لم يسمعوا لهم حسا فقال بعضهم لبعض ما لنا لا نسمع من قومكم حسا فقالوا للرجل اصعد الحائط وانظر ما شأنهم فصعد الحائط فرآهم يموج بعضهم فى بعض قد مسخوا قردة فقال لقومه تعالوا فانظروا الى قومكم ما لقوا فصعدوا فجعلوا ينظرون الى الرجل فيتوسمون فيه فيقولون أى فلان أنت فلان فيومئ بيده الى صدره أى نعم بما كسبت يداى حدثنى يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن أيوب

نسلا وقيل الى صلحاء تلك القرية فكانه مسخ المعتدين وألحق الذل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين أدركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية أما العذاب فقيل هو أخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى أن بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم (٦٨) فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيامة وقيل الاستخفاف والاهانة وقيل القتل والقتال كما وقع فى زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما فى يهود خيبر وبنى قريظة والنضير واذ قد أخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار اياهم ونحن نشاهد أن الامر كذلك فهو اذا اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروى فى أن أتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه أنهم كانوا قبل خروجه يهود ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون فى وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم فى الارض أمما فرقناهم فيها تفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا فى زمن موسى يهدون بالحق أو الذين هم وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وآله وآمنوا به ومنهم دون ذلك أى ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه فيجوز أن يكون فيهم بعض الصلاح وان كان أدون من صلاح الاولين الا أن قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على أن المراد بهم الكفرة الفسقة الباقية على ضد الخير والرشاد ومحل دون ذلك رفع على أنه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلى المختبر بالحسنات الخصب والعافية والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة والنعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم خلف ظاهره يدل على أن الاول ممدوح والثانى مذموم فالمراد فخلف ومدها من بعد أولئك الصلحاء خلف سوء قال الجوهرى الخلف القرن بعد القرن يقال هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من أبيه بالتسكين وخلف صدق من أبيه بالتحريك قال لبيد ذهب الذين يعاش فى أكنافهم *

قال تلا الحسن ذات يوم واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون فقال كان حوتا حرمه الله عليهم فى يوم وأحله لهم فيما سوى ذلك فكان يأتيهم فى اليوم الذى حرمه الله عليهم كانه المخاض لا يمتنع من أحد وقلما رأيت أحدا يكثر الاهتمام بالذنب الا واقعه قال فجعلوا يهمون ويمسكون حتى اخذوه فأكلوا أوخم أكلة أكلها قوم قط أثقله خزيا فى الدنيا وأشده عقوبة فى الآخرة وايم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت ولكن الله جعل موعد قوم الساعة والساعة أدهى وأمر حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى موسى عن الحسن قال جاءتهم الحيتان تشرع فى حياضهم كانها المخاض فأكلوا والله أوخم أكلة أكلها قوم قط أسوأه عقوبة فى الدنيا وأشده عذابا فى الآخرة وقال الحسن وقتل المؤمن والله أعظم من أكل الحيتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كنت جالسا فى المسجد فاذا شيخ قد جاء وجلس الناس اليه فقالوا هذا من أصحاب عبد الله ابن مسعود فقال قال ابن مسعود واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر الآية قال لما حرم عليهم السبت كانت الحيتان تأتى يوم السبت وتأمن وتجىء فلا يستطيعون أن يمسوها وكان اذا ذهب السبت ذهبت فكانوا يتصيدون كما يتصيد الناس فلما أرادوا أن يعدوا فى السبت اصطادوا فنهاهم قوم من صالحيهم فأبوا وكثرهم الفجار فأراد الفجار قتالهم فكان فيهم من لا يشتهون قتاله أبو أحدهم وأخوه أو قريبه فلما نهوهم وأبوا قال الصالحون انا نبايتهم وانا نجعل بيننا وبينهم حائطا ففعلوا فلما فقدوا أصواتهم قالوا لو نظرتم الى اخوانكم ما فعلوا فنظروا فاذا هم قد مسخوا قردة يعرفون الكبير بكبره والصغير بصغره فجعلوا يبكون اليهم وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون﴾ يقول تعالى ذكره فلما تركت الطائفة التى اعتدت فى السبت ما أمرها الله به من ترك الاعتداء فيه وضيعت ما وعظتها الطائفة الواعظة وذكرتها ما ذكرتها به من تحذيرها عقوبة الله على معصيتها فتقدمت على استحلال ما حرم الله عليها أنجى الله الذين ينهون منهم عن السوء يعنى عن معصية الله واستحلال حرمه وأخذنا الذين ظلموا يقول وأخذ الله الذين اعتدوا فى السبت فاستحلوا فيه ما حرم الله من صيد السمك وأكله فأحل بهم بأسه وأهلكهم بعذاب شديد بئيس بما كانوا يفسقون يخالفون أمر الله فيخرجون من طاعته الى معصيته وذلك هو الفسق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج فى قوله فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء قال فلما نسوا موعظة المؤمنين اياهم الذين قالوا لم تعظون قوما حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا حرمى قال ثنى شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة عن ابن عباس أنجينا الذين ينهون عن السوء قال ياليت شعرى ما السوء الذى نهوا عنه وأما قوله بعذاب بئيس فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأته عامة قراء أهل المدينة بعذاب بيس بكسر الباء وتخفيف الياء بغير همز على مثال فعل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة بعذاب بيس على مثل فعيل من البؤس بنصب الباء وكسر الهمزة

وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الردىء من القول يقال سكت ألفا ونطق خلفا أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطا وورثوا الكتاب
أي التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى أي
حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها (٦٩) البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى

ومدها وقرأ ذلك كذلك بعض المكيين غير أنه كسر باء بئيس على مثال فعيل وقرأه بعض الكوفيين بيئس بفتح الباء وتسكين الياء وهمزة بعدها مكسورة على مثال فيعل وذلك شاذ عند أهل العربية لان فيعل اذا لم يكن من ذوات الياء والواو فالفتح في عينه الفصيح في كلام العرب وذلك مثل قولهم في نظيره من السالم صيقل ونيرب وانما تكسر العين من ذلك في ذوات الياء والواو كقولهم سيد وميت وقد أنشد بعضهم قول امرئ القيس بن عابس الكندي

كلاهما كان رئيسا بيئسا * يضرب في يوم الهياج القونسا

بكسر العين من فيعل وهي الهمزة من بيئس فلعل الذي قرأ ذلك كذلك قرأه على هذه اللغة وذكر عن آخر من الكوفيين أيضا أنه قرأه بيئس نحو القراءة التي ذكرناها قبل هذه وذلك بفتح الباء وتسكين الياء وفتح الهمزة بعد الياء على مثال فيعل مثل صيقل وروى عن بعض البصريين أنه قرأه بئس بفتح الباء وكسر الهمزة على مثال فعل كما قال ابن قيس الرقيات

ليتني ألقى رقية في * خلوة من غير ما بئس

وروى عن آخر منهم أنه قرأ بئس بكسر الباء وفتح السين على معنى بئس العذاب * وأولى هذه القراآت عندي بالصواب قراءة من قرأه بئيس بفتح الباء وكسر الهمزة ومدها على مثال فعيل كما قال ذو الاصبع العدواني

حنقا علي ولن ترى * لي فيهم أثرا بئيسا

لان أهل التأويل أجمعوا على أن معناه شديد فدل ذلك على صحة ما اخترنا ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني رجل عن عكرمة عن ابن عباس في قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أليم وجيع حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس قال شديد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بعذاب بئيس أليم شديد حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بعذاب بئيس قال موجع حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعذاب بئيس قال بعذاب شديد ﴿ القول في تأويل قوله (فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) يقول تعالى ذكره فلما تمردوا فيما نهوا عنه من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله وتمادوا فيه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أي بعداء من الخير وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه يقول لما مرد القوم على المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فصاروا قردة لها أذناب تعاوى بعدما كانوا رجالا ونساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وان المشيخة صاروا خنازير حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن السدي عن أبي مالك أو سعيد بن جبير قال رأى موسى عليه

تحقير وتخسيس وأراد بالدنو القرب لانه عاجل أو دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة جزما وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا وأنهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أي التوراة ومحل أن لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان للميثاق المذكور في التوراة وهو أن لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشا أو لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز أن يكون أن لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا يقولوا نهيا كأنه قيل ألم نقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على ألم يؤخذ لانه تقرير كأنه قيل أخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه أي أنهم ذاكرون لما أخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا والمحرمات ثم لما ذكر
حال من ترك التمسك بالتوراة أتبعها حال من تمسك أي اعتصم به فقال والذين يمسكون الآية والتشديد للتكثير وفي افراد اقامة الصلاة بالذكر مع أن التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلاة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا الجبل قال أبو عبيدة أصل النتق قلع الشئ عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها كأنها ترمي بأولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من أصله وجعلناه فوقهم كأنه ظلة

السلام رجلا يحمل قصبا يوم السبت فضرب عنقه ﴿القول في تأويل قوله (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب)﴾ يعني جل ثناؤه بقوله واذ تأذن واذكر يا محمد اذ آذن ربك فأعلم وهو تفعل من الايذان كما قال الاعشى ميمون بن قيس

أذن اليوم جيرتي بخفوف * صرموا حبل آلف مألوف

يعني بقوله أذن أعلم وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ تأذن ربك قال أمر ربك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد واذ تأذن ربك قال أمر ربك وقوله ليبعثن عليهم يعني أعلم ربك ليبعثن على اليهود من يسومهم سوء العذاب قيل ان ذلك العرب بعثهم الله على اليهود يقاتلون من لم يسلم منهم ولم يعط الجزية ومن أعطى منهم الجزية كان ذلك له صغارا وذلة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى بن ابراهيم وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هي الجزية والذين يسومونهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته الى يوم القيامة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهي المسكنة وأخذ الجزية منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال يهود وما ضرب عليهم من الذلة والمسكنة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال بعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة وقال عبد الكريم الجزري يستحب أن تبعث الانباط في الجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج وأول من وضع الخراج موسى عليه السلام فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم قال العرب سوء العذاب قال الخراج قال وأول من وضع الخراج موسى فجبى الخراج سبع سنين حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال هم أهل الكتاب بعث الله عليهم العرب يجبونهم الخراج الى يوم القيامة فهو سوء العذاب ولم يجب نبي الخراج قط الا موسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة ثم أمسك والا النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب قال بعث عليهم هذا الحي من العرب فهم في عذاب منهم الى يوم القيامة قال أخبرنا معمر

وهي كل ما أطلك من سقف أو حائط وظنوا أنه واقع بهم علموا وتيقنوا أنه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم أنه يقع بهم ان خالفوا روي أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونغض لها رأسه خذوا على ارادة القول أي قلنا لهم أو قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي أو من التعريض للثواب أو المراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما أنتم عليه من الاباء (التأويل) القرية التي كانت حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية وأهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحاني كصفات الروح وصنف قلبي كصفات القلب وصنف نفساني كصفات النفس الامارة بالسوء وكل قد نهوا عن صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم تنتهك الحرمة الا الصفات النفسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعي في المحرمات دون المحللات بما كانوا يفسقون أي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج عن أمر الله لانها أمارة بالسوء واذ قالت أمة منهم هي صفات القلب قالوا لصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات والشهوات أو معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانه خلقنا هكذا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر فنقتضي ما علينا البلاغ أنا ما تغيرنا عن أوصافنا الروحانية والملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون

معمر قال أخبرني عبد الكريم عن ابن المسيب قال يستحب أن تبعث الانباط في الجزية حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب يقول ان ربك يبعث على بني اسرائيل العرب فيسومونهم سوء العذاب يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة ليبعثن على يهود ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد لسريع عقابه الى من استوجب منه العقوبة على كفره به ومعصيته له وانه لغفور رحيم يقول وانه لذو صفح عن ذنوب من تاب من ذنوبه فأناب وراجع طاعته يستر عليها بعفوه عنها رحيم له أن يعاقبه على جرمه بعد توبته منها لانه يقبل التوبة ويقيل العثرة ۞ القول في تأويل قوله ﴿وقطعناهم في الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره وفرقنا بني اسرائيل في الارض أمما يعني جماعات شتى متفرقين كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقطعناهم في الارض أمما قال في كل أرض يدخلها قوم من اليهود حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقطعناهم في الارض أمما قال يهود وقوله منهم الصالحون يقول من هؤلاء القوم الذين وصفهم الله من بني اسرائيل الصالحون يعني من يؤمن بالله ورسله ومنهم دون ذلك يعني دون الصالح وانما وصفهم الله جل ثناؤه بأنهم كانوا كذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وقبل كفرهم بربهم وذلك قبل أن يبعث فيهم عيسى بن مريم صلوات الله عليه وقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون يقول واختبرناهم بالرخاء في العيش والخفض في الدنيا والدعة والسعة في الرزق وهي الحسنات التي ذكرها جل ثناؤه ويعني بالسيئات الشدة في العيش والشظف فيه والمصائب والرزايا في الاموال لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم وينيبوا اليها ويتوبوا من معاصيه ۞ القول في تأويل قوله ﴿فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ يقول تعالى ذكره فخلف من بعد هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم خلف يعني خلف سوء يقول حدث بعدهم وخلافهم وتبدل منهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق وخلف سوء وأكثر ما جاء في المدح بفتح اللام وفي الذم بتسكينها وقد تحرك في الذم وتسكن في المدح ومن ذلك في تسكينها في المدح قول حسان

لنا القدم الأولى اليك وخلفنا * لاولنا في طاعة الله تابع

وأحسب أنه اذا وجه الى الفساد مأخوذ من قولهم خلف اللبن اذا حمض من طول تركه في السقاء حتى يفسد فكان الرجل الفاسد مشبه به وقد يجوز أن يكون منه قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه وأما في تسكين اللام في الذم فقول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وقيل ان الخلف الذي ذكر الله في هذه الآية أنهم خلفوا من قبلهم هم النصارى ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله

فتصف بالأمورية والاطمئنان فانها قابلة لذلك بعذاب بئس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذاب ذلة الخدمة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح والقلوب في أرض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات وهي الطاعات والسيئات وهي المعاصي لعلهم يرجعون الى الحق وذلك أن السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت أو بلوناهم بالحسنات ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر أو بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها كما كان حال آدم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب وهو ما ألهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثتها النفوس وجعلوها ذريعة العروض الدنياوية وتحصيل المال والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب أهل الاباحة أو سيغفر لنا اذا استغفرنا وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب واذ نتقنا الجبل فيه أن الانسان لو وكل الى طبعه ونفسه لا يقبل شيأ من الامور الدينية وانما يعان على القبول بأمر ظاهر أو باطن وفيه أن على رؤس أهل الطلب جبل أمر الحق وهو أمر التحويل فحولهم بالقدرة الى أن يأخذوا ما آتاهم الله تعالى بقوة منه لا بقوتهم وارادتهم ﴿واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل

عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم
كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى (٧٢)
فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين﴾

القراآت ذريتهم على التوحيد حمزة وعلى وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة فى الحرفين أبو عمرو ويلهث ذلك بالاظهار حفص والاصفهانى عن ورش والحلوانى عن قالون والنقاش عن أبى ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز أبو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز ۞ الوقوف أنفسهم ج لان التقدير وقال ألست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح أن يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق أن بمحذوف أى فعلنا ذلك لئلا تقولوا ويصلح أن يكون شهدنا من قول الملائكة أى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة بلى ومتصلا بأن تقولوا غافلين ٥ لا للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون ٥ يرجعون ٥ الغاوين ٥ هواه ج لان قوله فمثله مبتدأ ولدخول الفاء فيه كمثل الكلب ان ج لابتداء الشرط مع أن الجملة تفسير للمثل أو تتركه يلهث ط بآياتنا ط يتفكرون ٥ يظلمون ٥ المهتدى ج للعطف ولان التفصيل بين الجملتين أبلغ فى التنبيه الخاسرون ٥ والانس ط والوصل أولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف

خلف من بعدهم خلف قال النصارى * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال ان الله تعالى انما وصف أنه خلف القوم الذين قص قصصهم فى الآيات التى مضت خلف سوء ردىء ولم يذكر لنا أنهم نصارى فى كتابه وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى وبعد فان ما قبل ذلك خبر عن بنى اسرائيل وما بعده كذلك فما بينهما بأن يكون خبرا عنهم أشبه اذ لم يكن فى الآية دليل على صرف الخبر عنهم الى غيرهم ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به فتأويل الكلام اذا فتبدل من بعدهم بدل سوء ورثوا كتاب الله تعلموه وضيعوا العمل به فخالفوا حكمه يرشون فى حكم الله فيأخذون الرشوة فيه من عرض هذا العاجل الادنى يعنى بالادنى الاقرب من الآجل الأبعد ويقولون اذا فعلوا ذلك ان الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيا على الله الاباطيل كما قال جل ثناؤه فيهم فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يقول وان شرع لهم ذنب حرام مثله من الرشوة بعد ذلك أخذوه واستحلوه ولم يرتدعوا عنه يخبر جل ثناؤه عنهم أنهم أهل اصرار على ذنوبهم وليسوا بأهل انابة ولا توبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وان اختلفت عنه عباراتهم ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن سعيد بن جبير فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال يعملون الذنب ثم يستغفرون الله فان عرض ذلك الذنب أخذوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن سعيد بن جبير وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال من الذنوب حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا قال يعملون بالذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال ذنب آخر يعملون به حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن سعيد ابن جبير يأخذون عرض هذا الادنى قال الذنوب وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال ما أشرف لهم من شئ فى اليوم من الدنيا حلال أو حرام يشتهونه أخذوه ويبتغون المغفرة فان يجدوا الغد مثله يأخذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه الا أنه قال يتمنون المغفرة حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد يأخذون عرض هذا الادنى قال لا يشرف لهم شئ من الدنيا الا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون المغفرة ويقولون سيغفر لنا وان يجدوا عرضا مثله يأخذوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فخلف من بعدهم خلف إى والله لخلف سوء ورثوا الكتاب بعد أنبيائهم ورسلهم ورثهم الله وعهد اليهم وقال الله فى آية أخرى فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات قال يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا تمنوا على الله أمانى وغرة يغترون بها وان يأتهم عرض مثله لا يشغلهم شئ عن شئ ولا ينهاهم عن ذلك كلما أشرف لهم شئ من الدنيا أكلوه لا يبالون حلالا كان أو حراما حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يأخذون عرض هذا الادنى قال يأخذونه

صحيح ولكن الوقف لامهال فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم فى أول كل جملة لا يسمعون بها ط أضل ط الغافلون ० فادعوه بها ص لعطف المتفقتين فى أسمائه ط يعملون ० يعدلون ० لا يعلمون ० ج وعطف وأملى على سنستدرجهم أحسن من جعله مستأنفا فيوقف على أملى لهم متين ० ۞ التفسير لما شرح قصة موسى (٧٣) على أقصى الوجوه ذكر ما يجرى مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفى الآية للمفسرين قولان أحدهما ما روى مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء النار وبعمل أهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس وأما المعتزلة وأصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بأنه تعالى أخرج الذرية وهم الأولاد من أصلاب آبائهم وذلك الاخراج أنهم كانوا نطفة فأخرجها الله تعالى الى أرحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم أشهدهم على أنفسهم بما ركب فى عقولهم من دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعته وكأنه قررهم وقال ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقال الشاعر * امتلأ الحوض وقال قطنى * وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام

ان كان حلالا وان كان حراما وان يأتهم عرض مثله قال ان جاءهم حلال أو حرام أخذوه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فخلف من بعدهم خلف الى قوله ودرسوا ما فيه قال كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى فى الحكم وان خيارهم اجتمعوا فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا فجعل الرجل منهم اذا استقضى ارتشى فيقال له ما شأنك ترتشى فى الحكم فيقول سيغفر لى فيطعن عليه البقية الآخرون من بنى اسرائيل فيما صنع فاذا مات أو نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشى يقول وان يأت الآخرين عرض الدنيا يأخذوه وأما عرض الادنى فعرض الدنيا من المال حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا يقول يأخذون ما أصابوا ويتركون ما شاؤا من حلال أو حرام ويقولون سيغفر لنا وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يأخذون عرض هذا الادنى قال الكتاب الذى كتبوه ويقولون سيغفر لنا لا نشرك بالله شيأ وان يأتهم عرض مثله يأخذوه يأتهم المحق برشوة فيخرجوا له كتاب الله ثم يحكموا له بالرشوة وكان الظالم اذا جاءهم برشوة أخرجوا له المثناة وهو الكتاب الذى كتبوه فحكموا له بما فى المثناة بالرشوة فهو فيها محق وهو فى التوراة ظالم فقال الله ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سعيد بن جبير قوله فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى قال يعملون بالذنوب ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه قال الذنوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين فى أحكامهم القائلين سيغفر الله لنا فعلنا هذا اذا عوتبوا على ذلك ميثاق الكتاب وهو أخذ الله العهود على بنى اسرائيل باقامة التوراة والعمل بما فيها فقال جل ثناؤه لهؤلاء الذين قص قصتهم فى هذه الآية موبخا لهم على خلافهم أمره ونقضهم عهده وميثاقه ألم يأخذ الله عليهم ميثاق كتابه ألا يقولوا على الله الا الحق ولا يضيفوا اليه الا ما أنزله على رسوله موسى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وأن لا يكذبوا عليه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق قال فيما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التى لا يزالون يعودون فيها ولا يتوبون منها وأما قوله ودرسوا ما فيه فانه معطوف على قوله ورثوا الكتاب ومعناه فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ودرسوا ما فيه ويعنى بقوله ودرسوا ما فيه قرؤا ما فيه يقول ورثوا الكتاب فعلموا ما فيه ودرسوه فضيعوه وتركوا العمل به وخالفوا عهد الله اليهم فى ذلك كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ودرسوا ما فيه قال علموه علموا ما فى الكتاب الذى ذكر الله وقرأ بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون والدار الآخرة خير للذين يتقون يقول جل ثناؤه وما فى الدار الآخرة وهو ما فى المعاد عند الله مما أعد لأوليائه والعاملين بما أنزل فى كتابه المحافظين على حدوده خير للذين

في صحة القول الاول والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ أخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا فلم يذكر الله تعالى انه أخذ من ظهر آدم شيأ ويمكن أن يجاب بانه تعالى يعلم أن الشخص الفلاني يتولد من آدم ومن فلان فلان آخر فعلى الترتيب الذي علم

دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان أولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن أخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب أن يتذكروا تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل أن يجاب بالفرق وذلك أنا اذا كنا في أبدان أخرى وبقينا فيها سنين ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها وأما أخذ هذا الميثاق فانما حصل في أسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها أن جميع الخلق من أولاد آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على أن البنية شرط لحصول الحياة والعقل والفهم فكل واحدة من أولئك الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الحجمية والمقدار وأجيب بأن البنية عندنا ليست شرطا في الحياة والعقل فمن الجائز أن يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها أن فائدة أخذ الميثاق أن يكون حجة عليهم في ذلك الوقت أو في الدنيا والاجماع منعقد على أنهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين الثواب والعقاب وعلى أنهم أدون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف يتوجه على الذر وأجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا أرادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد أن يكون لبعض المكلفين في اسماع هذه الأشياء نطق فكذا ههنا ولا يبعد أن يكون بها لبعض الملائكة في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت أخذ الميثاق نطق وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيامة ومنها أنه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون أولئك الذر أناسا ينافي كون الانسان

يتقون الله ويخافون عقابه فيراقبونه في أمره ونهيه ويطيعونه في ذلك كله في دنياهم أفلا يعقلون يقول أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون عرض هذا الادنى على أحكامهم ويقولون سيغفر لنا أن ما عند الله في الدار الآخرة للمتقين العادلين بين الناس في أحكامهم خير من هذا العرض القليل الذي يستعجلونه في الدنيا على خلاف أمر الله والقضاء بين الناس بالجور ﴿القول في تأويل قوله﴾ (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة انا لا نضيع أجر المصلحين) واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ بعضهم يمسكون بتخفيف الميم وتسكينها من أمسك يمسك وقرأ آخرون يمسكون بفتح الميم وتشديد السين من مسك يمسك ويعني بذلك والذين يعملون بما في كتاب الله وأقاموا الصلاة بحدودها ولم يضيعوا أوقاتها انا لا نضيع أجر المصلحين يقول تعالى ذكره فمن فعل ذلك من خلقي فاني لا أضيع أجر عمله الصالح كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذين يمسكون بالكتاب قال كتاب الله الذي جاء به موسى صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد قوله والذين يمسكون بالكتاب من يهود أو نصارى انا لا نضيع أجر المصلحين ﴿القول في تأويل قوله﴾ (واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اذ اقتلعنا الجبل فرفعناه فوق بني اسرائيل كأنه ظلة غمام من الظلال وقلنا لهم خذوا ما آتيناكم بقوة من فرائضنا وألزمناكم من أحكام كتابنا فاقبلوه واعملوا باجتهاد منكم في أدائه من غير تقصير ولا توان واذكروا ما فيه يقول ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذنا عليكم بالعمل بما فيه لعلكم تتقون يقول كي تتقوا ربكم فتخافوا عقابه بترككم العمل به اذا ذكرتم ما أخذ عليكم فيه من المواثيق وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فقال لهم موسى خذوا ما آتيناكم بقوة يقول من العمل بالكتاب والا خر عليكم الجبل فأهلككم فقالوا بل نأخذ ما آتانا الله بقوة ثم نكثوا بعد ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة فهو قوله ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم فقال خذوا ما آتيناكم بقوة والا أرسلته عليكم حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال اني لأعلم خلق الله لأي شئ سجدت اليهود على حرف وجوههم لما رفع الجبل فوقهم سجدوا وجعلوا ينظرون الى الجبل مخافة أن يقع عليهم قال فكانت سجدة رضيها الله فاتخذوها سنة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن عباس مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة أي بجد واذكروا ما فيه لعلكم تتقون جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤسهم فقال لتأخذن أمري أو لأرمينكم به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد واذ نتقنا الجبل قال كما تنتق الزبدة قال ابن جريج كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا

بها خذوا ما آتيناكم بقوة قال يقول لتؤمنن بالتوراة ولتقبلنها أو ليقعن عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبي بكر بن عبد الله قال هذا كتاب الله أتقبلونه بما فيه فان فيه بيان ما أحل لكم وما حرم عليكم وما أمركم وما نهاكم قالوا انشر علينا ما فيها فان كانت فرائضها يسيرة وحدودها خفيفة قبلناها قال اقبلوها بما فيها قالوا لا حتى نعلم ما فيها كيف حدودها وفرائضها فراجعوا موسى مرارا فأوحى الله الى الجبل فانقلع فارتفع في السماء حتى اذا كان بين رؤسهم وبين السماء قال لهم موسى ألا ترون ما يقول ربي لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل قال فحدثني الحسن البصري قال لما نظروا الى الجبل خر كل رجل ساجدا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من أن يسقط عليه فلذلك ليس في الارض يهودي يسجد الا على حاجبه الايسر يقولون هذه السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة قال أبو بكر فلما نشر الالواح فيها كتاب الله كتبه بيده لم يبق على وجه الارض جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فليس اليوم يهودي على وجه الارض صغير ولا كبير تقرأ عليه التوراة الا اهتز ونفض لها رأسه واختلف أهل العلم بكلام العرب في معنى قوله نتقنا فقال بعض البصريين معنى نتقنا رفعنا واستشهد بقول العجاج

* ينتق أقتاد السليل نتقا * وقال يعني بقوله ينتق يرفعها عن ظهره وبقول الآخر

* ونتقوا أحلامنا الاثاقلا * وقد حكى عن قائل هذه المقالة قول آخر وهو أن أصل النتق والنتوق كل شئ قلعته من موضعه فرميت به يقال منه نتقت نتقا قال ولهذا قيل للمرأة الكثيرة ناتق لانها ترمي بأولادها رميا واستشهد ببيت النابغة

لم يحرموا حسن الغذاء وأمهم * دحقت عليك بناتق مذكار

وقال آخر منهم معناه في هذا الموضع رفعناه وقال قالوا نتقني السير حركني وقال قالوا ما نتق برجله لا يركض والنتق نتق الدابة صاحبها حين تعدو به وتتعبه حتى يربو فذلك النتق والنتوق ونتقتني الدابة ونتقت المرأة تنتق نتوقا كثر ولدها وقال بعض الكوفيين نتقنا الجبل علقنا الجبل فوقهم فرفعناه ننتقه نتقا وامرأة منتاق كثيرة الولد قال وسمعت أخذ الجراب ونتق ما فيه اذا نثر ما فيه

القول في تأويل قوله (واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد ربك اذ استخرج ولد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض شهادتهم بذلك واقرارهم به كما حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا الحسين بن محمد قال ثنا جرير بن حازم عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا الآية الى ما فعل المبطلون حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا كلثوم بن جبر قال سألت سعيد بن جبير عن قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت عنها ابن عباس فقال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا وأشار بيده فأخذ مواثيقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثنا ابن وكيع ويعقوب

مخلوقا من الماء والطين والجواب لم لا يجوز أن يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة أخرى وهلم جرا الى آخر نسلها ثم يعدم الكل أو يميتها فتحصل الحياة للانسان أربع مرات أولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيامة ويحصل له الموت ثلاث مرات بين كل حياتين واحد ولا ينافي هذا حكاية قول الكفرة (٧٥) ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم أما قوله أن تقولوا فالتقدير وأشهدهم على أنفسهم بكذا لئلا يقولوا أو كراهة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة وهو قوله من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله ألست بربكم وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى أو يقولوا يعني الكفار انما أشركنا لان آباءنا أشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك فكان الذنب لأسلافنا فكيف تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله أفتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل أن الله تعالى لما أخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة معناه أشهدناعليهم كراهة أن يقولوا انما أشركنا على سبيل التقليد لأسلافنا لأن نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد بني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله من أخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شأن اليهود وكذلك قوله واتل عليهم أي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا أما قوله وكذلك أي ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة أن يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها أو يرجعوا الى ما أخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو أن الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب وهو المراد بأخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما

تتذكر بالتذكير والتنبيه وربما لا تتذكر (واتل عليهم) على بني آدم أو اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك أن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا أهله وكانوا كفارا فطلبوا منه أن يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فمازالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى عليه السلام وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال أيضا انه كان نبيا من أنبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى عليه السلام انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله أعلم حيث يجعل رسالاته وفيه أنه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق نزلت في أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا أن يكون هو فلما أرسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لقد كاد يسلم وذلك أنه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض وأحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار وأتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هنالك طريدا وحيدا وهو قول سعيد ابن المسيب وقيل نزلت في منافقي أهل الكتاب وكانوا يعرفون أن النبي صلى الله عليه وسلم نبي حق عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل أعطي ثلاث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكان يحبها فقالت اجعل لي

قالا ثنا ابن علية قال ثنا كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال مسح ربك ظهر آدم فخرجت كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة وأخذ ميثاقهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا اللفظ لحديث يعقوب وحدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ربيعة بن كلثوم عن أبيه في هذا الحديث قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا عمرو قال ثنا عمران بن عيينة قال أخبرنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أول ما أهبط الله آدم أهبطه بدحنى أرض بالهند فمسح الله ظهره فأخرج منه كل نسمة هو بارئها الى أن تقوم الساعة ثم أخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أهبط آدم حين أهبط فمسح الله ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة ثم قال ألست بربكم قالوا بلى ثم تلا واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم فجف القلم من يومئذ بما هو كائن الى يوم القيامة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ذريته من ظهره مثل الذر فقبض قبضتين فقال لاصحاب اليمين ادخلوا الجنة بسلام وقال للآخرين ادخلوا النار ولا أبالي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الاعمش عن حبيب عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فأخرج كل طيب في يمينه وأخرج كل خبيث في الاخرى حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن علية عن شريك عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مسح الله ظهر آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو بن أبي قيس عن عطاء عن سعيد عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم مسح ظهره بدحنى وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألست بربكم قالوا بلى قال فيرون يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيامة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما خلق الله آدم عليه السلام أخذ ميثاقه فمسح ظهره فأخذ ذريته كهيئة الذر فكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى قال ثنا يزيد بن هرون عن المسعودي عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال لما خلق الله آدم أخذ ميثاقه أنه ربه وكتب أجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وأخذ ميثاقهم وكتب آجالهم وأرزاقهم ومصائبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال مسح الله ظهر آدم عليه السلام وهو ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وأخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر ثم أشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا قال ثنا أبي عن أبي هلال عن أبي جمرة الضبعي عن ابن عباس قال أخرج الله ذرية آدم عليه السلام من ظهره

منهادعوة قال لك منها واحدة فاذا تأمرين قالت ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت أن ليس فيهم مثلها رغبت عنه وأرادت شيأ آخر فدعا الله عليها أن يجعلها كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت أمنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله أن يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلاث وبها يضرب المثل فيقال أشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فأعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وأبي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه أدلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها خرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيأ بالكلية انه انسلخ منه وقال أبو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي بيناها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة وأقام على الكفر والقول الاول أولى لان الانسلاخ يدل على أن الشئ كان موجودا فيه ثم خرج منه لا على أنه لم يوجد فيه أصلا وأيضا ثبت بالاخبار أن الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين الله ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فأتبعه الشيطان أي أدركه ولحقه وصار قرينا له أو أتبعه الشيطان خطواته أو كفار الانس وغواتهم أي الشيطان جعل كفار الانس أتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى أو فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الأبرار بها أي بتلك الآيات ولكنه أخلد الى الارض أصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكأنه قيل لزم الميل الى الارض ومنه أخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها أرض وسائر أمتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى قوله واتبع هواه أنه أعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه أخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى

ظهره كهيئة الذر وهو في اذى من الماء حدثني علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة قال ثنا أبو مسعود عن جويبر قال مات ابن للضحاك بن مزاحم ابن ستة أيام قال فقال يا جابر اذا أنت وضعت ابني في لحده فأبرز وجهه وحل عنه عقده فان ابني مجلس ومسؤل ففعلت به الذي أمرني فلما فرغت قلت يرحمك الله عم يسئل ابنك قال يسئل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام قلت يا أبا القاسم وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم قال ثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه ولا يشركوا به شيأ فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الاول ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الاول ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الاول على الفطرة حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني السري بن يحيى أن الحسن بن أبي الحسن حدثهم عن الاسود بن سريع من بني سعد قال غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع غزوات قال فتناول القوم الذرية بعد ما قتلوا المقاتلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتد عليه ثم قال ما بال أقوام يتناولون الذرية فقال رجل يا رسول الله أليسوا أبناء المشركين فقال ان خياركم أولاد المشركين ألا انها ليست نسمة تولد الا ولدت على الفطرة فما تزال عليها حتى يبين عنها لسانها فأبواها يهودانها أو ينصرانها قال الحسن والله لقد قال الله ذلك في كتابه قال واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا عبد الرحمن بن الوليد قال ثنا أحمد ابن أبي طيبة عن سفيان عن سعيد عن الاجلح عن الضحاك وعن منصور عن مجاهد عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذوا من ظهره كما يؤخذ بالمشط من الرأس فقال لهم ألست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو في قوله واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس حدثنا ابن وكيع وابن حميد قالا ثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخذهم كما يأخذ المشط من الرأس قال ابن حميد كما يؤخذ بالمشط حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر عن مالك بن أنس عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب سئل عن هذه الآية واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم فقال عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل قال ان الله اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار حدثنا ابراهيم قال

لاجرم أقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على أن الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائى معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بأن نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا عرضناه بزيادة التكليف لمنزلة زائدة فأبى أن يستمر على الايمان أو المراد لو شئنا لرفعناه بأن نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا أن ذلك ينافى التكليف فلاجرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف ومعناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك أن مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى الى قوله ولكنه أخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب أن يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه أبلغ حط لان تمثيله بالكلب فى أخس أحواله وأذلها فى هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين ويجوز أن يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث اللهث هو أن الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة العدو وعند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شئ يلهث فانه يلهث من اعياء أو عطش الا الكلب اللاهث فانه يلهث فى جميع أحواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعته الخسيسة فمعنى الآية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث أيضا لاجل أن ذلك الفعل القبيح طبيعة أصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه أو لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل واعلم أن التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث وأخس الحيوانات هو الكلب وأخس الكلاب هو اللاهث وان الرجل العالم اذا توسل ابن
بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما يكون لاجل أنه يورد عليهم أنواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها ولا شك أنه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حاله شبيهة بحال ذلك

ثنا محمد بن المصفى عن بقية عن عمرو بن جعثم القرشى قال ثنى زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عمارة عن أبى محمد رجل من المدينة قال سألت عمر بن الخطاب عن قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عنه كما سألتنى فقال خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم أجلسه فمسح ظهره بيده اليمنى فأخرج ذرأ فقال ذرء ذرأتهم للجنة ثم مسح ظهره بيده الاخرى وكلتا يديه يمين فقال ذرء ذرأتهم للنار يعملون فيما شئت من عمل ثم أختم لهم بأسوأ أعمالهم فأدخلهم النار حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال ان الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم من ربكم قالوا الله ربنا ثم أعادهم فى صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم الى أن تقوم الساعة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم الى قوله قالوا بلى شهدنا قال ابن عباس ان الله لما خلق آدم مسح ظهره وأخرج ذريته كلهم كهيئة الذر فأنطقهم فتكلموا وأشهدهم على أنفسهم وجعل مع بعضهم النور وانه قال لآدم هؤلاء ذريتك آخذ عليهم الميثاق أنا ربهم لئلا يشركوا بى شيأ وعلى رزقهم قال آدم فمن هذا الذى معه النور قال هو داود قال يارب كم كتبت له من الاجل قال ستين سنة قال كم كتبت لى قال ألف سنة وقد كتبت لكل انسان منهم كم يعمر وكم يلبث قال يارب زده قال هذا الكتاب موضوع فأعطه ان شئت من عمرك قال نعم وقد جف القلم عن أجل سائر بنى آدم فكتب له من أجل آدم أربعين سنة فصار أجله مائة سنة فلما عمر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت فلما رآه آدم قال مالك قال له قد استوفيت أجلك قال له آدم انما عمرت تسعمائة وستين سنة وبقى أربعون سنة قال فلما قال ذلك للملك قال الملك قد أخبرنى بها ربى قال فارجع الى ربك فاسأله فرجع الملك الى ربه فقال مالك قال يارب رجعت اليك لما كنت أعلم من تكرمتك اياه قال الله ارجع فأخبره انه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الله تبارك وتعالى ضرب منكبه الايمن فخرجت كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هؤلاء أهل الجنة ثم ضرب منكبه الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هؤلاء أهل النار ثم أخذ عهودهم على الايمان والمعرفة له ولامره والتصديق به وبامره بنى آدم كلهم فأشهدهم على أنفسهم فآمنوا وصدقوا وعرفوا وأقروا وبلغنى أنه أخرجهم على كفه أمثال الخردل قال ابن جريج عن مجاهد قال ان الله لما أخرجهم قال يا عباد الله أجيبوا الله والاجابة الطاعة فقالوا أطعنا اللهم أطعنا اللهم أطعنا اللهم لبيك قال فأعطاها ابراهيم عليه السلام فى المناسك لبيك اللهم لبيك قال ضرب متن آدم حين خلقه قال وقال ابن عباس خلق آدم ثم أخرج ذريته من ظهره مثل الذر فكلمهم ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد الا وقد تكلم فقال ربى الله فقال وكل خلق خلق فهو كائن الى يوم القيامة وهى الفطرة التى فطر الناس عليها قال ابن جريج قال سعيد

ابن جبير أخذ الميثاق عليهم بنعمان ونعمان من وراء عرفة أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين عن الميثاق الذى أخذ عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن الى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون قال فانى أشهد عليكم السموات السبع والارضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا اعلموا أنه لا اله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيأ وسأرسل اليكم رسلا يذكرونكم عهدى وميثاقى وسأنزل عليكم كتبى قالوا اشهدنا أنك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك ولا اله لنا غيرك فأقروا له يومئذ بالطاعة ورفع عليهم أباهم آدم فنظر اليهم فرأى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال رب لولا ساويت بينهم قال فانى أحب أن أشكر قال وفيهم الانبياء عليهم السلام يومئذ مثل السرج وخص الانبياء بميثاق آخر قال الله واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وهو الذى يقول تعالى ذكره فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وفى ذلك قال هذا نذير من النذر الاولى يقول أخذنا ميثاقه مع النذر الاولى ومن ذلك قوله وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل قال كان فى علمه يوم أقروا به من يصدق ومن يكذب حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قال أخرجهم من ظهر آدم وجعل لآدم عمر ألف سنة قال فعرضوا على آدم فرأى رجلا من ذريته له نور فأعجبه فسأل عنه فقال هو داود وقد جعل عمره ستين سنة فجعل له من عمره أربعين سنة فلما احتضر آدم جعل يخاصمهم فى الاربعين سنة فقيل له انك أعطيتها داود قال فجعل يخاصمهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرج ذريته من ظهره كهيئة الذر فعرضهم على آدم بأسمائهم وأسماء آبائهم وآجالهم قال فعرض عليه روح داود فى نور ساطع فقال من هذا قال هذا من ذريتك نبى خليفة قال كم عمره قال ستون سنة قال زيدوه من عمرى أربعين سنة قال والاقلام رطبة تجرى فأثبت لداود الاربعون وكان عمر آدم عليه السلام ألف سنة فلما استكملها الا الاربعين سنة بعث اليه ملك الموت فقال يا آدم أمرت أن أقبضك قال ألم يبق من عمرى أربعون سنة قال فرجع ملك الموت الى ربه فقال ان آدم يدعى من عمره أربعين سنة قال أخبر آدم أنه جعلها لابنه داود والاقلام رطبة فأثبتت لداود حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بنحوه قال ثنا ابن فضيل وابن نمير عن عبد الملك عن عطاء واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن نصر بن عربى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أخرجهم

الكلب الذى أخرج لسانه أبدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخسيسة وأيضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لا لاجل أن ذلك الضلال والخسار عادة أصلية وطبيعة ذاتية له كما أن ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع المكذبين الضالين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن (٧٩) عباس يريد أهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون فى صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين أو قصص بلعم الذى هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذ ساروا نحو سيرته ثم ذكر تأكيدا آخر فى باب التحذير فقال ساء مثلا القوم ولا بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم أو ساء أصحاب مثل القوم وفى ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الآية يقتضى كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع أن الله تعالى ذكره والجواب أن الذم انما يتوجه الى ما أفاده المثل من تكذيبهم بآيات الله واعراضهم عنها حتى صاروا فى ذلك بمنزلة الكلب اللاهث أما قوله وأنفسهم كانوا يظلمون فاما أن يكون معطوفا على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم واما أن يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين أن الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتدى وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم اللازم ولا يخفى أن ظاهر الآية موافق لمعتقد الاشاعرة ان الهداية والضلال بل جميع الافعال بخلق الله تعالى

والمعتزلة أولوها بأن المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدى فى الدنيا ومن يضلله عن الجنة والثواب يضلله عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهد الله فقبل هداه فهو المهتدى ومن يضلل بأن لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدى ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه

بسوء اختياره فأخرج لهذا السبب تلك الالطاف من أن تؤثر فيه فهو الخاسر وزيف

من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم فى صلبه قال ثنا محمد بن عبيد عن أبى بسطام عن الضحاك قال حيث ذرأ الله خلقه لآدم قال خلقهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال قال ابن عباس خلق الله آدم ثم أخرج ذريته من ظهره فكلمهم الله وأنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى ثم أعادهم فى صلبه فليس أحد من الخلق الا قد تكلم فقال ربى الله وان القيامة لن تقوم حتى يولد من كان يومئذ أشهد على نفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر بن طلحة عن أسباط عن السدى وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول تعالى ذكره وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق ثم عرضهم على آدم عليه السلام قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدى قال أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتى ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال ادخلوا النار ولا أبالى فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ثم أخذ منهم الميثاق فقال ألست بربكم قالوا بلى فأطاعه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى بنحوه وزاد فيه بعد قوله وطائفة على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا أن يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلذلك ليس فى الارض أحد من ولد آدم الا وهو يعرف أن ربه الله ولا مشرك الا وهو يقول لابنه انا وجدنا آباءنا على أمة والامة الدين وانا على آثارهم مقتدون وذلك حين يقول الله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى وذلك حين يقول وله أسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها وذلك حين يقول فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين يعنى يوم أخذ منهم الميثاق حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى من ظهورهم ذرياتهم قال مسح الله على صلب آدم فأخرج من صلبه من ذريته ما يكون الى يوم القيامة وأخذ ميثاقهم أنه ربهم فأعطوه ذلك ولا يسأل أحد كافر ولا غيره من ربك الا قال الله وقال الحسن مثل ذلك أيضا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن جعفر عن أبيه عن على ابن حسين أنه كان يقول ويتأول هذه الآية وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظى فى قوله وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم قال أقرت الارواح قبل أن تخلق أجسادها حدثنا أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنى الزبيدى عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النصرى عن أبيه عن هشام بن حكيم أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتبدأ الاعمال أم قد قضى القضاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم

بالعلم والداعى وبأن الاصل عدم الاضمار وبأن كل ما فى مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة فى حق جميع الكفار وبالآية بعدها وهى قوله ولقد ذرأنا الى آخره وذلك أنه بين أنه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك فى الازل وخلاف مقدوره ومعلومه محال وأيضا العاقل لا يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهى الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقال العبد انما سعى فى تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع فى هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهى الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الآيات الدالة على أنه سبحانه أراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وأيضا انه قال فى معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى آخره ولو كانوا مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وأيضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار أصلا لان منافع الدنيا بأسرها لا اعتداد بها فى جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من أنه تعالى منعم على جميع الخلائق وأيضا مذهبكم يوجب أن لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب أن يخلقهم فى النار ابتداء لانه

فى

لا فائدة فى أن يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم وأيضا الآية متروكة الظاهر لان لام الاختصاص لا تفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأناهم لكى يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب بناؤها على قوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا أوجب

أن تؤول الآية بأن اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا أو يقال انه جعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه كأنهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان غريقا في بعض الامور وأجيب اجمالا بانه لا يسأل عما يفعل وتفصيلا بأن النعمة وان قلت فهي في نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة تجوز لا يصار اليه الا لضرورة تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كآيات كثيرة على أن الكل من الله فوجب المصير الى طرف الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الآية وهو قوله من يهد الله فهو المهتدي وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وأيضا لا ريب أن أولئك الكفار كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالح الدنيا وكذا أعين مبصرة وآذان سامعة فالمراد أنهم ما كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يكتنه كنهه والعلم الضروري حاصل بأن حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان بل هو حالة حاصلة في القلب كره الانسان أو أراد وحينئذ يثبت القول بالجبر وروى الشيخ أحمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي أن علي بن أبي طالب عليه السلام خطب الناس فقال وأعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة وأضدادها فان سنح له الرجاء أولهه الطمع وان هاج به الطمع أهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الأسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان سعد بالرضا شقي بالسخط وان ناله الخوف شغله الحزن وان أصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا أطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان أجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان أعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من أحوال القلب فانها مستندة الى حالة أخرى حصلت قبلها واذا وقف

في كفيه ثم قال هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار **حدثني** محمد بن عوف الطائي قال ثنا حيوة ويزيد قالا ثنا بقية عن الزبيدي عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة النضري عن أبيه عن هشام بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله **حدثني** أحمد بن شبويه قال ثنا اسحق بن ابراهيم قال ثنا عمرو ابن الحرث قال ثنا عبد الله بن مسلم عن الزبيدي قال ثنا راشد بن سعد أن عبد الرحمن بن قتادة حدثه أن أباه حدثه أن هشام بن حكيم حدثه أنه قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فذكر مثله **حدثنا** محمد بن عوف قال ثني أبو صالح قال ثنا معاوية عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة عن هشام بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه * واختلف في قوله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فقال السدي هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته اذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فتأويل الكلام على هذا التأويل واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى فقال الله وملائكته شهدنا عليكم باقراركم بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وقد ذكرت الرواية عنه بذلك فيما مضى والخبر الآخر الذي روي عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك وقال آخرون ذلك خبر من الله عن قيل بعض بني آدم لبعض حين أشهد الله بعضهم على بعض وقالوا معنى قوله وأشهدهم على أنفسهم وأشهد بعضهم على بعض باقرارهم بذلك وقد ذكرت الرواية بذلك أيضا عمن قاله قبل * قال أبو جعفر وأولى القولين في ذلك بالصواب ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان صحيحا ولا أعلمه صحيحا لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم واتقانهم حدثوا بهذا الحديث عن الثوري فوقفوه على عبد الله بن عمرو ولم يرفعوه ولم يذكروا في الحديث هذا الحرف الذي ذكره أحمد بن أبي طيبة عنه وان لم يكن ذلك عنه صحيحا فالظاهر يدل على أنه خبر من الله عن قيل بني آدم بعضهم لبعض لانه جل ثناؤه قال وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا فكأنه قيل فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا فقالوا بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ۞ القول في تأويل قوله ﴿أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره شهدنا عليكم أيها المقرون بأن الله ربكم كيلا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين انا كنا لا نعلم ذلك وكنا في غفلة منه أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اتبعنا منهاجهم أفتهلكنا باشراك من أشرك من آبائنا واتباعنا منهاجهم على جهل منا بالحق ويعني بقوله بما فعل المبطلون بما فعل الذين أبطلوا في دعواهم الها غير الله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعض المكيين والبصريين أن يقولوا بالياء بمعنى شهدنا لئلا يقولوا على وجه الخبر عن الغيب وقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة أن تقولوا بالتاء على وجه الخطاب من الشهود للمشهود عليهم والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان صحيحتا المعنى متفقتا التأويل وان اختلفت ألفاظهما لان العرب تفعل ذلك في الحكاية كما قال الله لتبيننه للناس وليبيننه وقد بينا نظائر ذلك فيما

الانسان على هذه الحالة علم أنه لاخلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالى فى الاحياء فصلا ثم قال فان قلت انى أجد من نفسى أنى ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلى حاصلا بى لا بغيرى أجبنا وقلنا هب أنك وجدت من نفسك ذلك الا أنا نقول وهل تجد من نفسك أنك ان شئت ان تشاء شيأ شئت وان شئت أن لا تشاء لم تشأ ما أظنك تقول ذلك والا لذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فلا مشيئتك بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيئتك بك وانما أنت مضطر فى صورة مختار والله تعالى أعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم فى معرض الذم وفيه دليل على أن محل الفقه هو القلب وأقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبرى بل اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح أما قوله أولئك كالانعام بل هم أضل فتقريره أن الانسان يشاركه سائر الحيوان فى القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفى منافع الحواس الخمس الظاهرة وفى أحوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التى تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار فى درجة الانعام بل أضل وأدون لان الذى أعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان أخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية أن الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع وقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى فى تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار أكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر أبدا الى أربابها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب أولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما أعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على أن الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والخلاص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه أن الامر كذلك فان القلب اذا غفل

مضى بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) يقول تعالى ذكره وكما فصلنا يا محمد لقومك آيات هذه السورة وبينا فيها ما فعلنا بالامم السالفة قبل قومك وأحللنا بهم من المثلات بكفرهم واشراكهم فى عبادتى غيرى كذلك نفصل الآيات غيرها ونبينها لقومك لينزجروا ويرتدعوا فينيبوا الى طاعتى ويتوبوا من شركهم وكفرهم فيرجعوا الى الايمان والاقرار بتوحيدى وافراد الطاعة لى وترك عبادة ما سواى ۞ القول فى تأويل قوله (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واتل يا محمد على قومك نبأ الذى آتيناه آياتنا يعنى خبره وقصته وكانت آيات الله للذى آتاه الله اياها فيما يقال اسم الله الاعظم وقيل النبوة واختلف أهل التأويل فيه فقال بعضهم هو رجل من بنى اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله فى هذه الآية واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعم حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال هو بلعم بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا قال رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم بن أبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر وابن مهدى وابن أبى عدى قالوا ثنا شعبة عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية فذكر مثله ولم يقل بن أبر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال رجل من بنى اسرائيل يقال له بلعم بن أبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عمران ابن الحرث عن ابن عباس قال هو بلعم بن باعرا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود فى قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الى فكان من الغاوين هو بلعم بن أبر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الاعمش عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود مثله الا أنه قال ابن أبر بضم الباء حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فانسلخ منها قال بلعام بن باعر من بنى اسرائيل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول فذكر مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن وابن أبى عدى عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال فى الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو بلعام وحدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن عكرمة قال هو بلعم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر قال

ثنا

ثنا شعبة عن حصين قال سمعت عكرمة يقول هو بلعام حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال
ثنا اسرائيل عن حصين عن مجاهد قال هو بلعم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا
اسرائيل عن مغيرة عن مجاهد عن ابن عباس قال هو بلعم وقال آخرون كان بلعم هذا من أهل
اليمن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن
أبيه عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو رجل يدعى بلعم
من أهل اليمن وقال آخرون كان من الكنعانيين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا
عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا
فانسلخ منها قال هو رجل من مدينة الجبارين يقال له بلعم وقال آخرون هو أمية بن أبي الصلت
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سعيد بن
السائب عن غضيف بن أبي سفيان عن يعقوب ونافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال في هذه
الآية الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو أمية بن أبي الصلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن
أبي عدي قال أنبأنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم قال قال عبد الله بن عمرو هو صاحبكم
أمية بن أبي الصلت حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ووهب بن جرير قالا ثنا شعبة عن
يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو مثله حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن
سعيد قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن رجل عن عبد الله بن عمرو ولكنه أخلد الى
الارض واتبع هواه قال هو أمية بن أبي الصلت حدثنا ابن وكيع قال ثنا غندر عن شعبة
عن يعلى بن عطاء قال سمعت نافع بن عاصم بن عروة بن مسعود قال سمعت عبد الله بن عمرو
قال في هذه الآية الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو صاحبكم يعني أمية بن أبي الصلت
قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن رجل عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية بن أبي الصلت قال
ثنا يزيد عن شريك عن عبد الملك عن فضالة أو ابن فضالة عن عبد الله بن عمرو قال هو أمية حدثنا
ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن عبد الملك بن عمير قال تذاكروا في جامع دمشق هذه الآية
فانسلخ منها فقال بعضهم نزلت في بلعم بن باعوراء وقال بعضهم نزلت في الراهب فخرج عليهم
عبد الله بن عمرو بن العاص فقالوا فيمن نزلت هذه قال نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي حدثنا
محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبي الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال هو
أمية بن أبي الصلت وقال قتادة يشك فيه يقول بعضهم بلعم ويقول بعضهم أمية بن أبي الصلت
واختلف أهل التأويل في الآيات التي كان أوتيها التي قال جل ثناؤه آتيناه آياتنا فقال بعضهم كانت
اسم الله الاعظم ذكر من قال ذلك حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال
ان الله لما انقضت الاربعون سنة يعني التي قال الله فيها انها محرمة عليهم أربعين سنة بعث يوشع
ابن نون نبيا فدعا بني اسرائيل فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه
وانطلق رجل من بني اسرائيل يقال له بلعم وكان عالما يعلم الاسم الاعظم المكتوم فكفر وأتى
الجبارين فقال لا ترهبوا بني اسرائيل فاني اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم دعوة فيهلكون وكان
عندهم فيما شاء من الدنيا غير أنه كان لا يستطيع أن يأتي النساء يعظمهن فكان ينكح أتانا له وهو

عن الذكر وأقبل على الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا
فتح على قلبه باب الذكر خلص من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلاثة مواضع
آخر في آخر بني اسرائيل وفي أول طه وفي آخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن (٨٣) معانيها ومفهوماتها لانها أسماء دالة على معاني
الكمال ونعوت الجلال وهي
محصورة في نوعين عدم افتقاره
تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره
اليه وقد عرفت في تفسير البسملة
أن أسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر
بحسب السلوب والاضافات فكل
من كان وقوفه على أسرار حكمه في
مخلوقاته أكثر كان علمه بأسماء الله
الحسنى أكثر والآن نقول ان من
تقسيمات أسماء الله ما يقوله
المتكلمون من أن صفات الله أنواع
ما يجب وما يجوز وما يستحيل عليه
تعالى ومنها أن يقال ان أسماء الله اما
أن يجوز اطلاقها على غيره
كالرحيم والكريم وان كان معناها
في حق الله مغايرا لمعناها في حق
غيره واما أن لا يجوز نحو الله
والرحمن وقد يقيد القسم الاول
بقيود مخصوصة فيصير من القسم
الثاني مثل يا أرحم الراحمين
ويا أكرم الاكرمين ويا خالق
السموات والارضين ومنها أن يقال
من الاسماء ما يمكن ذكره وحده
كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم
ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت
وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر
بل يجب أن يقال يا محيي يا مميت
يا ضار يا نافع ومنها أن يقال أول
ما يعلم من صفات الله تعالى كونه
محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على
عدمها وذلك انما يعلم بواسطة
الاستدلال بوجود الممكنات عليه
وذلك المرجح اما أن يرجح على سبيل
الوجوب أو على سبيل الصحة
والاول باطل والا لزم دوام العالم بدوامه والثاني هو المعني بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون أفعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول
ان القادر العالم يمتنع أن لا يكون حيا فظهر أن العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد
بعضها من بعض ومن البين أن الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلالة يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه

بعقب الامكان وكل اسم لا يفيد في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في أنه هل يطلق عليه اسم الشئ أم لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة وفي الانعام في قوله قل أي شئ أكبر شهادة قل الله أما قوله فادعوه بها ففيه دليل على أن الانسان لا يجوز أن يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى (٨٤) بعد أن عرف معانيها ويكون مستحضرا الامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما أنه في قوله عند التحريم الله أكبر يشير الى أنه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وغايته أكبر من هذه الاشياء وأكبر من أن يقال له أكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد ألحد في الدين ولحد وقال غيره من أهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر قال الواحدي الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع من العرب لاحد بمعنى ملحد والالحاد في أسماء الله تعالى يقع على ثلاثة أوجه الاول اطلاق أسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثاني أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو أن قالوا بجهلهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي بناء على أن النخوة مدح الثالث أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز أن يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا في حق الانبياء لا يجوز أن يقال ان آدم عاص أو غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم أوعد الملحدين في أسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم لما أخبر أن كثيرا من الثقلين مخلوقون للنار حكى أن بعضا منهم مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية في قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس أن المراد في الآية أمة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم

الذي يقول الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها أي تنصل فانسلخ منها الى قوله ولكنه أخلد الى الارض حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا قال هو رجل يقال له بلعم وكان يعلم اسم الله الاعظم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال كان لا يسأل الله شيأ الا أعطاه وقال آخرون بل الآيات التي كان أوتيها كتاب من كتب الله ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبي حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان في بني اسرائيل بلعام بن باعر أوتي كتابا وقال آخرون بل كان أوتي النبوة ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن غيره قال الحرث قال عبد العزيز يعني عن غير نفسه عن مجاهد قال هو نبي في بني اسرائيل يعني بلعم أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وأدلته وهي الآيات * وقد دللنا على أن معنى الآيات الادلة والاعلام فيما مضى بما أغنى عن اعادته وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك بلعم وجائز أن يكون أمية وكذلك الآيات ان كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها بلعم وجائز أن يكون أمية لان أمية كان فيما يقال قد قرأ من كتب أهل الكتاب وان كانت بمعنى كتاب أنزله الله على من أمر نبي الله عليه السلام أن يتلو على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الاعظم أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنيا به أمية لان أمية لا تختلف الامة في أنه لم يكن أوتي شيأ من ذلك ولا خبر بأي ذلك المراد وأي الرجلين المعني يوجب الحجة ولا في العقل دلالة على أن ذلك المعني به من أي فالصواب أن يقال فيه ما قال الله ويقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله وأما قوله فانسلخ منها فانه يعني خرج من الآيات التي كان الله آتاها اياه فتبرأ منها وبنحو ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال لما نزل موسى عليه السلام يعني بالجبارين ومن معه أتاه يعني بلعم بنو عمه وقومه فقالوا ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه ان يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد عنا موسى ومن معه قال اني ان دعوت الله أن يرد موسى ومن معه ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسلخه الله مما كان عليه فذلك قوله فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال كان الله آتاه آياته فتركها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس فانسلخ منها قال نزع منه العلم وقوله فأتبعه الشيطان يقول فصيره لنفسه تابعا ينتهي الى أمره في معصية الله ويخالف أمر ربه في معصية الشيطان وطاعة الرحمن وقوله فكان من الغاوين يقول فكان من الهالكين لضلاله وخلافه أمر

بين أيديكم مثلها وعن الربيع بن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ان من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من أهل الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم أعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد أهل مكة والظاهر أنه عام والاستدراج (٨٥) استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وأدرج الكتاب اذا طواه شيأ بعد شئ ومعنى الآية سنقربهم الى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك أنهم كلما أقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من أبواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم أغفل ما يكونون وأملي لهم أطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شئ هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بألفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر حتى قال بعض المجبرة المراد سنستدرجهم الى الكفر مع أنه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا آخر وحملها المعتزلة على أن المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا أو في الآخرة وزيف بأن هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو أراد به الخير لأماته قبل أن يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح أن لا يخلقه ابتداء أو يميته قبل التكليف فلما خلقه وألقاه في ورطة التكليف وأمهله ومكنه من المعاصي مع علمه بأن كل ذلك لا يفيده الا مزيد استحقاق العقاب علمنا أنه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الآية (التأويل) واذ أخذ ربك لم يقل ربكم ليعلم أن في الآية غموضا لا يطلع عليه غيره صلى الله عليه وسلم وغير من أنعم الله به عليه من خواص متابعيه صلى الله عليه وسلم وانه تعالى لم يكلم أحدا وهو يحسبه في العدم الا بني آدم كلهم وهم غير موجودين وآباؤه وهم معدومون فجرى بالجود ما جرى لا بالوجود فهذا بدايتهم والى هذا تنتهي نهايتهم بأن يكون الله تعالى سمعهم وأبصارهم وألسنتهم انما أشرك آباؤنا بأن رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله عما فعل المبطلون الذين أبطلوا استعداد

ربه وطاعة الشيطان ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه﴾ يقول تعالى ذكره ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ولكنه أخلد الى الارض يقول سكن الى الحياة الدنيا في الأرض ومال اليها وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة واتبع هواه ورفض طاعة الله وخالف أمره وكانت قصة هذا الذي وصف الله خبره في هذه الآية على اختلاف من أهل العلم في خبره وأمره ما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه أنه سئل عن الآية واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فحدث عن سيار أنه كان رجلا يقال له بلعام وكان قد أوتي النبوة وكان مجاب الدعوة قال وان موسى أقبل في بني اسرائيل يريد الارض التي فيها بلعام أو قال الشام قال فرعب الناس منه رعبا شديدا قال فأتوا بلعاما فقالوا ادع الله على هذا الرجل وجيشه قال حتى أوامر ربي أو حتى أوامر قال فآمر في الدعاء عليهم فقيل له لا تدع عليهم فانهم عبادي وفيهم نبيهم قال فقال لقومه اني آمرت ربي في الدعاء عليهم واني قد نهيت قال فأهدوا اليه هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى أوامر ربي فآمر فلم يأمره بشئ قال فقال قد وامرت فلم يأمرني بشئ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الاولى قال فأخذ يدعو عليهم فاذا دعا عليهم جرى على لسانه الدعاء على قومه واذا أراد أن يدعو أن يفتح لقومه دعا أن يفتح لموسى عليه السلام وجيشه أو نحوا من ذلك ان شاء الله قال فقالوا ما نراك تدعو الا علينا قال ما يجري على لساني الا هكذا ولو دعوت عليه ما استجيب لي ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم ان الله يبغض الزنا وانهم ان وقعوا بالزنا هلكوا ورجوت أن يهلكهم الله فأخرجوا النساء لتستقبلهم وانهم قوم مسافرون فعسى أن يزنوا فيهلكوا قال ففعلوا وأخرجوا النساء تستقبلهم قال وكان للملك ابنة فذكر من عظمها ما الله أعلم به قال فقال أبوها أو بلعام لا تمكني نفسك الا من موسى قال ووقعوا في الزنا قال وأتاها رأس سبط من أسباط بني اسرائيل فأرادها على نفسه قال فقالت ما أنا بممكنة نفسي الا من موسى قال فقال ان من منزلتي كذا وكذا وان من حالي كذا وكذا قال فأرسلت الى أبيها تستأمره قال فقال لها امكنيه قال ويأتيهما رجل من بني هرون ومعه الرمح فيطعنهما قال وأيده الله بقوة فانتظمهما جميعا ورفعهما على رمحه قال فرآهما الناس أو كما حدث قال وسلط الله عليهم الطاعون قال فمات منهم سبعون ألفا قال فقال أبو المعتمر فحدثني سيار أن بلعاما ركب حمارة له حتى اذا أتى المعلولى أو قال طريقا من المعلولى جعل يضربها ولا تتقدم قال وقامت عليه فقالت علام تضربني أما ترى هذا الذي بين يديك قال فاذا الشيطان بين يديه قال فنزل فسجد له قال الله واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون قال فحدثني بهذا سيار ولا أدري لعله قد دخل فيه شئ من حديث غيره حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال فبلغني حديث رجل من أهل الكتاب يحدث أن موسى سأل الله أن يطبعه وأن يجعله من أهل النار قال ففعل الله قال أنبئت أن موسى قتله بعد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن سالم أبي النضر أنه حدث أن موسى لما نزل في أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم الى بلعم فقالوا له يا بلعم ان هذا موسى بن عمران في بني اسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها

الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها أى وقع فرخ همته العلية عن
ذكر طلب الحق ومحبته فأدركته هزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم أن المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب أن لا يأمن
مكر الله فلا يفتح على نفسه أبواب التنعم والترفه ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا وهم مظاهر القهر فادعوه
بها بأن تتصفوا بصفاته بالنيات
الصالحات وبالاعمال الزاكيات
ثم تتخلقوا بها بالاحوال بتصفية
مرآة القلب ومراقبته عن التعلق
عما سوى الله تعالى والذين كذبوا
بآياتنا بأن لم توافق أقوالهم أفعالهم
سنستدرجهم فينحطون عن
مراتبهم بالتدريج والله أعلم ﴿أولم
يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان
هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت
السموات والارض وما خلق الله
من شئ وأن عسى أن يكون قد
اقترب أجلهم فبأى حديث بعده
يؤمنون من يضلل الله فلا هادى له
ويذرهم فى طغيانهم يعمهون
يسألونك عن الساعة أيان مرساها
قل انما علمها عند ربى لا يجليها
لوقتها الا هو ثقلت فى السموات
والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك
كأنك حفى عنها قل انما علمها عند
الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا
الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسنى
السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم
يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن
اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا
فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما
لئن آتيتنا صالحا لنكونن من
الشاكرين فلما آتاهما صالحا
جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى
الله عما يشركون أيشركون ما لا
يخلق شيأ وهم يخلقون ولا
يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون
بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولىي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى

بنى اسرائيل ويسكنها وانا قومك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله عليهم
فقال ويلكم نبى الله معه الملائكة والمؤمنون كيف أذهب أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم
قالوا ما لنا من منزل فلم يزالوا به يرفعونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب حمارة له متوجها
الى الجبل الذى يطلعه على عسكر بنى اسرائيل وهو جبل حسان فلما سار عليها غير كثير ربضت
به فنزل عنها فضربها حتى اذا أذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل
ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله لها فكلمته
حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم أين تذهب أما ترى الملائكة تردنى عن وجهى هذا أتذهب الى نبى
الله والمؤمنين تدعو عليهم فلم ينزع عنها فضربها فخلى الله سبيلها حين فعل بها ذلك قال فانطلقت
به حتى اذا أشرفت على رأس جبل حسان على عسكر موسى وبنى اسرائيل جعل يدعو عليهم ولا
يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى اسرائيل
قال فقال له قومه أتدرى يا بلعم ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا قال فهذا ما لا أملك هذا شئ قد
غلب الله عليه قال واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة فلم يبق
الا المكر والحيلة فسأمكر لكم وأحتال جملوا النساء وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى العسكر
يبعنها فيه ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم ان زنى منهم واحد كفيتموهم
ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كستى ابنة صور رأس أمته
برجل من عظماء بنى اسرائيل وهو زمرى بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم فقام اليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام
فقال انى أظنك ستقول هذه حرام عليك فقال أجل هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا أطيعك
فى هذا فدخل بها قبته فوقع عليها وأرسل الله الطاعون فى بنى اسرائيل وكان فنحاص بن العيزار
ابن هرون صاحب أمر موسى وكان رجلا قد أعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غائبا
حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس فى بنى اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته
وكانت من حديد كلها ثم دخل عليه القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما
رافعهما الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة الى
لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك
من بنى اسرائيل فى الطاعون فيما بين أن أصاب زمرى المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوا قد هلك
منهم سبعون ألفا والمقلل يقول عشرون ألفا فى ساعة من النهار فمن هنالك يعطى بنو اسرائيل ولد
فنحاص بن العيزار بن هرون من كل ذبيحة ذبحوها القشة والذراع واللحى لاعتماده بالحربة على
خاصرته وأخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم وأنفسهم لانه كان
بكر العيزار ففى بلعم بن باعورا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه
آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين الى قوله لعلهم يتفكرون حدثنى
موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال انطلق رجل من بنى اسرائيل يقال له
بلعم فأتى الجبارين فقال لا ترهبوا من بنى اسرائيل فانى اذا خرجتم تقاتلونهم أدعو عليهم فخرج

يوشع

الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ﴾ القرا آت فبأى بتليين الهمزة حيث كان الاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عياش والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عياش وحمزة وعلى وخلف الباقون بالنون مرفوعا أنا الا بالمد أبو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء أبو جعفر ونافع وأبو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعياش الآخرون بالضم للاتباع كيدونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل والحلوانى عن هشام فى الوصل ينظرون بالياء فى الحالين يعقوب وافق سهل وعياش فى الوصل ان ولىّ الله بياء واحدة مشددة أبو زيد عن المفضل وشجاع وعياش اذا قرأ بالادغام الكبير ولىّ بثلاث يا آت رويس والبرجمى الباقون بياءين أولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة ۞ الوقوف من جنة ط مبين ٥ من شئ لا لان التقدير وفى أن عسى أجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ٥ هادى له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادى له يعمهون ٥ مرساها ط عند ربى ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ٥ ماشاء الله ط من الخير ج لاحتمال أن يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال أن يفسر بالجنون الذى نسبوه اليه فيكون ابتداء نفى يؤمنون ٥ اليها ج لاجل الفاء فرت به ج لذلك الشاكرين ٥ فيما آتاهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل تعجيل التنزيه يشركون ٥ وهم يخلقون ٥ والوصل أولى العطف ينصرون ٥ لا يتبعوكم ط صامتين ٥ صادقين ٥ يمشون بها ز لان أم عاطفة مع أنها فى معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط ينظرون ٥ الكتاب ط والوصل أولى

يوشع يقاتل الجبارين فى الناس وخرج بلعم مع الجبارين على أتانه وهو يريد أن يلعن بنى اسرائيل فكلما أراد أن يدعو على بنى اسرائيل دعا على الجبارين فقال الجبارون انك انما تدعو علينا فيقول انما أردت بنى اسرائيل فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذنب الأتان فامسكها فجعل يحركها فلا تتحرك فلما أكثر ضربها تكلمت فقالت أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ويلى منك ولو أنى أطقت الخروج لخرجت ولكن هذا الملك يحبسنى وفى بلعم يقول الله واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنى رجل سمع عكرمة يقول قالت امرأة منهم أرونى موسى فأنا أفتنه قال فتطيبت فمرت على رجل يشبه موسى فواقعها فأتى ابن هرون فأخبر فأخذ سيفا فطعن به فى احليله حتى أخرجه من قبلها ثم رفعهما حتى رآهما الناس فعلم أنه ليس موسى ففضل آل هرون فى القربان على آل موسى بالكتف والعضد والفخذ قال فهو الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها يعنى بلعم واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولو شئنا لرفعناه بها فقال بعضهم معناه لرفعناه بعلمه بها ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ولو شئنا لرفعناه بها لرفعه الله تعالى بعلمه وقال آخرون معناه لرفعنا عنه الحال التى صار اليها من الكفر بالله بآياتنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولو شئنا لرفعناه بها لرفعنا عنه بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد ولو شئنا لرفعناه بها لرفعناه عنه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب أن يقال ان الله عم الخبر بقوله ولو شئنا لرفعناه بها أنه لو شاء رفعه بآياته التى آتاه اياها والرفع يعم معانى كثيرة منها الرفع فى المنزلة عنده ومنها الرفع فى شرف الدنيا ومكارمها ومنها الرفع فى الذكر الجميل والثناء الرفيع وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوفيقه للعمل بآياته التى كان آتاها اياه واذ كان ذلك جائزا فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شئ اذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل وأما قوله بها فان ابن زيد قال فى ذلك كالذى قلنا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك الآيات وأما قوله ولكنه أخلد الى الارض فان أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض يعنى ركن الى الارض قال ثنا يحيى بن آدم عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير ولكنه أخلد الى الارض قال نزع الى الارض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أخلد سكن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو تميلة عن أبى حمزة عن جابر عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس قال كان فى بنى اسرائيل بلعام بن باعر أوتى كتابا فأخلد الى شهوات الارض ولذتها وأموالها لم ينتفع بما جاء به الكتاب حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه أما أخلد الى الارض فاتبع الدنيا وركن اليها وأصل الاخلاد فى كلام العرب الابطاء والاقامة يقال منه أخلد فلان بالمكان اذا أقام به وأخلد نفسه الى المكان اذا أتاه من مكان آخر ومنه قول زهير

لتكون الواو عاطفة الصالحين ٥ ينصرون ٥ لا يسمعوا ط لا يبصرون ٥ ﴿التفسير﴾ انه تعالى لما بالغ فى تهديد الملحدين المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل فى بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال أولم يتفكروا واذا علم أن الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هى تقليب الحدقة الى جهة المرئى (٨٨) كذلك رؤية البصيرة وهى المسماة بالعلم واليقين حالة متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هى تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى بنظر العقل وفكرته وفى اللفظ محذوف والتقدير أولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهى حالة من الجنون كالجلسة كان جهال أهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين أحدهما أنه صلى الله عليه وسلم كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحى شبيهة بالغشى يتربد وجهه ويتغير لونه والثانى أن فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم وعن الحسن وقتادة أن النبى صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بنى فلان يا بنى فلان يحذرهم بأس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا المجنون واظب على الصياح الى الصباح فأمرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر فى أمره وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بألفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضى السيرة مواظبا على أعمال حسنة صار بسببها قدوة لعقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة أن مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين أرسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر فى أمر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض أى فى مدلولاتهما والملكوت الملك العظيم وفى انكار عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد مر فى هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما فى سورة البقرة عند قوله ان فى خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شئ أى مما يقع عليه اسم الشئ من أجناس غير محصورة والغرض

لمن الديار غشيتها بالغرقد * كالوحى فى حجر المسيل المخلد

يعنى المقيم ومنه قول مالك بن نويرة

بأبناء حى من قبائل مالك * وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا

وكان بعض البصريين يقول معنى قوله أخلد لزم وتقاعس وأبطأ والمخلد أيضا هو الذى يبطئ شيبه من الرجال وهو من الدواب الذى تبقى ثناياه حتى تخرج رباعيتاه وأما قوله واتبع هواه كان ابن زيد قال فى تأويله ما حدثنى به يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتبع هواه قال كان هواه مع القوم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) يقول تعالى ذكره فمثل هذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل الكلب الذى يلهث طردته أو تركته ثم اختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم مثله به فى اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التى آتاها اياه واعراضه عن مواعظ الله التى فيها اعراض من لم يؤته الله شيأ من ذلك فقال جل ثناؤه فيه اذا كان سواء أمره وعظ بآيات الله التى آتاها اياه أو لم يوعظ فى أنه لا يتعظ بها ولا يترك الكفر به فمثله مثل الكلب الذى سواء أمره فى لهثه طرد أو لم يطرد اذ كان لا يترك اللهث بحال ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده هو مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث قال تطرده بدابتك ورجلك يلهث قال مثل الذى يقرأ الكتاب ولا يعمل بما فيه قال ابن جريج الكلب منقطع الفؤاد لا فؤاد له ان حملت عليه يلهث أو تتركه يلهث قال مثل الذى يترك الهدى لا فؤاد له انما فؤاده منقطع حدثنى ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن بعضهم فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فذلك هو الكافر هو ضال ان وعظته وان لم تعظه حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه الحكمة لم يحملها وان تركه لم يهتد لخير كالكلب ان كان رابضا لهث وان طرد لهث حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال آتاه الله آياته فتركها فجعل الله مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان الآية هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه قال وكان الحسن يقول هو المنافق ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث قال هذا مثل الكافر ميت الفؤاد وقال آخرون انما مثله جل ثناؤه بالكلب لانه كان يلهث كما يلهث الكلب ذكر من قال ذلك حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وكان بلعم يلهث كما يلهث الكلب وأما تحمل عليه فتشد عليه * قال أبو جعفر وأولى التأويلين

التنبيه على أن الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هـذا العالم فيها برهان باهر ودليل ظاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وبوضع معين من الاوضاع وكذا الكلام فى لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد فى ذاته وفى جميع اعتباراته وأن عسى هى مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على أن الضمير الشأن وفى أن يكون ضمير الشأن أيضا والمعنى أولم ينظروا فى أن الشأن والحديث عسى أن يكون الشأن قد اقترب أجلهم الموت أو القيامة واذا كان أحد هذين الاحتمالين قائما وجب على العاقل المسارعة الى هـذا الفكر والنظر سعيا فى تخليص النفس من هـذا الخوف الشديد والخطر العظيم أما قوله فبأى حديث بعده يؤمنون فتعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فمالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا ولا دلالة فى اطلاق لفظ الحديث على القرآن على أنه ليس بقديم لان المراد بالحديث ما رادف الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع فى حدوثها قوله من يضلل الله فقد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم فى النبوة والتوحيد والقضاء والقدر أتبعه الكلام فى المعاد فقال يسألونك عن الساعة وأيضا لما ذكر اقتراب الاجل بين أن وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة وأداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس أنهم اليهود قالوا يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة قال فى الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها كما يقال للحبشى أبو البيضاء أو لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق وأيان استفهام عن الزمان ويختص بالامور

فى ذلك بالصواب تأويل من قال انما هو مثل لتركه العمل بآيات الله التى آتاها اياه وان معناه سواء وعظ أولم يوعظ فى أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربه كما سواء حمل على الكلب وطرد أو ترك فلم يطرد فى أنه لا يدع اللهث فى كلتا حالتيه وانما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته وقد علمنا أن اللهاث ليس فى خلقة كل مكذب كتب عليه ترك الانابة من تكذيب بآيات الله وان ذلك انما هو مثل ضربه الله لهم فكان معلوما بذلك أنه للذى وصف الله صفته فى هـذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره هذا المثل الذى ضربته لهذا الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها مثل القوم الذين كذبوا بحججنا وأعلامنا وأدلتنا فسلكوا فى ذلك سبيل هذا المنسلخ من آياتنا الذى آتيناها اياه فى تركه العمل بما آتيناه من ذلك وأما قوله فاقصص القصص فانه يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاقصص يا محمد هذا القصص الذى قصصته عليك من نبا الذى آتيناه آياتنا وأخبار الامم التى أخبرتك أخبارهم فى هـذه السورة وقصصت عليك نبأهم ونبأ أشباههم وما حل بهم من عقوبتنا ونزل بهم حين كذبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش ومن قبلك من يهود بنى اسرائيل ليتفكروا فى ذلك فيعتبروا وينيبوا الى طاعتنا لئلا يحل بهم مثل الذى حل بمن قبلهم من النقم والمثلات ويتدبره اليهود من بنى اسرائيل فيعلموا حقيقة أمرك وصحة نبوتك اذ كان نبأ الذى آتيناه آياتنا من خفى علومهم ومكنون أخبارهم لا يعلمه الا أحبارهم ومن قرأ الكتب ودرسها منهم وفى علمك بذلك وأنت أمى لا تكتب ولا تقرأ ولا تدرس الكتب ولم تجالس أهل العلم الحجة البينة لك عليهم بأنك لله رسول وانك لم تعلم ما علمت من ذلك وحالك الحال التى أنت بها الا بوحى من السماء وبنحو ذلك كان أبو النضر يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد عن سالم أبى النضر فاقصص القصص لعلهم يتفكرون يعنى بنى اسرائيل اذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عما مضى فيهم الا نبى يأتيه خبر السماء ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ساء مثلا القوم الذين كذبوا بحجج الله وأدلته فجحدوها وأنفسهم كانوا ينقصون حظوظها ويبخسونها منافعها بتكذيبهم بها لا غيرها وقيل ساء مثلا من السوء يعنى بئس مثلا وأقيم القوم مقام المثل وحذف المثل اذ كان الكلام مفهوما معناه كما قال جل ثناؤه ولكن البر من آمن بالله فان معناه ولكن البر بر من آمن بالله وقد بينا نظائر ذلك فى مواضع غير هذا بما أغنى عن اعادته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره الهداية والاضلال بيد الله والمهتدى وهو السالك سبيل الحق الراكب قصد المحجة فى دينه من هداه الله لذلك فوفقه لاصابته والضال من خذله الله فلم يوفقه لطاعته ومن فعل الله ذلك به فهو الخاسر يعنى الهالك وقد بينا معنى الخسارة والهداية والضلالة فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ يقول تعالى ذكره ولقد خلقنا لجهنم

العظام نحو أيان مرساها وأيان يوم الدين ولا يقال أيان نمت وكسر همزته لغة بني سليم وعن ابن جني ان اشتقاقه من أي فعلان منه وأي فعل من أويت اليه لان البعض باوي الى الكل وأنكر أن يكون اشتقاقه من أين لانه للزمان وأين للمكان ولقلة فعال في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي أصله أي أوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي أيوان فادغم بعد القلب وقيل أصله أي آن بمعنى أي حين

كثيرا من الجن والانس يقال منه ذرأ الله خلقه يذرؤهم ذرأ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن الحسين الازدي قال ثنا يحيي بن يمان عن مبارك ابن فضالة عن الحسن في قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال مما خلقنا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبي زائدة عن مبارك عن الحسن في قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال خلقنا قال ثنا زكريا عن عتاب بن بشير عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم قال ثنا زكريا بن عدي وعثمان الاحول عن مروان بن معاوية عن الحسن بن عمرو عن معاوية ابن اسحق عن جليس له بالطائف عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله لما ذرأ لجهنم ما ذرأ كان ولد الزنا ممن ذرأ لجهنم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولقد ذرأنا لجهنم يقول خلقنا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله ولقد ذرأنا لجهنم قال لقد خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس ولقد ذرأنا لجهنم خلقنا وقال جل ثناؤه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لنفاذ علمه فيهم بأنهم يصيرون اليها بكفرهم بربهم وأما قوله لهم قلوب لا يفقهون بها فان معناه لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته ولا يعتبرون بها حججه لرسله فيعلموا توحيد ربهم ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم فوصفهم ربنا جل ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها لاعراضهم عن الحق وتركهم تدبر صحة الرشد وبطول الكفر وكذلك قوله ولهم أعين لا يبصرون بها معناه ولهم أعين لا ينظرون بها الى آيات الله وأدلته فيتأملوها ويتفكروا فيها فيعلموا بها صحة ما تدعوهم اليه رسلهم وفساد ما هم عليه مقيمون من الشرك بالله وتكذيب رسله فوصفهم الله بتركهم اعمالها في الحق بأنهم لا يبصرون بها وكذلك قوله ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيعتبروها ويتفكروا فيها ولكنهم يعرضون عنها ويقولون لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وذلك نظير وصف الله اياهم في موضع آخر بقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون والعرب تقول ذلك للتارك استعمال بعض جوارحه فيما يصلح له ومنه قول مسكين الدارمي

أعمى اذا ما جارتي خرجت * حتى يواري جارتي الستر
وأصم عما كان بينهما * سمعي وما بالسمع من وقر

فوصف نفسه لتركه النظر والاستماع بالعمى والصمم ومنه قول الآخر

وعوراء اللئام صممت عنها * واني لو أشاء بها سميع
وبادرة وزعت النفس عنها * ولو بينت من العصب الضلوع

وذلك كثير في كلام العرب وأشعارها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول في قوله لهم قلوب لا يفقهون بها قال لا يفقهون بها شيأ من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم جعلهم كالانعام ثم جعلهم شرا من الانعام فقال بل هم أضل ثم أخبر

تخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بأي وردبأن آنالا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وأرست السفينة ولا أثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها أي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون أدعى الى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى وقت الموت لذلك لا يجليها الا يظهرها لوقتها أي الخبر عن وقتها قبل مجيئها أحد الا هو والحاصل أنه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت في السموات والارض قال الحسن أي ثقل مجيئها على أهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى أهل الارض لان في ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم أو ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال أو ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم أي أشكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها ولهذا فقد العاطف عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والذي نفس محمد بيده لتقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى تحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسألونك للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله كأنك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقل الساعة

انهم

انهم هم الغافلون ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله أولئك كالانعام هؤلاء الذين ذرأهم لجهنم هم كالانعام وهى البهائم التى لا تفقه ما يقال لها ولا تفهم ما أبصرته مما يصلح ومالا يصلح ولا تعقل بقلوبها الخير من الشر فتميز بينهما فشبههم الله بها اذ كانوا لا يتذكرون ما يرون بأبصارهم من حججه ولا يتفكرون فيما يسمعون من آى كتابه ثم قال بل هم أضل يقول هؤلاء الكفرة الذين ذرأهم لجهنم أشد ذهابا عن الحق وألزم لطريق الباطل من البهائم لان البهائم لا اختيار لها ولا تميز فتختار وتميز وانما هى مسخرة ومع ذلك تهرب من المضار وتطلب لانفسها من الغذاء الاصلح والذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية مع ما أعطوا من الافهام والعقول المميزة بين المصالح والمضار تترك ما فيه صلاح دنياها وآخرتها وتطلب ما فيه مضارها فالبهائم منها أسد وهى منها أضل كما وصفها به ربنا جل ثناؤه وقوله أولئك هم الغافلون يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين وصفت صفتهم القوم الذين غفلوا يعنى سهوا عن آياتى وحججى وتركوا تدبرها والاعتبار بها والاستدلال على مادلت عليه من توحيد ربها لا البهائم التى قد عرفها ربها ما سخرها له ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره ولله الاسماء الحسنى وهى كما قال ابن عباس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها ومن أسمائه العزيز الجبار وكل أسماء الله حسن حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله تسعة وتسعين اسما مائة الا واحدا من أحصاها كلها دخل الجنة وأما قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه فانه يعنى به المشركين وكان الحادهم فى أسماء الله أنهم عدلوا بها عما هى عليه فسموا بها آلهتهم وأوثانهم وزادوا فيها ونقصوا منها فسموا بعضها اللات اشتقاقا منهم لها من اسم الله الذى هو الله وسموا بعضها العزى اشتقاقا لها من اسم الله الذى هو العزيز وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال الحاد الملحدين أن دعوا اللات فى أسماء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال اشتقوا العزى من العزيز واشتقوا اللات من الله واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله يلحدون فقال بعضهم يكذبون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وذروا الذين يلحدون فى أسمائه قال الالحاد التكذيب وقال آخرون معنى ذلك يشركون ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة يلحدون قال يشركون وأصل الالحاد فى كلام العرب العدول عن القصد والجور عنه والاعراض ثم يستعمل فى كل معوج غير مستقيم ولذلك قيل للحد القبر لحد لانه فى ناحية منه وليس فى وسطه يقال منه ألحد فلان يلحد الحادا ولحد يلحد لحدا ولحودا وقد ذكر عن الكسائى أنه كان يفرق بين الالحاد واللحد فيقول فى الالحاد انه العدول عن القصد وفى اللحد انه الركون الى الشئ وكان يقرأ جميع ما فى القرآن يلحدون بضم الياء وكسر الحاء الا التى

وشدتها ومهابتها ولهذا أخص باسم الله فى قوله قل انما علمها عند الله لان أعظم أسماء الله مهابة هو الله وأما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفى الحفى وجوه فقيل انه البار اللطيف وعن بمعنى الباء أى كأنك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدى والضمير عائد الى قريش التى ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى أن يخبرهم بالساعة والمعنى أنك لا تكون حفيا بهم ماداموا على كفرهم ولو أخبرت بوقتها وأمرت بالاخبار عنها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحى اليك وعلى هذا القول جاز أن يكون عنها متعلقا بيسألونك أى يسألونك عنها كأنك حفى أى عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام أولانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفى فعيل من حفى فلان بالمسئلة أى استقصى والمعنى كأنك بليغ فى السؤال عنها لان من أكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب وأحفى فى المسئلة اذا ألحف وقيل المراد كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى أنك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به ولكن أكثر الناس لا يعلمون أنه مختص بذلك العلم أو لا يعلمون أن القيامة حق وانما يقولون ان هى الا حياتنا الدنيا أو لا يعلمون السبب الذى لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم أمر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه أن قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالآية فى مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب أن لا يحصلا الا بمشيئة الله تعالى وأجابت المعتزلة بأن المراد لا أملك لنفسى من النفع والضر الا قدر ما شاء الله أن يقدرنى عليه ويمكننى منه وظاهر الآية وان كان عاما الا أنها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبى ان أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشترى فنربح وبالارض التى تريد أن تجدب فنرتحل عنها الى ما قد أخصب فأنزل الله هذه الآية فالمراد بالخير فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت

من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت أعلم الغيب لكنت أعلم أن الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك فكنت أشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق جاء في الطريق ريح نفرت ناقته منها فاخبر (٩٣) صلى الله عليه وسلم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا أين ناقتي فقال عبد الله بن أبي لقومه ألا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا يعرف أين ناقته فقال صلى الله عليه وآله ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت أما قوله ومامسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ماهي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدبير ان أنا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني أن أعلم الغيب وقوله لقوم يؤمنون اما أن يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير وهو الكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر أو يتعلق بالوصفين جميعا الا أن المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بها خصوا بالذكر كقوله هدى للمتقين واعلم أن أكثر ماجاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد معبوده خوفا من عقابه أولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيثما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير على السوء في قوله لاستكثرت من الخير ومامسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير أمر التوحيد وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة والمروي عن ابن عباس أنها نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في أول سورة النساء قال مجاهد كان لا يعيش

في النحل فانه كان يقرؤها يلحدون بفتح الياء والحاء ويزعم أنه بمعنى الركون وأما سائر أهل المعرفة بكلام العرب فيرون أن معناهما واحد وأنهما لغتان جاءتا في حرف واحد بمعنى واحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض البصريين والكوفيين يلحدون بضم الياء وكسر الحاء من ألحد يلحد في جميع القرآن وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة يلحدون بفتح الياء والحاء من لحد يلحد والصواب من القول في ذلك أنهما لغتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب في ذلك غير أني أختار القراءة بضم الياء على لغة من قال ألحد لانها أشهر اللغتين وأفصحهما وكان ابن زيد يقول في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه انه منسوخ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال هؤلاء أهل الكفر وقد نسخ نسخه القتال ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من انه منسوخ لان قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه ليس بأمر من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم وانما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم كما قال في موضع آخر ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الآية وكقوله ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون وهو كلام خرج مخرج الامر بمعنى الوعيد والتهديد ومعناه ان تمهل الذين يلحدون يا محمد في أسماء الله الى أجل هم بالغوه فسوف يجزون اذا جاءهم أجل الله الذي أجله اليهم جزاء أعمالهم التي كانوا يعملونها قبل ذلك من الكفر بالله والالحاد في أسمائه وتكذيب رسوله ۞ القول في تأويل قوله ﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ يقول تعالى ذكره ومن الخلق الذين خلقنا أمة يعني جماعة يهدون يقول يهتدون بالحق وبه يعدلون يقول وبالحق يقضون وينصفون الناس كما قال ابن جريج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال ابن جريج ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال هذه أمتي قال بالحق يأخذون ويعطون ويقضون حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره والذين كذبوا بأدلتنا وأعلامنا فجحدوها ولم يتذكروا بها سنمهله بغرته ونزين له سوء عمله حتى يحسب أنه فيما هو عليه من تكذيبه بآيات الله الى نفسه محسن وحتى يبلغ الغاية التي كتب له من المهل ثم يأخذه بأعماله السيئة فيجازيه بها من العقوبة بما قد أعد له وذلك استدراج الله اياه وأصل الاستدراج اغترار المستدرج بلطف من حيث يرى المستدرج أن المستدرج اليه محسن حتى يورطه مكروها وقد بينا وجه فعل الله ذلك بأهل الكفر به فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ۞ القول في تأويل قوله ﴿وأملي لهم ان كيدي متين﴾ يقول تعالى ذكره وأؤخر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا ملاوة بالكسر والضم والفتح من الدهر وهي الحين ومنه قيل انتظرتك مليا ليبلغوا بمعصيتهم ربهم المقدار الذي قد كتبه لهم من العقاب والعذاب ثم يقبضهم اليه ان كيدي والكيد هو المكر وقوله متين

لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس فى الملائكة الحرث وذلك قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعنى آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث وهذا تمام القصة وقد زيفها النقاد بوجوه منها انه تعالى قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ الى آخر الآيات وفى ذلك تصريح بأن المراد الاصنام ولو كان المراد ابليس لكان أيشركون ما لا يخلق شيأ وهو يخلق ومنها أن آدم عليه السلام كان عالما بجميع الاسماء فكيف ضاقت عليه الاسماء أم كيف لم يعرف أن اسم ابليس كان حارثا أم كيف لم يتنبه لغدر ابليس بعد أن جرى عليه منه ما جرى ومنها أنه أراد بذلك اسم علم أو اسم صفة والاول لا يستلزم محذورا الا أن أسماء الاعلام لا تفيد فى المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثانى يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك ذكر العلماء فى تأويله وجوها أحدها أن هذا مثل فكأنه تعالى يقول هو الذى خلقكم أى كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه فى الانسانية يسكن أى تلك النفس فذكر بعد ما أنث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذى يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير أحسن طباقا للمعنى فلما تغشاها أى جامعها لانه اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان فى البطن أو على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر أو على الدابة فمرت به أى استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير اذلاق وقيل فقامت وقعدت به من غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة أنها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما أثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها دعوا أى الزوج والزوجة الله ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه أو ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف المضاف أى ذوى شرك وهم الشركاء أيضا أو المراد أحدثا لله اشراكا

متين يعنى قوى شديد ومنه قول الشاعر (٣)

عدلن عدول الناس واقبح يبتلى * اقاس من الهراب شدمماتن

يعنى سيرا شديدا باقيا لا ينقطع ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أولم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم ويعلموا أن رسولنا الذى أرسلناه اليهم لا جنة به ولا خبل وان الذى دعاهم اليه هو الدين الصحيح القويم والحق المبين ولذا نزلت هذه الآية فيما قيل كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان على الصفا فدعا قريشا فجعل يفخذهم فخذا فخذا يا بنى فلان يا بنى فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح أو حتى أصبح فأنزل الله تبارك وتعالى أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين ويعنى بقوله ان هو الا نذير مبين ما هو الا نذير ينذركم عقاب الله على كفركم به ان لم تنيبوا الى الايمان به ويعنى بقوله مبين قد أبان لكم أيها الناس انذاره ما أنذركم به من بأس الله على كفركم به ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ينظر هؤلاء المكذبون بآيات الله فى ملك الله وسلطانه فى السموات وفى الارض وفيما خلق جل ثناؤه من شئ فيهما فيتدبروا ذلك ويعتبروا به ويعلموا أن ذلك ممن لا نظير له ولا شبيه ومن فعل من لا ينبغى أن تكون العبادة والدين الخالص الا له فيؤمنوا به ويصدقوا رسوله وينيبوا الى طاعته ويخلعوا الانداد والاوثان ويحذروا أن تكون آجالهم قد اقتربت فيهلكوا على كفرهم ويصيروا الى عذاب الله وأليم عقابه وقوله فبأى حديث بعده يؤمنون يقول فبأى تخويف وتحذير وترهيب بعد تحذير محمد صلى الله عليه وسلم وترهيبه الذى أتاهم به من عند الله فى آى كتابه يصدقون ان لم يصدقوا بهذا الكتاب الذى جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿من يضلل الله فلا هادى له ويذرهم فى طغيانهم يعمهون﴾ يقول تعالى ذكره ان اعراض هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا التاركى النظر فى حجج الله والفكر فيها لاضلال الله اياهم ولو هداهم الله لاعتبروا وتدبروا فأبصروا وارشدهم ولكن الله أضلهم فلا يبصرون رشدا ولا يهتدون سبيلا ومن أضله عن الرشاد فلا هادى له اليه ولكن الله يدعهم فى تماديهم فى كفرهم وتمردهم فى شركهم يترددون ليستوجبوا الغاية التى كتبها الله لهم من عقوبته وأليم نكاله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها الا هو﴾ اختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله يسألونك عن الساعة فقال بعضهم عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وكانوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسئلونك كأنك حفى عنها وقال آخرون بل عنى به قوم من اليهود ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا

في الولد لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبائع وتارة الى الكواكب وتارة الى الاوثان والاصنام وثانيها أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا أولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا أن الآية وردت في قصة آدم الا أنه لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون أي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون بالشرك وذلك أنهم كانوا يقولون ان آدم عليه السلام كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره أن ينعم رجل على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا وأحسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة انه بريء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد أو نقول لم لا يجوز أن يكون قوله جعلا له على حذف المضاف أي جعلا أولادهما له شركا وكذا فيما آتاهما أي آتى أولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين أو نوعين ذكرا وأنثى وبلفظ الجمع أخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا أن الضمير في جعلا وفي آتاهما لآدم وحواء الا أنهما كانا عزما أن يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح الدنيا فأريد بالشرك هذا القدر وعلى هذا فانما قال تعالى عما يشركون لأن حسنات الابرار سيئات المقربين أو نقول انما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم ومنه قول بعض العلماء أنا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشراك في لفظ العبد صارا معاتبين بذلك والله تعالى أعلم ثم أقام الحجة على أن الاوثان لا تصلح للالهية فقال أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر اللفظ أولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع

محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد أخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي الى قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسمعيل بن أبي خالد عن طارق بن شهاب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكون كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان فتأويل الآية اذا يسئلك القوم الذين يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها ومعنى أيان متى في كلام العرب ومنه قول الراجز

أيان تقضي حاجتي أيانا * أما ترى لنجحها إبانا

ومعنى قوله مرساها قيامها من قول القائل أرساها الله فهي مرساة وأرساها القوم اذا حبسوها ورست هي ترسو رسوا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يقول متى قيامها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها متى قيامها وقال آخرون معنى ذلك منتهاها وذلك قريب المعنى من معنى من قال معناه قيامها لأن انتهاءها بلوغها وقتها وقد بينا أن أصل ذلك الحبس والوقوف ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها يعني منتهاها وأما قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو فانه أمر من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يجيب سائليه عن الساعة بأنه لا يعلم وقت قيامها الا الله الذي يعلم الغيب وانه لا يظهرها لوقتها ولا يعلمها غيره جل ذكره كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو يقول علمها عند الله هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يجليها يأتي بها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد لا يجليها قال لا يأتي بها الا هو حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يجليها لوقتها الا هو يقول لا يرسلها لوقتها الا هو

القول في تأويل قوله ﴿ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم الا بغتة﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ثقلت الساعة على أهل السموات والارض أن يعرفوا وقتها ومجيئها لخفائها عنهم واستئثار الله بعلمها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ثقلت في السموات والارض يقول خفيت في السموات والارض فلم يعلم قيامها متى تقوم ملك مقرب ولا نبي مرسل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر عن بعض أهل التأويل

بالواو والنون بناء على معتقدهم أنهم عقلاء واحتجت الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال فانها تدل على أن غير الله لا يخلق ثم بين أن المعبود يجب أن يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا أنفسهم ينصرون ولا يدفعون عن أنفسهم مكروها فان من أراد كسرهم لم يقدروا (٩٥) على دفعه والحاصل أن الاصنام لا تنصر من أطاعها ولا تقتص ممن عصاها بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر أنها كما لا تنفع ولا تضر فكذلك لا علم لها بشيء من الاشياء وأنها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم ويجوز أن يكون المراد وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله بدليل قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في أول سورة البقرة في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين كانوا اذا وقعوا في مهم ومعضلة تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكتين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين أن تستمروا على صمتكم ثم أكد بيان أنها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بأنها عباد وأجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بأن ذلك ورد على معتقدهم أنها عقلاء وفيه أيضا نوع من الاستهزاء أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها آلهة لكم وأربابا ثم بين عدم التفاضل بقوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في أنها آلهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل أنها لا تقدر على الاجابة ظهر أنها لا تصلح للعبودية وأنها والعباد سواء بل هم أخس وأدون بدليل قوله ألهم أرجل يمشون بها الآية وذلك أن كل ما هو من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء والآلات فاذا كان فيها قوى

ثقلت في السموات والارض قال ثقل علمها على أهل السموات وأهل الارض انهم لا يعلمون وقال آخرون معنى ذلك أنها كبرت عند مجيئها على أهل السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق جميعا عن معمر قال قال الحسن في قوله ثقلت في السموات والارض يعني اذا جاءت ثقلت على أهل السماء وأهل الارض يقول كبرت عليهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ثقلت في السموات والارض قال اذا جاءت انشقت السماء وانتثرت النجوم وكورت الشمس وسيرت الجبال وكان ما قال الله فذلك ثقلها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال بعض الناس في ثقلت عظمت وقال آخرون معنى قوله في السموات والارض على السموات والارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثقلت في السموات والارض أي على السموات والارض * قال أبو جعفر وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثقلت الساعة في السموات والارض على أهلها أن يعرفوا وقتها وقيامها لان الله أخفى ذلك عن خلقه فلم يطلع عليه منهم أحدا وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو وأخبر بعده أنها لا تأتي الا بغتة فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضا خبرا عن خفاء علمها عن الخلق اذ كان ما قبله وما بعده كذلك وأما قوله لا تأتيكم الا بغتة فانه يقول لا تجيء الساعة الا فجأة لا تشعرون بمجيئها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا تأتيكم الا بغتة يقول يبغتهم قيامها تأتيهم على غفلة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا تأتيكم الا بغتة قضى الله أنها لا تأتيكم الا بغتة قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقيم سلعته في السوق والرجل يخفض ميزانه ويرفعه ۞ القول في تأويل قوله {يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون} يقول تعالى ذكره يسألك هؤلاء القوم عن الساعة كأنك حفي عنها فقال بعضهم يسئلونك عنها كأنك حفي بهم وقالوا معنى قوله عنها التقديم وان كان مؤخرا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يسئلونك كأنك حفي عنها يقول كأن بينك وبينهم مودة كأنك صديق لهم قال ابن عباس لما سأل الناس محمدا صلى الله عليه وسلم عن الساعة سألوه سؤال قوم كأنهم يرون أن محمدا حفي بهم فأوحى الله اليه انما علمها عنده استأثر بعلمها فلم يطلع عليها ملكا ولا رسولا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال قتادة قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فأسر الينا متى الساعة فقال الله يسألونك كأنك حفي عنها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسألونك كأنك حفي عنها أي حفي بهم قال قالت قريش يا محمد أسر الينا علم الساعة لما بيننا وبينك من القرابة لقرابتنا منك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر وهانئ بن سعيد عن حجاج عن خصيف عن مجاهد وعكرمة يسألونك كأنك حفي عنها قال حفي بهم حين يسألونك حدثني

محركه ومدركه كان هو أفضل ممن خلت أعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة المفضول الخسيس الدنىء وانما قلنا كل مامن شأنه أن يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة (٩٦) كان أشرف ممن يفتقر فى أفعاله الى الآلات فضلا عمن لافعل لا آلته فلا يرد اعتراض بعض أغمار المشبهة أن الله تعالى لولم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بآلهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أمر من الكيد المكر فلا تنظرون نهى عن الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله أن لايبالى بغير الله كائنا من كان ثم لما أمره صلى الله عليه وسلم بالتبرى حثه على التولى فقال ان ولي أى ناصرى عليكم الله الآية وفيه أن الواجب على كل عامل عبادة الذى يتولى تحصيل منافع الدارين أما الدينية الأخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة وأما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين أى من عباده أن ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفى ذلك يأس المشركين أن يضره كيدهم يحكى أن عمر بن عبد العزيز كان لايدخر لأولاده شيأ فقيل له فى ذلك فقال اما أن يكون ولدى من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالى واما أن يكون من المجرمين وقد قال تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم أشتغل باصلاح مهماته أقول وفى التقريب بالآية الثانية نظر لانها حكاية كلام موسى اللهم الا أن يقال التقريب فى التقرير ثم أعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه نفعا الآية قال الواحدى انما أعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة التقريع وهذا مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لايجوز كأنه قيل الاله المعبود يجب أن يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم

الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس يسألونك كأنك حفى عنها قال قريب منهم ويحفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفى بهم قال قريب منهم وتحفى عليهم قال وقال أبو مالك كأنك حفى بهم فتحدثهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يسألونك كأنك حفى عنها كأنك صديق لهم وقال آخرون بل معنى ذلك كأنك قد استحفيت المسئلة عنها فعلمتها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كأنك حفى عنها استحفيت عنها السؤال حتى علمتها حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد عن مجاهد فى قوله كأنك حفى عنها قال استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك يسألونك كأنك حفى عنها قال كأنك عالم بها قال ثنا حامد بن نوح عن أبى روق عن الضحاك يسألونك كأنك حفى عنها قال كأنك تعلمها حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنى عبيد بن سلمان عن الضحاك قوله يسألونك كأنك حفى عنها يقول يسألونك عن الساعة كأن عندك علما منها قل انما علمها عند ربى حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن بعضهم كأنك حفى عنها كأنك عالم بها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأنك حفى عنها قال كأنك بها عالم وقال أخفى علمها على خلقه وقرأ ان الله عنده علم الساعة حتى ختم السورة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك كأنك حفى عنها يقول كأنك يعجبك سؤالهم اياك قل انما علمها عند الله وقوله كأنك حفى عنها يقول لطيف بها فوجه هؤلاء تأويل قوله كأنك حفى عنها الى حفى بها وقالوا تقول العرب تحفيت له فى المسئلة وتحفيت عنه قالوا ولذلك قيل أتينا فلانا نسأل به بمعنى نسأل عنه * قال أبو جعفر وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال معناه كأنك حفى بالمسئلة عنها فتعلمها فان قال قائل وكيف قيل حفى عنها ولم يقل حفى بها ان كان ذلك تأويل الكلام قيل ان ذلك قيل كذلك لان الحفاوة انما تكون فى المسئلة وهى البشاشة للمسؤل عند المسئلة والاكثار من السؤال عنه والسؤال يوصل بعن مرة وبالباء مرة فيقال سألت عنه وسألت به فلما وضع قوله حفى موضع السؤال وصل بأغلب الحرفين اللذين يوصل بهما السؤال وهو عن كما قال الشاعر

سؤال حفى عن أخيه كأنه * بذكرته وسنان أو متواسن

وأما قوله قل انما علمها عند الله فان معناه قل يا محمد لسائليك عن وقت الساعة وحين مجيئها لا علم لى بذلك ولا يعلم به الا الله الذى يعلم غيب السموات والارض ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه الا الله بل يحسبون أن علم ذلك يوجد عند بعض خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لسائليك عن الساعة أيان مرساها لا أملك لنفسى

نفعاولاضرا يقول لا أقدر على اجتلاب نفع الى نفسى ولا دفع ضر يحل بها عنها الا ماشاء الله أن أملكه من ذلك بأن يقوينى عليه و يعيننى ولو كنت أعلم الغيب يقول لو كنت أعلم ما هو كائن مما لم يكن بعد لاستكثرت من الخير يقول لأعددت الكثير من الخير ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الخير الذى عناه الله بقوله لاستكثرت من الخير فقال بعضهم معنى ذلك لاستكثرت من العمل الصالح ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا قال الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قال أعلم الغيب متى أموت لاستكثرت من العمل الصالح حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء قال لاجتنبت ما يكون من الشر واتقيته وقال آخرون معنى ذلك ولو كنت أعلم الغيب لأعددت للسنة المجدبة من المخصبة ولعرفت الغلاء من الرخص واستعددت له فى الرخص وقوله ومامسنى السوء يقول ومامسنى الضر ان أنا الا نذير و بشير يقول ما أنا الا رسول الله أرسلنى اليكم أنذر عقابه من عصاه منكم وخالف أمره وأبشر بثوابه وكرامته من آمن به وأطاعه منكم وقوله لقوم يؤمنون يقول يصدقون بانى لله رسول و يقرون بحقية ما جئتهم به من عنده ﴿القول فى تأويل قوله ﴿هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين﴾ يقول تعالى ذكره هو الذى خلقكم من نفس واحدة يعنى بالنفس الواحدة آدم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذى خلقكم من نفس واحدة من آدم و يعنى بقوله وجعل منها زوجها وجعل من النفس الواحدة وهو آدم زوجها حواء كما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل منها زوجها حواء فجعلت من ضلع من أضلاعه ليسكن اليها و يعنى بقوله ليسكن اليها ليأوى اليها لقضاء الحاجة ولذته و يعنى بقوله فلما تغشاها فلما تدثرها لقضاء حاجته منها فقضى حاجته منها حملت حملا خفيفا وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف وذلك قوله فلما تغشاها حملت وانما الكلام فلما تغشاها فقضى حاجته منها حملت وقوله حملت حملا خفيفا يعنى بخفة الحمل الماء الذى حملته حواء فى رحمها من آدم انه كان حملا خفيفا وكذلك هو حمل المرأة ماء الرجل خفيف عليها وأما قوله فمرت به فانه يعنى استمرت بالماء قامت به وقعدت وأتمت الحمل كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى عمير عن أيوب قال سألت الحسن عن قوله حملت حملا خفيفا فمرت به قال لو كنت امرأ عربيا لعرفت ما هى انما هى فاستمرت به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به استبان حملها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قوله حملت حملا

الى الهدى لا يسمعوا لا اسماع سمع ولا اسماع اجابة وتراهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئى وقيل الضمير فى قوله وان تدعوهم الى آخر الآية يعود الى المشركين المار ذكرهم فى قوله قل ادعوا والمراد أنهم بلغوا فى الجهل والحماقة الى أنك لو دعوتهم وأظهرت أنواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس واليك ينظرون ولكنهم لشدة اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكأنهم عمى يصدقه قوله فى موضع آخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴿التأويل﴾ أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض لأرباب العقول النظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب الولوج والكشف لحصول الايقان والعيان وما خلق الله من شئ يعنى عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذى أبدع من غير شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعنى أجل فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا فبأى حديث بعده أى بعد النظر يؤمنون يسألونك عن الساعة يريد الساعة التى يظهر الله تعالى فيها آثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فيجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحياة الابدية ورفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هى الروح وخلق منها زوجها وهى القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من أصابع الرحمن فكان الروح يشم من القلب نسائم نفحات ألطاف الحق حملت حملا خفيفا فى البداية بظهور أدنى أثر من آثار الصفات البشرية فى القلب الروحانى فلما أثقلت كثرت آثار الصفات خاف الروح والقلب على أنفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا أى الروح والقلب له شركاء أى جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة

وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيعون لهم نصرا أي لا تستطيع الدنيا ومن فيها الروح والقلب والنفس تقوية وتربية الا بالله ولا أنفسهم ينصرون للبقاء والدوام ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان (٩٨) تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾

* القراآت طيف بسكون الياء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب وعلى الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد أبو جعفر ونافع الآخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وأمر مدغما أبو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف

﴿الوقوف﴾ الجاهلين ○ بالله ط عليم ○ مبصرون ○ ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حالي الفريقين لا يقصرون ○ اجتبيتها ط من ربي ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ○ ترحمون ○ من الغافلين ○ يسجدون ○

﴿التفسير﴾ لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم أرشد الى مكارم الاخلاق والعفو الفضل وكل ما أتى من غير كلفة واعلم أن الحقوق التي تستوفى من الناس اما أن يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب أن يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما أن لا يجوز دخول المساهلة فيها وذلك قوله وأمر بالعرف وهو المعروف والعارفة كل أمر عرف أنه لابد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو اقتصر في هذا

خفيفا قال هي النطفة وقوله فمرت به يقول استمرت به وقال آخرون معنى ذلك فشكت فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في قوله فمرت به قال فشكت أحملت أم لا ويعني بقوله فلما أثقلت فلما صار ما في بطنها من الحمل الذي كان خفيفا ثقيلا ودنت ولادتها يقال منه أثقلت فلانة اذا صارت ذات ثقل بحملها كما يقال أتمر فلان اذا صار ذا تمر كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما أثقلت كبر الولد في بطنها قال أبو جعفر دعوا الله ربهما يقول نادى آدم وحواء ربهما وقالا يا ربنا لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي أقسم آدم وحواء عليهما السلام انه ان آتاهما صالحا في حمل حواء لنكونن من الشاكرين فقال بعضهم ذلك هو أن يكون الحمل غلاما ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن في قوله لئن آتيتنا صالحا قال غلاما وقال آخرون بل هو أن يكون المولود بشرا سويا مثلهما ولا يكون بهيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن زيد بن جبير الجشمي عن أبي البختري في قوله لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين قال أشفقا أن يكون شيأ دون الانسان قال ثنا يحيى ابن يمان عن سفيان عن زيد بن جبير عن أبي البختري قال أشفقا أن لا يكون انسانا قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل عن أبي صالح قال لما حملت امرأة آدم فأثقلت كانا يشفقان أن يكون بهيمة فدعوا ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية قال ثنا جابر بن نوح عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال أشفقا أن يكون بهيمة حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال سعيد بن جبير لما هبط آدم وحواء ألقيت الشهوة في نفسه فأصابها فليس الا أن أصابها حملت فليس الا ان حملت تحرك في بطنها ولدها قالت ما هذا فجاءها ابليس فقال أترين في الارض الا ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة هو بعض ذلك قالت والله ما مني شيء الا وهو يضيق عن ذلك قال فأطيعيني وسميه عبد الحرث تلدي شبهكما مثلكما قال فذكرت ذلك لآدم عليه السلام فقال هو صاحبنا الذي قد أخرجنا من الجنة فمات ثم حملت بآخر فجاءها فقال أطيعيني وسميه عبد الحرث وكان اسمه في الملائكة الحرث والا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة أو قتلته فاني أنا قتلت الاول قال فذكرت ذلك لآدم فكأنه لم يكرهه فسمته عبد الحرث فذلك قوله لئن آتيتنا صالحا يقول شبها مثلنا فلما آتاهما صالحا قال شبههما مثلهما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي فلما أثقلت كبر الولد في بطنها جاءها ابليس فخوفها وقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك فيقتلك أو من قبلك أو ينشق بطنك فيقتلك فذلك حين دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا يقول مثلنا لنكونن من الشاكرين * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعوا الله ربهما بحمل حواء وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء صالحا ليكونان لله من الشاكرين والصلاح قد يشمل معاني كثيرة منها الصلاح في استواء الخلق ومنها

الصلاح

الصلاح في الدين والصلاح في العقل والتدبير واذ كان ذلك كذلك ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني الصلاح دون بعض ولا فيه من العقل دليل وجب أن يعم كما عمه الله فيقال انهما قالا لئن آتيتنا صالحا بجميع معاني الصلاح وأما معنى قوله لنكونن من الشاكرين فانه لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت له من الولد صالحا ۞ القول في تأويل قوله ﴿فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ يقول تعالى ذكره فلما رزقهما الله ولدا صالحا كما سألا جعلا له شركاء فيما آتاهما ورزقهما ثم اختلف أهل التأويل في الشركاء التي جعلاها فيما أوتيا من المولود فقال بعضهم جعلا له شركاء في الاسم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عمر بن ابراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كانت حواء لا يعيش لها ولد فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه عبد الحرث فعاش لها ولد فسمته عبد الحرث وانما كان ذلك من وحي الشيطان حدثني محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر عن أبيه قال ثنا أبو العلاء عن سمرة بن جندب أنه حدث أن آدم عليه السلام سمى ابنه عبد الحرث قال ثنا المعتمر عن أبيه قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي العلاء بن الشخير عن سمرة بن جندب قال سمى آدم ابنه عبد الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت حواء تلد لآدم فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصيبهم الموت فأتاها ابليس وآدم فقال انكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش فولدت له رجلا فسماه عبد الحرث ففيه أنزل الله تبارك وتعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما الى آخر الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله في آدم هو الذي خلقكم من نفس واحدة الى قوله فمرت به فشكت أحبلت أم لا فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا الآية فأتاهما الشيطان فقال هل تدريان ما يولد لكما أم هل تدريان ما يكون أبهيمة تكون أم لا وزين لهما الباطل انه غوي مبين وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا فقال لهما الشيطان انكما ان لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الاول فسميا ولدهما عبد الحرث فذلك قوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه ابليس فقال اني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحرث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك قال ابن عباس وكان اسمه في السماء الحرث قال آدم أعوذ بالله من طاعتك اني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني والا مات كما مات الاول فعصاه فمات فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحرث فلم يزل به حتى سماه عبد الحرث فذلك قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما أشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن هرون قال أخبرنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال ان سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور

القسم على الاخذ بالعفو ولم يبذل في ذلك وسعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا أمر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما أقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال وأعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرائيل ما هذا فقال لا أدري حتى أسأل ثم رجع فقال يا محمد ان (٩٩) ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال أهل العلم تفسير جبرائيل مطابق للفظ الآية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا أعطيت من حرمك فقد أمرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد أعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق رضي الله عنه ليس في القرآن العزيز آية أجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين في تفسير الآية طريق آخر قالوا اخذ العفو أي ما أتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ماوراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وأمر بالعرف أي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ وأعرض عن الجاهلين أي المشركين وهذه منسوخة بآية القتال والحق أن تخصيص أخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان آخذ الزكاة مأمور بأن لا يأخذ كرائم أموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وأيضا لا يمتنع أن يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال أبو زيد لما نزل قوله وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ أي غرز ونخس جعل النزغ نازغا كما قيل جد جده عن أبي زيد نزغت ما بين القوم أي أفسدت ما بينهم وأصله الازعاج بالحركة الى الشر وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب ونزغ الشيطان وسوسته في القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الانسان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على أوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي حتى عرف الغضب في وجه

أحدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم انى لأعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين فى عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب أن كلمة ان لا تفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن أين علم أنه صلى الله عليه وسلم قبل تلك الوسوسة منه ولو سلم فمحمول (١٠٠) على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف أن القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكأنه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فانى سميع وأحضر معنى الاستعاذة فى ضميرك فانى عليم ثم بين أن حال المتقين قد تزيد على حال النبي فى باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذى هو كابتداء الوسوسة وأما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم أن يكون مصدرا كالعاقبة ولكنه بلا تاء والاصح أنه اسم فاعل من طاف يطوف أومن طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيف فهو اما مصدر أى لمة من الشيطان واما مخفف طيف فعل من طاف يطيف كلين أومن طاف يطوف كهين قال فى الكشاف وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم نزغ من الشيطان والمام بوسوسته ومفعول تذكروا محذوف أى تذكروا ما أمر الله به ونهى عنه فأبصروا السداد واعلم أن الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد فى نفسه كونه قادرا وفى المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات عالم الاجسام فيغتر بظواهر الامور أما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف أن المغضوب عليه انما أقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه تلك الحالة فى الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فحينئذ يفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب وأيضا انه كم أساء فى العمل وقد تجاوز الله عنه وان الله أقدر عليه وانه اذا أمضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا اختار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء مستأهلا

عن معمر عن قتادة فلما تغشاها حملت حملا خفيفا قال كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد الا مات فجاءه الشيطان فقال ان سرك أن يعيش ولدك هذا فسميه عبد الحرث ففعل قال فأشركا فى الاسم ولم يشركا فى العبادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما ذكر لنا أنه كان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان فقال لهما سمياه عبد الحرث وكان من وحى الشيطان وأمره وكان شركا فى طاعته ولم يكن شركا فى عبادته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون قال كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث ففعلا وأطاعاه فذلك قول الله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن سالم بن أبى حفصة عن سعيد بن جبير قوله أثقلت دعوا الله ربهما الى قوله فتعالى الله عما يشركون قال لما حملت حواء فى أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها ابليس قبل أن تلد فقال يا حواء ما هذا الذى فى بطنك فقالت ما أدرى فقال من أين يخرج من أنفك أو من عينك أو من أذنك قالت لا أدرى قال أرأيت ان خرج سليما أتطيعينى أنت فيما آمرك به قالت نعم قال سميه عبد الحرث وقد كان يسمى ابليس الحرث فقالت نعم ثم قالت بعد ذلك لآدم أتانى آت فى النوم فقال لى كذا وكذا فقال ان ذلك الشيطان فاحذريه فانه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ثم أتاها ابليس فأعاد عليها فقالت نعم فلما وضعته أخرجه الله سليما فسمته عبد الحرث فهو قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن فضيل عن عبد الملك عن سعيد بن جبير قال قيل له أشرك آدم قال أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك ولكن حواء لما أثقلت أتاها ابليس فقال لها من أين يخرج هذا من أنفك أو من عينك أو من فيك فقنطها ثم قال أرأيت ان خرج سويا زاد ابن فضيل لم يضرك ولم يقتلك أتطيعينى قالت نعم قال فسميه عبد الحرث ففعلت زاد جرير فانما كان شركه فى الاسم حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال فولدت غلاما يعنى حواء فأتاهما ابليس فقال سموه عبدى والا قتلته قال له آدم عليه السلام قد أطعتك وأخرجتنى من الجنة فأبى أن يطيعه فسماه عبد الرحمن فسلط الله عليه ابليس فقتله فحملت بآخر فلما ولدته قال لها سميه عبدى والا قتلته قال له آدم قد أطعتك فأخرجتنى من الجنة فأبى فسماه صالحا فقتله فلما أن كان الثالث قال لهما فاذ غلبتم فسموه عبد الحرث وكان اسم ابليس وانما سمى ابليس حين أبلس ففعلوا فذلك حين يقول الله جعلا له شركاء فيما آتاهما يعنى فى التسمية * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بنى آدم جعلا لله شركاء من الآلهة والاوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد وقالوا معنى الكلام هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها أى هذا الرجل الكافر حملت حملا خفيفا فلما أثقلت دعوتما الله ربكما قالوا وهذا مما ابتدئ به الكلام على وجه الخطاب ثم رد الى الخبر عن الغائب كما قيل هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وقد بينا نظائر ذلك بشواهده فيما مضى قبل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن جعلا له شركاء فيما آتاهما قال كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم حدثنا

محمد

للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ماذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات أما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس
كقوله أولياؤهم الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على
الاغواء والاضلال أو الى الشياطين
فيكون الخبر جاريا على غير من هو له
والمعنى واخوان الشياطين ليسوا
بمتقين فان الشياطين يمدونهم أي
يكونون مددا لهم في الغي ويجوز أن
يراد بالاخوان الشياطين والضمير
المجرور يعود الى الجاهلين فيكون
الخبر جاريا على ما هو له قال في
الكشاف والاول أوجه لان
اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال
الواحدي عامة ما جاء في التنزيل
مما يحمد ويستحب أمددت على
أفعلت كقوله انما نمدهم به من مال
وأمددناهم بفاكهة أتمدونن بمال
وما كان بخلافه فانه يجيء على
مددت قال ويمدهم في طغيانهم
يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة
ووجه الضم الاستهزاء والتهكم نحو
فبشرهم بعذاب أليم أما قوله ثم
لا يقصرون فالاقصار الكف عن
الشيء قال ابن عباس أي لا يمسك
الغاوي عن الضلال والمغوي عن
الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم
الاقصار عن المدد فانه يجب على
العاقل اذا أقبل على غي أن يمسك
عنه سريعا الا أن يتمادى فيه
وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى
الحق أولى من التمادي في الباطل
ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم
فقال واذا لم تأتهم بآية وذلك أنهم
كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات
مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم
لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من
الارض ينبوعا ثم انه صلى الله عليه
وسلم ما كان يأتيهم بها فعند ذلك قالوا
لولا اجتبيتها يقال اجتبى الشيء بمعنى
جباه لنفسه أي جمعه وجبي اليه فاجتباه أي أخذه والمعنى هلا افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
وكانوا ينسبونه الى السحر والمراد هلا أخذتها واقترحتها على الهك ومعبودك ان كنت صادقا في أن الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك
وعند هذا أمر رسوله أن يذكر في الجواب انما أتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها ثم بين أن عدم الاتيان بتلك

محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الحسن عنى بهذا ذريه آدم من أشرك منهم
بعده يعني بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهوّدوا
ونصروا قال أبو جعفر وأولى القولين بالصواب قول من قال عنى بقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء في الاسم لا في العبادة وان المعنيّ بذلك آدم وحواء لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك
فان قال قائل فما أنت قائل اذ كان الامر على ما وصفت في تأويل هذه الآية وأن المعنيّ بها آدم
وحواء في قوله فتعالى الله عما يشركون أهو استنكاف من الله أن يكون له في الاسماء شريك أو في
العبادة فان قلت في الاسماء دل على فساده قوله أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون وان قلت
في العبادة قيل لك أفكان آدم أشرك في عبادة الله غيره قيل له ان القول في تأويل قوله فتعالى الله
عما يشركون ليس بالذي ظننت وانما القول فيه فتعالى الله عما يشرك به مشركو العرب من عبدة
الاوثان فأما الخبر عن آدم وحواء فقد انقضى عند قوله جعلا له شركاء فيما آتاهما ثم استؤنف
قوله فتعالى الله عما يشركون كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدي قوله فتعالى الله عما يشركون يقول هذه فصل من آية آدم خاصة في آلهة العرب
واختلفت القراء في قراءة قوله شركاء فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين
والكوفيين جعلا له شركا بكسر الشين بمعنى الشركة وقرأه بعض المكيين وعامة قراء
الكوفيين وبعض البصريين جعلا له شركاء بضم الشين بمعنى جمع شريك وهذه القراءة أولى
القراءتين بالصواب لان القراءة لو صحت بكسر الشين لوجب أن يكون الكلام فلما آتاهما
صالحا جعلا لغيره فيه شركا لان آدم وحواء لم يدينا بأن ولدهما من عطية ابليس ثم يجعلا لله فيه
شركا لتسميتهما اياه بعبد الله وانما كانا يدينان لا شك بأن ولدهما من رزق الله وعطيته ثم سمياه
عبد الحرث فجعلا لابليس فيه شركا بالاسم فلو كانت قراءة من قرأ شركا صحيحة وجب ما قلنا أن
يكون الكلام جعلا لغيره فيه شركا وفي نزول وحي الله بقوله جعلا له ما يوضح عن أن الصحيح من
القراءة شركاء بضم الشين على ما بينت قبل فان قال قائل فان آدم وحواء انما سميا ابنهما عبد الحرث
والحرث واحد وقوله شركاء جماعة فكيف وصفهما جل ثناؤه بأنهما جعلا له شركاء وانما أشركا
واحدا قيل قد دللنا فيما مضى على أن العرب تخرج الخبر عن الواحد مخرج الخبر عن الجماعة اذا لم
تقصد واحدا بعينه ولم تسمه كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم وانما كان القائل
ذلك واحدا فأخرج الخبر مخرج الخبر عن الجماعة اذ لم يقصد قصده وذلك مستفيض في كلام
العرب وأشعارها وأما قوله فتعالى الله عما يشركون فتنزيه من الله تبارك وتعالى نفسه وتعظيم
لها عما يقول فيه المبطلون ويدعون معه من الآلهة والأوثان كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج فتعالى الله عما يشركون قال هو الانكاف أنكف نفسه جل وعز
يقول عظم نفسه وأنكفته الملائكة وما سبح له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق
قال أخبرنا ابن عيينة قال سمعت صدقة يحدث عن السدي قال هذا من الموصول والمفصول قوله
جعلا له شركاء فيما آتاهما في شأن آدم وحواء ثم قال الله تبارك وتعالى فتعالى الله عما يشركون قال

المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على وفق دعواه معجزة بالغة قاهرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلاق لاسم المسبب على السبب وذلك أن فيه حججا بينة تفيد القلوب بصيرة وكشفا هدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر (١٠٢) لاصحاب عين اليقين والهدى لا رباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شأن القرآن بتلك الاوصاف علم المكلفين أدبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه أن يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وهو قول الحسن وأهل الظاهر وعن أبي هريرة كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم كم صليتم وكم بقي وكانوا يتكلمون في الصلاة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة المكتوبة وقرأ أصحابه رافعين أصواتهم فخلطوا عليه صلى الله عليه وسلم فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة وزيف بأن اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة أو على الخطبة نفسها بناء على أنها قد تسمى قرآنا لاشتمالها عليه وأجيب بأن كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فأنت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول الدار مرة أخرى وبدليل أن الشافعي أوجب على المأموم أن يقرأ الفاتحة ورد بان المأموم انما يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال أبو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة في أيهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى أن يقرأ وأخرى بين القراءة الى أن يركع واعترض بان سكوت الامام واجب أم لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز أن لا يسكت وحينئذ يلزم أن تحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك الاستماع وأيضا فهذا

عما يشرك المشركون ولم يعنهما ﴿القول في تأويل قوله﴾ (أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون) يقول تعالى ذكره أيشركون في عبادة الله فيعبدون معه ما لا يخلق شيأ والله يخلقها وينشئها وانما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق وكان ابن زيد يقول في ذلك بما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال ولد لآدم وحواء ولد فسمياه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ما سميتما يا آدم ويا حواء ابنكما قال وكان ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقالا سميناه عبد الله فقال ابليس أتظنان أن الله تارك عبده عندكما لا والله ليذهبن به كما ذهب بالآخر ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس قال فذلك قول الله تبارك وتعالى أيشركون ما لا يخلق شيأ وهم يخلقون الشمس تخلق شيأ حتى يكون لها عبد انما هي مخلوقة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خدعهما مرتين خدعهما في الجنة وخدعهما في الارض وقيل وهم يخلقون فأخرج مكنيهم مخرج مكني بني آدم وقد قال أيشركون ما فأخرج ذكرهم بما لا يعني مخرج الخبر عن غير بني آدم لان الذي كانوا يعبدونه انما كان حجرا أو خشبا أو نحاسا أو بعض الاشياء التي يخبر عنها بما لا يعني فقيل لذلك ما ثم قيل وهم فأخرجت كنايتهم مخرج كناية بني آدم لان الخبر عنها بتعظيم المشركين اياها نظير الخبر عن تعظيم الناس بعضهم بعضا ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يقول تعالى ذكره أيشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله ما لا يخلق شيأ من خلق الله ولا يستطيع أن ينصرهم ان أراد الله بهم سوأ أو أحل بهم عقوبة ولا هو قادر ان أراد به سوأ نصر نفسه ولا دفع ضر عنها وانما العابد يعبد ما يعبده لاجتلاب نفع منه أو لدفع ضر منه عن نفسه وآلهتهم التي يعبدونها ويشركونها في عبادة الله لا تنفعهم ولا تضرهم بل لا تجتلب الى نفسها نفعا ولا تدفع عنها ضرا فهي من نفع غير أنفسها أو دفع الضر عنها أبعد يعجب تبارك وتعالى خلقه من عظيم خطا هؤلاء الذين يشركون في عبادتهم الله غيره ﴿القول في تأويل قوله﴾ (وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) يقول تعالى ذكره في وصفه وعيبه ما يشرك هؤلاء المشركون في عبادتهم ربهم اياه ومن صفته انكم أيها الناس ان تدعوهم الى الطريق المستقيم والامر الصحيح السديد لا يتبعوكم لانها ليست تعقل شيأ فتترك من الطرق ما كان عن القصد منعدلا جائرا وتركب ما كان مستقيما سديدا وانما أراد الله جل ثناؤه بوصف آلهتهم بذلك من صفتها تنبيههم على عظيم خطئهم وقبح اختيارهم يقول جل ثناؤه فكيف يهديكم الى الرشاد من ان دعي الى الرشاد وعرفه لم يعرفه ولم يفهم رشادا من ضلال وكان سواء دعاء داعيه الى الرشاد وسكوته لانه لا يفهم دعاءه ولا يسمع صوته ولا يعقل ما يقال له يقول فكيف يعبد من كانت هذه صفته أم كيف يشكل عظيم جهل من اتخذ ما هذه صفته الها وانما الرب المعبود هو النافع من يعبده الضار من يعصيه الناصر وليه الخاذل عدوه الهادي الى الرشاد من أطاعه السامع دعاء من دعاه وقيل سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فعطف بقوله صامتون وهو اسم على قوله أدعوتموهم وهو فعل ماض ولم يقل أم صمتم كما قال الشاعر

سواء عليك الفقر أم بت ليلة * بأهل القباب من نمير بن عامر

وقد ينشد أم أنت بائت ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم

فادعوهم

فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين} يقول جل ثناؤه لهؤلاء المشركين من عبدة الاوثان موبخهم على عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم من الاصنام ان الذين تدعون أيها المشركون آلهة من دون الله وتعبدونها شركا منكم وكفرا بالله عباد أمثالكم يقول هم أملاك لربكم كما أنتم له مماليك فان كنتم صادقين أنها تضر وتنفع وأنها تستوجب منكم العبادة لنفعها اياكم فليستجيبوا لدعائكم اذا دعوتموهم فان لم يستجيبوا لكم لانها لا تسمع دعاءكم فأيقنوا بأنها لا تنفع ولا تضر لان الضر والنفع انما يكونان ممن اذا سئل سمع مسألة سائله وأعطى وأفضل ومن اذا شكى اليه من شئ سمع فضر من استحق العقوبة ونفع من لا يستوجب الضر * القول في تأويل قوله {ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون} يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين عبدوا الاصنام من دونه معرفهم جهل ما هم عليه مقيمون ألاصنامكم هذه أيها القوم أرجل يمشون بها فيسعون معكم ولكم في حوائجكم ويتصرفون بها في منافعكم أم لهم أيد يبطشون بها فيدفعون عنكم وينصرونكم بها عند قصد من يقصدكم بشر ومكروه أم لهم أعين يبصرون بها فيعرفوكم ما عاينوا وأبصروا مما تغيبون عنه فلا ترونه أم لهم آذان يسمعون بها فيخبروكم بما سمعوا دونكم مما لم تسمعوه يقول جل ثناؤه فان كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شئ من هذه الآلات التي ذكرتها والمعظم من الاشياء انما يعظم لما يرجى منه من المنافع التي توصل اليه بعض هذه المعاني عندكم فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها وهي خالية من كل هذه الاشياء التي بها يوصل الى اجتلاب النفع ودفع الضر وقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون أنتم وهن فلا تنظرون يقول فلا تؤخرون بالكيد والمكر ولكن عجلوا بذلك يعلمه جل ثناؤه بذلك أنهم لن يضروه وانه قد عصمه منهم ويعرف الكفرة به عجز أوثانهم عن نصرة من بغى أولياءهم بسوء * القول في تأويل قوله {ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين} يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمشركين من عبدة الاوثان ان وليي نصيري ومعيني وظهيري عليكم الله الذي نزل الكتاب على بالحق وهو الذي يتولى من صلح عمله بطاعته من خلقه * القول في تأويل قوله {والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون} وهذا أيضا أمر من الله جل ثناؤه لنبيه أن يقوله للمشركين يقول تعالى قل لهم ان الله نصيري وظهيري والذين تدعون أنتم أيها المشركون من دون الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم ولا هم مع عجزهم عن نصرتكم يقدرون على نصرة أنفسهم فأي هذين أولى بالعبادة وأحق بالالوهة أمن ينصر وليه ويمنع نفسه ممن أراده أم من لا يستطيع نصر وليه ويعجز عن منع نفسه ممن أراده وبغاه بمكروه * القول في تأويل قوله {وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون} يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للمشركين وان تدعوا أيها المشركون آلهتكم الى الهدى وهو الاستقامة الى السداد لا يسمعوا يقول لا يسمعوا دعاءكم وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهذا خطاب من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول وترى يا محمد آلهتهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ولذلك وحد ولو كان أمر النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب المشركين لقال وترونهم ينظرون اليكم وقد روى عن السدى في ذلك ما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تدعوهم

السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وأيضا الامام في هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في نفسه اذا لم يسمع أحدا وأورد عليه أن غاية توجيهه هو أن الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان حصول الاستماع مع قراءته ممنوع فان الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولعل الانصاف أن الاستماع على تقدير الانصات المفسر ممكن أن يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا أنهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلاة الا بفاتحة الكتاب وذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي أنه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة في الصلاة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلاة السرية لان الآية لا دلالة لها على هذه الحالة وفي الآية تفسير آخر وهو أن الخطاب في الآية مع الكفار وذلك أن كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو أن النبي اذا قرأ عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وأنصتوا ليقفوا على مبانيه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات ومما يؤكد هذا التفسير قوله في آخر الآية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن أن يجاب بأن الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الا الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه ثم أمر نبيه وأمته بتبعيته صلى الله عليه وسلم بالذكر العام قرآنا كان أو غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك * وفي الآية قيود الاول تخصيصه اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على أن سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء * والثاني ذكر الرب في النفس ليكون أدخل في الاخلاص وأبعد عن الرياء وقيل ذكره في النفس هو أن يكون عارفا

معانى الاسماء التى يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفسانى هو الكلام النفسى الذى يثبته الاشاعرة * الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة أى متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف اما خوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا وأما خوف الخاتمة بل خوف السابقة فانها علة الخاتمة * الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد أن يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو أن يذكر ربه على وجه يسمع نفسه وانما أخر هذا عن الذكر القلبى لان الخيال يتأثر من الذكر القلبى فيوجب قوة فى النفس ولا يزال يتزايد فى ذلك الى أن يجرى الذكر على لسانه بل يسرى فى جميع أعضائه وجوارحه وأركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريئا من التعسف * السادس قوله بالغدو والآصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقال دنا الصباح أى وقته وقيل انه جمع غدوة وأما الآصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ فى الشرع من أول الليل فسمى آخر النهار أصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل لليوم الثانى وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندما ينقلب الحيوان من النوم الذى هو كالموت الى اليقظة التى هى كالحياة والعالم يتحول من الظلمة التى هى طبيعة عدمية الى النور الذى هو طبيعة وجودية وفى الآصال الامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب دليلان قاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب أن يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن أن يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان * السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى أن الذكر القلبى يجب أن يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبرياءه بحسب الطاقة البشرية لينور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهى سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى عند دنو الشرف والقرب من

الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال هؤلاء المشركون وقد يحتمل قول السدى هذا أن يكون أراد بقوله هؤلاء المشركون قول الله وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وقد كان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون ما تدعوهم الى الهدى وكأن مجاهدا وجه معنى الكلام الى أن معناه وترى المشركين ينظرون اليك وهم لا يبصرون فهو وجه ولكن الكلام فى سياق الخبر عن الآلهة فهو بوصفها أشبه قال أبو جعفر فان قال قائل فما معنى قوله وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وهل يجوز أن يكون شئ ينظر الى شئ ولا يراه قيل ان العرب تقول للشئ اذا قابل شيئا أو حاذاه هو ينظر الى كذا و يقال منزل فلان ينظر الى منزلى اذا قابله وحكى عنها اذا أتيت موضع كذا وكذا فنظر اليك الجبل فخذ يمينا أو شمالا وحدثت عن أبى عبيد قال قال الكسائى الحائط ينظر اليك اذا كان قريبا منك حيث تراه ومنه قول الشاعر

اذا نظرت بلاد بنى تميم * بعين أو بلاد بنى صباح

يريد تقابل نبتها وعشبها وتحاذى فمعنى الكلام وترى يا محمد آلهة هؤلاء المشركين من عبدة الاوثان يقابلونك ويحاذونك وهم لا يبصرونك لانه لا أبصار لهم وقيل وتراهم ولم يقل وتراها لانها صور مصورة على صور بنى آدم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله خذ العفو من أخلاق الناس وهو الفضل وما لا يجهدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد فى قوله خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس حدثنا يعقوب وابن وكيع قالا ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد فى قوله خذ العفو قال عفو أخلاق الناس وعفو أمورهم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى ابن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه فى قوله خذ العفو الآية قال عروة أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال ما أنزل الله هذه الآية الا فى أخلاق الناس خذ العفو وأمر بالعرف الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن وهب بن كيسان عن أبى الزبير خذ العفو قال من أخلاق الناس والله لآخذنه منهم ما صحبتهم قال ثنا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبى الزبير قال انما أنزل الله خذ العفو من أخلاق الناس حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد خذ العفو قال من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس أو تحسس شك أبو عاصم وقال آخرون بل معنى ذلك خذ العفو من أموال الناس وهو الفضل قالوا وأمر بذلك قبل نزول الزكاة فلما نزلت الزكاة نسخ ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله خذ العفو يعنى خذ ما عفا لك من أموالهم وما أتوك به من شئ فخذه فكان هذا قبل أن تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات

عنايته وألطافه لا يستكبرون عن عبادته فيداومون على ذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى أعمال الجوارح وفى هذا الترتيب دليل على أن الاصل فى الطاعة والعبودية أعمال القلوب ويتفرع عليه أعمال الجوارح والمقصود من الآية أن الملائكة (١٠٥) مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن

اليه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى خذ العفو أما العفو فالفضل من المال نسختها الزكاة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله خذ العفو يقول خذ ما عفا من أموالهم وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة وقال آخرون بل ذلك أمر من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذ العفو قال أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة قال ثم أمره بالغلظة عليهم وأن يقعد لهم كل مرصد وأن يحصرهم ثم قال فان تابوا وأقاموا الصلاة الآية كلها وقرأ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم فقال يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة بعد ما كان أمرهم بالعفو وقرأ قول الله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ثم لم يقبل منهم بعد ذلك الا الاسلام أو القتل فنسخت هذه الآية العفو * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وقال أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين فى الكلام وذلك قوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون وعقبه بقوله واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم فى عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين فان قال قائل أفمنسوخ ذلك قيل لا دلالة عندنا على أنه منسوخ اذ كان جائزا أن يكون وان كان الله أنزله على نبيه عليه السلام فى تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين مرادا به تأديب نبى الله والمسلمين جميعا فى عشرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم فيكون وان كان من أجلهم نزل تعليما من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضا لم يجب استعمال الغلظة والشدة فى بعضهم فاذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب فيكون قوله خذ العفو أمرا بأخذه ما لم يجب غير العفو فاذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب اذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما قد بينا ذلك فى نظائره فى غير موضع من كتبنا وأما قوله وأمر بالعرف فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم بما حدثنى الحسن بن الزبرقان النخعى قال ثنى حسين الجعفى عن سفيان بن عيينة عن رجل قد سماه قال لما نزلت هذه الآية خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما هذا قال ما أدرى حتى أسأل العالم قال ثم قال جبريل يا محمد ان الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن أبى قال لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا يا جبريل قال ان الله يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك وقال آخرون بما حدثنى محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن هشام بن عروة عن أبيه وأمر بالعرف يقول بالمعروف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا

بواعث الشهوة والغضب ودواعى الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية أولى بأن يداوم على ذكر معبوده وينجذب ما أمكن الى العالم العقلى ومقره الاصلى ويصفى مرآة قلبه عن أصداء الهواجس وينتقش بالخلايا القدسية والمعارف الحقية والله ولى التوفيق (التأويل) وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين وأعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ فى طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم أرباب القلوب فان التقوى من شأن القلب كما قال صلى الله عليه وسلم التقوى ههنا وأشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطانى يراه القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكر أنه يفسده ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعنى اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم أى لم تأت القلوب بآية من الله لتعجز النفوس عن تكذيبها قالوا أى النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما أتبع الهام الحق فلا أقدر على تزكية النفوس الا بقوة الالهام الربانى فاستمعوا بآذانكم الظاهرة وأنصتوا بألسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاستماع بالسمع الحقيقى وذلك

قوله كنت له سمعا وبصرا فبى يسمع وبى يبصر فمن سمع القرآن من بارئه فقد سمع من قارئه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك فى نفسك بأن تبدل أخلاقها بأخلاق الله تضرعا فى البداية وهو من باب التكلف وخيفة فى الوسط ودون الجهر من القول فى النهاية وهو مقام الفناء فان افشاء سر الربوبية كفر فى غدو الازل وآصال الابد فان الذاكر

والذ كروالمذ كورهوالله ولهذا قال فى الازل فاذ كرونى أذ كركم ومن هنا قال يوسف بن الحسين الرازى ما قال أحد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون أن الذا كروالذ كروالمذ كورهوالله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم أفنوا أخلاقهم فى أخلاقه يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون فى الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبدأ واليه المنتهى

* (سورة الانفال مدنية الا سبع آيات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون حروفها ٥٢٩٤ كلمها ١٢٣١ آياتها خمس وسبعون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) القراآت مردفين بفتح الدال أبو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وأبو عون عن قنبل الباقون بالكسر

۞ الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين ٥ يتوكلون ٥ ج لاحتمال جعل الذين مبتدأ والوصل أولى فيكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقيقة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ٥ ج لما يجىء فى التفسير بالحق ص لطول الكلام لكارهون ٥ لا ينظرون ٥ الكافرين ٥

ماطاف

أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأمر بالعرف قال أما العرف فالمعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأمر بالعرف أى بالمعروف * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف فى كلام العرب مصدر فى معنى المعروف يقال أوليته عرفا وعارفا وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف فاذ كان معنى العرف ذلك فمن المعروف صلة رحم من قطع واعطاء من حرم والعفو عمن ظلم وكل ما أمر الله به من الاعمال أو ندب اليه فهو من العرف ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله لا ببعض معانيه دون بعض وأما قوله وأعرض عن الجاهلين فانه أمر من الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عمن جهل وذلك وان كان أمرا من الله لنبيه فانه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالاعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله ولا بالصفح عمن كفر بالله وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال أخلاق أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم ودله عليها ۞ القول فى تأويل قوله (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم) يعنى جل ثناؤه بقوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما يغضبنك من الشيطان غضب يصدك عن الاعراض عن الجاهلين ويحملك على مجازاتهم فاستعذ بالله يقول فاستجر بالله من نزغه انه سميع عليم يقول ان الله الذى تستعيذ به من نزغ الشيطان سميع لجهل الجاهل عليك ولاستعاذتك به من نزغه ولغير ذلك من كلام خلقه لا يخفى عليه منه شئ عليم بما يذهب عنك نزغ الشيطان وغير ذلك من أمور خلقه كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب قال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم قال علم الله أن هذا العدو منيع ومريد وأصل النزغ الفساد يقال نزغ الشيطان بين القوم اذا أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض ويقال منه نزغ ينزغ ونغز ينغز ۞ القول فى تأويل قوله (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله من خلقه فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا ألم بهم طيف من الشيطان من غضب أو غيره مما يصد عن واجب حق الله عليهم تذكروا عقاب الله وثوابه ووعده ووعيده وأبصروا الحق فعملوا به وانتهوا الى طاعة الله فيما فرض عليهم وتركوا فيه طاعة الشيطان واختلفت القراء فى قراءة قوله طيف فقرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة طائف على مثال فاعل وقرأه بعض المكيين والبصريين والكوفيين طيف من الشيطان واختلف أهل العلم بكلام العرب فى فرق ما بين الطائف والطيف قال بعض البصريين الطائف والطيف سواء وهو ما كان كالخيال والشئ يلم بك قال ويجوز أن يكون الطيف مخففا عن طيف مثل ميت وميت وقال بعض الكوفيين الطائف

المجرمون ٥ ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر أو بقوله ويحق مردفين ٥ فلو بكم ج لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ٥ ❁ التفسير روى عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت القسمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا ردأ لكم فأنزل الله تعالى يسألونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم أحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة بالعسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أنتم بأحق به منا نحن أحدقنا برسول الله لا ينال العدو منه صلى الله عليه وسلم غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن أخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسواء وعن سعد بن أبي وقاص لما كان يوم بدر قتل أخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فأخذت سيفه فأعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض أي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال عليه فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم لهم وصلاة التطوع نافلة لانها زائدة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة أي زيادة على ما سأل والضمير في يسألونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة

ما طاف بك من وسوسة الشيطان وأما الطيف فانما هو من اللمم والمس وقال آخر منهم الطيف اللمم والطائف كل شيء طاف بالانسان وذكر عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول الطيف الوسوسة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه طائف من الشيطان لان أهل التأويل تأولوا ذلك بمعنى الغضب والزلة تكون من المطيف به واذا كان ذلك معناه كان معلوما اذ كان الطيف انما هو مصدر من قول القائل طاف يطيف أن ذلك خبر من الله عما يمس الذين اتقوا من الشيطان وانما يمسهم ما طاف بهم من أسبابه وذلك كالغضب والوسوسة وانما يطوف الشيطان بابن آدم ليستزله عن طاعة ربه أو ليوسوس له والوسوسة والاستزلال هو الطائف من الشيطان وأما الطيف فانما هو الخيال وهو مصدر من طاف يطيف ويقول لم أسمع في ذلك طاف يطيف ويتأوله بأنه بمعنى الميت وهو من الواو وحكى البصريون وبعض الكوفيين سماعا من العرب طاف يطيف وطفت أطيف وأنشدوا في ذلك

أنى ألم بك الخيال يطيف * ومطافه لك ذكرة وشعوف

وأما أهل التأويل فانهم اختلفوا في تأويله فقال بعضهم ذلك الطائف هو الغضب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد اذا مسهم طائف قال الطيف الغضب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان قال هو الغضب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا قال هو الغضب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله طائف من الشيطان قال الغضب وقال آخرون هو اللمة والزلة من الشيطان ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا الطائف اللمة من الشيطان فاذا هم مبصرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان يقول نزغ من الشيطان تذكروا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا يقول اذا زلوا تابوا * قال أبو جعفر وهذان التأويلان متقاربا المعنى لأن الغضب من استزلال الشيطان واللمة من الخطيئة أيضا منه وكان ذلك من طائف الشيطان واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لخصوص معنى منه دون معنى بل الصواب أن يعم كما عمه جل ثناؤه فيقال ان الذين اتقوا اذا عرض لهم عارض من أسباب الشيطان ما كان ذلك العارض تذكروا أمر الله وانتهوا الى أمره ❁ وأما قوله فاذا هم مبصرون فانه يعني فاذا هم مبصرون هدى الله وبيانه وطاعته فيه فمنتهون عما دعاهم اليه طائف الشيطان كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فاذا هم مبصرون يقول اذا هم منتهون عن المعصية آخذون بأمر الله عاصون للشيطان ❁ القول

الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا أن تعيين الجواب يدل على أن المراد انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بأن الآية دلت على أنها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها الا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة (١٠٨) ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء أي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن أبي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة أو عبد أو متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث يشاء وعن مجاهد أن الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الآية ثم أمر بالشروع في الجواب فقال قل الانفال لله والرسول أي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى أحد قال مجاهد وعكرمة والسدى انها منسوخة بقوله واعلموا أن ما غنمتم الآية وضعف بأن جعل أربعة أخماسها ملكا للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس أو بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المؤاخاة والمصافاة فقال فاتقوا الله أي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال وأصلحوا ذات بينكم أي التي هي بينكم من الاحوال حتى تكون أحوال ألفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما أن الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور قيل لها ذات الصدور ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين أي كاملي الايمان تنبيها على أن كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين فقال

في تأويل قوله (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون) يقول تعالى ذكره واخوان الشياطين تمدهم الشياطين في الغي يعني بقوله يمدونهم يزيدونهم ثم لا يقصرون عما قصر عنه الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان وانما هذا خبر من الله عن فريقي الايمان والكفر بأن فريق الايمان وأهل تقوى الله اذا استزلهم الشيطان تذكروا عظمة الله وعقابه فكفتهم رهبته عن معاصيه وردتهم الى التوبة والانابة الى الله مما كان منهم من زلة وأن فريق الكافرين يزيدهم الشيطان غيا الى غيهم اذا ركبوا معصية من معاصي الله ولا يحجزهم تقوى الله ولا خوف المعاد اليه عن التمادي فيها والزيادة منها فهو أبدا في زيادة من ركوب الاثم والشيطان يزيده أبدا لا يقصر الانسي عن شيء من ركوب الفواحش ولا الشيطان من مده منه كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين تمسك عنهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون يقول هم الجن يوحون الى أوليائهم من الانس ثم لا يقصرون يقول لا يسأمون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واخوانهم يمدونهم في الغي اخوان الشياطين من المشركين يمدهم الشيطان في الغي ثم لا يقصرون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير واخوانهم من الجن يمدون اخوانهم من الانس ثم لا يقصرون يقول ثم لا يقصر الانسان قال والمد الزيادة يعني أهل الشرك يقول لا يقصر أهل الشرك كما يقصر الذين اتقوا لانهم لا يحجزهم الايمان قال ابن جريج قال مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون استجهالا يمدون أهل الشرك قال ابن جريج ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس قال فهؤلاء الانس يقول الله واخوانهم يمدونهم في الغي حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثني محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون قال اخوان الشياطين يمدهم الشياطين في الغي ثم لا يقصرون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واخوانهم من الشياطين يمدونهم في الغي استجهالا وكان بعضهم يتأول قوله ثم لا يقصرون بمعنى ولا الشياطين يقصرون في مدهم اخوانهم من الغي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون عنهم ولا يرحمونهم * قال أبو جعفر وقد بينا أولى التأويلين عندنا بالصواب وانما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيناه لان الله وصف في الآية قبلها أهل الايمان به وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه الى محبته عند تذكرهم عظمته ثم أتبع ذلك الخبر عن اخوان الشياطين وركوبهم معاصيه وكان الاولى وصفهم بتماديهم فيها اذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها وأما قوله يمدونهم فان القراء اختلفت في قراءته فقرأه بعض المدنيين يمدونهم بضم الياء من أمددت وقرأته عامة قراء الكوفيين والبصريين يمدونهم بفتح الياء من مددت قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندنا يمدونهم بفتح الياء لان الذي يمد الشياطين اخوانهم من المشركين انما هو زيادة من جنس الممدود واذا كان الذي

مد

انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم أي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من أليم عقابه وقد يطمئن القلب بعد ذلك اذا ذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم لمعصية فيقال له اتق الله فينزع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان تكون على ثلاثة أنحاء الاول بقوة الدليل وبكثرته فان كل دليل مركب لامحالة من مقدمات ولا شك في أن النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والأذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات أكثر وأدوم كان علمه بالنتيجة أكمل وأتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه أتم ممن لايجد على المطلوب سوى دليل واحد ولذا اوردت العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفي كل شيء له آية * تدل على أنه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم أن من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه أزيد من تصديق من صدقه في شيء واحد فمعنى الآية أنهم كلما سمعوا آية متجددة أتوا باقرار جديد الثالث أن يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال أولئك هم المؤمنون فدل ذلك على أن كل تلك الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده مارواه أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا أما قوله وعلى ربهم يتوكلون ففيد الحصر أي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على أحسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من أعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها رأسها وسنامها وهما الصلاة والصدقة ثم عظمهم بقوله أولئك هم المؤمنون حقا وفي أولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من المبالغات مالايخفى

مذ من جنس المدود كان كلام العرب مددت لا أمددت وأما قوله يقصرون فان القراء على لغة من قال أقصرت أقصر والعرب فيه لغتان قصرت عن الشيء وأقصرت عنه ۞ القول في تأويل قوله ﴿واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ يقول تعالى ذكره واذا لم تأت يامحمد هؤلاء المشركين بآية من الله قالوا لولا اجتبيتها يقول قالوا هلا اخترتها واصطفيتها من قول الله تعالى ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعني يختار ويصطفي وقد بينا ذلك في مواضعه بشواهده ثم اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه هلا افتعلتها من قبل نفسك واختلقتها بمعنى هلا اجتبيتها اختلاقا كما تقول العرب لقد اختار فلان هذا الامر وتخيره اختلاقا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها أي لولا أتيتنا بها من قبل نفسك هذا قول كفار قريش حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبدالله بن كثير عن مجاهد قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا اقتضبتها قالوا تخرجها من نفسك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قالوا لولا تقولتها جئت بها من عندك حدثني المثنى قال ثنى عبدالله قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها وقال مرة أخرى لولا أحدثتها فأنشأتها حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قالوا لولا اجتبيتها يقول لولا أحدثتها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله لولا اجتبيتها قال لولا جئت بها من نفسك وقال آخرون معنى ذلك هلا أخذتها من ربك وتقبلتها منه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا اجتبيتها يقول لولا تقبلتها من الله حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لولا اجتبيتها يقول لولا تلقيتها من ربك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا اجتبيتها يقول لولا أخذتها أنت فجئت بها من السماء * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من قال تأويله هلا أحدثتها من نفسك لدلالة قول الله قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم يبين ذلك أن الله انما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه انما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه اليه لا أنه يحدث من قبل نفسه قولا وينشئه فيدعو الناس اليه وحكي عن الفراء أنه كان يقول اجتبيت الكلام واختلقته وارتجلته اذا افتعلته من قبل نفسك بذلك الحرث حدثني قال ثنا القاسم عنه قال أبو عبيد وكان أبو زيد يقول انما تقول العرب ذلك للكلام يبتديه الرجل لم يكن أعده قبل ذلك في نفسه قال أبو عبيد واخترعه مثل ذلك ۞ القول في تأويل قوله ﴿قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يامحمد للقائلين لك اذا لم تأتهم بآية هلا أحدثتها من قبل نفسك ان ذلك ليس لي ولا يجوز لي فعله لان الله انما أمرني باتباع ما يوحى الي من عنده فانما أتبع ما يوحى الي من ربي لأني عبده والى أمره أنتهي واياه أطيع هذا بصائر من ربكم يقول هذا القرآن والوحي الذي أتلوه عليكم بصائر من ربكم يقول حجج عليكم

وحقا صفة مصدر محذوف أي إيمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه أخبركم بذلك إخبارا حقا وقيل إنه منوط بما بعده أي
حقا لهم درجات واعلم أن الأئمة اتفقوا على أن الرجل المؤمن يجوز له أن يقول أنا مؤمن ثم اختلفوا في أنه هل يجوز له أن يضيف إليه حقا أولا بل
يستثني فيقول إن شاء الله والأول مذهب أصحاب (١١٠) أبي حنيفة لما ورد في الآية ولأن الشك في الإيمان لا يجوز لأن التصديق والإقرار
كلاهما محقق والثاني مذهب أصحاب الشافعي وأجابوا عن الآية بأنه لا نزاع في أن الموصوف بالصفات المذكورة مؤمن حقا إنما النزاع في أن القائل أنا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما أم لا وأما حديث الشك فبني على أن الإيمان عبارة عن الأركان الثلاثة ولا ريب أن كون الإنسان آتيا بالأعمال الصالحة أمر مشكوك فيه والشك في أحد أجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فإذن النزاع لفظي على أنا لا نسلم أن الاستثناء لأجل الشك وإنما هو لزوال العجب أو لعدم القطع بحسن الخاتمة أو لنوع من الأدب ففيه تفويض الأمر إلى علم الله وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين وإنه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن أن رجلا سأله أمؤمن أنت قال الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألني عن قوله إنما المؤمنون فوالله لا أدري أمنهم أنا أم لا وعن الثوري من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل الجنة حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا ويحكى عن أبي حنيفة أنه قال لقتادة لم تستثني في إيمانك فقال اتباعا
لإبراهيم في قوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في قوله أولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة أن في
يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم أخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم أي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع
ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن التألم من حال من فوقه كما قال سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز

وبيان لكم من ربكم واحدتها بصيرة كما قال جل ثناؤه هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإنما ذكر هذا ووحد في قوله هذا بصائر من ربكم لما وصفت من أنه مراد به القرآن والوحي وقوله وهدى يقول وبيان يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم ورحمة رحم الله به عباده المؤمنين فأنقذهم به من الضلالة والهلكة لقوم يؤمنون يقول هو بصائر من الله وهدى ورحمة لمن آمن يقول لمن صدق بالقرآن أنه تنزيل الله ووحيه وعمل بما فيه دون من كذب به وجحده وكفر به بل هو على الذين لا يؤمنون به غم وخزي ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه الذين القرآن لهم هدى ورحمة إذا قرئ عليكم أيها المؤمنون القرآن فاستمعوا له يقول أصغوا له سمعكم لتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه وأنصتوا إليه لتعقلوه وتتدبروه ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه واعتباركم بعبره واستعمالكم ما بينه لكم ربكم من فرائضه في آيه ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ والإنصات له فقال بعضهم ذلك حال كون المصلي في الصلاة خلف إمام يأتم به وهو يسمع قراءة الإمام عليه أن يسمع لقراءته وقالوا في ذلك أنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم عن المسيب بن رافع قال كان عبد الله يقول كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان قال فجاء القرآن وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا حفص بن غياث عن إبراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة قال كانوا يتكلمون في الصلاة فلما نزلت هذه الآية وإذا قرئ القرآن والآية الأخرى أمروا بالإنصات حدثني أبو السائب قال ثنا حفص عن أشعث عن الزهري قال نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئا قرأه فنزلت وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي عن داود بن أبي هند عن بشير بن جابر قال صلى ابن مسعود فسمع ناسا يقرؤون مع الإمام فلما انصرف قال أما آن لكم أن تفقهوا أما آن لكم أن تعقلوا وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا كما أمركم الله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا الجريري عن طلحة بن عبيد الله بن كريز قال رأيت عبيد بن عمير وعطاء بن أبي رباح يتحدثان والقاص يقص فقلت ألا تستمعان إلى الذكر وتستوجبان الموعود قال فنظرا إلي ثم أقبلا على حديثهما قال فأعدت فنظرا إلي ثم أقبلا على حديثهما قال فأعدت الثالثة قال فنظرا إلي فقالا إنما ذلك في الصلاة وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثني العباس بن الوليد قال أخبرني أبي قال سمعت الأوزاعي قال ثنا عبد الله بن عامر قال ثني زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن هذه الآية وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال نزلت في رفع الأصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصلاة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد في قوله وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن ابن مهدي عن رجل عن قتادة عن سعيد بن المسيب وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال

عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع لكل ما يحمد و يستحسن فى بابه نقله الواحدى عن أهل اللغة فالله سبحانه موصوف بأنه كريم لانه محمود فى كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان كل شئ وقال انى ألقى الى كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقال وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة (١١١) الظلمات الحاصلة من الاشتغال بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق فى معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما أخرجك يقتضى تشبيه شئ بهذا الاخراج وذكروا فيه وجوها الاول أن المشبه محذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى أن حالهم فى كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا ترغيبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يارسول الله لو أعطيت هؤلاء ما سميته لهم بقى خلق كثير بغير شئ فنزلت قل الانفال لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فأمسك المسلمون عن الطلب وفى أنفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى أن ينتصب الكاف على أنه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله قل الانفال لله والرسول أى ثبت الحكم واستقر بأن الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل اخراج ربك اياك الى القتال وان كرهوا ووجه تخصيص هذا المشبه به بالذكر من بين سائر أحكام الله أن القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه أقوى فى وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقيل التقدير هو أن الحكم بكونهم مؤمنين حق كما أن حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائى الكاف متعلق بما بعده وهو قوله يجادلونك والتقدير كما أخرجك ربك من بيتك بالحق على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته صلى الله عليه وآله بالمدينة أو المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق أى اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهة بعضهم

فى الصلاة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت حميدا الاعرج قال سمعت مجاهدا يقول فى هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة قال ثنى عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا حميد عن مجاهد بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير وابن ادريس عن ليث عن مجاهد واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد وعن حجاج عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد وعن ابن أبى ليلى عن الحكم عن سعيد بن جبير واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا أبى عن سفيان عن أبى هاشم عن مجاهد فى الصلاة المكتوبة قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد مثله قال ثنا المحاربى وأبو خالد عن جويبر عن الضحاك قال فى الصلاة المكتوبة قال ثنا جرير وابن فضيل عن مغيرة عن ابراهيم قال فى الصلاة المكتوبة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كانوا يتكلمون فى صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم فأنزل الله ما تسمعون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال كان الرجل يأتى وهم فى الصلاة فيسألهم كم صليتم كم بقى فأنزل الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا وقال غيره كانوا يرفعون أصواتهم فى الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار فأنزل الله واذا قرئ القرآن حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد والمحاربى عن أشعث عن الزهرى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ ورجل يقرأ فنزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال ثنا أبو خالد الاحمر عن الهجرى عن أبى عياض عن أبى هريرة قال كانوا يتكلمون فى الصلاة فلما نزلت واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال هذا فى الصلاة قال ثنا أبى عن حريث عن عامر قال فى الصلاة المكتوبة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال اذا قرئ فى الصلاة حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له يعنى فى الصلاة المفروضة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى هاشم عن مجاهد قال هذا فى الصلاة فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد أنه كره اذا مر الامام بآية خوف أو بآية رحمة أن يقول أحد ممن خلفه شيأ قال السكوت قال أخبرنا الثورى عن ليث عن مجاهد قال لا بأس اذا قرأ الرجل فى غير الصلاة أن يتكلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون قال هذا اذا قام الامام للصلاة فاستمعوا له وأنصتوا حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى قال لا يقرأ من وراء الامام فيما يجهر به من القراءة تكفيهم قراءة الامام وان لم يسمعهم صوته ولكنهم يقرؤن فيما لم يجهر به سرا فى أنفسهم ولا يصلح لاحد خلفه أن يقرأ معه فيما يجهر به سرا ولا علانية قال الله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون حدثنى

المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن ابن عباس أنه كان يقول في هذه واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة هذا في المكتوبة وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك فانما هي نافلة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ في صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه قال فنزل القرآن واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون فهذا في المكتوبة وقال آخرون بل عنى بهذه الآية الامر بالانصات للامام في الخطبة اذا قرئ القرآن في خطبة ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق الازرق عن شريك عن سعيد بن مسروق عن مجاهد في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات للامام يوم الجمعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد وابن أبي عتبة عن العوام عن مجاهد قال في خطبة يوم الجمعة وقال آخرون عنى بذلك الانصات في الصلاة وفي الخطبة ذكر من قال ذلك حدثني ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور قال سمعت ابراهيم بن أبي حرة يحدث أنه سمع مجاهدا يقول في هذه الآية واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال في الصلاة والخطبة يوم الجمعة حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن جابر عن عطاء قال وجب الصموت في اثنتين عند الرجل يقرأ القرآن وهو يصلي وعند الامام وهو يخطب حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن مجاهد واذا قرئ القرآن وجب الانصات قال وجب في اثنتين في الصلاة والامام يقرأ والجمعة والامام يخطب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال هشيم أخبرنا من سمع الحسن يقول في الصلاة المكتوبة وعند الذكر حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن جابر عن مجاهد قال وجب الانصات في اثنتين في الصلاة ويوم الجمعة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن بقية بن الوليد قال سمعت ثابت بن عجلان يقول سمعت سعيد بن جبير يقول في قوله واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا قال الانصات يوم الاضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام من الصلاة حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن حماد قال أخبرنا هشيم عن الربيع بن صبيح عن الحسن قال في الصلاة وعند الذكر حدثنا ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا يحيى بن أيوب قال ثني ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال أوجب الانصات يوم الجمعة قول الله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وفي الصلاة مثل ذلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال أمروا باستماع القرآن في الصلاة اذا قرأ الامام وكان من خلفه ممن يأتم به يسمعه وفي الخطبة وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا قرأ الامام فأنصتوا واجماع الجميع على أن من سمع خطبة الامام ممن عليه الجمعة الاستماع والانصات لها مع تتابع الاخبار بالامر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والانصات لسامعه من قارئه الا في هاتين الحالتين على اختلاف في احداهما وهي حالة أن يكون خلف امام مؤتم به وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله اذا قرأ الامام فأنصتوا فالانصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتما سامعا قراءته بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ✿ القول في تأويل قوله (واذكر ربك في نفسك تضرعا

ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز أن تكون الجملة بدلا أو خبرا بعد خبر روي أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل (١١٢) مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت أخت العباس ابن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا أصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال أبو جهل ما يرضى رجالهم أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير على ما قيل في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك أبدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وأن محمدا لم يصب العير فمضى بهم الى بدر ونزل جبرائيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب اليكم أم النفير قالوا بل العير أحب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فأحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله

تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ يقول تعالى ذكره واذكر أيها المستمع المنصت للقرآن اذا قرئ فى صلاة أو خطبة ربك فى نفسك يقول اتعظ بما فى آى القرآن واعتبر به وتذكر معادك اليه عند سماعكه تضرعا يقول افعل ذلك تخشعا لله وتواضعا له وخيفة يقول وخوفا من الله أن يعاقبك على تقصير يكون منك فى الاتعاظ به والاعتبار وغفلة عما بين الله فيه من حدوده ودون الجهر من القول يقول ودعاء باللسان لله فى خفاء لا جهار يقول ليكن ذكر الله عند استماعك القرآن فى دعاء ان دعوت غير جهار ولكن فى خفاء من القول كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول لا يجهر بذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو سعد قال سمعت مجاهدا يقول فى قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول الآية قال أمروا أن يذكروه فى الصدور تضرعا وخيفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن التيمى عن أبيه عن حيان بن عمير عن عبيد بن عمير فى قوله واذكر ربك فى نفسك قال يقول الله اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا ذكرنى عبدى وحده ذكرته وحدى واذا ذكرنى فى ملأ ذكرته فى أحسن منهم وأكرم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة قال يؤمر بالتضرع فى الدعاء والاستكانة ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء وأما قوله بالغدو والآصال فانه يعنى بالبكر والعشيات وأما الآصال فجمع واختلف أهل العربية فيها فقال بعضهم هى جمع أصيل كما الأيمان جمع يمين والأسرار جمع سرير وقال آخرون منهم هى جمع أصل والاصل جمع أصيل وقال آخرون منهم هى جمع أصل وأصيل قال وان شئت جعلت الاصل جمعا للاصيل وان شئت جعلته واحدا قال والعرب تقول قد دنا الاصل فيجعلونه واحدا وهذا القول أولى بالصواب فى ذلك وهو أنه جائز أن يكون جمع أصيل وأصل لأنهما قد يجمعان على أفعال وأما الآصال فهى فيما يقال فى كلام العرب ما بين العصر الى المغرب وأما قوله ولا تكن من الغافلين فانه يقول ولا تكن من اللاهين اذا قرئ القرآن عن عظاته وعبره وما فيه من عجائبه ولكن تدبر ذلك وتفهمه وأشعره قلبك بذكر الله وخضوع له وخوف من قدرة الله عليك ان أنت غفلت عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بالغدو والآصال قال بالبكر والعشى ولا تكن من الغافلين حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معرف بن واصل السعدى قال سمعت أبا وائل يقول لغلامه عند مغيب الشمس آصلنا بعد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد قوله بالغدو والآصال قال الغدو آخر الفجر صلاة الصبح والآصال آخر العشى صلاة العصر قال وكل ذلك لها وقت أول الفجر وآخره وذلك مثل قوله فى سورة آل عمران واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار وقيل العشى ميل الشمس الى أن تغيب والابكار أول الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن محمد بن شريك عن ابن أبى مليكة عن ابن عباس سئل عن صلاة الفجر فقال انها لفى كتاب الله ولا يقوم عليها(١) ثم قرأ فى بيوت أذن الله أن ترفع الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة الى قوله بالغدو والآصال أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة أما بالغدو فصلاة الصبح والآصال بالعشى ❊ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ يقول تعالى ذكره لا تستكبر أيها المستمع المنصت للقرآن عن عبادة ربك واذكره اذا قرئ القرآن تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول فان الذين عند ربك من ملائكته لا يستكبرون

صلى الله عليه وسلم ثم قال أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف أن يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك بنا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكأنى أنظر الى مصارع القوم ولنرجع الى التفسير قوله فى الحق أى فى تلقى النفير بعد ما تبين أى بعد اعلام النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) قوله ولا يقوم عليها كذا بالاصل ولعل الساقط الا مؤمن أو نحو ذلك وحرر الرواية كتبه مصححه

عن التواضع له والتخشع وذلك هو العبادة ويسبحونه يقول ويعظمون ربهم بتواضعهم له وعبادتهم وله يسجدون يقول ولله يصلون وهو سجودهم فصلوا أنتم أيضا له وعظموه بالعبادة كما يفعله من عنده من ملائكته

﴿القول في تفسير السورة التي يذكر فيها الانفال﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الانفال التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم هي الغنائم وقالوا معنى الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الغنائم التي غنمتها أنت وأصحابك يوم بدر لمن هي فقل هي لله ولرسوله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن زيد عن عكرمة يسألونك عن الانفال قال الأنفال الغنائم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الانفال المغنم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال الغنائم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله الانفال قال يعني الغنائم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قال الانفال الغنائم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يسألونك عن الانفال الانفال الغنائم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يسألونك عن الأنفال قال الانفال الغنائم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الانفال الغنائم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء يسألونك عن الانفال قال الغنائم وقال آخرون هي أنفال السرايا ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا علي بن صالح بن حي قال بلغني في قوله يسألونك عن الأنفال قال السرايا وقال آخرون الانفال ما شذ من المشركين الى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عبد الملك عن عطاء في قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال هو ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال دابة أو عبد أو متاع ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد أو أمة أو متاع أو نفل فهو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما شاء قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهري أن ابن عباس سئل عن الانفال فقال السلب والفرس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويقال الانفال ما أخذ مما سقط من المتاع بعد ما تقسم الغنائم فهي نفل لله ولرسوله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عثمان بن أبي سلمان عن محمد بن شهاب أن رجلا قال لابن عباس ما الانفال قال الفرس والدرع والرمح حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال قال ابن جريج قال عطاء الانفال الفرس الشاذ والدرع والثوب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري عن ابن عباس قال كان ينفل الرجل فرس الرجل وسلبه

بأنهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت المتيقن لمشاهدة أسبابه من قلة العدد والعدد روى أنه ما كان منهم الا فارسان وانتصب باضمار اذكر قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وقوله أنها لكم بدل من احدى الطائفتين وهما العير أو النفير وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أي تتمنون أن يكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله أن يحق الحق يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة وأسر الكفرة وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين أي يستأصلهم والدابر الآخر يعني أنكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق بمحذوف أي لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متأخرا ليفيد معنى الاختصاص أي ما فعل ذلك الا لتحقيق الحق وابطال الباطل

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم ابن محمد قال سمعت رجلا سأل ابن عباس عن الانفال فقال ابن عباس الفرس من النفل والسلب من النفل ثم عاد لمسألته فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل الانفال التى قال الله فى كتابه ما هى قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يحرجه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذى ضربه عمر بن الخطاب رضى الله عنه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال قال ابن عباس كان عمر رضى الله عنه اذا سئل عن شئ قال لا آمرك ولا أنهاك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه عليه السلام الا زاجرا آمرا محللا محرما قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل يسأله عن الانفال فقال ابن عباس كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم أعاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذى ضربه عمر حتى سالت الدماء على عقبيه أو على رجليه فقال الرجل أما أنت فقد انتقم الله لعمر منك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن المبارك عن عبد الملك عن عطاء يسألونك عن الانفال قال يسألونك فيما شذ من المشركين الى المسلمين فى غير قتال من دابة أو عبد فهو نفل للنبى صلى الله عليه وسلم وقال آخرون النفل الخمس الذى جعله الله لاهل الخمس ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يسألونك عن الانفال قال هو الخمس قال المهاجرون لم يرفع عنا هذا الخمس لم يخرج منا فقال الله هو لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أنهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن الخمس بعد الاربعة الاخماس فنزلت يسألونك عن الانفال * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب فى معنى الانفال قول من قال هى زيادات يزيدها الامام بعض الجيش أو جميعهم اما من سلبه على حقوقهم من القسمة واما مما وصل اليه بالنفل أو ببعض أسبابه ترغيبا له وتحريضا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين أو صلاح أحد الفريقين وقد يدخل فى ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين الى المسلمين من عبد أو فرس لان ذلك أمره الى الامام اذا لم يكن ما وصلوا اليه لغلبة وقهر يفعل ما فيه صلاح أهل الاسلام وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقهر وانما قلنا ذلك أولى الأقوال بالصواب لان النفل فى كلام العرب انما هو الزيادة على الشئ يقال منه نفلتك كذا وأنفلتك اذا زدتك والانفال جمع نفل ومنه قول لبيد بن ربيعة

ان تقوى ربنا خير نفل * وباذن الله ريثى وعجل

فاذ كان معناه ما ذكرنا فكل من زيد من مقاتلة الجيش على سهمه من الغنيمة ان كان ذلك لبلاء أبلاه أو لغناء كان منه عن المسلمين بتنفيل الوالى ذلك اياه فصير حكم ذلك له كالسلب الذى يسلبه القاتل فهو منفل ما زيد من ذلك لان الزيادة وان كانت مستوجبة فى بعض الاحوال بحق فليست من الغنيمة التى تقع فيها القسمة وكذلك كل ما رضخ لمن لا سهم له فى الغنيمة فهو نفل لانه وان كان مغلوبا عليه فليس مما وقعت عليه القسمة فالفصل اذ كان الامر على ما وصفنا بين الغنيمة والنفل أن الغنيمة هى ما أفاء الله على المسلمين من أموال المشركين بغلبة وقهر نفل منه منفل أو لم ينفل والنفل هو ما أعطيه الرجل على البلاء والغناء عن الجيش على غير قسمة واذ كان ذلك معنى النفل فتأويل الكلام يسألك أصحابك يا محمد عن الفضل من المال الذى تقع فيه القسمة من غنيمة كفار قريش الذين قتلوا ببدر لمن هو قل لهم يا محمد هو لله ولرسوله دونكم يجعله حيث شاء واختلف فى السبب

وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل فى ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل والبيان وتارة بتقوية رؤساء الحق وقهر رؤساء الباطل فان قيل أليس فى الكلام تكرار قلنا لا اذ المراد بالاول تثبيت ما وعده فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل أن الاول جزئى أى أنتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى حصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما أخرجك ربك وقوله ليحق الحق على أن الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن أن يقال المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقبل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافى ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل وأجيب بأن اللام فى الحق ينصرف الى المعهود السابق

الذى من أجله نزلت هذه الآية فقال بعضهم نزلت فى غنائم بدر لان النبى صلى الله عليه وسلم كان نفل أقواما على بلاء فأبلى أقوام وتخلف آخرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختلفوا فيها بعد انقضاء الحرب فانزل الله هذه الآية على رسوله يعلمهم أن ما فعل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فماض جائز ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا معتمر بن سليمان قال سمعت داود بن أبى هند يحدث عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا فتسارع اليه الشبان وبقى الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤا يطلبون ما جعل لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لاتذهبوا به دوننا فأنزل الله عليه الآية فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم حدثنا المثنى قال ثنا عبد الاعلى وحدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا قال فتسارع فى ذلك شبان الرجال وبقيت الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنائم جاؤا يطلبون الذى جعل لهم فقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا ردألكم وكنا تحت الرايات ولو انكشفتم لفئتم الينا فتنازعوا فأنزل الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد ابن عبد الله عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا وكذا من النفل قال فتقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات فلم يبرحوا فلما فتح عليهم قالت المشيخة كنا ردألكم فلوانهزمتم انحزتم الينا لاتذهبوا بالمغنم دوننا فأبى الفتيان وقالوا جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا فأنزل الله يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول قال فكان ذلك خيرا لهم (١) وكذلك أيضا أطيعونى فانى أعلم حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فى هذه الآية يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال لما كان يوم بدر قال النبى صلى الله عليه وسلم من صنع كذا فله من النفل كذا فخرج شبان الرجال فجعلوا يصنعونه فلما كان عند القسمة قال الشيوخ نحن أصحاب الرايات وقد كنا ردألكم فأنزل الله فى ذلك قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب الزبيرى قال ثنى المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه عن سليمان بن موسى عن مكحول مولى هذيل عن أبى سلام عن أبى أمامة الباهلى عن عبادة ابن الصامت قال أنزل الله حين اختلف القوم فى الغنائم يوم بدر يسألونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم عن سواء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى عبد الرحمن بن الحرث وغيره من أصحابنا عن سليمان بن موسى الاسدى عن مكحول عن أبى أمامة الباهلى قال سألت عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء يقول على السواء فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وصلاح ذات البين وقال آخرون انما نزلت هذه الآية لان بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله من المغنم شيأ قبل قسمتها فلم يعطه اياه اذ كان شركا بين الجيش فجعل الله جميع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن موسى السدى قال ثنا أبو الاحوص عن عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر بسيف فقلت يا رسول الله هذا السيف قد شفى الله

به

أى فى هذه القضية فلم قلتم انه كذلك فى جميع الصور ولو كره المجرمون أى الكافرون أو المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفى موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله واذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك بالدعاء ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروى أنه لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة يقول الواقع فى بلية أغثنى أى فرج عنى فاستجاب لكم انى أى بأنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها

---

(١) قوله وكذلك أيضا الخ كذا بالاصل ولعل قبله سقطا ولم نعثر عليه بعد المراجعة فحرر كتبه مصححه

به من المشركين فسألته اياه فقال ليس هذا لى ولالك قال فلما وليت قلت أخاف أن يعطيه من لم يبل بلائى فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفى قال فقلت أخاف أن يكون نزل فى شئ قال ان السيف قد صار لى قال فأعطانيه ونزلت يسئلونك عن الانفال حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو بكر قال ثنا عاصم عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال لما كان يوم بدر جئت بسيف قال فقلت يارسول الله ان الله قد شفى صدرى من المشركين أو نحو هذا فهب لى هذا السيف فقال لى هذا ليس لى ولالك فرجعت فقلت عسى أن يعطى هذا من لم يبل بلائى فجاءنى الرسول فقلت حدث فى حدث فلما انتهيت قال ياسعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فهو لك ونزلت يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا يوم بدر فأعجبنى فقلت يارسول الله هبه لى فأنزل الله يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن المثنى وابن وكيع قال ابن المثنى ثنى معاوية وقال ابن وكيع ثنا أبو معاوية قال ثنا الشيبانى عن محمد بن عبيد الله عن سعد ابن أبى وقاص قال لما كان يوم بدر قتل أخى عمير وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اذهب فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل أخى وأخذ سلبى قال فما جاوزت الاقريبا حتى نزلت عليه سورة الانفال فقال اذهب فخذ سيفك ولفظ الحديث لابن المثنى حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة جميعا عن محمد بن اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى بكر عن قيس بن ساعدة قال سمعت أبا أسيد بن مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى المرزبان فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته فى النفل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمنع شيأ يسأله فرآه الارقم بن أبى الارقم المخزومى فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه اياه حدثنى يحيى بن جعفر قال ثنا أحمد بن أبى بكر عن يحيى بن عمران عن جده عثمان بن الارقم عن عمه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ردوا ما كان من الانفال فوضع أبو أسيد الساعدى سيف ابن عائذ المرزبان فعرفه الارقم فقال هبه لى يارسول الله قال فأعطاه اياه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك بن حرب عن مصعب بن سعد عن أبيه قال أصبت سيفا قال فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله نفلنيه فقال ضعه ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه قال ضعه قال ثم قام فقال يارسول الله نفلنيه أأجعل كمن لا غناء له فقال النبى صلى الله عليه وسلم ضعه من حيث أخذته فنزلت هذه الآية يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن مصعب بن سعد عن سعد قال أخذت سيفا من المغنم فقلت يارسول الله هب لى هذا فنزلت يسئلونك عن الانفال حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد فى قوله يسئلونك عن الانفال قال قال سعد كنت أخذت سيف سعيد بن العاص بن أمية فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعطنى هذا السيف يارسول الله فسكت فنزلت يسئلونك عن الانفال الى قوله ان كنتم مؤمنين قال فأعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل نزلت لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سألوا قسمة الغنيمة بينهم يوم بدر فأعلمهم الله أن ذلك لله ولرسوله دونهم ليس لهم فيه شئ وقالوا معنى عن فى هذا الموضع من وانما معنى الكلام يسئلونك من الانفال وقالوا قد كان ابن مسعود يقرؤه

من أردفته اياه اذا أتبعته متعديا الى مفعولين أو من ردفته اذا تبعته أى جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم أو مجعولين بعضهم تابعا لبعض أو أنفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم أو لملائكة أخرى ومعنى الثانى تابعين بعضهم للبعض أو للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم أو لغيرهم من الملائكة واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرائيل فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على بن أبى طالب فى صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن أبى جهل أنه قال لابن مسعود من أين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال أبو جهل هم غلبونا لا أنتم وروى أن رجلا من المسلمين بينا هو يشتد فى أثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم صدقت ذلك من مدد السماء وعن

يسألونك الانفال على هذا التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش قال كان أصحاب عبد الله يقرؤنها يسألونك الانفال حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال هي في قراءة ابن مسعود يسألونك الانفال ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول قال الانفال المغانم كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لاحد منها شيء ما أصاب سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه ابرة أو سلكا فهو غلول فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم منها قال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لي جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شيء فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين ثم أنزل الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ثم قسم ذلك الخمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن سمى في الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج يسألونك عن الانفال قال نزلت في المهاجرين والانصار ممن شهد بدرا قال واختلفوا فكانوا أثلاثا قال فنزلت يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول وملكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم الغنائم يوم بدر فنزلت يسألونك عن الانفال قال ثنا عباد بن العوام عن جويبر عن الضحاك يسألونك عن الانفال قال يسألونك أن تنفلهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا أيوب عن عكرمة في قوله يسألونك عن الانفال قال يسألونك الانفال * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى أخبر في هذه الآية عن قوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانفال أن يعطيهموها فأخبرهم الله أنها لله وأنه جعلها لرسوله واذا كان ذلك معناه جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله اياه وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش واختلفوا فيها أمنسوخة هي أم غير منسوخة فقال بعضهم هي منسوخة وقالوا نسخها قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن جابر عن مجاهد وعكرمة قالا كانت الانفال لله والرسول فنسختها واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يسألونك عن الانفال قال أصاب سعد بن أبي وقاص يوم بدر سيفا فاختصم فيه وناس معه فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم منهم فقال الله يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول الآية فكانت الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فنسخها الله بالخمس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني سليم مولى أم محمد عن مجاهد في قوله يسألونك عن الانفال قال نسختها واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن جابر عن مجاهد وعكرمة أو عكرمة وعامر قالا نسخت الانفال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه * وقال آخرون هي محكمة وليست منسوخة وانما معنى ذلك قل الانفال لله وهي لا شك لله مع الدنيا بما فيها والآخرة وللرسول يضعها في مواضعها التي أمره الله بوضعها فيه ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يسألونك عن الانفال فقرأ

أبي داود المازني قال تبعت رجلا من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فلك واحد كاف في اهلاك أهل الدنيا وقد أجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الله الآية وقد مر هنالك وقد بقي علينا بيان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم وأخره في آل عمران ازدواجا بين الخطابين وعكس ههنا ازدواجا بين الغائبين ثم ان قصة بدر سابقة على قصة أحد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعله في آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله أعلم (التأويل) كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فأجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال وأصلحوا ما بينكم من الاخلاق الردية والهمم الدنية وأطيعوا الله ورسوله بالتسليم والائتمار زادتهم ايمانا بحسب تزايد الانوار كما أخرجك ربك فيه أنه أخرج المؤمن الحق عن أوصاف البشرية الى مقام العبودية

حتى بلغ ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاآو يضعانها حيث أرادا فقالوا نعم ثم جاء بعد الاربعين واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية ولكم أربعة أخماس وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وهذا الخمس مردود على فقرائكم يصنع الله ورسوله فى ذلك الخمس ما أحبا و يضعانه حيث أحبا ثم أخبرنا الله بالذى يجب من ذلك ثم قرأ الآية لذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله جل ثناؤه أخبر أنه جعل الانفال لنبيه صلى الله عليه وسلم ينفل من شاء فنفل القاتل السلب وجعل للجيش فى البداءة الربع وفى الرجعة الثلث بعد الخمس ونفل قوما بعد سهمانهم بعيرا بعيرا فى بعض المغازى فجعل الله تعالى ذكره حكم الانفال الى نبيه صلى الله عليه وسلم ينفل على ما يرى مما فيه صلاح المسلمين وعلى من بعده من الأئمة أن يستنوا بسنته فى ذلك وليس فى الآية دليل على أن حكمها منسوخ لاحتمالها ما ذكرت من المعنى الذى وصفت وغير جائز أن يحكم بحكم قد نزل به القرآن أنه منسوخ الا بحجة يجب التسليم لها فقد دللنا فى غير موضع من كتبنا على أن لا منسوخ الا ما أبطل حكمه حادث حكم بخلافه ينفيه من كل معانيه أو يأتى خبر يوجب الحجة أن أحدهما ناسخ الآخر وقد ذكر عن سعيد بن المسيب أنه كان ينكر أن يكون التنفيل لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تأويلا منه لقول الله تعالى قل الانفال لله والرسول حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو قال أرسل سعيد ابن المسيب غلامه الى قوم سألوه عن شئ فقال انكم أرسلتم الى تسألونى عن الانفال فلا نفل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بينا أن للأئمة أن يتأسوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فى مغازيهم بفعله فينفلوا على نحو ما كان ينفل اذا كان التنفيل صلاحا للمسلمين ﴿القول فى تأويل قوله ﴿فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره فخافوا الله أيها القوم واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم واختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله وأصلحوا ذات بينكم فقال بعضهم هو أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اختلفوا فى الغنيمة أن يردوا ما أصابوا منها بعضهم على بعض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال كان نبى الله ينفل الرجل من المؤمنين سلب الرجل من الكفار اذا قتله ثم أنزل الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أمرهم أن يرد بعضهم على بعض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال بلغنى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وعنائه على ما رأى حتى اذا كان يوم بدر وملأ الناس أيديهم غنائم قال أهل الضعف من الناس ذهب أهل القوة بالغنائم فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزلت قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ليرد أهل القوة على أهل الضعف وقال آخرون هذا تحريج من الله على القوم ونهى لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا خالد بن يزيد وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا أبو اسرائيل عن فضيل عن مجاهد فى قول الله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال حرج عليهم حدثنى الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا عباد بن العوام عن سفيان بن حسين عن مجاهد عن ابن عباس فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا و يصلحوا ذات بينهم قال عباد قال سفيان هذا حين اختلفوا فى الغنائم يوم بدر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل

بجذبات العناية كما أخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلى صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلى فان البقاء محبوب عند كل ذى وجود يجادلونك أى الروح والقلب فى مجىء الحق بعد ما تبين مجيئه كأنهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله أيها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهى النفوس واما عير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون أن غير ذات الشوكة أى أردتم أن لا تجاهدوا عدو النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك أن السير قسمان سير السالكين على أقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على أجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرائيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين أو أدنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية أن لا يكل الله

قال ثنا أسباط عن السدى فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم أى لا تستبوا واختلف أهل العربية فى وجه تأنيث البين فقال بعض نحويى البصرة أضاف ذات الى البين وجعله ذاتا لان بعض الاشياء يوضع عليه اسم مؤنث وبعضا يذكر نحو الدار والحائط أنث الدار وذكر الحائط وقال بعضهم انما أراد بقوله ذات بينكم الحال التى للبين فقال وكذلك ذات العشاء يريد الساعة التى فيها العشاء قال ولم يضعوا مذكرا لمؤنث ولا مؤنثا لمذكر الا لمعنى * قال أبو جعفر هذا القول أولى القولين بالصواب للعلة التى ذكرتها له وأما قوله وأطيعوا الله ورسوله فان معناه وانتهوا أيها القوم الطالبون الانفال الى أمر الله وأمر رسوله فيما أفاء الله عليكم فقد بين لكم وجوهه وسبله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقين رسول الله فيما آتاكم به من عند ربكم كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاآ ويضعانها حيث أرادا ۞ القول فى تأويل قوله (انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون) يقول تعالى ذكره ليس المؤمن بالذى يخالف الله ورسوله ويترك اتباع ما أنزله اليه فى كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه ولكن المؤمن هو الذى اذا ذكر الله وجل قلبه وانقاد لامره وخضع لذكره خوفا منه وفرقا من عقابه واذا قرئت عليه آيات كتابه صدق بها وأيقن أنها من عند الله فازداد بتصديقه بذلك الى تصديقه بما كان قد بلغه منه قبل ذلك تصديقا وذلك هو زيادة ما تلى عليهم من آيات الله اياهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون يقول وبالله يوقنون فى أن قضاءه فيهم ماض فلا يرجون غيره ولا يرهبون سواه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال المنافقون لا يدخل قلوبهم شئ من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشئ من آيات الله ولا يتوكلون على الله ولا يصلون اذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم فأخبر الله سبحانه أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف المؤمنين فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فأدوا فرائضه واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا يقول تصديقا وعلى ربهم يتوكلون يقول لا يرجون غيره حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال فرقت قال ثنا أبى عن سفيان عن السدى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال اذا ذكر الله عند الشئ وجل قلبه حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم يقول اذا ذكر الله وجل قلبه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وجلت قلوبهم قال فرقت حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجلت قلوبهم فرقت قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال سمعت السدى يقول فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهم بمعصية أحسبه قال فينزع عنه حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان الثورى عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أبى الدرداء فى قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال الوجل فى القلب كاحراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قال اذا وجدت ذلك فى القلب فادع الله فان الدعاء يذهب بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت

السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أى بجذباته ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعنى استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بألف من الملائكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلى صفته القهارية ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم فى كل ما يفعل عن يفعل والله أعلم (اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فلم تقتلوهم ولكن

قلوبهم قال فرقا من الله ووجلا من الله وخوفا من الله تبارك وتعالى وأما قوله زادتهم ايمانا فقد ذكرت قول ابن عباس فيه وقال غيره فيه ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قال خشية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون قال هذا نعت أهل الايمان فأثبت نعتهم ووصفهم فأثبت صفتهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا﴾ يقول تعالى ذكره الذين يؤدون الصلاة المفروضة بحدودها وينفقون مما رزقهم الله من الاموال فيما أمرهم الله أن ينفقوها فيه من زكاة وجهاد وحج وعمرة ونفقة على من تجب عليهم نفقته فيؤدون حقوقهم أولئك يقول هؤلاء الذين يفعلون هذه الافعال هم المؤمنون لا الذين يقولون بألسنتهم قد آمنا وقلوبهم منطوية على خلافه نفاقا لا يقيمون صلاة ولا يؤدون زكاة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس الذين يقيمون الصلاة يقول الصلوات الخمس ومما رزقناهم ينفقون يقول زكاة أموالهم أولئك هم المؤمنون حقا يقول برئوا من الكفر ثم وصف الله النفاق وأهله فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله الى قوله أولئك هم الكافرون حقا فجعل الله المؤمن مؤمنا حقا وجعل الكافر كافرا حقا وهو قوله هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك هم المؤمنون حقا قال استحقوا الايمان بحق فأحقه الله لهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله لهم درجات لهؤلاء المؤمنين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم درجات وهى مراتب رفيعة ثم اختلف أهل التأويل فى هذه الدرجات التى ذكر الله أنها لهم عنده ما هى فقال بعضهم هى أعمال رفيعة وفضائل قدموها فى أيام حياتهم ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى يحيى القتات عن مجاهد لهم درجات عند ربهم قال أعمال رفيعة وقال آخرون بل ذلك مراتب فى الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن هشام بن حبلة عن عطية عن ابن محيريز لهم درجات عند ربهم قال الدرجات سبعون درجة كل درجة حضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنة وقوله ومغفرة يقول وعفو عن ذنوبهم وتغطية عليها ورزق كريم قيل الجنة وهو عندى ما أعد الله فى الجنة لهم من مزيد المآكل والمشارب وهنىء العيش حدثنى المثنى قال ثنا اسحق عن هشام عن عمرو عن سعيد عن قتادة ومغفرة قال لذنوبهم ورزق كريم قال الجنة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون﴾ اختلف أهل التأويل فى الجالب لهذه الكاف التى فى قوله كما أخرجك وما الذى شبه باخراج الله نبيه صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق فقال بعضهم شبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم واصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم الله ورسوله وقالوا معنى ذلك يقول الله وأصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما أخرج الله محمدا صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق كان خيرا له ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الآية أى ان هذا خير لكم كما كان اخراجك من بيتك بالحق خيرا لك * وقال آخرون معنى ذلك كما أخرجك ربك يا محمد من بيتك بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم

الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ القراآت يغشاكم النعاس ابن كثير وأبو عمرو يغشيكم النعاس من باب الافعال أبو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من باب التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وأبو عمرو والآخرون بالتشديد رمى بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وأبو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر ۞ الوقوف الاقدام ه ط لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله الاول ج العقاب ه النار ه الادبار ه جهنم ط المصير ه ط قتلهم ص لعطف المتفقتين رمى ج

يكرهون القتال فهم يجادلونك فيه بعدما تبين لهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق قال
كذلك يجادلونك في الحق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح
عن مجاهد كما أخرجك ربك من بيتك بالحق كذلك يجادلونك في الحق القتال قال ثنا اسحق قال ثنا
عبد الله بن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق
قال كذلك أخرجك ربك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدي قال أنزل الله في خروجه يعني خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر ومجادلتهم اياه فقال كما
أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون لطلب المشركين يجادلونك في الحق
بعدما تبين اختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي الكوفيين ذلك أمر من الله لرسوله صلى
الله عليه وسلم أن يمضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه كما مضى لأمره في خروجه من بيته لطلب
العير وهم كارهون وقال آخرون منهم معنى ذلك يسئلونك عن الانفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا
أخرجتنا للعير ولم تعلمنا قتالا فنستعد له وقال بعض نحويي البصرة يجوز أن يكون هذا الكاف
في كما أخرجك على قوله أولئك هم المؤمنون حقا كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل الكاف بمعنى
على وقال آخرون منهم هي بمعنى القسم قال ومعنى الكلام والذي أخرجك ربك * قال أبو جعفر
وأولى هذه الاقوال عندي بالصواب قول من قال في ذلك بقول مجاهد وقال معناه كما أخرجك ربك
بالحق على كره من فريق من المؤمنين كذلك يجادلونك في الحق بعدما تبين لان كلا الامرين قد كان
أعني خروج بعض من خرج من المدينة كارها وجدالهم في لقاء العدو وعند دنو القوم بعضهم من
بعض فتشبيه بعض ذلك ببعض مع قرب أحدهما من الآخر أولى من تشبيهه بما بعد عنه وقال
مجاهد في الحق الذي ذكر أنهم يجادلون فيه النبي صلى الله عليه وسلم بعدما تبينوه هو القتال حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يجادلونك في الحق
قال القتال حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
مثله حدثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله وأما قوله من
بيتك فان بعضهم قال معناه من المدينه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل عن ابن أبي بزة كما أخرجك ربك من بيتك المدينة الى بدر حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن عباد بن جعفر في قوله كما أخرجك
ربك من بيتك بالحق قال من المدينة الى بدر وأما قوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون فان
كراهتهم كانت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري
وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا
عن عبد الله بن عباس قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب
اليهم المسلمين وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس
فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا حدثني
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان فريقا من المؤمنين
لكارهون لطلب المشركين ثم اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله يجادلونك في الحق بعد
ما تبين فقال بعضهم عني بذلك أهل الايمان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا
معه حين توجه الى بدر للقاء المشركين ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي
قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء

لاحتمال أن تكون الواو مقحمة واللام
متعلقا بما قبله واحتمال أن تكون
عاطفة على ولكن الله رمى أو على
محذوف أي لتستبشروا وليبلي
حسنا ط عليهم ط الكافرين
ه الفتح ج للفصل بين الجملتين
المتضادتين مع العطف خير لكم
ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن
قرأ وان بالكسر المؤمنين ه ۞ التفسير
قال في الكشاف اذ يغشيكم اذ بدل
ثان من اذ يعدكم أو منصوب
بالنصر أو بما في عند الله من معنى
الفعل أو بما جعله الله أو باضمار
اذكر وأمنة مفعول لاجله ومنه
صفة لها أي أمنة حاصلة لكم من
عند الله ولما كان غشيان النعاس
وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا
لمعنى تنعسون كان فاعل الفعل
المعلل والعلة واحدا كما هو شريطة
انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون
لأمنتكم أو يغشاكم النعاس
فتنعسون أمنا وجوز على قراءة
الاغشاء والتغشية أن تكون الامنة
بمعنى الايمان أي ينعسكم ايمانا منه
وجوز أن ينتصب الامنة على أنها
للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي
يغشاكم النعاس لأمنه على أن
اسناد الأمن الى النعاس اسناد
مجازي وهو لاصحاب النعاس على
الحقيقة أو على أن المراد انه أنامكم

القوم

القوم وقال له سعد بن عبادة ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس فتعبوا للقتال وأمرهم بالشوكة وكره ذلك أهل الايمان فأنزل الله كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون **حدثنى** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر القوم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عرف القوم أن قريشا قد سارت اليهم وانهم انما خرجوا يريدون العير طمعا فى الغنيمة فقال كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الى قوله لكارهون أى كراهية لقاء القوم وانكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم وقال آخرون عنى بذلك المشركون ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يجادلونك فى الحق بعدما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون قال هؤلاء المشركون جادلوك فى الحق كأنما يساقون الى الموت حين يدعون الى الاسلام وهم ينظرون قال وليس هذا من صفة الآخرين هذه صفة مبتدأة لاهل الكفر **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنى عبد العزيز بن محمد عن ابن أخى الزهرى عن عمه قال كان رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى العير * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن عباس وابن اسحق من أن ذلك خبر من الله عن فريق من المؤمنين أنهم كرهوا لقاء العدو وكان جدالهم نبى الله صلى الله عليه وسلم أن قالوا لم يعلمنا أنا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير ومما يدل على صحة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ففى ذلك الدليل الواضح لمن فهم عن الله أن القوم قد كانوا للشوكة كارهين وان جدالهم كان فى القتال كما قال مجاهد كراهية منهم له وان لا معنى لما قال ابن زيد لان الذى قبل قوله يجادلونك فى الحق خبر عن أهل الايمان والذى يتلوه خبر عنهم فأن يكون خبرا عنهم أولى منه بأن يكون خبرا عمن لم يجر له ذكر وأما قوله بعدما تبين فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه بعدما تبين لهم أنك لا تفعل الا ما أمرك الله ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى بعدما تبين أنك لا تصنع الا ما أمرك الله به وقال آخرون معناه يجادلونك فى القتال بعدما أمرت به ذكر من قال ذلك روى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس وأما قوله كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون فان معناه كأن هؤلاء الذين يجادلونك فى لقاء العدو من كراهتهم للقائهم اذا دعوا الى لقائهم للقتال يساقون الى الموت وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون أى كراهة للقاء القوم وانكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم

۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم﴾ يقول تعالى ذكره واذكروا أيها القوم اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعنى احدى الفرقتين فرقة أبى سفيان بن حرب والعير وفرقة المشركين الذين نفروا من مكة لمنع عيرهم وقوله أنها لكم يقول ان ما معهم غنيمة لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم يقول وتحبون أن تكون تلك الطائفة التى ليست لها شوكة يقول ليس لها حد ولا فيها قتال أن تكون لكم يقول تودون أن تكون لكم العير التى ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاؤا لمنع عيرهم الذين فى لقائهم القتال والحرب وأصل الشوكة من الشوك وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** على بن نصر وعبد الوارث بن عبد الصمد قالا ثنا عبد الصمد بن

فى وقت كان من حق النعاس فى مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم وانما غشاكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل وقدم فوائد هذا النعاس فى سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم فى تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احداها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التى أصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاولى عام وهذه خاص وقيل المراد المنى لانه شئ مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون فى الآية دلالة على نجاسة المنى لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك أن المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون فى كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم أكثرهم فتمثل لهم ابليس فى صورة انسان فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا أن يجهدكم العطش فاذا قطع العطش أعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة

عبد الوارث قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة أن أباسفيان أقبل ومن معه من ركبان قريش مقبلين من الشأم فسلكوا طريق الساحل فلما سمع بهم النبي صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الاموال وبقلة عددهم فخرجوا لا يريدون الا أباسفيان والركب معه لا يرونها الا غنيمة لهم لا يظنون أن يكون كبير قتال اذا رأوهم وهي ما أنزل الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ندب المسلمين اليهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من الناس حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمدا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك واستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشا يستنفرهم الى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه فخرج ضمضم بن عمرو سريعا الى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج منه حتى اذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض الى حيث أمرك الله فنحن معك والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لئن سرت بنا الى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ثم دعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس وانما يريد الانصار وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الانصار ترى عليها نصرته الا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم قال فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق ان استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن يلقانا عدونا غدا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك ثم قال سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم غدا حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أباسفيان أقبل في عير من الشأم فيها تجارة قريش وهي اللطيمة فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قد أقبلت فاستنفر الناس فخرجوا معه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فبعث عينا له من جهينة حليفا للانصار يدعى ابن الأريقط فأتاه بخبر القوم وبلغ أباسفيان خروج محمد صلى الله عليه وسلم فبعث الى أهل مكة يستعينهم فبعث رجلا من بني غفار

فحزنوا حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ أصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد وأشار اليها بقوله ويثبت به أي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله ليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك أن من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم أي قواها ثبتت أقدامهم ومعنى على أن القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كأنه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه أن يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما أوقع فيها من اليقين روى أن المطر نزل على الكافرين أيضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على أن حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم أو منصوب بيثبت أو باذكر أني معكم الخطاب

يدعى ضمضم بن عمرو فخرج النبى صلى الله عليه وسلم ولا يشعر بخروج قريش فأخبره الله بخروجهم فتخوف من الانصار أن يخذلوه و يقولوا انا عاهدنا أن نمنعك ان أرادك أحد ببلدنا فاقبل على أصحابه فاستشارهم فى طلب العير فقال له أبو بكر رضى الله عنه انى قد سلكت هذا الطريق فانا أعلم به وقد فارقهم الرجل بمكان كذا وكذا فسكت النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد فشاورهم فجعلوا يشيرون عليه بالعير فلما أكثر المشورة تكلم سعد بن معاذ فقال يارسول الله أراك تشاور أصحابك فيشيرون عليك وتعود فتشاورهم فكأنك لا ترضى ما يشيرون عليك وكأنك تتخوف أن تتخلف عنك الانصار أنت رسول الله وعليك أنزل الكتاب وقد أمرك الله بالقتال ووعدك النصر والله لا يخلف الميعاد امض لما أمرت به فوالذى بعثك بالحق لا يتخلف عنك رجل من الانصار ثم قام المقداد بن الاسود الكندى فقال يارسول الله انا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول أقدم فقاتل انا معك مقاتلون ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال ان ربى وعدنى القوم وقد خرجوا فسيروا اليهم فساروا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال الطائفتان احداهما أبو سفيان بن حرب اذ أقبل بالعير من الشأم والطائفة الاخرى أبو جهل معه نفر من قريش فكره المسلمون الشوكة والقتال وأحبوا أن يلقوا العير وأراد الله ما أراد حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين قال أقبلت عير أهل مكة يريد من الشام فبلغ أهل المدينة ذلك فخرجوا ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدون العير فبلغ ذلك أهل مكة فسارعوا السير اليها لا يغلب عليها النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الله وعدهم احدى الطائفتين فكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما فلما سبقت العير وفاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين يريد القوم فكره القوم مسيرهم لشوكة فى القوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال أرادوا العير قال ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى شهر ربيع الاول فأغار كرز بن جابر الفهرى يريد سرح المدينة حتى بلغ الصفراء فبلغ النبى صلى الله عليه وسلم فركب فى أثره فسبقه كرز بن جابر فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فأقام سنته ثم ان أبا سفيان أقبل من الشأم فى عير لقريش حتى اذا كان قريبا من بدر نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم فأوحى اليه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فنفر النبى صلى الله عليه وسلم بجميع المسلمين وهم يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا منهم سبعون ومائتان من الانصار وسائرهم من المهاجرين وبلغ أبا سفيان الخبر وهو بالبطم فبعث الى جميع قريش وهم بمكة فنفرت قريش وغضبت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال كان جبريل عليه السلام قد نزل فأخبره بمسير قريش وهى تريد عيرها ووعده اما العير واما قريشا وذلك كان ببدر وأخذوا السقاة وسألوهم فأخبروهم فذلك قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هم أهل مكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم الى آخر الآية خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر وهم يريدون يعترضون عير القريش قال وخرج الشيطان فى صورة سراقة بن جعشم حتى أتى أهل مكة فاستغواهم وقال ان محمدا وأصحابه قد

للملائكة والمراد انى معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وقوله فثبتوا الذين آمنوا فى هذا التثبيت وجوه أحدها انه مفسر لقوله سألقى فاضربوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب فى قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم واجتماعهما غاية النصرة وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم فى القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين وثالثها أن الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال من معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق أعالى الاعناق التى هى المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها ازالة الرأس من الجسد وقيل أراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الأصابع سميت بذلك لان بها صلاح أحوال الانسان التى يريد أن يقيمها من أبن بالمكان أى أقام به والمراد فى الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم من قال المراد أن يضربوهم كما شاؤا لأن ما فوق العنق هو الرأس

عرضوا العيركم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس من مثلكم وانى جار لكم أن تكونوا على ما يكره الله فخرجوا ونادوا أن لا يتخلف عنا أحد الا هدمنا داره واستبحناه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالروحاء عينا للقوم فأخبره بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدكم العير أو القوم فكانت العير أحب الى القوم من القوم كان القتال فى الشوكة والعير ليس فيها قتال وذلك قول الله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قال الشوكة القتال وغير الشوكة العير حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن ابن أبى حبيب عن أبى عمران عن أبى أيوب قال أنزل الله جل وعز واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم فلما وعدنا احدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا والطائفتان عير أبى سفيان أو قريش حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران الانصارى أحسبه قال قال أبو أيوب واذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم قالوا الشوكة القوم وغير الشوكة العير فلما وعدنا الله احدى الطائفتين اما العير واما القوم طابت أنفسنا حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى يعقوب بن محمد قال ثنى غير واحد فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ان الشوكة قريش حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم هى عير أبى سفيان ودّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم أى الغنيمة دون الحرب وأما قوله أنها لكم ففتحت على تكرير يعد وذلك أن قوله يعدكم الله قد عمل فى احدى الطائفتين فتأويل الكلام واذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعدكم أن احدى الطائفتين لكم كما قال هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة قال وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فأنث ذات لانه مراد بها الطائفة ومعنى الكلام وتودون أن الطائفة التى هى غير ذات الشوكة تكون لكم دون الطائفة ذات الشوكة

القول فى تأويل قوله ﴿ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يحق الاسلام ويعليه بكلماته يقول بأمره اياكم أيها المؤمنون بقتال الكفار وأنتم تريدون الغنيمة والمال وقوله ويقطع دابر الكافرين يقول يريد أن يجب أصل الجاحدين توحيد الله وقد بينا فيما مضى معنى دابر وأنه المتأخر وأن معنى قطعه الاتيان على الجميع منهم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أن يقتل هؤلاء الذين أراد أن يقطع دابرهم هذا خير لكم من العير حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين أى الوقعة التى أوقع بصناديد قريش وقادتهم يوم بدر

القول فى تأويل قوله ﴿ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون﴾ يقول تعالى ذكره ويريد الله أن يقطع دابر الكافرين كيما يحق الحق كيما يعبد الله وحده دون الآلهة والاصنام ويعز الاسلام وذلك هو تحقيق الحق ويبطل الباطل يقول ويبطل عبادة الآلهة والاوثان والكفر ولو كره ذلك الذين أجرموا فاكتسبوا المآثم والاوزار من الكفار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون هم المشركون وقيل ان الحق فى هذا الموضع الله عز وجل

القول فى تأويل قوله ﴿اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ يقول تعالى ذكره ويبطل الباطل حين تستغيثون ربكم فاذ من صلة يبطل ومعنى قوله تستغيثون ربكم تستجيرون

وهو أشرف الاعضاء والبنان عبارة عن أضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه آخر الضرب اما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء آلات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوّز فى الكشاف أن يكون قوله سألقى الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به أى قولوا لهم قول سألقى أو يكون واردا على الاستئناف كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سألقى فالضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بأنهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذى نزل بهم فى ذلك اليوم شئ يسير وقدر نزر فى جنب ما أعد الله لهم ولأمثالهم فى الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب أى له والكاف فى ذلك للرسول أو لكل من له أهلية الخطاب وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر

به من عدوّكم وتدعونه للنصر عليهم فاستجاب لكم يقول فأجاب دعاءكم بأنى ممدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم بعضا ويتلو بعضهم بعضا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وجاءت الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار بذلك حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عكرمة بن عمار قال ثنى سماك الحنفى قال سمعت ابن عباس يقول ثنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وعدتهم ونظر الى أصحابه نيفا على ثلثمائة فاستقبل القبلة فجعل يدعو يقول اللهم أنجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه وأخذه أبو بكر الصديق رضى الله عنه فوضع رداءه عليه ثم التزمه من ورائه ثم قال كفاك يا نبى الله بأبى وأمى مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال لما اصطف القوم قال أبو جهل اللهم أولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الارض أبدا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال قام النبى صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ربنا أنزلت علىّ الكتاب وأمرتنى بالقتال ووعدتنى بالنصر ولا تخلف الميعاد فأتاه جبريل عليه السلام فأنزل الله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن ابن اسحق عن زيد بن نفيع قال كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم انصر هذه العصابة فانك ان لم تفعل لن تعبد فى الارض قال فقال أبو بكر بعض مناشدتك منجزك ما وعدك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره فأنزل الله عليه الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله اذ تستغيثون ربكم قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تستغيثون ربكم أى بدعائكم حين نظروا الى كثرة عدوهم وقلة عددهم فاستجاب لكم بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح قال لما كان يوم بدر جعل النبى صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النشدة يدعو فأتاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا رسول الله بعض نشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك وأما قوله أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين فقد بينا معناه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين يقول المزيد كما تقول ائت الرجل فزده كذا وكذا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أحمد بن بشير عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنى أبى عن سفيان عن هرون بن عنترة عن ابن عباس مثله حدثنى سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال وراء كل ملك ملك حدثنى ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبى كدينة يحيى بن المهلب عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس مردفين قال متتابعين قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج بن أرطاة عن قابوس قال سمعت أبا ظبيان يقول مردفين قال الملائكة

أو العذاب ذلكم أو النصب والتقدير عليكم ذلكم أى الزموه فذوقوه أو هو كقولك زيدا فاضربه قال فى الكشاف وأن للكافرين عطف على ذلكم فى وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذى لكم فى الآخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب قلت ويجوز أن يكون مبتدأ محذوف الخبر أى وان للكافرين عذاب النار حق أو بالعكس أى والحكم والشأن أن للكافرين وفى ذكر الذوق اشارة الى أن عذاب الدنيا شئ قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهرى أصل الزحف هو أن يزحف الصبى على استه قبل أن يقوم شبه بزحف الصبى مشى الطائفتين تمشى كل فئة مشيا رويدا الى الفئة الاخرى تتدانى للضرب فانتصابه على الحال من الفريقين أى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم ويجوز أن يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذى يرى لكثرته كأنه يزحف أى يدب دبيبا سمى بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم

بعضهم على اثر بعض قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال مردفين قال بعضهم على أثر بعض حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله مردفين قال ممدين قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير قال مردفين الارداف الامداد بهم حدثنى بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بألف من الملائكة مردفين أى متتابعين حدثنا محمد بن عبدالاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى بألف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مردفين قال المردفين بعضهم على أثر بعض يتبع بعضهم بعضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبامعاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بألف من الملائكة مردفين يقول متتابعين يوم بدر واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة مردفين بنصب الدال وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين والبصريين مردفين وكان أبو عمرو يقرؤه كذلك ويقول فيماذكر عنه هو من أردف بعضهم بعضا وأنكر هذا القول من قول أبى عمرو بعض أهل العلم بكلام العرب وقال انما الارداف أن يحمل الرجل صاحبه خلفه قال ولم يسمع هذا فى نعت الملائكة يوم بدر واختلف أهل العلم بكلام العرب فى معنى ذلك اذا قرئ بفتح الدال أو بكسرها فقال بعض البصريين والكوفيين معنى ذلك اذا قرئ بالكسر أن الملائكة جاءت يتبع بعضهم بعضا على لغة من قال أردفته وقالوا العرب تقول أردفته وردفته بمعنى تبعته وأتبعته واستشهد لصحة قولهم ذلك بما قال الشاعر

اذا الجوزاء أردفت الثريا * ظننت بآل فاطمة الظنونا

قالوا فقال الشاعر أردفت وانما أراد ردفت جاءت بعدها لان الجوزاء تجىء بعد الثريا وقالوا معناه اذا قرئ مردفين أنه مفعول بهم كأن معناه بألف من الملائكة يردف الله بعضهم بعضا وقال آخرون معنى ذلك اذا كسرت الدال أردفت الملائكة بعضها بعضا واذا قرئ بفتحها أردف الله المسلمين بهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأ بألف من الملائكة مردفين بكسر الدال لاجماع أهل التأويل على ماذكرت من تأويلهم أن معناه يتبع بعضهم بعضا ومتتابعين ففى اجماعهم على ذلك من التأويل الدليل الواضح على أن الصحيح من القراءة ما اخترنا فى ذلك من كسر الدال بمعنى أردف بعض الملائكة بعضا ومسموع من العرب جئت مردفا لفلان أى جئت بعده وأما قول من قال معنى ذلك اذا قرئ مردفين بفتح الدال أن الله أردف المسلمين بهم فقول لا معنى له اذ الذكر الذى فى مردفين من الملائكة دون المؤمنين وانما معنى الكلام أن عدكم بألف من الملائكة يردف بعضهم ببعض ثم حذف ذكر الفاعل وأخرج الخبر غير مسمى فاعله فقيل مردفين بمعنى مردف بعض الملائكة ببعض ولو كان الامر على ما قاله من ذكرنا قوله وجب أن يكون فى المردفين ذكر المسلمين لا ذكر الملائكة وذلك خلاف مادل عليه ظاهر القرآن وقد ذكر فى ذلك قراءة أخرى وهى ما حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبدالله بن يزيد مردفين ومردفين ومردفين مثقل على معنى مرتدفين حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا يعقوب بن محمد الزهرى قال ثنى عبدالعزيز بن عمران عن الربعى عن أبى الحويرث عن محمد ابن جبير عن على رضى الله عنه قال نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبى صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر رضى الله عنه ونزل ميكائيل عليه السلام فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنا فيها ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما جعله الله الا بشرى ولتطمئن

للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالتى المداناة والمساواة ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون أى اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم أو هو تقدمة نهى عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وفى قوله ومن يولهم يومئذ دبره أمارة عليه ثم بين أن الانهزام محرم الا فى حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل الى عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب أو متحيزا أى منحازا الى فئة الى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التى هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من أعم الاحوال ووجه صحته مع أنه ليس فى الكلام نفى ظاهرا هو أنه فى معنى النفى كأنه قيل ومن لا يقدم أولا يعطف عليهم فى حال من الاحوال الا فى حال التحرف أو التحيز ويجوز أن يكون الاستثناء تاما على أن الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل به ما فعل بأيام ولو كان

به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لم يجعل الله ارداف الملائكة بعضها بعضا وتتابعها بالمصير اليكم أيها المؤمنون مددا لكم الا بشرى لكم أى بشارة لكم تبشركم بنصر الله اياكم على أعدائكم ولتطمئن به قلوبكم يقول ولتسكن قلوبكم بمجيئها اليكم وتوقن بنصر الله لكم وما النصر الا من عند الله يقول وما تنصرون على عدوكم أيها المؤمنون الا أن ينصركم الله عليهم لا بشدة بأسكم وقواكم بل بنصر الله لكم لأن ذلك بيده واليه ينصر من يشاء من خلقه ان الله عزيز حكيم يقول ان الله الذى ينصركم وبيده نصر من يشاء من خلقه عزيز لا يقهره شئ ولا يغلبه غالب بل يقهر كل شئ ويغلبه لانه خلقه حكيم يقول حكيم فى تدبيره ونصره من نصر وخذلانه من خذل من خلقه لا يدخل تدبيره وهن ولا خلل وروى عن عبد الله بن كثير عن مجاهد فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى ابن كثير أنه سمع مجاهدا يقول ما مدّ النبى صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غير ألف من الملائكة مردفين وذكر الثلاثة والخمسة بشرى ما مدّوا بأكثر من هذه الالف الذى ذكر الله عز وجل فى الانفال وأما الثلاثة والخمسة فكانت بشرى وقد أتينا على ذلك فى سورة آل عمران عما فيه الكفاية ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ يقول تعالى ذكره ولتطمئن به قلوبكم اذ يغشيكم النعاس ويعنى بقوله يغشيكم النعاس يلقى عليكم النعاس أمنة يقول أمانا من الله لكم من عدوّكم أن يغلبكم وكذلك النعاس فى الحرب أمنة من الله عز وجل حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله قال النعاس فى القتال أمنة من الله عز وجل وفى الصلاة من الشيطان حدثنى الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى فى قوله يغشاكم النعاس أمنة منه عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه قال قال عبد الله فذكر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن عبد الله بنحوه والأمنة مصدر من قول القائل أمنت من كذا أمنة وأمانا وأمنا وكل ذلك بمعنى واحد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة منه أمانا من الله عز وجل قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أمنة قال أمانا من الله حدثنى يونس قال ثنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه قال أنزل الله عز وجل النعاس أمنة من الخوف الذى أصابهم يوم أحد فقرأ ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا واختلفت القراء فى قراءة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة يغشيكم النعاس بضم الياء وتخفيف الشين ونصب النعاس من أغشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأته عامة قراء الكوفيين يغشيكم بضم الياء وتشديد الشين من غشاهم الله النعاس فهو يغشيهم وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين يغشاكم النعاس بفتح الياء ورفع النعاس بمعنى غشيهم النعاس فهو يغشاهم واستشهد هؤلاء لصحة قراءتهم كذلك بقوله فى آل عمران يغشى طائفة * وأولى ذلك بالصواب اذ يغشيكم على ما ذكرت من قراءة الكوفيين لاجماع جميع القراء على قراءة قوله وينزل عليكم من السماء ماء بتوجيه ذلك الى انه من فعل الله عز وجل فكذلك الواجب أن يكون كذلك يغشيكم اذ كان قوله وينزل عطفا على يغشى ليكون الكلام متسقا على نحو واحد وأما قوله عز وجل وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به فان ذلك مطر

متفعلا لقيل متحوّزا عن ابن عمر خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم والعكرة الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف فى غير هاتين الصورتين من أكبر الكبائر واحتج القاضى بالآية على القطع بوعيد الفساق من أهل الصلاة وأجيب بأنه مشروط بعدم العفو وعن أبى سعيد الخدرى والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان أول جهاده فناسب التشديد ولهذا منع من أخذ الفداء وأكثر المفسرين على أنه عام فى جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال أكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت وأسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذى أنزل الملائكة وألقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوّى قلوبكم وربط

أنزله الله من السماء يوم بدر ليطهر به المؤمنين لصلاتهم لانهم كانوا أصبحوا يومئذ مجنبين على غير ماء فلما أنزل الله عليهم الماء اغتسلوا وتطهروا وكان الشيطان قد وسوس اليهم بما حزنهم به من اصباحهم مجنبين على غير ماء فأذهب الله ذلك من قلوبهم بالمطر فذلك ربطه على قلوبهم وتقويته أسبابهم وتثبيته بذلك المطر أقدامهم لانهم كانوا التقوا مع عدوهم على رملة هشاء فلبدها المطر حتى صارت الاقدام عليها ثابتة لا تسوخ فيها توطئة من الله عز وجل لنبيه عليه السلام وأوليائه أسباب التمكن من عدوهم والظفر بهم وبمثل الذى قلنا تتابعت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره من أهل العلم ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن حارثة عن على رضى الله عنه قال أصابنا من الليل طش من المطر يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجر والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرض على القتال حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث وأبو خالد عن داود عن سعيد بن المسيب ماء ليطهركم به قال طش يوم بدر حدثنى الحسن بن يزيد قال ثنا حفص عن داود عن سعيد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن أبى عدى وعبد الاعلى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب قالا طش يوم بدر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن الشعبى وسعيد بن المسيب فى هذه الآية ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان قالا طش كان يوم بدر فثبت الله به الأقدام حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الآية ذكر لنا أنهم مطروا يومئذ حتى سال الوادى ماء واقتتلوا على كثيب أعفر فلبده الله بالماء وشرب المسلمون وتوضؤا وسقوا وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال نزل النبى صلى الله عليه وسلم يعنى حين سار الى بدر والمسلمون بينهم وبين الماء رملة دعصة فأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان فى قلوبهم الغيظ فوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله وفيكم رسوله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم تصلون مجنبين فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجز الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا الى القوم وأمد الله نبيه بألف من الملائكة فكان جبريل عليه السلام فى خمسمائة من الملائكة مجنبة وميكائيل فى خمسمائة مجنبة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام وذلك أن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير ويقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظمأ فجعلوا يصلون مجنبين محدثين حتى تعاظم ذلك فى صدور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المسلمون وملؤا الاسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله فى ذلك طهورا وثبت الاقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله عليها المطر فضربها حتى اشتدت وثبتت عليها الاقدام حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون فسبقهم المشركون الى ماء بدر فنزلوا عليه وانصرف أبو سفيان وأصحابه تلقاء البحر فانطلقوا قال فنزلوا على أعلى الوادى ونزل محمد صلى الله عليه وسلم

عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ما وعدتنى فأتاه جبرائيل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلى أعطنى قبضة من حصباء الوادى فأعطاه فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت اذ رميت أى وما رميت أنت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى أثبت الرمية للرسول صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه عليه السلام ونفاها عنه لان أثرها فوق حد تأثير القوى البشرية قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كأنه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصباء فانهزمنا وعن سعيد بن المسيب عن أبيه قال أقبل أبى بن خلف يوم أحد الى النبى صلى الله عليه وسلم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلوا سبيله فاستقبله مصعب ابن عمير أخو بنى عبد الدار ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترقوة أبى من فرجة بين سابغة البيضة

في أسفله فكان الرجل من أصحاب محمد عليه السلام يجنب فلا يقدر على الماء فيصلي جنبا فألقى الشيطان في قلوبهم فقال كيف ترجون أن تظهروا عليهم وأحدكم يقوم الى الصلاة جنبا على غير وضوء قال فأرسل الله عليهم المطر فاغتسلوا وتوضؤا وشربوا واشتدت لهم الارض وكانت بطحاء تدخل فيها أرجلهم فاشتدت لهم من المطر واشتدوا عليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس غلب المشركون المسلمين في أول أمرهم على الماء فظمئ المسلمون وصلوا مجنبين محدثين وكانت بينهم رمال فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن فقال تزعمون أن فيكم نبيا وانكم أولياء الله وقد غلبتم على الماء وتصلون مجنبين محدثين قال فأنزل الله ماء من السماء فسال كل واد فشرب المسلمون وتطهروا وثبتت أقدامهم وذهبت وسوسة الشيطان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ماء ليطهركم به قال المطر أنزله عليهم قبل النعاس رجز الشيطان قال وسوسته قال فأطفأ بالمطر الغبار والتبدت به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به أنزله عليهم قبل النعاس طبق بالمطر الغبار والبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به الاقدام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ماء ليطهركم به قال القطر ويذهب عنكم رجز الشيطان وساوسه أطفأ بالمطر الغبار ولبد به الارض وطابت به أنفسهم وثبتت به أقدامهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد رجز الشيطان وسوسته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال هذا يوم بدر أنزل عليهم القطر وليذهب عنكم رجز الشيطان الذي ألقى في قلوبكم ليس لكم بهؤلاء طاقة وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذ يغشاكم النعاس أمنة منه الى قوله ويثبت به الاقدام ان المشركين نزلوا بالماء يوم بدر وغلبوا المسلمين عليه فأصاب المسلمين الظمأ وصلوا محدثين مجنبين فألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن ووسوس فيها انكم تزعمون أنكم أولياء الله وان محمدا نبي الله وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين فأمطر الله السماء حتى سال كل واد فشرب المسلمون وملؤا أسقيتهم وسقوا دوابهم واغتسلوا من الجنابة وثبت الله به الاقدام وذلك أنهم كان بينهم وبين عدوهم رملة لا تجوزها الدواب ولا يمشي فيها الماشي الا بجهد فضربها الله بالمطر حتى اشتدت وثبتت فيها الاقدام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يغشاكم النعاس أمنة منه أي أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون وينزل عليكم من السماء المطر الذي أصابهم تلك الليلة فحبس المشركون أن يسبقوا الى الماء وخلى سبيل المؤمنين اليه ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام ليذهب عنهم شك الشيطان بتخويفه اياهم عدوهم واستجلاد الارض لهم حتى انتهوا الى منزلهم الذي سبق اليه عدوهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة وقيامهم يصلون بغير وضوء فقال اذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام حتى تشتدون على الرمل وهو كهيئة الارض حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود بن أبي هند قال قال رجل عند

والدرع فطعنه بحربته فسقط أبي من فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من أضلاعه فأتاه أصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما أعجزك انما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعين فمات أبي الى النار قبل أن يقدم مكة فأنزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقيل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فأقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن أبي الحقيق وهو على فراشه وأصح الاقوال هو الاول كيلا يدخل في أثناء القصة كلام أجنبي نعم لا يبعد أن يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل وما فعله الا لذلك قال القاضي ولولا أن المفسرين أجمعوا على أن معنى البلاء ههنا النعمة والا لكان يحتمل المحنة أي الذي فعله تعالى يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض أي الغرض ذلكم وان

سعيد بن المسيب وقال مرة قرأ و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم بها فقال سعيد انما هي
و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به قال وقال الشعبي كان ذلك طشا يوم بدر وقد زعم بعض
أهل العلم بالغريب من أهل البصرة أن مجاز قوله و يثبت به الاقدام و يفرغ عليهم الصبر و ينزله عليهم
فيثبتون لعدوهم وذلك قول خلاف لقول جميع أهل التأويل من الصحابة والتابعين وحسب
قول خطأ أن يكون خلافا لقول من ذكرنا وقد بينا أقوالهم فيه وأن معناه و يثبت أقدام المؤمنين
بتلبيد المطر الرمل حتى لا تسوخ فيه أقدامهم وحوافر دوابهم وأما قوله اذ يوحي ربك الى الملائكة
أني معكم أنصركم فثبتوا الذين آمنوا يقول قووا عزمهم وصححوا نياتهم في قتال عدوهم من
المشركين وقد قيل ان تثبيت الملائكة المؤمنين كان حضورهم حربهم معهم وقيل كان ذلك معونتهم
اياهم بقتال أعدائهم وقيل كان ذلك بأن الملك يأتي الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقول
سمعت هؤلاء القوم يعني المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن فيحدث المسلمون بعضهم
بعضا بذلك فتقوى أنفسهم قالوا وذلك كان وحي الله الى ملائكته وأما ابن اسحق فانه قال بما
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فثبتوا الذين آمنوا أي فآزروا الذين آمنوا
۞ القول في تأويل قوله ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا
منهم كل بنان﴾ يقول تعالى ذكره سأرعب قلوب الذين كفروا بي أيها المؤمنون منكم وأملؤها
فرقا حتى ينهزموا عنكم فاضربوا فوق الاعناق واختلف أهل التأويل في تأويل قوله فوق الاعناق
فقال بعضهم معناه فاضربوا الاعناق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس
عن أبيه عن عطية فاضربوا فوق الاعناق قال اضربوا الاعناق قال ثنا أبي عن المسعودي
عن القاسم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم أبعث لأعذب بعذاب الله انما بعثت لضرب
الأعناق وشد الوثاق حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان
قال سمعت الضحاك يقول في قوله فاضربوا فوق الاعناق يقول اضربوا الرقاب واحتج قائلو هذه
المقالة بأن العرب تقول رأيت نفس فلان بمعنى رأيته قالوا فكذلك قوله فاضربوا فوق الاعناق
انما معناه فاضربوا الاعناق وقال آخرون بل معنى ذلك فاضربوا الرؤس ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال وحدثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فاضربوا فوق
الاعناق قال الرؤس واعتل قائلو هذه المقالة بأن الذي فوق الاعناق الرؤس قالوا وغير جائز أن تقول
فوق الاعناق فيكون معناه الاعناق قالوا ولو جاز ذلك كان أن يقال تحت الاعناق فيكون معناه
الاعناق قالوا وذلك خلاف المعقول من الخطاب وقلب معاني الكلام وقال آخرون معنى ذلك
فاضربوا على الاعناق وقالوا على وفوق معناهما متقارب بان جاز أن يوضع أحدهما مكان الآخر *
والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين معلمهم كيفية قتل المشركين وضربهم
بالسيف أن يضربوا فوق الاعناق منهم والأيدي والأرجل وقوله فوق الاعناق محتمل أن يكون
مرادا به الرؤس ومحتمل أن يكون مرادا به فوق جلدة الاعناق فيكون معناه على الاعناق واذا
احتمل ذلك صح قول من قال معناه الاعناق واذا كان الامر محتملا ما ذكرنا من التأويل لم يكن
لنا أن نوجهه الى بعض معانيه دون بعض الا بحجة يجب التسليم لها ولا حجة تدل على خصوصه
فالواجب أن يقال ان الله أمر بضرب رؤس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم أصحاب نبيه
صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرا وأما قوله واضربوا منهم كل بنان فان معناه واضربوا
أيها المؤمنون من عدوكم كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم والبنان جمع بنانة
وهي أطراف أصابع اليدين والرجلين ومن ذلك قول الشاعر

الله موهن كيد الكافرين اعرابه
كما مر في قوله وأن للكافرين عذاب
النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله
صلى الله عليه وسلم و يقول اني قد
أوهنت كيد عدوك حتى قتلت
جبابرتهم وأسرت أشرافهم قال
السدي والكلبي والحسن كان
المشركون حين خرجوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة
أخذوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم
انصر أعلى الجندين وأهدى
الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل
الدينين فأنزل الله تعالى خطابا لهم
على سبيل التهكم ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال
المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به
محمد فافتح بيننا و بينه بالحق فنزلت
وروى أن أبا جهل قال يوم بدر
اللهم أينا كان أفجر وأقطع للرحم
فأحنه اليوم أي فأهلكه وقيل
انه خطاب للمؤمنين الذين
استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم
خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا
أي عن عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو خير لكم وأسلم وان
تعودوا والمحاربة نعد لنصرته عليكم
وجوز بعضهم أن يكون الخطاب في
الجميع للمؤمنين أي ان تكفوا عن
المنازعة في أمر القتال أو عن طلب
الفداء فهو خير لكم وان تعودوا

الا لبنى قطعت منه بنانة * ولاقيته فى البيت يقظان حاذرا

يعنى بالبنانة واحدة البنان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية واضربوا منهم كل بنان قال المفاصل قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك واضربوا منهم كل بنان قال كل مفصل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف ويقال كل مفصل حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس واضربوا منهم كل بنان يعنى بالبنان الاطراف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واضربوا منهم كل بنان قال الاطراف حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واضربوا منهم كل بنان يعنى الاطراف

القول فى تأويل قوله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) يعنى تعالى ذكره بقوله ذلك بأنهم هذا الفعل من ضرب هؤلاء الكفرة فوق الاعناق وضرب كل بنان منهم جزاء لهم بشقاقهم الله ورسوله وعقاب لهم عليه ومعنى قوله شاقوا الله ورسوله فارقوا أمر الله ورسوله وعصوهما وأطاعوا أمر الشيطان ومعنى قوله ومن يشاقق الله ورسوله ومن يخالف أمر الله وأمر رسوله وفارق طاعتهما فان الله شديد العقاب له وشدة عقابه له فى الدنيا احلاله به ما كان يحل بأعدائه من النقم وفى الآخرة الخلود فى نار جهنم وحذف له من الكلام لدلالة الكلام عليها

القول فى تأويل قوله (ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) يقول تعالى ذكره هذا العقاب الذى عجلته لكم أيها الكافرون المشاقون لله ورسوله فى الدنيا من الضرب فوق الاعناق منكم وضرب كل بنان بأيدى أوليائى المؤمنين فذوقوه عاجلا واعلموا أن لكم فى الآجل والمعاد عذاب النار ولفتح أن من قوله وأن للكافرين من الاعراب وجهان أحدهما الرفع والآخر النصب فأما الرفع فبمعنى ذلكم فذوقوه ذلكم وأن للكافرين عذاب النار بنية تكرير ذلكم كأنه قيل ذلكم الامر وهذا وأما النصب فمن وجهين أحدهما ذلكم فذوقوه واعلموا أو وأيقنوا أن للكافرين فيكون نصبه بنية فعل مضمر قال الشاعر

ورأيت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

بمعنى وحاملا رمحا والآخر بمعنى ذلكم فذوقوه وبأن للكافرين عذاب النار ثم حذفت الباء فنصبت

القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) يعنى تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم الذين كفروا فى القتال زحفا يقول متزاحفا بعضكم الى بعض والتزاحف التدانى والتقارب فلا تولوهم الادبار يقول فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم ولكن اثبتوا لهم فان الله معكم عليهم ومن يولهم يومئذ دبره يقول ومن يولهم منكم ظهره الا متحرفا لقتال يقول الا مستطردا لقتال عدوه بطلب عورة له يمكنه اصابتها فيكر عليه أو متحيزا الى فئة أو الا أن يوليهم ظهره متحيزا الى فئة يقول صائرا الى حيز المؤمنين الذين يفيئون به معهم اليهم لقتالهم ويرجعون به معهم اليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو خالد الاحمر عن جويبر عن الضحاك الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة قال المتحرف المتقدم من أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها قال والمتحيز الفار الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكذلك من فر اليوم الى أميره أو أصحابه قال

الى تلك المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك (التأويل) اذ يغشاكم النعاس أمنة فيه تقليب الحال الى ضده بأمر التكوين كما قال النار كونى بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن أمنا على محمد وأصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروحانية ماء الالهام الربانى ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب انى معكم فثبتوا فيه أن التثبيت من الله لا من غيره وكذلك القاء الرعب فى قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا تنهزموا فتقعدوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا قلبا يتحرف ليتهيأ لأسباب القتال مع النفس أو راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها أو الى ولاية الشيخ أو الى حضرة الله تعالى مستمدا فى قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها تورث المشاهدة فلم تقتلوهم

الضحاك وانما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفروا وانما كان النبي عليه الصلاة والسلام فئتهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة أما المتحرف يقول الا مستطردا يريد العودة أو متحيزا الى فئة قال المتحيز الى الامام وجنده ان هو كر فلم يكن له بهم طاقة ولا يعذر الناس وان كثروا أن يولوا عن الامام واختلف أهل العلم في حكم قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم هل هو خاص في أهل بدر أم هو في المؤمنين جميعا فقال قوم هو لأهل بدر خاصة لانه لم يكن لهم أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عدوه وينهزموا عنه فأما اليوم فلهم الانهزام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة في قول الله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر ولم يكن لهم أن ينحازوا ولو انحازوا أحد لم ينحاز الا الى قال أبو موسى يعني الى المشركين حدثنا اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره ثم ذكر نحوه الا أنه قال ولو انحازوا انحازوا الى المشركين ولم يكن يومئذ مسلم في الارض غيرهم حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن مفضل قال ثنا داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال نزلت في يوم بدر ومن يولهم يومئذ دبره حدثنا ابن المثنى وعلي بن مسلم الطوسي قال ابن المثنى ثني عبد الصمد وقال علي ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة عن داود يعني ابن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد ومن يولهم يومئذ دبره قال يوم بدر قال أبو موسى حدثت أن في كتاب غندر هذا الحديث عن داود عن الشعبي عن أبي سعيد حدثنا أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا علي بن عاصم عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال انما كان ذلك يوم بدر لم يكن للمسلمين فئة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبي نضرة ومن يولهم يومئذ دبره قال هذه نزلت في أهل بدر حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال كتبت الى نافع أسأله عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره أكان ذلك اليوم أم هو بعد قال وكتب الي انما كان ذلك يوم بدر حدثنا علي بن سهل قال ثنا زيد عن سفيان عن جويبر عن الضحاك قال انما كان الفرار يوم بدر ولم يكن لهم ملجأ يلجؤن اليه فأما اليوم فليس فرار حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن الربيع عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة ليس الفرار من الزحف من الكبائر قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن الضحاك ومن يولهم يومئذ دبره قال كانت هذه يوم بدر خاصة قال ثنا روح بن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال نزلت في أهل بدر حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلكم يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن ومن يولهم يومئذ دبره قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فان انحاز الى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس به حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن ابن عون قال كتبت الى نافع ومن يولهم يومئذ دبره قال انما هذا يوم بدر حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن لهيعة قال ثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله لمن فر يوم بدر النار قال ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ثم كان حنين بعد ذلك بسبع سنين فقال ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء

نفى القتل عن الصحابة بالكلية وأحاله الى نفسه فقال ولكن ولم ينف الرمي عن النبي بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة وكأن يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيي الموتى وليبلي المؤمنين منه فيجتهدوا في متابعته الى أن يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا أي تفتحوا أبواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح بالتجلي فانه تعالى متجل في ذاته أزلا وأبدا فلا تغير له وانما التغير في أحوال الخلق فهم عند انغلاق أبواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح أبوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكالكم ونكلكم الى أنفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء مما أعد لأهل الله وخاصته (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين

حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن محمد أن عمر رضي الله عنه بلغه قتل أبي
عبيد فقال لو تحيز الي لكنت له فئة حدثني المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن جرير
ابن حازم قال ثني قيس بن سعد قال سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله ومن يولهم يومئذ دبره
قال هذه منسوخة بالآية التي في الانفال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن
منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين قال وليس لقوم أن يفروا من مثليهم قال ونسخت تلك الا هذه العدة
حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن سليمان التيمي عن أبي عثمان قال لما
قتل أبو عبيد جاء الخبر الى عمر فقال يا أيها الناس أنا فئتكم قال ابن المبارك عن معمر وسفيان
الثوري وابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال عمر رضي الله عنه أنا فئة كل مسلم
* وقال آخرون بل هذه الآية حكمها عام في كل من ولى الدبر عن العدو منهزما ذكر من قال ذلك
حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس
قال أكبر الكبائر الشرك بالله والفرار من الزحف لان الله عز وجل يقول ومن يولهم يومئذ دبره
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير * وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب
عندي قول من قال حكمها محكم وانها نزلت في أهل بدر وحكمها ثابت في جميع المؤمنين وان
الله حرم على المؤمنين اذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين الا لتحرف لقتال أو لتحيز الى فئة
من المؤمنين حيث كانت من أرض الاسلام وان من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزما بغير
نية احدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما فقد استوجب من الله وعيده الا أن يتفضل
عليه بعفوه وانما قلنا هي محكمة غير منسوخة لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أنه
لا يجوز أن يحكم لحكم آية بنسخ وله في غير النسخ وجه الا بحجة يجب التسليم لها من خبر يقطع
العذر أو حجة عقل ولا حجة من هذين المعنيين تدل على نسخ حكم قول الله عز وجل ومن يولهم
يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وأما قوله فقد باء بغضب من الله يقول فقد رجع
بغضب من الله ومأواه جهنم يقول ومصيره الذي يصير اليه في معاده يوم القيامة جهنم وبئس المصير
يقول وبئس الموضع الذي يصير اليه ذلك المصير (ق) القول في تأويل قوله ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله
قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم﴾
يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل أعداء
دينه معه من كفار قريش فلم تقتلوا المشركين أيها المؤمنون أنتم ولكن الله قتلهم وأضاف
جل ثناؤه قتلهم الى نفسه ونفاه عن المؤمنين به الذين قاتلوا المشركين اذ كان جل ثناؤه هو
مسبب قتلهم وعن أمره كان قتال المؤمنين اياهم ففي ذلك أدل الدليل على فساد قول المنكرين أن
يكون لله في أفعال خلقه صنع به وصلوا اليها وكذلك قوله لنبيه عليه السلام وما رميت اذ رميت ولكن
الله رمى فأضاف الرمي الى نبي الله ثم نفاه عنه وأخبر عن نفسه أنه هو الرامي اذ كان جل ثناؤه هو
الموصل المرمى به الى الذين رموا به من المشركين والمسبب الرمية لرسوله فيقال للمسلمين ما ذكرنا قد
علمتم اضافة الله رمى نبيه صلى الله عليه وسلم المشركين الى نفسه بعد وصفه نبيه به واضافته اليه ذلك
فعل واحد كان من الله بتسبيبه وتسديده ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحذف والارسال فما
تنكرون أن يكون كذلك سائر أفعال الخلق المكتسبة من الله الانشاء والانجاز بالتسبيب ومن الخلق
الاكتساب بالقوى فلن يقولوا في أحدهما قولا الا ألزموا في الآخر مثله وبنحو ما قلنا في ذلك قال
أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فلم تقتلوهم لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين قال هذا قتلت

آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا
اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله
يحول بين المرء وقلبه وانه اليه
تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن
الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم
قليل مستضعفون في الارض
تخافون أن يتخطفكم الناس
فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من
الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها
الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون
واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة
وأن الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين
آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر
لكم والله ذو الفضل العظيم واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو
يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين﴾
القراآت ولا تولوا بالادغام البزي
وابن فليح (ق) الوقوف تسمعون
ج للآية والعطف لا يسمعون ه
لا يعقلون ه لاسمعهم ط معرضون
ه لما يحييكم ج لعطف المتفقتين
مع اعتراض الظرف تحشرون
ه خاصة ج لما مر العقاب ه
تشكرون ه تعلمون ه فتنة
لا للعطف عظيم ه ويغفر لكم
ط العظيم ه أو يخرجوك ط

وهذا قتلت وما رميت اذ رميت قال لمحمد حين حصب الكفار حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن
ثور عن معمر عن قتادة وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال رماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحصباء يوم بدر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة
قال ما وقع منها شئ الا في عين رجل حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا
أبي قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة قال لما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال
هذه مصارعهم ووجد المشركون النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم اليه ونزل عليه فلما طلعوا عليه
زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب
رسولك اللهم اني أسألك ما وعدتني فلما أقبلوا استقبلهم فحثا في وجوههم فهزمهم الله عز وجل
حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا يعقوب بن محمد قال ثنا عبد العزيز بن عمران قال ثنا موسى
ابن يعقوب بن عبد الله بن زمعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن حكيم
ابن حزام قال لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى
رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا
أبو معشر عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالا لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه فدخلت
في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم
في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى الآية الى ان الله
سميع عليم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما رميت اذ رميت
الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار فهزموا
عند الحجر الثالث حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين التقى الجمعان يوم بدر لعلي رضي الله عنه أعطني حصا
من الارض فناوله حصى عليه تراب فرمى به وجوه القوم فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه من ذلك
التراب شئ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فذكر رمية النبي صلى الله عليه وسلم فقال فلم
تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب
قال قال ابن زيد في قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاث حصيات فرمى بحصاة في ميمنة القوم وحصاة في ميسرة القوم وحصاة بين
أظهرهم وقال شاهت الوجوه فانهزموا فذلك قول الله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال رفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده يوم بدر فقال يا رب ان تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الارض أبدا فقال له
جبريل خذ قبضة من التراب فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين من أحد
الا أصاب عينيه ومنخريه وفمه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق قال قال الله عز وجل في رمي رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين بالحصباء
من يده حين رماهم ولكن الله رمى أي لم يكن ذلك برميتك لولا الذي جعل الله فيها من نصرك وما ألقى
في صدور عدوك منها حين هزمتهم وروي عن الزهري في ذلك قول خلاف هذه الاقوال وهو ما حدثنا
الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وما رميت اذ رميت قال جاء أبي

ويمكر الله ط الماكرين ٥ *
(التفسير) انه سبحانه بعد ذكر نحو
من قصة بدر والغنائم أدب المؤمنين
أحسن تأديب فأمرهم بطاعته
وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها
ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير
لأن التولي انما يصح في حق الرسول
بان يعرضوا عنه وعن قبول قوله وعن
معونته في الجهاد أو لأن طاعة
الرسول وطاعة الله شئ واحد فكان
رجوع الضمير الى أحدهما كرجوعه
اليهما كقوله والله ورسوله أحق أن
يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال
لا ينفع في فلان وجوز أن يرجع الى
الامر بالطاعة أي لا تولوا عن هذا
الامر وامتثاله وأنتم تسمعون لم يبين
أنهم ماذا يسمعون الا أنه يعلم من
مساق الكلام في السورة أن المراد
وأنتم تسمعون دعاءه الى الجهاد أو
المراد وأنتم تسمعون الامر المذكور
أو وأنتم تصدقون بدليل قوله ولا
تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم
لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فلا يصح دعوى السماع منهم
وتحقيق ذلك ان الانسان لا يمكنه
أن يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد
أن يسمعه فجعل السماع كناية عن
القبول ثم أكد التكاليف
المذكورة بقوله ان شر الدواب أي
ان شر من يدب على الارض أو ان

ابن

ابن خلف الجمحى الى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال الله محيى هذا يا محمد وهو رميم وهو يفت العظم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يحييه الله ثم يميتك ثم يدخلك النار قال فلما كان يوم أحد قال والله لأقتلن محمدا اذا رأيته فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال بل أنا أقتله ان شاء الله وأما قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا فان معناه ولينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر باعدائهم ويغنمهم ما معهم ويثبت لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك البلاء الحسن رمى الله هؤلاء المشركين ويعنى بالبلاء الحسن النعمة الحسنة الجميلة وهى ما وصفت وما فى معناه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا أى ليعرف المؤمنين من نعمه عليهم فى اظهارهم على عدوهم مع كثرة عددهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه وليشكروا بذلك نعمته وقوله ان الله سميع عليم يعنى ان الله سميع أيها المؤمنون لدعاء النبى صلى الله عليه وسلم ومناشدته ربه ومسئلته اياه اهلاك عدوه وعدوكم ولقيلكم وقيل جميع خلقه عليم بذلك كله وبما فيه صلاحكم وصلاح عباده وغير ذلك من الاشياء محيط به فاتقوه وأطيعوا أمره وأمر رسوله ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ذلكم هذا الفعل من قتل المشركين ورميهم حتى انهزموا وابتلاء المؤمنين البلاء الحسن بالظفر بهم وامكانهم من قتلهم وأسرهم فعلنا الذى فعلنا وأن الله موهن كيد الكافرين يقول واعلموا أن الله مع ذلك مضعف كيد الكافرين يعنى مكرهم حتى يذلوا وينقادوا للحق ويهلكوا وفى فتح أن من الوجوه ما فى قوله ذلكم فذوقوه وأن للكافرين وقد بينته هنالك وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله موهن فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض المكيين والبصريين موهن بالتشديد من وهنت الشئ ضعفته وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين موهن من أوهنته فأنا موهنه بمعنى أضعفته والتشديد فى ذلك أعجب الى لان الله تعالى كان ينقض ما يبرمه المشركون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عقدا بعد عقد وشيأ بعد شئ وان كان الآخر وجها صحيحا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى ان تستحكموا الله على أقطع الحزبين للرحم وأظلم الفئتين وتستنصروه عليه فقد جاءكم حكم الله ونصره المظلوم على الظالم والمحق على المبطل وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء قال ثنا سويد بن عمرو الكلبى عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستقضوا فقد جاءكم القضاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يعنى بذلك المشركين ان تستنصروا فقد جاءكم المدد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى عبد الله بن كثير عن ابن عباس قوله ان تستفتحوا قال ان تستقضوا القضاء وانه كان يقول وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ قلت للمشركين قال لا نعلم الا ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال كفار قريش فى قولهم ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه ففتح بينهم يوم بدر حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن

شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة الا أنه ذكر فى معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو شبح وجسد والثانى مذكور فى معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم أضل ومعنى عند الله أى فى حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم أى فى هؤلاء الصم البكم خيرا لأسمعهم عن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب وقيل بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وروى أنهم سألوا النبى أن يحيى لهم قصى ابن كلاب وغيره من أمواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لأحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه تعالى علم منهم أنهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد والتعنت وأنهم لو أسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولأعرضوا عنه على عادتهم المستمرة * واعلم أن معلومات الله تعالى على أربعة أقسام جملة الموجودات وجملة

معمر عن الزهرى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل فقال اللهم يعنى محمدا
ونفسه أينا كان أفجر لك اللهم وأقطع للرحم فأحنه اليوم قال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح قال استفتح أبو جهل بن هشام فقال اللهم أينا كان أفجر لك وأقطع للرحم فأحنه
اليوم يعنى محمدا عليه الصلاة والسلام ونفسه قال الله عز وجل ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
فضربه ابنا عفراء عوف ومعوذ وأجهز عليه ابن مسعود حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى
الليث قال ثنى عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الله بن ثعلبة بن صعير العدوى حليف بنى زهرة
أن المستفتح يومئذ أبو جهل وأنه قال حين التقى القوم أينا أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف فأحنه
الغداة فكان ذلك استفتاحه فأنزل الله فى ذلك ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية يقول قد كانت بدر
قضاء وعبرة لمن اعتبر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى
قال كان المشركون حين خرجوا الى النبى صلى الله عليه وسلم من مكة أخذوا بأستار الكعبة
واستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعز الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول نصرت ما قلتم وهو محمد صلى الله عليه وسلم حدثت عن الحسين
ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان
تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وأن الله مع المؤمنين وذلك حين خرج المشركون ينظرون
عيرهم وان أهل العير أبا سفيان وأصحابه أرسلوا الى المشركين بمكة يستنصرونهم فقال أبو جهل أينا
كان خيرا عندك فانصره وهو قوله ان تستفتحوا يقول تستنصروا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن
وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ان تستفتحوا العذاب فعذبوا
يوم بدر قال وكان استفتاحهم بمكة قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة
من السماء أو ائتنا بعذاب أليم قال فجاءهم العذاب يوم بدر وأخبر عن يوم أحد وان تعودوا نعد ولن
تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل
عن مطرف عن عطية قال قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أهدى الفئتين وخير الفئتين وأفضل
فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال ثنا عبد الاعلى عن معمر عن الزهرى أن أبا جهل هو
الذى استفتح يوم بدر وقال اللهم أينا كان أفجر وأقطع لرحمه فأحنه اليوم فأنزل الله ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح قال ثنا يزيد بن هرون عن ابن اسحق عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير
أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أقطعنا الرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة وكان ذلك استفتاحا
منه فنزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الآية قال ثنا يحيى بن آدم عن ابراهيم بن سعد عن صالح
ابن كيسان عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير قال كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال
اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنى محمد بن مسلم الزهرى عن عبد الله
ابن ثعلبة بن صعير حليف بنى زهرة قال لما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض قال أبو جهل اللهم
أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه قال ابن اسحق
فقال الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح لقول أبى جهل اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف
فأحنه الغداة قال الاستفتاح الانصاف فى الدعاء حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال
ثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان وغيره قال أبو جهل يوم بدر اللهم انصر أحب الدينين اليك ديننا

المعدومات وان كل واحد من
الموجودات لو كان معدوما فكيف
يكون حاله وان كل واحد من
المعدومات لو كان موجودا فكيف
يكون حاله والأولان علم بالواقع
والآخران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا
القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا
لأسمعهم وتقدير الكلام لو حصل
فيهم خير لأسمعهم الله الحجج والمواعظ
فعبر عن عدمه فى نفسه بعدم علم الله
بوجوده وأورد على الآية أنها على
صورة قياس شرطى فاذا حذفنا الحد
الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم
خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت
للدلالة على انتفاء الشئ لانتفاء غيره
فيكون التولى منتفيا لاجل انتفاء
علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير
فيهم لكن انتفاء التولى خير من
الخيرات فأول الكلام يقتضى نفى الخير
عنهم وآخره يقتضى حصول الخير
فيهم وهذا تناقض والجواب المنع
من أن الحد الاوسط مكرر لان
المراد بالاسماع الاول اسماع
التفهم والزام القبول والمراد
بالاسماع الثانى صورة الاسماع
فحسب وأيضا كلمة لو فى المقدمة
الثانية هى التى تجىء للمبالغة بمعنى
ان كقوله صلى الله عليه وسلم نعم
العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه
فاذا لا تعلق لاحدى الجملتين

العتيق أم دينهم الحديث فأنزل الله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح الى قوله وان الله مع المؤمنين
وأما قوله وان تنتهوا فهو خير لكم فانه يقول وان تنتهوا يا معشر قريش وجماعة الكفار عن
الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به فهو خير لكم فى دنياكم وآخرتكم وان
تعودوا نعد يقول وان تعودوا للحرب وقتاله وقتال أتباعه المؤمنين نعد أى بمثل الواقعة التى أوقعت
بكم يوم بدر وقوله ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت يقول وان تعودوا نعد لهلاككم
بايدى أوليائى وهزيمتكم ولن تغنى عنكم عند عودى لقتلكم بأيديهم وسبيكم وهزمكم فئتكم
شيأ ولو كثرت يعنى جندهم وجماعتهم من المشركين كما لم يغنوا عنهم يوم بدر مع كثرة عددهم وقلة
عدد المؤمنين شيأ وان الله مع المؤمنين يقول جل ذكره وأن الله مع من آمن به من عباده على
من كفر به منهم ينصرهم عليهم أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين وبنحو الذى
قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن
ابن اسحق فى قوله وان تنتهوا فهو خير لكم قال يقول لقريش وان تعودوا نعد لمثل الوقعة التى
أصابتكم يوم بدر ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين أى وان كثر عددكم
فى أنفسكم لن يغنى عنكم شيأ وان الله مع المؤمنين ينصرهم على من خالفهم وقد قيل ان معنى قوله
وان تعودوا نعد وان تعودوا للاستفتاح نعد لفتح محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول لا معنى له
لان الله تعالى قد كان ضمن لنبيه عليه السلام حين أذن له فى حرب أعدائه اظهار دينه واعلاء كلمته
من قبل أن يستفتح أبو جهل وحزبه فلا وجه لأن يقال والامر كذلك ان تنتهوا عن الاستفتاح فهو
خير لكم وان تعودوا نعد لان الله قد كان وعد نبيه صلى الله عليه وسلم الفتح بقوله اذن للذين يقاتلون
بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير استفتح المشركون أو لم يستفتحوا ذكر من قال ذلك حدثنا
محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان تعودوا نعد ان تستفتحوا
الثانية نفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين
محمد وأصحابه واختلفت القراء فى قراءة قوله وان الله مع المؤمنين ففتحها عامة قراء أهل المدينة
بمعنى ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين فعطف بأن على موضع ولو كثرت
كأنه قال لكثرتها ولان الله مع المؤمنين ويكون موضع أن حينئذ نصبا على هذا القول وكان بعض
أهل العربية يزعم أن فتحها اذا فتحت على وان الله موهن كيد الكافرين وان الله مع المؤمنين عطفا
بالاخرى على الاولى وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين والبصريين وان الله بكسر الالف على الابتداء
واعتلوا بانها فى قراءة عبد الله وان الله لمع المؤمنين وأولى القراءتين بالصواب قراءة من كسر ان
للابتداء لتقضى الخبر قبل ذلك عما يقضى قوله وان الله مع المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله
﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها
الذين صدقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه ولا تولوا عنه يقول
ولا تدبروا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخالفين أمره ونهيه وأنتم تسمعون أمره اياكم
ونهيه وأنتم به مؤمنون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا
أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون أى لا تخالفوا أمره وأنتم تسمعون لقوله وتزعمون
انكم مؤمنون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ يقول
تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أيها المؤمنون
فى مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمشركين الذين اذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا قد

بالاخرى فلا قياس واستدلت
الاشاعرة بالآية على أن صدور
الايمان عن الكافر محال لان
الصادق قد أخبر أنهم على تقدير
الاسماع معرضون وخلاف علمه
وخبره محال وقال فى الكشاف لو علم
الله فيهم خيرا أى انتفاعا باللطف
للطف بهم حتى يسمعوا سماع
المصدقين ولو لطف بهم لما
نفع فيهم اللطف فلذلك
منعهم ألطافه أو ولو لطف
بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك
وكذبوا ولم يستقيموا وتزييف هذا
التفسير سهل ثم علم المؤمنين أدبا
آخر فقال استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد
بالاستجابة الطاعة والامتثال
وبالدعوة البعث والتحريض عن
أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه
وسلم مر على باب أبى بن كعب
فناداه وهو فى الصلاة فعجل فى
صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن
اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر
فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول
قال لاجرم لا تدعونى الا أجبتك وقد
يتمسك الفقهاء بهذا الخبر على أن
ظاهر الامر للوجوب والا فلم يتوجه
اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
ان دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير

سمعنا بآذاننا وهم لا يسمعون يقول وهم لا يعتبرون ما يسمعون بآذانهم ولا ينتفعون به لاعراضهم عنه وتركهم أن يعوه قلوبهم ويتدبروه فجعلهم الله لما لم ينتفعوا بمواعظ القرآن وان كانوا قد سمعوها بآذانهم بمنزلة من لم يسمعها يقول جل ثناؤه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا أنتم في الاعراض عن أمر رسول الله وترك الانتهاء اليه وأنتم تسمعونه بآذانكم كهؤلاء المشركين الذين يسمعون مواعظ كتاب الله بآذانهم ويقولون قد سمعنا وهم عن الاستماع لها والاتعاظ بها معرضون كمن لم يسمعها وكان ابن اسحق يقول في ذلك ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون أي كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ويسرون المعصية حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله وهم لا يسمعون قال عاصون حدثني المثنى قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله والذي قال ابن اسحق وجه ولكن قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون في سياق قصص المشركين ويتلوه الخبر عنهم بذمهم وهو قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون فلأن يكون ما بينهما خبرا عنهم أولى من أن يكون خبرا عن غيرهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به ويتعظوا به وينكصون عنه ان نطقوا به الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بهما أبدانهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله قال الدواب الخلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج عن عكرمة قال وكانوا يقولون انا صم بكم عما يدعوا اليه محمد لا نسمعه منه ولا نجيبه به بتصديق فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الصم البكم الذين لا يعقلون قال الذين لا يتبعون الحق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وليس بالاصم في الدنيا ولا بالابكم ولكن صم القلوب وبكمها وعميها وقرأ فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور واختلف فيمن عني بهذه الآية فقال بعضهم عني بها نفر من المشركين ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال قال ابن عباس الصم البكم الذين لا يعقلون نفر من بني عبد الدار لا يتبعون الحق قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الصم البكم الذين لا يعقلون قال لا يتبعون الحق قال قال ابن عباس هم نفر من بني عبد الدار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وقال آخرون عني بها المنافقون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون لا يعرفون ما عليهم في ذلك من النعمة والسعة وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال بقول ابن عباس وانه عني بهذه الآية مشركو قريش لانها في سياق الخبر عنهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عني بهذه الآية وفي معناها فقال بعضهم عني بها المشركون وقال معناها أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم لم يؤمنوا به لان الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال

ثنا

واذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته ثم الاحياء لا يمكن أن يحمل على نفس الحياة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان لان الايمان حياة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به الحياة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن أحد العدوين سبب حياة الآخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحياة الدائمة لقوله بل أحياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل أعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحياة الطيبة كما قال فلنحيينه حياة طيبة واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من أسعده الله والشقي من أضله الله والقلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصود والدواعي والعقائد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء

ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لقالوا ائت بقرآن غير هذا ولقالوا لولا اجتبيتها ولو جاءهم بقرآن غيره لتولوا وهم معرضون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون قال لو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك ولتولوا وهم معرضون و حدثنى به مرة أخرى فقال لو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد أن يعلم أن لا خير فيهم ما نفعهم بعد أن نفذ علمه بانهم لا ينتفعون به وقال آخرون بل عنى بها المنافقون قالوا ومعناها ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم لأنفذ لهم قولهم الذى قالوه بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون فأوفوا لكم بشر مما خرجوا عليه • وأولى القولين فى تأويل ذلك بالصواب عندى ما قاله ابن جريج وابن زيد لما قد ذكرنا قبل من العلة وان ذلك ليس من صفة المنافقين فتأويل الآية اذا ولو علم الله فى هؤلاء القائلين خيرا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله حججه منه ولكنه قد علم أنه لا خير فيهم وأنهم ممن كتب لهم الشقاء فهم لا يؤمنون ولو أفهمهم ذلك حتى يعلموا ويفهموا لتولوا عن الله وعن رسوله وهم معرضون عن الايمان بما دلهم على حقيقته مواعظ الله وعبره وحججه معاندون للحق بعد العلم به

القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله اذا دعاكم لما يحييكم فقال بعضهم معناه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم للايمان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال أما يحييكم فهو الاسلام أحياهم بعد موتهم بعد كفرهم وقال آخرون للحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لما يحييكم قال الحق حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا دعاكم لما يحييكم قال الحق حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال للحق وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى ما فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال هو هذا القرآن فيه الحياة والعفة والعصمة فى الدنيا والآخرة وقال آخرون معناه اذا دعاكم الى الحرب وجهاد العدو ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم أى للحرب الذى أعزكم الله بها بعد الذل وقواكم بعد الضعف ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منهم لكم * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق وذلك أن ذلك اذا كان معناه كان داخلا فيه الامر باجابتهم لقتال العدو والجهاد والاجابة اذا دعاكم الى حكم القرآن وفى الاجابة الى كل ذلك حياة المجيب أما فى الدنيا فبقال الذكر الجميل وذلك له فيه حياة وأما فى الآخرة فحياة الابد فى الجنان والخلود فيها وأما قول من قال معناه الاسلام فقول لا معنى له لان الله قد وصفهم بالايمان بقوله يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فلا وجه لأن يقال للمؤمن استجب لله وللرسول اذا دعاك الى الاسلام والايمان وبعد ففيما حدثنا

جميع الاسباب اليه ثم ختم الآية بقوله وانه اليه تحشرون ليعلم أنهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله بينه وبين الايمان فهو عاجز وأمر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وأنه تعالى أمر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم تكن الاجابة ممكنة فكيف يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذا لا يمكن حمل الآية على ما قاله أهل الجبر فتأويلها ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه أى وان الشأن أو الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة قبل نزول سلطان الموت أو انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه تسمية للشئ باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل أو المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون فى قلوبكم من الضعف والجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالأمن خوفا وبالخوف أمنا وبالذكر

أحمد بن المقدام العجلي قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا روح بن القاسم عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو يصلي فدعاه أي أبي فالتفت إليه أبي ولم يجبه ثم إن أبيا خفف الصلاة ثم انصرف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك أي رسول الله قال وعليك ما منعك إذ دعوتك أن تجيبني قال يا رسول الله كنت أصلي قال أفلم تجد فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال بلى يا رسول الله لا أعود حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد عن محمد بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي وهو قائم يصلي فصرخ به فلم يجبه ثم جاء فقال يا أبي ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك أليس الله يقول يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم قال أبي لا جرم يا رسول الله لا تدعوني إلا أجبت وإن كنت أصلي ما بين عن أن المعنى بالآية هم الذين يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما فيه حياتهم بإجابتهم إليه من الحق بعد إسلامهم لأن أبيا لا شك أنه كان مسلما في الوقت الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم ما ذكرنا في هذين الخبرين ۞ القول في تأويل قوله ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه يحول بين الكافر والإيمان وبين المؤمن والكفر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه قال بين الكافر أن يؤمن وبين المؤمن أن يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا وكيع وحدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد قالا ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا الثوري عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير بنحوه حدثني أبو زائدة زكريا بن أبي زائدة قال ثنا أبو عاصم عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله عن سعيد بن جبير مثله حدثني أبو السائب وابن وكيع قالا ثنا أبو معاوية عن المنهال عن سعيد ابن جبير يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الإيمان حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن الأعمش عن عبد الله بن عبد الله الرازي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه يحول بين الكافر والإيمان وطاعة الله قال ثنا حفص عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والإيمان حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان وعبد العزيز ابن أبي رواد عن الضحاك في قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وطاعته وبين المؤمن ومعصيته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن أبي روق عن الضحاك بن مزاحم بنحوه قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك قال يحول بين المرء وبين أن يكفر وبين الكافر وبين أن يؤمن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال ثنا عبد العزيز بن أبي رواد عن الضحاك ابن مزاحم يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الكافر وبين طاعة الله وبين المؤمن ومعصية الله حدثنا أحمد بن إسحق قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا ابن أبي رواد عن الضحاك نحوه وحدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن منهال قال ثنا المعتمر ابن سليمان قال سمعت عبد العزيز بن أبي رواد يحدث عن الضحاك بن مزاحم في قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن ومعصيته حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين المؤمن وبين الكفر

نسيانا وبالنسيان ذكروا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل والمعنى بادروا إلى الأعمال وأنتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والإيمان وعن الحسن أن الغرض التنبيه على أنه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وأن قربه من عبده أشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل إقرار المنكر بين أظهرهم وقوله لا تصيبن إما أن يكون جوابا للأمر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لأن فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وإن شئت قلت لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى إن أصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون خاصة ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لأنه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية أو لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح وإما أن يكون نهيا بعد أمر ومن

ويحول بين الكافر وبين الايمان حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته ويحول بين المؤمن وبين معصيته حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن ليث عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المؤمن وبين الكفر وبين الكافر وبين الايمان قال ثنا أبى عن ابن أبى رواد عن الضحاك يحول بين المرء وقلبه يقول يحول بين الكافر وبين طاعته وبين المؤمن وبين معصيته قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير يحول بين المرء وقلبه يحول بين المؤمن والمعاصى وبين الكافر والايمان قال ثنا عبيدة عن اسمعيل عن أبى صالح يحول بين المرء وقلبه قال يحول بينه وبين المعاصى * وقال آخرون بل معنى ذلك يحول بين المرء وعقله فلا يدرى ما يعمل ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد قوله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين المرء وعقله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال هى يحول بين المرء وقلبه حتى يتركه لا يعقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله عن حميد عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال اذا حال بينك وبين قلبك كيف تعمل قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين قلب الكافر وأن يعمل خيرا وقال آخرون معناه يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على ايمان أو كفر الا باذنه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه قال يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه * وقال آخرون معنى ذلك أنه قريب من قلبه لا يخفى عليه شئ أظهره أو أسره ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة فى قوله يحول بين المرء وقلبه قال هى كقوله أقرب اليه من حبل الوريد * وأولى الاقوال بالصواب عندى فى ذلك أن يقال ان ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم وانه يحول بينهم وبينها اذا شاء حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيأ من ايمان أو كفر أو أن يعى به شيأ أو أن يفهم الا باذنه ومشيئته وذلك أن الحول بين الشئ والشئ انما هو الحجز بينهما واذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه فى شئ أن يدركه أو يفهمه لم يكن للعبد الى ادراك ما قد منع الله قلبه ادراكه سبيل واذا كان ذلك معناه دخل فى ذلك قول من قال يحول بين المؤمن والكفر وبين الكافر والايمان وقول من قال يحول بينه وبين عقله وقول من قال يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر الا باذنه لان الله عز وجل اذا حال بين عبد وقلبه لم يفهم العبد بقلبه الذى قد حيل بينه وبينه ما منع ادراكه به على ما بينت غير أنه ينبغى أن يقال ان الله عم بقوله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه الخبر عن أنه يحول بين العبد وقلبه ولم يخصص من المعانى التى ذكرنا شيأ دون شئ والكلام محتمل كل هذه المعانى فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له وأما قوله وأنه اليه تحشرون فان معناه واعلموا أيها المؤمنون أيضا مع العلم بأن الله يحول بين المرء وقلبه أن الله الذى يقدر على قلوبكم وهو أملك بها منكم اليه مصيركم ومرجعكم فى القيامة فيوفيكم جزاء أعمالكم المحسن منكم باحسانه والمسئ باساءته فاتقوه وراقبوه فيما

البيان كأنه قيل احذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كأن الفتنة نهيت عن ذلك الاختصاص على طريق الاستعارة وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول أى واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط * عن الحسن نزلت فى على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما رأينا أنا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روى أن الزبير كان يسامر النبى صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل على فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلى فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى انى أحبه كحبى لولدى أو أشد حبا قال فكيف أنت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله واعلموا أن الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ أنتم وانتصابه على انه مفعول به أى وقت أنتم قليل يستوى فيه الواحد والجمع مستضعفون فى الارض أرض مكة قبل الهجرة تخافون أن يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم أعداء

أمركم ونهاكم هو ورسوله أن تضيعوه وأن لاتستجيبوا لرسوله اذا دعاكم لما يحييكم فيوجب ذلك سخطه وتستحقوا به أليم عذابه حين تحشرون اليه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله اتقوا أيها المؤمنون فتنة يقول اختبارا من الله يختبركم وبلاء يبتليكم لاتصيبن هذه الفتنة التى حذرتكموها الذين ظلموا وهم الذين فعلوا ماليس لهم فعله اما أجرام أصابوها وذنوب بينهم وبين الله ركبوها يحذرهم جل ثناؤه أن يركبوا له معصية أو يأتوا مأثما يستحقون بذلك منه عقوبة وقيل ان هذه الآية نزلت فى قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين عنوا بها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن ابراهيم قال ثنا الحسن بن أبى جعفر قال ثنا داود بن أبى هند عن الحسن فى قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال نزلت فى على وعثمان وطلحة والزبير رضى الله عنهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال قتادة قال الزبير بن العوام لقد نزلت وما نرى أحدا منا يقع بها ثم خصتنا فى اصابتنا خاصة حدثنى المثنى قال ثنا زيد بن عوف أبو ربيعة قال ثنا حماد عن حميد عن الحسن أن الزبير بن العوام قال نزلت هذه الآية واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وما ظننا أهلها ونحن عنينا بها قال ثنا قبيصة عن سفيان عن الصلت بن دينار عن ابن صهبان قال سمعت الزبير بن العوام يقول قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فاذا نحن المعنيون بها واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هذه نزلت فى أهل بدر خاصة وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن السدى واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب قال أصحاب الجمل حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال أمر الله المؤمنين أن لايقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بالعذاب قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال هى أيضا لكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة قال الفتنة الضلالة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن المسعودى عن القاسم قال قال عبد الله مامنكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة ان الله يقول انما أموالكم وأولادكم فتنة فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال قال الزبير لقد خوفنا بها يعنى قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة * واختلف أهل العربية فى تأويل ذلك فقال بعض نحويى البصرة اتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا قوله لاتصيبن ليس بجواب ولكنه نهى بعد أمر ولو كان جوابا مادخلت النون وقال بعض نحويى الكوفة قوله واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا أمرهم ثم نهاهم ومنكم طرف من الجزاء وان كان نهيا قال ومثله قوله ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان أمرهم ثم نهاهم وفيه تأويل الجزاء وكأن معنى الكلام عنده اتقوا فتنة ان لم تتقوها أصابتكم وأما قوله واعلموا أن الله شديد العقاب فانه تحذير من الله ووعيد لمن واقع الفتنة التى حذره اياها بقوله واتقوا فتنة يقول اعلموا أيها المؤمنون أن ربكم شديد عقابه لمن افتتن بظلم نفسه وخالف أمره فأثم به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض

تخافون

لكم فآواكم الى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد كم بالملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون أى ينقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء والآلاء حتى تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم أن تشتغلوا بالمنازعة فى الانفال ثم منعهم من الخيانة فى الامانة يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة بن مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا له ماترى هل ننزل على حكم سعد فأشار الى حلقه انه أى ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال أبو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال

تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون) وهذا تذكير من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومناصحة يقول أطيعوا الله ورسوله أيها المؤمنون واستجيبوا له اذا دعاكم لما يحييكم ولا تخالفوا أمره وان أمركم بما فيه عليكم المشقة والشدة فان الله يهونه عليكم بطاعتكم اياه ويعجل لكم منه ما تحبون كما فعل بكم اذ آمنتم به واتبعتموه وأنتم قليل يستضعفكم الكفار فيفتنونكم عن دينكم وينالونكم بالمكروه فى أنفسكم وأعراضكم تخافون منهم أن يتخطفوكم فيقتلوكم ويصطلموا جميعكم فآواكم يقول فجعل لكم مأوى تأوون اليه منهم وأيدكم بنصره يقول وقواكم بنصره عليهم حتى قتلتم منهم من قتلتم ببدر ورزقكم من الطيبات يقول وأطعمكم غنيمتهم حلالا طيبا لعلكم تشكرون يقول لكى تشكروا على ما رزقكم وأنعم به عليكم من ذلك وغيره من نعمه عندكم واختلف أهل التأويل فى الناس الذين عنوا بقوله أن يتخطفكم الناس فقال بعضهم كفار قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس قال يعنى بمكة مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن تبعه من قريش وحلفائها ومواليها قبل الهجرة حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الكلبى أو قتادة أو كلاهما واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون انها نزلت فى يوم بدر كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس فآواهم الله وأيدهم بنصره حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه وقال آخرون بل عنى به غير قريش ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى قال سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله عز وجل تخافون أن يتخطفكم الناس قال فارس قال ثنا اسحق قال ثنا اسمعيل بن عبد الكريم قال ثنى عبد الصمد أنه سمع وهب بن منبه يقول وقرأ واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون أن يتخطفكم الناس والناس اذ ذاك فارس والروم قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض قال كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأجوعه بطونا وأعراه جلودا وأبينه ضلالا من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى فى النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الارض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا حتى جاء الله بالاسلام فمكن به فى البلاد ووسع به فى الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر وأهل الشكر فى مزيد من الله تبارك وتعالى * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال عنى بذلك مشركو قريش لان المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم لانهم كانوا أدنى الكفار منهم اليهم وأشدهم عليهم يومئذ مع كثرة عددهم وقلة عدد المسلمين وأما قوله فآواكم فانه يعنى آواكم المدينة وكذلك قوله وأيدكم بنصره بالانصار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فآواكم قال الى الانصار بالمدينة وأيدكم بنصره وهؤلاء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أيدهم بنصره يوم بدر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات يعنى المدينة

القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله من أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا تخونوا الله وخيانتهم الله ورسوله كانت باظهار من أظهر منهم لرسول الله صلى الله عليه

لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وقال السدى كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم شيأ فيفشونه ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله أن يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فعلم النبى صلى الله عليه وسلم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين أن محمدا يريدكم فخذوا حذركم فنزلت وقال الزهرى والكلبى نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة حين كتب الى أهل مكة بخروج النبى صلى الله عليه وسلم اليها حكاه الاصم قال القاضى والاقرب أنها فى الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة لرسوله لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال ويحتمل أن يراد بالامانة كل ما تعبد به وكأن معنى الآية ايجاب أداء التكاليف بأسرها فى الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص ولا اخلال ومعنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء

وسلم والمؤمنين الايمان فى الظاهر والنصيحة وهو يستسر الكفر والغش لهم فى الباطن يدلون المشركين على عورتهم ويخبرونهم بما خفى عنهم من خبرهم وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت هذه الآية وفى السبب الذى نزلت فيه فقال بعضهم نزلت فى منافق كتب الى أبى سفيان يطلعه على سر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا شبابة ابن سوار قال ثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء بن أبى رباح فحدثنى قال ثنى جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين الى أبى سفيان ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله عز وجل لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وقال آخرون بل نزلت فى أبى لبابة الذى كان من أمره وأمر بنى قريظة ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى أبو سفيان عن معمر عن الزهرى قوله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم قال نزلت فى أبى لبابة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى حلقه انه الذبح قال الزهرى فقال أبو لبابة لا والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له يا أبا لبابة قد تيب عليك قال والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده ثم قال أبو لبابة ان من توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالى قال يجزيك الثلث أن تصدق به حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله ابن الزبير عن ابن عيينة قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد قال سمعت عبد الله بن أبى قتادة يقول نزلت يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فى أبى لبابة وقال آخرون بل نزلت فى شأن عثمان رضى الله عنه ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يونس بن الحرث الطائفى قال ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفى عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية فى قتل عثمان رضى الله عنه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله وخيانة أمانته وجائز أن تكون نزلت فى أبى لبابة وجائز أن تكون نزلت فى غيره ولا خبر عندنا بأى ذلك كان يجب التسليم له بصحته فمعنى الآية وتأويلها ما قدمنا ذكره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول قال نهاكم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لا تخونوا الله والرسول الآية قال كانوا يسمعون من النبى صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين واختلفوا فى تأويل قوله وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون فقال بعضهم لا تخونوا الله والرسول فان ذلك خيانة لاماناتكم وهلاك لها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم فانهم اذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون أى لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم ثم تخالفوه فى السر الى غيره فان ذلك هلاك لاماناتكم وخيانة لانفسكم فعلى هذا التأويل قوله وتخونوا أماناتكم فى موضع نصب على الظرف كما قال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

التمام فاذا خنت الرجل فى شئ فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان الشتار السبب والكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقى سمى كربا لانه يكرب من الدلو أى يقرب منه واشتار العسل اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل أن يكون جزما داخلا فى حكم النهى وأن يكون نصبا باضمار أن كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به وأماناتكم فيما بينكم بأن لا تحفظوها وأنتم تعلمون تبعة ذلك ووباله أو تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعى الى الخيانة هو محبة الاموال والاولاد ولعل ما فرط من أبى لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على أنه يجب على العاقل أن يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال انما أموالكم وأولادكم فتنة أى أنها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم أو العذاب أو هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب وان الله عنده أجر عظيم فعليكم أن تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى

ويروى وتأتى مثله وقال آخرون معناه لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم يقول لاتخونوا يعنى لا تنقصوها فعلى هذا التأويل لاتخونوا الله والرسول ولاتخونوا أماناتكم واختلف أهل التأويل فى معنى الامانة التى ذكرها الله فى قوله وتخونوا أماناتكم فقال بعضهم هى ما يخفى عن أعين الناس من فرائض الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال التى أمن الله عليها العباد يعنى الفريضة يقول ولاتخونوا يعنى لاتنقصوها حدثنا على بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله يقول بترك فرائضه والرسول يقول بترك سننه وارتكاب معصيته قال وقال مرة أخرى لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم والامانة الاعمال ثم ذكر نحو حديث المثنى وقال آخرون معنى الامانات ههنا الدين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتخونوا أماناتكم دينكم وأنتم تعلمون قال قد فعل ذلك المنافقون وهم يعلمون أنهم كفار يظهرون الايمان وقرأ واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الآية قال هؤلاء المنافقون أمنهم الله ورسوله على دينه فخانوا أظهروا الايمان وأسروا الكفر فتأويل الكلام اذا ياأيها الذين آمنوا لاتنقصوا الله حقوقه عليكم من فرائضه ولا رسوله من واجب طاعته عليكم ولكن أطيعوهما فيما أمراكم به ونهياكم عنه لاتنقصوهما وتخونوا أماناتكم وتنقصوا أديانكم وواجب أعمالكم ولازمها لكم وأنتم تعلمون أنها لازمة عليكم وواجبة بالحجج التى قد ثبتت لله عليكم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين واعلموا أيها المؤمنون أنما أموالكم التى خولكموها الله وأولادكم التى وهبها الله لكم اختبار وبلاء أعطاكموها ليختبركم بها ويبتليكم لينظر كيف أنتم عاملون من أداء حق الله عليكم فيها والانتهاء الى أمره ونهيه فيها وان الله عنده أجر عظيم يقول واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم على طاعتكم اياه فيما أمركم ونهاكم فى أموالكم وأولادكم التى اختبركم بها فى الدنيا وأطيعوا الله فيما كلفكم فيها تنالوا به الجزيل من ثوابه فى معادكم حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا المسعودى عن القاسم عن عبد الرحمن عن ابن مسعود فى قوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال ما منكم من أحد الا وهو مشتمل على فتنة فمن استعاذ منكم فليستعذ بالله من مضلات الفتن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة قال فتنة الاختبار اختبارهم وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ يقول تعالى ذكره ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله ان تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه وترك خيانته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من أعدائكم المشركين بنصره اياكم عليهم واعطائكم الظفر بهم ويكفر عنكم سيآتكم يقول ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم وبينه ويغفر لكم يقول ويغطيها فيسترها عليكم فلا يؤاخذكم بها والله ذو الفضل العظيم يقول والله الذى يفعل ذلك بكم له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله وان فعله جزاء منه لعبده على طاعته اياه لانه الموفق عبده لطاعته التى اكتسبها حتى استحق من ربه الجزاء الذى وعده عليها وقد اختلف أهل التأويل فى العبارة

الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن أن يتمسك بالآية فى بيان أن الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله هو أفضل من الاشتغال بالنكاح لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد وعن التهالك فى شأنهم فقال ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على أهل الاديان كلهم وفى أحوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم فى الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى به أحسن الايفاء ومن عظيم فضله أنه يتفضل بذاته من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد أن يخلق الله فيه داعية التفضل

عن تأويل قوله يجعل لكم فرقانا فقال بعضهم مخرجا وقال بعضهم نجاة وقال بعضهم فصلا وكل ذلك متقارب المعنى وان اختلفت العبارات عنها وقد بينت صحة ذلك فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته ذكر من قال معناه المخرج حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال مخرجا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فرقانا قال مخرجا فى الدنيا والآخرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فرقانا قال الفرقان المخرج حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فرقانا يقول مخرجا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن مجاهد فرقانا مخرجا حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء البصرى قال ثنا زائدة عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك فرقانا قال مخرجا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيدا يقول سمعت الضحاك يقول فرقانا مخرجا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد عن زهير عن جابر عن عكرمة قال الفرقان المخرج ذكر من قال معناه النجاة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن جابر عن عكرمة ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن رجل عن عكرمة ومجاهد فى قوله يجعل لكم فرقانا قال عكرمة المخرج وقال مجاهد النجاة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى يجعل لكم فرقانا قال نجاة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يجعل لكم فرقانا يقول يجعل لكم نجاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويجعل لكم فرقانا أى نجاة ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قال فرقان يفرق فى قلوبهم بين الحق والباطل حتى يعرفوه ويهتدوا بذلك الفرقان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أى فصلا بين الحق والباطل يظهر به حقكم ويخفى به باطل من خالفكم والفرقان فى كلام العرب مصدر من قولهم فرقت بين الشئ والشئ أفرق بينهما فرقا وفرقانا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مذكره نعمه عليه واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا من مشركى قومك كى يثبتوك واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ليثبتوك فقال بعضهم معناه ليقيدوك ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك يعنى ليوثقوك قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليثبتوك ليوثقوك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الآية يقول ليشدوك وثاقا وأرادوا بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ بمكة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم قالا قالوا أوثقوه بالوثاق حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ليثبتوك قال الاثبات هو الحبس والوثاق وقال آخرون بل معناه الحبس ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قوله

ليثبتوك

وبعد أن يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد أن يكون قد تصور فيه ثوابا أو ثناء أو حمله على ذلك رقة طبع أو عصبية والا فلا فضل فى الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ أنتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما أتاح له من حسن العاقبة والمعنى واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين ذكروا أن قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا ادخل هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال أبو البخترى من بنى عبد الدار رأيى أن تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا

قوله ذكر من قال فصلا يا أيها الذين آمنوا الخ كذا بالاصل والظاهر أنه سقط السند قبل يا أيها الخ كتبه مصححه

ليثبتوك قال يسجنوك وقالها عبدالله بن كثير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قالوا اسجنوه وقال آخرون بل معناه ليسحروك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن اسمعيل البصري المعروف بالوساوسي قال ثنا عبدالمجيد بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير بن المطلب بن أبي وداعة أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتمر به قومك قال يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني فقال من أخبرك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي خيرا فنزلت واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول لما ائتمروا بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه أو يثبتوه أو يخرجوه قال له أبو طالب هل تدري ما ائتمروا بك قال نعم قال فاخبره قال من أخبرك قال ربي قال نعم الرب ربك استوص به خيرا قال أنا أستوصي به أو هو يستوصي بي وكان معنى مكر قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم به ليثبتوه كما حدثنا سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي قال ثنا محمد بن اسحق عن عبدالله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال وحدثني الكلبي عن زاذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفرا من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم ابليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا من أنت قال شيخ من نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يؤاتيكم في أموركم بأمره قال فقال قائل احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء زهير والنابغة انما هو كاحدهم قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ما هذا لكم برأي والله ليخرجنه ربه من محبسه الى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم قالوا فانظروا في غير هذا قال فقال قائل أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه فانه اذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع اذا غاب عنكم أذاه واسترحتم وكان أمره في غيركم فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعد ما أرى غيره قالوا وما هو قال نأخذ من كل قبيلة غلاما وسطا شابا نهدا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربوه ضربة رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها فانهم اذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره قال فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له قال فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الانفال يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وأنزل في قولهم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وكان يسمى ذلك اليوم يوم الزحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأي حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومقسم في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قالا تشاوروا فيه ليلة وهم بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فأوثقوه بالوثاق وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فلما أصبحوا رأوا

يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن الله له في الهجرة فأمر عليا عليه السلام فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردي فانه لن يخلص اليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا الى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا أثره فأبطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك أو يسجنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى رأي أبي البختري وقوله أو يقتلوك اشارة الى رأي أبي جهل وقوله أو يخرجوك أي من مكة اشارة الى رأي هشام وأنكر القاضي حديث ابليس في القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان بفعل الله فهو اعانة للكفار على المكر وان كان من فعل ابليس

عليارضى الله عنه فرد الله مكرهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنى أبى عن عكرمة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار أمر على بن أبى طالب فنام فى مضجعه فبات المشركون يحرسونه فاذا رأوه نائما حسبوا أنه النبى صلى الله عليه وسلم فتركوه فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فاذا هم بعلى فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى قال فركبوا الصعب والذلول فى طلبه حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر قال أخبرنى عثمان الجزرى أن مقسما مولى ابن عباس أخبره عن ابن عباس فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم اذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبى صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله نبيه على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة وخرج النبى صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون عليا يحسبون أنه النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصبحوا ثاروا اليه فلما رأوه عليا رضى الله عنه رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدرى فاقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل ومروا بالغار رأوا على بابه نسج العنكبوت قالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج على بابه فمكث فيه ثلاثا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قال اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون فى النبى صلى الله عليه وسلم بعدما أسلمت الانصار وفرقوا أن يتعالى أمره اذا وجد ملجأ لجأ اليه فجاء ابليس فى صورة رجل من أهل نجد فدخل معهم فى دار الندوة فلما أنكروه قالوا من أنت فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا قال أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم وأشير عليكم فاستحيوا فخلوا عنه فقال بعضهم خذوا محمدا اذا اصطجع على فراشه فاجعلوه فى بيت نتربص به ريب المنون والريب هو الموت والمنون هو الدهر قال ابليس بئسما قلت تجعلونه فى بيت فيأتى أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال قالوا صدق الشيخ قال أخرجوه من قريتكم قال ابليس بئسما قلت تخرجونه من قريتكم وقد أفسد سفهاءكم فيأتى قرية أخرى فيفسد سفهاءهم فيأتيكم بالخيل والرجال قالوا صدق الشيخ قال أبو جهل وكان أولاهم بطاعة ابليس بل نعمد الى كل بطن من بطون قريش فنخرج منهم رجلا فنعطيهم السلاح فيشدون على محمد جميعا فيضربونه ضربة رجل واحد فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشا فليس لهم الا الدية قال ابليس صدق وهذا الفتى هو أجودكم رأيا فقاموا على ذلك وأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فنام على الفراش وجعلوا عليه العيون فلما كان فى بعض الليل انطلق هو وأبو بكر الى الغار ونام على بن أبى طالب على الفراش فذلك حين يقول الله ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك والاثبات هو الحبس والوثاق وهو قوله وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا يقول يهلكهم فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة لقيه عمر فقال له ما فعل القوم وهو يرى أنهم قد أهلكوا حين خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم وكذلك كان يصنع بالامم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أخروا بالقتال حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ليثبتوك أو يقتلوك قال كفار قريش أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا هانئ بن سعيد عن حجاج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعلوا ذلك بمحمد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه

فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقدار ابليس على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى وذهب عليه أن هذا الاعتراض وارد على خلق ابليس نفسه وعلى خلق سائر أسباب الشرور والآثام وقد أجبنا عن أمثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل أنهم احتالوا فى ابطال أمر محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فان قيل لا خير فى مكرهم فكيف قال والله أنه خير الماكرين وأجيب بأن المراد أقوى الماكرين أو المراد أنه لو قدر فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره أكثر أو المراد أنه فى نفسه خير

(التأويل) ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد أن يكون أبكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون أنهم لماذا خلقوا فلا جرم يؤل حالهم من أن يكونوا خير البرية الى أن يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب بالمحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد للحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى

عن ابن عباس قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية هو النبي صلى الله عليه وسلم مكروا به وهو بمكة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الى آخر الآية قال اجتمعوا فتشاوروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتلوا هذا الرجل فقال بعضهم لا يقتله رجل الا قتل به قالوا خذوه فاحبسوه واجعلوا عليه حديدا قالوا فلا يدعكم أهل بيته قالوا أخرجوه قالوا اذا يستغوي الناس عليكم قال وابليس معهم في صورة رجل من أهل نجد واجتمع رأيهم أنه اذا جاء يطوف البيت ويستلم أن يجتمعوا عليه فيغموه ويقتلوه فانه لا يدري أهله من قتله فيرضون بالعقل فنعقله ونستريح ونعقله فلما أن جاء يطوف بالبيت اجتمعوا عليه فغموه فأتى أبو بكر فقيل له ذاك فأتى فلم يجد مدخلا فلما أن لم يجد مدخلا قال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم قال ثم فرجها الله عنه فلما أن كان الليل أتاه جبريل عليه السلام فقال من أصحابك فقال فلان وفلان وفلان فقال لا نحن أعلم بهم منك يا محمد هو ناموس ليل (٣) قال وأخذ أولئك من مضاجعهم وهم نيام فأتى بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقدم أحدهم الى جبريل فكحله ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله ثم قدم آخر فنقر فوق رأسه بعصا نقرة ثم أرسله فقال ما صورته يا جبريل فقال كفيته يا نبي الله ثم أتي بآخر فنقر في ركبته فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته ثم أتي بآخر فسقاه مذقة فقال ما صورته يا جبريل قال كفيته يا نبي الله وأتي بالخامس فلما غدا من بيته مر بنبال فتعلق مشقص بردائه فالتوى فقطع الاكحل من رجله وأما الذي كحلت عيناه فأصبح وقد عمي وأما الذي سقي مذقة فأصبح وقد استسقى بطنه وأما الذي نقر فوق رأسه فأخذته النقدة والنقدة قرحة عظيمة أخذته في رأسه وأما الذي طعن في ركبته فأصبح وقد أقعد فذلك قول الله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين أي فمكرت لهم بكيدي المتين حتى خلصتك منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قوله واذ يمكر بك الذين كفروا قال هذه مكية قال ابن جريج قال مجاهد هذه مكية فتأويل الكلام اذا واذكر يا محمد نعمتي عندك بمكري بمن حاول المكر بك من مشركي قومك باثباتك أو قتلك أو اخراجك من وطنك حتى استنقذتك منهم وأهلكتهم فامض لأمري في حرب من حاربك من المشركين وتولى عن اجابة ما أرسلتك به من الدين القيم ولا يرعبنك كثرة عددهم فاني بك خير الماكرين بمن كفر بي وعبد غيري وخالف أمري ونهيي وقد بينا معنى المكر فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ﴿القول في تأويل قوله ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا آيات كتاب الله الواضحة لمن شرح الله صدره لفهمه قالوا جهلا منهم وعناد الحق وهم يعلمون أنهم كاذبون في قيلهم لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي تلي علينا ان هذا الا أساطير الأولين يعني أنهم يقولون ما هذا القرآن الذي يتلى عليهم الا أساطير الأولين والأساطير جمع أسطر وهو جمع الجمع لأن واحد الأسطر سطر ثم يجمع السطر أسطر وسطور ثم يجمع الأسطر أساطير وأساطر وقد كان بعض أهل العربية يقول واحد الأساطير أسطورة وانما عنى المشركون بقولهم ان هذا الا أساطير الأولين ان هذا القرآن الذي تتلوه علينا يا محمد الا ما سطره الأولون وكتبوه من أخبار الأمم كأنهم أضافوه الى أنه أخذ عن بني آدم وأنه لم يوحه الله اليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قوله واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا

الفناء في الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بفنيكم عنكم ويبقيكم به واعلموا أن الله يحول بسطوات أنوار جماله وجلاله بين مرآة قلبه وظلمة أوصاف قالبه وانه اليه تحشرون بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا أيها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا أن الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ماسواه واذكروا اذ أنتم أيها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد لكما الصفات والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بألبان آداب الطريقة ولانعدام جريان أحكام الشريعة عليكم الى أوان البلوغ تخافون أن تستلبكم النفوس وصفاتها والشيطان وأعوانه فآواكم الى حظائر القدس وأيدكم بالواردات الربانية ورزقكم المواهب الطاهرة من لوث الحدوث يا أيها الذين آمنوا يعني الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستسعدة بسعادات العرفان

(٣) قوله هو ناموس الخ ليل كذا بالاصل وحرره كتبه مصححه

مثل هذا قال كان النضر بن الحرث يختلف تاجرا الى فارس فيمر بالعباد وهم يقرؤن الانجيل
ويركعون ويسجدون فجاء مكة فوجد محمدا صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد
فقال النضر قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا للذى سمع من العباد فنزلت واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد
سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا قال فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة وقص قولهم اذ قالوا اللهم ان كان
هذا هو الحق من عندك الآية حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط
عن السدى قال كان النضر بن الحرث بن علقمة أخو بنى عبد الدار يختلف الى الحيرة فيسمع سجع
أهلها وكلامهم فلما قدم مكة سمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم والقرآن فقال قد سمعنا لو نشاء لقلنا
مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين يقول أساجيع أهل الحيرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد
ابن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبى صلى الله عليه وسلم يوم
بدر صبرا عقبة بن أبى معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحرث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر
بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى كتاب
الله ما يقول فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله فقال المقداد أسيرى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك فقال المقداد هذا الذى أردت وفيه أنزلت هذه الآية
واذا تتلى عليهم آياتنا الآية حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد
ابن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل يوم بدر ثلاثة رهط من قريش صبرا المطعم بن
عدى ٣ والنضر بن الحرث وعقبة بن أبى معيط قال فلما أمر بقتل النضر قال المقداد
ابن الاسود أسيرى يا رسول الله قال انه كان يقول فى كتاب الله وفى رسوله ما كان يقول قال
فقال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أغن المقداد من فضلك وكان
المقداد أسر النضر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره واذكر يا محمد أيضا
ما حل عن قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب
أليم اذ مكرت لهم فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر وهذه الآية
أيضا ذكر أنها نزلت فى النضر بن الحرث ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم
قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير فى قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فأمطر علينا حجارة من السماء قال نزلت فى النضر بن الحرث حدثنى محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان كان هذا هو الحق من
عندك قال قول النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة
قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك قول النضر بن
الحرث بن علقمة بن كلدة من بنى عبد الدار قال أخبرنا اسحق قال أخبرنا عبد الله عن ورقاء عن ابن
أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك قال هو النضر بن الحرث بن كلدة حدثنا
أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن عطاء قال قال رجل من بنى عبد الدار
يقال له النضر بن كلدة اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا
بعذاب أليم فقال الله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقال لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم
أول مرة وقال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين قال عطاء لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب
الله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال فقال
يعنى النضر بن الحرث اللهم ان كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء

او

لاتخونوا الله فيما آتاكم من المواهب
فتجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا
ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام
بالبدعة وتخونوا أماناتكم التى هى
محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة
المخلوقات وأنتم تعلمون أنكم تبيعون
الدين بالدنيا والمولى بالاولى فتنة
يختبركم الله بها التمييز الموافق من
المنافق والصديق من الزنديق
يا أيها الذين آمنوا بهذه المقامات
والكرامات ان تتقوا الله من غير الله
يجعل لكم فرقانا يفض عليكم من
سجال جماله وجلاله القدم ما تفرقون
به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم
سيئات وجودكم الفانى ويغفر
لكم يستركم بأنوار جماله وجلاله
والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء
بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك أيها
الروح فى أسفل سافلين الطبيعة أو
يعدموك بانعدام آثارك أو
أو يخرجوك من عالم الارواح والله
خير الماكرين يصلح حال أهل
الصلاح البتة ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا
قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
ان هذا الا أساطير الاولين واذ قالوا
اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة من السماء
أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله
ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون ومالهم

٣ قال ابن كثير ذكر المطعم بدل طعيمة غلط لان المطعم لم يكن حيا يوم بدر اهـ كتبه مصححه

أواتتنابعذاب أليم قال الله سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال سأل سائل بعذاب واقع للكافرين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية قال قال ذلك سفهة هذه الامة وجهلتها فعاد الله بعائدته ورحمته على سفهة هذه الامة وجهلتها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر غيرة قريش واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك أى ما جاء به محمد فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط أو ائتنا بعذاب أليم أى ببعض ما عذبت به الامم قبلنا واختلف أهل العربية فى وجه دخول هو فى الكلام فقال بعض البصريين نصب الحق لان هو والله أعلم حولت زائدة فى الكلام صلة توكيد كزيادة ما ولا تزاد الا فى كل فعل لا يستغنى عن خبر وليس هو بصفة لهذا لانك لو قلت رأيت هذا هو لم يكن كلاما ولا تكون هذه المضمرة من صفة الظاهرة ولكنها تكون من صفة المضمرة نحو قوله ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا لأنك تقول وجدته هو واياى فتكون هو صفة وقد تكون فى هذا المعنى أيضا غير صفة ولكنها تكون زائدة كما كان فى الاول وقد تجرى فى جميع هذا مجرى الاسم فيرفع ما بعدها ان كان ما بعدها ظاهرا أو مضمرا فى لغة بنى تميم يقولون فى قوله ان كان هذا هو الحق من عندك ولكن كانوا هم الظالمين وتجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا كما تقول كانوا آباؤهم الظالمون جعلوا هذا المضمر نحو هو وهما وأنت زائدا فى هذا المكان ولم تجعل مواضع الصفة لانه فصل أراد أن يبين به أنه ليس ما بعده صفة لما قبله ولم يحتج الى هذا فى الموضع الذى لا يكون له خبر وكان بعض الكوفيين يقول لم تدخل هو التى هى عماد فى الكلام الا لمعنى صحيح وقال كأنه قال زيد قائم فقلت أنت بل عمرو هو القائم فهو لمعهود الاسم والالف واللام لمعهود الفعل التى هى صلة فى الكلام مخالفة لمعنى هو لان دخولها وخروجها واحد فى الكلام وليست كذلك هو وأما التى تدخل صلة فى الكلام فتوكيد شبيه بقولهم وجدته نفسه تقول ذلك وليست بصفة كالظريف والعاقل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم أى وأنت مقيم بين أظهرهم قال وأنزلت هذه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكة قال ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين فأنزل بعد خروجه عليه حين استغفر أولئك بها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ثم خرج أولئك البقية من المسلمين من بينهم فعذب الكفار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر بن أبى المغيرة عن ابن أبزى قال كان النبى صلى الله عليه وسلم بمكة فأنزل الله عليه وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال فخرج النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال فكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها يستغفرون يعنى بمكة فلما خرجوا أنزل الله عليه وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه قال فاذن الله له فى فتح مكة فهو العذاب الذى وعدهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى من بها من المسلمين وما لهم ألا يعذبهم الله يعنى مكة وفيها الكفار حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قول الله وما كان الله ليعذبهم يعنى أهل مكة

ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير.

القراآت بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب ۞ الوقوف مثل هذا الا لأن الابتداء بان هنا الا أساطير الاولين قبيح الاولين ○ أليم ○ وأنت فيهم ط يستغفرون ○ وما كانوا أولياءه ط لا يعلمون ○ وتصدية ط تكفرون ○ عن سبيل الله ط يغلبون ○ ط لان ما بعده مبتدأ يحشرون ○ لا لتعلق اللام فى جهنم ط الخاسرون ○ سلف ط لابتداء الشرط مع العطف

وما كان الله معذبهم وفيهم المؤمنون يستغفرون يغفر لمن فيهم من المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسماعيل الرازى وأبوداود الحفرى عن يعقوب عن جعفر عن ابن أبزى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال بقية من بقى من المسلمين منهم فلما خرجوا قال وما لهم ألا يعذبهم الله قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال أهل مكة وأخبرنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون من أهل مكة وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام قال المشركون من أهل مكة قال ثنا أبوخالد عن جويبر عن الضحاك وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال المؤمنون يستغفرون بين ظهرانيهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرن يقول الذين آمنوا معك يستغفرون بمكة حتى أخرجك والذين آمنوا معك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لم يعذب قرية حتى يخرج النبى منها والذين آمنوا معه ويلحقه بحيث أمر وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعنى المؤمنين ثم عاد الى المشركين فقال وما لهم ألا يعذبهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال يعنى أهل مكة وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد حتى أخرجك من بينهم وما كان الله معذبهم وهؤلاء المشركون يقولون يارب غفرانك وما أشبه ذلك من معانى الاستغفار بالقول قالوا وقوله وما لهم ألا يعذبهم الله فى الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور الرمادى قال ثنا أبوحذيفة قال ثنا عكرمة عن أبى زميل عن ابن عباس ان المشركين كانوا يطوفون بالبيت يقولون لبيك لا شريك لك لبيك فيقول النبى صلى الله عليه وسلم قد قد فيقولون لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فقال ابن عباس كان فيهم أمانان نبى الله والاستغفار قال فذهب النبى صلى الله عليه وسلم وبقى الاستغفار وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون قال فهذا عذاب الآخرة قال وذاك عذاب الدنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبومعشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا قالت قريش بعضها لبعض محمد أكرمه الله من بيننا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فأنزل الله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى قوله لا يعلمون حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كانوا يقولون يعنى المشركين والله ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر ولا يعذب أمة ونبيها معها حتى يخرجه عنها وذلك من قولهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر له جهالتهم وغرتهم واستفتاحهم على أنفسهم اذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء كما أمطرتها على قوم لوط وقال حين نعى عليهم سوء أعمالهم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون أى بقولهم وان كانوا يستغفرون كما قال وهم يصدون عن المسجد الحرام من آمن بالله وعبده أى أنت ومن تبعك حدثنا الحسن ابن الصباح البزار قال ثنا أبوبردة عن أبى موسى قال انه كان فيكم أمانان قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال أما النبى صلى الله عليه وسلم فقد مضى وأما الاستغفار فهو دائر فيكم الى يوم القيامة حدثنى* الحرث قال ثنا عبد العزيز

قال

الاولين ٥ كله لله ط بصير ٥ مولاكم ط النصير ٥ ۞ التفسير لما حكى مكرهم فى ذات محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم فى دينه روى أن النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى أحاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن أمثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر أو عن أبى جهل على ما فى الصحيحين أن أحدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الآية وهذا أسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب أى ان كان القرآن هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بنوع آخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بأمر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة وعن معاوية أنه قال لرجل

قال ثنا يونس بن أبي إسحق عن عامر أبي الخطاب الثوري قال سمعت أبا العلاء يقول كان لأمة محمد صلى الله عليه وسلم أمنتان فذهبت احداهما وبقيت الاخرى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم الآية * وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وما كان الله معذب المشركين وهم يستغفرون أن لو استغفروا قالوا ولم يكونوا يستغفرون فقال جل ثناؤه اذ لم يكونوا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال ان القوم لم يكونوا يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا وكان بعض أهل العلم يقول هما أمانان أنزلهما الله فأما أحدهما فمضى نبي الله وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم الاستغفار والتوبة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال الله لرسوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ما كنت أعذبهم وهم يستغفرون ولو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن محمد وعن المسجد الحرام حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يقول لو استغفروا لم أعذبهم وقال آخرون معنى ذلك وما كان الله ليعذبهم وهم يسلمون قالوا واستغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا عبد الملك بن الصباح قال ثنا عمران بن حدير عن عكرمة في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال سألوا العذاب فقال لم يكن ليعذبهم وأنت فيهم ولم يكن ليعذبهم وهم يدخلون في الاسلام حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وأنت فيهم قال بين أظهرهم وقوله وهم يستغفرون قال يسلمون حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يسلمون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا محمد بن عبيد الله عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال بين أظهرهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال دخولهم في الاسلام وقال آخرون بل معنى ذلك وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الاسلام ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يقول ما كان الله سبحانه يعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يقول ومنهم من قد سبق له من الله الدخول في الايمان وهو الاستغفار ثم قال ومالهم ألا يعذبهم الله فعذبهم يوم بدر بالسيف وقال آخرون بل معناه وما كان الله معذبهم وهم يصلون ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا حسين الجعفي عن زائدة عن منصور عن مجاهد في قول الله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال يصلون حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت

من سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا للرسول صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتأكيد النفي دلالة على أن تعذيبهم بعذاب الاستئصال والنبي بين أظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشأن النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم أي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا أن المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل أهل المحلة فلانا وانما قتله واحد منهم أو اثنان وقيل وصفوا بصفة أولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله أنه يكون لهم أولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله أن فيهم من يؤول أمره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن آمن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الآية دلالة على أن الاستغفار أمان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم أمانان نبي الله والاستغفار

فيهم يعني أهل مكة يقول لم أكن لأعذبكم وفيكم محمد ثم قال وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون يعني يؤمنون ويصلون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد في قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال وهم يصلون وقال آخرون بل معنى ذلك وما كان الله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا ثم نسخ ذلك بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا قال في الانفال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فنسختها الآية التي تليها وما لهم ألا يعذبهم الله الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فقوتلوا بمكة وأصابهم فيها الجوع والحصر * وأولى هذه الاقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال تأويله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لاني لا أهلك قرية وفيها نبيها وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه فهم للعذاب مستحقون كما يقال ما كنت لأحسن اليك وأنت تسيء الي يراد بذلك لا أحسن اليك اذا أسأت الي ولو أسأت الي لم أحسن اليك ولكن أحسن اليك لانك لا تسيء الي وكذلك ذلك ثم قيل وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام بمعنى وما شأنهم وما يمنعهم أن يعذبهم الله وهم لا يستغفرون الله من كفرهم فيؤمنوا به وهم يصدون المؤمنين بالله ورسوله عن المسجد الحرام وانما قلنا هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان القوم أعني مشركي مكة كانوا استعجلوا العذاب فقالوا اللهم ان كان ما جاء به محمد هو الحق فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فقال الله لنبيه ما كنت لأعذبهم وأنت فيهم وما كنت لأعذبهم لو استغفروا وكيف لا أعذبهم بعد اخراجك منهم وهم يصدون عن المسجد الحرام فأعلمه جل ثناؤه ان الذين استعجلوا العذاب حائق بهم ونازل وأعلمهم حال نزوله بهم وذلك بعد اخراجه اياه من بين أظهرهم ولا وجه لايعادهم العذاب في الآخرة وهم مستعجلوه في العاجل ولا شك أنهم في الآخرة الى العذاب صائرون بل في تعجيل الله لهم ذلك يوم بدر الدليل الواضح على أن القول في ذلك. قلنا وكذلك لا وجه لقول من وجه قوله وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون الى أنه عنى به المؤمنين وهو في سياق الخبر عنهم وعما الله فاعل بهم ولا دليل على أن الخبر عنهم قد تقضى وعلى أن ذلك به عنوا ولا خلاف في تأويله من أهله موجود وكذلك أيضا لا وجه لقول من قال ذلك منسوخ بقوله وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الآية لان قوله جل ثناؤه وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون خبر والخبر لا يجوز أن يكون فيه نسخ وانما يكون النسخ للامر والنهي واختلف أهل العربية في وجه دخول أن في قوله وما لهم ألا يعذبهم الله فقال بعض نحويي البصرة هي زائدة ههنا وقد عملت كما عملت لا وهي زائدة وجاء في الشعر

لو لم تكن غطفان لا ذنوب لها * (1) الي لام ذوو أحسابها عمرا

وقد أنكر ذلك من قوله بعض أهل العربية وقال لم تدخل أن الا لمعنى صحيح لان معنى وما لهم ما يمنعهم من أن يعذبوا قال فدخلت أن لهذا المعنى وأخرج بلا ليعلم أنه بمعنى الجحد لان المنع جحد قال ولا في البيت صحيح معناها لان الجحد اذا وقع عليه جحد صار خبرا وقال ألا ترى الى قولك ما زيد ليس قائما فقد أوجبت القيام قال وكذلك لا في هذا البيت ۞ القول في تأويل قوله (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء

(1) قوله الي لام وروي اذن للام كما في الاشموني وغيره كتبه مصححه

المشركين

أما النبي فقد مضى وأما الاستغفار فهو باق الى يوم القيامة ثم بين أنه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم ألا يعذبهم الله وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة قيل لحقهم هذا العذاب المتوعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل قوله وهم يصدون أي كيف لا يعذبون وما لهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس أن هذا العذاب عذاب الآخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون من المسلمين وليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا عن مشرك ولكن أكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض أسباب سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق تفعلة من

المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام ولم يكونوا أولياءه إن أولياؤه يقول ما أولياء الله إلا المتقون يعني الذين يتقون الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول ولكن أكثر المشركين لا يعلمون أن أولياء الله المتقون بل يحسبون أنهم أولياء الله وبنحو ما قلنا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله إن أولياؤه إلا المتقون من كانوا وحيث كانوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون الذين يخرجون منه ويقيمون الصلاة عنده أي أنت يعني النبي صلى الله عليه وسلم ومن آمن بك ولكن أكثرهم لا يعلمون ۞ القول في تأويل قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) يقول تعالى ذكره وما لهؤلاء المشركين ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام الذين يصلون لله فيه ويعبدونه ولم يكونوا لله أولياء بل أولياؤه الذين يصدونهم عن المسجد الحرام وهم لا يصلون في المسجد الحرام وما كان صلاتهم عند البيت يعني بيت الله العتيق إلا مكاء وهو الصفير يقال منه مكا يمكو مكوا ومكاء وقد قيل إن المكو أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح ويقال منه مكت است الدابة مكاء إذا نفخت بالريح ويقال إنه لا يمكو إلا است مكشوفة ولذلك قيل للاست المكوة سميت بذلك ومن ذلك قول عنترة

وحليل غانية تركت مجدلا * تمكو فريصته كشدق الأعلم

وقول الطرماح

فنحا لأولاها بطعنة محفظ * تمكو جوانبها من الانهار

يعني تصوت وأما التصدية فإنها التصفيق يقال منه صدى يصدي تصدية وصفق وصفح بمعنى واحد وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن موسى بن قيس عن حجر بن عنبس إلا مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية يقول كانت صلاة المشركين عند البيت مكاء يعني التصفير وتصدية يقول التصفيق حدثني محمد بن عمارة الأسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا فضيل عن عطية وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال التصفيق والصفير حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن قرة ابن خالد عن عطية عن ابن عمر قال المكاء التصفيق والتصدية الصفير قال وأمال ابن عمر خده إلى جانب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا وكيع عن قرة بن خالد عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال المكاء والتصدية الصفير والتصفيق حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال سمعت محمد بن الحسين يحدث عن قرة بن خالد عن عطية العوفي عن ابن عمر قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق وقال قرة وحكى لنا عطية فعل ابن عمر فصفر وأمال خده وصفق بيديه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني بكر بن مضر عن جعفر بن ربيعة قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن

الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الأصل معتل اللام أو من صد يصد مضاعفا أي صاح فقلبت الدال الأخيرة ياء كالتقضي في التقضض وأنكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الأزهري وأبو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت أبا سلمة ۞ عبد الرحمن عن المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو أن يجعل بعض أصابع اليمين وبعض أصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تصويت يشبه صوت المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون فالمكاء والتصدية على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلاة بناء على معتقدهم وفيه أن من كان المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له كقول العرب ما لفلان عيب إلا السخاء أي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف والصلاة عند المسجد الحرام يستهزئون به ويخلطون عليه فعل المكاء والتصدية صلاة لهم كقولك زرت الأمير فجعل جفائي صلتي أي أقام الجفاء مقام الصلة ثم خاطبهم على

ابن عوف يقول فى قول الله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال بكر فجمع لى جعفر كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا كما قال له أبو سلمة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة بن سابور عن عطية عن ابن عمر وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال تصفير وتصفيق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون فأنزل الله قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده فأمروا بالثياب حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد قال كانت قريش يعارضون النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف يستهزؤن به يصفرون به ويصفقون فنزلت وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن مجاهد الا مكاء قال كانوا ينفخون فى أيديهم والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا مكاء وتصدية قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق يخلطون بذلك على محمد صلى الله عليه وسلم صلاته حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه لم يقل صلاته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال المكاء ادخال أصابعهم فى أفواههم والتصدية التصفيق قال نفر من بنى عبد الدار كانوا يخلطون بذلك كله على محمد صلاته حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال من بين الاصابع قال أحمد سقط على حرف وما أراه الا الخذف والنفخ والصفير منها وأرانى سعيد بن جبير حيث كانوا يمكون من ناحية أبى قبيس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق بن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء كانوا يشبكون بين أصابعهم ويصفرون بها فذلك المكاء قال وأرانى سعيد بن جبير المكان الذى كانوا يمكون فيه نحو أبى قبيس حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا محمد بن حرب قال ثنا ابن لهيعة عن جعفر بن ربيعة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن فى قوله مكاء وتصدية قال المكاء النفخ وأشار بكفه قبل فيه والتصدية التصفيق حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك قال المكاء الصفير والتصدية التصفيق حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال كنا نحدث أن المكاء التصفيق بالايدى والتصدية صياح كانوا يعارضون به القرآن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مكاء وتصدية قال المكاء التصفير والتصدية التصفيق حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية والمكاء الصفير على نحو طير أبيض يقال له المكاء يكون بأرض الحجاز والتصدية التصفيق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال المكاء صفير كان أهل الجاهلية يعلنون به قال وقال فى المكاء أيضا صفير فى أيديهم ولعب وقد قيل فى التصدية انها الصد عن بيت الله الحرام وذلك قول لا وجه له لان التصدية مصدر من قول القائل صديت تصدية وأما الصد فلا يقال منه صديت انما يقال منه صددت فان شددت منها الدال على معنى تكرير الفعل قيل صددت

سبيل المجاز ثم بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر أو عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وأفعالكم التى لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح أحوال هؤلاء الكفار فى الطاعات البدنية أتبعها شرح أحوالهم فى الطاعات المالية فقال ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا أبو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وأبو البخترى بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وأبى بن خلف وزمعة بن أسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس ابن عبد المطلب وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن أبزى نزلت فى أبى سفيان بن حرب استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وأنفق عليهم أربعين أوقية من فضة والاوقية اثنان وأربعون مثقالا قاله فى الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما أصيب قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان

تصدية الا أن يكون صاحب هذا القول وجه التصدية الى أنه من صددت ثم قلبت احدى داليه ياء
كما يقال تظنيت من ظننت وكما قال الراجز * تقضى البازى اذا البازى كسر * يعنى تقضض
البازى فقلب احدى ضاديه ياء فيكون ذلك وجها يوجه اليه ذكر من قال ماذكرنا فى تأويل التصدية
حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وما كان
صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية صدهم عن بيت الله الحرام حدثنى المثنى قال ثنا اسحق
ابن سليمان قال أخبرنا طلحة بن عمرو عن سعيد بن جبير وتصدية قال التصدية صدهم الناس
عن البيت الحرام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتصدية قال التصدية
عن سبيل الله وصدهم عن الصلاة وعن دين الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق
وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية قال ما كان صلاتهم التى يزعمون أنها يدرأ بها عنهم
الا مكاء وتصدية وذلك ما لا يرضى الله ولا يحب ولا ما افترض عليهم ولا ما أمرهم به وأما قوله فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون فانه يعنى العذاب الذى وعدهم به بالسيف يوم بدر يقول للمشركين
الذين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية حين أتاهم بما
استعجلوه من العذاب ذوقوا أى اطعموا وليس بذوق بفم ولكنه ذوق بالحس ووجود طعم ألمه بالقلوب
يقول لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تجحدون أن الله معذبكم به على جحودكم توحيد ربكم ورسالة
نبيكم صلى الله عليه وسلم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أى ما أوقع الله بهم يوم بدر من
القتل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فذوقوا العذاب بما كنتم
تكفرون قال هؤلاء أهل بدر يوم عذبهم الله حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال
ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعنى
أهل بدر عذبهم الله يوم بدر بالقتل والاسر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين كفروا ينفقون
أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى
جهنم يحشرون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ورسوله ينفقون أموالهم فيعطونها
أمثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به ليصدوا
المؤمنين بالله ورسوله عن الايمان بالله ورسوله فسينفقون أموالهم فى ذلك ثم تكون نفقتهم تلك
عليهم حسرة يقول تصير ندامة عليهم لان أموالهم تذهب ولا يظفرون بما يأملون ويطمعون
فيه من اطفاء نور الله واعلاء كلمة الكفر على كلمة الله لان الله معلى كلمته وجاعل كلمة الكفر
السفلى ثم يغلبهم المؤمنون ويحشر الله الذين كفروا به وبرسوله الى جهنم فيعذبون فيها فأعظم
بها حسرة وندامة لمن عاش منهم ومن هلك أما الحى فخرب ماله وذهب باطلا فى غير درك نفع ورجع
مغلوبا مقهورا محزونا مسلوبا وأما الهالك فقتل وسلب وعجل به الى نار الله يخلد فيها نعوذ بالله من
غضبه وكان الذى تولى النفقة التى ذكرها الله فى هذه الآية فيما ذكر أبا سفيان ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله ان الذين كفروا
ينفقون أموالهم الآية والذين كفروا الى جهنم يحشرون قال نزلت فى أبى سفيان بن حرب
استأجر يوم أحد ألفين من الاحابيش من بنى كنانة فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم وهم الذين
يقول فيهم كعب بن مالك

وجئنا الى موج من البحر وسطه * أحابيش منهم حاسر ومقنع
ثلاثة آلاف ونحن نظنه * ثلاث مئين ان كثرن فأربع

ابن أمية فى رجال من قريش أصيب
آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا
أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى
تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش
ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم
فأعينونا بهذا المال الذى أفلت على
حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا
لمن أصيب منا فأنزل الله تعالى
الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل
الله أن غرضهم فى الانفاق كان
هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل
الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم أخبر
عن الغيب على وجه الاعجاز فقال
فسينفقونها أى سيقع منهم هذا
الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما
وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر
وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين
سجالا لقوله كتب الله لأغلبن أنا
ورسلى ومعنى ثم فى الجملتين اما
التراخى فى الزمان لما بين الانفاق
المذكور وبين ظهور دولة الاسلام
من الامتداد واما التراخى فى الرتبة
لما بين بذل المال وعدم حصول
المقصود من المباينة ثم قال والذين
كفروا أى الكافرون منهم ولم يقل
ثم يغلبون والى جهنم يحشرون لان
منهم من أسلم وحسن اسلامه فذكر
ان الذين بقوا على الكفر لا يكون
حشرهم الا الى جهنم دون من أسلم

حدثنا ابن وكيع قال ثنا اسحق بن اسمعيل عن يعقوب القمى عن جعفر عن ابن أبزى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان استأجر يوم أحد ألفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قال أخبرنا أبى عن خطاب ابن عثمان العصفرى عن الحكم بن عتيبة ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله قال نزلت فى أبى سفيان أنفق على المشركين يوم أحد أربعين أوقية من ذهب وكانت الاوقية يومئذ اثنين وأربعين مثقالا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال لما قدم أبو سفيان بالعير الى مكة أنشد الناس ودعاهم الى القتال حتى غزا نبى الله من العام المقبل وكانت بدر فى رمضان يوم الجمعة صبيحة سابع عشرة من شهر رمضان وكانت أحد فى شوال يوم السبت لاحدى عشرة خلت منه فى العام الرابع حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال الله فيما كان المشركون ومنهم أبو سفيان يستأجرون الرجال يقاتلون محمدا بهم ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة يقول ندامة يوم القيامة وويلا ثم يغلبون حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية حتى قوله أولئك هم الخاسرون قال فى نفقة أبى سفيان على الكفار يوم أحد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثنا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ومحمد بن يحى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وعمرو بن سعد بن معاذ قالوا لما أصابت المسلمون يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القليب ورجع فلهم الى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله ابن ربيعة وعكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية فى رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كان له فى تلك العير من قريش تجارة فقالوا يامعشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثأرا عن أصيب منا ففعلوا قال ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الى قوله والذين كفروا الى جهنم يحشرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى قوله يحشرون يعنى النفر الذين مشوا الى أبى سفيان والى من كان له مال من قريش فى تلك التجارة فسألوهم أن يعينوهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرلى سعيد ابن أبى أيوب عن عطاء بن دينار فى قول الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم الآية نزلت فى أبى سفيان بن حرب وقال بعضهم عنى بذلك المشركون من أهل بدر ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية قال هم أهل بدر * والصواب من القول فى ذلك عندى ما قلنا وهو أن يقال ان الله أخبر عن الذين كفروا به من مشركى قريش أنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله لم يخبرنا بأى أولئك عنى غير أنه عم بالخبر الذين كفروا وجائز أن يكون عنى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز أن يكون عنى الفريقين واذا كان ذلك كذلك فالصواب فى ذلك أن يعم كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش ۞ القول فى تأويل قوله (ليميز الله

الخبيث

منهم ثم بين الغاية والغرض فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث أى الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشئ يركمه اذا جمعه وألقى بعضه على بعض أولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال أى ليميز المال الخبيث الذى أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من المال الطيب الذى أنفقه المهاجرون والانصار فى نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض فيلقيه فى جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم وعلى هذا فاللام فى قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله فى الكشاف ولا يبعد عندى أن يتعلق بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم فى عباداتهم البدنية والمالية أرشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل

الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون) يقول تعالى ذكره يحشر الله هؤلاء الذين كفروا بربهم وينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله الى جهنم ليفرق بينهم وهم أهل الخبيث كما قال وسماهم الخبيث وبين المؤمنين بالله وبرسوله وهم الطيبون كما سماهم جل ثناؤه فميز جل ثناؤه بينهم بأن أسكن أهل الايمان به وبرسوله جناته وأنزل أهل الكفر ناره وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليميز الله الخبيث من الطيب فميز أهل السعادة من أهل الشقاوة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال ثم ذكر المشركين وما يصنع بهم يوم القيامة فقال ليميز الله الخبيث من الطيب يقول يميز المؤمن من الكافر فيجعل الخبيث بعضه على بعض ويعنى جل ثناؤه بقوله فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيجعل الكفار بعضهم فوق بعض فيركمه جميعا يقول فيجعلهم ركاما وهو أن يجمع بعضهم الى بعض حتى يكثروا كما قال جل ثناؤه فى صفة السحاب ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما أى مجتمعا كثيفا وكما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فيركمه جميعا قال فيجمعه جميعا بعضه على بعض وقوله فيجعله فى جهنم يقول فيجعل الخبيث جميعا فى جهنم فوحد الخبر عنهم لتوحيد قوله ليميز الله الخبيث ثم قال أولئك هم الخاسرون فجمع ولم يقل ذلك هو الخاسر فرده الى أول الخبر ويعنى بأولئك الذين كفروا وتأويله هؤلاء الذين ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله هم الخاسرون ويعنى بقوله الخاسرون الذين غبنت صفقتهم وخسرت تجارتهم وذلك أنهم شروا بأموالهم عذاب الله فى الآخرة وتعجلوا بانفاقهم اياها فيما أنفقوا من قتال نبى الله والمؤمنين به الخزى والذل * القول فى تأويل قوله (قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين كفروا من مشركى قومك ان ينتهوا عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين فينيبوا الى الايمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل ايمانهم وانابتهم الى طاعة الله وطاعة رسوله بايمانهم وتوبتهم وان يعودوا يقول وان يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التى أوقعتها بهم يوم بدر فقد مضت سنتى فى الاولين منهم ببدر ومن غيرهم من القرون الخالية اذ طغوا وكذبوا رسلى ولم يقبلوا نصحهم من احلال عاجل النقم بهم فأحل بهؤلاء ان عادوا لحربك وقتالك مثل الذى أحللت بهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فقد مضت سنة الاولين فى قريش يوم بدر وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى المثنى قال ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فقد مضت سنة الاولين قال فى قريش وغيرها من الامم قبل ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فى قوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا لحربك فقد مضت سنة الاولين أى من قتل منهم يوم بدر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان يعودوا لقتالك فقد مضت سنة الاولين من أهل بدر * القول فى تأويل قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وان عاد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتى فيمن قاتلكم منهم يوم بدر وأنا

للذين كفروا أى قل لأجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة الرسول وقتاله بالدخول فى السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان تعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فاهلكوا أو غلبوا كقوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلى واستدل كثير من العلماء منهم أصحاب أبى حنيفة بالآية على أن الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب أبو حنيفة الى أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة فى حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا فى أن الزنديق هل تقبل توبته أم لا والصحيح أنها مقبولة لشمول الآية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم أمر بقتالهم ان أصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الآية وقد مر

عائد بمثلها فمن جاربكم منهم فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد الا الله وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد الله من الارض وهو الفتنة ويكون الدين كله لله يقول وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يعنى حتى لا يكون شرك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن يونس عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال الفتنة الشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة يقول قاتلوهم حتى لا يكون شرك ويكون الدين كله لله حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبى صلى الله عليه وسلم واليها دعا حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون شرك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك بن فضالة عن الحسن فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون بلاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله أى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع مادونه من الأنداد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال حتى لا يكون كفر ويكون الدين كله لله لا يكون مع دينكم كفر حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الملك بن مروان كتب اليه يسأله عن أشياء فكتب اليه عروة سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو أما بعد فانك كتبت الى تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة الا بالله كان من شأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبى ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة وأحيانا على ملته وأماتنا عليها وبعثنا عليها وانه لما دعا قومه لما بعثه الله له من الهدى والنور الذى أنزل عليه لم ينفروا منه أول مادعاهم اليه وكانوا يسمعون له حتى ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فانعطف عنه عامة الناس فتركوه الا من حفظه الله منهم وهم قليل فمكث بذلك ماقدر الله أن يمكث ثم ائتمرت رؤسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم واخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتتن من افتتن وعصم الله من شاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشى لا يظلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها ومساكن لتجارتهم يجدون فيها رتاعا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبى صلى الله عليه وسلم فذهب اليها عامتهم لما قهروا بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فمكث ذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم انه فشا الإسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرافهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاءة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وكانت الفتنة الاولى هى أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزلزال فلما استرخى عنهم ودخل فى الاسلام من دخل منهم تحدث بهذا الاسترخاء عنهم فبلغ ذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد استرخى عمن كان منهم بمكة وانهم لا يفتنون فرجعوا الى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وانه أسلم من الانصار بالمدينة ناس كثير وفشا بالمدينة

تفسير مافى سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله فى قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع أهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر وأسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب أراد فان الله بما تعملون من الجهاد فى سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا أن الله مولاكم ناصركم ومتولى أموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته (التأويل) قالوا قد سمعنا وما سمعوا فى الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعواهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر ليعلم أن من هذا حاله كيف يكون مثل القرآن مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا به وبأنواره وأسراره وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لأنه رحمة للعالمين والرحمة تنافى العذاب ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم يعنى أكثر المتقين

الاسلام وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فلما رأت ذلك قريش تو امرت على أن يفتنوهم ويشدوا عليهم فأخذوهم وحرصوا على أن يفتنوهم فأصابهم جهد شديد وكانت الفتنة الآخرة فكانت ثنتين فتنة أخرجت من خرج منهم الى أرض الحبشة حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وأذن لهم فى الخروج اليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة ثم انه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نفسا رؤس الذين أسلموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئتنا فانا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يخرجوا الى المدينة وهى الفتنة الآخرة التى أخرج فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج هو وهى التى أنزل الله فيها وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب الى الوليد أما بعد فانك كتبت الىّ تسألنى عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وعندى بحمد الله من ذلك علم بكل ما كتبت تسألنى عنه وسأخبرك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم ذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن الاعمش عن مجاهد وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال يساف ونائلة صنمان كانا يعبدان وأما قوله فان انتهوا فان معناه فان انتهوا عن الفتنة وهى الشرك بالله وصار والى الدين الحق معكم فان الله بما يعملون بصير يقول فان الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول فى دين الاسلام لانه يبصركم ويبصر أعمالكم والاشياء كلها متجلية له لا تغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين وقد قال بعضهم معنى ذلك فان انتهوا عن القتال والذى قلنا فى ذلك أولى بالصواب لان المشركين وان انتهوا عن القتال فانه كان فرضا على المؤمنين قتالهم حتى يسلموا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾ يقول تعالى ذكره وان أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم اليه أيها المؤمنون من الايمان بالله ورسوله وترك قتالكم على كفرهم فأبوا الا الاصرار على الكفر وقتالكم فقاتلوهم وأيقنوا أن الله معينكم عليهم وناصركم نعم المولى هو لكم يقول نعم المعين لكم ولاوليائه ونعم النصير وهو الناصر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان تولوا عن أمرك الى ما هم عليه من كفرهم فان الله هو مولاكم الذى أعزكم ونصركم عليهم يوم بدر فى كثرة عددهم وقلة عددكم نعم المولى ونعم النصير

(تم الجزء التاسع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء العاشر
أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واعلموا أنما غنمتم﴾)

أولا يعلمون أنهم ليسوا أولياءه لان الولى قد لا يعرف أنه ولى ان الذين كفروا ينفقون أموالهم كذلك دأب كفار النفوس ينفقون أموال الاستعداد الفطرى فى غير طلب الله وانما تصرف فى استيفاء اللذات والشهوات فستنده حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا جلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة والنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التى لا تركن الى الدنيا ولا تنخدع بخداع النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فيلقى الجميع فى جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب أى ستروا النور الروحانى بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم يستر لهم تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا تكون آفة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى أعلم

م

الجـــزء العاشر

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجرية رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اهـ

﴿ تنبيه ﴾

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٧ هجريه

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى ما لا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول في تأويل قوله ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ قال أبو جعفر وهذا تعليم من الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم اذا غنموها يقول تعالى ذكره واعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتم من غنيمة واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والفيء فقال بعضهم فيهما معنيان كل واحد منهما غير صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن الحسن بن صالح قال سألت عطاء بن السائب عن هذه الآية واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وهذه الآية ما أفاء الله على رسوله قال قلت ما الفيء وما الغنيمة قال اذا ظهر المسلمون على المشركين وعلى أرضهم وأخذوهم عنوة فما أخذوا من مال ظهروا عليه فهو غنيمة وأما الارض فهي في سوادنا هذا فيء

* وقال آخرون الغنيمة ما أخذ عنوة والفيء ما كان عن صلح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان الثوري قال الغنيمة ما أصاب المسلمون عنوة بقتال فيه الخمس وأربعة أخماسه لمن شهدها والفيء ما صولحوا عليه بغير قتال وليس فيه خمس هو لمن سمى الله

* وقال آخرون الغنيمة والفيء بمعنى واحد وقالوا هذه الآية التي في الانفال ناسخة قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال كان الفيء في هؤلاء ثم نسخ ذلك في سورة الانفال فقال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فنسخت هذه ما كان قبلها في سورة الحشر وجعل الخمس لمن كان له الفيء في سورة الحشر وسائر ذلك لمن قاتل عليه وقد بينا فيما مضى الغنيمة وأنها المال يوصل اليمن

مال

مال من خوّل الله ماله أهل دينه بغلبته عليه وقهر بقتال فأما الفىء فانه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك وهو ما رده عليهم منها بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب وقد يجوز أن يسمى ما ردته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيأ لان الفىء انما هو مصدر من قول القائل فاء الشئ يفىء فيأ اذا رجع وأفاءه الله اذا ردّه غير أن الذى ورد حكم الله فيه من الفىء بحكمه فى سورة الحشر انما هو ما وصفت صفته من الفىء دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب لعلل قد بينتها فى كتابنا كتاب لطيف القول فى أحكام شرائع الدين وسنبينه أيضا فى تفسير سورة الحشر اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى وأما قول من قال الآية التى فى سورة الانفال ناسخة الآية التى فى سورة الحشر فلا معنى له اذ كان لا معنى فى احدى الآيتين ينفى حكم الاخرى وقد بينا معنى النسخ وهو نفى حكم قد ثبت بحكم خلافه فى غير موضع بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله من شئ فانه مراد به كل ما وقع عليه اسم شئ مما خوله الله المؤمنين من أموال من غلبوا على ماله من المشركين مما وقع فيه القسم حتى الخيط والمخيط كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ قال المخيط من الشئ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ليث عن مجاهد بمثله حدثنى المثنى قال ثنا أبو نعيم الفضل قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد مثله ۞ القول فى تأويل قوله (فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم قوله فأن لله خمسه مفتاح كلام ولله الدنيا والآخرة وما فيهما وانما معنى الكلام فأن للرسول خمسه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد عن قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال هذا مفتاح كلام لله الدنيا والآخرة حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس فى خمسة ثم قرأ واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول قال وقوله فأن لله خمسه مفتاح كلام لله ما فى السموات وما فى الارض فجعل سهم الله وسهم الرسول واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم فأن لله خمسه قال لله كل شئ حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه قال لله كل شئ وخمس لله ورسوله ويقسم ما سوى ذلك على أربعة أسهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الغنيمة تقسم خمسة أخماس فأربعة أخماس لمن قاتل عليها ويقسم الخمس الباقى على خمسة أخماس فخمس لله والرسول حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا أبان عن الحسن قال (١) أوصى أبو بكر رضى الله عنه بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن فضيل عن عبد الملك عن عطاء واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه

(١) الذى فى ابن كثير عن ابن جرير أوصى الحسن وحرر اه كتبه مصححه

دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم) ۞ القراآت بالعدوة بكسر العين فى الحرفين ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيى بياءين أبو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والبزى ونصير وأبو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام البزى وابن فليح وتذهب بالجزم الجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما أبو عمرو (٣) وعلى وحمزة فى رواية خلاد وابن سعدان وهشام انى أرى انى أخاف بفتح الياء فيهما أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير ۞ الوقوف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قدير ٥ أسفل منكم ط فى الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حى عن بينة ط عليم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ٥ مفعولا ط الامور ٥ تفلحون ٥ ج للآية والعطف واصبروا ط الصابرين ٥ ج لما ذكر عن سبيل الله ط محيط ٥ جار لكم ط أخاف الله ط العقاب ٥ دينهم ط حكيم ٥ ۞ التفسير لما أمر سبحانه بالقتال فى قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة أعاد حكم الغنيمة ببيان أوفى وأشفى فقال واعلموا أنما غنمتم أى الذى حزتم من أموال الكفرة قهرا وقوله من شئ بيان ما أى من كل ما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط وقوله فأن لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفى عن أبى عمرو فان لله بالكسر قال فى الكشاف والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان أقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبى ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام النصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة واعلم أن الآية تقتضى أخذ الخمس من الغنائم واختلفوا فى كيفية قسمة ذلك الخمس على أقوال أشهرها أن ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين

بلا تعلق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد وأما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله و يصرف الآن الى ما كان يصرفه النبي من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وأرزاق القضاة والأئمة الأهم فالأهم وواحد لذوي القربى يعني أقارب رسول الله من أولاد هاشم والمطلب ابني (٤) عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف أيضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه يستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا أن للذكر مثل حظ الانثيين وثلاثة أخماس الخمس الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامامين أبي حنيفة والشافعي الا أن أبا حنيفة قال ان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فأن لله خمسه وللرسول فأن لرسول الله خمسه كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه وعن أبي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة أسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي أنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس أنه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان أبا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي عن زيد بن علي أنه قال ليس

وللرسول قال خمس الله وخمس رسوله واحد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحمل منه ويصنع فيه ما شاء حدثني المثنى قال ثنا الحجاج قال ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن أصحابه عن ابراهيم واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه قال كل شيء لله الخمس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل * وقال آخرون معنى ذلك فان لبيت الله خمسه وللرسول ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع بن الجراح عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدها ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه الى آخر الآية قال فكان يجاء بالغنيمة فتوضع فيقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة أسهم فيجعل أربعة بين الناس و يأخذ سهما ثم يضرب بيده في جميع ذلك السهم فما قبض عليه من شيء جعله للكعبة فهو الذي سمى لله ويقول لا تجعلوا لله نصيبا فان لله الدنيا والآخرة ثم يقسم بقيته على خمسة أسهم سهم للنبي صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل * وقال آخرون ما سمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فانما هو مراد به قرابته وليس لله ولا لرسوله منه شيء ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قال كانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس فأربعة منها لمن قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة فربع لله والرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله والرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيئا والربع الثاني لليتامى والربع الثالث للمساكين والربع الرابع لابن السبيل * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال قوله فأن لله خمسه افتتاح كلام وذلك لاجماع الحجة على أن الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم ولو كان لله فيه سهم كما قال أبو العالية لوجب أن يكون خمس الغنيمة مقسوما على ستة أسهم وانما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها فأما على أكثر من ذلك فلا نعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية وفي اجماع من ذكرت الدلالة الواضحة على صحة ما اخترنا فأما من قال سهم الرسول لذوي القربى فقد أوجب للرسول سهما وان كان صلى الله عليه وسلم صرفه الى ذوي قرابته فلم يخرج من أن يكون القسم كان على خمسة أسهم وقد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه الآية قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا غنم غنيمة جعلت أخماسا فكان خمس لله ولرسوله ويقسم المسلمون ما بقي وكان الخمس الذي جعل لله ولرسوله لرسوله ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكان هذا الخمس خمسة أخماس خمس لله ورسوله وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت يحيى بن الجزار عن سهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال هو خمس الخمس حدثنا ابن وكيع قال

لنا أن نبني منه قصورا ولا أن نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روى عن علي عليه السلام انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن أنس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان رأى (٥) أعطى بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم أولى وأهم فذاك فعند هذا يكون معنى قوله فأن لله خمسه ان من حق الخمس أن يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة و (يوم الفرقان) يوم بدر لانه فرق فيه بين أهل الحق وأهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي أنزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد والله على كل شيء قدير) فبذلك نصر القليل على الكثير (اذ أنتم) بدل من يوم الفرقان (بالعدوة) بالكسر والضم شط الوادي أي جانبه وحافته وقال أبو عمرو هي المكان المرتفع و (الدنيا) تأنيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو تقلب ياء كالعليا وأما القصوى تأنيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا أيضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة (والركب) يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير (أسفل منكم) بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر المبتدا أي مكانا أسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلاث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال رأفته ونصره حتى كأنما كان وذلك ان العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كانت في مكان فيه الماء وكانت أرضا لا بأس بها وأما العدوة الدنيا فهي رخوة تسوخ فيها الاقدام ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم ونجدتهم ولهذا كانت العرب

قال ثنا ابن عيينة وجرير عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن يحيى بن الجزار مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمسه لذوي القربى وخمسه لليتامى وخمسه للمساكين ولابن السبيل خمسه وأما قوله ولذي القربى فان أهل التأويل اختلفوا فيهم فقال بعضهم هم قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن خصيف عن مجاهد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته لا يأكلون الصدقة فجعل لهم خمس الخمس حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد السلام عن خصيف عن مجاهد قال قد علم الله أن في بني هاشم الفقراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزني عن السدي عن ابن الديلمي قال قال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل من أهل الشأم أما قرأت في الأنفال واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول الآية قال نعم قال فانكم لأنتم هم قال نعم حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد قال هؤلاء قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين لا تحل لهم الصدقة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو معاوية عن حجاج عن عطاء عن ابن عباس أن نجدة كتب اليه يسأله عن ذوي القربى فكتب اليه كتابا نزعم أنا نحن هم فأبى ذلك علينا قومنا * قال حدثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فأن لله خمسه قال أربعة أخماس لمن حضر البأس والخمس الباقي لله وللرسول خمسه يضعه حيث رأى وخمس لذوي القربى وخمس لليتامى وخمس للمساكين ولابن السبيل خمسه * وقال آخرون بل هم قريش كلها ذكر من قال ذلك حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نجدة الى ابن عباس يسأله عن ذي القربى قال فكتب اليه ابن عباس قد كنا نقول انا هم فأبى ذلك علينا قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قربى * وقال آخرون سهم ذي القربى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صار من بعده لولي الامر من بعده ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون بل سهم ذي القربى كان لبني هاشم وبني المطلب خاصة وممن قال ذلك الشافعي وكانت علته في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن جبير بن مطعم قال لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب مشيت أنا وعثمان بن عفان رضي الله عنه فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وتركتنا وانما نحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم

وبنو المطلب شيء واحد ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه احداهما بالاخرى * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال سهم ذي القربى كان لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وحلفائهم من بني المطلب لان حليف القوم منهم ولصحة الخبر الذي ذكرناه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العلم في حكم هذين السهمين أعني سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم ذي القربى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم يصرفان في معونة الاسلام وأهله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن يونس قال ثنا أبو شهاب عن ورقاء عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس قال جعل سهم الله وسهم الرسول واحدا ولذي القربى فجعل هذان السهمان في الخيل والسلاح وجعل سهم اليتامى والمساكين وابن السبيل لا يعطى غيرهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن عن قول الله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى قال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون سهم النبي صلى الله عليه وسلم لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم وقال قائلون سهم القرابة لقرابة الخليفة واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الخيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم قال سألت الحسن بن محمد فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمر ابن عبيد عن الاعمش عن ابراهيم قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح فقلت لابراهيم ما كان علي رضي الله عنه يقول فيه قال كان علي أشدهم فيه حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين الآية قال ابن عباس فكانت الغنيمة تقسم على خمسة أخماس أربعة بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة لله وللرسول ولذي القربى يعني قرابة النبي صلى الله عليه وسلم فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من الخمس شيأ فلما قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم رد أبو بكر رضي الله عنه نصيب القرابة في المسلمين فجعل يحمل به في سبيل الله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله صدقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون سهم ذوي القربى من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ولي أمر المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عمرو ابن ثابت عن عمران بن ظبيان عن حكيم بن سعد عن علي رضي الله عنه قال يعطى كل انسان نصيبه من الخمس ويلي الامام سهم الله ورسوله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه سئل عن سهم ذوي القربى فقال كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيا فلما توفي جعل لولي الامر من بعده * وقال آخرون سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس

والخمس

تخرج الى الحروب بعيالهم وأثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه (ولو تواعدتم) أنتم وأهل مكة على موضع تتلاقون فيه (لاختلفتم في الميعاد) فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه (ولكن ليقضي الله) أي ليظهر (أمرا كان مفعولا) مقدرا وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام وذلك أن وقعة بدر كان فيها من الآيات والمعجزات ما يكون الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة أي لا شك في كفره وعناده كما أنه لم يبق شك للمسلمين في حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي وليهلك دلالة على أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب الاشاعرة (وان الله لسميع) لدعائكم (عليم) بنياتكم (اذ يريكهم) منصوب باذكر أو بدل آخر من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أي يعلم تدابيركم اذ يريكهم (في منامك) أي في رؤياك (قليلا) أراه اياهم في رؤياه قليلا فاخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك أي في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف (ولو أراكهم كثيرا) على ما هم عليه (لفشلتم) والفشل الجبن والخور (ولتنازعتم في الامر) أمر الحرب والاقدام (ولكن الله سلم) عصم من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام (واذ يريكموهم) يبصركم اياهم (اذ التقيتم في أعينكم قليلا) نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث (ويقللكم في أعينهم) الحكمة في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي وأما تقليل المؤمنين في أعين الكفار فالحكمة في ذلك ان يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله أمرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل (والى الله ترجع الامور) فيه ان أحوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح أن يكون زاد المعاد ثم علم

المؤمنين آداب القتال في الحروب فقال (اذا لقيتم فئة فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا واللقاء اسم غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي الرخصة في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما (واذكروا الله كثيرا) في مواطن الحرب (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة (٧) وفيه اشعار بان العبد لا يجوز له أن يفتر عن ذكر ربه في أي شغل وعمل كان ولو أن رجلا أقبل من المغرب الى المشرق منفقا أمواله لله والآخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله أعظم أجرا وقيل المراد من هذا الذكر أن يدعو على العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم (وأطيعوا الله ورسوله) في سائر ما يأمر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات (ولا تنازعوا فتفشلوا) منصوب باضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر التقدير ان في قوله (وتذهب ريحكم) على القراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها يقال هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ أمره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالآية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بأن النص لا يجوز تخصيصه بالقياس قال أهل السير ان أهل مكة حين نفروا لحماية العير أتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين أن يكونوا مثلهم بطرين مرائين بأعمالهم كاطعام الطعام ونحوه فقال (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) الآية وصفهم بأوصاف ثلاثة أولها البطر وهو الطغيان في النعمة ويقال أيضا شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله

والخمس مقسوم على ثلاثة أسهم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وذلك قول جماعة من أهل العراق * وقال آخرون الخمس كله لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الغفار قال ثنا المنهال بن عمرو قال سألت عبد الله بن محمد ابن علي وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا فقلت لعلي ان الله يقول واليتامى والمساكين وابن السبيل فقالا يتامانا ومساكيننا * والصواب من القول في ذلك عندنا أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردود في الخمس والخمس مقسوم على أربعة أسهم على ما روي عن ابن عباس للقرابة سهم ولليتامى سهم وللمساكين سهم ولابن السبيل سهم لان الله أوجب الخمس لاقوام موصوفين بصفات كما أوجب الاربعة الاخماس لآخرين وقد أجمعوا أن حق الاربعة الاخماس لن يستحقه غيرهم فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم فغير جائز أن يخرج عنهم الى غيرهم كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماها في كتابه بفقد بعض من يستحقه الى غير أهل السهمان الاخر وأما اليتامى فهم أطفال المسلمين الذين قد هلك آباؤهم والمساكين هم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل المجتاز سفرا قد انقطع به كما حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال الخمس الرابع لابن السبيل وهو الضيف الفقير الذي ينزل بالمسلمين ۞ القول في تأويل قوله (ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شئ قدير) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون أنما غنمتم من شئ فمقسوم القسم الذي بينته وصدقوا به ان كنتم أقررتم بوحدانية الله وبما أنزل الله على عبده محمد صلى الله عليه وسلم يوم فرق بين الحق والباطل ببدر فأبان فلج المؤمنين وظهورهم على عدوهم وذلك يوم التقى الجمعان جمع المؤمنين وجمع المشركين والله على اهلاك أهل الكفر واذلالهم بأيدي المؤمنين وعلى غير ذلك مما يشاء قدير لا يمتنع عليه شئ أراده وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يعني بالفرقان يوم بدر فرق الله فيه بين الحق والباطل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير * واسحق قال ثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير يزيد أحدهما على صاحبه في قوله يوم الفرقان يوم فرق الله بين الحق والباطل وهو يوم بدر وهو أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله يومئذ المشركين وقتل منهم زيادة على سبعين وأسر منهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن مقسم يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عثمان الجزري عن مقسم في قوله يوم الفرقان قال يوم بدر فرق الله بين الحق والباطل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم الفرقان يوم التقى

فيها فذا الذي هو السكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على أبناء الزمان فذاك هو البطر وان تصوّر ثناء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية أو هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله (ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون عن قبول دين (٨) محمد صلى الله عليه وسلم قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم أو يكون الكل أحوالا على تأويل بطرين مرائين صادين أو يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بأنه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليصح له كون الكلمة معطوفة على جنسها وكان من الواجب عليه أن يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان أبا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرياء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما وأما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان (والله بما يعملون محيط) فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار أقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار (واذ زين) معناه واذكر اذ زين أو هو معطوف على ماقبله من النعم وأقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان أحدهما أن الشيطان زين بوسوسته من غير أن يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما أنه ظهر في صورة انسان وذلك ان المشركين حين أرادوا المسير الى بدر ذكروا الذي بينهم وبين بني كنانة من الحرب فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين

الجمعان يوم بدر وبدر بين المدينة ومكة حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثني يحيى ابن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبد الله الثقفي عن أبي عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من شهر رمضان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد يوم التقى الجمعان قال ابن جريج قال ابن كثير يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان أي يوم فرق بين الحق والباطل ببدر أي يوم التقى الجمعان منكم ومنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان وذاكم يوم بدر يوم فرق الله بين الحق والباطل ۞ القول في تأويل قوله (اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم) يقول تعالى ذكره أيقنوا أيها المؤمنون واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ان كنتم آمنتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر اذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله اذ أنتم حينئذ بالعدوة الدنيا يقول بشفير الوادي الأدنى الى المدينة وهم بالعدوة القصوى يقول وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الاقصى الى مكة والركب أسفل منكم يقول والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم الى ساحل البحر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة اذ أنتم بالعدوة الدنيا قال شفير الوادي الأدنى وهم بشفير الوادي الاقصى والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه أسفل منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى وهما شفيرا الوادي كان نبي الله أعلى الوادي والمشركون بأسفله والركب أسفل منكم يعني أبا سفيان انحدر بالعير على حوزته حتى قدم بها مكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى من الوادي الى مكة والركب أسفل منكم أي عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها عن غير ميعاد منكم ولا منهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والركب أسفل منكم قال أبو سفيان وأصحابه مقبلون من الشام تجارا لم يشعروا بأصحاب بدر ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه حتى التقيا على ماء بدر من يسقي لهم كلهم فاقتتلوا فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر منازل القوم والعير فقال اذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب هو أبو سفيان وعيره أسفل منكم على شاطئ البحر واختلفت القراء في قراءة قوله اذ أنتم بالعدوة فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين بالعدوة بضم العين وقرأه بعض المكيين والبصريين بالعدوة بكسر العين وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ينشد بيت الراعي

وعينان حمر مآقيهما * كما نظر العدوة الجؤذر

بكسر

بكسر العين من العدوة وكذلك ينشد بيت أوس بن حجر

وفارس لو تحل الخيل عدوته * ولوا سراعا وماهموا باقبال

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا﴾ يعنى تعالى ذكره ولو كان اجتماعكم فى الموضع الذى اجتمعتم فيه أنتم أيها المؤمنون وعدوكم من المشركين عن ميعاد منكم ومنهم لاختلفتم فى الميعاد لكثرة عدد عدوكم وقلة عددكم ولكن الله جمعكم على غير ميعاد بينكم وبينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا وذلك القضاء من الله كان نصره أولياءه من المؤمنين بالله ورسوله وهلاك أعدائه وأعدائهم ببدر بالقتل والأسر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليقضى الله ما أراد بقدرته من اعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله عن غير بلاء منكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يقول فى غزوة بدر انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمر بن اسحق قال أقبل أبو سفيان فى الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمنعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا ببدر ولا يشعر هؤلاء بهؤلاء ولا هؤلاء بهؤلاء حتى التقت السقاة قال ونظر الناس بعضهم لبعض ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة وان الله لسميع عليم﴾ يقول تعالى ذكره ولكن الله جمعهم هنالك ليقضى أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة وهذه اللام فى قوله ليهلك مكررة على اللام فى قوله ليقضى كأنه قال ولكن ليهلك من هلك عن بينة جمعكم ويعنى بقوله ليهلك من هلك عن بينة ليموت من مات من خلقه عن حجة لله قد أثبتت له وقطعت عذره وعبرة قد عاينها ورآها ويحيا من حى عن بينة يقول وليعيش من عاش منهم عن حجة لله قد أثبتت له وظهرت لعينه فعلمها جمعنا بينكم وبين عدوكم هنالك وقال ابن اسحق فى ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليهلك من هلك عن بينة لما رأى من الآيات والعبر ويؤمن من آمن على مثل ذلك وأما قوله وان الله لسميع عليم فان معناه وان الله أيها المؤمنون لسميع لقولكم وقول غيركم حين يرى الله نبيه فى منامه ويريكم عدوكم فى أعينكم قليلا وهم كثير ويراكم عدوكم فى أعينهم قليلا عليم بما تضمره نفوسكم وتنطوى عليه قلوبكم حينئذ وفى كل حال يقول جل ثناؤه لهم ولعباده واتقوا ربكم أيها الناس فى منطقكم أن تنطقوا بغير حق وفى قلوبكم أن تعتقدوا فيها غير الرشد فان الله لا يخفى عليه خافية من ظاهر أو باطن

* القول فى تأويل قوله ﴿ اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ﴾ يقول تعالى ذكره وان الله يا محمد سميع لما يقول أصحابك عليم بما يضمرونه اذ يريك الله عدوك وعدوهم فى منامك قليلا يقول يريكهم فى نومك قليلا فتخبرهم بذلك حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم ولو أراك ربك عدوك وعدوهم

معمرا به (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) أى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا ايا كم لانتصب كما يقال لا ضاربا زيدا (وانى جار لكم) أى مجيركم من بنى كنانة أو من كل عدو يعرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه أنواع الضرر كما يدفع الجار عن الجار (فلما تراءت الفئتان) أى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى (نكص على عقبيه) والنكوص الاحجام عن الشئ أى رجع (وقال انى برىء منكم) قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (انى أرى ما لا ترون) أى من نزول الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وفى الحديث ما روى ابليس يوما أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر وأما قوله (انى أخاف الله) فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لأنه ظن أن الوقت الذى أنظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى أرى ما لا ترون وكذب فى قوله انى أخاف الله وقوله (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز أن يكون اعتراضا وظرفه (اذ يقول) أو لا ظرف له واذ يقول ينتصب باذكر على أنه كلام مبتدأ منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف و(المنافقون) قوم من الاوس والخزرج بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز أن يكون من صفة المنافقين وأن يراد قوم من قريش أسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أولئك نخرج مع قومنا فان كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة أقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين يوم بدر (غر هؤلاء دينهم) قال ابن عباس معناه أنه خرج بثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء ألف وما ذلك الا لأنهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل أنفسهم

كثير الفشل أصحابك لجبنوا وخافوا ولم يقدروا على حرب القوم ولتنازعوا فى ذلك ولكن الله سلمهم من ذلك بما أراكه فى منامك من الرؤيا انه عليم بما تخفيه الصدور لايخفى عليه شئ مما تضمره القلوب وقد زعم بعضهم أن معنى قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا أى فى عينك التى تنام بها فصير المنام هو العين كأنه أراد اذ يريكهم الله فى عينك قليلا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد اذ يريكهم الله فى منامك قليلا قال أراه الله اياهم فى منامه قليلا فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك فكان تثبيتا لهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * وقال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ يريكهم الله فى منامك قليلا الآية فكان أول ما أراه من ذلك نعمة من نعمه عليهم شجعهم بها على عدوهم وكفاهم بها ماتخوف عليهم من ضعفهم لعلمه بما فيهم * واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ولكن الله سلم فقال بعضهم معناه ولكن الله سلم للمؤمنين أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولكن الله سلم يقول سلم الله لهم أمرهم حتى أظهرهم على عدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ولكن الله سلم أمره فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ولكن الله سلم قال سلم أمره فيهم * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى ماقاله ابن عباس وهو أن الله سلم القوم بما أرى نبيه صلى الله عليه وسلم فى منامه من الفشل والتنازع حتى قويت قلوبهم واجترؤا على حرب عدوهم وذلك أن قوله ولكن الله سلم عقيب قوله ولو أراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر فالذى هو أولى بالخبر عنه انه سلمهم منه جل ثناؤه ما كان مخوفا منه لو لم ير نبيه صلى الله عليه وسلم من قلة القوم فى منامه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى أعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم اذ يرى الله نبيه فى منامه المشركين قليلا واذ يريهم الله المؤمنين اذ لقوهم فى أعينهم قليلا وهم كثير عددهم ويقلل المؤمنين فى أعينهم ليتركوا الاستعداد لهم فيهون على المؤمنين شوكتهم كما حدثنى ابن بزيع البغدادى قال ثنا اسحق بن منصور عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال أراهم مائة قال فأسرنا رجلا منهم فقلنا كم هم قال كنا ألفا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى عبيدة عن عبد الله بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا قال ابن مسعود قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل أتراهم يكونون مائة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال أبو جهل الآن اذ

رجاء أن يجعلوا أحياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله) يكل أمره اليه ويثق بفضله (فان الله عزيز) غالب يسلط الضعيف القليل على القوى الكثير (حكيم) يوصل العذاب الى أعدائه والرحمة الى أوليائه ۞ التأويل واعلموا يا أهل الجهاد الاكبر أنما غنمتم عند رفع الحجب من أنوار المشاهدات وأسرار المكاشفات فلكم أربعة أخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقون خمسها فى الله مخلصا وللرسول متابعا ولذى القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى أهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين تمسكوا بأيدى الارادة بأذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما أنزلنا على عبدنا فى سفر فأوحى الى عبده ما أوحى يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد صلى الله عليه وسلم مع الله خلوة لا يسعه فيها ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شئ قدير فيقدر على أن يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود والبقاء بالمعبود اذ أنتم أيها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى أى الارواح بأقصى عالم الملكوت بارزة والركب أسفل منكم يعنى الهياكل والقوالب فى أسفل سافلى الطبيعة ولو تواعدتم أيها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى الميعاد لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى الله أمرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى استعد لها فيها ليهلك من هلك
برز
عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيا من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة وأما السعداء فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يقال ارجعى الى ربك راضية ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى وأبدانهم فى جنات النعيم

برزلكم محمد وأصحابه فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم وقال ياقوم لا تقتلوهم بالسلاح ولكن خذوهم أخذا فاربطوهم بالحبال يقوله من القدرة فى نفسه وقوله ليقضى الله أمرا كان مفعولا يقول جل ثناؤه قللتكم أيها المؤمنون فى أعين المشركين وأريتكموهم فى أعينكم قليلا حتى يقضى الله بينكم ما قضى من قتال بعضكم بعضا واظهاركم أيها المؤمنون على أعدائكم من المشركين والظفر بهم لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وذلك أمر كان الله فاعله وبالغا فيه أمره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليقضى الله أمرا كان مفعولا أى ليؤلف بينهم على الحرب للنقمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد اتمام النعمة عليه من أهل ولايته والى الله ترجع الامور يقول جل ثناؤه مصير الامور كلها اليه فى الآخرة فيجازى أهلها على قدر استحقاقهم المحسن باحسانه والمسىء باساءته ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ وهذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الايمان به السيرة فى حرب أعدائه من أهل الكفر به والافعال التى ترجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم ثم يقول لهم جل ثناؤه ياأيها الذين آمنوا صدقوا الله ورسوله اذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الادبار هاربين الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة منكم واذكروا الله كثيرا يقول وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم وأشعروا قلوبكم وألسنتكم ذكره لعلكم تفلحون يقول كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون افترض الله ذكره عند أشغل ما تكونون عند الضراب بالسيوف حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ياأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يقاتلونكم فى سبيل الله فاثبتوا واذكروا الله كثيرا اذكروا الله الذى بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم لعلكم تفلحون * القول فى تأويل قوله ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به أطيعوا أيها المؤمنون ربكم ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه ولا تخالفوهما فى شىء ولا تنازعوا فتفشلوا يقول ولا تختلفوا فتفرقوا وتختلف قلوبكم فتفشلوا يقول فتضعفوا وتجبنوا وتذهب ريحكم وهذا مثل يقال للرجل اذا كان مقبلا عليه ما يحبه ويسر به الريح مقبلة عليه يعنى بذلك ما يحبه ومن ذلك قول عبيد بن الابرص

كما حميناك يوم النعف من شطب * والفضل للقوم من ريح ومن عدد

يعنى من البأس والكثرة وانما يراد به فى هذا الموضع وتذهب قوتكم وبأسكم فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل واصبروا يقول اصبروا مع نبى الله صلى الله عليه وسلم عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عنه وتتركوه ان الله مع الصابرين يقول اصبروا فانى معكم وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وتذهب ريحكم قال نصركم قال وذهبت ريح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

كما قال وادخلى جنتى وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق الاذلال أو يستأهل الاجلال اذ يريكهم الله فى منامك قليلا مع كثرتهم فى الصورة ليدل على قلتهم فى المعنى لفشلتم على عادة طبع الانسان ولكن الله سلم من الخوف البشرى ويقللكم فى أعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة هى النفس وهواها والشيطان وأعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما أنتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديار أوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد وزاروا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فظنوا أنهم بلغوا مبلغ الرجال وأنه لا يضرهم التصرف فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم فى نفى الرياء والعجب اذ هو طريق أهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب وفئة النفوس وصفاتها وأمد الله تعالى فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى انقادت النفوس لها نكص على عقبيه زهق باطله وصار مخالفا للنفس كما قال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلى الانوار الربانية من القلوب ولو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لأحرقه ولهذا قال انى أخاف الله وفيه اشارة الى أنه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه أرحم الراحمين

﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون

فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون وامّا تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين
ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم
وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم (١٢) وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه
هو السميع العليم وان يريدوا أن
يخدعوك فان حسبك الله هو
الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف
بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن
الله ألف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها
النبى حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين يا أيها النبى حرض المؤمنين
على القتال ان يكن منكم عشرون
صابرون يغلبوا مائتين وان يكن
منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين
كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ألآن
خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا
فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا
ألفين باذن الله والله مع الصابرين﴾

حين نازعوه يوم أحد حدثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتذهب ريحكم فذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه الا أنه قال ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال حربكم وجدّكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتذهب ريحكم قال ريح الحرب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتذهب ريحكم قال الريح النصر لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تضرب وجوه العدوّ فاذا كان ذلك لم يكن لهم قوام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تنازعوا فتفشلوا أى لا تختلفوا فيتفرق أمركم وتذهب ريحكم فيذهب جدّكم واصبروا ان الله مع الصابرين أى انى معكم اذا فعلتم ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تنازعوا فتفشلوا قال الفشل الضعف عن جهاد عدوّه والانكسار لهم فذلك الفشل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط﴾ وهذا تقدم من الله جل ثناؤه الى المؤمنين به وبرسوله أن لا يعملوا عملا الا لله خاصة وطلب ما عنده لا رئاء الناس كما فعل القوم من المشركين فى مسيرهم الى بدر طلب رئاء الناس وذلك أنهم أخبروا بفوت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل لهم انصرفوا فقد سلمت العير التى جئتم لنصرتها فأبوا وقالوا نأتى بدرا فنشرب بها الخمر وتعزف علينا القيان وتتحدث بنا العرب لمكاننا فيها فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال كانت قريش قبل أن يلقاهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر قد جاءهم راكب من أبى سفيان والركب الذين معه انا قد أحرزنا القوم فارجعوا فجاء الركب الذين بعثهم أبو سفيان الذين يأمرون قريشا بالرجعة بالجحفة فقالوا والله لا نرجع حتى ننزل بدرا فنقيم فيه ثلاث ليال ويرانا من غشينا من أهل الحجاز فانه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا وهم الذين قال الله الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والتقوا هم والنبى صلى الله عليه وسلم ففتح الله على رسوله وأخزى أئمة الكفر وشفى صدور المؤمنين منهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق فى حديث ذكره قال ثنى محمد بن مسلم وعاصم بن عمرو وعبد الله بن أبى بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا عن ابن عباس قال لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل الى قريش انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل ابن هشام والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا * قال ابن حميد ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس أى لا تكونوا كأبى جهل وأصحابه الذين قالوا لا نرجع حتى نأتى بدرا وننحر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا

۞ القرا آت تتوفى بتاء التأنيث شامى الباقون بالتذكير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب انهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين أبو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول ضعفاء بالمد جعفر يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلى وخلف ۞ الوقوف كفروا الا لأن فاعل يتوفى الملائكة وما قيل ان المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لأن الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الاضمار أى يقولون ذوقوا الحريق ہ للعبيد ہ لا لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب ہ بأنفسهم

لا لعطف أنّ على أنّ عليم ٥ لا للكاف من قبلهم ط بآيات ربهم ج لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون ج لأن
الواو تصلح للاستئناف والحال ظالمين ٥ لا يؤمنون ٥ ج لاحتمال الوصف واحتمال النصب والرفع على الذم لا يتقون ٥
يذكرون ٥ على سواء ط الخائنين ٥ سبقوا ط لمن قرأ انهم (١٣) بالكسر لا يعجزون ٥ من دونهم ج

لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستئناف لا تعلمونهم ج لذلك يعلمهم ط لا تظلمون ٥ على الله ط العليم ٥ حسبك الله ط بين قلوبهم الاول ط بينهم ط حكيم ٥ من المؤمنين ٥ على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ٥ ضعفا ج مائتين ج باذن الله ط الصابرين ٥ ۞ التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا يتوفى لخاصية اذ واذ نصب على الظرف قاله في الكشاف ويمكن أن يكون مفعولا به والمعنى لو رأيت أو عاينت أو شاهدت وقت قبض الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمرا فظيعا (يضربون وجوههم وأدبارهم) قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما أقبل منهم وما أدبر وذلك أن المشركين كانوا اذا أقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا أدبارهم فلا جرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج أرواحهم ومعنى (عذاب الحريق) مقدمة عذاب النار أو عذاب النار نفسها في الآخرة تبشيرا لهم بذلك وعن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله (ذلك بما قدمت أيديكم) الآية قد مر تفسيرها في آخر آل عمران ويحتمل أن تكون هنا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما أنزله بأهل بدر من الكفار عاجلا وآجلا ذكر أن هذه سنة في فرق الكفرة كلهم فقال (كدأب آل فرعون) يريد أن عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فوزى هؤلاء

يهابوننا أي لا يكونن أمركم رياء ولا سمعة ولا التماس ما عند الناس وأخلصوا لله النية والحسبة في نصر دينكم وموازرة نبيكم أي لا تعملوا الا لله ولا تطلبوا غيره **حدثني** محمد بن عمارة الاسدي قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل **وحدثنا** أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال أصحاب بدر **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بطرا ورئاء الناس قال أبو جهل وأصحابه يوم بدر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله قال ابن جريج وقال عبد الله بن كثير هم مشركو قريش وذلك خروجهم الى بدر **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس يعني المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر **حدثنا** محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس قال هم قريش وأبو جهل وأصحابه الذين خرجوا يوم بدر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط قال كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر خرجوا ولهم بغي وفخر وقد قيل لهم يومئذ ارجعوا فقد انطلقت عيركم وقد ظفرتم قالوا لا والله حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ اللهم ان قريشا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادك ورسولك **حدثني** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر المشركين وما يطعمون على المياه فقال لا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله الذين خرجوا من ديارهم بطرا قال هم المشركون خرجوا الى بدر أشرا وبطرا **حدثني** الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي قال لما خرجت قريش من مكة الى بدر خرجوا بالقيان والدفوف فأنزل الله ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط فتأويل الكلام اذا ولا تكونوا أيها المؤمنون بالله ورسوله في العمل بالرياء والسمعة وترك اخلاص العمل لله واحتساب الاجر فيه كالجيش من أهل الكفر بالله ورسوله الذين خرجوا من منازلهم بطرا ومراآة الناس بزيهم وأموالهم وكثرة عددهم وشدة بطانتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون الناس من دين الله والدخول في الاسلام بقتالهم اياهم وتعذيبهم من قدروا عليه من أهل الايمان بالله والله بما يعملون من الرياء والصد عن سبيل الله وغير ذلك من أفعالهم محيط يقول عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه منه شئ وذلك أن الاشياء كلها له متجلية لا يعزب عنه منها شئ فهو لهم بها معاقب وعليها معذب ۞ القول في تأويل قوله (واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني

برىء منكم انى أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وحين زين لهم الشيطان أعمالهم وكان تزيينه ذلك لهم كما **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال جاء ابليس يوم بدر فى جند من الشياطين معه رايته فى صورة رجل من بنى مدلج فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما اصطف الناس أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من التراب فرمى بها فى وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل الى ابليس فلما رآه وكانت يده فى يد رجل من المشركين انتزع ابليس يده فولى مدبرا هو وشيعته فقال الرجل يا سراقة تزعم أنك لنا جار قال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال أتى المشركين ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى الشاعر ثم المدلجى فجاء على فرس فقال للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس فقالوا ومن أنت قال أنا جاركم سراقة وهؤلاء كنانة قد أتوكم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذى بينها وبين بنى بكر يعنى من الحرب فكاد ذلك أن يثبطهم فتبدى لهم ابليس فى صورة سراقة بن جعشم المدلجى وكان من أشراف بنى كنانة فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشئ تكرهونه فخرجوا سراعا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق فى قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فذكر استدراج ابليس اياهم وتشبهه بسراقة بن مالك بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التى كانت بينهم يقول الله فلما تراءت الفئتان ونظر عدو الله الى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون وصدق عدو الله انه رأى ما لا يرون وقال انى أخاف الله والله شديد العقاب فأوردهم ثم أسلمهم قال فذكر لى أنهم كانوا يرونه فى كل منزل فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم لا ينكرونه حتى اذا كان يوم بدر والتقى الجمعان كان الذى رآه حين نكص الحرث بن هشام أو عمير بن وهب الجمحى فذكر أحدهما فقال أين سراقة أسلمنا عدو الله وذهب **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الى قوله شديد العقاب قال ذكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة فزعم عدو الله أنه لا يدى له بالملائكة وقال انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله وكذب والله عدو الله ما به مخافة الله ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به حتى اذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك **حدثنى** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال لما كان يوم بدر سار ابليس برايته وجنوده مع المشركين وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وانى جار لكم فلما التقوا ونظر الشيطان الى أمداد الملائكة نكص على عقبيه قال رجع مدبرا

بالقتل والسبى كما جوزى أولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجرى مجرى العلة فى العقاب الذى أنزله بهم فقال (ذلك بأن الله لم يك) حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الآية ان ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن الله لم يستقم فى حكمته وتدبيره أن يغير (نعمته على قوم حتى يغيروا ما) بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان آل فرعون ومشركى مكة قد فتح الله عليهم أبواب الخيرات وأزال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن (وأن الله سميع) للاقوال (عليم) بالاحوال فيجزى كل فريق بما يستأهله ثم ذكر مرة أخرى قوله (كدأب آل فرعون) وفى التكرير بعد التأكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثانى كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله فى حال الموت والثانى لما بعد الموت قلت ويشبه أن يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت أنسب ومنها أن الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله أحدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند نزع أرواحهم والثانى اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد فى الاول كدأب آل فرعون فيما فعلوا وفى الثانى كدأب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون فى الاول ومفعولون فى الثانى ومنها أن المراد بالاول كفرهم بالله وبالثانى تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل برد آيات ربهم ومنها أن يجعل الضمير فى كفروا وكذبوا لكفار قريش أى كفروا بآيات الله كدأب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كدأب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم أنكروا دلائل الالهية فكان لازمه الاخذ والثانى اشارة الى انهم أنكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الآية بقوله (وكل كانوا ظالمين) أى وكل واحد من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمى أنفسهم بالكفر

مدبرا وقال انى أرى مالا ترون الآية حدثنا أحمد بن الفرج قال ثنا عبد الملك بن عبد العزيز ابن الماجشون قال ثنا مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رؤى ابليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة وذلك مما يرى من تنزيل الرحمة والعفو عن الذنوب الا ما رأى يوم بدر قالوا يا رسول الله وما رأى يوم بدر قال أما انه رأى جبريل يزع الملائكة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سليمن بن المغيرة عن حميد بن هلال عن الحسن فى قوله انى أرى مالا ترون قال رأى جبريل معتجرا ببرد يمشى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وفى يده اللجام ما ركب حدثنا ابن وكيع قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا سليمن بن المغيرة عن حميد بن هلال قال قال الحسن وتلا هذه الآية واذ زين لهم الشيطان أعمالهم الآية قال سار ابليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده وألقى فى قلوب المشركين ان أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ولن تغلبوا كثرة فلما التقوا نكص على عقبيه يقول رجع مدبرا وقال انى برئ منكم انى أرى مالا ترون يعنى الملائكة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب قال لما أجمعت قريش على السير قالوا انما نتخوف من بنى بكر فقال لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم أنا جار لكم من بنى بكر ولا غالب لكم اليوم من الناس فتأويل الكلام وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال وحين زين لهم الشيطان خروجهم اليكم أيها المؤمنون لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم وقال لهم لا غالب لكم اليوم من بنى آدم فاطمئنوا وأبشروا وانى جار لكم من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فتغيركم أجيركم وأمنعكم منهم ولا تخافوهم واجعلوا حدكم وبأسكم على محمد وأصحابه فلما تراءت الفئتان يقول فلما تزاحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين ونظر بعضهم الى بعض نكص على عقبيه يقول رجع القهقرى على قفاه هاربا يقال منه نكص ينكص وينكص نكوصا ومنه قول زهير

هم يضربون حبيك البيض اذ لحقوا * لا ينكصون اذا ما استلحموا وحموا

وقال للمشركين انى برئ منكم انى أرى مالا ترون يعنى أنه يرى الملائكة الذين بعثهم الله مددا للمؤمنين والمشركون لا يرونهم انى أخاف عقاب الله وكذب عدو الله والله شديد العقاب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره وان الله لسميع عليم فى هذه الاحوال واذ يقول المنافقون وكر بقوله اذ يقول المنافقون على قوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا والذين فى قلوبهم مرض يعنى شك فى الاسلام لم يصح يقينهم ولم تنشرح بالايمان صدورهم غر هؤلاء دينهم يقول غر هؤلاء الذين يقاتلون المشركين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أنفسهم دينهم وذلك الاسلام وذكر أن الذين قالوا هذا القول كانوا نفرا ممن كان قد تكلم بالاسلام من مشركى قريش ولم يستحكم الاسلام فى قلوبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر فى هذه الآية اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال كان ناس من

والمعاصى وظالمى غيرهم بالايذاء والايحاش فلا جرم دمرهم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال (ان شر الدواب) الآية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وأشار الى هذا بقوله (فهم لا يؤمنون) وشر المصرين الناكثون للعهود وأشار اليهم بقوله (الذين عاهدت منهم) ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف أى الذين عاهدتهم وهم بعض أولئك الكفرة يعنى الاشراف الذين معهم تليق المعاهدة (ثم ينقضون) عطف المستقبل على الماضى لفائدة الاستمرار وان من شأنهم نقض العهد (فى كل مرة) من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا وأعانوا عليه يوم الخندق (وهم لا يتقون) عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم أمر رسوله بالخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال (فاما تثقفنهم) تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب (فشرد بهم من خلفهم) والتشريد التفريق مع الاضطراب أى ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه أكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير فى (لعلهم يذكرون) لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه أحد بعدهم اتعاظا بحالهم (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد أى أخبرهم اخبارا مكشوفا بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة قال فى الكشاف الجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء فى العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل أن يكون حالا من المنبوذ أى حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقير شأن العهد أنذاك أو عن

انكشاف حاله في النبذ قال أهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما أن تظهر ظهورا محتملا أو ظهورا مقطوعا به فان كان الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في الآية وذلك أن قريظة عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام

أهل مكة تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثني اسحق بن شاهين قال ثنا خالد عن داود عن عامر مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال فئة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحرث بن زمعة بن الاسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاصي بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين قال معمر وقال بعضهم قوم كانوا أقروا بالاسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض الى قوله فان الله عزيز حكيم قال رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال ناس كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر وهم يومئذ ثلثمائة وبضعة عشر رجلا * قال حدثني حجاج عن ابن جريج في قوله اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض قال لما دنا القوم بعضهم من بعض فقلل الله المسلمين في أعين المشركين وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وانما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك فقال الله ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم وأما قوله ومن يتوكل على الله فان معناه ومن يسلم أمره الى الله ويثق به ويرض بقضائه فان الله حافظه وناصره لانه عزيز لا يغلبه شئ ولا يقهره أحد فجاره منيع ومن يتوكل عليه يكفه وهذا أمر من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسول الله وغيرهم أن يفوضوا أمرهم اليه ويسلموا لقضائه كيما يكفيهم أعداءهم ولا يستذلهم من ناوأهم لانه عزيز غير مغلوب فجاره غير مقهور حكيم يقول هو فيما يدبر من أمر خلقه حكيم لا يدخل تدبيره خلل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو تعاين يا محمد حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار فتنزعها من أجسادهم تضرب الوجوه منهم والأستاه ويقولون لهم ذوقوا عذاب النار التي تحرقكم يوم ورودكم جهنم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم قال يوم بدر حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن أسلم عن اسمعيل بن كثير عن مجاهد يضربون وجوههم وأدبارهم

قال

أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب أما اذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي منه والانتقام كيلا يبقى حسرة في قلبه فقد كان فيهم من بلغ في أذيته مبلغا عظيما فقال (ولا يحسبن) من قرأ بتاء الخطاب فمفعوله الاول (الذين كفروا) وثانيه (سبقوا) أي فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (انهم لا يعجزون) كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له الا أن المكسورة على طريقة الاستئناف كأن سائلا سأل مالهم لا يحسبون سابقين فأجيب بما أجيب والمفتوحة تعليل صريح والجار محذوف أي لأنهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم أعجزت فلانا وعجزته جعلته أو وجدته عاجزا والمراد لا تحسبنهم أنهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا وآجلا ومن قرأ بالياء التحتانية نذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعولاه سبقوا على أن الاصل أن سبقوا فحذفت أن كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود أنهم سبقوا ومنها أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها أن المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم أو لا يحسبن أنفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف أي ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قصة بدر أن قصدوا الكفار بلا آلة وعدة أمرهم الله أن لا يعودوا لمثله ويتأهبوا للقتال الاعداء فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) عن عكرمة

قال وأستاههم ولكن الله كريم يكني حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ثنا سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله كريم يكني حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال أخبرنا شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله يضربون وجوههم وأدبارهم قال ان الله كني ولو شاء لقال أستاههم وانما عني بأدبارهم أستاههم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال أستاههم يوم بدر * قال ابن جريج قال ابن عباس اذا أقبل المشركون بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف واذا ولوا أدركتهم الملائكة فضربوا أدبارهم حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن قال قال رجل يا رسول الله اني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك قال فما ذاك قال ضرب الملائكة حدثنا محمد قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن منصور عن مجاهد أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه فندر رأسه فقال سبقك اليه الملك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني حرملة أنه سمع عمر مولى غفرة يقول اذا سمعت الله يقول يضربون وجوههم وأدبارهم فانما يريد أستاههم * قال أبو جعفر وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الظاهر عليه من ذكره وهو قوله ويقولون ذوقوا عذاب الحريق حذفت يقولون كما حذفت من قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا بمعنى يقولون ربنا أبصرنا ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملائكة لهؤلاء المشركين الذين قتلوا ببدر أنهم يقولون لهم وهم يضربون وجوههم وأدبارهم ذوقوا عذاب الله الذي يحرقكم هذا العذاب لكم بما قدمت أيديكم أي بما كسبت أيديكم من الآثام والاوزار واجترحتم من معاصي الله أيام حياتكم فذوقوا اليوم العذاب وفي معادكم عذاب الحريق وذلك لكم بان الله ليس بظلام للعبيد لا يعاقب أحدا من خلقه الا بجرم اجترمه ولا يعذبه الا بمعصيته اياه لأن الظلم لا يجوز أن يكون منه وفي فتح أن من قوله وأن الله وجهان من الاعراب أحدهما النصب وهو العطف على ما التي في قوله بما قدمت بمعنى ذلك بما قدمت أيديكم وبان الله ليس بظلام للعبيد في قول بعضهم والخفض في قول بعض والآخر الرفع على ذلك بما قدمت وذلك أن الله ۞ القول في تأويل قوله ﴿ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوي شديد العقاب ﴾ يقول تعالى ذكره فعل هؤلاء المشركون من قريش الذين قتلوا ببدر كعادة قوم فرعون وصنيعهم وفعلهم وفعل من كذب بحجج الله ورسله من الامم الخالية قبلهم ففعلنا بهم كفعلنا بأولئك وقد بينا فيما مضى أن الدأب هو الشأن والعادة بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع حدثني الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا شيبان عن جابر عن عامر ومجاهد وعطاء كدأب آل فرعون كفعل آل فرعون كسنن آل فرعون وقوله فأخذهم الله بذنوبهم يقول فعاقبهم الله بتكذيبهم حججه ورسله ومعصيتهم ربهم كما عاقب أشكالهم والامم الذين قبلهم ان الله قوي لا يغلبه غالب

هي الحصون وعن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر ثم قال ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والأصح أنها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلى الله عليه وسلم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود (ومن رباط الخيل) هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر أنه بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب أن ربط الخيل من أقوى آلات الجهاد روي عن ابن سيرين أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

ولقد علمت على توقي الردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها أولى بالربط لتفيد النسل وقيل هي الفحول لانها أقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لأجله أمر باعداد هذه الاشياء فقال (ترهبون به) أي بما استطعتم (عدو الله وعدوكم) لان الكفار اذا علموا تأهب المسلمين للقتال لم يجسروا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة (وآخرين من دونهم) يريد بالاولين أهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاريه قوله (لا تعلمونهم الله يعلمهم) والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا وأجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في أنفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم أهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان بن موسى انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي أن صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين أعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم آخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال (وما تنفقوا من شيء

في سبيل الله يوف اليكم) أي ثوابه (وأنتم لا تظلمون) لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيأ ثم رخص في المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال (وان جنحوا للسلم) الآية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب أو بتأويل الخصلة أو الفعلة عن ابن عباس ومجاهد (١٨) أن الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله أو بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى أن يقال انها ثابتة فليس يحتم أن يقاتل المشركون أبدا أو يجابوا الى الهدنة أبدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام وذويه فاذا رأى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد تظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد أو لقلة المال و بعد العدو وقد تكون مع القوة للطمع في اسلامهم أو قبولهم الجزية اذا خالطوا المسلمين أو بأن يعينوه على قتال غيرهم وأما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف ورأى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي يهادن أربعة أشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض أربعة أشهر وذلك كان في أقوى ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حين صالح أهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا أنهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استأنف العقد ثم قال (وتوكل على الله) أي فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شأن قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم (انه هو السميع) للاقوال (العليم) بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما أمكن ثم ذكر حكما من أحكام المهادنة فقال (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك) محسبك وكافيك (الله) والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان أصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الآية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم

ولا راد قضاءه واذ ينفذ أمره و عصى قضاءه في خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته وجحد حججه

القول في تأويل قوله (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم) يقول تعالى ذكره وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم وفعلنا ذلك بهم بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم و بين أظهرهم باخراجهم اياه من بينهم وتكذيبهم له وحربهم اياه فغيرنا نعمتنا عليهم باهلاكنا اياهم كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم يقول نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم أنعم به على قريش وكفروا فنقله الى الأنصار وقوله وأن الله سميع عليم يقول لا يخفى عليه شيء من كلام خلقه يسمع كلام كل ناطق منهم بخير نطق أو بشر عليم بما تضمره صدورهم وهو مجازيهم ومثيبهم على ما يقولون و يعملون ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا

القول في تأويل قوله (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين) يقول تعالى ذكره غير هؤلاء المشركون بالله المقتولون ببدر نعمة ربهم التي أنعم بها عليهم بابتعاثه محمدا منهم و بين أظهرهم داعيا لهم الى الهدى بتكذيبهم اياه وحربهم له كدأب آل فرعون كسنة آل فرعون وعادتهم وفعلهم بموسى نبي الله في تكذيبهم اياه وتصديهم لحربه وعادة من قبلهم من الامم المكذبة رسلها وصنيعهم فأهلكناهم بذنوبهم بعضا بالرجفة و بعضا بالخسف و بعضا بالريح وأغرقنا آل فرعون في اليم وكل كانوا ظالمين يقول كل هؤلاء الامم التي أهلكناها كانوا فاعلين ما لم يكن لهم فعله من تكذيبهم رسل الله والجحود لآياته فكذلك أهلكنا هؤلاء الذين أهلكناهم ببدر اذ غيروا نعمة الله عندهم بالقتل بالسيف وأذللنا بعضهم بالاسار والسباء

القول في تأويل قوله (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون) يقول تعالى ذكره ان شر ما دب على الارض عند الله الذين كفروا بربهم فجحدوا وحدانيته وعبدوا غيره فهم لا يؤمنون يقول فهم لا يصدقون رسل الله ولا يقرون بوحيه وتنزيله

القول في تأويل قوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) يقول تعالى ذكره ان شر الدواب عند الله الذين كفروا الذين عاهدت منهم يا محمد يقول أخذت عهودهم ومواثيقهم أن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك محاربا لك كقريظة ونظرائهم ممن كان بينك و بينهم عهد وعقد ثم ينقضون عهودهم ومواثيقهم كلما عاهدوا دافعوك وحاربوك وظاهروا عليك وهم لا يتقون الله ولا يخافون في فعلهم ذلك أن يوقع بهم وقعة تجتاحهم وتهلكهم كالذي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم قال قريظة مالؤا على محمد يوم الخندق أعداءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه

القول في تأويل قوله (فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاما

خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على أمور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على أمارة قوية تدل على كونهم قاصدين الشر وإثارة الفتنة ثم أكد كون الله تعالى كافياله بقوله (هو الذى أيدك بنصره) أى من غير واسطة أسباب معتادة (وبالمؤمنين) أى بوساطة الانصار ثم بين أنه كيف أيده بالمؤمنين فقال (وألف بين قلوبهم) قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك أشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن فى الامور المستحقرة لم تكد تأتلف أهواؤهم وينتظم شملهم ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الامن مقلب القلوب والاحوال والتحقيق فى الباب أن المحبة لاتحصل الاعند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة أمرا سريع التغير كالمال أو الجاه أو اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية فهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبى صلى الله عليه وسلم مقبلين على المفاخرة والتسابق فى المال والجاه والتعصب والتفرق فلاجرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين أخرى فلما جاءهم النبى صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين فى الله ولله (انه عزيز حكيم) أى قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعى فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان أو على حسب المصالح على اختلاف القولين فى مسئلة الجبر والقدر قال القاضى لولا ألطاف الله تعالى

تلقين فى الحرب هؤلاء الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة فتأسرهم فشرد بهم من خلفهم يقول فافعل بهم فعلا يكون مشردا من خلفهم من نظرائهم ممن بينك وبينه عهد وعقد والتشريد التطريد والتبديد والتفريق وانما أمر بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بالناقض العهد بينه وبينهم اذا قدر عليهم فعلا يكون اخافة لمن وراءهم ممن كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه عهد حتى لايجترؤا على مثل الذى اجترأ عليه هؤلاء الذين وصف الله صفتهم فى هذه الآية من نقض العهد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على عن ابن عباس قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يعنى نكل بهم من بعدهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من وراءهم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول عظ بهم من سواهم من الناس حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من خلفهم من بعدهم من العدو لعلهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير فشرد بهم من خلفهم قال أنذر بهم من خلفهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس قال نكل بهم من خلفهم من بعدهم * قال ابن جريج قال عبد الله ابن كثير نكل بهم من وراءهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون أى نكل بهم من وراءهم لعلهم يعقلون حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله فشرد بهم من خلفهم يقول نكل بهم من بعدهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم قال أخفهم بما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وأما قوله لعلهم يذكرون فان معناه كى يتعظوا بما فعلت بهؤلاء الذين وصفت صفتهم فيحذروا نقض العهد الذى بينك وبينهم خوف أن ينزل بهم منك ما نزل بهؤلاء اذا هم نقضوه ❁ القول فى تأويل قوله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لايحب الخائنين) يقول تعالى ذكره واما تخافن يا محمد من عدو لك بينك وبينه عهد وعقد أن ينكث عهده وينقض عقده ويغدر بك وذلك هو الخيانة والغدر فانبذ اليهم على سواء يقول فناجزهم بالحرب وأعلمهم قبل حربك اياهم أنك قد فسخت العهد بينك وبينهم بما كان منهم من ظهور آثار الغدر والخيانة منهم حتى تصير أنت وهم على سواء فى العلم بأنك لهم محارب فيأخذوا للحرب آلتها وتبرأ من الغدر ان الله لايحب الخائنين الغادرين بمن كان منه فى أمان وعهد بينه وبينه أن يغدر به فيحاربه قبل اعلامه اياه أنه له حرب وأنه قد فاسخه العقد فان قال قائل وكيف يجوز نقض العهد بخوف الخيانة والخوف ظن لا يقين قيل ان الامر بخلاف ما اليه ذهبت وانما معناه اذا ظهرت آثار الخيانة من عدوك وخفت وقوعهم بك فألق اليهم مقاليد السلم وآذنهم بالحرب

ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره أنه يضاف علم الولد وأدبه الى أبيه لاجل أنه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وأحسب بأنه عدول عن الظاهر والآية صريحة في أن العقائد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقني لمتابعة نبيك انك (٢٠) قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال (يا أيها النبي حسبك الله) ومحل (ومن اتبعك) منصوب لانه بمنزلة زيدا في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم أن يقولوا احسبك وأخيك بل المستعمل أن يقال حسبك وحسب أخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك وحسب من اتبعك ومعنى الآية كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز أن يكون في محل الرفع أي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فصاروا أربعين فأنزل الله تعالى الآية ثم بين سبحانه أن كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه أنه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كأنه ينسبه الى الهلاك لو تخلف عن المأمور أو كأنه يأمره أن يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف وفي قوله (ان يكن منكم عشرون صابرون) عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة أمثالهم بعون الله وتأييده واعترض عليه بأنه يلزم منه أن لا يغلب قط مائتان كفروا من الكفار عشرين من المؤمنين ويمكن أن يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلقات يتربصن بدليل قوله (الآن خفف الله عنكم) والنسخ

وذلك كالذي كان من بني قريظة اذ أجابوا أبا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربتهم معه بعد العهد الذي كانوا عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسالمة ولن يقاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اجابتهم اياه الى ذلك موجبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وبأصحابه منهم فكذلك حكم كل قوم أهل موادعة للمؤمنين ظهر لامام المسلمين منهم من دلائل الغدر مثل الذي ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قريظة منها فحق على امام المسلمين أن ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب ومعنى قوله على سواء أي حتى يستوي علمك وعلمهم بأن كل فريق منكم حرب لصاحبه لا سلم وقيل نزلت الآية في قريظة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانبذ اليهم على سواء قال قريظة وقد قال بعضهم السواء في هذا الموضع المهل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال انه مما تبين لنا أن قوله فانبذ اليهم على سواء أنه على مهل كما حدثنا بكير عن مقاتل بن حيان في قول الله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر وأما أهل العلم بكلام العرب فانهم في معناه مختلفون فكان بعضهم يقول معناه فانبذ اليهم على عدل يعني حتى يعتدل علمك وعلمهم بما عليه بعضكم لبعض من المحاربة واستشهدوا لقولهم ذلك بقول الراجز

واضرب وجوه الغدر للاعداء * حتى يجيبوك الى السواء

يعني الى العدل * وكان آخرون يقولون معناه الوسط من قول حسان

يا ويح أنصار الرسول ورهطه * بعد المغيب في سواء الملحد

يعني في وسط اللحد وكذلك هذه المعاني متقاربة لان العدل وسط لا يعلو فوق الحق ولا يقصر عنه وكذلك الوسط عدل واستواء الفريقين فيما عليه بعضهم لبعض بعد المهادنة عدل من الفعل ووسط وأما الذي قاله الوليد بن مسلم من أن معناه المهل فما لا أعلم له وجها في كلام العرب

القول في تأويل قوله (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم وبالتاء في تحسبن بمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقونا ففاتونا بأنفسهم ثم ابتدئ الخبر عن قدرة الله عليهم فقيل ان هؤلاء الكفرة لا يعجزون ربهم اذا طلبهم وأراد تعذيبهم واهلاكهم بأنفسهم فيفوتوه بها وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والكوفة ولا يحسبن الذين كفروا بالياء في يحسبن وكسر الالف من انهم وهي قراءة غير جيدة لمعنيين أحدهما خروجها من قراءة القراء وشذوذها عنها والآخر بعدها من فصيح كلام العرب وذلك أن يحسب يطلب في كلام العرب منصوبا وخبره كقوله عبد الله يحسب أخاك قائما ويقوم وقام فقارئ هذه القراءة أصحب يحسب خبرا لغير مخبر عنه مذكور وانما كان مراده ظني ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزوننا فلم يفكر في صواب مخرج الكلام وسقمه واستعمل في قراءته ذلك كذلك ما ظهر له من مفهوم الكلام وأحسب أن الذي دعاه الى ذلك الاعتبار بقراءة عبد الله وذلك أنه فيما ذكر في مصحف عبد الله ولا يحسب الذين

كفروا أنهم سبقوا إنهم لا يعجزون وهذا فصيح صحيح اذا أدخلت أنهم في الكلام لان يحسبن عاملة في أنهم واذا لم يكن في الكلام أنهم كانت خالية من اسم تعمل فيه وللذي قرأ ذلك من القراء وجهان في كلام العرب وان كانا بعيدين من فصيح كلامهم أحدهما أن يكون أريد به ولا يحسبن الذين كفروا أن سبقوا أو أنهم سبقوا ثم حذف أن وأنهم كما قال جل ثناؤه ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا بمعنى أن يريكم وقد ينشد في نحو ذلك بيت لذي الرمة

أظن ابن طرثوث عيينة ذاهبا * بعاديتي تكذابه وجعائله

بمعنى أظن ابن طرثوث أن يذهب بعاديتي تكذابه وجعائله وكذلك قراءة من قرأ ذلك بالياء يوجه سبقوا الى سابقين على هذا المعنى والوجه الثاني على أنه أراد اضمار منصوب بيحسب كأنه قال ولا يحسب الذين كفروا أنهم سبقوا ثم حذف الهمز وأضمر وقد وجه بعضهم معنى قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه انما ذلكم الشيطان يخوف المؤمن من أوليائه وأن ذكر المؤمن مضمر في قوله يخوف اذ كان الشيطان عنده لا يخوف أولياءه وقرأ ذلك بعض أهل الشام ولا تحسبن الذين كفروا بالتاء من تحسبن سبقوا أنهم لا يعجزون بفتح الالف من أنهم بمعنى ولا تحسبن الذين كفروا أنهم لا يعجزون ولا وجه لهذه القراءة يعقل الا أن يكون أراد القارئ بلا التي في يعجزون لا التي تدخل في الكلام حشوا وصلة فيكون معنى الكلام حينئذ ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا أنهم يعجزون ولا وجه لتوجيه حرف في كتاب الله الى التطويل بغير حجة يجب التسليم لها وله في الصحة مخرج * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن بالتاء الذين كفروا سبقوا انهم بكسر الالف من انهم لا يعجزون بمعنى ولا تحسبن أنت يا محمد الذين جحدوا حجج الله وكذبوا بها سبقونا بأنفسهم ففاتونا انهم لا يعجزوننا أي يفوتوننا بأنفسهم ولا يقدرون على الهرب منا كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون يقول لا يفوتون ۞ القول في تأويل قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) يقول تعالى ذكره وأعدوا لهؤلاء الذين كفروا بربهم الذين بينكم و بينهم عهد اذا خفتم خيانتهم وغدرهم أيها المؤمنون بالله و رسوله ما استطعتم من قوة يقول ما أطقتم أن تعدوه لهم من الآلات التي تكون قوة لكم عليهم من السلاح والخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم يقول تخيفون باعدادكم ذلك عدو الله وعدوكم من المشركين وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل من جهينة يرفع الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان الرمي هو القوة ألا ان الرمي هو القوة حدثنا أبو كريب قال ثنا سعيد بن شرحبيل قال ثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب وعبد الكريم بن الحرث عن أبي علي الهمداني أنه سمع عقبة بن عامر على المنبر يقول قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ألا واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر قال الله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ثلاثا حدثنا أبو كريب قال ثنا محبوب وجعفر بن عون ووكيع وأبو أسامة وأبو نعيم عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل

بالامر أليق منه بالخبر و بدليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الآية اذن ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب على الواحد أن يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر النسبة مرتين لان السرايا التي كان يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينقص عددها عن العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة وأما في الكرة الثانية فانما كررت النسبة للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى أن عدد عسكر الاسلام سيؤل من العشرات والمئات الى الالوف والله أعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة فقال (بأنهم قوم لا يفقهون) أي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة عندهم في هذه الحياة العاجلة وأيضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم و يستغيثونه و يتوقعون منه انجاز موعده من النصر والتأييد ووجه آخر وهو أن أهل العلم والمعرفة يكون لهم في أعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في أنفسهم أقوياء أشداء لما تجلى عليهم من أنوار المعرفة والبصيرة يعرف ذلك أصحاب العلوم وأرباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور وقال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في أهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا و يثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا قبل بدر فلقي أبا جهل في ثلثمائة راكب وأرادوا قتالهم فمنعهم حمزة و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس الى خالد بن صفوان وكان في جماعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال انك اذا رأيته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة و بلغني أنه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت

نحوه ودنوت منه ووجدت القشعريرة فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف وأسرعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرت أني قتلته فأعطاني عصاه وقال امسكها فانها آية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما أمر الرجل أن يصبر لعشرة

والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس أيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل أن الجمهور ادعوا أن قوله (الآن خفف الله عنكم) ناسخ لحكم الآية المتقدمة وأنكر ذلك أبو مسلم الاصفهاني قال لأن لفظ الآية ورد على الخبر سلمنا أنه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان التقدير ليكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز أن يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بجهادهم واذا كان الشرط غير حاصل في حق هؤلاء لقوله وعلم أن فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله لان مثل هذا الكلام قد تقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الآيتين والناسخ يجب أن يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل قول أبي مسلم وهو انما يستحق الجواب لو لم يحصل قبله اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى أعلم ومعنى قوله (وعلم أن فيكم ضعفا) ظهور معلومه فلا يبقى لهشام حجة في مذهبه أنه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك والظاهر أن المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا ۞ التأويل يضربون وجوههم وأدبارهم لان الكافر ذاهب عن الله مقبل على الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له ألم من جهة الخلف ويقبل على الآخرة ولا نور له يبصر به ما أمامه فيحصل له تألم من قدام لم يك مغيرا نعمة مبدلا حسن تقديم واستعداد أعطاهم الله بضده حتى يغيروا بالكفر والتكذيب ما بأنفسهم من نعم الاستعداد الفطري الذين عاهدت

عن عقبة بن عامر الجهني قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي ثلاث مرات حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن رجل عن عقبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية على المنبر فذكر نحوه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أسامة بن زيد عن صالح بن كيسان عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبيدة عن أخيه محمد بن عبيدة عن أخيه عبد الله بن عبيدة عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا ان القوة الرمي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن شعبة ابن دينار عن عكرمة في قوله وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة قال الحصون ومن رباط الخيل قال الاناث حدثنا علي بن سهل قال ثنا ضمرة بن ربيعة عن رجاء بن أبي سلمة قال لقي رجل مجاهدا بمكة ومع مجاهد جوالق قال فقال مجاهد هذا من القوة ومجاهد يتجهز للغزو حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة من سلاح وأما قوله ترهبون به عدو الله وعدوكم فقال ابن وكيع حدثنا أبي عن اسرائيل عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن عثمان عن مجاهد عن ابن عباس مثله حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة وسعيد بن جبير عن ابن عباس ترهبون به عدو الله وعدوكم قال تخزون به عدو الله وعدوكم (١) وكذا كان يقرؤها ترهبون حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن عثمان بن المغيرة وخصيف عن مجاهد عن ابن عباس ترهبون به تخزون به حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مثله يقال منه أرهبت العدو ورهبته فأنا أرهبه وأرهبه ارهابا وترهيبا وهو الرهب والرهب ومنه قول طفيل الغنوي

ويل أم حي دفعتم في نحورهم * بني كلاب غداة الرعب والرهب

۞ القول في تأويل قوله (وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) اختلف أهل التأويل في هؤلاء الآخرين من هم وما هم فقال بعضهم هم بنو قريظة ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسن قال ثنا ابن أبي جعفر عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم يعني من بني قريظة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وآخرين من دونهم قال قريظة * وقال آخرون من فارس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم هؤلاء أهل فارس * وقال آخرون هم كل عدو للمسلمين غير الذي أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يشرد بهم من خلفهم قالوا وهم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم

(١) يريد أن ابن عباس كان يقرأ تخزون بدل ترهبون كما نقله عنه في الكشاف اه كتبه مصححه

منهم بالروح فى الازل لان نور الله وصفته غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرد بالروح بهم من خلفهم أى بالغ فى تبديل صفات النفس وفى تزكيتها بحيث يؤثر نور تبدلها فى الصفات التى وراءها فانبذ اليهم على سواء أى أظهر عداوتك معهم وجاهدهم انهم لا يعجزون أى النفوس الكافرة تحت تصرفى فلا تقنطوا من رحمتى فى اصلاح حالهم من قوة الروح

وغلبات صفاتها واعداده بمداومة

قال أخفهم بهم لما تصنع بهؤلاء وقرأ وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم قال هؤلاء المنافقون لا تعلمونهم لانهم معكم يقولون لا اله الا الله ويغزون معكم * وقال آخرون هم قوم من الجن * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أمر المؤمنين باعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمى وغير ذلك ورباط الخيل ولا وجه لان يقال عنى بالقوة معنى دون معنى من معانى القوة وقد عم الله الامر بها فان قال قائل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله ألا ان القوة الرمى قيل له ان الخبر وان كان قد جاء بذلك فليس فى الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمى خاصة دون سائر معانى القوة عليهم فان الرمى أحد معانى القوة لانه انما قيل فى الخبر ألا ان القوة الرمى ولم يقل دون غيرها ومن القوة أيضا السيف والرمح والحربة وكل ما كان معونة على قتال المشركين كمعونة الرمى أو أبلغ من الرمى فيهم وفى النكاية منهم هذا مع وهى سند الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأما قوله وآخرين من دونهم لا تعلمونهم فان قول من قال عنى به الجن أقرب وأشبه بالصواب لانه جل ثناؤه قد أدخل بقوله ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الامر بارتباط الخيل لارهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعداوة قريظة وفارس لهم لعلمهم بأنهم مشركون وأنهم لهم حرب ولا معنى لان يقال وهم يعلمونهم لهم أعداء وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ولكن معنى ذلك ان شاء الله ترهبون بارتباطكم أيها المؤمنون الخيل عدو الله وأعداءكم من بنى آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم لكفرهم بالله ورسوله وترهبون بذلك جنسا آخر من غير بنى آدم لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم الله يعلمهم دونكم لأن بنى آدم لا يرونهم وقيل ان صهيل الخيل يرهب الجن وان الجن لا تقرب دارا فيها فرس فان قال قائل فان المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون فما تنكر أن يكون عنى بذلك المنافقون قيل فان المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم وانما كان يروعهم أن يظهر المسلمون على سرائرهم التى كانوا يستسرون من الكفر وانما أمر المؤمنون باعداد القوة لارهاب العدو فأما من لم يرهبه ذلك فغير داخل فى معنى من أمر باعداد ذلك له المؤمنون وقيل لا تعلمونهم فاكتفى للعلم بمنصوب واحد فى هذا الموضع لانه أريد لا تعرفونهم كما قال الشاعر

فان الله يعلمنى (١) * وانا سوف يلقاه كلانا

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون﴾ يقول تعالى ذكره وما أنفقتم أيها المؤمنون من نفقة فى شراء آلة حرب من سلاح أو حراب أو كراع أو غير ذلك من النفقات فى جهاد أعداء الله من المشركين يخلفه الله عليكم فى الدنيا ويدخر لكم أجوركم على ذلك عنده حتى يوفيكموها يوم القيامة وأنتم لا تظلمون يقول يفعل ذلك بكم ربكم فلا يضيع أجوركم عليه * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون أى لا يضيع لكم عند الله أجره فى الآخرة وعاجل خلفه فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وان جنحوا للسلم

(١) سقط منه شئ من قلم الناسخ ولم نقف على البيت فحرره كتبه مصححه

الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الله الشيطان وعدوكم النفس والهوى وآخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا تعلمونهم أنهم عدوكم من الاحباب والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم أنهم عدو لكم كقوله ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شئ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة يوف اليكم فوائده من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وألف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو أنفقت ما فى أرض وجودك من السعى والجد والاجتهاد لما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله ألف بين الروح والنفس وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله أعلم ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الأسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء

فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وإما تخافن من قوم خيانة وغدرا فانبذ اليهم على سواء وآذنهم بالحرب وان جنحوا للسلم فاجنح لها وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب اما بالدخول فى الاسلام وإما باعطاء الجزية واما بموادعة ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح فاجنح لها يقول فمل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وسألوكه يقال منه جنح الرجل الى كذا يجنح (١) اليه جنوحا وهى لتميم وقيس فيما ذكر عنها تقول يجنح بضم النون وآخرون يقولون يجنح بكسر النون وذلك اذا مال ومنه قول نابغة بنى ذبيان

جوانح قد أيقن أن قبيله * اذا ما التقى الجمعان أول غالب

جوانح موائل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة وان جنحوا للسلم قال الصلح ونسخها قوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان جنحوا للسلم الى الصلح فاجنح لها قال وكانت هذه قبل براءة كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يوادع القوم الى أجل فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ثم نسخ ذلك بعد فى براءة فقال اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقال قاتلوا المشركين كافة ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا وأن لا يقبل منهم الا ذلك وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها وكل صلح يصالح به المسلمون المشركين يتوادعون به فان براءة جاءت بنسخ ذلك فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسن عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا وان جنحوا للسلم فاجنح لها نسختها الآية التى فى براءة قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان جنحوا للسلم فاجنح لها يقول وان أرادوا الصلح فأرده حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان جنحوا للسلم فاجنح لها أى ان دعوك الى السلم الى الاسلام فصالحهم عليه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها قال فصالحهم قال وهذا قد نسخه الجهاد فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله من أن هذه الآية منسوخة فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل وقد دللنا فى غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون الا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه فأما ما كان بخلاف ذلك فغير كائن ناسخا وقول الله فى براءة فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم غير ناف حكمه حكم قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها لأن قوله وان جنحوا للسلم انما عنى به بنو قريظة وكانوا يهودا أهل كتاب وقد أذن الله جل ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم وأما قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فانما عنى به مشركو العرب من عبدة الأوثان الذين لا يجوز قبول الجزية منهم فليس فى احدى الآيتين نفى حكم الاخرى بل كل واحدة منهما محكمة فيما أنزلت فيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان جنحوا للسلم قال قريظة وأما قوله وتوكل على الله يقول فوض الى الله يا محمد أمرك واستكفه واثقا به أنه يكفيك كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق

(١) أى من باب منع اه مصححه

بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم) ۞ القرا آت أن تكون بالتاء الفوقانية أبو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد أسارى يزيد والمفضل الآخرون أسرى من الاسارى يزيد وأبو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى من ولايتهم بكسر الواو حمزة والباقون بفتحها ۞ الوقوف فى الارض ط لتقدير الاستفهام أى أتريدون الآخرة ط حكيم ○ عظيم ○ واتقوا الله ط رحيم ○ ويغفر لكم ط رحيم ○ منهم ط حكيم ○ أولياء بعض ط حتى يهاجروا ج ميثاق ط بصير ○ أولياء بعض ط كبير ○ حقا ط كريم ○ منكم ط فى كتاب الله ط عليم ○ ۞ التفسير هذا حكم آخر من أحكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل فى الكفرة روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن أبى طالب فاستشار أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك فاستبقهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فان هؤلاء أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكن علينا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق وروى أنه قال لهم ان شئتم

وتوكل على الله ان الله كافيك وقوله انه هو السميع العليم يعنى بذلك ان الله الذى تتوكل عليه سميع لما تقول أنت ومن تسالمه وتتاركه الحرب من أعداء الله وأعدائك عند عقد السلم بينك وبينه ويشرط كل فريق منكم على صاحبه من الشروط والعليم بما يضمره كل فريق منكم للفريق الآخر من الوفاء بما عاقده عليه ومن المضمر ذلك منكم فى قلبه والمنطوى على خلافه لصاحبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وان يرد يا محمد هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ اليهم على سواء ان خفت منهم خيانة وبما لتهم ان جنحوا للسلم خداعك والمكر بك فان حسبك الله يقول فان الله كافيكهم وكافيك خداعهم اياك لانه متكفل باظهار دينك على الأديان ومتضمن أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى هو الذى أيدك بنصره يقول الله الذى قواك بنصره اياك على أعدائه وبالمؤمنين يعنى بالانصار * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان يريدوا أن يخدعوك قال قريظة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله هو من وراء ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هو الذى أيدك بنصره قال بالانصار ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم﴾ يريد جل ثناؤه بقوله وألف بين قلوبهم وجمع بين قلوب المؤمنين من الاوس والخزرج بعد التفرق والتشتت على دينه الحق فصيرهم به جميعا بعد أن كانوا أشتاتا واخوانا بعد أن كانوا أعداء وقوله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لو أنفقت يا محمد ما فى الارض جميعا من ذهب وورق وعرض ما جمعت أنت بين قلوبهم بحيلك ولكن الله جمعها على الهدى فأتلفت واجتمعت تقوية من الله لك وتأييدا منه ومعونة على عدوك يقول جل ثناؤه والذى فعل ذلك وسببه لك حتى صاروا لك أعوانا وأنصارا ويدا واحدة على من بغاك سوأ هو الذى ان رام عدو منك مراما يكفيك كيده وينصرك عليه فثق به وامض لامره وتوكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وألف بين قلوبهم قال هؤلاء الانصار ألف بين قلوبهم من بعد حرب فيما كان بينهم حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بشير بن ثابت رجل من الانصار أنه قال فى هذه الآية لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم يعنى الانصار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وألف بين قلوبهم على الهدى الذى بعثك به اليهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم بدينه الذى جمعهم عليه يعنى الاوس والخزرج حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عمان عن ابراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال اذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما قال قلت لمجاهد بمصافحة يغفر لهما فقال مجاهد

فاقتلوهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الاسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية أربعون درهما وروى أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان فى القتل أحب الى * واعلم أن الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام تمسكوا فى هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبى صريح فى النهى وقد حصل الاسر بدليل قل لمن فى أيديكم من الاسرى الثانى انهم أمروا بالقتل يوم بدر فى قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية وأجيب بان قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما ترتب لان الاثخان أمر غير مضبوط فظنوا أن ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا فى الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم بأخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم فى قوله (تريدون عرض الدنيا) أى حطامها سمى بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر (والله يريد الآخرة) أى ثوابها أو ما هو سبب الجنة وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل فى أعدائه وقرئ بجر الآخرة أى عرض الآخرة على التقابل (والله عزيز) يغلب أولياؤه على أعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم الى القتل والفداء بعد الاسر ولكنه (حكيم) لا يرخص فى أخذ الفداء الا بعد افشاء القتل فى الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى وكذا الكلام فى قوله (لولا كتاب من الله سبق) أى لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح وهو أنه لا يعاقب أحدا بخطئ فى الاجتهاد

لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وحصول أولاد منهم مسلمين وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد
فى سبيل الله وخفى عليهم أن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين
فلما كثروا وقوى اسلامهم أنزل الله بعد ذلك فى الاسارى حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء

قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم أن مقتضى الآيتين مختلف وليس كذلك فان كلتاهما تدل على انه لابد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفدية وكأن قرب الوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهى وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان فى كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم أن لا يكونوا مكلفين والجواب أن عدم العقاب على الذنب لا يوجب عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا روى انهم أمسكوا عن الغنائم أو عن أخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت (فكلوا) والفاء للتسبيب ومعنى الآية قد أبحت لكم الغنائم فكلوا و(حلالا) نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (واتقوا الله) فيما يستقبل فلا تقدموا على شئ لم تؤمروا به (ان الله غفور) لما فرط منكم من ترك الاولى (رحيم) فبذلك رخص لكم فيما رخص من أخذ الفداء واستشهد
ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله) ان يظهر معلومه أن (فى قلوبكم خيرا) وهو الايمان
والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله فى جميع التكاليف والتوبة عن الكفر وعن جميع المعاصى ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول

أما سمعته يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم منى حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنى الوليد عن أبى عمرو قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته وأخذ بيدى فقال اذا تراءى المتحابان فى الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك اليه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر قال عبدة فقلت له ان هذا ليسير قال لا تقل ذلك فان الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم قال عبدة فعرفت أنه أفقه منى حدثنى محمد بن خلف قال ثنا عبيد الله بن موسى قال ثنا فضيل بن غزوان قال أتيت أبا اسحق فسلمت عليه فقلت أتعرفنى فقال فضيل نعم لولا الحياء منك لقبلتك حدثنى أبو الاحوص عن عبد الله قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن عمير بن اسحق قال كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس أو قال عن الناس الألفة حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أيوب بن سويد عن الاوزاعى قال ثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ثم ذكر نحو حديث عبد الكريم عن الوليد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة وابن نمير وحفص بن غياث عن فضيل بن غزوان عن أبى اسحق عن أبى الاحوص قال سمعت عبد الله يقول لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم الآية قال هم المتحابون فى الله وقوله انه عزيز حكيم يقول ان الله الذى ألف بين قلوب الاوس والخزرج بعد تشتت كلمتهما وتعاديهما وجعلهم لك أنصارا عزيز لا يقهره شئ ولا يرد قضاءه راد ولكنه ينفذ فى خلقه حكمه يقول فعليه فتوكل وبه فثق حكيم فى تدبير خلقه

القول فى تأويل قوله (يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله يقول لهم جل ثناؤه ناهضوا عدوكم فان الله كافيكم أمرهم ولا يهولنكم كثرة عددهم وقلة عددكم فان الله مؤيدكم بنصره * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن شوذب بن معاذ عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين الله حدثنى أحمد بن عثمان بن حكيم الاودى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن شوذب عن الشعبى فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال حسبك الله وحسب من معك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن سفيان عن شوذب عن عامر بنحوه الا أنه قال حسبك الله وحسب من شهد معك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب عن ابن زيد فى قوله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين قال يا أيها النبى حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين ان حسبك أنت وهم الله فمن من قوله ومن اتبعك من المؤمنين على هذا التأويل الذى ذكرناه عن الشعبى نصب عطفا على معنى الكاف فى قوله حسبك الله لا على لفظه لأنها فى محل خفض فى الظاهر وفى محل نصب فى المعنى لان معنى الكلام يكفيك الله ويكفى من اتبعك من المؤمنين وقد قال بعض أهل العربية فى من انها فى موضع رفع على العطف على اسم الله كأنه قال حسبك الله ومتبعوك الى جهاد العدو من المؤمنين دون القاعدين عنك منهم

واستشهد على صحة قوله ذلك بقوله حرض المؤمنين على القتال ﴿القول في تأويل قوله﴾ (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال حث متبعيك ومصدقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وولى عن الحق من المشركين ان يكن منكم عشرون رجلا صابرون عند لقاء العدو ويحتسبون أنفسهم ويثبتون لعدوهم يغلبوا مائتين من عدوهم ويقهروهم وان يكن منكم مائة عند ذلك يغلبوا منهم ألفا بأنهم قوم لا يفقهون يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب لانهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتسابا وطلب موعود الله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله فهم لا يثبتون اذا صدقوا في اللقاء خشية أن يقتلوا فتذهب دنياهم ثم خفف تعالى ذكره عن المؤمنين اذ علم ضعفهم فقال لهم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة عند لقائهم للثبات لهم يغلبوا مائتين منهم وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم باذن الله يعني بتخلية الله اياهم لغلبتهم ومعونته اياهم والله مع الصابرين لعدوهم وعدو الله احتسابا في صبره وطلبا لجزيل الثواب من ربه بالعون منه له والنصر عليه وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن محبب قال ثنا سفيان عن ليث عن عطاء في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان الواحد لعشرة ثم جعل الواحد باثنين لا ينبغي له أن يفر منهما حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا ابن جريج عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال جعل على المسلمين على الرجل عشرة من الكفار فقال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فخفف ذلك عنهم فجعل على الرجل رجلان قال ابن عباس فما أحب أن يعلم الناس تخفيف ذلك عنهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق ثني عبد الله بن أبي نجيح المكي عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقلت على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الاخرى فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين قال وكانوا اذا كانوا على الشطر من عدوهم لم ينبغ لهم ان يفروا منهم وان كانوا دون ذلك لم يجب عليهم أن يقاتلوا وجاز لهم أن يتحوزوا عنهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان لكل رجل من المسلمين عشرة لا ينبغي له أن يفر منهم فكانوا كذلك حتى أنزل الله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فعبأ لكل رجل من المسلمين رجلين من المشركين فنسخ الامر الاول وقال مرة أخرى في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين فأمر الله الرجل

والتوبة عن محاربته (يؤتكم) في الدنيا (خيرا مما أخذ منكم) من المنافع العاجلة (ويغفر لكم) في الآخرة أو المراد بالخير ايصال الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم أن كل من خلص من الاسر وآمن فقد آتاه الله في الدنيا خيرا لدلالة الآية على ذلك اجمالا وذلك الخير ان كان دينيا فلا شك أن كلهم قد وجدوا ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان أعظم من كثير الدنيا مع الكفر وان كان دنيويا فالتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأنا أرجو المغفرة وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس أسر يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب أخرجها ليطعم الناس وكان أحد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم تبلغه النوبة حتى أسر فقال العباس كنت مسلما الا انهم استكرهوني فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يترك ذلك الذهب علي فقال أما شئ خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول صلى الله عليه وسلم فداء ابن أخي عقيل بن أبي طالب عشرين أوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد أتكفف قريشا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين الذهب الذي دفعته الى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما اذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب ان

أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى ثم قال (وان يريدوا خيانتك) أى نكث ما بايعوك عليه روى أنه صلى الله عليه وسلم
لما أطلقهم من الاسر عهد معهم أن لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من
الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه
(فأمكن) أى المؤمنين (منهم)
يوم بدر قتلا وأسرا فذاقوا وبال
أمرهم فسيمكن المؤمنين منهم
مرة أخرى ان أعادوا الخيانة (والله
عليم) بأحوالهم (حكيم) فيجازيهم
على حسب أعمالهم واعلم أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما ظهرت
نبوته بمكة ودعا الناس هنالك الى
الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن
المؤمنين من وافقه فى الهجرة وهم
المهاجرون الاولون ومنهم من
لم يوافقه فى ذلك ومنهم من هاجر
بعد هجرته فذكر فى خاتمة هذه
السورة أحكام هذه الاصناف
وأحوالهم مع ذكر أنصاره بالمدينة
ومع ذكر الكفار أيضا فقال (ان
الذين آمنوا) ويدخل فيه الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم
الآخر والانقياد لجميع التكاليف
(وهاجروا) فارقوا الاوطان وتركوا
الاقارب والجيران فى طلب مرضاة
الله (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم
فى سبيل الله) أما المجاهدة بالاموال
فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت
مساكنهم ومزارعهم وضيعاتهم
وبقيت فى أيدى الاعداء واحتاجوا
الى الانفاق فى تلك العزيمة والسفرة
وفى الغزوات والمحاربات وأما
المجاهدة بالانفس فيكفى فى وصف
ذلك أنهم أقدموا على قتال أهل
بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء
فى غاية الكثرة ونهاية الشدة
وذلك يدل على أنهم أزالوا أطماعهم
عن الحياة وبذلوا أرواحهم فى سبيل الله وكانوا أول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه
المسابقة أثر عظيم فى تقوية الدين لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وذلك
ان غيرهم يقتدى بهم وتقوى دواعيهم عارون منهم والمحن تخف على القلوب بالمشاركة ولأن المهاجرين لهم سابقة قدم فى الاسلام ذكر الله

من المؤمنين أن يقاتل عشرة من الكفار فشق ذلك على المؤمنين ورحمهم الله فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين فأمر الله الرجل من المؤمنين أن يقاتل رجلين من الكفار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال الى قوله بأنهم قوم لا يفقهون وذلك أنه كان جعل على كل رجل من المسلمين عشرة من العدو يؤشبهم يعنى يغريهم بذلك ليوطنوا أنفسهم على الغزو وان الله ناصرهم على العدو ولم يكن أمرا عزمه الله عليهم ولا أوجبه ولكن كان تحريضا ووصية أمر الله بها نبيه ثم خفف عنهم فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فجعل على كل رجل رجلين بعد ذلك تخفيفا ليعلم المؤمنون أن الله بهم رحيم فتوكلوا على الله وصبروا وصدقوا ولو كان عليهم واجبا الغزو اذا بعد كل رجل من المسلمين عمن لقى من الكفار اذا كانوا أكثر منهم فلم يقاتلوهم فلا يغرنك قول رجال فانى قد سمعت رجالا يقولون انه لا يصلح لرجل من المسلمين أن يقاتل حتى يكون على كل رجل رجلان وحتى يكون على كل رجلين أربعة ثم بحساب ذلك وزعموا أنهم يعصون الله ان قاتلوا حتى يبلغوا عدة ذلك وانه لا حرج عليهم أن لا يقاتلوا حتى يبلغوا عدة أن يكون على كل رجل رجلان وعلى كل رجلين أربعة وقد قال الله ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد وقال الله فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك وحرض المؤمنين فهو التحريض الذى أنزل الله عليهم فى الأنفال فلا يعجزك قائل قد سقطت بين ظهرى أناس كما شاء الله أن يكونوا حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحصين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا قال فى سورة الانفال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ثم نسخ فقال الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا الى قوله والله مع الصابرين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون قال واحد من المسلمين وعشرة من المشركين ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفر رجل من رجلين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان يكن منكم عشرون صابرون الى قوله وان يكن منكم مائة قال هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار فضجوا من ذلك فجعل على الرجل رجلين تخفيفا من الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابراهيم ابن يزيد عن عمرو بن دينار وأبى معبد عن ابن عباس قال انما أمر الرجل أن يصبر نفسه لعشرة والعشرة لمائة اذ المسلمون قليل فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم فأمر الرجل أن يصبر لرجلين والعشرة للعشرين والمائة للمائتين حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم وقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان

صبروا

صبروا لهم غلبوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين جعل الله على كل رجل رجلين بعدما كان على كل رجل عشرة وهذا الحديث عن ابن عباس حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن جرير بن حازم عن الزبير بن الخريت عن عكرمة عن ابن عباس كان فرض على المؤمنين أن يقاتل الرجل منهم عشرة من المشركين قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا فشق ذلك عليهم فأنزل الله التخفيف فجعل على الرجل أن يقاتل الرجلين قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فخفف الله عنهم ونقصوا من الصبر بقدر ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين يقول يقاتلوا مائتين فكانوا أضعف من ذلك فنسخها الله عنهم فخفف فقال فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين فجعل أول مرة الرجل لعشرة ثم جعل الرجل لاثنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين قال كان فرض عليهم اذا لقى عشرون مائتين أن لا يفروا فانهم ان لم يفروا غلبوا ثم خفف الله عنهم فقال ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله فيقول لا ينبغى أن يفر ألف من ألفين فانهم ان صبروا لهم غلبوهم حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن جويبر عن الضحاك قال كان هذا واجبا أن لا يفر واحد من عشرة * وبه قال أخبرنا الثورى عن ليث عن عطاء مثل ذلك وأما قوله بانهم قوم لا يفقهون فقد بينا تأويله وكان ابن اسحق يقول فى ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بانهم قوم لا يفقهون أى لا يقاتلون على نية ولا حق فيه ولا معرفة لخير ولا شر وهذه الآية أعنى قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان كان مخرجها مخرج الخبر فان معناها الأمر يدل على ذلك قوله الآن خفف الله عنكم فلم يكن التخفيف الا بعد التثقيل ولو كان ثبوت العشرة منهم للمائة من عدوهم كان غير فرض عليهم قبل التخفيف وكان ندبا لم يكن للتخفيف وجه لأن التخفيف انما هو ترخيص فى ترك الواحد من المسلمين الثبوت للعشرة من العدو واذا لم يكن التشديد قد كان له متقدما لم يكن للترخيص وجه اذ كان المفهوم من الترخيص انما هو بعد التشديد واذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن حكم قوله الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ناسخ لحكم قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا وقد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الاحكام أن كل خبر من الله وعد فيه عباده على عمل ثوابا وجزاء وعلى تركه عقابا وعذابا وان لم يكن خارجا ظاهره مخرج الامر ففى معنى الامر بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع * واختلفت القراء فى قراءة قوله وعلم أن فيكم ضعفا فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين وعلم أن فيكم ضعفا بضم الضاد فى جميع القرآن وتنوين الضعف على المصدر من ضعف الرجل ضعفا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وعلم أن فيكم ضعفا بفتح الضاد على المصدر أيضا من ضعف وقرأه بعض المدنيين ضعفاء على

تعالى الانصار بعدهم فقال (والذين آووا ونصروا) أى الذين أنزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) أطبق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على أن المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازى رحمه الله هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما أمكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يطلق دون الارث كقولهم السلطان ولى من لا ولى له وقال سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم فاذن المراد أن المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وأنهم يد واحدة على الاعداء وأن حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه أما قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ) فوجهت قراءة حمزة بأن تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا قال المفسرون لا يجوز أن يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف وان استنصروكم عليه لان الشئ لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر وأجيب بانا لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان أهل الايمان قد ينصر بعض أهل الذمة فى بعض الاحوال مع أنهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل أن يهاجروا وأثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهى المسلمين عن موالاتهم وان كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه أن المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا فى عداوة محمد صلى الله عليه وسلم صارت هذه الجهة موجبة لانضمام بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان كل واحد منهم فى نهاية الانكار لصاحبه وذلك من أدل الدلائل أن تلك العداوة ليست لاجل

الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية فى هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على أن الكفار فى التوارث على اختلاف مللهم كأهل ملة واحدة فالمجوسى يرث الوثنى والنصرانى يرث المجوسى واليهودى يرث النصرانى و بالعكس ثم قال (الا تفعلوه) أى ما أمرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن علم موالاة غير المهاجرين الا فى حالة الاستنصار ومن علم موالاة الكفرة أصلا (تكن فتنة) أى تحصل مفاسد عظيمة (فى الارض) من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر و وقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشأن المؤمنين وثناء عليهم قوله (والذين آمنوا وهاجروا) الآية فوصفهم بأنهم هم المؤمنون حقا و (لهم مغفرة ورزق كريم) وقد تقدم تفسير مثله فى أول السورة والحاصل أن هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم أعرضوا عن اللذات الجسمانية فتركوا الاهل والوطن و بذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على أنه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال (والذين آمنوا من بعد) نقل الواحدى عن ابن عباس أن المراد بعد الحديبية وهى الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الآية وقيل بعد يوم بدر والأصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى (فاولئك منكم) ألحقهم بالاولين تشريفا للآخرين وتعظيما لشأن السابقين ولولا كون القسم الاول أشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله (وأولو الارحام) أى ذوو القرابات (بعضهم أولى ببعض) أى أحق بهم وأجدر (فى كتاب الله) أى فى حكمه وقسمته أو فى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهذه الآية ناسخة عند الأكثرين للتوارث بالهجرة والنصرة أما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى فى هذه الآية أن ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم أعنى ازالة وهم من يجعل الولاية هنالك بمعنى الارث وقد تمسك أصحاب أبى حنيفة بهذه الآية فى توريث ذوى الارحام وهم يقول

تقدير فعلاء جمع ضعيف على ضعفاء كما يجمع الشريك شركاء والرحيم رحماء * وأولى القراءة فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه وعلم أن فيكم ضعفا وضعفا بفتح الضاد أو ضمها لانهما القراءتان المعروفتان وهما لغتان مشهورتان فى كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب فأما قراءة من قرأ ذلك ضعفاء فانها عن قراءة القراء شاذة وان كان لها فى الصحة مخرج فلا أحب لقارئ القراءة بها ۞ القول فى تأويل قوله عز ذكره (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) يقول تعالى ذكره ما كان لنبى أن يحتبس كافرا قدر عليه وصار فى يده من عبدة الاوثان للفداء أو للمن والاسر فى كلام العرب الحبس يقال منه مأسور يراد به محبوس ومسموع منهم أناله الله أسرا وانما قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم واطلاقهم وقوله حتى يثخن فى الارض يقول حتى يبالغ فى قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبة وقسرا يقال منه أثخن فلان فى هذا الامر اذا بالغ فيه وحكى أثخنته معرفة بمعنى قتلته معرفة تريدون يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأسركم المشركين وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع يقول تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها والله يريد الآخرة يقول والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعد للمؤمنين وأهل ولايته فى جناته بقتلكم اياهم واثخانكم فى الارض يقول لهم واطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم اليه أهواء أنفسكم من الرغبة فى الدنيا وأسبابها والله عزيز يقول ان أنتم أردتم الآخرة لم يغلبكم عدو لكم لان الله عزيز لا يقهر ولا يغلب وانه حكيم فى تدبيره أمر خلقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد سلطانهم أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا فى الاسارى فاما منا بعد و إما فداء فجعل الله النبى والمؤمنين فى أمر الأسارى بالخيار ان شاؤا قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا فادوهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا الآية قال أراد أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر الفداء ففادوهم بأربعة آلاف ولعمرى ما كان أثخن رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وكان أول قتال قاتله المشركين حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد قال الاثخان القتل حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شريك عن الاعمش عن سعيد بن جبير فى قوله ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض قال اذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتل * قال حدثنا عبد العزيز قال ثنا اسرائيل عن خصيف عن مجاهد ما كان لنبى أن تكون له أسرى الآية نزلت الرخصة بعد ان شئت فمن وان شئت ففاد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك

يقول في قوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض يعني الذين أسروا ببدر
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان لنبي أن يكون له أسرى من عدوه حتى
يثخن في الارض أي يثخن عدوه حتى ينفيهم من الارض تريدون عرض الدنيا أي المتاع والفداء
بأخذ الرجال والله يريد الآخرة بقتلهم لظهور الدين الذي يريدون اطفاءه الذي به تدرك الآخرة
حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن
عبد الله قال لما كان يوم بدر وجيء بالاسرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء
الاسرى فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم
وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم فاضرب أعناقهم وقال عبد الله بن رواحة
يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا قال فقال له العباس
قطعت رحمك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول
أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ثم خرج عليهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال من تبعني
فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك
الآية ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك يا ابن رواحة
كمثل موسى قال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم عالة فلا ينفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق
قال عبد الله بن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء قال فأنزل الله ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى
يثخن في الارض الى آخر الثلاث الآيات حدثنا ابن بشار قال ثنا عكرمة بن عمار قال ثنا
أبو زميل قال ثني عبد الله بن عباس قال لما أسروا الاسارى يعني يوم بدر قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أين أبو بكر وعمر وعلي قال ما ترون في الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم
والعشيرة وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار وعسى الله أن يهديهم للاسلام فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب فقال لا والذي لا اله الا هو ما أرى الذي رأى
أبو بكر يا نبي الله ولكن أرى أن تمكننا منهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من
العباس فيضرب عنقه وتمكنني من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فان هؤلاء أئمة الكفر
وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت قال عمر فلما كان
من الغد جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان فقلت يا رسول الله
أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض لأصحابي من أخذهم الفداء ولقد عرض علي
عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل

ذوو قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة أو كل قريب يخرج عن أصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة أصناف الجد أبو الأم وكل جد وجدة ساقطين وأولاد البنات وبنات الاخوة وأولاد الاخوات وبنو الاخوة للام والعم للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في أنه اذا لم يوجد ذو فرض أو عصبة فهل يورث ذوو الارحام أو يوضع المال في بيت المال فقدمهم أبو حنيفة على بيت المال للآية وعكس الشافعي وقال ان الآية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الآية مقيدة بأحكام آية الميراث فلا تبقى حجة في توريث ذوي الارحام * واعلم انه سبحانه قال في أول الآيات وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي براءة يتقدم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما أخذتم أي من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله ثم انه حذف من الآية الثانية بأموالهم وأنفسهم اكتفاء بما في الاولى وحذف من الثالثة في سبيل الله أيضا اكتفاء بما في الآيتين قبلها والله أعلم ثم ختم السورة بقوله (ان الله بكل شيء عليم) والمراد أن هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكم وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب ونظيره أن الملائكة لما قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني أعلم ما لا تعلمون ۞ التأويل ما كان لنبي الروح أن يكون له أسرى أي نفس مأسورة وقوى موجهة الى تدبير أمور المعاش والدعوة الى الله وان كان نصر فبالحق حتى يثخن في أرض البشرية بقتل القوى والنفوس المنطبعة بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى أن الانسان اذا وكل الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الآخرة منكم أي ليس الانسان من

سجيته وطبعه أن يميل الى الآخرة انما هو بتوفيق الله اياه وبعنايته الازلية لولا كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون منجذبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما أخذتم من فداء النفس المأسورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من أوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله عما سواه ان الله غفور يستر بأنوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يغنيكم عنكم ويبقيكم به يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الاسرى من النفوس المأسورة التى أسرت فى الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذل عليها ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا من الاطمئنان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من اللذات الفانية وأسبابها وذلك هو البقاء الحقيقى والذوق السرمدى وان يريدوا خيانتك يعنى الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل بالتجاوز عن حدود الشريعة ورسوم الطريقة فأمكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة والله عليم بأحوالها حكيم فيما دبر من أمر جهادها وتزكيتها والذين آووا ذكر الله ومحبته فى القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أولئك بعضهم أولياء بعض فى المرافقة والموافقة فى الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بأن الطلب حق ولم يهاجروا عن أوصافهم وأفعالهم ووجودهم المجازى وان استنصروكم تمسكوا بأذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بأن تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الاعلى قوم أى الاعلى بعض أحوالكم مما صالحتهم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها وأسرتموها وأمنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح فى أوان الجهاد فاولئك منكم يشير الى أن

ما كان لنبى أن تكون له أسرى حتى يثخن فى الارض الى قوله حلالا طيبا وأحل الله الغنيمة لهم

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لاهل بدر الذين غنموا وأخذوا من الاسرى الفداء لولا كتاب من الله سبق يقول لولا قضاء من الله سبق لكم أهل بدر فى اللوح المحفوظ بأن الله محل لكم الغنيمة وأن الله قضى فيما قضى انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وأنه لا يعذب أحدا شهد المشهد الذى شهدتموه ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصرا دين الله لنالكم من الله بأخذكم الغنيمة والفداء عذاب عظيم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى قال ثنا عوف عن الحسن فى قوله لولا كتاب من الله سبق الآية قال ان الله كان مطعم هذه الامة الغنيمة وانهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به قال فعاب الله ذلك عليهم ثم أحله الله حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن فى قول الله لولا كتاب من الله سبق الآية وذلك يوم بدر أخذ أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم المغانم والاسارى قبل أن يؤمروا به وكان الله تبارك وتعالى قد كتب فى أم الكتاب المغانم والاسارى حلال لمحمد وأمته ولم يكن أحله لأمة قبلهم وأخذوا المغانم وأسروا الاسارى قبل أن ينزل اليهم فى ذلك قال الله لولا كتاب من الله سبق يعنى فى الكتاب الاول أن المغانم والاسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا كتاب من الله سبق الآية وكانت الغنائم قبل أن يبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى الامم اذا أصابوا مغنما جعلوه للقربان وحرم الله عليهم أن يأكلوا منه قليلا أو كثيرا حرم ذلك على كل نبى وعلى أمته فكانوا لا يأكلون منه ولا يغلون منه ولا يأخذون منه قليلا ولا كثيرا الا عذبهم الله عليه وكان الله حرمه عليهم تحريما شديدا فلم يحله لنبى الا لمحمد صلى الله عليه وسلم وكان قد سبق من الله فى قضائه ان المغنم له ولامته حلال فذلك قوله يوم بدر فى أخذ الفداء من الاسارى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو اسامة عن عروة عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال ان الله كان معطى هذه الامة الغنيمة وفعلوا الذى فعلوا قبل ان تحل الغنيمة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الاعمش فى قوله لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله ان أحل لهم الغنيمة حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن بشير بن ميمون قال سمعت سعيدا يحدث عن أبى هريرة قال قرأ هذه الآية لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم قال يعنى لولا انه سبق فى علمى أنى سأحل الغنائم لمسكم فيما أخذتم من الاسارى عذاب عظيم حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح وأبو معاوية بنحوه عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس من قبلكم كانت تنزل نار من السماء وتأكلها حتى كان يوم بدر فوقع الناس فى الغنائم فانزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم حتى بلغ حلالا طيبا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه قال فلما كان يوم بدر أسرع الناس فى الغنائم حدثنا

أبو

أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتقووا به على عدوكم وان قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم وقتل منهم سبعون قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن ابن سيرين عن عبيدة قال كان فداء أسارى بدر مائة أوقية والأوقية أربعون درهما ومن الدنانير ستة دنانير حدثنا أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في أسارى بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بلى نأخذ الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام بن يحيى قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال أمر عمر رضي الله عنه بقتل الاسارى فأنزل الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لولا كتاب من الله سبق قال كان المغنم محرما على كل نبي وأمته وكانوا اذا غنموا يجعلون المغنم لله قربانا تأكله النار وكان سبق في قضاء الله وعلمه ان يحل المغنم لهذه الامة يأكلونه في بطونهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء في قول الله لولا كتاب من الله سبق لمسكم قال كان في علم الله ان تحل لهم الغنائم فقال لولا كتاب من الله سبق بانه أحل لكم الغنائم لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم لمسهم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أحمد الزبيري عن شريك عن سالم عن سعيد لولا كتاب من الله سبق قال لاهل بدر من السعادة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر مشهدهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق من الله خير لاهل بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم كان سبق لهم من الله خير وأحل لهم الغنائم حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن لولا كتاب من الله سبق قال سبق أن لا يعذب أحدا من أهل بدر حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن ابي نجيح عن مجاهد لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم لمسكم فيما أخذتم من الغنائم يوم بدر قبل أن أحلها لكم فقال سبق من الله العفو عنهم والرحمة لهم سبق أنه لا يعذب المؤمنين لانه لا يعذب رسوله ومن آمن به وهاجر معه ونصره * وقال آخرون معنى ذلك لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحدا بفعل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لولا كتاب من الله سبق لاهل بدر ومشهدهم اياه قال كتاب

* (براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات

لقوم يعلمون وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم

ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ۞ القراآت ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة الباقون أيمة بهمز (٣٤) ثم ياء لا إيمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين بما يعملون

بياء الغيبة عباس ۞ الوقوف من المشركين ط معجزي الله لا للعطف الكافرين ه من المشركين لا للعطف ورسوله ط لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم ه لا للاستثناء مدتهم ط المتقين ه مرصد ج سبيلهم ط رحيم ه مأمنه ط لا يعلمون ه المسجد الحرام ج لان ما للجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ه ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ه ج لان ما بعده يصلح وصفا واستئنافا يعملون ه ولا ذمة ط المعتدون ه في الدين ط يعلمون ه أئمة الكفر لا لتعلق لعلهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون ه أول مرة ط أتخشونهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين ه مؤمنين ه لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم ه وليجة ط تعملون ه ۞ التفسير قد عد في الكشاف من أسماء هذه السورة براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت أحدا الا نالت منه وعن ابن عباس ما زالت لكم تقول ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع أحدا والعلماء مختلف في سبب اسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول

سبق لقوله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون سبق ذلك وسبق أن لا يؤاخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة لمسكم فيما أخذتم قال ابن جريج قال ابن عباس فيما أخذتم مما أسرتم ثم قال بعد فكلوا مما غنمتم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال عاتبه في الاسارى وأخذ الغنائم ولم يكن أحد قبله من الانبياء يأكل مغنما من عدو له حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثني أبو سلمة عن محمد قال ثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأعطيت جوامع الكلم وأحلت لي المغانم ولم تحل لنبي كان قبلي وأعطيت الشفاعة خمس لم يؤتهن نبي كان قبلي قال محمد فقال ما كان لنبي أي قبلك أن يكون له أسرى الى قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم أي من الاسارى والمغانم عذاب عظيم أي لولا أنه سبق مني أن لا أعذب الا بعد النهي ولم أكن نهيتكم لعذبتكم فيما صنعتم ثم أحلها له ولهم رحمة ونعمة وعائدة من الرحمن الرحيم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما قد بيناه قبل وذلك أن قوله لولا كتاب من الله سبق خبر عام غير محصور على معنى دون معنى وكل هذه المعاني التي ذكرتها عمن ذكرت مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الامة وذلك ما عملوا من عمل بجهالة واحلال الغنيمة والمغفرة لأهل بدر وكل ذلك مما كتب لهم واذ كان ذلك كذلك فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى وقد عم الله الخبر بكل ذلك بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد لم يكن من المؤمنين أحد ممن نصر الا أحب الغنائم الا عمر بن الخطاب جعل لا يلقى أسيرا الا ضرب عنقه وقال يا رسول الله ما لنا وللغنائم نحن قوم نجاهد في دين الله حتى يعبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو عذبنا في هذا الامر يا عمر ما نجا غيرك قال الله لا تعودوا تستحلون قبل أن أحل لكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق لما نزلت لولا كتاب من الله سبق الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء لم ينج منه الا سعد بن معاذ لقوله يا نبي الله كان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال ۞ القول في تأويل قوله (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره للمؤمنين من أهل بدر فكلوا أيها المؤمنون مما غنمتم من أموال المشركين حلالا باحلاله لكم طيبا واتقوا الله يقول وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيأ بعد هذه من قبل أن يعهد فيه اليكم كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم ان الله غفور رحيم وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وتأويل الكلام فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا ان الله غفور رحيم واتقوا الله ويعني بقوله ان الله غفور لذنوب أهل الايمان من عباده رحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لمن في يديك وفي يدي أصحابك من أسرى المشركين الذين أخذ منهم من الفداء ما أخذ ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يقول ان يعلم الله في قلوبكم اسلاما يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء ويغفر لكم يقول ويصفح

لكم عن عقوبة جرمكم الذي اجترمتموه بقتالكم نبي الله وأصحابه وكفركم بالله والله غفور لذنوب عباده اذا تابوا رحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد التوبة وذكر أن العباس بن عبد المطلب كان يقول في نزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبي اسحق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال قال العباس في نزلت ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم باسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين الاوقية التي أخذ مني فأبى فأبدلني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالي في يديه وقد حدثنا بهذا الحديث ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثني الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول في والله نزلت حين ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اسلامي ثم ذكر نحو حديث ابن وكيع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توضأ لصلاة الظهر فأعطى يومئذ شاكيا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحتثي فأخذ قال وكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية وكان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين نزلت هذه الآية لقد أعطاني الله خصلتين ما أحب أن لي بهما الدنيا اني أسرت يوم بدر ففديت نفسي بأربعين أوقية فآتاني أربعين عبدا وأنا أرجو المغفرة التي وعدنا الله حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الى قوله والله غفور رحيم يعني بذلك من أسر يوم بدر يقول ان عملتم بطاعتي ونصحتم لرسولي آتيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى عباس وأصحابه قال قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم آمنا بما جئت به ونشهد انك لرسول الله لننصحن لك على قومنا فنزل ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ايمانا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أصيب منكم ويغفر لكم الشرك الذي كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا وان لي الدنيا لقد قال يؤتكم خيرا مما أخذ منكم فقد أعطاني خيرا مما أخذ مني مائة ضعف وقال يغفر لكم وأرجو أن يكون قد غفر لي حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى الآية يعني العباس وأصحابه أسروا يوم بدر يقول الله ان علمتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم وكان العباس ابن عبد المطلب يقول لقد أعطانا الله خصلتين ما شيء هو أفضل منهما عشرين عبدا وأما الثانية فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه ۞ القول في تأويل قوله ﴿وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وان يرد

النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها وكانت قصتها شبيهة بقصة الأنفال فقرنت بينهما وكأنه أراد بالمشابهة ما روي عن أبي بن كعب أن في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى. واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور أن لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقول به الامامية * وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في أن الانفال مع التوبة سورتان أم سورة واحدة لانهما مائتان وست آيات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم تكتب البسملة تنبيها على قول من يرى أنهما واحدة فعملوا عملا يدل على أن هذا الاشتباه حاصل وفيه أنهم لم يسامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين في ضبط الدين وحفظ القرآن من التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على أن البسملة آية من كل سورة والا جازت كتابتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم أمان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا فقيل له أليس أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى أهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في آخر الكتاب والسلام على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم أنهما سورة واحدة هو أن ختم الانفال وقع بايجاب أن يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تأكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف لا بالبراءة لفساد المعنى والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز أن يكون

هؤلاء الاسارى الذين فى أيديكم خيانتك أى الغدر بك والمكر والخداع باظهارهم لك بالقول خلاف ما فى نفوسهم فقد خانوا الله من قبل يقول فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر وأمكن منهم ببدر المؤمنين والله عليم بما يقولون بألسنتهم و يضمرونه فى نفوسهم حكيم فى تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس وان يريدوا خيانتك يعنى العباس وأصحابه فى قولهم آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا يقول ان كان قولهم خيانة فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا وقاتلوك فامكنك الله منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان يريدوا خيانتك الآية قال ذكر لنا أن رجلا كتب لنبى الله صلى الله عليه وسلم ثم عمد فنافق فلحق بالمشركين بمكة ثم قال ما كان محمد يكتب الا ما شئت فلما سمع ذلك رجل من الانصار نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف فلما كان يوم الفتح أمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الا عبد الله بن سعد بن أبى سرح ومقيس بن ضبابة وابن خطل وامرأة كانت تدعو على النبى صلى الله عليه وسلم كل صباح فجاء عثمان بابن أبى سرح وكان رضيعه أو أخاه من الرضاعة فقال يا رسول الله هذا فلان أقبل تائبا نادما فأعرض نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع به الأنصارى أقبل متقلدا سيفه فأطاف به وجعل ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ اليه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم يده فبايعه فقال أما والله لقد تلومتك فيه لتوفى نذرك فقال يا نبى الله انى هبتك فلولا أومضت الى فقال انه لا ينبغى لنبى أن يومض حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم يقول قد كفروا بالله ونقضوا عهده فأمكن منهم ببدر ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وهاجروا يعنى هجروا قومهم وعشيرتهم ودورهم يعنى تركوهم وخرجوا عنهم وهجرهم قومهم وعشيرتهم وجاهدوا فى سبيل الله يقول بالغوا فى اتعاب نفوسهم وانصابها فى حرب أعداء الله من الكفار فى سبيل الله يقول فى دين الله الذى جعله طريقا الى رحمته والنجاة من عذابه والذين آووا ونصروا يقول والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه يعنى أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون اليه وهو المثوى والمسكن يقول أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن اذ أخرجهم قومهم من منازلهم ونصروا يقول ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين أولئك بعضهم أولياء بعض يقول هاتان الفرقتان يعنى المهاجرين والانصار بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين وأيديهم واحدة على من كفر بالله وبعضهم اخوان لبعض دون أقربائهم الكفار وقد قيل انما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وان الله ورث بعضهم من بعض بالهجرة والنصرة دون القرابة والارحام وان الله نسخ ذلك بعد بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك

بعضهم

براءة مبتدأ تخصصها بصفتها وهى الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قول الشاعر رجل من بنى تميم فى الدار كان قد أذن الله فى معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله النبذ اليهم وكأنه قيل للمسلمين اعلموا أن الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين روى أنهم كانوا عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الارض أربعة أشهر آمنين أين ساروا والاشهر هى الحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب فى الارض والاتساع فى السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب ومنه يقال للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى فى هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روى أن فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولى عتاب بن أسيد الوقوف بالناس فى الموسم فاجتمع فى تلك السنة فى المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون ونزلت هذه السورة سنة تسع وكان قد أمر فيها أبا بكر على الموسم فلما نزلت السورة أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور وروى أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فأرسل عليا فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أشىء نزل من السماء قال نعم فسر وأنت على الموسم وعلى ينادى بالآى فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف

بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد
وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف * استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل على كرم
الله وجهه وعلى تقدمه وأجاب أهل السنة بأنه أمر أبابكر على الموسم وبعث عليا خلفه لتبليغ هذه الرسالة
حتى يصلى على خلف أبى بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة أبى بكر وأما قوله لا يبلغ عنى الا رجل منى فذلك لان المتعارف بين العرب أنه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا أو عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو أو رجل من ذوى قرابته كأخ أو عم فلو تولاه أبو بكر لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا فى نقض العهد فأزيلت علتهم بتولية ذلك عليا وقيل لما أحضر أبابكر لتولية أمر الموسم أحضر عليا لهذا التبليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجوانب * ولنرجع الى التفسير قال ابن الانبارى فى الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا فى الاشهر الاربعة فعن الزهرى أن براءة نزلت فى شوال والمراد شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسىء الذى كان
فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة قال المفسرون هذا تأجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده أكثر من أربعة أشهر حطت الى
أربعة ومن كانت مدته أقل رفعت اليها والمقصود من هذا التأجيل أن يتفكروا فى أنفسهم ويحتاطوا فى الامر ويعلموا أنه ليس لهم بعد هذه
المدة الا أحد أمور ثلاثة الاسلام أو قبول الجزية أو السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى أشار بقوله

بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث جعل الميراث للمهاجرين والانصار دون ذوى الارحام قال
الله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا يقول ما لكم من ميراثهم من
شئ وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله
فى الميراث فنسخت التى قبلها وصار الميراث لذوى الارحام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى
قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم فى سبيل الله يقول لا هجرة بعد الفتح انما هو الشهادة بعد ذلك والذين آووا ونصروا
أولئك بعضهم أولياء بعض الى قوله حتى يهاجروا وذلك أن المؤمنين كانوا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ثلاث منازل منهم المؤمن المهاجر المباين لقومه فى الهجرة خرج الى قوم مؤمنين
فى ديارهم وعقارهم وأموالهم وفى قوله آووا ونصروا وأعلنوا ما أعلن أهل الهجرة وشهروا
السيوف على من كذب وجحد فهذان مؤمنان جعل الله بعضهم أولياء بعض فكانوا يتوارثون بينهم
اذا توفى المؤمن المهاجر ورثه الانصارى بالولاية فى الدين وكان الذى آمن ولم يهاجر لا يرث من أجل
انه لم يهاجر ولم ينصر فبرأ الله المؤمنين المهاجرين من ميراثهم وهى الولاية التى قال الله ما لكم من
ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وكان حقا على المؤمنين الذين آووا ونصروا اذا استنصروهم فى
الدين أن ينصروهم ان قاتلوا الا أن يستنصروا على قوم بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم ميثاق
فلا نصر لهم عليهم الا على العدو الذين لا ميثاق لهم ثم أنزل الله بعد ذلك أن ألحق كل ذى رحم برحمه
من المؤمنين الذين هاجروا والذين آمنوا ولم يهاجروا فجعل لكل انسان من المؤمنين نصيبا مفروضا
بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم وبقوله والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم أولياء بعض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال الثلاث الآيات خواتيم الانفال فيهن ذكر ما كان من ولاية
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى المسلمين وبين الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك
آخرها وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم حدثنا القاسم قال
ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قوله ان الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا الى قوله بما تعملون بصير قال بلغنا أنها كانت فى الميراث لا يتوارث المؤمنون الذين
هاجروا والمؤمنون الذين لم يهاجروا قال ثم نزل بعد وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى
كتاب الله ان الله بكل شئ عليم فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج قال مجاهد خواتيم الانفال
الثلاث الآيات فيهن ذكر ما كان والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين
الانصار فى الميراث ثم نسخ ذلك آخرها وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين
آووا ونصروا الى قوله ما لكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال لبث المسلمون زمانا يتوارثون
بالهجرة والاعرابى المسلم لا يرث من المهاجر شيأ فنسخ ذلك بعد ذلك قول الله وأولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا أى من أهل
الشرك فأجيزت الوصية ولا ميراث لهم وصارت المواريث بالملل والمسلمون يرث بعضهم بعضا

(واعلموا أنكم غير معجزي الله) أي اعلموا أن هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب وفيه ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله (مخزي الكافرين) من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم أراد أن يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال (وأذان) وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو أيضا مخبرا عنه بالخبر الاول وهو الى الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود الاخبار عنه بقوله (الى الناس) والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه أذان الصلاة أمر الله تعالى بهذا الاعلام (يوم الحج الاكبر) وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الأطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يحج في السنة الآتية فأمر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه أعظم أعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة وهو قول عمر وسعيد بن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر وافقه عن قول الشعبي والنخعي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك أن معظم أفعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روى عن علي رضي الله عنه أن رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر

من المهاجرين والمؤمنين ولا يرث أهل ملتين حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن قالا الا الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله الى قوله مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا كان الاعرابي لا يرث المهاجر ولا يرثه المهاجر فنسخها فقال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شئ عليم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض في الميراث والذين آمنوا ولم يهاجروا وهؤلاء الاعراب مالكم من ولايتهم من شئ في الميراث وان استنصروكم في الدين يقول بانهم مسلمون فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض في الميراث والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم الذين توارثوا على الهجرة في كتاب الله ثم نسختها الفرائض والمواريث فتوارث الاعراب والمهاجرون ۞ القول في تأويل قوله (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير) يعني بقوله تعالى ذكره والذين آمنوا الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يهاجروا قومهم الكفار ولم يفارقوا دار الكفر الى دار الاسلام مالكم أيها المؤمنون بالله ورسوله المهاجرون قومهم المشركين وأرض الحرب من ولايتهم يعني من نصرتهم وميراثهم وقد ذكرت قول بعض من قال معنى الولاية ههنا الميراث وسأذكر ان شاء الله من حضرني ذكره بعد من شئ حتى يهاجروا قومهم ودورهم من دار الحرب الى دار الاسلام وان استنصروكم في الدين يقول ان استنصركم هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا في الدين يعني بانهم من أهل دينكم على أعدائكم وأعدائهم من المشركين فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والانصار النصر الا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق يعني عهد قد وثق به بعضكم على بعض أن لا يحاربه والله بما تعملون بصير يقول والله بما تعملون فيما أمركم ونهاكم من ولاية بعضكم بعضا أيها المهاجرون والانصار وترك ولاية من آمن ولم يهاجر ونصرتكم اياهم عند استنصاركم في الدين وغير ذلك من فرائض الله التي فرضها عليكم بصير يراه ويبصره فلا يخفى عليه من ذلك ولا من غيره شئ حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا قال كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم فكانوا يتوارثون بالاسلام والهجرة وكان الرجل يسلم ولا يهاجر لا يرث أخاه فنسخ ذلك قوله وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين حدثنا محمد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الاسلام فقال تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان وأنك لا ترى نار مشرك الا وأنت حرب حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وان استنصروكم في الدين يعني ان استنصركم الاعراب المسلمون أيها المهاجرون والانصار على عدوهم فعليكم أن تنصروهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج

عن ابن جريج قال قال ابن عباس ترك النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم توفى على أربع منازل مؤمن مهاجر والانصار واعرابى مؤمن لم يهاجر ان استنصره النبي صلى الله عليه وسلم نصره وان تركه فهو اذن له وان استنصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الدين كان حقا عليه أن ينصره فذلك قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر والرابعة التابعون باحسان حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ان الذين آمنوا وهاجروا الى آخر السورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وترك الناس على أربع منازل مؤمن مهاجر ومسلم أعرابى والذين آووا ونصروا والتابعون باحسان ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله بعضهم أولياء بعض يقول بعضهم أعوان بعض وأنصاره وأحق به من المؤمنين بالله ورسوله وقد ذكرنا قول من قال عنى بيان أن بعضهم أحق بميراث بعض من قرابتهم من المؤمنين وسنذكر بقية من حضرنا ذكره حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك قال قال رجل نورث أرحامنا من المشركين فنزلت والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الآية حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير نزلت فى مواريث مشركى أهل العهد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شىء حتى يهاجروا الى قوله وفساد كبير قال كان المؤمن المهاجر والمؤمن الذى ليس بمهاجر لا يتوارثان وان كانا أخوين مؤمنين قال وذلك لان هذا الدين كان بهذا البلد قليلا حتى كان يوم الفتح فلما كان يوم الفتح وانقطعت الهجرة توارثوا حيثما كانوا بالارحام وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وقرأ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله * وقال آخرون معنى ذلك ان الكفار بعضهم أنصار بعض وانه لا يكون مؤمنا من كان مقيما بدار الحرب ولم يهاجر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قال كان ينزل الرجل بين المسلمين والمشركين فيقول ان ظهر هؤلاء كنت معهم وان ظهر هؤلاء كنت معهم فأبى الله عليهم ذلك وأنزل الله فى ذلك فلا تراءى نار مسلم ونار مشرك الا صاحب جزية مقرا بالخراج حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال حض الله المؤمنين على التواصل فجعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض * وأما قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم معناه الا تفعلوا أيها المؤمنون ما أمرتم به من موارثة المهاجرين منكم بعضهم من بعض بالهجرة والانصار بالايمان دون أقربائهم من أعراب المسلمين ودون الكفار تكن فتنة يقول يحدث بلاء فى الارض بسبب ذلك وفساد كبير يعنى ومعاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض

وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وروى ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر أيام منى كلها وهو قول سفيان الثورى وكان يقول يوم الحج الاكبر أيامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لأن كل حرب من هذه الحروب دامت أياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد أيضا هذا وقد حذفت الباء التى هى صلة الاذان تخفيفا والتقدير بأن الله برىء من المشركين) وقوله (ورسوله) بالرفع مبتدأ محذوف الخبر أى ورسوله أيضا كذلك أو هو معطوف على المنوى فى برىء أى برىء هو ورسوله وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار أو على أن الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله أن الله برىء أن المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة والمقصود من هذا الثانى اعلام جميع الناس بما حصل وثبت وأيضا المراد بالاول البراءة من العهد وبالثانى البراءة التى هى نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على أن الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا أتبعه قوله (فان تبتم) أى عن الشرك (فهو خير لكم) وفيه ترغيب فى التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة (وان توليتم) أعرضتم عن التوبة أو بقيتم على التولى والاعراض عن الايمان والوفاء (فاعلموا أنكم غير) فائتين أخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه فاعلموا أنكم غير معجزى الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثانى للزمان (وبشر) يا محمد أو يا من له أهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن أن عذاب الدنيا لما فات وزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيامة أما قوله (الا الذين) فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال فى الكشاف وجهه أن يكون مستثنى

من قوله فسيحوا فى الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الى الذين عاهدتم ومعنى (لم ينقصوكم شيأ) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ومعنى (لم يظاهروا) لم يعاونوا أى لم يقدموا على المحاربة بانفسهم ولم يهيجوا أقواما آخرين وقرئ ينقضوكم بالضاد المعجمة أى لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فأتموا اليهم) أدوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله (ان الله يحب المتقين) يعنى أن قضية التقوى ان لا يسوى بين القبيلين ولا يجعل الوفى كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد

لاهم انى ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الاتلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم أنصركم ومعنى ناشد محمدا أذكره الحلف والعهد لانه كان بين أبيه عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم والأتلد الأقدم ثم بين حكم انقضاء أجل الناكثين فقال (فاذا انسلخ الأشهر الحرم) أى التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامله جزأ جزأ الى أن ينقضى كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف (فاقتلوا المشركين) يعنى الناقضين (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم وفى أى وقت كان (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) امنعوهم من التصرف فى البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) أى فى كل ممر ومجاز ترقبونهم هنالك وانتصابه على الظرف كما فى قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) بالله

وفساد كبيرا الا تفعلوا هذا تتركوهم يتوارثون كما كانوا يتوارثون تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الايمان الا بالهجرة ولا يجعلونهم منهم الا بالهجرة حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض يعنى فى الميراث الا تفعلوه يقول الا تأخذوا فى الميراث بما أمرتكم به تكن فتنة فى الارض وفساد كبير * وقال آخرون معنى ذلك الا تناصروا أيها المؤمنون فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال جعل المهاجرين والانصار أهل ولاية فى الدين دون من سواهم وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض ثم قال الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير ان يتول المؤمن الكافر دون المؤمن ثم رد المواريث الى الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير قال الا تعاونوا وتناصروا فى الدين تكن فتنة فى الارض وفساد كبير . قال أبو جعفر وأولى التأويلين بتأويل قوله والذين كفروا بعضهم أولياء بعض قول من قال معناه أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقام فى دار الحرب وترك الهجرة لان المعروف فى كلام العرب من معنى الولى أنه النصير والمعين أو ابن العم والنسيب فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه الا بمعنى أنه يليه فى القيام بارثه من بعده وذلك معنى بعيد وان كان قد يحتمله الكلام وتوجيه معنى كلام الله الى الاظهر الاشهر أولى من توجيهه الى خلاف ذلك واذ كان ذلك كذلك فبين أن أولى التأويلين بقوله الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير تأويل من قال الا تفعلوا ما أمرتكم به من التعاون والنصرة على الدين تكن فتنة فى الارض اذ كان مبتدأ الآية من قوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله بالحث على الموالاة على الدين والتناصر جاء وكذلك الواجب أن يكون خاتمتها به ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم ونصروا دين الله أولئك هم أهل الايمان بالله ورسوله حقا لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك وأقام بين أظهر أهل الشرك ولم يغز مع المسلمين عدوهم لهم مغفرة يقول لهم ستر من الله على ذنوبهم بعفوه لهم عنها ورزق كريم يقول لهم فى الجنة طعم ومشرب هنى كريم لا يتغير فى أجوافهم فيصير نجوا ولكنه يصير رشحا كرشح المسك وهذه الآية تنبئ عن صحة ما قلنا ان معنى قول الله بعضهم أولياء بعض فى هذه الآية وقوله ما لكم من ولايتهم من شئ انما هو النصرة والمعونة دون الميراث لانه جل ثناؤه عقب ذلك بالثناء على المهاجرين والانصار والخبر عما لهم عنده دون من لم يهاجر بقوله والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا الآية ولو كان مرادا بالآيات قبل ذلك الدلالة على حكم ميراثهم لم يكن عقب ذلك الا الحث على مضى الميراث على ما أمر وفى صحة ذلك كذلك الدليل الواضح على أن لا ناسخ فى هذه الآيات لشئ ولا منسوخ ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم ﴾ يقول تعالى ذكره والذين آمنوا

بالله ورسوله من بعد تبيانى مابينت من ولاية المهاجرين والانصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجروهاجروادار الكفر الى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون فاولئك منكم فى الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة فى الدين والموارثة مثل الذى يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم رد المواريث الى الارحام التى بينهم فقال والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله أى فى الميراث ان الله بكل شئ عليم

القول فى تأويل قوله ﴿ وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شئ عليم ﴾ يقول تعالى ذكره والمتناسبون بالارحام بعضهم أولى ببعض فى الميراث اذا كانوا ممن قسم الله له منه نصيبا وحظا من الحليف والولى فى كتاب الله يقول فى حكم الله الذى كتبه فى اللوح المحفوظ والسابق من القضاء ان الله بكل شئ عليم يقول ان الله عالم بما يصلح عباده فى توريثه بعضهم من بعض فى القرابة والنسب دون الحلف بالعقد وبغير ذلك من الامور كلها لا يخفى عليه شئ منها * وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن المقدام قال ثنا المعتمر بن سليمن قال ثنا أبى قال ثنا قتادة انه قال كان لا يرث الاعرابى المهاجر حتى أنزل الله وألو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا معاذ بن معاذ قال ثنا ابن عون عن عيسى بن الحرث أن أخاه شريح بن الحرث كانت له سرية فولدت منه جارية فلما شبت الجارية زوجت فولدت غلاما ثم ماتت السرية واختصم شريح بن الحرث والغلام الى شريح القاضى فى ميراثها فجعل شريح بن الحرث يقول ليس له ميراث فى كتاب الله قال فقضى شريح بالميراث للغلام قال وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فركب ميسرة ابن يزيد الى ابن الزبير وأخبره بقضاء شريح وقوله فكتب ابن الزبير الى شريح ان ميسرة أخبرنى أنك قضيت بكذا وكذا وقلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله وانه ليس كذلك انما نزلت هذه الآية ان الرجل كان يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فنزلت وأولو الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله فجاء بالكتاب الى شريح فقال شريح أعتقها جنين بطنها وأبى أن يرجع عن قضائه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون قال ثنى عيسى ابن الحرث قال كانت لشريح بن الحرث سرية فذكر نحوه الا انه قال فى حديثه كان الرجل يعاقد الرجل يقول ترثنى وأرثك فلما نزلت ترك ذلك

﴿ القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها التوبة ﴾

القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿ براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا فى الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين ﴾ يعنى بقوله جل ثناؤه براءة من الله ورسوله هذه براءة من الله ورسوله فبراءة مرفوعة بمحذوف وهو هذه كما قوله سورة أنزلناها مرفوعة بمحذوف هو هذه ولو قال قائل براءة مرفوعة بالعائد من ذكرها فى قوله الى الذين عاهدتم وجعلها كالمعرفة ترفع ما بعدها اذ كانت قد صارت بصلتها وهى قوله من الله ورسوله

ان حصلوا على شروطها (فخلوا سبيلهم) المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام أو عن التصرف فى مهماتهم (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر قال الشافعى انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فما لم يوجد أحد هذه الامور لم يوجد هذا المجموع فوجب أن تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعى الزكاة وحمل أكثر الأئمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان له وجه عدول عن الظاهر وعن الحسن أن أسيرا نادى بحيث يسمع النبى صلى الله عليه وسلم أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لأهله فأرسلوه قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلاة والزكاة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغى ولا ريب أن كمال السعادة منوط بهذا المعنى جعلنا الله من أهلها لما أوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على أن حجة الله تعالى قد قامت عليهم وأن ما ذكره الرسول قبل ذلك من أنواع الدلائل والبينات كفى فى ازاحة علتهم فينتج ذلك أن أحدا من المشركين لو طلب الدليل والحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام أو بالجزية أو بالقتل فأزال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال (وان أحد من المشركين استجارك) الآية قال علماء العربية ارتفع أحد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك كرهوا الجمع بين المفسر والمفسر فحذفوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان ان من مظان وقوع الفعل بعده وأيضا ذكر الفاعل ههنا أهم لما بينا أن ظاهر الدليل يقتضى اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار يقال استجرت فلانا أى طلبت منه أن يكون جارا الى أى محاميا وحافظا من أن يظلمنى ظالم ومنه

يقال أجاره الله من العذاب أى أنقذه والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لا عهد بينه وبينك فاستأمنك [illegible]
اليمن التوحيد والقرآن فأمنه (حتى يسمع كلام الله) سماع تدبر وتأمل (ثم أبلغه) داره التى يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت فيها وفيه أن
المقصود من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد (٤٢) وأن النظر فى دين الله من أعلى المقامات وان الكافر الذى دمه مهدر اذا أظهر من
نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه أما زمان مهلة النظر فليس فى الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على ذلك المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال أمهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وأبلغ المأمن ويشبه أن يقال المدة أربعة أشهر وهو الصحيح من مذهب الشافعى والمذكور فى الآية كونه طالبا لسماع القرآن الا أنه ألحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعالى علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال فى آخر الآية (ذلك بانهم قوم لا يعلمون) فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفى سماع كلام الله وجوه قيل أراد جميع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل أراد سماع سورة براءة لأنها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الحاوى لمعظم الدلائل * واعلم أن الامان قد يكون عاما يتعلق بأهل اقليم أو بلدة أو ناحية وهو عقد المهادنة ويختص بالامام وقد مر فى تفسير قوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق بأفراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن آحاد المسلمين أيضا وهذا مقصود الآية وانه
ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير أن رجلا من المشركين جاء الى على رضى الله عنه فقال ان أراد الرجل منا أن يأتى
محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدى والضحاك هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين كان

كالمعرفة وصار معنى الكلام (١) براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين كان منذ هذا غير مدفوعة صحته وان كان القول الاول أعجب الى لأن من شأن العرب أن يضمروا لكل معاين نكرة كان أو معرفة ذلك المعاين هذا وهذه فيقولون عند معاينتهم الشئ الحسن حسن والله والقبيح قبيح والله يريدون هذا حسن والله وهذا قبيح والله فلذلك اخترت القول الاول وقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم والمعنى الى الذين عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين لان العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يتولى عقدها الا رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من يعقدها بأمره ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه وأن عقود النبى صلى الله عليه وسلم على أمته كانت عقودهم لانهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين ولعقوده عليهم مسلمين فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم فلذلك قال الى الذين عاهدتم من المشركين لما كان من عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده * وقد اختلف أهل التأويل فيمن برئ الله ورسوله اليه من العهد الذى كان بينه وبين رسول الله من المشركين فأذن له فى السياحة فى الارض أربعة أشهر فقال بعضهم هم صنفان من المشركين أحدهما كانت مدة العهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم أقل من أربعة أشهر وأمهل بالسياحة أربعة أشهر والآخر منهما كانت مدة عهده بغير أجل محدود فقصر به على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيثما أدرك ويؤسر الا أن يتوب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميرا على الحاج من سنة تسع ليقيم للناس حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم فخرج أبو بكر ومن معه من المسلمين ونزلت سورة براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم أن لا يصد عن البيت أحد جاءه وأن لا يخاف أحد فى الشهر الحرام وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب بخصائص الى أجل مسمى فنزلت فيه وفيمن تخلف عنه من المنافقين فى تبوك وفى قول من قال منهم فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا فقال براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين أى لأهل العهد العام من أهل الشرك من العرب فسيحوا فى الارض أربعة أشهر الى قوله ان الله برىء من المشركين ورسوله أى بعد هذه الحجة * وقال آخرون بل كان امهال الله عز وجل بسياحة أربعة أشهر من كان من المشركين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأما من لم يكن له من رسول الله عهد فانما كان أجله خمسين ليلة وذلك عشرون من ذى الحجة والمحرم كله قالوا وانما كان ذلك كذلك لان أجل الذين لا عهد لهم كان الى انسلاخ الاشهر الحرم كما قال الله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية قالوا والنداء ببراءة كان يوم الحج الاكبر وذلك يوم النحر فى قول قوم وفى قول آخرين يوم عرفة وذلك خمسون يوما قالوا وأما تأجيل الاشهر الاربعة فانما كان لاهل العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم نزلت براءة قالوا ونزلت فى أول شوال فكان انقضاء مدة أجلهم انسلاخ الاشهر الحرم وقد كان بعض من يقول هذه المقالة يقول ابتداء التأجيل

(١) فيه شئ ولعل الأصل براءة موصوفة بأنها من الله الخ واصلة الى الذين الخ تأمل

ويعتبر في الأمان الإسلام والتكليف فيصح من العبد والمرأة والشيخ روي أنه صلى الله عليه وسلم قال يسعى بذمتهم أدناهم وعن أم هانئ أنها قالت التجأ إلي رجلين من أحمائي فقال صلى الله عليه وسلم أمنا من أمنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح أمان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد للغرض صريحا كقوله أجرتك (٤٣) أو لا تخف وكناية كقوله أنت على ما تحب أو كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روي عن عمر أنه قال والذي نفسي بيده لو أن أحدكم أشار باصبعه الى المشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب أما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن ما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب من أهل ومال وأما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالأرجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك * وقد بقي في الآية مسئلة أصولية هي أن المعتزلة استدلوا بالآية على أن كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك أن يكون كلامه محدثا لأن دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب وأجيب بأن هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى أولا عندكم فعلمنا أن هذا المسموع ليس كلام الله بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا أطلق عليها أنها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين رأوا انه تعالى جعل كلامه مسموعا أن هذه الحروف والاصوات قديمة ليلزم قدم كلامه تعالى وفيه ما فيه ثم أكد المعاني المذكورة من أول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد (كيف يكون للمشركين عهد) المرفوع اسم كان وفي خبره ثلاثة أوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد أو ليكون

كان الفريقين واحدا أعني الذي له العهد والذي لا عهد له غير أن أجل الذي كان له عهد كان أربعة أشهر والذي لا عهد له انسلاخ الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون فيها حيثما شاؤا وحد أجل من ليس له عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم النحر الى انسلاخ المحرم فذلك خمسون ليلة فاذا انسلخ الاشهر الحرم أمره بان يضع السيف فيمن عاهد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما نزلت براءة من الله الى وأن الله مخزي الكافرين يقول براءة من المشركين الذين كان لهم عهد يوم نزلت براءة فجعل مدة من كان له عهد قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر وأمرهم أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر وجعل مدة المشركين الذين لم يكن لهم عهد قبل أن تنزل براءة انسلاخ الاشهر الحرم وانسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة الى انسلاخ المحرم وهي خمسون ليلة عشرون من ذي الحجة وثلاثون من المحرم فاذا انسلخ الاشهر الحرم الى قوله واقعدوا لهم كل مرصد يقول لم يبق لاحد من المشركين عهد ولا ذمة منذ نزلت براءة وانسلخ الاشهر الحرم ومدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم اذن ببراءة الى عشر من أول ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قبل أن تنزل براءة عاهد ناسا من المشركين من أهل مكة وغيرهم فنزلت براءة من الله الى كل أحد ممن كان عاهدك من المشركين فاني انقض العهد الذي بينك وبينهم فأؤجلهم أربعة أشهر يسيحون حيث شاؤا من الارض آمنين وأجل من لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد انسلاخ الاشهر الحرم من يوم أذن ببراءة وأذن بها يوم النحر فكان عشرين من ذي الحجة والمحرم ثلاثين فذلك خمسون ليلة فامر الله نبيه اذا انسلخ المحرم أن يضع السيف فيمن لم يكن بينه وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم عهد يقتلهم حتى يدخلوا في الاسلام وأمر بمن كان له عهد اذا انسلخ أربعة من يوم النحر أن يضع فيهم السيف أيضا يقتلهم حتى يدخلوا في الاسلام فكانت مدة من لا عهد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة من يوم النحر ومدة من كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد أربعة أشهر من يوم النحر الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله براءة من الله ورسوله الى قوله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم قال ذكر لنا أن عليا نادى بالاذان وأمر على الحاج أبو بكر رضي الله عنهما وكان العام الذي حج فيه المسلمون والمشركون ولم يحج المشركون بعد ذلك العام قوله الذين عاهدتم من المشركين الى قوله الى مدتهم قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر وأمر الله نبيه ان يوفي بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذي عهد عهده وأمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا يقبل منهم الا ذلك * وقال آخرون

أو الجار أو هو وصف العهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين أو متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد وهم أضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال (فما استقاموا لكم) فيما وجهان (٤٤)

أحدهما أن تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية أي ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله (ان الله يحب المتقين) فيه اشارة الى أن الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من أعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال (كيف) وحذف الفعل لكونه معلوما أي كيف يكون لهم عهد (و) حالهم انهم (ان يظهروا عليكم) أي يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك أن الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا فانه يريد أن يظهر ذلك لغيره فأطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها (لا يرقبوا) لا يراعوا (فيكم) ولا ينتظروا بكم (الا ولا ذمة) قال في الصحاح الال العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بأن اشتقاقه من الأل وهو الجؤار والأنين لانهم اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وسميت به القرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح أيضا ان الال بالكسر من أسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرئل من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما توجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الآلة الحربة وأذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل أمر لزمك وكان بحيث لو ضيعته لزمك مذمة وقال أبو عبيدة الذمة ما يتذمم منه أي ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف (يرضونكم) كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل

فسيحوا

كان ابتداء تأخير المشركين أربعة أشهر وانقضاء ذلك لجميعهم وقتا واحدا قالوا وكان ابتداؤه يوم الحج الاكبر وانقضاؤه انقضاء عشر من ربيع الآخر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد بعدها الا من كان عاهد وأجرى لكل مدتهم فسيحوا في الارض أربعة أشهر لمن دخل عهده فيها من عشر ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر قال ثنا محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميرا على الموسم سنة تسع وبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس يؤجل المشركين أربعة أشهر يسيحون في الارض فقرأ عليهم براءة يوم عرفة أجل المشركين عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشرا من ربيع الآخر وقرأها عليهم في منازلهم وقال لا يحجن بعد عامنا هذا مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة فسيحوا في الارض أربعة أشهر عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر كان ذلك عهدهم الذي بينهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد براءة من الله ورسوله الى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد من غيرهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج ثم قال انه يحضر المشركون فيطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالمواسم كلها فآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين قال أهل العهد مدلج والعرب الذين عاهدهم ومن كان له عهد قال أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها وأراد الحج ثم قال انه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك فأرسل أبا بكر وعليا رضي الله عنهما فطافا بالناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يتبايعون بها وبالموسم كله وآذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر فهي الاشهر الحرم المنسلخات المتواليات عشرون من آخر ذي الحجة الى عشر يخلون من شهر ربيع الآخر ثم لا عهد لهم وآذن الناس كلهم بالقتال الا أن يؤمنوا فآمن الناس أجمعون حينئذ ولم يسح أحد * وقال حين رجع من الطائف مضى من فوره ذلك فغزا تبوك بعد اذ جاء الى المدينة * وقال آخرون ممن قال ابتداء الاجل لجميع المشركين وانقضاؤه كان واحدا كان ابتداؤه يوم نزلت براءة وانقضاؤه انقضاء الاشهر الحرم وذلك انقضاء المحرم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري

ثم قال سبحانه (وأكثرهم فاسقون) عن ابن عباس لا يبعد أن يكون بعض هؤلاء الكفار قد أسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر أنه أراد أن أكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الأديان والنحل (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن أو بالاسلام (ثمنا قليلا) هو اتباع الأهواء (فصدوا عن سبيله) فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم أنفسهم قال مجاهد أراد الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم وقيل لا يبعد أن يراد طائفة من اليهود الذين أعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالأمر المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) ولو أراد المشركين كان تكرارا (وأولئك هم المعتدون) المتجاوزون حدود الله في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) فلم يكن من التكرار في شئ قال ابن عباس حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة (ونفصل الآيات) نبينها (لقوم يعلمون) لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التأمل في أحكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها (وان نكثوا) يعني هؤلاء التائبين (أيمانهم من بعد عهدهم) أي من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين أو المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض طاقات الخيط من بعد ابرامه (وطعنوا في دينكم) ثلبوه وعابوه (فقاتلوا أئمة الكفر) هي جمع امام وأصلها أأممة كمثال وأمثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وأدغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أن من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر متقدم فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم أبدى غرض القتال بقوله (لعلهم ينتهون) ليعلم أن الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم رحمة عليهم لا أمر نفساني وداع شهواني

فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال نزلت في شوال فهذه الاربعة الاشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم * وقال آخرون انما كان تأجيل الله الاشهر الاربعة المشركين في السياحة لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد مدته أقل من أربعة أشهر أما من كان له عهد مدته أكثر من أربعة أشهر فانه أمر صلى الله عليه وسلم أن يتم له عهده الى مدته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال الكلبي انما كانت الاربعة الاشهر لمن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد دون الاربعة الاشهر فأتم له الاربعة ومن كان له عهد أكثر من أربعة أشهر فهو الذي أمر أن يتم له عهده وقال أتموا اليهم عهدهم الى مدتهم * قال أبو جعفر رحمه الله وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر انما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه فان الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتمام العهد بينه وبينهم الى مدته بقوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فان ظن ظان أن قول الله تعالى ذكره فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم يدل على خلاف ماقلنا في ذلك اذ كان ذلك ينبئ عن أن الفرض على المؤمنين كان بعد انقضاء الاشهر الحرم قتل كل مشرك فان الامر في ذلك بخلاف ماظن وذلك أن الآية التي تتلو ذلك تنبئ عن صحة ماقلنا وفساد ماظنه من ظن أن انسلاخ الاشهر الحرم كان يبيح قتل كل مشرك كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يكن كان له منه عهد وذلك قوله كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين فهؤلاء مشركون وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستقامة لهم في عهدهم ما استقاموا لهم بترك نقض صلحهم وترك مظاهرة عدوهم عليهم وبعد ففي الأخبار المتظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين بعث عليا رضي الله عنه ببراءة الى أهل العهود بينه وبينهم أمره فيما أمره أن ينادي به فيهم ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته أوضح الدليل على صحة ماقلنا وذلك أن الله لم يأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بنقض عهد قوم كان عاهدهم الى أجل فاستقاموا على عهدهم بترك نقضه وأنه انما أجل أربعة أشهر من كان قد نقض عهده قبل التأجيل أو من كان له عهد الى أجل غير محدود وأما من كان أجل عهده محدودا ولم يجعل بنقضه على نفسه سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان باتمام عهده الى غاية أجله مأمورا وبذلك بعث مناديه ينادي به في أهل الموسم من العرب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال ثني محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع علي رضي الله عنه حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا صحل صوته ناديت قلت بأي شئ كنتم تنادون قال بأربع لا يطف بالكعبة عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته

و وسط بين الامر بالقتال و بين الحامل عليه قوله انهم لا أيمان لهم تنبيها على العلة الفاعلية للقتال أثبت لهم الأيمان أولا فى الظاهر حيث قال وان نكثوا أيمانهم ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لأن أيمانهم ليست مما يعد أيمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك أبو حنيفة فى أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان

ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يحج بعد عامنا هذا مشرك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا عفان قال ثنا قيس بن الربيع قال ثنا الشيبانى عن الشعبى قال أخبرنا المحرر بن أبى هريرة عن أبيه قال كنت مع على رضى الله عنه فذكر نحوه الا أنه قال ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى أجله وقد حدث بهذا الحديث شعبة فخالف قيسا فى الاجل حدثنى يعقوب بن ابراهيم ومحمد بن المثنى قالا ثنا عثمان بن عمر قال ثنا شعبة عن المغيرة عن الشعبى عن المحرر بن أبى هريرة عن أبيه قال كنت مع على حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة الى أهل مكة فكنت أنادى حتى صحل صوتى فقلت بأى شئ كنت تنادى قال أمرنا أن ننادى أنه لا يدخل الجنة الا مؤمن ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله الى أربعة أشهر فاذا حل الاجل فان الله برئ من المشركين ورسوله ولا يطف بالبيت عريان ولا يحج بعد العام مشرك * قال أبو جعفر رحمه الله وأخشى أن يكون هذا الخبر وهما من ناقله فى الاجل لان الاخبار متظاهرة فى الاجل بخلافه مع خلاف قيس شعبة فى نفس هذا الحديث على ما بينته حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى اسحق عن الحرث الاعور عن على رضى الله عنه قال أمرت بأربع أمرت أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطف رجل بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع قال نزلت براءة فبعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر ثم أرسل عليا فأخذها منه فلما رجع أبو بكر قال هل نزل فى شئ قال لا ولكنى أمرت أن أبلغها أنا أو رجل من أهل بيتى فانطلق الى مكة فقام فيهم بأربع أن لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا ولا يطف بالكعبة عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه و بين رسول الله عهد فعهده الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع عن على قال بعثنى النبى صلى الله عليه وسلم حين أنزلت براءة بأربع أن لا يطف بالبيت عريان ولا يقرب المسجد الحرام مشرك بعد عامهم هذا ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عبد الأعلى عن معمر عن أبى اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه قال بعثت الى أهل مكة بأربع ثم ذكر الحديث حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا حسين بن محمد قال ثنا سليمن بن قرم عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر ببراءة ثم أتبعه عليا فأخذها منه فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله حدث فى شئ قال لا أنت صاحبى فى الغار وعلى الحوض ولا يؤدى عنى الا أنا أو على وكان الذى بعث به عليا أربعا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان بينه و بين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن ابن أبى خالد عن عامر قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم عليا

لهم بالكسر أى لا اسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث فظاهر * قال العلماء اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على أن لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال (ألا تقاتلون) قال أهل المعانى اذا قلت ألا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل مقدر وجوده واذا قلت ألست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق أن لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليه الالف صار تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا أيمانهم بعد عهد الحديبية وأعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حتى هاجر أو من المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا أبا سفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه صلى الله عليه وسلم مكة ثم يخرجوه قبل أن يتم حجه استخفافا به صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد (وهم بدؤكم أول مرة) بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سلم العير قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه أو المراد أنهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة أو المراد أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى أظلم والحاصل أن من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وأن يوبخ من فرط فيها ثم زاد فى التوبيخ

فقال فيه (أتخشونهم) تقرير للخشية منهم وتوبيخ عليها لمبالغة القتال كما اذا قلت للرجل أتخشى خصمك لانه يستنكف أن ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب أن يكون الامر عليه قائلا (فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين) يعنى أن قضية الايمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته أتم وعقابه أشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع تعليل لان الاستفهام فى معنى النهى كأنه قيل لا تخشوهم لان الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كأنه قيل ان صح أنكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد فى تأكيد الامر بالقتال فقال (قاتلوهم) ورتب عليه خمس نتائج * الاولى قوله (يعذبهم الله بأيديكم) أى بالقتل والأسر واغتنام الاموال وهذا لا ينافى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم لانه أراد هناك عذاب الاستئصال قالت الأشاعرة فى الآية دلالة على أن الذى يدخل فى الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على أيدى العباد واعترض الجبائى بأنه لو كان كذلك لجاز أن يقال كذب الله أنبياءه على لسان الكفرة وأجيب بأن الامر كذلك عندنا الا أنا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما أنكم لا تقولون يا مسهل أسباب الزنا واللواط ويا دافع الموانع عنها * الثانية (ويخزهم) قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا أنفسهم مقهورين فى أيدى المؤمنين وهو قريب من الاول أو هو هو وقيل هو عذاب الآخرة * الثالثة (وينصركم عليهم) أورد عليه أن النصر يستتبعه اخزاء الخصم فأى حاجة الى افراده بالذكر والجواب أن المغايرة كافية فى افراد كل من المتلازمين بالذكر على أنه من المحتمل أن يحصل لهم الخزى من جهة المؤمنين الا أن المؤمنين يحصل لهم آفة لسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال * الرابعة (ويشف صدور قوم مؤمنين) هم خزاعة وعن ابن عباس بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال أبشروا فان الفرج قريب * الخامسة (ويذهب غيظ قلوبهم) قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ

عليا رضى الله عنه فنادى ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين ورسوله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا محمد بن اسحق عن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على بن حسين بن على قال لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم الحج للناس قيل له يا رسول الله لو بعثت الى أبى بكر فقال لا يؤدى عنى الا رجل من أهل بيتى ثم دعا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال اخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن فى الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى انه لا يدخل الجنة كافر ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق فلما رآه أبو بكر قال أمير أو مأمور قال مأمور ثم مضيا رضى الله عنهما فأقام أبو بكر للناس الحج والعرب اذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج التى كانوا عليها فى الجاهلية حتى اذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ولا يحج بعد العام مشرك ولا يطف بالبيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له الى مدته فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ولم يطف بالبيت عريان ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام وأهل المدة الى الأجل المسمى حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال لما نزلت هذه الآيات الى رأس أربعين آية بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر وأمره على الحج فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحليفة أتبعه بعلى فأخذها منه فرجع أبو بكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بأبى أنت وأمى أنزل فى شأنى شىء قال لا ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار وأنك صاحبى على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار أبو بكر على الحاج وعلى يؤذن ببراءة فقام يوم الأضحى فقال لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده الى مدته وان هذه أيام أكل وشرب وان الله لا يدخل الجنة الا من كان مسلما فقالوا نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك الا من الطعن والضرب فرجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا ما تصنعون وقد أسلمت قريش فأسلموا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق عن زيد بن يثيع عن على قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وأن يتم الى كل ذى عهد عهده قال معمر وقاله قتادة * قال أبو جعفر رحمه الله فقد أنبأت هذه الاخبار ونظائرها عن صحة ما قلنا وان أجل الاشهر الاربعة انما كان لمن وصفنا فأما من كان عهده الى مدة معلومة فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنقضه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وفى له

القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب أن القلب أخص من الصدر كقوله * يا دارمية بالعلياء فالسند * أو شفاء الصدر
اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه
المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق (٤٨) النبي صلى الله عليه وسلم واعجازه ثم قال (ويتوب الله على من يشاء) وهو ابتداء
كلام للاخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد أسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فأصدق وأكن أما ان التوبة كيف تقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر وأما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا أقدم عليه صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وأيضا ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد توالي النعم لم يبعد أن يصير ذلك داعيا له الى أن يتوب عن جميع الذنوب وقد تصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهي عن الحرام وأيضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتحت عليه أبواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو أحد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني بعد حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا (والله عليم) بكل ما يجري في ملكه وملكوته (حكيم) مصيب في أفعاله وأقواله وأحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله
ألا تقاتلون الآية ترغيب في فتح مكة لان النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه التى
السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين أنه ليس الغرض من ايجاب القتال نفس القتال وانما المقصود أن يؤتى به انقيادا لامر الله
ولتكاليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال (أم حسبتم) الآية وقد مر وجه اعرابه في آل عمران عند قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

بعهده الى مدته عن أمر الله اياه بذلك وعلى ذلك دل ظاهر التنزيل وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وأما الاشهر الاربعة فانها كانت أجل من ذكرنا وكان ابتداؤها يوم الحج الاكبر وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر فذلك أربعة أشهر متتابعة جعل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم فيها السياحة في الارض يذهبون حيث شاؤا لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحد بحرب ولا قتل ولا سلب فان قال قائل فاذا كان الامر في ذلك كما وصفت فاوجه قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقد علمت أن انسلاخها انسلاخ المحرم وقد زعمت أن تأجيل القوم من الله ومن رسوله كان أربعة أشهر وانما بين يوم الحج الأكبر وانسلاخ الاشهر الحرم خمسون يوما أكثره فأين الخمسون يوما من الاشهر الاربعة قيل ان انسلاخ الاشهر الحرم انما كان أجل من لا عهد له من المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاشهر الاربعة لمن له عهد اما الى أجل غير محدود واما الى أجل محدود وقد نقضه فصار بنقضه اياه بمعنى من خيف خيانته فاستحق النبذ اليه على سواء غير أنه جعل له الاستعداد لنفسه والارتياد لها من الاجل الاربعة الاشهر ألا ترى الله يقول لاصحاب الاشهر الاربعة ويصفهم بأنهم أهل عهد براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله ووصف المجعول لهم انسلاخ الاشهر الحرم أجلا بأنهم أهل شرك لا أهل عهد فقال وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بري من المشركين ورسوله الآية الا الذين عاهدتم من المشركين الآية ثم قال فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فأمر بقتل المشركين الذين لا عهد لهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وباتمام عهد الذين لهم عهد اذا لم يكونوا نقضوا عهدهم بالمظاهرة على المؤمنين وادخال النقص فيه عليهم
فان قال قائل وما الدليل على أن ابتداء التأجيل كان يوم الحج الاكبر دون أن يكون كان من شوال على ما قاله قائلو ذلك قيل له ان قائلي ذلك زعموا أن التأجيل كان من وقت نزول براءة وذلك غير جائز أن يكون صحيحا لان المجعول له أجل السياحة الى وقت محدود اذا لم يعلم ما جعل له ولا سيما مع عهد له قد تقدم قبل ذلك بخلافه فكمن لم يجعل له ذلك لانه اذا لم يعلم ماله في الاجل الذي جعل له وما عليه بعد انقضائه فهو كهيئته قبل الذي جعل له من الاجل ومعلوم أن القوم لم يعلموا بما جعل لهم من ذلك إلا حين نودي فيهم بالموسم واذا كان ذلك كذلك صح أن ابتداء ما قلنا وانقضاءه كان ما وصفنا وأما قوله فسيحوا في الارض أربعة أشهر فانه يعني فسيروا فيها مقبلين ومدبرين آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه يقال منه ساح فلان في الارض يسيح سياحة وسيوحا وسيحانا وأما قوله واعلموا أنكم غير معجزي الله فانه يقول لأهل العهد من الذين كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد قبل نزول هذه الآية اعلموا أيها المشركون أنكم ان سحتم في الارض واخترتم ذلك مع كفركم بالله على الاقرار بتوحيد الله وتصديق رسوله غير معجزي الله يقول غير مفيتيه بأنفسكم لانكم حيث ذهبتم وأين كنتم من الارض ففي قبضته وسلطانه لا يمنعكم منه وزير ولا يحول بينكم وبينه اذا أراد بكم بعذاب معقل ولا موئل الا الايمان به وبرسوله والتوبة من معصيته يقول فبادروا عقوبته بتوبة ودعوا السياحة

التى لاتنفعكم وأما قوله وأن الله مخزى الكافرين يقول واعلموا أن الله مذل الكافرين ومورثهم العار فى الدنيا والنار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله عز ذكره ﴿وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله﴾ يقول تعالى ذكره واعلام من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وقد بينا معنى الاذان فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وكان سليمن بن موسى يقول فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال زعم سليمن بن موسى الشامى أن قوله وأذان من الله ورسوله قال الأذان القصص فاتحة براءة حتى تختم وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فذلك ثمان وعشرون آية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأذان من الله ورسوله قال اعلام من الله ورسوله ورفع قوله وأذان من الله عطفا على قوله براءة من الله كأنه قال هذه براءة من الله ورسوله وأذان من الله وأما قوله يوم الحج الاكبر فان فيه اختلافا بين أهل العلم فقال بعضهم هو يوم عرفة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال أخبرنا أبو زرعة وهبة الله بن راشد قالا أخبرنا حيوة بن شريح قال أخبرنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى وهو يقول سألت على بن أبى طالب رضى الله عنه عن يوم الحج الأكبر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا بكر بن أبى قحافة رضى الله عنه يقيم للناس الحج وبعثنى معه بأربعين آية من براءة حتى أتى عرفة فخطب الناس يوم عرفة فلما قضى خطبته التفت الىّ فقال قم يا على وأدّ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت فقرأت عليهم أربعين آية من براءة ثم صدرنا حتى أتينا منى فرميت الجمرة ونحرت البدنة ثم حلقت رأسى وعلمت أن أهل الجمع لم يكونوا حضروا خطبة أبى بكر يوم عرفة فطفقت أتتبع بها الفساطيط أقرؤها عليهم فمن ثم إخال حسبتم أنه يوم النحر ألا وهو يوم عرفة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت أبا جحيفة عن يوم الحج الاكبر فقال يوم عرفة فقلت أمن عندك أو من أصحاب محمد قال كل ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر يوم عرفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن عمر بن الوليد الشنى عن شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال قال عمر رضى الله عنه يوم الحج الأكبر يوم عرفة فذكرته لسعيد بن المسيب فقال أخبرك عن ابن عمر أن عمر قال الحج الاكبر عرفة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن الوليد الشنى قال ثنا شهاب بن عباد العصرى عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رحمة الله عليه يقول هذا يوم عرفة يوم الحج الاكبر فلا يصومنه أحد قال فحججت بعد أبى فأتيت المدينة فسألت عن أفضل أهلها فقالوا سعيد بن المسيب فأتيته فقلت انى سألت عن أفضل أهل المدينة فقالوا سعيد بن المسيب فأخبرنى عن صوم يوم عرفة فقال أخبرك عمن هو أفضل منى أضعافا عمر أو ابن عمر كان ينهى عن صومه ويقول هو يوم الحج الأكبر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عبد الصمد بن حبيب عن معقل بن داود قال سمعت ابن الزبير يقول يوم عرفة هذا يوم الحج الاكبر فلا يصمه أحد حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا غالب بن عبيد الله قال سألت عطاء عن يوم الحج الاكبر

ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة والوليجة البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل أو هو الرجل يكون فى القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى وهم وليجتى يستوى فيه الواحد والجمع ومعنى الآية لا تحسبوا أن تتركوا على ما أنتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهدين المنافقين من المجاهدين الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الآية بقوله (والله خبير بما تعملون) ليعلموا أنه لم يزل عالما بالأشياء لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء فيجدوا فى استقامة السيرة ويجتهدوا فى نقاء السريرة ۞ التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فهادنها الروح والقلب فى أوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا فى أرض البشرية أربعة أشهر هى مدة كمال الأوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية وأذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجمال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركى الصفات الناسوتية فان تبتم عن الناسوتية بافنائها فى اللاهوتية فهو خير لكم من قيامكم بالناسوت وان توليتم وركنتم الى غير الله فاعلموا أنكم غير معجزى الله عن التصرف فيكم أما لأهل السعادة فبالجذبات الازلية وأما لأهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم أيها القلوب والارواح من مشركى النفوس على التوافق فى العبودية ثم لم ينقصوكم شيأ من وظائف الشريعة ولم يظاهروا عليكم أحدا من الشيطان والدنيا فأتموا اليهم عهدهم بالمداراة والرفق الى أوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم فى الطاعة بان تحملوها اياها وفى المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة واحصروهم احبسوهم فى حصار

فقال يوم عرفة فأفض منها قبل طلوع الفجر حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال أخبرني محمد بن قيس بن مخرمة قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم عشية عرفة ثم قال أما بعد وكان لا يخطب الا قال أما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عبد الوهاب عن مجاهد قال يوم الحج الاكبر يوم عرفة حدثني الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا اسحق بن سليمن عن سلمة بن محب عن عكرمة عن ابن عباس قال يوم الحج الأكبر يوم عرفة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرني طاوس عن أبيه قال قلنا ما الحج الأكبر قال يوم عرفة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم عرفة فقال هذا يوم الحج الأكبر * وقال آخرون هو يوم النحر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الأكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن سلام عن الأجلح عن أبي اسحق عن الحرث قال سمعت عليا يقول الحج الأكبر يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن أبي اسحق عن الحرث قال سألت عليا عن الحج الأكبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيباني قال سألت عبد الله بن أبي أوفى عن الحج الأكبر قال فقال يوم النحر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عياش العامري عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الملك قال دخلت أنا وأبو سلمة على عبد الله بن أبي أوفى قال فسألته عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر يوم يهراق فيه الدم حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن سفيان عن عبد الملك بن عمير عن عبد الله قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيباني قال سألت ابن أبي أوفى عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا الشيباني عن عبد الله بن أبي أوفى قال يوم الحج الاكبر يوم النحر * قال ثنا هشيم قال أخبرنا عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبي أوفى وسئل عن قوله يوم الحج الاكبر قال هو اليوم الذي يراق فيه الدم ويحلق فيه الشعر حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن الحكم قال سمعت يحيى بن الجزار يحدث عن على أنه خرج يوم النحر على بغلة بيضاء يريد الجبانة فجاءه رجل فأخذ بلجام بغلته فسأله عن الحج الاكبر فقال هو يومك هذا خل سبيلها حدثنا عبد الحميد بن بيان قال ثنا اسحق عن مالك بن مغول وشمر عن أبي اسحق عن الحرث عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبي اسحق عن الحرث عن على قال سئل عن يوم الحج الاكبر قال هو يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن شعبة عن الحكم عن يحيى بن الجزار عن على أنه لقيه رجل يوم النحر فأخذ بلجامه فسأله عن يوم الحج الاكبر قال هو هذا اليوم حدثنا ابن وكيع قال ثنا

الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الأحوال كلها فان تابوا رجعوا الى طلب الحق وأقاموا الصلاة أدوا حق العبودية وآتوا الزكاة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول الى الحقيقة فان النهاية هي الرجوع الى البداية وان أحد من مشركي صفات النفس استجارك يا قلب لترك ما هو المخصوص به من الصفات الذميمة فأجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم أبلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تنجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله وأسراره فلا يميلون اليه و يعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون لمشركي النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها أن تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على أهل الدنيا وهو مقام أهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم سرحها في متسع رياض الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الجنسية فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون أن السير الى الله من أعظم المقامات وأهم المهمات وطعنوا في دينكم أنكروا مذهب السلوك أئمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية بانسداد روزنة القلب أول مرة في أوان الطفولية أتخشونهم في فوات حظوظها فالله أحق أن تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب بكدورتها ويتوب

أنه على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادى فى الباطل من غير حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما دبر لكل منها أم حسبتم أيها النفوس الأمارة أن تتركوا بلا رياضة وليجة أولياء من الشيطان والدنيا والهوى

﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك (٥١) حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما

يحيى بن آدم عن قيس عن عبد الملك بن عمير وعياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى قال هو اليوم الذى يهراق فيه الدماء حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ابن أبى أوفى قال الحج الاكبر يوم تهراق فيه الدماء ويحلق فيه الشعر ويحل فيه الحرام حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن عبد الله ابن يسار قال ثنا المغيرة بن شعبة يوم الاضحى على بعير فقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة يوم الأضحى على بعير وقال هذا يوم الاضحى وهذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن الأعمش عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة ابن شعبة فذكر نحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن حماد بن سلمة عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا سليمن الشيبانى قال سمعت سعيد بن جبير يقول الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن أبى جحيفة قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر قال اختصم على بن عبد الله بن عباس ورجل من آل شيبة فى يوم الحج الاكبر قال على هو يوم النحر وقال الذى من آل شيبة هو يوم عرفة فأرسل الى سعيد بن جبير فسألوه فقال هو يوم النحر ألا ترى أن من فاته يوم عرفة لم يفته الحج فاذا فاته يوم النحر فقد فاته الحج حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن سعيد بن جبير أنه قال الحج الاكبر يوم النحر قال فقلت له ان عبد الله ابن شيبة ومحمد بن على بن عبد الله بن عباس اختلفا فى ذلك فقال محمد بن على هو يوم النحر وقال عبد الله هو يوم عرفة فقال سعيد بن جبير أرأيت لو أن رجلا فاته يوم عرفة أكان يفوته الحج واذا فاته يوم النحر فاته الحج حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الشيبانى عن سعيد بن جبير قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن عن أبيه قال ثنى رجل عن أبيه عن قيس بن عبادة قال ذو الحجة العاشر النحر وهو يوم الحج الاكبر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن عبد الله ابن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق عن شريك عن أبى اسحق عن عبد الله بن شداد بن الهاد قال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا المحاربى عن مسلم الجهنى قال سألت نافع بن جبير بن مطعم عن يوم الحج الاكبر قال يوم النحر حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة عن ابراهيم قال كان يقال الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الاكبر يوم يهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم أنه قال يوم الحج الاكبر يوم النحر الذى يحل فيه كل حرام * قال ثنا هشيم عن اسمعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن على قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن ابن عون قال سألت محمدا عن يوم الحج

يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾

القراآت مسجد الله ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع أبو بكر وحماد وحبلة وضاقت ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم مظهرا أبو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم

غيرالأعشى ۞ الوقوف بالكفر ط أعمالهم ج لعطف المختلفين خالدون ○ المهتدين ○ فى سبيل الله ط عند الله ط الظالمين ○ لئلا يشتبه بالوصف وأنفسهم لا لأن ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ○ مقيم ○ لا لأن ما بعده حال أبدا ط عظيم ○ على الايمان ط الظالمون ○ بأمره ط الفاسقين ○ كثيرة لا لعطف الظرف على الظرف حنين لا لأن اذ ظرف نصركم مدبرين ○ ج للآية والعطف كفروا ط الكافرين ○ من يشاء ط رحيم ○ هذا ج ان شاء ط حكيم ○ ۞ التفسير انه سبحانه بدأ السورة بذكر البراءة من المشركين و بالغ فى ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم أراد أن يحكى شبهاتهم التى كانوا يحتجون بها فى أن هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما أسر العباس يوم بدر أقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم وأغلظ على رضى الله عنه له القول فقال العباس مالكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال على عليه السلام ألكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحاج ونفك العانى فأنزل الله تعالى ردا عليهم (ما كان للمشركين) ماصح لهم وما استقام (أن يعمروا مسجد الله) يعنى المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما أن يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام أيضا الذى هو أشرفها وهذا آكد لأن طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك أو يراد المسجد الحرام وجمع لأنه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد أو لأن كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد تضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد إما لزومه و إما كثرة اتيانه للصلاة والاعتكاف ولا شك أنه ليس للمشرك ذلك وإما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا أيضا لانه يجرى مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغى أن يكون للكافر منة على أهل الاسلام ولان دخوله المسجد

الا كبر فقال كان يوما وافق فيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج أهل الوبر حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمر بن ذر قال سألت مجاهدا عن يوم الحج الا كبر فقال هو يوم النحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن ثور عن مجاهد يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال يوم الحج الا كبر يوم النحر وقال عكرمة يوم الحج الا كبر يوم النحر يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام قال وقال مجاهد يوم يجمع فيه الحج كله وهو يوم الحج الا كبر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن محمد بن على يوم الحج الا كبر يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن عبد الأعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أبى اسحق قال قال على الحج الا كبر يوم النحر قال وقال الزهرى يوم النحر يوم الحج الا كبر حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمى عبد الله بن وهب قال أخبرنى يونس وعمرو عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبى بكر فى الحجة التى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها قبل حجة الوداع فى رهط يؤذنون فى الناس يوم النحر ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان قال الزهرى فكان حميد يقول يوم النحر يوم الحج الا كبر حدثنا الحسن ابن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى عن أبى اسحق قال سألت عبد الله بن شداد عن الحج الا كبر والحج الاصغر فقال الحج الا كبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبى اسحق قال سألت عبد الله بن شداد فذكر نحوه * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير قال سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول يوم الحج الا كبر يوم يوضع فيه الشعر ويهراق فيه الدم ويحل فيه الحرام * قال ثنا الثورى عن أبى اسحق عن على قال الحج الا كبر يوم النحر حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا قيس عن عياش العامرى عن عبد الله بن أبى أوفى أنه سئل عن يوم الحج الا كبر فقال سبحان الله هو يوم تهراق فيه الدماء ويحل فيه الحرام ويوضع فيه الشعر هو يوم النحر * قال ثنا اسرائيل عن أبى حصين عن عبد الله بن يسار قال خطبنا المغيرة بن شعبة على ناقة له فقال هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الا كبر * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حسن بن صالح عن مغيرة عن ابراهيم قال يوم الحج الا كبر يوم النحر حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز عن ابراهيم بن طهمان عن مغيرة عن ابراهيم يوم الحج الا كبر يوم النحر ويحل فيه الحرام حدثنى أحمد بن المقدام قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه قال لما كان ذلك اليوم قعد على بعير له النبى وأخذ انسان بخطامه أو زمامه فقال أى يوم هذا قال فسكتنا حتى ظننا أنه سيسميه غير اسمه فقال أليس يوم الحج حدثنا سهل بن محمد الحسانى قال ثنا أبو جابر الحرثى قال ثنا هشام بن الغازى الجرشى عن نافع عن ابن عمر قال وقف رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم يومكم قالوا يوم النحر قال صدقتم يوم الحج الأكبر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمرو بن مرة قال ثنا مرة قال ثنا رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن أبيه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا بأربع كلمات حين حج أبو بكر بالناس فنادى ببراءة انه يوم الحج الاكبر ألا انه لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة ألا ولا يطوف بالبيت عريان ألا ولا يحج بعد العام مشرك ألا ومن كان بينه وبين محمد عهد فأجله الى مدته والله برىء من المشركين ورسوله حدثنى يعقوب قال ثنى هشيم عن حجاج بن أرطاة عن عطاء قال يوم الحج الاكبر يوم النحر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم الحج الاكبر قال يوم النحر يوم يحل فيه المحرم وينحر فيه البدن وكان ابن عمر يقول هو يوم النحر وكان أبى يقوله وكان ابن عباس يقول هو يوم عرفة ولم أسمع أحدا يقول انه يوم عرفة الا ابن عباس قال ابن زيد والحج يفوت بفوت يوم النحر ولا يفوت بفوت يوم عرفة ان فاته اليوم لم يفته الليل يقف ما بينه وبين طلوع الفجر حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال يوم الاضحى يوم الحج الاكبر حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن شعبة عن عمرو بن مرة قال ثنى رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غرفتى هذه حسبته قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر على ناقة حمراء مخضرمة فقال أتدرون أى يوم هذا هذا يوم النحر وهذا يوم الحج الاكبر * وقال آخرون معنى قوله يوم الحج الاكبر حين الحج الاكبر ووقته قالوا وذلك أيام الحج كلها لا يوم بعينه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يوم الحج الاكبر حين الحج أيامه كلها حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد قال الحج الاكبر أيام منى كلها ومجامع المشركين حين كانوا بذى المجاز وعكاظ ومجنة حين نودى فيهم أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى مدته حدثنى الحرث قال ثنا أبو عبيد قال كان سفيان يقول يوم الحج ويوم الجمل ويوم صفين أى أيامه كلها حدثنا القاسم قال حدثنا الحسين قال حدثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله يوم الحج الاكبر قال حين الحج أى أيامه كلها * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصحة قول من قال يوم الحج الاكبر يوم النحر لتظاهر الاخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة الى المشركين وتلا عليهم براءة يوم النحر هذا مع الاخبار التى ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر أتدرون أى يوم هذا هذا يوم الحج الاكبر وبعد فان اليوم انما يضاف الى المعنى الذى يكون

يؤدى الى تلويث المسجد إما لكونه نجسا فى الحكم وإما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روى أنه صلى الله عليه وآله أنزل وفد ثقيف فى المسجد وهم كفار وشدّ ثمامة بن أثال الحنفى على سارية من سوارى المسجد محمول على تعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم كأنه أراد أن يكون ذلك بمحضر منه وهو فى المسجد وقوله (شاهدين على أنفسهم) حال من الواو فى يعمروا والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة معابد الله مع الكفر به وفى تفسير هذه الشهادة أقوال أصحها أنهم أقروا على أنفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبى والقرآن ولهذا قال السدى هى أن النصرانى اذا قيل له ما أنت قال نصرانى واليهودى يقول يهودى وعابد الوثن يقول أنا عابد الوثن وقيل هى قولهم فى طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس أنه قال المراد أنهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق فى هذا الباب فقال (أولئك حبطت أعمالهم) الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام الجائع لأنه لا يفيد مع الكفر طاعة لأن الكفر يوجب عقاب الأبد ولهذا قال (وفى النار هم خالدون) ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استئهال عمارة المسجد فقال (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) لان المرء ما لم يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على أنه واسطة والتوجه الحقيقى من الله والى الله ولهذا ورد فى الحديث المصلى يناجى ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفى هذه التهمة ترك ذكره صلى الله عليه وسلم وقيل دل عليه بقوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة لانهما معلومتان من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولما فى الصلاة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلاة لا ريب أن فيها عمارة المسجد والحضور فيه وأما ايتاء الزكاة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكاة ولان ايتاء الزكاة واجب

وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان مالم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكاة فالظاهر أنه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال (ولم يخش الا الله) ليعلم أنه لو أتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامره فعلى المؤمن أن يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الآجل (٥٤) وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على أن من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من أهل عمارة المسجد وأن المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والدرس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له مادام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) حسم لأطماع الكفار في الانتفاع بأعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باهتداء المشركين ومغبتهم وفيه أن المؤمن يجب أن لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر أن بعض الامة ذهبوا الى أن عسى من الله الكريم واجب وقال بعضهم ان الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال (أجعلتم سقاية الحاج) ومعناه هبوا أن عمارة المسجد وسقي الحجيج يوجب لكم نوعا من الفضيلة الا أن هذه الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين فريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن آمن وقصته ما مر أن العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

القول

فيه كقول الناس يوم عرفة وذلك يوم وقوف الناس بعرفة ويوم الاضحى وذلك يوم يضحون فيه ويوم الفطر وذلك يوم يفطرون فيه وكذلك يوم الحج يوم يحجون فيه وانما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر لان في ليلة نهار يوم النحر الوقوف بعرفة كان الى طلوع الفجر وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج فأما يوم عرفة فانه وان كان فيه الوقوف بعرفة فغير فائت الوقوف به الى طلوع الفجر من ليلة النحر والحج كله يوم النحر وأما ما قال مجاهد من أن يوم الحج انما هو أيامه كلها فان ذلك وان كان جائزا في كلام العرب فليس بالأشهر الأعرف في كلام العرب من معانيه بل غلب على معنى اليوم عندهم أنه من غروب الشمس الى مثله من الغد وانما يحمل تأويل كتاب الله على الأشهر الأعرف من كلام من نزل الكتاب بلسانه * واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لهذا اليوم يوم الحج الاكبر فقال بعضهم سمي بذلك لأن ذلك كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن قال انما سمي الحج الاكبر من أجل أنه حج أبو بكر الحجة التي حجها واجتمع فيها المسلمون والمشركون فلذلك سمي الحج الاكبر ووافق أيضا عيد اليهود والنصارى حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال يوم الحج الاكبر كانت حجة الوداع اجتمع فيه حج المسلمين والنصارى واليهود ولم يجتمع قبله ولا بعده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن قال قوله يوم الحج الاكبر قال انما سمي الحج الاكبر لانه يوم حج فيه أبو بكر ونبذت فيه العهود * وقال آخرون الحج الاكبر القران والحج الأصغر الافراد ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا أبو بكر النهشلي عن حماد عن مجاهد قال كان يقال الحج الاكبر والحج الأصغر فالحج الاكبر القران والحج الاصغر إفراد الحج * وقال آخرون الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج عن عطاء قال الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الأعلى عن داود عن عامر قال قلت له هذا الحج الاكبر فما الحج الاصغر قال العمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال كان يقال الحج الاصغر العمرة في رمضان * قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال الحج الاصغر العمرة * قال ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن أبي أسماء عن عبد الله بن شداد قال يوم الحج الاكبر يوم النحر والحج الاصغر العمرة حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري أن أهل الجاهلية كانوا يسمون الحج الاصغر العمرة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في ذلك عندي قول من قال الحج الاكبر الحج لانه أكبر من العمرة بزيادة عمله على عملها فقيل له الاكبر لذلك وأما الاصغر فالعمرة لان عملها أقل من عمل الحج فلذلك قيل لها الاصغر لنقصان عملها عن عمله وأما قوله أن الله بريء من المشركين ورسوله فان معناه أن الله بريء من عهد المشركين ورسوله بعد هذه الحجة ومعنى الكلام واعلام من الله ورسوله الى الناس في يوم الحج الاكبر أن الله ورسوله من عهد المشركين بريئان كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أن الله بريء من المشركين ورسوله أي بعد هذه الحجة

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ يقول تعالى فان تبتم من كفركم أيها المشركون ورجعتم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد فالرجوع الى ذلك خير لكم من الاقامة على الشرك فى الدنيا والآخرة وان توليتم يقول وان أدبرتم عن الايمان بالله وأبيتم الا الاقامة على شرككم فاعلموا أنكم غير معجزى الله يقول فأيقنوا أنكم لا تفيتون الله بأنفسكم من أن يحل بكم عذابه الاليم وعقابه الشديد على اقامتكم على الكفر كما فعل بذويكم من أهل الشرك من ازال نقمه به واحلاله العذاب عاجلا بساحته وبشر الذين كفروا يقول وأعلم يا محمد الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم بعذاب موجع يحل بهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قوله فان تبتم قال آمنتم ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين﴾ يقول تعالى ذكره وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين أيها المؤمنون ثم لم ينقصوكم شيأ من عهدكم الذى عاهدتموهم ولم يظاهروا عليكم أحدا من عدوكم فيعينوهم بأنفسهم وأبدانهم ولا بسلاح ولا خيل ولا رجال فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول ففوا لهم بعهدهم الذى عاهدتموهم عليه ولا تنصبوا لهم حربا الى انقضاء أجل عهدهم الذى بينكم وبينهم ان الله يحب المتقين يقول ان الله يحب من اتقاه بطاعته بأداء فرائضه واجتناب معاصيه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم يقول الى أجلهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الا الذين عاهدتم من المشركين أى العهد الخاص الى الاجل المسمى ثم لم ينقصوكم شيأ الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم أحدا الآية قال هم مشركو قريش الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية وكان بقى من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر فأمر الله نبيه أن يوفى لهم بعهدهم الى مدتهم ومن لا عهد له الى انسلاخ المحرم ونبذ الى كل ذى عهد عهده وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وأن لا يقبل منهم الا ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال مدة من كان له عهد من المشركين قبل أن تنزل براءة أربعة أشهر من يوم أذن ببراءة الى عشر من شهر ربيع الآخر وذلك أربعة أشهر فان نقض المشركون عهدهم وظاهروا عدوا فلا عهد لهم وان وفوا بعهدهم الذى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يظاهروا عليه عدوا فقد أمر أن يؤدى اليهم عهدهم ويفى به ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاذا انقضى ومضى وخرج يقال منه سلخنا شهر كذا نسلخه سلخا وسلوخا بمعنى خرجنا منه ومنه قولهم شاة مسلوخة بمعنى المنزوعة من جلدها المخرجة منه ويعنى

المسجد الحرام ونسقى الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت اليهود لهم أنتم أفضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أولئك أعظم درجة وهذا يقتضى ان يكون للمفضول أيضا درجة وقصته ماروى عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد أن أسقى الحاج وقال الآخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد ان أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكنى اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فأنزل الله الآية وروى عن الحسن والشعبى أن طلحة قال أنا صاحب البيت بيدى مفتاحه ولو أشاء بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه أنا صاحب السقاية والقائم عليها وقال على رضى الله عنه ما أدرى ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال على رضى الله عنه للعباس بعد أن كان أسلم ألا تهاجر ألا تلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست فى أفضل من الهجرة ألست أسقى حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف أى أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل أن يسأل ما بال أحد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا (لا يستوون عند الله) ثم صرح بالمفضول فقال (والله لا يهدى القوم الظالمين) أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم وأى ظلم أشنع من وضع أخس الموجودات وهو الاصنام مقام أشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع فى استعدادهم الفطرى وذلك لكونهم مظاهر القهر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال (الذين آمنوا) الآية

بالاشهر الحرم ذا القعدة وذا الحجة والمحرم أوانما أريد فى هذا الموضع انسلاخ المحرم وحده لان الاذان كان ببراءة يوم الحج الاكبر فمعلوم أنهم لم يكونوا أجلوا الأشهر الحرم كلها وقد دللنا على صحة ذلك فيما مضى ولكنه لما كان متصلا بالشهرين الآخرين قبله الحرامين وكان هو لهما ثالثا وهى كلها متصل بعضها ببعض قيل فاذا انسلخ الاشهر الحرم ومعنى الكلام فاذا انقضت الاشهر الحرم الثلاثة عن الذين لا عهد لهم أو عن الذين كان لهم عهد فنقضوا عهدهم بمظاهرتهم الأعداء على رسول الله وعلى أصحابه أو كان عهدهم الى أجل غير معلوم فاقتلوا المشركين يقول فاقتلوهم حيث وجدتموهم يقول حيث لقيتموهم من الارض فى الحرم وغير الحرم فى الاشهر الحرم وغير الاشهر الحرم وخذوهم يقول وأسروهم واحصروهم يقول وامنعوهم التصرف فى بلاد الاسلام ودخول مكة واقعدوا لهم كل مرصد يقول واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم كل مرصد يعنى كل طريق ومرقب وهو مفعل من قول القائل رصدت فلانا أرصده رصدا بمعنى رقبته فان تابوا يقول فان رجعوا عما هم عليه من الشرك بالله وجحود نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله واخلاص العبادة له دون الآلهة والانداد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعطوا الزكاة التى أوجبها الله عليهم فى أموالهم أهلها فخلوا سبيلهم يقول فدعوهم يتصرفون فى أمصاركم ويدخلون البيت الحرام ان الله غفور رحيم لمن تاب من عباده فأناب الى طاعته بعد الذى كان عليه من معصيته ساتر على ذنبه رحيم به أن يعاقبه على ذنوبه السالفة قبل توبته بعد التوبة وقد ذكرنا اختلاف المختلفين فى الذين أجلوا الى انسلاخ الاشهر الحرم * وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا عبد الاعلى بن واصل الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الدنيا على الاخلاص لله وحده وعبادته لا يشرك به شيأ فارقها والله عنه راض قال وقال أنس هو دين الله الذى جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الاحاديث واختلاف الاهواء وتصديق ذلك فى كتاب الله فى آخر ما أنزل الله قال الله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم قال توبتهم خلع الاوثان وعبادة ربهم واقام الصلاة وايتاء الزكاة ثم قال فى آية أخرى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم حتى ختم آخر الآية وكان قتادة يقول خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله فانما الناس ثلاثة رهط مسلم عليه الزكاة ومشرك عليه الجزية وصاحب حرب يأمن بتجارته فى المسلمين اذا أعطى عشور ماله حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاذا انسلخ الاشهر الحرم وهى الاربعة التى عددت لك يعنى عشرين من ذى الحجة والمحرم وصفر وربيعا الاول وعشرا من شهر ربيع الآخر وقال قائلو هذه المقالة قيل لهذه الاشهر الحرم لان الله عز وجل حرم على المؤمنين فيها دماء المشركين والعرض لهم الا بسبيل خير ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن ابراهيم بن أبى بكر أنه أخبره

ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن أورد عليه أن قوله أعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول أيضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة وأجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة والفضيلة نظيره قوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم أو المراد أنهم أعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا عن الكافر أو المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك أنهما من أعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفى قوله (عند الله) تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته وكذا فى قوله (وأولئك هم الفائزون) لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات) التنكير فيها يفيد أنها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله (لهم فيها نعيم) اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلاثة ألفاظ مؤكدات أولها (مقيم) وثانيها (خالدين) وثالثها (أبدا) وقال أهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث انها نعمة وقد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا أعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد تكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى أعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى آخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفى تخصيص الرب بالمقام اشارة الى أن الذى رباكم فى الدنيا بالنعم التى لا حد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز أن تكون الرحمة اشارة الى رضا العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والآفات والرضوان اشارة الى رضاه عن العبد فيكون كقوله ارجعى الى ربك

عن

راضية مرضية ثم أكد المعاني المذكورة بقوله (الله عنده أجر عظيم) وفي تصدير الجملة الاسمية بان وفي لفظ عند وتقديمه وتنكير أجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك و يعجبه ومنهم

من تتعلق به زوجته وعياله وولده فيقولون

عن مجاهد وعمرو بن شعيب في قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم أنها الاربعة التي قال الله فسيحوا في الارض قال هي الحرم من أجل انهم أومنوا فيها حتى يسيحوها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض أربعة أشهر قال ضرب لهم أجل أربعة أشهر وتبرأ من كل مشرك ثم أمر اذا انسلخت تلك الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد لا تتركوهم يضربون في البلاد ولا يخرجون للتجارة ضيقوا عليهم بعدها أمر بالعفو فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني الاربعة التي ضرب لهم اجلا لاهل العهد العام من المشركين فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد الآية* القول في تأويل قوله (وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون) يقول تعالى ذكره لنبيه وان استأمنك يا محمد من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم أحد ليسمع كلام الله منك وهو القرآن الذي أنزله الله عليه فأجره يقول فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه ثم أبلغه مأمنه يقول ثم رده بعد سماعه كلام الله ان هو أبى أن يسلم ولم يتعظ بما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن الى مأمنه يقول الى حيث يأمن منك وممن في طاعتك حتى يلحق بداره وقومه من المشركين ذلك بانهم قوم لا يعلمون يقول تفعل ذلك بهم من اعطائك اياهم الامان ليسمعوا القرآن وردك اياهم اذا أبوا الاسلام الى مأمنهم من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة ولا يعلمون مالهم بالايمان بالله لو آمنوا وما عليهم من الوزر والاثم بتركهم الايمان بالله* وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وان أحد من المشركين استجارك أي من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم فأجره حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي فأجره حتى يسمع كلام الله أما كلام الله فالقرآن حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وان أحد من المشركين استجارك فأجره قال انسان يأتيك فيسمع ما تقول ويسمع ما أنزل عليك فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله وحتى يبلغ مأمنه حيث جاء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا فلقي العدو وأخرج المسلمون رجلا من المشركين وأشرعوا فيه الأسنة فقال الرجل ارفعوا عني سلاحكم وأسمعوني كلام الله تعالى فقالوا تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع الانداد وتتبرأ من اللات والعزى فقال فاني أشهدكم أني قد فعلت حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم أبلغه مأمنه قال ان لم يوافقه ما تقول عليه وتحدثه فأبلغه قال وليس هذا بمنسوخ واختلف في حكم هذه الآية هل هو منسوخ أو هو غير منسوخ فقال بعضهم هو غير منسوخ وقد ذكرنا قول من قال ذلك * وقال آخرون هو منسوخ ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا

نشدك الله أن لا تدعنا الى غير شئ فنضيع فيرق فيجلس معهم و يدع فنزل فيهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا) الآيتين وذكروا في وجه النظم أن هذه الآية جواب عن شبهة أخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار و بينهم و بين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى أن الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل أن يكون نهي تنزيه لا تحريم فلا زالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) قال ابن عباس يريد أنه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم أحدكم طعم الايمان حتى يحب في الله و يبغض في الله حتى يحب في الله أبعد الناس و يبغض في الله أقرب الناس وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بأن يهاجر و يصارم أقاربه الكفرة و يقطع موالاتهم فقالوا يارسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا و بقينا ضائعين فنزلت قل ان كان آباؤكم الآية فهاجروا فجعل الرجل

يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل أهله الأدنون وهم الذين يعاشرونه من قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش لا تكاد

العرب تجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر والقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو والكاسب يدني الشيء من نفسه ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور في الآية في غاية الحسن لان أعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة ثم البعيدة ثم انه يتوسل بتلك المخالطة الى

ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفي آخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت للسكنى فبين تعالى أنه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر أنه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية أولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله (فتربصوا) انتظروا وانما تحبون (حتى يأتي الله بأمره) عن الحسن هو عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي أن هذه السورة نزلت بعد فتح مكة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما أوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين أراد أن يبين أن كل من أعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لنا مثلا فقال (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة) قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع موطن وهو كل موضع أقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقعها وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كما احد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير وأحد وغزوة الخندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة أنمار وغزوة ذي قرد وخيبر والحديبية والفتح (ويوم حنين) أي وفي يوم حنين واستبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين وجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله عنه قال على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر أي ونصركم يوم حنين لان قوله اذ أعجبتكم كثرتكم بدل من

سفيان عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم نسختها فاما منا بعد واما فداء * قال ثنا سفيان عن السدي مثله * وقال آخرون بل نسخ قوله فاقتلوا المشركين قوله فاما منا بعد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن ابن أبي عروبة عن قتادة حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق نسخها قوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال ليس ذلك بمنسوخ وقد دللنا على أن معنى النسخ هو نفي حكم قد كان ثبت بحكم آخر غيره ولم تصح حجة بوجوب حكم الله في المشركين بالقتل بكل حال ثم نسخه بترك قتلهم على أخذ الفداء ولا على وجه المن عليهم فاذ كان ذلك كذلك فكان الفداء والمن والقتل لم يزل من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من أول حرب حاربهم وذلك من يوم بدر كان معلوما أن معنى الآية فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم للقتل أو المن أو الفداء واحصروهم واذا كان ذلك معناه صح ما قلنا في ذلك دون غيره ۞ القول في تأويل قوله (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين) يقول تعالى ذكره أنى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله وبأي معنى يكون للمشركين بربهم عهد وذمة عند الله وعند رسوله يوفى لهم به ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد وانما معناه لا عهد لهم وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم الا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم فان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم والاستقامة لهم عليه ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين * واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فقال بعضهم هم قوم من جذيمة ابن الديل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم هم بنو جذيمة بن الديل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن محمد بن عباد بن جعفر قوله الا الذين عاهدتم من المشركين قال هم جذيمة بكر من كنانة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف يكون للمشركين الذين كانوا وأنتم على العهد العام بأن لا تمنعوهم ولا يمنعوكم من الحرم ولا في الشهر الحرام عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهي قبائل بني بكر الذين كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية الى المدة التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فلم يكن نقضها الا هذا الحي من قريش وبنو الديل من بكر فأمر باتمام العهد لمن لم يكن نقض عهده من بني بكر الى مدته فما استقاموا لكم الآية * وقال آخرون هم قريش ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم قريش حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يعني أهل مكة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يقول هم قوم كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم مدة ولا ينبغي

لمشرك

يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها وجوز أن يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم أن يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطائف قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد بقيت أيام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر ألفا وقال قتادة كانوا اثنى عشر ألفا عشرة آلاف من الذين حضروا مكة وألفان من الطلقاء الاسارى الذين أعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي كانوا عشرة آلاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكانت هوازن وثقيف أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي المراد من قوله (اذ أعجبتكم) وقيل قالها أبو بكر وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعيد لانه كان في جميع الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا وأسبابها ثم قال (فلم تغن عنكم شيأ) والاغناء اعطاء ما يدفع الحاجة أي لم تعطكم الكثرة شيأ يدفع حاجتكم ولم تفدكم (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور في موضع الحال أي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لهربكم اليه وكأنها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) أي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا وأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وأبو سفيان بن الحرث والذي لا اله الا الله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم دبره قط لقد رأيته وأبو سفيان آخذ بالركاب والعباس آخذ

للمشرك أن يدخل المسجد الحرام ولا يعطى المسلم الجزية فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم يعني أهل العهد من المشركين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هؤلاء قريش وقد نسخ هذا الاشهر التي ضربت لهم وغدروا بهم فلم يستقيموا كما قال الله فضرب لهم بعد الفتح أربعة أشهر يختارون من أمرهم اما أن يسلموا واما أن يلحقوا بأي بلاد شاؤا قال فأسلموا قبل الاربعة الاشهر وقبل حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم قال هم قوم جذيمة قال فلم يستقيموا نقضوا عهدهم أي أعانوا بني بكر حلف قريش على خزاعة حلف النبي صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون هم قوم من خزاعة ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام قال أهل العهد من خزاعة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب عندي قول من قال هم بعض بني بكر من كنانة ممن كان أقام على عهده ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الديل على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة وانما قلت هذا القول أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان الله أمر نبيه والمؤمنين باتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام ما استقاموا على عهدهم وقد بينا أن هذه الآيات انما نادى بها علي في سنة تسع من الهجرة وذلك بعد فتح مكة بسنة فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافر يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده لأن من كان منهم من ساكني مكة كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله ان الله يحب المتقين فان معناه ان الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه والوفاء بعهده لمن عاهده واجتناب معاصيه وترك الغدر بعهوده لمن عاهده ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله كيف يكون لهؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم أو لمن لا عهد له منهم منكم أيها المؤمنون عهد وذمة وهم ان يظهروا عليكم يغلبوكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة واكتفى بكيف دليلا على معنى الكلام لتقدم ما يراد من المعنى بها قبلها وكذلك تفعل العرب اذا أعادت الحرف بعد مضي معناه استجازوا حذف الفعل كما قال الشاعر

وخبرتماني انما الموت في القرى * فكيف وهذى هضبة وكثيب

فحذف الفعل بعد كيف لتقدم ما يراد بعدها قبلها ومعنى الكلام فكيف يكون الموت في القرى وهذى هضبة وكثيب لا ينجو فيهما منه أحد * واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فقال بعضهم معناه لا يرقبوا الله فيكم ولا عهدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد لا يرقبون في مؤمن الا قال الله حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سليمن عن أبي مجلز في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة قال مثل قوله جبرائيل ميكائيل اسرافيل كأنه يقول يضاف جبر وميكا واسراف الى ايل يقول عبد الله

بلجام الدابة وهو يقول   أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب   وطفق يركض بغلته نحو الكفار
لا يبالي وكانت بغلته شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا أصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة
عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده كفا من الحصباء فرماهم بها
وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التي سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا لم تروها) يعني الملائكة ستة عشر ألفا أو ثمانية آلاف أو خمسة آلاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبوا أكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال (وعذب الذين كفروا) أي بالقتل والاسر وأخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة وهي داعية السكون والثبات وبقوله وعذب على أن الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الآية بقوله (وذلك جزاء الكافرين) واعلم ان الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون وجدناهم
غيره مشروعا معه وأجابت الشافعية بانه تعالى قال في هذه الآية وذلك أي الأخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الآجل باق أما قوله (ثم يتوب الله من بعد ذلك) أي يسلم ناس منهم روي أن ناسا منهم جاؤا تائبين فأسلموا وقالوا يا رسول الله

لا يرقبون في مؤمن الا كأنه يقول لا يرقبون الله * حدثني محمد بن عبد الاعلى قال ثنى محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الا ولا ذمة لا يرقبون الله ولا غيره * وقال آخرون الال القرابة ذكر من قال ذلك * حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن علي عن ابن عباس قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة يقول قرابة ولا عهدا وقوله وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال يعني القرابة والذمة العهد * حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبي قال ثنى عمي قال ثنى أبي عن أبيه عن ابن عباس لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة الال القرابة والذمة العهد يعني أهل العهد من المشركين يقول ذمتهم * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية وعبيدة عن جويبر عن الضحاك الال القرابة * حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا محمد بن عبد الله عن سلمة بن كهيل عن عكرمة عن ابن عباس لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة قال الال القرابة والذمة العهد * حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة الال القرابة والذمة الميثاق * حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي كيف وان يظهروا عليكم المشركون لا يرقبوا فيكم عهدا ولا قرابة ولا ميثاقا * وقال آخرون معناه الحلف ذكر من قال ذلك * حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال الال الحلف والذمة العهد * وقال آخرون الال هو العهد ولكنه كرر لما اختلف اللفظان وان كان معناهما واحدا ذكر من قال ذلك * حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد إلا قال عهدا * حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة قال لا يرقبوا فيكم عهدا ولا ذمة قال احداهما من صاحبتها كهيئة غفور رحيم قال فالكلمة واحدة وهي تفترق قال والعهد هو الذمة * حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن أبيه عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال العهد * حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا قيس عن خصيف عن مجاهد ولا ذمة قال الذمة العهد

* قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم إلا والال اسم يشتمل على معان ثلاثة وهي العهد والعقد والحلف والقرابة وهو أيضا بمعنى الله فاذ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة ولم يكن الله خص من ذلك معنى دون معنى فالصواب أن يعم ذلك كما عم بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة فيقال لا يرقبون في مؤمن الله ولا قرابة ولا عهدا ولا ميثاقا ومن الدلالة على أنه يكون بمعنى القرابة قول ابن مقبل

أفسد الناس خلوف خلفوا * قطعوا الال وأعراق الرحم

بمعنى قطعوا القرابة وقول حسان بن ثابت

لعمرك ان إلك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وأما معناه اذا كان بمعنى العهد فقول القائل

أنت خير الناس وابرهم وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندى ماترون يعنى العساكر الفقراء وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شئ وطابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه صلى الله عليه وسلم العرفاء أن قد رضوا ثم انه سبحانه أجاب عن شبهة أخرى لهم وذلك أن عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة فنبذ اليهم عهدهم قال أناس يا أهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز أن يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من أئمة الزيدية وأما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة أبدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى أنه صلى الله عليه وسلم شرب من أوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام وأولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضؤن عن الحدث أو انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز عنهم أو ان كفرهم الذى هو صفة لهم بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ (فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا) وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن أبى حنيفة وأصحابه أن المراد أن لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية

وجدناهم كاذبا إلهم * وذو الال والعهد لا يكذب

وقد زعم بعض من ينسب الى معرفة كلام العرب من البصريين أن الال والعهد والميثاق واليمين واحد وأن الذمة فى هذا الموضع التذمم ممن لا عهد له والجمع ذمم وكان ابن اسحق يقول عنى بهذه الآية أهل العهد العام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق كيف وان يظهروا عليكم أى المشركون الذين لا عهد لهم الى مدة من أهل العهد العام لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة فأما قوله يرضونكم بافواههم فانه يقول يعطونكم بالسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم فى نفوسهم من العداوة والبغضاء وتأبى قلوبهم أى تأبى عليهم قلوبهم أن يذعنوا لكم بتصديق ما يبدونه لكم بألسنتهم يحذر جل ثناؤه أمرهم المؤمنين ويشحذهم على قتلهم واجتياحهم حيث وجدوا من أرض الله وأن لا يقصروا فى مكروههم بكل ما قدروا عليه وأكثرهم فاسقون يقول وأكثرهم مخالفون عهدكم ناقضون له كافرون بربهم خارجون عن طاعته ۞ القول فى تأويل قوله (اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون) يقول جل ثناؤه ابتاع هؤلاء المشركون الذين أمركم الله أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم بتركهم اتباع ما احتج الله به عليهم من حججه يسيرا من العوض قليلا من عرض الدنيا وذلك أنهم فيما ذكر عنهم كانوا نقضوا العهد الذى كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكلة أطعمهموها أبو سفيان بن حرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا قال أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله وأما قوله فصدوا عن سبيله فان معناه فمنعوا الناس من الدخول فى الاسلام وحاولوا رد المسلمين عن دينهم انهم ساء ما كانوا يعملون يقول جل ثناؤه ان هؤلاء المشركين الذين وصفت صفتهم ساء عملهم الذى كانوا يعملون من اشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى وصدهم عن سبيل الله من آمن بالله ورسوله أو من أراد أن يؤمن ۞ القول فى تأويل قوله (لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون) يقول تعالى ذكره لا يتقى هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم حيث وجدتموهم فى قتل مؤمن لو قدروا عليه إلا ولا ذمة يقول فلا تبقوا عليهم أيها المؤمنون كما لا يبقون عليكم لو ظهروا عليكم وأولئك هم المعتدون يقول المتجاوزون فيكم الى ما ليس لهم بالظلم والاعتداء ۞ القول فى تأويل قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون) يقول جل ثناؤه فان رجع هؤلاء المشركون الذين أمرتكم أيها المؤمنون بقتلهم عن كفرهم وشركهم بالله الى الايمان به وبرسوله وأنابوا الى طاعته وأقاموا الصلاة المكتوبة فأدوها بحدودها وآتوا الزكاة المفروضة أهلها فاخوانكم فى الدين يقول فهم اخوانكم فى الدين الذى أمركم الله به وهو الاسلام ونفصل الآيات يقول ونبين حجج الله وأدلته على خلقه لقوم يعلمون ما بين لهم فنشرحها لهم مفصلة دون الجهال الذين لا يعقلون عن الله بيانه ومحكم آياته وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين يقول ان تركوا اللات والعزى

وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص بن غياث عن ليث عن رجل عن ابن عباس فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة قال حرمت هذه الآية دماء أهل القبلة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد افترضت الصلاة والزكاة جميعا لم يفرق بينهما وقرأ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين وأبى أن يقبل الصلاة الا بالزكاة وقال رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا شريك عن أبي اسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله قال أمرتم باقام الصلاة وايتاء الزكاة ومن لم يزك فلا صلاة له وقيل فاخوانكم فرفع بضمير فهم اخوانكم اذ كان قد جرى ذكرهم قبل كما قال فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين يعني فهم اخوانكم في الدين ۞ القول في تأويل قوله ﴿وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ يقول تعالى ذكره فان نقض هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم من قريش عهودهم من بعد ما عاقدوكم أن لا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم أحدا من أعدائكم وطعنوا في دينكم يقول وقدحوا في دينكم الاسلام فثلموه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر يقول فقاتلوا رؤساء الكفر بالله انهم لا أيمان لهم يقول ان رؤساء الكفر لا عهد لهم لعلهم ينتهون لكي ينتهوا عن الطعن في دينكم والمظاهرة عليكم ٭ وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بينهم في المعنيين بأئمة الكفر فقال بعضهم هم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب ونظراؤهم وكان حذيفة يقول لم يأت أهلها بعد ذكر من قال هم من سميت حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى لعلهم ينتهون يعني أهل العهد من المشركين سماهم أئمة الكفر وهم كذلك يقول الله لنبيه وان نكثوا العهد الذي بينك وبينهم فقاتل أئمة الكفر لانهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم الى ينتهون فكان من أئمة الكفر أبو جهل بن هشام وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو سفيان وسهيل بن عمرو وهم الذين هموا باخراجه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة أئمة الكفر أبو سفيان وأبو جهل وأمية ابن خلف وسهيل بن عمرو وعتبة بن ربيعة حدثنا ابن وكيع وابن بشار قال ابن وكيع ثنا غندر وقال ابن بشار ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي بشر عن مجاهد فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال أبو سفيان منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال ثنا أسباط عن السدي وان نكثوا أيمانهم الى ينتهون هؤلاء قريش يقول ان نكثوا عهدهم الذي عاهدوا على الاسلام وطعنوا فيه فقاتلوهم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فقاتلوا أئمة الكفر يعني رؤس المشركين أهل مكة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله فقاتلوا أئمة الكفر أبو سفيان بن حرب وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وسهيل بن عمرو وهم الذين نكثوا عهد الله وهموا باخراج الرسول وليس والله كما تأوله أهل الشبهات والبدع والفرى

والدليل عليه قول علي عليه السلام في النداء ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع من الدخول فيه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى (وان خفتم عيلة) أي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا والموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الأرفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله (فسوف يغنيكم الله من فضله) أي من تفضله بوجه آخر قال عكرمة أنزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم أخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل أغناهم من الفيء وعن مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش وجاؤا الطعام الى مكة فكان ذلك أعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى (ان شاء) تعليم وارشاد وأن لا يغتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم أن حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله (ان الله عليم) أي باحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب ۞ التأويل ما كان لمشركي النفوس الامارة أن يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت أعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وأدام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب

على الله وعلى كتابه ذكر الرواية عن حذيفة بالذي ذكرنا عنه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية فقاتلوا أئمة الكفر فقال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثني أبو السائب قال ثنا الاعمش عن زيد بن وهب قال قرأ حذيفة فقاتلوا أئمة الكفر قال ماقوتل أهل هذه الآية بعد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان واسرائيل عن أبي اسحق عن صلة بن زفر انهم لا أيمان لهم لا عهد لهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله وان نكثوا أيمانهم قال عهدهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وان نكثوا أيمانهم عهدهم الذي عاهدوا على الاسلام حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن صلة عن عمار بن ياسر في قوله لا أيمان لهم قال لا عهد لهم حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن صلة بن زفر عن حذيفة في قوله فقاتلوا أئمة الكفر انهم لا أيمان لهم قال لا عهد لهم وأما النكث فان أصله النقض يقال منه نكث فلان قوى حبله اذا نقضها والايمان جمع اليمين* واختلفت القراء في قراءة قوله انهم لا أيمان لهم فقرأه قراء الحجاز والعراق وغيرهم انهم لا أيمان لهم بفتح الالف من أيمان بمعنى لا عهود لهم على ماقد ذكرنا من قول أهل التأويل فيه وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك انهم لا ايمان لهم بكسر الالف بمعنى لا اسلام لهم وقد يتوجه لقراءته كذلك وجه غير هذا وذلك أن يكون أراد بقراءته ذلك كذلك انهم لا أمان لهم أي لا تؤمنوهم ولكن اقتلوهم حيث وجدتموهم كأنه أراد المصدر من قول القائل آمنته فأنا أومنه ايمانا * قال أبو جعفر والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز القراءة بغيره قراءة من قرأ بفتح الالف دون كسرها لاجماع الحجة من القراء على القراءة به ورفض خلافه ولاجماع أهل التأويل على ماذكرت من أن تأويله لا عهد لهم والأيمان التي هي بمعنى العهد لا تكون الا بفتح الالف لانها جمع يمين كانت على عقد كان بين المتوادعين القول في تأويل قوله {ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ان كنتم مؤمنين} يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله حاضا لهم على جهاد أعدائهم من المشركين ألا تقاتلون أيها المؤمنون هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم وطعنوا في دينكم وظاهروا عليكم أعداءكم وهموا باخراج الرسول من بين أظهرهم فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال يعني فعلهم ذلك يوم بدر وقيل قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة أتخشونهم يقول أتخافونهم على أنفسكم فتتركوا قتالهم خوفا على أنفسكم منهم فالله أحق أن تخشوه يقول فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم وتحذروا سخطه عليكم من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرا ولا نفعا الا باذن الله ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مقرين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ألا تقاتلون قوما نكثوا

اذا كانت محشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الظالمون والطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين آمنوا أي القلوب المؤمنة وهاجروا أي الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر بأموالهم وأنفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حبس الوجود بتجلي صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده أجر عظيم أي من وصل الى مقام العندية فالله يعظم أجره لا تتخذوا آباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة المخلوق على محبة الخالق فقد أبطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الالهي ويوم حنين أي حين حنت قلوبكم شوقا الى لقائه بها وحسبتم أنكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم أرض الوجود ثم أعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم أنزل الله سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الحدبها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وأنزل جنودا من المواهب الربانية وعذب النفوس المتمردة باستعمالها في أحكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين أي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعي انما المشركون النفوس العابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب حينئذ عن اتباع النفوس وأمرها بقتالها ومنعها عن طوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وأوصافها الذميمة وان خفتم عيلة خطوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت

أيمانهم من بعد عهدهم وهموا باخراج الرسول يقول هموا باخراجه فأخرجوه وهم بدؤكم أول مرة بالقتال حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وهم بدؤكم أول مرة قال قتال قريش حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد ومن كان من أهل العهد العام بعد الاربعة الاشهر التي ضرب لهم أجلا الا أن يعودوا فيها على دينهم فيقبل بعد ثم قال ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول الى قوله والله خبير بما تعملون ﴿﴾ القول في تأويل قوله ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره قاتلوا أيها المؤمنون بالله ورسوله هؤلاء المشركين الذين نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم بينكم وبينهم وأخرجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين أظهرهم يعذبهم الله بأيديكم يقول يقتلهم الله بأيديكم ويخزهم يقول ويذلهم بالاسر والقهر وينصركم عليهم فيعطيكم الظفر عليهم والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين يقول ويبرئ داء صدور قوم مؤمنين بالله ورسوله بقتل هؤلاء المشركين بأيديكم واذلالكم وقهركم اياهم وذلك الداء هو ما كان في قلوبهم عليهم من الموجدة بما كانوا ينالونهم به من الاذى والمكروه وقيل ان الله عنى بقوله ويشف صدور قوم مؤمنين صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعونتهم بكرا عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وابن وكيع قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد في هذه الآية ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو ابن محمد العنقزي عن أسباط عن السدي ويشف صدور قوم مؤمنين قال خزاعة يشف صدورهم من بني بكر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا اسباط عن السدي مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين خزاعة حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الله بن رجاء عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير عن مجاهد ويشف صدور قوم مؤمنين قال حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله ﴿﴾ القول في تأويل قوله ﴿ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم﴾ يقول الله تعالى ذكره ويذهب وجد قلوب هؤلاء القوم المؤمنين من خزاعة على هؤلاء القوم الذين نكثوا أيمانهم من المشركين وغمها وكربها بما فيها من الوجد عليهم بمعونتهم بكرا عليهم كما حدثني ابن وكيع قال ثنا عمرو بن محمد العنقزي عن أسباط عن السدي ويذهب غيظ قلوبهم حين قتلهم بنو بكر وأعانتهم قريش حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي مثله الا أنه قال وأعانهم عليهم قريش وأما قوله ويتوب الله على من يشاء فانه خبر مبتدأ ولذلك رفع وجزم الاحرف الثلاثة قبل ذلك على وجه المجازاة كأنه قال قاتلوهم فانكم

النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ ﴿﴾ القراآت عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهؤن بالهمز عاصم الآخرون يضاهون بحذف الهمزة أن يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد الخزاز انما النسي بالتشديد ورش من طريق النجاري وحمزة في الوقف الباقون بياء بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد ان العجلي وأوقية ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد ﴿﴾ الوقوف صاغرون ه المسيح ابن الله ط بأفواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف من قبل ط قاتلهم الله ج يؤفكون ه ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده أن تكون حالا واستئنافا

واحدا ج لان مابعده يصلح ابتداء ووصفا الاهو ط يشركون ○ الكافرون ○ كله لا لتعلق لو عاقبله المشركون ○ عن سبيل الله ط فى سبيل الله لا لتعلق الفاء أليم ○ لا أى فى يوم وظهورهم ط تكنزون ○ حرم ط يقاتلونكم كافة ط المتقين ○ فيحلوا ماحرم الله ط أعمالهم ط الكافرين ○ ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر شبهات المشركين وأجاب عنها بأجوبة صحيحة أراد أن يبين أحكام أهل الكتاب والمقصود تميزهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والواجب فى أهل الكتاب القتال الى الاسلام أو الجزية واعلم أنه تعالى ذكر صفات أربعة وأمر بقتال من اتصف بها ثم بين الموصوفين بها بقوله (من الذين أوتوا الكتاب) فدل ذلك على ان أهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله فأورد عليه أن القوم يقولون نحن نؤمن بالله وأجيب بأن ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بأن كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم أن يكون أكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من أهل السنة أثبت البقاء صفة والقاضى أنكره وعبدالله بن سعيد أثبت القدم صفة والباقون أنكروه والقاضى اثبت لله ادراك الطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ أبو اسحق أنكره والقاضى أثبت للصفات سبعة أحوال معللة بتلك الصفات وغيره أنكره وعبدالله ابن سعيد زعم أن كلام الله فى الازل ما كان أمرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون أنكروه وقوم من قدماء الاشاعرة أثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء والمشهور أن كلام الله واحد واختلفوا فى أن خلاف المعلوم هل هو مقدور لله وأما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فأكثر من أن تحصى هاهنا وأجيب بأن المجسم خالف فى الذات لانه يقول ان الاله جسم والبرهان دل على أن الاله العالم ليس بجسم ولا جسمانى وأما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة فظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية والحروفية

ان تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ثم ابتدأ فقال ويتوب الله على من يشاء لان القتال غير موجب لهم التوبة من الله وهو موجب لهم العذاب من الله والخزى وشفاء صدور المؤمنين وذهاب غيظ قلوبهم فجزم ذلك شرطا وجزاء على القتال ولم يكن موجبا القتال التوبة فابتدأ الحكم به ورفع ومعنى الكلام ويمن الله على من يشاء من عباده الكافرين فيقبل به الى التوبة بتوفيقه اياه والله عليم بسرائر عباده ومن هو للتوبة أهل فيتوب عليه ومن منهم غير أهل لها فيخذله حكيم فى تصريف عباده من حال كفر الى حال ايمان بتوفيق من وفقه لذلك ومن حال ايمان الى كفر بخذلانه من خذل منهم عن طاعته وتوحيده وغير ذلك من أمرهم ۞ القول فى تأويل قوله (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين الذين أمرهم بقتال هؤلاء المشركين الذين نقضوا عهدهم الذى بينهم وبينه بقوله قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم الآية حاضا على جهادهم أم حسبتم أيها المؤمنون أن يترككم الله بغير محنة يمتحنكم بها وبغير اختبار يختبركم به فيعرف الصادق منكم فى دينه من الكاذب فيه ولما يعلم الله الذين جاهدوا يقول أحسبتم أن تتركوا بغير اختبار يعرف به أهل ولايته المجاهدين منكم فى سبيله من المضيعين أمر الله فى ذلك المفرطين ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله يقول ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والذين لم يتخذوا من دون الله ولا من دون رسوله ولا من دون المؤمنين وليجة هو الشئ يدخل فى آخر غيره يقال منه ولج فلان فى كذا يلجه فهو وليجة وانما عنى بها فى هذا الموضع البطانة من المشركين نهى الله المؤمنين أن يتخذوا من عدوهم من المشركين أولياء يفشون اليهم أسرارهم والله خبير بما تعملون يقول والله ذو خبرة بما تعملون من اتخاذكم من دون الله ودون رسوله والمؤمنين به أولياء وبطانة بعدما قد نهاكم عنه لا يخفى ذلك عليه ولا غيره من أعمالكم والله مجازيكم على ذلك ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وبنحو الذى قلت فى معنى الوليجة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا المؤمنين وليجة يتولجها من الولاية للمشركين حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع وليجة قال دخلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أم حسبتم أن تتركوا الى قوله وليجة قال أبى أن يدعهم دون التمحيص وقرأ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وقرأ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الآيات كلها أخبرهم أن لا يتركهم حتى يمحصهم ويختبرهم وقرأ الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون لا يختبرون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين أبى الله الا أن يمحص حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن وليجة قال هو الكفر والنفاق أو قال أحدهما وقيل أم حسبتم ولم يقل أحسبتم لانه من الاستفهام المعترض فى وسط الكلام فادخلت فيه أم ليفرق بينه وبين الاستفهام المبتدا وقد بينت نظائر ذلك فى غير

موضع من الكتاب ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر يقول ان المساجد انما تعمر لعبادة الله فيها لا للكفر به فمن كان بالله كافرا فليس من شأنه أن يعمر مساجد الله وأما شهادتهم على أنفسهم بالكفر فانها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر يقول ما ينبغي لهم أن يعمروها وأما شاهدين على أنفسهم بالكفر فان النصراني يسئل ما أنت فيقول نصراني واليهودي فيقول يهودي والصابي فيقول صابي والمشرك يقول اذا سألته ما دينك فيقول مشرك لم يكن ليقوله أحد الا العرب حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو العنقزي عن أسباط عن السدي ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله قال يقول ما كان ينبغي لهم أن يعمروها حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمرو عن أسباط عن السدي شاهدين على أنفسهم بالكفر قال النصراني يقال له ما أنت فيقول نصراني واليهودي يقال له ما أنت فيقول يهودي والصابي يقال له ما أنت فيقول صابي وقوله أولئك حبطت أعمالهم يقول بطلت وذهبت أجورها لانها لم تكن لله بل كانت للشيطان وفي النار هم خالدون يقول ماكثون فيها أبدا لا أحياء ولا أمواتا واختلفت القراء في قراءة قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مساجد الله على الجمع وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين مسجد الله على التوحيد بمعنى المسجد الحرام وهم جميعا مجمعون على قراءة قوله مساجد الله على الجمع لانه اذا قرئ كذلك احتمل معنى الواحد والجمع لان العرب قد تذهب بالواحد الى الجمع وبالجمع الى الواحد كقولهم عليه ثوب أخلاق ۞ القول في تأويل قوله ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ﴾ يقول تعالى ذكره انما يعمر مساجد الله المصدق بوحدانية الله المخلص له العبادة واليوم الآخر يقول الذي يصدق ببعث الله الموتى أحياء من قبورهم يوم القيامة وأقام الصلاة المكتوبة بحدودها وأدى الزكاة الواجبة عليه في ماله الى من أوجبها الله له ولم يخش الا الله يقول ولم يرهب عقوبة شيء على معصيته اياه سوى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين يقول فخليق بأولئك الذين هذه صفتهم أن يكونوا عند الله ممن قد هداه الله للحق واصابة الصواب حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر يقول من وحد الله وآمن باليوم الآخر يقول أقر بما أنزل الله وأقام الصلاة يعني الصلوات الخمس ولم يخش الا الله يقول ثم لم يعبد الا الله قال فعسى أولئك يقول ان أولئك هم المفلحون كقوله لنبيه عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقول ان ربك سيبعثك مقاما محمودا وهي الشفاعة وكل عسى في القرآن فهي واجبة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم ذكر قول قريش انا أهل الحرم وسقاة الحاج وعمار هذا البيت ولا أحد

القائلين بن كلام الله تعالى حل في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما نكفر النصارى القائلين بأن أقنوم الكلمة حلت في عيسى * الصفة الثانية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان أهل الجنة يأكلون ويشربون وباللذات يتمتعون أما السعادات الروحانية فنتفق عليها * الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام توافق مشتهاهم * الصفة الرابعة ولا يدينون دين الحق أي لا يعتقدون صحة دين الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله ثم ذكر غاية القتال فقال (حتى يعطوا الجزية) فعلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى (عن يد) ان أريد بها يد المعطي أي عن يد مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى بيده اذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وان أريد بها يد الآخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أي بسببها كقوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أي يتناهون في السمن بسببها أو المراد عن انعام عليهم فان قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل ان من اليهود موحدة فما وجه ايجاب الجزية عليهم والجواب انه اذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم لزم القول به في حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر أفضل على فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعي الى أن أقل الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب أبو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله صلى الله عليه

أفضل منا فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر أى ان عمارتكم ليست على ذلك انما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فأولئك عمارها فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين وعسى من الله حق

القول فى تأويل قوله ﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين﴾ وهذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر فى الايمان بالله واليوم الآخر والجهاد فى سبيله لا فى الذى افتخروا به من السدانة والسقاية وبذلك جاءت الآثار وتأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو الوليد الدمشقى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنى معاوية بن سلام عن جده أبى سلام الأسود عن النعمان بن بشير الانصارى قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه فقال رجل منهم ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر بل عمارة المسجد الحرام وقال آخر بل الجهاد فى سبيل الله خير مما قلتم فزجرهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيته فيما اختلفتم فيه قال ففعل فأنزل الله تبارك وتعالى أجعلتم سقاية الحاج الى قوله والله لا يهدى القوم الظالمين حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج ونفك العانى قال الله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين يعنى أن ذلك كان فى الشرك ولا أقبل ما كان فى الشرك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أجعلتم سقاية الحاج الى قوله الظالمين وذلك أن المشركين قالوا عمارة بيت الله وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد وكانوا يفخرون بالحرم ويستكبرون به من أجل أنهم أهله وعماره فذكر الله استكبارهم واعراضهم فقال لأهل الحرم من المشركين قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون يعنى أنهم يستكبرون بالحرم وقال به سامرا لأنهم كانوا يسمرون ويهجرون القرآن والنبى صلى الله عليه وسلم فخير الايمان بالله والجهاد مع نبى الله صلى الله عليه وسلم على عمران المشركين البيت وقيامهم على السقاية ولم يكن ينفعهم عند الله مع الشرك به أن كانوا يعمرون بيته ويخدمونه قال الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين يعنى الذين زعموا أنهم أهل العمارة فسماهم الله ظالمين بشركهم فلم تغن عنهم العمارة شيأ حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن النعمان بن بشير أن رجلا قال ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك يوم الجمعة ولكن اذا صلى الجمعة دخلنا عليه

وسلم سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان نبيهم وهى الصحف التى أنزلت على ابراهيم صلى الله عليه وسلم قد رفعت الى السماء لأحداث أحدثوها وليس المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم وامهالهم مدة لعلهم يتفكرون فى كتابهم فيعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه وأيضا فيه حرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل وأما قوله (وهم صاغرون) فمعناه أنه لا بد مع أخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فاذا أمهل الكافر مدة وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر أن مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار فى الآية بأخذ الجزية على سبيل الاهانة بأن يكون الذمى قائما والمسلم الذى يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحنى ظهره ويطأطئ رأسه فيصب ما معه فى كفة الميزان ويأخذ المستوفى بلحيته ويضرب فى لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الاصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط بالاسلام عند أبى حنيفة دون الشافعى وانها تؤخذ عند أبى حنيفة فى أول السنة وعند الشافعى فى آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة وخنثى ولا صبى ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفانى والراهب والاعمى على الاصح من قولى الشافعى لان الجزية بمنزلة الكراء يستوى فيه المعذورون وغيرهم قال الشافعى فى أحد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فاذا تم الحول أخذنا ان أيسر والا فهى فى ذمته الى أن يوسر وهكذا فى كل حول ولا يصح عقد الذمة الا من الامام أو نائبه الذى فوضه اليه لانه من الامور الكلية وكيفية العقد أن يقول أقررتكم أو أذنت لكم فى الاقامة فى دار الاسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام التى يراها الامام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية فى أرض الحجاز لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال أخرجوا اليهود من

فنزلت أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الى قوله لا يستوون عند الله **حدثنا** الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن عمرو عن الحسن قال نزلت فى على وعباس وعثمان وشيبة تكلموا فى ذلك فقال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن اسمعيل عن الشعبى قال نزلت فى على والعباس تكلما فى ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرت عن أبى صخر قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول افتخر طلحة بن شيبة من بنى عبد الدار وعباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب فقال طلحة أنا صاحب البيت معى مفتاحه لو أشاء بت فيه وقال عباس أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بت فى المسجد وقال على ما أدرى ما تقولان لقد صليت الى القبلة ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الآية كلها **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الحسن قال لما نزلت أجعلتم سقاية الحاج قال العباس ما أرانى الا تارك سقايتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا **حدثنى** محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله قال افتخر على وعباس وشيبة بن عثمان فقال العباس أنا أفضلكم أنا أسقى حجاج بيت الله وقال شيبة أنا أعمر مسجد الله وقال على أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجاهد معه فى سبيل الله فأنزل الله الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله الى نعيم مقيم **حدثت** عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أجعلتم سقاية الحاج الآية أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسروا يوم بدر يعيرونهم بالشرك فقال العباس أما والله لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونفك العانى ونحجب البيت ونسقى الحاج فأنزل الله أجعلتم سقاية الحاج الآية فتأويل الكلام اذا أجعلتم أيها القوم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون هؤلاء وأولئك ولا تعتدل أحوالهما عند الله ومنازلهما لأن الله تعالى لا يقبل بغير الايمان به وباليوم الآخر عملا والله لا يهدى القوم الظالمين يقول والله لا يوفق لصالح الاعمال من كان به كافرا ولتوحيده جاحدا ووضع الاسم موضع المصدر فى قوله كمن آمن بالله اذ كان معلوما معناه كما قال الشاعر

لعمرك ما الفتيان أن تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

فجعل خبر الفتيان أن وهو كما يقال انما السخاء حاتم والشعر زهير ۞ القول فى تأويل قوله (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون) وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخر أحدهم بالسقاية والآخر بالسدانة والآخر بالايمان بالله والجهاد فى سبيله يقول تعالى ذكره الذين آمنوا بالله صدقوا بتوحيده من المشركين وهاجروا دور قومهم وجاهدوا المشركين فى دين الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند

الحجاز قال الشافعى هو مكة والمدينة ومخاليفهما أى قراهما ومار وى أنه صلى الله عليه وسلم أوصى بأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب فمحمول على انه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقى فى الآية نكتة ذكرها بعض العلماء فى أن المسلم لا يقتل بالذمى قال لأن قوله قاتلوا مشتمل على اباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا أن المجموع انتفى عند اعطاء الجزية ولكن انتفاء المجموع يكفى فيه انتفاء أحد جزأيه وأحد الجزأين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم بعد أداء الجزية كما كان ولقائل أن يقول لا نزاع فى الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد اثباته ولما حكم فى الآية المتقدمة أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله شرع فى اثبات تلك الدعوى فقال (وقالت اليهود عزير ابن الله) الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلأنه اسم أعجمى زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين على مذهب بعضهم أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن فى هذا الوجه عبد القاهر باستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون الوصف وحينئذ يحصل تسليم كونه ابن الله ومعلوم أن ذلك كفر وهذا قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم الا أنه جاء على عادة العرب فى ايقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول أو يجالس الملوك ولعله لم يركب أو لم يجالس الا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله التوراة ونسخها من صدورهم فتضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فعاد حفظ التوراة الى قلبه فأنذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا ابن الله وقال عبيد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء

الله

وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا عبرة بانكار اليهود وقول الله أصدق وقال في الكشاف الدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب وأما النصارى فلا شك أنهم يقولون ذلك وقد حكى الواحدى في سبب ذلك أن أتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى الى السماء حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من أصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار وانى أحتال فأضلهم فعرقب فرسه وأظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على رأسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا أن تتنصر وقد تبت فأدخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه وأحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه نسطور وعلمه أن عيسى ومريم والاله كانوا ثلاثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلاثة وقال لكل واحد منهم أنت خليفتى فادع الناس الى نحلتك ولقد رأيت عيسى فى المنام ورضى عنى وانى غدا أذبح نفسى لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو السبب فى وقوع هذا الكفر فى طوائف النصارى والأقرب أن لفظ الابن قد وقع فى الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك أنت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل فى حق ابراهيم عليه السلام وقال المسيح عليه السلام للحواريين أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماء الذى أشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لأجل عداوة اليهود ولأجل أن يقابلوا غلوهم الفاسد فى أحد الطرفين بغلو فاسد فى الطرف الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى أعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه (ذلك قولهم بأفواههم) وفائدة هذا التخصيص وكل قول فانما يقال بالفم أنه قول لا يعضده برهان بل

الله وأرفع منزلة عنده من سقاة الحاج وعمار المسجد الحرام وهم بالله مشركون وأولئك يقول وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا هم الفائزون بالجنة الناجون من النار ۞ القول فى تأويل قوله (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم) يقول تعالى ذكره يبشر هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله ربهم برحمة منه لهم أنه قد رحمهم من أن يعذبهم وبرضوان منه لهم بأنه قد رضى عنهم بطاعتهم اياه وأدائهم ما كلفهم وجنات يقول وبساتين لهم فيها نعيم مقيم لا يزول ولا يبيد ثابت دائم أبدا لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الموسوى قال ثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال اذا دخل أهل الجنة الجنة قال الله سبحانه أعطيكم أفضل من هذا فيقولون ربنا أى شىء أفضل من هذا قال رضوانى ۞ القول فى تأويل قوله (خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم) يقول تعالى ذكره خالدين فيها ماكثين فيها يعنى فى الجنات أبدا لا نهاية لذلك ولا حد ان الله عنده أجر عظيم يقول ان الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذى ذكر فى هذه الآية أجر ثواب على طاعتهم لربهم وأدائهم ما كلفهم من الأعمال عظيم وذلك النعيم الذى وعدهم أن يعطيهم فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم بطانة وأصدقاء تفشون اليهم أسراركم وتطلعونهم على عورة الاسلام وأهله وتؤثرون المكث بين أظهرهم على الهجرة الى دار الاسلام ان استحبوا الكفر على الايمان يقول ان اختاروا الكفر بالله على التصديق به والاقرار بتوحيده ومن يتولهم منكم يقول ومن يتخذهم منكم بطانة من دون المؤمنين ويؤثر المقام معهم على الهجرة الى رسول الله ودار الاسلام فأولئك هم الظالمون يقول فالذين يفعلون ذلك منكم هم الذين خالفوا أمر الله فوضعوا الولاية فى غير موضعها وعصوا الله فى أمره وقيل ان ذلك نزل نهيا من الله المؤمنين عن موالاة أقربائهم الذين لم يهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام قال أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب أنا أسقى الحاج وقال طلحة أخو بنى عبد الدار أنا صاحب الكعبة فلا نهاجر فأنزلت لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء الى قوله يأتى الله بأمره بالفتح فى أمره اياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة ۞ القول فى تأويل قوله (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) يقول تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة الى دار الاسلام المقيمين بدار الشرك ان كان المقام مع آبائكم وأبنائكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وكانت أموال اقترفتموها يقول اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها بفراقكم بلدكم ومساكن ترضونها فسكنتموها أحب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله من دار الشرك ومن جهاد فى سبيله يعنى فى نصرة دين الله الذى ارتضاه

البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرأ عن الحاجة والشهوة والمضاجعة واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحتـه كالالفاظ المهملة التى لا تجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها فى القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظيره قوله وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم أونقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه أما اذا نطق به فذلك هو الغاية فى اختياره واذا ساعده عليه دليل كان نهاية فى الحسن والتأثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة أوانه مذهب لا يساعده دليل فلا تأثير له فى القلوب ويحتمل أن يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت فى الافواه والألسنة (يضاهؤن) من قرأ بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهى منقوصا أى شاكل ومن قرأ بالهمز فلمجىء ضاهأت من قولهم امرأة ضهيأ على وزن فعيل وهى التى شاكلت الرجال فى انها لا تحيض ومن جعل ضهيأ على فعلاء بزيادة الهمزة كما فى غرقىء لقشرة البيض السفلى لمجىء ضهياء ممدودا بمعناه فلا ثبت فى هذا الثانى عنده ولا بد من تقدير مضاف أى يضاهى قولهم قول الذين حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى أن قول هؤلاء المعاصرين للنبى من أهل الكتاب يشبه قول قدمائهم أى انه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو يضاهى قول أهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير فى يضاهؤن للنصارى فقط أى يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود أقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب معجبا ومستفهما على سبيل الانكار (قاتلهم الله أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق أى هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ان ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق أين تذهب ثم وصفهم بضرب آخر من الاشراك فقال (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم) قال أهل المعانى الحبر العالم الذى يعبر عما يريد بأحسن بيان والراهب الذى ظهرت آثار الرهبة من قلبه على وجهه ولباسه لكن

فتربصوا يقول فتنظروا حتى يأتى الله بأمره حتى يأتى الله بفتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للخير الخارجين عن طاعته وفى معصيته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى يأتى الله بأمره بالفتح حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فتربصوا حتى يأتى الله بأمره فتح مكة حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها يقول تخشون أن تكسد فتبيعوها ومساكن ترضونها قال هى القصور والمنازل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأموال اقترفتموها يقول أصبتموها

القول فى تأويل قوله (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يقول تعالى ذكره لقد نصركم الله أيها المؤمنون فى أماكن حرب توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ومشاهد تلتقون فيها أنتم وهم كثيرة ويوم حنين يقول وفى يوم حنين أيضا قد نصركم وحنين واد فيما ذكر بين مكة والطائف وأجرى لانه مذكر اسم لمذكر وقد يترك اجراؤه ويراد به أن يجعل اسما للبلدة التى هو بها ومنه قول الشاعر

نصروا نبيهم وشدوا أزره * بحنين يوم تواكل الابطال

حدثنى عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال حنين واد الى جنب ذى المجاز اذ أعجبتكم كثرتكم وكانوا ذلك اليوم فيما ذكر لنا اثنى عشر ألفا وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك اليوم لن نغلب من قلة وقيل قال ذلك رجل من المسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول الله اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ يقول فلم تغن عنكم كثرتكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت يقول وضاقت الارض بسعتها عليكم والباء ههنا فى معنى فى ومعناه وضاقت عليكم الارض فى رحبها وبرحبها يقال منه مكان رحيب أى واسع وانما سميت الرحاب رحابا لسعتها ثم وليتم مدبرين عن عدوكم منهزمين مدبرين يقول وليتموهم الادبار وذلك الهزيمة يخبرهم تبارك وتعالى أن النصر بيده ومن عنده وأنه ليس بكثرة العدد وشدة البطش وأنه ينصر القليل على الكثير اذا شاء ويخلى القليل فيهزم الكثير وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين حتى بلغ وذلك جزاء الكافرين قال وحنين ما بين مكة والطائف قاتل عليها نبى الله هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف أخو بنى نصر وعلى ثقيف عبد ياليل بن عمرو الثقفى قال وذكر لنا انه خرج يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ألفا عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وألفان من الطلقاء وذكر لنا أن رجلا قال يومئذ لن نغلب اليوم بكثرة قال وذكر لنا أن الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس وجلوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل عن بغلته الشهباء وذكر لنا

أن نبي الله قال أى رب آتنى ما وعدتنى قال والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ناد يا معشر الانصار و يا معشر المهاجرين فجعل ينادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا أصحاب سورة البقرة قال فجاء الناس عنقا واحدا فالتفت نبي الله صلى الله عليه وسلم واذا عصابة من الانصار فقال هل معكم غيركم فقالوا يا نبي الله والله لو عمدت الى برك الغماد من ذى يمن لكنا معك ثم أنزل الله نصره وهزم عدوهم وتراجع المسلمون قال وأخذ رسول الله كفا من تراب أو قبضة من حصباء فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانهزموا فلما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم وأتى الجعرانة فقسم بها مغانم حنين وتألف أناسا من الناس فيهم أبو سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فقالت الانصار حن الرجل الى قومه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى قبة له من أدم فقال يا معشر الانصار ما هذا الذى بلغنى ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله وكنتم أذلة فاعزكم الله وكنتم وكنتم قال فقال سعد بن عبادة رحمه الله ائذن لى فأتكلم قال تكلم قال أما قولك كنتم ضلالا فهداكم الله فكنا كذلك وكنتم أذلة فأعزكم الله فقد علمت العرب ما كان حى من أحياء العرب أمنع لما وراء ظهورهم منا فقال عمر يا سعد أتدرى من تكلم فقال نعم أكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو سلكت الانصار واديا والناس واديا لسلكت وادى الانصار ولولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الانصار كرشى وعيبتى فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار أما ترضون أن ينقلب الناس بالابل والشاء وتنقلبون برسول الله الى بيوتكم فقالت الانصار رضينا عن الله ورسوله والله ما قلنا ذلك الا حرصا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته أو ظئره من بنى سعد بن بكر أتته فسألته سبايا يوم حنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لا أملكهم وانما لى منهم نصيبى ولكن ائتينى غدا فسلينى والناس عندى فانى اذا أعطيتك نصيبى أعطاك الناس فجاءت الغد فبسط لها ثوبا فقعدت عليه ثم سألته فأعطاها نصيبه فلما رأى ذلك الناس أعطوها أنصباءهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة الآية ان رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قال يا رسول الله لن نغلب اليوم من قلة وأعجبته كثرة الناس وكانوا اثنى عشر ألفا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فوكلوا الى كلمة الرجل فانهزموا عن رسول الله غير العباس وأبى سفيان بن الحرث وأيمن بن أم أيمن قتل يومئذ بين يديه فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين الانصار أين الذين بايعوا تحت الشجرة فتراجع الناس فأنزل الله الملائكة بالنصر فهزموا المشركين يومئذ وذلك قوله ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن

فى عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من أصحاب الصوامع واختلفوا فى معنى اتخاذهم اياهم أربابا بعد الاتفاق على أنه ليس المراد أنهم جعلوهم آلهة العالم فقال أكثر المفسرين المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم نقل أن عدى بن حاتم كان نصرانيا فانتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدى انا لسنا نعبدهم فقال أليس تحرمون ما أحل الله وتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا فى كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلاف ما عليه الخوارج لأن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا أنه يلعنه ويستخف به بخلاف أولئك الأتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله فى مسائل كانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كالمتعجب يعنى كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا ساريا فى عرف الاكثرين قلت ولعلهم توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآى على ما لم يقف عليه الخلف وقيل فى تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ فى ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا تليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا فى هذه الامة فكيف بالامم السالفة وأما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد أهلوه للعبادة والالهية ولعل السبب فى افراد المسيح بالذكر أن قولهم فيه أشنع من قولهم فى الاحبار والرهبان أو لان القول بالهية المسيح مخصوص بأحد الفريقين فلو قيل اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا

لأوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا (وما أمروا) الضمير للمتخذين والذي أمرهم بذلك أدلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز أن يكون الضمير للاحبار والرهبان أي وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب الا بأن يكونوا مربوبين ثم نزه (٧٢) نفسه عن مقالة الظالمين فقال (سبحانه عما يشركون) ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعال أهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال أمر محمد وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال (يريدون أن يطفؤا نور الله) أي دينه الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بهما وذلك أن دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبتت نبوة موسى وعيسى ولاسيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد لطاعته وصرف النفس عن الامور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم انهم بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة أرادوا ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو أشد الانوار المحسوسة بسبب أن ينفخ فيه ولاريب أن ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال (ويأبى الله الا أن يتم نوره) أي لم يرد الله الا ذلك الا أن الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال * وان أرادوا ظلمنا أبينا * امتدح بذلك ولا يجوز أن يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم أكد ذلك المعنى بقوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى) أي بكثرة الدلائل والمعجزات (ودين الحق) لاشتماله على أمور تظهر لكل أحد كونه موصوفا بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية أمره وتمام حكمه فقال (ليظهره على الدين كله) أي ليجعل الرسول أو دين الحق ولقد غالبا على أهل الاديان كلهم أو على كل دين عن أبي هريرة أنه قال هذا وعد من الله بأن يجعل الاسلام ظاهرا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج المهدي ونزول عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي عليه السلام لا يبقى أحد الا دخل في الاسلام وأدى

الزهري عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه قال لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ قال فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وما معه أحد الا أبو سفيان بن الحرث ابن عبد المطلب آخذ بغرز النبي صلى الله عليه وسلم لا يألو ما أسرع نحو المشركين قال فأتيت حتى أخذت بلجامه وهو على بغلة له شهباء فقال يا عباس ناد أصحاب السمرة وكنت رجلا صيتا فأذنت بصوتي الأعلى أين أصحاب السمرة فالتفتوا كأنها الابل اذا حنت الى أولادها يقولون يا لبيك يا لبيك يا لبيك وأقبل المشركون فالتقوا هم والمسلمون وتنادت الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة في بني الحرث بن الخزرج فتنادوا يا بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول الى قتالهم فقال هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ بيده من الحصباء فرماهم بها ثم قال انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة قال فوالله ما زال أمرهم مدبرا وحدهم كليلا حتى هزمهم الله قال فكأني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهري عن سعيد بن المسيب أنهم أصابوا يومئذ ستة آلاف سبي ثم جاء قومهم مسلمين بعد ذلك فقالوا يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد أخذت أبناءنا ونساءنا وأموالنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان عندي من ترون وان خير القول أصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما أموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء قد جاؤني مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده منهم شئ فطابت نفسه أن يرده فليفعل ذلك ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا يا نبي الله رضينا وسلمنا فقال اني لا أدري لعل منكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء أن قد رضوا وسلموا حدثنا علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا حماد بن سلمة قال ثنا يعلى بن عطاء عن أبي همام عن أبي عبد الرحمن يعني الفهري قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين فلما ركدت الشمس لبست لأمتي وركبت فرسي حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في ظل شجرة فقلت يا رسول الله قد حان الرواح فقال أجل فنادى يا بلال يا بلال فقام بلال من تحت سمرة فأقبل كأن ظله ظل طير فقال لبيك وسعديك ونفسي فداؤك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أسرج فرسي فأخرج سرجا دفتاه حشوهما ليف ليس فيهما أشر ولا بطر قال فركب النبي صلى الله عليه وسلم فصاففناهم يومنا وليلتنا فلما التقى الخيلان ولى المسلمون مدبرين كما قال الله فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباد الله يا معشر المهاجرين قال ومال النبي صلى الله عليه وسلم عن فرسه فأخذ حفنة من تراب فرمى بها وجوههم فولوا مدبرين قال يعلى بن عطاء فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا ما بقي منا أحد الا وقد امتلأت عيناه من ذلك التراب حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت البراء وسأله رجل من قيس فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وكانت هوازن يومئذ رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام

الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن أشياعهم في الاسلام مالا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على أن الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها وقيل ليظهر الاسلام على غيره في جزيرة العرب وهذا تخصيص أوجبه ضيق العطن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شئ من مدارك الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل أن يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبون على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام أحكامه قوله (هو الذى أرسل) فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة أنه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة أنه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء وأراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة أنه هو المعطى لمثل هذه النعمة التى لا يوازيها نعمة وهى نعمة الهدى والاسلام وقوله (ولو كره الكافرون) وفي الآية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها على أن اليهود والنصارى أيضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف مشركى قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق أراد أن يصفهم بالطمع والحرص فقال (يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان الآية) وفيه تنبيه على أن مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله ولعمرى ان من تأمل في أحوال أهل الناقوس والتزوير في زماننا

وجد هذه الآيات كأنها ما أنزلت الا في شأنهم وشرح أحوالهم فترى الواحد منهم يدعى أنه لا يلتفت الى الدنيا ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويتحمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على أن هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم

ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بلجامها وهو يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن أبى اسحق عن البراء قال سأله رجل يا أبا عمارة وليتم يوم حنين فقال البراء وأنا أسمع أشهد أن رسول الله لم يول يومئذ دبره وأبو سفيان يقود بغلته فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول

أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب

فما رؤى يومئذ أحد من الناس كان أشد منه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى جعفر ابن سليمن عن عوف الاعرابى عن عبد الرحمن مولى أم برثن قال ثنى رجل كان من المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب محمد عليه السلام لم يقفوا لنا حلب شاة أن كشفناهم فبينا نحن نسوقهم اذا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فتلقانا رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا وركبنا القوم فكانت اياها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر عن سعيد قال أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم حنين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال ويومئذ سمى الله الانصار مؤمنين قال فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ قال كانوا اثنى عشر ألفا حدثنا محمد بن يزيد الآدمى قال ثنا معن بن عيسى عن سعيد بن السائب الطائفى عن أبيه عن يزيد بن عامر قال لما كانت انكشافة المسلمين حين انكشفوا يوم حنين ضرب النبى صلى الله عليه وسلم يده الى الارض فأخذ منها قبضة من تراب فأقبل بها على المشركين وهم يتبعون المسلمين فحثاها في وجوههم وقال ارجعوا شاهت الوجوه قال فانصرفنا ما يلقى أحد أحدا الا وهو يمسح القذى عن عينيه * وبه عن يزيد بن عامر السوائى قال قيل له يا أبا حاجز الرعب الذى ألقى الله في قلوب المشركين ماذا وجدتم قال وكان أبو حاجز مع المشركين يوم حنين فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها في الطست فيطن ثم يقول كان في أجوافنا مثل هذا حدثنا القاسم قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنى المعتمر ابن سليمن عن عوف قال سمعت عبد الرحمن مولى أم برثن أو أم مريم قال ثنى رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة قال فلما كشفناهم جعلنا نسوقهم في أدبارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلقانا عنده رجال بيض حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا فكانت اياها ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ثم من بعد ما ضاقت عليكم الأرض بما رحبت وتوليتكم الاعداء أدباركم كشف الله نازل البلاء عنكم بانزاله السكينة وهى الأمنة والطمأنينة عليكم وقد بينا أنها فعيلة من السكون فيما مضى من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته في هذا

الموضع وأنزل جنودا لم تروها وهي الملائكة التي ذكرت في الاخبار التي قد مضى ذكرها وعذب الذين كفروا يقول وعذب الله الذين جحدوا وحدانيته ورسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالقتل وسبي الاهلين والذراري وسلب الاموال والذلة وذلك جزاء الكافرين يقول هذا الذي فعلنا بهم من القتل والسبي جزاء الكافرين يقول هو ثواب أهل جحود وحدانيته ورسالة رسوله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وعذب الذين كفروا يقول قتلهم بالسيف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو داود الحفري عن يعقوب عن جعفر عن سعيد وعذب الذين كفروا قال بالهزيمة والقتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين قال من بقي منهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم﴾ يقول تعالى ذكره ثم يتفضل الله بتوفيقه للتوبة والانابة اليه من بعد عذابه الذي به عذب من هلك منهم قتلا بالسيف على من يشاء أي يتوب الله على من يشاء من الأحياء يقبل به الى طاعته والله غفور لذنوب من أناب وتاب اليه منهم ومن غيرهم منها رحيم بهم فلا يعذبهم بعد توبتهم ولا يؤاخذهم بها بعد انابتهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله وأقروا بوحدانيته ما المشركون الا نجس * واختلف أهل التأويل في معنى النجس وما السبب الذي من أجله سماهم بذلك فقال بعضهم سماهم بذلك لانهم يجنبون فلا يغتسلون فقال هم نجس ولا يقربوا المسجد الحرام لان الجنب لا ينبغي له أن يدخل المسجد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر في قوله انما المشركون نجس لا أعلم قتادة الا قال النجس الجنابة * وبه عن معمر قال وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي حذيفة وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال حذيفة يارسول الله اني جنب فقال ان المؤمن لا ينجس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس أي أجناب * وقال آخرون معنى ذلك ما المشركون الا رجس خنزير أو كلب وهذا قول روي عن ابن عباس من وجه غير جيد فكرهنا ذكره وقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا يقول للمؤمنين فلا تدعوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحرم وانما عنى بذلك منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام * وقد اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم فيه نحو الذي قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر وابن المثنى قالا ثنا أبو عاصم قال أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء الحرم كله قبلة ومسجد قال فلا يقربوا المسجد الحرام لم يعن المسجد وحده انما عنى مكة والحرم قال ذلك غير مرة وذكر عن عمر بن عبد العزيز في ذلك ما حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير قال ثني الوليد ابن مسلم قال ثنا أبو عمرو أن عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين واتبع في نهيه قول الله انما المشركون نجس حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن الحسن انما المشركون نجس قال لا تصافحوهم فمن صافحهم

لايخلو عن الحق وانطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم أنه كما ان اجماع هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن أخذهم أموال الناس بالاكل تسمية للشئ باسم ماهو أعظم مقاصده وأيضا من أكل شيأ فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو أخذه ولهذا فان من أخذ أموال الناس فاذا طولب بردها قال أكلتها ومابقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها أنهم كانوا يأخذون الرشا في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرائع وفي اخفاء نعت محمد وتأويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها أنهم كانوا يدعون عند عوامهم الحق أنه لاسبيل الى الفوز بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في مرضاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها أنهم قالوا لا طريق الى تقوية دينهم الا اذا كان أولئك الفقهاء أقوياء عظماء أصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا أما قوله (ويصدون عن سبيل الله) فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو أقروا بدينه ثم قال سبحانه (والذين يكنزون) الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشئ اجتمع قيل المراد بقوله والذين يكنزون الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد أراد أن يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن أموالهم وقيل المقصود مانعو الزكاة من المسلمين ووجه النظم أنه لما كان حال من أمسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في أخذ مال غيره بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبي ذر فقلت له ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية فقال معاوية نزلت في أهل الكتاب وقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمان يشكوني فكتب الي عثمان أن اقدم المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت

فليتوضأ

فلتوضأ وأما قوله بعد عامهم هذا فانه يعني بعد العام الذي نادى فيه علي رحمة الله عليه ببراءة وذلك عام حج بالناس أبو بكر وهي سنة تسع من الهجرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهو العام الذي حج فيه أبو بكر ونادى علي رحمة الله عليهما بالاذان وذلك لتسع سنين مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج نبي الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع لم يحج قبلها ولا بعدها وقوله وان خفتم عيلة يقول للمؤمنين وان خفتم فاقة وفقرا بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء يقال منه عال يعيل عيلة وعيولا ومنه قول الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

وقد حكي عن بعضهم أن من العرب من يقول في الفاقة عال يعول بالواو وذكر عن عمرو بن فائد أنه كان تأول قوله وان خفتم عيلة بمعنى واذ خفتم ويقول كان القوم قد خافوا وذلك نحو قول القائل لأبيه ان كنت أبي فأكرمني بمعنى اذ كنت أبي وانما قيل ذلك لهم لان المؤمنين خافوا بانقطاع المشركين عن دخول الحرم انقطاع تجاراتهم ودخول ضرر عليهم بانقطاع ذلك وأمنهم الله من العيلة وعوضهم مما كانوا يكرهون انقطاعه عنهم ما هو خير لهم منه وهو الجزية فقال لهم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله الى صاغرون وقال قوم بادرار المطر عليهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام ألقى الشيطان في قلوب المؤمنين الحزن قال من أين تأكلون وقد نفي المشركون وانقطعت عنكم العير فقال الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأمرهم بقتال أهل الكتاب وأغناهم من فضله حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال كان المشركون يجيئون الى البيت ويجيئون معهم بالطعام ويتجرون فيه فلما نهوا أن يأتوا البيت قال المسلمون من أين لنا طعام فأنزل الله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء فأنزل عليهم المطر وكثر خيرهم حتى ذهب عنهم المشركون حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد ابن عبد الرحمن عن علي بن صالح عن سماك عن عكرمة انما المشركون نجس الآية ثم ذكر نحو حديث هناد عن أبي الاحوص حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن واقد عن سعيد بن جبير قال لما نزلت انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا من يأتينا بطعامنا ومن يأتينا بالمتاع فنزلت وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن واقد مولى زيد بن خليدة عن سعيد بن جبير قال كان المشركون يقدمون عليهم بالتجارة فنزلت هذه الآية انما المشركون نجس الى قوله عيلة قال الفقر فسوف يغنيكم الله من

اني والله لا أدع ما كنت أقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت أبا ذر يقول بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم تؤد زكاته عن عمر بن الخطاب مال أديت زكاته فليس بكنز وقال ابن عمر كل ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وكل مال لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان فوق الارض وقال جابر اذا أخرجت الصدقة من مالك فقد أذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس قوله ولا ينفقونها في سبيل الله يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات وقال الأقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته أو لم تؤد وحجة الاولين قوله تعالى لها ما كسبت ولا يسألكم أموالكم وقوله عليه السلام كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح للرجل الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان يعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث أو الأقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر المريض أن يتصدق بالكل بل الصحيح في حال صحته حجة الأقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له صلى الله عليه وسلم أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه وقوله من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال

فضله حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية العوفى قال قال المسلمون قد كنا نصيب من تجارتهم وبياعاتهم فنزلت انما المشركون نجس الى قوله من فضله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبى أحسبه قال أنبأنا أبو جعفر عن عطية قال لما قيل ولا يحج بعد العام مشرك قالوا لقد كنا نصيب من بياعاتهم فى الموسم قال فنزلت يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله يعنى بما فاتهم من بياعاتهم حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا ابن يمان عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال بالجزية حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن يمان وأبو معاوية عن أبى سنان عن ثابت عن الضحاك قال أخرج المشركون من مكة فشق ذلك على المسلمين وقالوا كنا نصيب منهم التجارة والميرة فأنزل الله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله كان ناس من المسلمين يتألفون العير فلما نزلت براءة بقتال المشركين حيثما ثقفوا وأن يقعدوا لهم كل مرصد قذف الشيطان فى قلوب المؤمنين فمن أين تعيشون وقد أمرتم بقتال أهل العير فعلم الله من ذلك ما علم فقال أطيعونى وامضوا الأمرى وأطيعوا رسولى فانى سوف أغنيكم من فضلى فتوكل لهم الله بذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما المشركون نجس الى قوله فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء قال قال المؤمنون كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بان لا يقربوهم المسجد الحرام فهذه الآية من أول براءة فى القراءة ومن آخرها فى التأويل قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما نفى الله المشركين عن المسجد الحرام شق ذلك على المسلمين وكانوا يأتون ببياعات ينتفع بذلك المسلمون فانزل الله تعالى ذكره وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله فاغناهم بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا عاما عاما فليس لاحد من المشركين أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم بحال الا صاحب الجزية أو عبد رجل من المسلمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنا أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى قوله انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الذمة * قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال الا صاحب جزية أو عبد الرجل من المسلمين حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج عن عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج قال أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول فى هذه الآية انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام الا أن يكون عبدا أو أحدا من أهل الجزية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وان

خفتم

كيتان وعن على رضى الله عنه كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه مازاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور رحكمة الله ودافعا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدى عنه ما أوجب عليه ثم يعاقبه وقال أهل التحقيق النهى عن جمع المال محمول على التقوى لأن تزايد المال لا حد له يقف هنالك فينجر الى تضييع العمر تارة فى تحصيله وأخرى فى حفظه ولانه كلما ازداد المال ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه ولا ينقطع البتة وقد يفضى الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ولو لم يكن فى الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن فى سبيل الله فعدمه خير من وجوده وأما ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا أدى منه حقوقه هذا ومن حمل الآية على وعيد مانعى الزكاة فى النقود قاس الزكاة فى المواشى عليه وقد ورد أيضا فى الحديث ما من صاحب ابل أو بقر أو غنم وهو مشهور ولا ريب أن الاصل المعتبر فى الاموال هو النقدان وسائر الامتعة انما تحصل بهما وتدور عليهما ولمن أوجب الزكاة فى الحلى المباح الاستدلال بالآية لان الذهب والفضة يشمله ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لا زكاة فى الحلى المباح ولم يصححه أبو عيسى الترمذى وبتقدير أن يصح حملوه على اللآلئ لقوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل أن يقول لو حملنا الحلى فى الحديث على اللآلى لم تبق لقيد المباح فائدة ثم انه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فقيل الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز أو الاموال أو لأن كل واحد منهما جملة واحدة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير

خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله قال أغناهم الله بالجزية الجارية شهرا فشهرا وعاما فعاما حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن أبي الزبير عن جابر انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال لا يقرب المسجد الحرام بعد عامه هذا مشرك ولا ذمي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة وذلك أن الناس قالوا لتقطعن عنا الاسواق ولتهلكن التجارة وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق فنزل وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله من وجه غير ذلك ان شاء الى قوله وهم صاغرون ففي هذا عوض مما تخوفتم من قطع تلك الاسواق فعوضهم الله بما قطع عنهم من أمر الشرك ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب من الجزية وأما قوله ان الله عليم حكيم فان معناه ان الله عليم بما حدثتكم به أنفسكم أيها المؤمنون من خوف العيلة عليها بمنع المشركين من أن يقربوا المسجد الحرام وغير ذلك من مصالح عباده حكيم في تدبيره اياهم وتدبير جميع خلقه ۞ القول في تأويل قوله ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر يقول ولا يصدّقون بجنة ولا نار ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق يقول ولا يطيعون الله طاعة الحق يعني أنهم لا يطيعون طاعة أهل الاسلام من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى وكل مطيع ملكا أو ذا سلطان فهو دائن له يقال منه دان فلان لفلان فهو يدين له دينا قال زهير

لئن حللت بجو في بني أسد * في دين عمرو وحالت بيننا فدك

وقوله من الذين أوتوا الكتاب يعني الذين أعطوا كتاب الله وهم أهل التوراة والانجيل حتى يعطوا الجزية والجزية الفعلة من جزى فلان فلانا ما عليه اذا قضاه يجزيه والجزية مثل القعدة والجلسة ومعنى الكلام حتى يعطوا الخراج عن رقابهم الذي يبذلونه للمسلمين دفعا عنها وأما قوله عن يد فانه يعني من يده الى يد من يدفعه اليه وكذلك تقول العرب لكل معط قاهرا له شيأ طائعا له أو كارها أعطاه عن يده وعن يد وذلك نظير قولهم كلمته فما لفم ولقيته كفة لكفة وكذلك أعطيته عن يد ليد وأما قوله وهم صاغرون فان معناه وهم أذلاء مقهورون يقال للذليل الحقير صاغر وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بحرب الروم فغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزولها غزوة تبوك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرّمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون حين أمر محمد وأصحابه بغزوة تبوك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * واختلف أهل التأويل في معنى الصغار الذي عناه الله في هذا الموضع فقال بعضهم أن يعطيها وهو قائم والآخذ جالس ذكر من قال ذلك

فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الى اللفظ أي ولا ينفقون الفضة وحذف الذهب اما لأنه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمنين نفيسين مقصودين بالكنز فأغنى ذكر أحدهما عن الآخر كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا واما لان التقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله

* فاني وقيار بها لغريب *

وقيار كذلك ثم قال (فبشرهم بعذاب أليم) تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كان حقيقة (يوم يحمى عليها) معناه أن النار تحمى عليها أي يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى أي الكنوز كقولك أحميت الحديد لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) ذكر العلماء في تخصيص هذه الأعضاء بالكي وجوها منها أن حصول الاموال يقصد به فرح في القلب يظهر أثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها أنهم يكوون على الجهات الاربع أما من قدام فعلى الجبهة وأما من خلف فعلى الظهر وأما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها أن المراد وقوع الكي على كل الاعضاء لانها اما في غاية النظافة ومثاله الجبهة واما في غاية الصلابة ومثاله الظهر واما متوسطة ومثاله الجنبان ومنها أن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتهما ومنها قول أبي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا قعد بجنبه تباعد وتجافى عنه وولى ظهره وأنا أقول يحتمل أن يراد بالجباه قدام الشخص حيث لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف

حيث خلف ما أعقبه الحسرات وبالجنوب اليمين والشمال حيث لم يصرف المال في مرضاة الله وأنفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتأويل أليق ثم الذي جعل كياهو كل ماله أو قدر الزكاة الظاهر أنه الكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل ماله فناسب أن يعذب بكل الاجزاء ثم قال (هذا ما كنزتم) والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم (لأنفسكم) وفيه توبيخ (٧٨)

واشعار بأنهم عورضوا بنقيض ماقصدوا وأكد ذلك بقوله (فذوقوا ما كنتم تكنزون) ما مصدرية أو موصولة والمعنى اعرفوا وبال كونكم كانزين أو ذوقوا وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال (ان عدة الشهور) الآيتان وذلك أنه تعالى لما حكم في كل وقت بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة في كفرهم واعلم أن المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال أبو علي الفارسي لا يجوز أن يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر أعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في أول ما خلق الله العالم ويجوز أن يكون في كتاب الله صفة اثنا عشر أي اثنا عشر شهرا مثبتة في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز أن يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم الله متعلق به ولا تتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول أي فيما أثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو

حدثني عبد الرحمن بن بشر النيسابوري قال ثنا سفيان عن ابن سعد عن عكرمة حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون قال أي تأخذها وأنت جالس وهو قائم * وقال آخرون معنى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون عن أنفسهم بأيديهم يمشون بها وهم كارهون وذلك قول روي عن ابن عباس من وجه فيه نظر * وقال آخرون اعطاؤهم اياها هو الصغار ﴿ القول في تأويل قوله ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ اختلف أهل التأويل في القائل عزير ابن الله فقال بعضهم كان ذلك رجلا واحدا وهو فنحاص ذكر من قال ذلك **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير قوله وقالت اليهود عزير ابن الله قال قالها رجل واحد قالوا ان اسمه فنحاص وقالوا هو الذي قال ان الله فقير ونحن أغنياء * وقال آخرون بل كان ذلك قول جماعة منهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت لا تزعم أن عزيرا ابن الله فأنزل الله في ذلك من قولهم وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى أنى يؤفكون **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالت اليهود عزير ابن الله وانما قالوا هو ابن الله من أجل أن عزيرا كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قبل من علمائهم فدعا عزير الله وابتهل اليه أن يرد اليه الذي نسخ من صدره من التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله نزل نور من الله فدخل جوفه فعاد اليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال يا قوم قد آتاني الله التوراة وردها الي فعلق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله وهو يعلمهم ثم ان التابوت نزل بعد ذلك وبعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتي عزير هذا الا أنه ابن الله **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وقالت اليهود عزير ابن الله انما قالت ذلك لانهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم وأخذوا التوراة وذهب علماؤهم الذين بقوا فدفنوا كتب التوراة في الجبال وكان عزير غلاما يتعبد في رؤس الجبال لا ينزل الا يوم عيد فجعل الغلام يبكي ويقول رب تركت بني اسرائيل بغير عالم فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع اذا هو بامرأة قد مثلت له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول يا مطعماه ويا كاسياه فقال لها ويحك من كان يطعمك ويكسوك ويسقيك وينفعك قبل هذا الرجل قالت الله قال فان

اللوح المحفوظ وقيل القرآن (منها أربعة حرم) ثلاثة سرد أى مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب (ذلك الدين القيم) يعنى ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذى كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه تركه (فلا تظلموا فيهن) أى فى الاشهر الاربعة (أنفسكم) بان تجعلوا

الله حتى لم يمت قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله قالت فلم تبكى عليهم فلما عرف أنه قد خصم ولى مدبرا فدعته فقالت يا عزير اذا أصبحت غدا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه ثم اخرج فصل ركعتين فانه يأتيك شيخ فما أعطاك فخذه فلما أصبح انطلق عزير الى ذلك النهر فاغتسل فيه ثم خرج فصلى ركعتين فجاءه الشيخ فقال افتح فمك ففتح فمه فألقى فيه شيأ كهيئة الجمرة العظيمة مجتمعا كهيئة القوارير ثلاث مرار فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة فقال يا بنى اسرائيل انى قد جئتكم بالتوراة فقالوا يا عزير ما كنت كذابا فعمد فربط على كل اصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها فكتب التوراة كلها فلما رجع العلماء أخبروا بشأن عزير فاستخرج أولئك العلماء كتبهم التى كانوا دفنوها من التوراة فى الجبال وكانت فى خواب مدفونة فعارضوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطاك الله هذا الا أنك ابنه * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء اهل المدينة وبعض المكيين والكوفيين وقالت اليهود عزير ابن الله لا ينونون عزيرا وقرأه بعض المكيين والكوفيين عزير ابن الله بتنوين عزير قال هو اسم مجرى وان كان أعجميا لخفته وهو مع ذلك غير منسوب الى الله فيكون بمنزلة قول القائل زيد ابن عبد الله وأوقع الابن موقع الخبر ولو كان منسوبا الى الله لكان الوجه فيه اذا كان الابن خبرا الاجراء والتنوين فكيف وهو منسوب الى غير أبيه وأما من ترك تنوين عزير فانه لما كانت الباء من ابن ساكنة مع التنوين الساكن والتقى ساكنان فحذف الاول منهما استثقالا لتحريكه قال الراجز

لتجدنى بالأمير برا * وبالقناة مدعسا مكرا * اذا غطيف السلمى فرا

فحذف النون للساكن الذى استقبلها * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك قراءة من قرأ عزير ابن الله بتنوين عزير لان العرب لا تنون الاسماء اذا كان الابن نعتا للاسم كقولهم هذا زيد بن عبد الله فأرادوا الخبر عن عزير بأنه ابن الله ولم يريدوا أن يجعلوا الابن له نعتا والابن فى هذا الموضع خبر لعزير لأن الذين ذكر الله عنهم أنهم قالوا ذلك انما أخبروا عن عزير أنه كذلك وان كانوا بقيلهم ذلك كانوا كاذبين على الله مفترين وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يعنى قول اليهود عزير ابن الله يقول نسبة قول هؤلاء فى الكذب على الله والفرية عليه ونسبتهم المسيح الى أنه لله ابن ككذب اليهود وفريتهم على الله فى نسبتهم عزيرا الى أنه لله ابن ولا ينبغى أن يكون لله ولد سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول يشبهون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل النصارى يضاهؤن قول اليهود فى عزير حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج

حرامها حلالا عن عطاء قال تالله ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت الدائم الذى لا يزول وعن عطاء الخراسانى أحلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه أن لبعض الاوقات أثرا فى زيادة الثواب أو العقاب كالأمكنة وكانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء أوقاتا مخصوصة وفيه فائدة أخرى هى أن الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمتنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو أمر مطلوب فى نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالفة والاعتياد أو لاعتقاده أن الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلى ولا ريب أن تخصيص ذلك من الشارع أقرب الى اتحاد الآراء وتطابق الكلمة وقيل الضمير فى قوله فيهن عائد الى اثنا عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الفساد مدة عمره أو المراد المنع من النسىء على ما يجىء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا أن لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب أن تخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلاثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الوحدة قال حسان

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول النصارى يضاهؤن قول اليهود حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل يقول قالوا مثل ما قال أهل الأوثان وقد قيل ان معنى ذلك يحكون بقولهم قول أهل الاديان الذين قالوا اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق يضاهون بغير همز وقرأه عاصم يضاهؤن بالهمز وهى لغة لثقيف وهما لغتان يقال ضاهيته على كذا أضاهيه مضاهاة وضاهأته عليه مضاهأة اذا مالأته عليه وأعنته * قال أبو جعفر والصواب من القراءة فى ذلك ترك الهمز لانها القراءة المستفيضة فى قراءة الامصار واللغة الفصحى وأما قوله قاتلهم الله فان معناه فيما ذكر عن ابن عباس ما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قاتلهم الله يقول لعنهم الله وكل شئ فى القرآن قتل فهو لعن وقال ابن جريج فى ذلك ما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله قاتلهم الله يعنى النصارى كلمة من كلام العرب فأما أهل المعرفة بكلام العرب فانهم يقولون معناه قتلهم الله والعرب تقول قاتعك الله وقاتعها الله بمعنى قاتلك الله قالوا وقاتعك الله أهون من قاتله الله وقد ذكروا أنهم يقولون شاقاه الله ما باقاه يريدون أشقاه الله ما أبقاه قالوا ومعنى قوله قاتلهم الله كقوله قتل الخراصون وقتل أصحاب الاخدود واحد وهو بمعنى التعجب فان كان الذى قالوا كما قالوا فهو من نادر الكلام الذى جاء على غير القياس لان فاعلت لا تكاد أن تجىء فعلا الا من اثنين كقولهم خاصمت فلانا وقاتلته وما أشبه ذلك وقد زعموا أن قولهم عافاك الله منه وان معناه أعفاك الله بمعنى الدعاء لمن دعا له بأن يعفيه من السوء وقوله أنى يؤفكون يقول أى وجه يذهب بهم ويحيدون وكيف يصدون عن الحق وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون﴾ يقول جل ثناؤه اتخذ اليهود أحبارهم وهم العلماء وقد بينت تأويل ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا قبل واحدهم حبر وحبر بكسر الحاء منه وفتحها وكان يونس الجرمى فيما ذكر عنه يزعم أنه لم يسمع ذلك الا حبر بكسر الحاء ويحتج بقول الناس هذا مداد حبر يراد به مداد عالم وذكر الفراء أنه سمعه حبرا وحبرا بكسر الحاء وفتحها والنصارى رهبانهم وهم أصحاب الصوامع وأهل الاجتهاد فى دينهم منهم كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة عن الضحاك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم قال قراءهم وعلماءهم أربابا من دون الله يعنى سادة لهم من دون الله يطيعونهم فى معاصى الله فيحلون ما أحلوه لهم مما قد حرمه الله عليهم ويحرمون ما يحرمونه عليهم مما قد أحله الله لهم كما حدثنى الحسن بن يزيد الطحان قال ثنا عبد السلام بن حرب الملائى عن غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدى بن حاتم قال انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ فى سورة براءة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله فقال أما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكن كانوا يحلون لهم فيحلون حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا مالك بن اسمعيل وحدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد جميعا عن عبد السلام بن حرب قال ثنا غطيف بن أعين عن مصعب بن سعد عن عدى

ويقال لثلاث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل (وقاتلوا المشركين) وظاهر الآية يدل على اباحة القتال فى جميع الاشهر لأن الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى (كافة) جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا ونصبه على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز أن يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفى وجه التشبيه فى قوله (كما يقاتلونكم كافة) قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوا بعضهم بترك القتال كما أنهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم بأجمعكم غير متفرقين فى مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثانى يكون حالا من الفاعل وفى قوله (واعلموا أن الله مع المتقين) حثهم على التقوى وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم فسر الظلم المنهى عنه فى الآية المتقدمة وأكد النهى عنه بقوله (انما النسىء) وهو مصدر نسأ اذا أخر كالنذير والنكير وقال قطرب أصله الزيادة من قوله نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بأنه يقال لها ذلك لتأخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤول المعنى الى أن الشهر زيادة فى الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن أن يجاب بان المراد ان العمل الذى بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة فى الكفر احتج الجبائى ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وأيضا أطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار وأجيب بأن الزيادة راجعة الى الكمال وانما سمى هذا العمل كفرا لأنه يؤول الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفى قوله (يضل به الذين كفروا) بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم أن اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز أو بالحقيقة وقد مر مرارا قوله (يحلونه عاما) الضمير فيه عائد الى النسىء قال الواحدى أى يحلون التأخير عاما وهو العام الذى يريدون أن يقاتلوا فيه فى الشهر الحرام ويحرمون التأخير عاما آخر وهو الذى يتركون فيه

ابن

ابن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك قال فطرحته وانتهيت اليه وهو يقرأ في سورة براءة فقرأ هذه الآية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال قلت يا رسول الله انا لسنا نعبدهم فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه قال قلت بلى قال فتلك عبادتهم واللفظ لحديث أبي كريب حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية عن قيس بن الربيع عن عبد السلام بن حرب النهدي عن غطيف عن مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة براءة فلما قرأ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قلت يا رسول الله أما انهم لم يكونوا يصلون لهم قال صدقت ولكن كانوا يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه ويحرمون ما أحل الله لهم فيحرمونه حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة أنه سئل عن قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لابي حذيفة فذكر نحوه غير أنه قال ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيستحلونه ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن حبيب عن أبي البختري قال قيل لحذيفة أرأيت قول الله اتخذوا أحبارهم قال أما انهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ أحله الله لهم حرموه فتلك كانت ربوبيتهم * قال ثنا جرير وابن فضيل عن عطاء عن أبي البختري اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال انطلقوا الى حلال الله فجعلوه حراما وانطلقوا الى حرام الله فجعلوه حلالا فأطاعوهم في ذلك فجعل الله طاعتهم عبادتهم ولو قالوا لهم اعبدونا لم يفعلوا حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال سأل رجل حذيفة فقال يا أبا عبد الله أرأيت قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أكانوا يعبدونهم قال لا كانوا اذا أحلوا لهم شيأ استحلوه واذا حرموا عليهم شيأ حرموه حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن أبي عدي عن أشعث عن الحسن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال في الطاعة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله يقول زينوا لهم طاعتهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال عبد الله بن عباس لم يأمروهم أن يسجدوا لهم ولكن أمروهم بمعصية الله فأطاعوهم فسماهم الله بذلك أربابا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا قال قلت لأبي العالية كيف كانت الربوبية التي كانت في بني اسرائيل قال قالوا ما أمرونا به ائتمرنا وما نهونا عنه انتهينا لقولهم وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا

الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها أو في المحرم حرب وغارة أخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي وأكثر العلماء على أن هذا التأخير كان من المحرم الى صفر وروى أنه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على أنهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله (ليواطئوا عدة ما حرم الله) أي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا أنهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله تعالى (فيحلوا ما حرم الله) أي من القتال وترك الاختصاص قال أهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه كأن كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو أن يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم ما أحلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا أحلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل أن تكون عدة الحرم أربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطأة وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك أن السنة القمرية أعني اثني عشر شهرا قمريا هي ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من أية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية أقل من السنة الشمسية بعشرة أيام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان

عنه فاستنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم حدثني بشر بن سويد قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي البختري عن حذيفة اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله قال لم يعبدوهم ولكنهم أطاعوهم في المعاصي وأما قوله والمسيح ابن مريم فان معناه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا من دون الله وأما قوله وما أمروا الا ليعبدوا الها واحدا فانه يعني به وما أمر هؤلاء اليهود والنصارى الذين اتخذوا الأحبار والرهبان والمسيح أربابا الا أن يعبدوا معبودا واحدا وأن يطيعوا الا ربا واحدا دون أرباب شتى وهو الله الذي له عبادة كل شئ وطاعة كل خلق المستحق على جميع خلقه الدينونة له بالوحدانية والربوبية لا اله الا هو يقول تعالى ذكره لا تنبغي الالوهة الا للواحد الذي أمر الخلق بعبادته ولزمت جميع العباد طاعته سبحانه عما يشركون يقول تنزيها وتطهيرا لله عما يشرك في طاعته وربوبيته القائلون عزير ابن الله والقائلون المسيح ابن الله المتخذون أحبارهم أربابا من دون الله ۞ القول في تأويل قوله ﴿يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره يريد هؤلاء المتخذون أحبارهم ورهبانهم والمسيح ابن مريم أربابا أن يطفؤا نور الله بأفواههم يعني أنهم يحاولون بتكذيبهم بدين الله الذي ابتعث به رسوله وصدهم الناس عنه بألسنتهم أن يبطلوه وهو النور الذي جعله الله لخلقه ضياء ويأبى الله الا أن يتم نوره يعلو دينه وتظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ولو كره اتمام الله اياه الكافرون يعني جاحديه المكذبين به * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم يقول يريدون أن يطفؤا الاسلام بكلامهم ۞ القول في تأويل قوله ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي يأبى الا اتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه الذي أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى يعني ببيان فرائض الله على خلقه وجميع اللازم لهم وبدين الحق وهو الاسلام ليظهره على الدين كله يقول ليعلي الاسلام على الملل كلها ولو كره المشركون بالله ظهوره عليها * وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله ليظهره على الدين كله فقال بعضهم ذلك عند خروج عيسى حين تصير الملل كلها واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد القطان قال ثنا شقيق قال ثني ثابت الحداد أبو المقدام عن شيخ عن أبي هريرة في قوله ليظهره على الدين كله قال حين خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن فضيل بن مرزوق قال ثني من سمع أبا جعفر ليظهره على الدين كله قال اذا خرج عيسى عليه السلام اتبعه أهل كل دين * وقال آخرون معنى ذلك ليعلمه شرائع الدين كلها فيطلعه عليها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ليظهره على الدين كله قال ليظهر الله نبيه على أمر الدين كله فيعطيه اياه كله ولا يخفى عليه منه شئ وكان المشركون واليهود يكرهون ذلك ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون

تنتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف أخرى وكذا في الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل أسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة أشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهزيحوج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم فالشهر الزائد هو الكبس وسمي بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روي أنه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب به ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر فكانت حجة أبي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بأنها ثلاثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بأن عدة الشهور اثنا عشر شهرا أي لا أزيد ولا أنقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير ويلزمهم أيضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن أماكنها فيجوز أن تكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما أي يحلون النسيء في عام الكبس ويحرمونه عاما أي في غير سنة الكبس ومعنى قوله ليواطؤا عدة ما حرم الله ما روي أنه كان يقوم في الموسم منهم خطيب ويقول أنا أنسيء لكم في هذه السنة شهرا وكذا أفعل

عن سبيل الله ﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بوحدانية ربهم ان كثيرا من العلماء والقراء من بني اسرائيل من اليهود والنصارى ليأكلون أموال الناس بالباطل يقول يأخذون الرشا في أحكامهم ويحرفون كتاب الله ويكتبون بأيديهم كتبا ثم يقولون هذه من عند الله ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم ويصدون عن سبيل الله يقول ويمنعون من أراد الدخول في الاسلام الدخول فيه بنهيهم اياهم عنه * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل أما الاحبار فمن اليهود وأما الرهبان فمن النصارى وأما سبيل الله فمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويأكلها أيضا معهم الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول بشر الكثير من الاحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بعذاب أليم لهم يوم القيامة موجع من الله * واختلف أهل العلم في معنى الكنز فقال بعضهم هو كل مال وجبت فيه الزكاة فلم تؤد زكاته قالوا وعنى بقوله ولا ينفقونها في سبيل الله ولا يؤدون زكاتها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كل مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد زكاته فهو الكنز الذي ذكره الله في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا حدثنا الحسين بن الجنيد قال ثنا سعيد بن مسلمة قال ثنا اسمعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر أنه قال كل مال أديت منه الزكاة فليس بكنز وان كان مدفونا وكل مال لم تؤد منه الزكاة وان لم يكن مدفونا فهو كنز حدثني أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر قال أيما مال أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا في الارض وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يكوى به صاحبه وان كان على وجه الارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وجرير عن الاعمش عن عطية عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز * قال ثنا أبي عن العمري عن نافع عن ابن عمر قال ما أديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع أرضين وما لم تؤد زكاته فهو كنز وان كان ظاهرا * قال ثنا جرير عن الشيباني عن عكرمة قال ما أديت زكاته فليس بكنز حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال أما الذين يكنزون الذهب والفضة فهؤلاء أهل القبلة والكنز ما لم تؤد زكاته وان كان على ظهر الارض وان قل وان كان كثيرا قد أديت زكاته فليس بكنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر قال قلت لعامر مال على رف بين السماء والارض لا تؤدى زكاته أكنز هو قال يكوى به يوم القيامة * وقال آخرون كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أديت منه الزكاة أو لم تؤد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي الضحى عن جعدة بن هبيرة عن علي رحمة الله عليه قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة فما كان أكثر من ذلك فهو كنز حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن

في كل سنين أقبلت حتى يأتي حكم وقت الادراك فينسئ المحرم ويجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فتكرر حرم عليهم واحدا برأيه على وفق مصلحتهم وأحل الآخر وباقي الآية قد مر تفسير مثله مرارا والله تعالى أعلم ﴿التأويل﴾ قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر أي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها رأس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق أي لا يطلبون الحق من الذين أوتوا الكتاب من النفوس الملهمة بالواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت يهود النفس ان عزير القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب آثار أنوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كأن اليهود لما سمعت التوراة والعلوم التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك أن الروح ربما يتجلى للقلب في صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبتشريف اضافة ونفخت فيه من روحي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم النفوس الكافرة الذين اتخذوا أحبارهم أي قلوبهم ورهبانهم أي أرواحهم أربابا والمسيح ابن مريم وهو الخفي وذلك أن الخفي هو أول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية ثم الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها ترى التربية من القالب ثم يرتقي نظرها الى أن ترى التربية من القلب ثم يرتقي نظرها الى أن ترى الكل من الحق فان رؤية ذلك من شأن القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون أي النفوس أن يطفؤا نور الله الذي رش على الارواح في بدء الخلق بأفواههم أي بأفواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي أرسل رسوله وهو النور المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من أحبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون أي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدمي ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم

الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم امتنعوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا تتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى أصابكم من ألم الحرمان وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الآن ألم كى نار الحرص لانكم لم تذوقوه فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها أربعة حرم فيه اشارة الى أن الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب أن يجعل أوقات عمره أثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الآخرة وثلثا من ذلك حرام أن يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن الموانع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى أشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على أن من لم يكن هكذا كان فى سلوكه اعوجاج ثم ذكر أن من شأن النفوس المشركة أنها ان أقبلت على طاعة أخرتها عن وقتها وهو النسىء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث انها اعتقدت أن ذلك التأخير مما لا بأس به (يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيأ والله على كل شئ قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

أبى حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الشعبى قال أخبرنى أبو حصين عن أبى الضحى عن جعدة بن هبيرة عن على رحمة الله عليه فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال أربعة آلاف درهم فما دونها نفقة وما فوقها كنز * وقال آخرون الكنز كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبى قال ثنا شعبة عن أنس عن عبد الواحد أنه سمع أبا مجيب قال كان نعل سيف أبى هريرة من فضة فنهاه عنها أبو ذر وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك صفراء أو بيضاء كوى بها حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن الاعمش وعمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال النبى صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة يقول لها ثلاثا قال فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فأى مال نتخذ فقال عمر أنا أعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان أصحابك قد شق عليهم وقالوا فأى المال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على دينه حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا اسرائيل عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن ثوبان بمثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن منصور عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبى الجعد قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال المهاجرون وأى المال نتخذ فقال عمر أسأل النبى صلى الله عليه وسلم عنه قال فأدركته على بعير فقلت يا رسول الله ان المهاجرين قالوا فأى المال نتخذه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على دينه حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن أبى أمامة قال توفى رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال النبى صلى الله عليه وسلم كيتان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن شهر بن حوشب عن صدى بن عجلان أبى أمامة قال مات رجل من أهل الصفة فوجد فى مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية ثم توفى آخر فوجد فى مئزره ديناران فقال نبى الله كيتان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن سالم عن ثوبان قال كنا فى سفر ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المهاجرون لوددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه اذ نزل فى الذهب والفضة ما نزل فقال عمر ان شئتم سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا أجل فانطلق فتبعته أوضع على بعيرى فقال يا رسول الله ان المهاجرين لما أنزل الله فى الذهب والفضة ما أنزل قالوا وددنا أنا علمنا أى المال خير فنتخذه قال نعم فيتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة تعين أحدكم على ايمانه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصحة القول الذى ذكر عن ابن عمر من أن كل مال أديت زكاته فليس بكنز يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وأن كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه معاقب مستحق وعيد الله الا أن يتفضل الله عليه بعفوه وان قل اذا كان مما يجب فيه الزكاة وذلك أن الله أوجب فى خمس أواق من الورق على لسان رسوله ربع عشرها وفى عشرين مثقالا من الذهب مثل ذلك ربع عشرها فاذ كان ذلك فرض الله فى

الذهب

وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم مازادوكم الاخبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى (٨٥) ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ﴿ القراآت وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون بالرفع ﴿ الوقوف الى الارض ط من الآخرة ط قليل ه شيأ ط قدير ه معنا ج لعطف أنزل على نصره مع عوارض الظروف السفلى ط الا لمن قرأ وكلمة بالنصب العليا ط حكيم ه فى سبيل الله ط تعلمون ه الشقة ط معكم ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أنفسهم ج لواو الابتداء والحال لكاذبون ه عنك ج لحق الاستفهام مع اتصال الكلام معنى الكاذبين ه وأنفسهم ط بالمتقين ه يترددون ه القاعدين ه الفتنة ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال لهم ط بالظالمين كارهون ه ولا تفتنى ط سقطوا ط بالكافرين ه ﴿ التفسير لما شرح الله معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب فى قتالهم عن ابن عباس أنها نزلت فى غزوة تبوك سنة عشر وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف أقام بالمدينة أياما فأمر بجهاد الروم فاستثقله الناس لكون الزمان زمان صيف والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود أسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خرج فى غزوة الا ورّى عنها بغيرها الا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة وأصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير وأصل (اثاقلتم) تثاقلتم كما قلنا فى فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدى بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله أخلد الى الارض أى مال الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بأرضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام فى مالكم الانكار وقرئ أثاقلتم على الاستفهام للانكار أيضا فيكون جواب اذا فعلا آخر.

الذهب والفضة على لسان رسوله فمعلوم أن الكثير من المال وان بلغ فى الكثرة ألوف ألوف لو كان وان أديت زكاته من الكنوز التى أوعد الله أهلها عليها العقاب لم يكن فيه الزكاة التى ذكرنا من ربع العشر لان ما كان فرضا اخراج جميعه من المال وحرام اتخاذه فزكاته الخروج من جميعه الى أهله لا ربع عشره وذلك مثل المال المغصوب الذى هو حرام على الغاصب امساكه وفرض عليه اخراجه من يده الى يده فالتطهر منه رده الى صاحبه فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم أو ما فضل عن حاجة ربه التى لا بد منها مما يستحق صاحبه باقتنائه اذا أدى الى أهل السهمان حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله لم يكن اللازم ربه فيه ربع عشره بل كان اللازم له الخروج من جميعه الى أهله وصرفه فيما يجب عليه صرفه كالذى ذكرنا من أن الواجب على غاصب رجل ماله رده على ربه وبعد فان فيما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال قال معمر أخبرنى سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل يوم القيامة صفائح من نار يكوى بها جنبه وجبهته وظهره فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت ابلا الا بطح لها بقاع قرقر تطؤه باخفافها حسبته قال وتعضه بافواهها يرد أولاها على أخراها حتى يقضى بين الناس ثم يرى سبيله وان كانت غنما فمثل ذلك الا أنها تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها وفى نظائر ذلك من الاخبار التى كرهنا الاطالة بذكرها الدلالة الواضحة على أن الوعيد انما هو من الله على الاموال التى لم تؤد الوظائف المفروضة فيها لاهلها من الصدقة لا على اقتنائها واكتنازها وفيما بينا من ذلك البيان الواضح على أن الآية لخاص كما قال ابن عباس وذلك ما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يقول هم أهل الكتاب وقال هى خاصة وعامة يعنى بقوله هى خاصة وعامة هى خاصة من المسلمين فيمن لم يؤد زكاة ماله منهم وعامة فى اهل الكتاب لانهم كفار لا تقبل منهم نفقاتهم ان أنفقوا يدل على صحة ما قلنا فى تأويل قول ابن عباس هذا ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها الى قوله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قال هم الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال وكل مال لا تؤدى زكاته كان على ظهر الارض أو فى بطنها فهو كنز وكل مال تؤدى زكاته فليس بكنز كان على ظهر الارض أو فى بطنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة قال الكنز ما كنز عن طاعة الله وفريضته وذلك الكنز وقال افترضت الزكاة والصلاة جميعا لم يفرق بينهما وانما قلنا ذلك على الخصوص لان الكنز فى كلام العرب كل شئ مجموع بعضه على بعض فى بطن الارض كان أو على ظهرها يدل على ذلك قول الشاعر

لا درّ درّى ان أطعمت نازلهم * قرف الحتى وعندى البر مكنوز

يعنى بذلك وعندى البر مجموع بعضه على بعض وكذلك تقول العرب للبدن المجتمع مكتنز لانضمام بعضه الى بعض واذا كان ذلك معنى الكنز عندهم وكان قوله والذين يكنزون الذهب والفضة معناه

والذين يجمعون الذهب والفضة بعضها الى بعض ولا ينفقونها فى سبيل الله وهو عام فى التلاوة لم يكن فى الآية بيان كم ذلك القدر من الذهب والفضة الذى اذا جمع بعضه الى بعض استحق الوعيد كان معلوما ان خصوص ذلك انما أدرك بوقف الرسول عليه وذلك كما بينا من انه المال الذى لم يؤد حق الله منه من الزكاة دون غيره لما قد أوضحنا من الدلالة على صحته وقد كان بعض الصحابة يقول هى عامة فى كل كنز غير أنها خاصة فى أهل الكتاب واياهم عنى الله بها ذكر من قال ذلك حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا هشيم قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فلقيت أبا ذر فقلت يا أبا ذر ما أنزلك هذه البلاد قال كنت بالشأم فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة الآية فقال معاوية ليست هذه الآية فينا انما هذه الآية فى أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم قال فارتفع فى ذلك بينى وبينه القول فكتب الى عثمان يشكونى فكتب الىّ عثمان أن أقبل الىّ قال فأقبلت فلما قدمت المدينة ركبنى الناس كأنهم لم يرونى قبل يومئذ فشكوت ذلك الى عثمان فقال لى تنح قريبا قلت والله انى لن أدع ما كنت أقول حدثنا أبو كريب وأبو السائب وابن وكيع قالوا ثنا ابن ادريس قال ثنا حصين عن زيد بن وهب قال مررنا بالربذة ثم ذكر عن أبى ذر نحوه حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن ادريس عن أشعث وهشام عن أبى بشر قال قال أبو ذر خرجت الى الشام فقرأت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فقال معاوية انما هى فى أهل الكتاب قال فقلت انها لفينا وفيهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا أنا بأبى ذر قال قلت له ما أنزلك منزلك هذا قال كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية فى هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله قال فقال نزلت فى أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم ثم ذكر نحو حديث هشيم عن حصين فان قال قائل فكيف قيل ولا ينفقونها فى سبيل الله فأخرجت الهاء والالف مخرج الكناية عن أحد النوعين قيل يحتمل ذلك وجهين أحدهما أن يكون الذهب والفضة مرادا بها الكنوز كانه قيل والذين يكنزون الكنوز ولا ينفقونها فى سبيل الله لان الذهب والفضة هى الكنوز فى هذا الموضع والآخر أن يكون استغنى بالخبر عن احداهما فى عائد ذكرهما من الخبر عن الاخرى لدلالة الكلام على أن الخبر عن الاخرى مثل الخبر عنها وذلك كثير موجود فى كلام العرب واشعارها ومنه قول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأى مختلف

فقال راض ولم يقل راضون وقال الآخر

ان شرخ الشباب والشعر الاسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

فقال يعاص ولم يقل يعاصيا فى أشياء كثيرة ومنه قول الله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها ولم يقل اليهما القول فى تأويل قوله ﴿يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ يقول تعالى ذكره فبشر هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة ولا يخرجون حقوق الله منها يا محمد بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فاليوم من صلة العذاب الاليم كأنه قيل يبشرهم بعذاب أليم يعذبهم الله به فى يوم يحمى عليها

دلوا عليه بأثاقلتم كنحو ملتم وذلك أن جواب اذا عامل فى اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذه أن يكون اذا لمجرد الظرفية والعامل فيه ما فى ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم ومن فى (من الآخرة) للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون كأنه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا أنواع فضائحهم التى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا (فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة) أى فى جنبها وفى مقابلها (الا قليل) ويجوز أن يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهى الزائل الى غير المتناهى الباقى والظاهر أن هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة اطباق هذه الامة على المعصية والضلالة الا أنه طالما أعطى للاكثر حكم الكل وأطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم فى الجهاد بعرض الثواب عليهم رغبهم فيه بعرض العقاب فقال (الا تنفروا) ورتب عليه ثلاث خصال الاولى قوله (يعذبكم عذابا أليما) قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتثاقلوا فأمسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله أعلم بالعذاب الذى كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله (ويستبدل قوما غيركم) يعنى قوما آخرين خيرا منهم وأطوع قيل هم أهل اليمن عن أبى روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل أن يراد بهم الملائكة وقال الأصم معناه أنه يخرجه من بين أظهركم وهى المدينة والأصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله (ولا تضروه شيأ) قال الحسن الضمير لله وفيه أنه غنى عنهم فى نصرة دينه بل فى كل شئ. وقال آخرون الضمير للرسول لان الله وعده أن يعصمه ووعد الله كائن لا محالة وفى قوله (والله على كل شئ قدير) ويعنى تنبيه على أنه قادر على نصرة رسوله بأى وجه أراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف أمره كائنا من كان عن الحسن وعكرمة أن الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح أنها خطاب لمن استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا فلا نسخ قال

الجبائي في الآية دلالة على إبطال مذهب المرجئة من أن أهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول أو لا لقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله لا يضره عائد الى الرسول فجوابه أن خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم أولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر

ويعني بقوله يحمى عليها تدخل النار فيوقد عليها أي على الذهب والفضة التي كنزوها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وكل شيء أدخل النار فقد أحمي إحماء يقال منه أحميت الحديدة في النار أحميها إحماء وقوله فتكوى بها جباههم يعني بالذهب والفضة المكنوزة يحمى عليها في نار جهنم يكوي الله بها يقول يحرق الله جباه كانزيها وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم ومعناه ويقال لهم هذا ما كنزتم في الدنيا أيها الكافرون الذين منعوا كنوزهم من فرائض الله الواجبة فيها لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون يقول فيقال لهم فاطعموا عذاب الله بما كنتم تمنعون من أموالكم حقوق الله وتكنزونها مكاثرة ومباهاة وحذف من قول هذا ما كنزتم ويقال لهم لدلالة الكلام عليه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا أيوب عن حميد بن هلال قال كان أبو ذر يقول بشر الكنازين بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور حتى يلتقي الحر في أجوافهم

* قال ثنا ابن علية عن الجريري عن أبي العلاء بن الشخير عن الأحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا أنا في حلقة فيها ملأ من قريش إذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكنازين برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم فما رأيت أحدا منهم رجع إليه شيأ قال وأدبر فاتبعته حتى جلس إلى سارية فقلت ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قلت فقال إن هؤلاء لا يعقلون شيأ **حدثنا** ابن حميد قال ثنا الحكم قال ثني عمرو بن قيس عن عمرو بن مرة الجملي عن أبي نصر عن الأحنف بن قيس قال رأيت في مسجد المدينة رجلا غليظ الثياب رث الهيئة يطوف في الحلق وهو يقول بشر أصحاب الكنوز بكي في جنوبهم وكي في جباههم وكي في ظهورهم ثم انطلق وهو يتذمر يقول ما عسى تصنع بي قريش **حدثنا** محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة قال قال أبو ذر بشر أصحاب الكنوز بكي في الجباه وكي في الجنوب وكي في الظهور **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس يوم يحمى عليها في نار جهنم قال حية تنطوي على جبينه وجبهته تقول أنا مالك الذي بخلت به **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول من ترك بعده كنزا مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يتبعه يقول ويلك ما أنت فيقول أنا كنزك الذي تركته بعدك فلا يزال يتبعه حتى يلقمه يده فيقضمها ثم يتبعه سائر جسده **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن طاوس عن أبيه قال بلغني أن الكنوز تتحول يوم القيامة شجاعا يتبع صاحبه وهو يفر منه ويقول أنا كنزك لا يدرك منه شيأ إلا أخذه **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق عن عبد الله قال والذي لا إله غيره لا يكوى عبد بكنز فيمس دينار دينارا ولا درهم درهما ولكن يوسع جلده فيوضع كل دينار ودرهم على حدته * قال ثنا أبي عن سفيان عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال ما من رجل يكوى بكنز فيوضع دينار

فقال (الا تنصروه فقد نصره الله) وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فإن الله سينصره بدليل أن الله نصره وقواه حال ما لم يكن معه الا رجل واحد ولا أقل من الواحد وفيه أنه لما أوجب له النصرة وقتئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله (إذ أخرجه الذين كفروا) أي ألجؤه الى أن خرج ظرف لنصره و(ثاني اثنين) نصب على الحال ومعناه أحد اثنين لأنه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منهما وقوله (إذ هما في الغار) بدل من إذ أخرجه و(إذ يقول) بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة واعلم أنا قد ذكرنا في سورة الأنفال أن قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل وإذ يمكر بك الذين كفروا فأمره الله تعالى أن يخرج هو وأبو بكر الصديق الى الغار فخرج وأمر عليا أن يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل أبو بكر يلتمس ما في الغار فقال له الرسول مالك فقال بأبي أنت وأمي الغيران مأوى السباع والهوام فإن كان فيه شيء كان بي لا بك فخرق عمامته وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول صلى الله عليه وسلم فلما طلب المشركون الأثر وقربوا بكى أبو بكر خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) وقيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد أخذ الله أبصارهم عنه استدل

على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده القول في تأويل قوله ﴿ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين﴾ يقول تعالى ذكره ان عدة شهور السنة عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم يقول هذه الشهور الاثنا عشر منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهن وتحرمهن وتحرم القتال فيهن حتى لو لقي الرجل منهم فيهن قاتل أبيه لم يهجه وهن رجب مضر وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وبذلك تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثني صدقة بن يسار عن ابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بمنى في أوسط أيام التشريق فقال يا أيها الناس ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم حدثنا محمد ابن معمر قال ثنا روح قال ثنا أشعث عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ورجب مضر بين جمادى وشعبان حدثنا يعقوب قال ثنا اسمعيل بن ابراهيم قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سليمن التيمي قال ثني رجل بالبحرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن ابن أبي نجيح قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم منى ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان وهو قول عامة أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم أما أربعة حرم فذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وأما كتاب الله فالذي عنده حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

عيسى

أهل السنة بالآية على أفضلية أبي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شئ الا وصببته في صدر أبي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلى الله عليه وسلم عرض الايمان أولا على أبي بكر فآمن ثم عرض أبو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة أخرى من أجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم في الغزوات وفي أداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد أقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ثاني اثنين من أول أمره الى آخره ولو قدرنا أنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر لزم أن لا يقوم بأمره ولا يكون وصيه الا أبو بكر وأن لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا أبو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك أن من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين ابن فضيل من أنكر صحبة غير أبي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن أنكر صحبة أبي بكر فانه يكون كافرا لأنه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه أجابت الشيعة بأن كونه ثاني اثنين ليس أعظم من كون الله رابعا لكل ثلاثة في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون المصاحبة موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك وكما احتمل أن يقال انه عليه السلام استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الثقة احتمل أن يكون ذلك لاجل انه خاف أن يدل الكفار عليه أو يوقفهم على أسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينهه عنه فهو ذنب وخطأ سلمنا دلالة الآية على فضل أبي بكر الا أن اضطجاع علي رضي الله عنه على فراشه أعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس أجاب أهل السنة بأن كون الله رابعا لكل ثلاثة أمر مشترك وكونه ثاني اثنين

عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد في قول الله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله قال يذكر بها شأن النسيء وأما قوله ذلك الدين القيم فان معناه هذا الذي أخبرتكم به من أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله وأن منها أربعة حرما هو الدين المستقيم كما **حدثني** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ذلك الدين القيم يقول المستقيم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك الدين القيم قال الامر القيم يقول قال تعالى واعلموا أيها الناس أن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله الذي كتب فيه كل ما هو كائن وان من هذه الاثني عشر شهرا أربعة أشهر حرما ذلك دين الله المستقيم لا ما يفعله النسيء من تحليله ما يحلل من شهور السنة وتحريمه ما يحرمه منها وأما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان معناه فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهن ما حرم الله عليكم فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه كما **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال الظلم العمل بمعاصي الله والترك لطاعته ثم اختلف أهل التأويل في الذي عادت عليه الهاء والنون في قوله فيهن فقال بعضهم عاد ذلك على الاثني عشر شهرا وقال معناه فلا تظلموا في الاشهر كلها أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثني** المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم في كلهن ثم خص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والاجر أعظم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا سويد بن عمرو عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال في الشهور كلها * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في الاربعة الاشهر الحرم أنفسكم والهاء والنون عائدة على الاشهر الاربعة ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم فان الظلم في الاشهر الحرم أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواها وان كان الظلم على كل حال عظيما ولكن الله يعظم من أمره ما شاء وقال ان الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا واصطفى من الكلام ذكره واصطفى من الارض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والاشهر الحرم واصطفى من الايام يوم الجمعة واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله فانما تعظم الامور بما عظمها الله عند أهل الفهم وأهل العقل * وقال آخرون بل معنى ذلك فلا تظلموا في تصييركم حرام الاشهر الاربعة حلالا وحلالها حراما أنفسكم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا الى قوله فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى لا تجعلوا حرامها حلالا ولا حلالها حراما كما فعل أهل الشرك فانما النسيء الذي كانوا يصنعون من ذلك زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا الآية **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن فلا تظلموا فيهن

تشريف زائد اختص الله أبا بكر به على أن المعية هنالك بالعلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة فأين احداهما من الاخرى والصحبة في قوله قال لصاحبه مقرونة بما تقتضى الاهانة والاذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والعجب أن الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبريل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روى أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروى أن جبريل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا له لصاح بالكفار عند وصولهم الى باب الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى لا تخف انك أنت الأعلى وقول الملائكة لابراهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر أن اضطجاع على رضى الله عنه على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا أن صحبة أبي بكر أعظم لان الحاضر أعلى حالا من الغائب ولان عليا رضى الله عنه ما تحمل المحنة الا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وانما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فانه قد دعا حينئذ جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال فكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على على رضى الله عنه ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا أن المضطجع هو ثم زعم أهل السنة أن الضمير في قوله (فأنزل الله سكينته عليه) عائد الى أبي بكر لا الى الرسول لانه أقرب المذكورين فان التقدير اذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولان الخوف كان حاصلا لابي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله (وأيده) عطف على فأنزل

أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بن على فلا تظلموا فيهن أنفسكم قال ظلم أنفسكم أن لا تحرموهن كحرمتهن حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن الحسن بن محمد بنحوه * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال فلا تظلموا فى الاشهر الاربعة أنفسكم باستحلال حرامها فان الله عظمها وعظم حرمتها وانما قلنا ذلك أولى بالصواب فى تأويله لقوله فلا تظلموا فيهن فأخرج الكناية عنه مخرج الكناية عن جمع ما بين الثلاثة الى العشرة وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة الى العشرة اذا كنت عنه فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ولاربعة أيام بقين واذا أخبرت عما فوق العشرة الى العشرين قالت فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ولاربع عشرة مضت فكان فى قوله جل ثناؤه فلا تظلموا فيهن أنفسكم واخراجه كناية عدد الشهور التى نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة الى العشرة الدليل الواضح على أن الهاء والنون من ذكر الاشهر الاربعة دون الاثنى عشر لان ذلك لو كان كناية عن الاثنى عشر شهرا لكان فلا تظلموا فيها أنفسكم فان قال قائل فما أنكرت أن يكون ذلك كناية عن الاثنى عشر وان كان الذى ذكرت هو المعروف فى كلام العرب فقد علمت ان المعروف من كلامها اخراج كناية ما بين الثلاث الى العشر بالهاء دون النون وقد قال الشاعر

أصبحن فى قرح وفى داراتها * سبع ليال غير معلوفاتها

ولم يقل معلوفاتهن وذلك كناية عن السبع قيل ان ذلك وان كان جائزا فليس الافصح الاعرف فى كلامها وتوجيه كلام الله الى الافصح الأعرف أولى من توجيهه الى الانكر فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت فقد يجب أن يكون مباحا لنا ظلم أنفسنا فى غيرهن من سائر شهور السنة قيل ليس ذلك كذلك بل ذلك حرام علينا فى كل وقت وزمان ولكن الله عظم حرمة هؤلاء الاشهر وشرفهن على سائر شهور السنة فخص الذنب فيهن بالتعظيم كما خصهن بالتشريف وذلك نظير قوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى ولا شك أن الله قد أمرنا بالمحافظة على الصلوات المفروضات كلها بقوله حافظوا على الصلوات ولم يبح ترك المحافظة عليهن بأمره بالمحافظة على الصلاة الوسطى ولكنه تعالى ذكره زادها تعظيما وعلى المحافظة عليها توكيدا وفى تضييعها تشديدا فكذلك ذلك فى قوله منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وأما قوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة فانه يقول جل ثناؤه وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعا غير مختلفين مؤتلفين غير مفترقين كما يقاتلكم المشركون جميعا مجتمعين غير متفرقين كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أما كافة فجميع وأمركم مجتمع حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقاتلوا المشركين كافة يقول جميعا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقاتلوا المشركين كافة أى جميعا والكافة فى كل حال على صورة واحدة لا تذكر ولا تجمع لانها وان كانت بلفظ فاعلة فانها فى معنى المصدر كالعافية والعاقبة ولا تدخل العرب فيها الالف واللام لكونها آخر الكلام مع الذى فيها من معنى المصدر كما لم يدخلوها اذا قالوا قاموا معا وقاموا جميعا

فواجب أن يتحد الضميران فى حكم العود وأجيب بان قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة الغار وأيده فى واقعة بدر والاحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبى صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا ويكون فى الكلام تقديم وتأخير والتقدير فأنزل الله سكينته عليه اذ يقول أو يكون فأنزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة ما ألقى فى قلبه من الامنة التى سكن عندها قلبه وعلم أنه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله (وجعل) يعنى يوم بدر وسائر الوقائع (كلمة الذين كفروا) وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام (السفلى وكلمة الله) وهى دعوته الى الاسلام أو كلمة التوحيد لا اله الا الله (هى العليا) وفى توسيط كلمة الفصل أعنى هى تأكيد فضل كلمة الله فى العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب الكلمة لان الاجود حينئذ أن يقال وكلمته هى العليا ألا ترى انك تقول أعتق أبوك غلامه ولا تقول أعتق أبوك غلام أبيك قلت وفى الرفع أيضا الاستئناف وما فى الجملة الاسمية من الثبات (والله عزيز حكيم) قاهر غالب لا فعل له الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال (انفروا خفافا وثقالا) قال المفسرون أى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين ويؤيده ما روى عن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلى أن أنفر قال ما أنت الا خفيف أو ثقيل فرجع الى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الاعمى حرج وقال مجاهد ان أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزوات المسلمين و يقول

جمعا وأما قوله واعلموا أن الله مع المتقين. فان معناه واعلموا أيها المؤمنون بالله أنكم ان قاتلتم المشركين كافة واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم ولم تخالفوا أمره فتعصوه كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين ومن كان الله معه لم يغلبه شئ لان الله مع من اتقاه فخافه وأطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه ❁ القول فى تأويل قوله ﴿انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ما النسىء الا زيادة فى الكفر والنسىء مصدر من قول القائل نسأت فى أيامك ونسأ الله فى أجلك أى زاد الله فى أيام عمرك ومدة حياتك حتى تبقى فيها حيا وكل زيادة حدثت فى شئ فالشئ الحادث فيه تلك الزيادة بسبب ما حدث فيه نسىء ولذلك قيل للبن اذا كثر بالماء نسىء وقيل للمرأة الحبلى نسوء ونسئت المرأة لزيادة الولد فيها وقيل نسأت الناقة وأنسأتها اذا زجرتها ليزداد سيرها وقد يحتمل أن النسىء فعيل صرف اليه من مفعول كما قيل لعين وقتيل بمعنى ملعون ومقتول ويكون معناه انما الشهر المؤخر زيادة فى الكفر وكأن القول الاول أشبه بمعنى الكلام وهو أن يكون معناه انما التأخير الذى يؤخره أهل الشرك بالله من شهور الحرم الأربعة وتصييرهم الحرام منهن حلالا والحلال منهن حراما زيادة فى كفرهم وجحودهم أحكام الله وآياته وقد كان بعض القراء يقرأ ذلك انما النسى بترك الهمز وترك مده يضل به الذين كفروا واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يضل الله بالنسىء الذى ابتدعوه وأحدثوه الذين كفروا وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين يضل به الذين كفروا بمعنى يزول عن محجة الله التى جعلها لعباده طريقا يسلكونه الى مرضاته الذين كفروا وقد حكى عن الحسن البصرى يضل به الذين كفروا بمعنى يضل بالنسىء الذى سنه الذين كفروا الناس ❊ قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك أن يقال هما قراءتان مشهورتان قد قرأت بكل واحدة القراء أهل العلم بالقرآن والمعرفة به وهما متقاربتا المعنى لأن من أضله الله فهو ضال ومن ضل فباضلال الله اياه وخذلانه له ضل فبأيتهما قرأ القارئ فهو للصواب فى ذلك مصيب وأما الصواب من القراءة فى النسىء فالهمز وقراءته على تقدير فعيل لانها القراءة المستفيضة فى قرأة الامصار التى لا يجوز خلافها فيما أجمعت عليه وأما قوله يحلونه عاما فان معناه يحل الذين كفروا النسىء والهاء فى قوله يحلونه عائدة عليه ومعنى الكلام يحلون الذى أخروا تحريمه من الاشهر الاربعة الحرم عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله يقول ليوافقوا بتحليلهم ما حللوا من الشهور وتحريمهم ما حرموا منها عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم يقول حسن لهم وحبب اليهم سيئ أعمالهم وقبيحها وما خولف به أمر الله وطاعته والله لا يهدى القوم الكافرين يقول والله لا يوفق لمحاسن الافعال وجميلها وما لله فيه رضا القوم الجاحدين توحيده والمنكرين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكنه يخذلهم عن الهدى كما خذل هؤلاء الناس عن الاشهر الحرم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال النسىء هو أن جنادة بن عوف ابن أمية الكنانى كان يوافى الموسم كل عام وكان يكنى أبا ثمامة فينادى ألا ان أبا ثمامة لا يحاب ولا يعاب

قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدنى الا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو قال كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخى استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتليه وعن الزهرى خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا الى الشأم حتى مات وقال السدى جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسأله ان يأذن له فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الآيات نزلت فى غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خلف من النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الاعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع فى هذا انما النزاع فى الضعفاء والمرضى ثم قال (وجاهدوا باموالكم وأنفسكم) وفيه ايجاب للجهاد بهما ان أمكن أو بالنفس ان لم يكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء (ذلكم خير لكم) يعنى أنه خير فى نفسه أو انه خير من القعود لما فيه من الراحة والدعة والنعيم العاجل وانما قال (ان كنتم تعلمون) لان ما يحصل من الخيرات فى الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذى عرف بالدليل أن وعد الله حق ثم نزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لو كان عرضا قريبا) قال الزجاج أى لو كان المدعو اليه فحذف لدلالة ما تقدم عليه والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة مأخذه (وسفرا قاصدا) أى وسطا بين القرب

والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد أى ذو قصد لان كل أحد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده وفحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا (لاتبعوك) طمعا فى الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم أخبر أنه سيجدهم اذا رجع من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عندما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما أخبر فكان معجزا و (بالله) متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر فى الوجهين أى سيحلفون بالله قائلين (لو استطعنا) وقوله (لخرجنا) ساد مسد جوابى القسم ولو جميعا قيل فى الآية دلالة على أن قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما أمكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا فى التخلف قال الجبائى فهذا دليل على أن الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان لم من يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبى زائدا عليه فان قيل لم لا يجوز أن يراد أنهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا راحلة له يعذر فى ترك الخروج فمن لا قدرة له أولى وأيضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا أريد به المال فلأنه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن وأجيب بان المعتزلة سلموا أن القدرة على الفعل لا تتقدم الفعل الا بوقت واحد فان الانسان الجالس فى مكان لا يكون قادرا فى هذا الزمان على أن يفعل فعلا فى مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله فى المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما ألزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فيسقط السوال ولقائل أن يقول انهم وان كانوا غير قادرين على القتال الا أنهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال فى الكشاف (يهلكون) بدل من سيحلفون أو حال أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذب أو حال من ضمير خرجنا أى لخرجنا معكم وان ألقينا أنفسنا فى التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب

ألا وان صفر العام الاول حلال فيحله الناس فيحرم صفر عاما ويحرم المحرم عاما فذلك قوله تعالى انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين وقوله انما النسىء زيادة فى الكفر يقول يتركون المحرم عاما وعاما يحرمونه * قال أبو جعفر وهذا التأويل من تأويل ابن عباس يدل على صحة قراءة من قرأ النسى بترك الهمز وترك المد وتوجيهه معنى الكلام الى أنه فعل من قول القائل نسيت الشئ أنساه ومن قول الله نسوا الله فنسيهم بمعنى تركوا الله فتركهم **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس انما النسىء زيادة فى الكفر قال فهو المحرم كان يحرم عاما وصفر عاما وزيد صفر آخر فى الاشهر الحرم وكانوا يحرمون صفرا مرة ويحلونه مرة فعاب الله ذلك وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم تفعله **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا جرير عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر قال كان النسىء رجلا من بنى كنانة وكان ذا رأى فيهم وكان يجعل سنة المحرم صفرا فيغزون فيه فيغنمون فيه ويصيبون ويحرمه سنة * قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن أبى وائل انما النسىء زيادة فى الكفر الآية وكان رجل من بنى كنانة يسمى النسىء فكان يجعل المحرم صفر ويستحل فيه الغنائم فنزلت هذه الآية **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن مجاهد قال كان رجل من بنى كنانة يأتى كل عام فى الموسم على حمار له فيقول أيها الناس انى لا أعاب ولا أجاب ولا مرد لما أقول انا قد حرمنا المحرم وأخرنا صفر ثم يجئ العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته ويقول انا قد حرمنا صفر وأخرنا المحرم فهو قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله قال يعنى الاربعة فيحلوا ما حرم الله لتأخير هذا الشهر الحرام **حدثت** عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد ابن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر النسىء المحرم وكان يحرم المحرم عاما ويحرم صفر عاما فالزيادة صفر وكانوا يؤخرون الشهور حتى يجعلون صفر المحرم فيحلوا ما حرم الله وكانت هوازن وغطفان وبنو سليم يعظمونه وهم الذين كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما النسىء زيادة فى الكفر الى قوله الكافرين عمد أناس من أهل الضلالة فزادوا صفرا فى الاشهر الحرم فكان يقوم قائمهم فى الموسم فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت العام المحرم فيحرمونه ذلك العام ثم يقوم فى العام المقبل فيقول ألا ان آلهتكم قد حرمت صفر فيحرمونه ذلك العام وكان يقال لهما الصفران قال فكان أول من نسأ النسىء بنو مالك بن كنانة وكانوا ثلاثة (١) أبو ثمامة صفوان بن أمية أحد بنى فقيم بن الحرث ثم أحد بنى كنانة **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر قال فرض الله الحج فى ذى الحجة قال وكان المشركون يسمون الأشهر ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع وربيع وجمادى وجمادى ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة يحجون فيه مرة ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادى الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ثم يسمون رمضان شوالا ثم يسمون ذا القعدة شوالا ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة فيحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا بمثل هذه القصة فكانوا يحجون

(١) كذا فى الدر أيضا ولم يذكر الثلاثة وقد تقدم أن اسم أبى ثمامة جنادة بحرر

لأنه مخبر عنهم يقال حلف بالله ليفعلن أولأفعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفى الوجه الاخير نظر للزوم بناء أول الكلام على التكلم وآخره على الغيبة ولعل الصحيح حينئذ أن لو قيل لخرجنا معكم نهلك أنفسنا والله تعالى أعلم ثم بين أن ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله (عفا الله عنك) فان العفو يستدعى سابقة الذنب وبقوله (لم أذنت لهم) فانه استفهام فى معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيآن فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله بطريق الملاطفة كما تسمعون والذى عليه المحققون أنه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب فى التعظيم والتوقير فيقدمون أمثال ذلك بين يدى الكلام يقولون عفا الله عنك ماصنعت فى أمرى رضى الله عنك ماجوابك عن كلامى وعافاك الله ألاعرفت حقى وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل أن يكون قوله لم أذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لاسيما وهذه الواقعة كانت من جنس مايتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء فى الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه عليه السلام أذن لهم من تلقاء نفسه من غير أن يكون من الله فى ذلك اذن والا لم يعاتب أومنع والا كان عاصيا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما أنزل الله ولاريب أنه لايكون بمجرد التشهى فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هى قوله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ولايمكن أن يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحى والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين أن يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطأ واقعا فى الاجتهاد لا فى النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد وفى الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور قال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له فى سورة النور فى قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال أبو مسلم يحتمل أن يريد بقوله لم أذنت لهم الاذن فى الخروج

فى كل شهر عامين حتى وافق حجة أبى بكر رضى الله عنه الآخر من العامين فى ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم حجته التى حج فوافق ذا الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد انما النسىء زيادة فى الكفر قال حجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين فكانوا يحجون فى كل سنة فى كل شهر عامين حتى وافقت حجة أبى بكر الآخر من العامين فى ذى القعدة قبل حجة النبى صلى الله عليه وسلم بسنة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم من قابل فى ذى الحجة فذلك حين يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض حدثنا ابن وكيع قال ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبى مالك انما النسىء زيادة فى الكفر قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا فيجعلون المحرم صفرا فيستحلون فيه الحرمات فأنزل الله انما النسىء زيادة فى الكفر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا الآية قال هذا رجل من بنى كنانة يقال له القلمس كان فى الجاهلية وكانوا فى الجاهلية لايغير بعضهم على بعض فى الشهر الحرام يلقى الرجل قاتل أبيه فلا يمد اليه يده فلما كان هو قال اخرجوا بنا قالوا له هذا المحرم فقال ننسئه العام هما العام صفران فاذا كان عام قابل قضينا فجعلناهما محرمين قال ففعل ذلك فلما كان عام قابل قال لاتغزوا فى صفر حرموه مع المحرم هما محرمان المحرم أنسأناه عاما أول ونقضيه ذلك الانساء وقال شاعرهم * ومنا منسىء الشهور القلمس * وأنزل الله انما النسىء زيادة فى الكفر الى آخر الآية وأما قوله زيادة فى الكفر فان معناه زيادة كفر بالنسىء الى كفرهم بالله وقيل ابتداعهم النسىء كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد انما النسىء زيادة فى الكفر يقول ازدادوا به كفرا الى كفرهم وأما قوله ليواطؤا فانه من قول القائل واطأت فلانا على كذا أواطئه مواطأة اذا وافقته عليه معينا له غير مخالف عليه وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ليواطؤا عدة ماحرم الله يقول يشبهون وذلك قريب المعنى مما بينا وذلك أن ماشابه الشئ فقد وافقه من الوجه الذى شابهه وانما معنى الكلام أنهم يوافقون بعدة الشهور التى يحرمونها عدة الاشهر الاربعة التى حرمها الله لايزيدون عليها ولا ينقصون منها وان قدموا وأخروا فذلك مواطأة عدتهم عدة ماحرم الله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ياأيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل﴾ وهذه الآية حث من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك يقول جل ثناؤه ياأيها الذين صدقوا الله ورسوله مالكم أى شئ أمركم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله يقول اذا قال لكم رسول الله محمد انفروا أى اخرجوا من منازلكم الى مغزاكم وأصل النفر مفارقة مكان الى مكان لامر هاجه على ذلك ومنه نفور الدابة غير أنه يقال من النفر الى الغزو نفر

لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين على المسلمين وإذا كان هذا محتملا فلا تتعين الآية لرخصة الإذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لأن سياق الآية يدل على أن الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر أنه ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوا لأن الاستئذان من علامات النفاق فقال (٩٤) (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا) أي في أن يجاهدوا وكان الأكابر من المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو أمرهم بالقعود شق عليهم ذلك ألا ترى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أمره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض إلى أن قال له الرسول صلى الله عليه وسلم أنت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كإضمار الجار والتقدير في أن لا يجاهدوا لأن سياق الآية يدل على ذم من يستأذن في القعود وعلى هذا يمكن أن يقال معناه كراهة أن يجاهدوا وفي قوله (والله عليم بالمتقين) رمز إلى أنهم من جملة المتقين وأن لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستئذان فقال (إنما يستأذنك) الآية وفيه أن الشاك في أمر الدين وفي أصوله لا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه أن محل الريب واليقين هو القلب وأن الإيمان ليس مجرد الإقرار باللسان وإلا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله (فهم في ريبهم يترددون) أن الشاك متردد بين النفي والإثبات غير حاكم بأحد الطرفين وتقريره أن الاعتقاد إما أن يكون جازما أو لا والجازم إن كان غير مطابق فهو الجهل وإن كان مطابقا فإما بضرورة أو نظر فهو العلم أو لا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم إن كان أحد الطرفين راجحا عنده فالراجح هو الظن والمرجوح هو الوهم وإن تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كأن الشاك ... فتأمل والاستقرار دين المستبصر قال المفسرون إن المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلاثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لأن سفرهم بعيد والزمان شديد فتركهم العدة دليل على أنهم

فلان إلى ثغر كذا ينفر نفرا ونفيرا وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرقون بها بين اختلاف المخبر عنه وإن اتفقت معاني الخبر فمعنى الكلام ما لكم أيها المؤمنون إذا قيل لكم اخرجوا غزاة في سبيل الله أي في جهاد أعداء الله اثاقلتم إلى الأرض يقول تثاقلتم إلى لزوم أرضكم ومساكنكم والجلوس فيها وقيل اثاقلتم لأنه أدغم التاء في الثاء فأحدث لها ألف ليتوصل إلى الكلام بها لأن التاء مدغمة في الثاء ولو أسقطت الألف وابتدئ بها لم تكن إلا متحركة فأحدثت الألف لتقع الحركة بها كما قال جل ثناؤه حتى إذا اداركوا فيها جميعا وكما قال الشاعر

تولي الضجيع إذا ما استافها خصرا * عذب المذاق إذا ما اتابع القبل

فهو من الفعل افتعلتم من التثاقل وقوله أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة يقول جل ثناؤه أرضيتم بحظ الدنيا والدعة فيها عوضا من نعيم الآخرة وما عند الله للمتقين في جنانه فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة يقول فما الذي يستمتع به المتمتعون في الدنيا من عيشها ولذاتها في نعيم الآخرة والكرامة التي أعدها الله لأوليائه وأهل طاعته إلا قليل يسير يقول لهم فاطلبوا أيها المؤمنون نعيم الآخرة وترف الكرامة التي عند الله لأوليائه بطاعته والمسارعة إلى الإجابة إلى أمره في النفير لجهاد عدوه * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وبعد الطائف وبعد حنين أمروا بالنفير في الصيف حين خرفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض الآية قال هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف أمرهم بالنفير في الصيف حين اخترفت النخل وطابت الثمار واشتهوا الظلال وشق عليهم المخرج قال فقالوا منا الثقيل وذو الحاجة والضيعة والشغل والمنتشر به أمره في ذلك كله فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا ۞ القول في تأويل قوله (إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله متوعدهم على ترك النفر إلى عدوهم من الروم إن لم تنفروا أيها المؤمنون إلى من استنفركم رسول الله يعذبكم الله عاجلا في الدنيا بترككم النفر إليهم عذابا موجعا ويستبدل قوما غيركم يقول يستبدل الله بكم نبيه قوما غيركم ينفرون إذا استنفروا ويجيبونه إذا دعوا ويطيعون الله ورسوله ولا تضروه شيئا يقول ولا تضروا الله بترككم النفير ومعصيتكم إياه شيئا لأنه لا حاجة به إليكم بل أنتم أهل الحاجة إليه وهو الغني عنكم وأنتم الفقراء والله على كل شيء قدير يقول جل ثناؤه والله على إهلاككم واستبدال قوم غيركم بكم وعلى كل ما يشاء من الأشياء قدير وقد ذكر أن العذاب الأليم في هذا الموضع كان احتباس القطر عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن الحباب قال ثني عبد المؤمن ابن خالد الحنفي قال ثني نجدة الخراساني قال سمعت ابن عباس وسئل عن قوله إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه

فأمسك عنهم المطر فكان ذلك عذابهم فذلك قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبد المؤمن عن نجدة قال سألت ابن عباس فذكر نحوه الا أنه قال فكان عذابهم أن أمسك عنهم المطر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما استنفر الله المؤمنين فى لهبان الحر فى غزوة تبوك قبل الشأم على ما يعلم الله من الجهد وقد زعم بعضهم أن هذه الآية منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصرى قالا قال الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما وقال ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه الى قوله ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون فنسختها الآية التى تليها وما كان المؤمنون لينفروا كافة الى قوله لعلهم يحذرون * قال أبو جعفر ولا خبر بالذى قال عكرمة والحسن من نسخ حكم هذه الآية التى ذكرا يجب التسليم له ولا حجة تأتى بصحة ذلك وقد رأى ثبوت الحكم بذلك عدد من الصحابة والتابعين سنذكرهم بعد وجائز أن يكون قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا أليما لخاص من الناس ويكون المراد به من استنفره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفر على ما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس واذا كان ذلك كذلك كان قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة نهيا من الله المؤمنين عن اخلاء بلاد الاسلام بغير مؤمن مقيم فيها واعلاما من الله لهم أن الواجب النفر على بعضهم دون بعض وذلك على من استنفر منهم دون من لم يستنفر واذا كان ذلك كذلك لم يكن فى احدى الآيتين نسخ للأخرى وكان حكم كل واحدة منهما ماضيا فيما عنيت به ﴿القول فى تأويل قوله ﴿الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا﴾ وهذا اعلام من الله أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه واظهاره عليهم دونهم أعانوه أو لم يعينوه وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد فى قلة والعدو فى كثرة فكيف به وهو من العدد فى كثرة والعدو فى قلة يقول لهم جل ثناؤه الا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولى اذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم وعن معونتكم ونصرتكم كما نصره اذ أخرجه الذين كفروا بالله من قريش من وطنه وداره ثانى اثنين يقول أخرجوه وهو أحد الاثنين أى واحد من الاثنين وكذلك تقول العرب هو ثانى اثنين يعنى أحد الاثنين وثالث ثلاثة ورابع أربعة يعنى أحد الثلاثة وأحد الأربعة وذلك خلاف قولهم هو أخو ستة وغلام سبعة لان الاخ والغلام غير الستة والسبعة وثالث الثلاثة أحد الثلاثة وانما عنى جل ثناؤه بقوله ثانى اثنين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه لانهما كانا اللذين خرجا هاربين من قريش اذ هموا بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم واختفيا فى الغار وقوله اذ هما فى الغار يقول اذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رحمة الله عليه فى الغار والغار النقب العظيم يكون فى الجبل اذ يقول لصاحبه يقول اذ يقول رسول الله لصاحبه أبى بكر لا تحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن لأن الله معنا والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا الينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله

أرادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى أنهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة (ولكن كره الله انبعاثهم) أى انطلاقهم (فثبطهم) والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذى هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو أرادوا الخروج يعطى معنى نفى الخروج وكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما تقول ما أحسن الى زيد ولكن أساء الىّ ومثل هذا يسمى فى علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح ولو قيل مثل هذا فى المنع لقيل تأكيد المدح بما يشبه الذم وههنا سؤال وهو أن خروجهم مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله فى اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة لقوله عقيب ذلك (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام الصواب بطريق الوحى وكذا على قول أبى مسلم ومما يوهم انه صلى الله عليه وسلم أذن لهم فى الخروج قوله تعالى فى هذه السورة فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا وقوله فى سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله قل لن تتبعونا وأما عندنا فانما لم يستحسن الله من الرسول صلى الله عليه وسلم اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه أذن لهم قبل اتمام التفحص واكمال التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء أنفسهم فكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم ولا تبقى حاجة الى اظهار نفاقهم بوجوه أخر دالة على هتك أستارهم وكشف أسرارهم قال معتزلة البصرة فى الآية دلالة على أنه تعالى موصوف بصفة الكراهة كما أنه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله أنه أراد عدم ذلك الشئ وزيف بأن العدم لا يصلح أن يكون متعلق الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن أن يجاب بأن الارادة صفة تقتضى ترجيح أحد طرفى الممكن على الآخر سواء فى ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة به تحصيلا

للحاصل وأيضا عدم الشئ المخصوص ليس عدما محضا أما قوله (وقيل اقعدوا) فيحتمل أن يكون قد جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود ويحتمل أن يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة أو قول بعضهم لبعض لما أرادوا الاجتماع على التخلف أو هو قول الرسول كأنه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا قد أذن لنا فلهذا عوتب

على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله وهو يحوجه اليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الا تنصروه ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعثه يقول الله فأنا فاعل ذلك به وناصره كما نصرته اذ ذاك وهو ثانى اثنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله الا تنصروه فقد نصره الله قال ذكر ما كان فى أول شأنه حين بعث فالله فاعل به كذلك ناصره كما نصره اذ ذاك ثانى اثنين اذ هما فى الغار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا تنصروه فقد نصره الله الآية قال فكان صاحبه أبو بكر وأما الغار فجبل بمكة يقال له ثور حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى قال ثنا أبان العطار قال ثنا هشام بن عروة عن عروة قال لما خرج النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه وكان لابى بكر منيحة من غنم تروح على أهله فأرسل أبو بكر عامر بن فهيرة فى الغنم الى ثور وكان عامر بن فهيرة يروح بتلك الغنم على النبى صلى الله عليه وسلم بالغار فى ثور وهو الغار الذى سماه الله فى القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم بن جبير الواسطى قال ثنا عفان وحبان قالا ثنا همام عن ثابت عن أنس أن أبا بكر رضى الله عنه حدثهم قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار وأقدام المشركين فوق رؤسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم رفع قدمه أبصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد قال مكث أبو بكر مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثا حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهرى اذ هما فى الغار قال فى الجبل الذى يسمى ثورا مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبيه أن أبا بكر الصديق رحمة الله تعالى عليه حين خطب قال أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا قال اقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر وقال أنا والله صاحبه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم ﴾ يقول تعالى ذكره فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله وقد قيل على أبى بكر وأيده بجنود لم تروها يقول وقواه بجنود من عنده من الملائكة لم تروها أنتم وجعل كلمة الذين كفروا وهى كلمة الشرك السفلى لانها قهرت وأذلت وأبطلها الله تعالى ومحق أهلها وكل مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب والغالب هو الأعلى وكلمة الله هى العليا يقول ودين الله وتوحيده وقول لا اله الا الله وهى كلمته العليا على الشرك وأهله الغالبة كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهى الشرك بالله وكلمة الله هى العليا وهى لا اله الا الله وقوله وكلمة الله هى العليا خبر مبتدأ غير مردود على قوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى لأن ذلك لو كان معطوفا على الكلمة الاولى لكان نصبا وأما قوله والله عزيز حكيم فانه يعنى والله عزيز فى انتقامه من أهل الكفر به لا يقهره قاهر ولا يغلبه

بقوله لم أذنت لهم أى لم ذكرت هذه اللفظة التى أمكنهم أن يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم فى البيوت (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبى عسكره على ذى حدة أسفل من ثنية الوداع ولم يكن بأقل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب فأنزل الله يعزى نبيه (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا) فيكون استثناء متصلا من أعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على أن التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال فى اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبى إلا شرا وقال سليمان إلا مكرا وقال الضحاك إلا غدرا وقيل إلا خبثا وقيل هو الاضطراب فى الرأى وذلك بتزيين أمر لقوم وتقبيحه لآخرين حتى يختلفوا وتتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الآية على أنه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر وفيه دليل على أنه تعالى لا يريد الا الخير والصلاح ولقائل أن يقول اثبات حكم كلى بحكم جزئى غير معقول واعلم أنه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلاثة الاول قوله ما زادوكم إلا خبالا الثانى (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم غالب الفتنة) قال فى الكشاف زيد ألف فى الكتابة لان الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من ذلك الالف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لأذبحنه فى النمل ولا آتوها فى الاحزاب

غالب ولا ينصر من عاقبه ناصر حكيم في تدبيره خلقه وتصريفه اياهم في مشيئته ﴿القول في تأويل قوله (انفروا خفافا وثقالا)﴾ اختلف أهل التأويل في معنى الخفة والثقل اللذين أمر الله من كان به أحدهما بالنفر معه فقال بعضهم معنى الخفة التي عناها الله في هذا الموضع الشباب ومعنى الثقل الشيخوخة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن رجل عن الحسن في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شيبا وشبانا حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عمرو عن الحسن قال شيوخا وشبانا * قال ثنا ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس عن أبي طلحة انفروا خفافا وثقالا قال كهولا وشبانا ما أسمع الله عذر أحدا فخرج الى الشام فجاهد حتى مات حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان قال كان رجل من النخع وكان شيخا بادنا فأراد الغزو فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال ان الله يقول انفروا خفافا وثقالا فأذن له سعد فقتل الشيخ فسأل عنه بعد عمر فقال ما فعل الشيخ الذي كان (١) من بني هاشم فقالوا قتل يا أمير المؤمنين حدثنا ابن وكيع قال ثنا يزيد بن هرون عن اسمعيل عن أبي صالح قال الشاب والشيخ * قال ثنا أبو أسامة عن مالك بن مغول عن اسمعيل عن عكرمة قال الشاب والشيخ * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك كهولا وشبانا * قال ثنا حيوة أبو يزيد عن يعقوب القمي عن جعفر بن حميد عن بشر بن عطية كهولا وشبانا حدثنا الوليد قال ثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان في قوله انفروا خفافا وثقالا قال شبانا وكهولا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انفروا خفافا وثقالا قال شبابا وشيوخا وأغنياء ومساكين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن شيوخا وشبانا حدثني سعيد بن عمرو قال ثنا بقية قال ثنا حريز قال ثني حبان بن زيد الشرعبي قال نفرنا مع صفوان بن عمرو وكان واليا على حمص قبل الافسوس الى الجراجمة فلقيت شيخا كبيرا هما قد سقط حاجباه على عينيه من أهل دمشق على راحلته فيمن أغار فأقبلت عليه فقلت يا عم لقد أعذر الله اليك قال فرفع حاجبيه فقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا من يحبه الله يبتليه ثم يعيده فيبقيه وانما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد الا الله حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسمعيل عن أبي صالح انفروا خفافا وثقالا قال كل شيخ وشاب * وقال آخرون معنى ذلك مشاغيل وغير مشاغيل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن الحكم في قوله انفروا خفافا وثقالا قال مشاغيل وغير مشاغيل * وقال آخرون معناه انفروا أغنياء وفقراء ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح انفروا خفافا وثقالا قال أغنياء وفقراء * وقال آخرون معناه نشاطا وغير نشاط ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن

(١) لعله مولى بني هاشم تأمل كتبه مصححه

ولاوابع لها في القرآن وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال أكثرهم هو متعد يقال وضع البعير اذا عدا وأوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الآية حذف والتقدير ولأوضعوا ركائبهم وقال الاخفش وأبو عبيد انه جاء لازما ويقال أوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أفاض من عرفة وعليه (٩٧) السكينة وأوضع في وادي محسر أي أسرع قال الواحدي والآية تشهد للاخفش وأبي عبيد وعلى القولين المراد في الآية السعي بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة في الاول أكثر لان الراكب أسرع من الماشي ومعنى (خلالكم) أي فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين و(يبغونكم الفتنة) أي يبغون لكم قال الاصمعي يقال ابغني كذا وابغ لي أي اطلبه لأجلي ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش في المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام أسرع ما يكون فالحاصل من النوع الاول اختلاف الآراء ومن الثاني المشي بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض وأما النوع الثالث فذلك قوله (وفيكم سماعون لهم) قال مجاهد وابن زيد أي عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على أكمل الوجوه لامحالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم وأجيب بأن ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام أو لمن جبل على الجبن والفشل أو لمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة أو هيبة ولما نخلوا الاقوياء من ضعيف سخيف أو أهل الحق من مبطل منافق ولهذا اختتم الآية بقوله (والله عليم بالظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم ونفاقهم وغيرهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين كيد أهل النفاق قديما وحديثا فقال (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف عن النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومعنى الفتنة السعي في تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد

الالفة فسلهم الله منه (وقلبوا لك الامور) حرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حوّل قلب اذا كان دائرا حول مصايد المكايد (حتى جاء الحق) الذي هو القرآن (وظهر أمر الله) غلب دينه وشرعه (وهم كارهون) ردالله مكرهم في نحرهم وأتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك في الماضي فكذا يكون الحال

في المستقبل لقوله و يأبى الله الا أن يتم نوره (ومنهم من يقول ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بأن لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت احتمل أن يكون قد ذكره على سبيل السخرية أو على سبيل الجد بأن كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد. وقيل لا تفتني أي لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمالي فاتركني فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فنزلت الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني سلمة وكان الجد منهم من سيدكم يا بني سلمة قالوا الجد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأي داء أدوى من البخل بل سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء ابن معرور (ألا في الفتنة سقطوا) أي ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف المستتبع لشقاء الدارين ولهذا اختتم الآية بقوله (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) أما في الدنيا فلاحاطة أسبابها بهم من النعي عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار وأما في الآخرة فلمآل حالهم الى الدرك الاسفل من النار ۞ التأويل أيها الارواح والقلوب المؤمنة ما مصيبتكم و بلواكم اذا قيل لكم بالالهام الرباني اخرجوا من الدنيا وما فيها في طلب الله والسير اليه اثاقلتم الى أرض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا أليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية و بألم البعد عن الحضرة الربانية و يستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول

ابن عباس قوله انفروا خفافا وثقالا يقول انفروا نشاطا وغير نشاط حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة خفافا وثقالا قال نشاطا وغير نشاط * وقال آخرون معناه ركبانا ومشاة ذكر من قال ذلك حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد قال قال أبو عمرو اذا كان النفر الى دروب الشأم نفر الناس اليها خفافا ركبانا واذا كان النفر الى هذه السواحل نفروا اليها خفافا وثقالا ركبانا ومشاة * وقال آخرون معنى ذلك ذا ضيعة وغير ذي ضيعة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انفروا خفافا وثقالا قال الثقيل الذي له الضيعة فهو ثقيل يكره أن يضيع ضيعته ويخرج والخفيف الذي لا ضيعة له فقال الله انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمي أنه ذكر له أن ناسا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرا فيقول اني أحسبه قال أنا لا آثم فأنزل الله انفروا خفافا وثقالا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال شهد أبو أيوب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين الا وهو في أخرى الا عاما واحدا وكان أبو أيوب يقول انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني الا خفيفا أو ثقيلا حدثنا علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا جرير عن عثمان عن راشد بن سعد عمن رأى المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص وقد فضل عنه من عظمه فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا حدثنا سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا جرير قال ثني عبد الرحمن بن ميسرة قال ثني أبو راشد الحبراني قال وافيت المقداد بن الاسود فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا على تابوت من توابيت الصيارفة بحمص قد فضل عنه من عظمه يريد الغزو فقلت له لقد أعذر الله اليك فقال أتت علينا سورة البعوث انفروا خفافا وثقالا * قال أبو جعفر وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله خفافا وثقالا وقد يدخل في الخفاف كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك وصحة جسمه وشبابه ومن كان ذا تيسر بمال وفراغ من الاشتغال وقادرا على الظهر والركاب ويدخل في الثقال كل من كان بخلاف ذلك من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ومن معسر من المال ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب والشيخ ذو السن والعيال فاذ كان قد يدخل في الخفاف والثقال من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفا دون صنف في الكتاب ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نصب على خصوصه دليلا وجب أن يقال ان الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم على كل حال من أحوال الخفة والثقل حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سعيد بن مسروق عن مسلم بن صبيح قال أول ما نزل من براءة انفروا خفافا وثقالا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن أبيه عن أبي الضحى مثله حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ان أول ما نزل من براءة لقد نصركم الله

فى مواطن كثيرة قال يعرفهم نصره ويوطنهم لغزوة تبوك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا أيها المؤمنون الكفار بأموالكم فأنفقوها فى مجاهدتهم على دين الله الذى شرعه لكم حتى ينقادوا لكم فيدخلوا فيه طوعا أو كرها أو يعطوكم الجزية عن يد صغارا ان كانوا أهل كتاب أو تقتلوهم وأنفسكم يقول وبأنفسكم فقاتلوهم بأيديكم يخزهم الله وينصركم عليهم ذلكم خير لكم يقول هذا الذى آمركم به من النفر فى سبيل الله تعالى خفافا وثقالا وجهاد أعدائه بأموالكم وأنفسكم خير لكم من التثاقل الى الارض اذا استنفرتم والخلود اليها والرضا بالقليل من متاع الحياة الدنيا عوضا من الآخرة ان كنتم من أهل العلم بحقيقة ما بين لكم من فضل الجهاد فى سبيل الله على القعود عنه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم انهم لكاذبون﴾ يقول جل ثناؤه للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت جماعة من أصحابه قد استأذنوه فى التخلف عنه حين خرج الى تبوك فاذن لهم لو كان ما تدعوا اليه المتخلفين عنك والمستأذنيك فى ترك الخروج معك الى مغزاك الذى استنفرتهم اليه عرضا قريبا يقول غنيمة حاضرة وسفرا قاصدا يقول وموضعا قريبا سهلا لاتبعوك ونفروا معك اليها ولكنك استنفرتهم الى موضع بعيد وكلفتهم سفرا شاقا عليهم لانك استنهضتهم فى وقت الحر وزمان القيظ وحين الحاجة الى الكن وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يقول تعالى ذكره وسيحلف لك يا محمد هؤلاء المستأذنوك فى ترك الخروج معك اعتذارا منهم اليك بالباطل لتقبل منهم عذرهم وتأذن لهم فى التخلف عنك بالله كاذبين لو استطعنا لخرجنا معكم يقول لو أطقنا الخروج معكم بوجود السعة والمراكب والظهور وما لا بد للمسافر والغازى منه وصحة البدن والقوى لخرجنا معكم الى عدوكم يهلكون أنفسهم يقول يوجبون لانفسهم بحلفهم بالله كاذبين الهلاك والعطب لانهم يورثونها سخط الله ويكسبونها أليم عقابه والله يعلم انهم لكاذبون فى حلفهم بالله لو استطعنا لخرجنا معكم لأنهم كانوا للخروج مطيقين بوجود السبيل الى ذلك بالذى كان عندهم من الاموال مما يحتاج اليه الغازى فى غزوه والمسافر فى سفره وصحة الابدان وقوى الاجسام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لو كان عرضا قريبا الى قوله لكاذبون انهم يستطيعون الخروج ولكن كان تبطئة من عند أنفسهم والشيطان وزهادة فى الخير حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة لو كان عرضا قريبا قال هى غزوة تبوك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يعلم انهم لكاذبون أى انهم يستطيعون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ وهذا عتاب من الله تعالى ذكره عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم فى اذنه لمن أذن له فى التخلف عنه حين شخص الى تبوك لغزو الروم من المنافقين يقول جل ثناؤه عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى اذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه لم أذنت لهم

الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا أى النفوس الامارة الكافرة من أرض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذ هما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة بجذبة ارجعى واصلة الى مقام العندية انفروا أيها الطلاب خفافا مجردين من علائق الأهل والأولاد والأموال وثقالا متلبسين بها أو خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والأنفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعنى أرباب النفوس لخرجنا معكم يا أهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهم فى ريبهم يترددون بين أوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لأعدوا له عدة وهى متابعة الأنبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى أن قعود أهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب وأصحاب السلوك لانهم لو خرجوا لا عن نية صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى أن صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل لأوامر الشرع وظهر أمر الله وهو التكليف ومنهم أى من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لى فى القعود عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنى يا روح بتكليفى ما ليس من شأنى وذلك ان الهوى مركب المحبة تستعمله الروح فى تصاعدها الى ذروة الكمال والوصال ألا فى الفتنة سقطوا أى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة من لوازم كفا

النفس وصفاتها أعاذنا الله منها ﴿ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم
أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا (١٠٠) فتربصوا انا معكم متربصون قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم
قوما فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك في الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون﴾

❁ القراآت هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزى وابن فليح وقرأ حمزة وعلى وهشام مدغما حتى لا يجتمع ساكنان الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء أن تقبل بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة يلمزك بضم الميم سهل ويعقوب الآخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير ❁ الوقوف تسؤهم ج لابتداء شرط آخر مع واو العطف فرحون ٥ لنا ج للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولانا ط لابتداء اخبار من الله أو الحكاية عنهم المؤمنون ٥ الحسنيين ط للاستئناف بعد تمام الاستفهام بأيدينا ط والوصل أصح لان الفاء جواب تربص متربصون ٥ منكم ط فاسقين ٥ كارهون ٥ ولا أولادهم ط كافرون ٥ لمنكم ط يفرقون ٥ يجمحون ٥ في الصدقات ط للشرط مع الفاء يسخطون ٥ ورسوله لا الى قوله راغبون لان الكل يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف أى لكان خيرا لهم ❁ التفسير هذا

لأى شئ أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يقول ما كان ينبغى لك أن تأذن لهم في التخلف عنك اذ قالوا لك لو استطعنا لخرجنا معك حتى تعرف من له العذر منهم في تخلفه ومن لا عذر له منهم فيكون اذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا في دين الله * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عفا الله عنك لم أذنت لهم قال ناس قالوا استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان أذن لكم فاقعدوا وان لم يأذن لكم فاقعدوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الآية عاتبه كما تسمعون ثم أنزل الله التى في سورة النور فرخص له في أن يأذن لهم ان شاء فقال فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم فجعله الله رخصة في ذلك من ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن ميمون الاودى قال اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشئ اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فأنزل الله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبيد بن سليمن قال قرأت على سعيد بن أبى عروبة قال هكذا سمعته من قتادة قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم الآية ثم أنزل الله بعد ذلك في سورة النور فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الآية حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا موسى بن مروان قال سألت مورقا عن قوله عفا الله عنك قال عاتبه ربه ❁ القول في تأويل قوله ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ وهذا اعلام من الله نبيه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين أن من علاماتهم التى يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه اذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد لا تأذنن في التخلف عنك اذا خرجت لغزو عدوك لمن استأذنك في التخلف من غير عذر فانه لا يستأذنك في ذلك الا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر فاما الذى يصدق بالله ويقر بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب فانه لا يستأذنك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه والله عليم بالمتقين يقول والله ذو علم بمن خافه فاتقاه باداء فرائضه واجتناب معاصيه والمسارعة الى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه وغير ذلك من أمره ونهيه * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله فهذا تعيير للمنافقين حين استأذنوا في القعود عن الجهاد من غير عذر وعذر الله المؤمنين فقال لم يذهبوا حتى يستأذنوه ❁ القول في تأويل قوله ﴿انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم انما يستأذنك يا محمد في التخلف خلافك وترك الجهاد معك من غير عذر بين الذين لا يصدقون بالله ولا يقرون بتوحيده وارتابت قلوبهم يقول وشكت قلوبهم في حقيقة وحدانية الله وفي ثواب أهل طاعته وعقابه أهل معاصيه

نوع آخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة في يوم بدر والمصيبة في يوم أحد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين أنهم كانوا في كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذي ذكر الله تعالى ومعنى (أخذنا أمرنا) أي أمرنا الذي نحن موسومون به من التيقظ والتحرز وحسن الرأي والتدبير و(من قبل) أي من قبل ما وقع (ويتولوا) أي عن مقام التحدث بذلك الى أهاليهم أو أعرضوا عن الرسول (وهم فرحون) مسرورون ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقول في جوابهم (لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) قيل أي في اللوح المحفوظ من خير أو شر أو خوف أو رجاء أو شدة أو رخاء وفائدته أنه اذا علم الانسان أن الذي وقع امتنع أن لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال زالت عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب وقيل أي في عاقبة أمرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان أحوال المسلمين وان كانت مختلفة في الغم والسرور والمحنة الا أن العاقبة والدولة تكون لهم والظفر يقع في جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين في الحال وقال الزجاج معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة عليكم أو الشهادة وعلى هذا القول يقع ما في الآية الثانية كالمكرر (هو مولانا) لا يتولى أمورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من أسباب التهاني والتعازي لا اعتراض لاحد عليه (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فيه تنبيه على أن المؤمن يجب أن لا يعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم يتعلقون بالوسائط والاسباب ثم أمره بجواب ثان فقال (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين) التربص التمسك بما ينتظر به مجيء حينه ومنه تربص بالطعام اذا تمسك به الى حين زيادة سعره والحسنى تأنيث الاحسن وهي صفة الحالة أو الخصلة أو العاقبة يعني النصرة أو الشهادة وفي الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفي الثانية ابقاء الذكر والفوز بنعيم الآخرة (ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذاب الدارين (أو بأيدينا) يعني القتل بأن يظهر نفاقكم ويأمر بقتلكم كالكافر الحربي (فتربصوا) أمر التهديد نحو ذق انك أنت العزيز

فهم في ريبهم يترددون يقول في شكهم متحيرون وفي ظلمة الحيرة مترددون لا يعرفون حقا من باطل فيعملون على بصيرة وهذه صفة المنافقين وكان جماعة من أهل العلم يرون أن هاتين الآيتين منسوختان بالآية التي ذكرت في سورة النور ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح عن الحسين عن يزيد عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله فهم في ريبهم يترددون نسختهما الآية التي في النور انما المؤمنون الذين آمنوا بالله الى ان الله غفور رحيم وقد بينا الناسخ والمنسوخ بما أغنى عن اعادته ههنا ۞ القول في تأويل قوله (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) يقول تعالى ذكره ولو أراد هؤلاء المستأذنوك يا محمد في ترك الخروج معك لجهاد عدوك الخروج معك لأعدوا له عدة يقول لأعدوا للخروج عدة ولتأهبوا للسفر والعدو أهبتهما ولكن كره الله انبعاثهم يعني خروجهم لذلك فثبطهم يقول فثقل عليهم الخروج حتى استخفوا القعود في منازلهم خلافك واستثقلوا السفر والخروج معك فتركوا لذلك الخروج وقيل اقعدوا مع القاعدين يعني اقعدوا مع المرضى والضعفاء الذين لا يجدون ما ينفقون ومع النساء والصبيان واتركوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجاهدين في سبيل الله وكان تثبيط الله اياهم عن الخروج مع رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به لعلمه بنفاقهم وغشهم للاسلام وأهله وأنهم لو خرجوا معهم ضروهم ولم ينفعوا وذكر أن الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في القعود كانوا عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس ومن كان على مثل الذي كانا عليه كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوه فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده ۞ القول في تأويل قوله (لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) يقول تعالى ذكره لو خرج أيها المؤمنون فيكم هؤلاء المنافقون ما زادوكم الا خبالا يقول لم يزيدوكم بخروجهم فيكم الا فسادا وضرا ولذلك ثبطتهم عن الخروج معكم وقد بينا معنى الخبال بشواهده فيما مضى قبل ولأوضعوا خلالكم يقول ولأسرعوا بركائبهم السير بينكم وأصله من ايضاع الخيل والركاب وهو الاسراع بها في السير يقال للناقة اذا أسرعت السير وضعت الناقة تضع وضعا وموضوعا وأوضعها صاحبها اذا جد بها وأسرع يوضعها ايضاعا ومنه قول الراجز

يا ليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع

وأما أصل الخلال فهو من الخلل وهي الفرج تكون بين القوم في الصفوف وغيرها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تراصوا في الصفوف لا يتخللكم أولاد الحذف وأما قوله يبغونكم الفتنة فان معنى يبغونكم الفتنة يطلبون لكم ما تفتنون به عن مخرجكم في مغزاكم بتثبيطهم اياكم عنه يقال منه بغيته الشر وبغيته الخير أبغيه بغاء اذا التمسته له بمعنى بغيت له وكذلك عكمتك وحلبتك بمعنى حلبت لك وعكمت لك واذا أرادوا أعنتك على التماسه وطلبه قالوا أبغيتك كذا وأحلبتك وأعكمتك أي أعنتك عليه ۞ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

الكريم ثم ذكر أنهم ان أتوا بشيء من صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الآخرة والغرض أن أسباب الذل والهوان مجتمعة
عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ائذن لي في القعود وهذا مالي أعينك
به ولا يبعد أن يكون السبب خاصا والحكم عاما و(أنفقوا) لفظه أمر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفر
لهم أو لا تستغفر لهم ومعناه أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة * أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة * كأنه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدين مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب أحدهما مقام الآخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب (طوعا أو كرها) على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله أو ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل أن يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم أو ملزمين من جهتهم وذلك أن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا رأوا فيه مصلحة ومعنى (لن يتقبل منكم) أن الرسول لا يقبله منكم أو أنه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات وأجيب بأن الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه (وما منعهم أن تقبل منهم) الآية علل منع القبول بامور ثلاثة أولها الكفر بالله
ورسوله وثانيها (ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى) قال المفسرون معناه أنه ان كان في جماعة صلى وان كان
وحده لم يصل وفيه أنه يصلي للناس لا لله وفيه انه غير معتقد للصلاة ووجوبها فلهذا لزم منه الكفر وثالثها (ولا ينفقون الا وهم كارهون)
وذلك أنهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لأجل المصالح

ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولأوضعوا خلالكم يقول ولأوضعوا (١) أسلحتهم خلالكم بالفتنة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم قال رفاعة بن التابوت وعبد الله بن أبي ابن سلول وأوس بن قيظي حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا الأزقة خلالكم يبغونكم الفتنة يبطؤنكم عبد الله بن نبتل ورفاعة بن تابوت وعبد الله بن أبي ابن سلول * قال حدثنا الحسن قال ثني أبو سفيان عن معمر عن قتادة ولأوضعوا خلالكم قال لأسرعوا خلالكم يبغونكم الفتنة بذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا قال هؤلاء المنافقون في غزوة تبوك يسلي الله عنهم نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فقال وما يحزنكم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا يقولون قد جمع لكم وفعل وفعل يخذلونكم ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة الكفر وأما قوله وفيكم سماعون لهم فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معنى ذلك وفيكم سماعون لحديثكم لهم يؤدونه اليهم عيون لهم عليكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفيكم سماعون لهم يحدثون باحاديثكم عيون غير منافقين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وفيكم سماعون لهم قال محدثون عيون غير منافقين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وفيكم سماعون لهم يسمعون ما يؤدونه لعدوكم * وقال آخرون بل معنى ذلك وفيكم من يسمع كلامهم ويطيع لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفيكم سماعون لهم وفيكم من يسمع كلامهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذين استأذنوا فيما بلغني من ذوي الشرف منهم عبد الله بن أبي ابن سلول والجد بن قيس وكانوا أشرافا في قومهم فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معهم فيفسدوا عليه جنده وكان في جنده قوم أهل محبة لهم وطاعة فيما يدعونهم اليه لشرفهم فيهم فقال وفيكم سماعون لهم فعلى هذا التأويل وفيكم أهل سمع وطاعة منكم لو صحبوكم أفسدوهم عليكم بتثبيطهم اياهم عن السير معكم وأما على التأويل الاول فان معناه وفيكم منهم سماعون يسمعون حديثكم لهم فيبلغونهم ويؤدونه اليهم عيون لهم عليكم * قال أبو جعفر وأولى التأويلين عندي في ذلك بالصواب تأويل من قال معناه وفيكم سماعون لحديثكم لهم يبلغونه عنكم عيون لهم لأن الأغلب من كلام العرب في قولهم سماع وصف من وصف به أنه سماع الكلام كما قال الله جل ثناؤه في غير موضع من كتابه سماعون للكذب واصفا بذلك قوما بسماع الكذب من الحديث وأما اذا وصفوا الرجل بسماع كلام الرجل وأمره ونهيه وقبوله منه وانتهائه اليه فانما تصفه بأنه له سامع مطيع ولا تكاد تقول هو له سماع مطيع وأما قوله والله عليم بالظالمين فان معناه والله ذو علم بمن يوجه أفعاله الى غير وجوهها ويضعها في غير مواضعها ومن يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذر ومن يستأذنه شكا

(١) لعله شغلهم وحرر كتبه مصححه

شكافى الاسلام ونفاقاومن يسمع حديث المؤمنين ليخبر به المنافقين ومن يسمعه ليسر عاسر المؤمنين ويساء عاساءهم لايخفى عليه شئ من سرائر خلقه وعلانيتهم وقدبينا معنى الظلم فى غير موضع من كتابنا هذا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ❊ القول فى تأويل قوله ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ يقول تعالى ذكره لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردهم الى الكفر بالتخذيل عنه كفعل عبدالله بن أبى بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل ويعنى بقوله من قبل من قبل هذا وقلبوا لك الامور يقول وأجالوا فيك وفى ابطال الدين الذى بعثك به الله الرأى بالتخذيل عنك وانكار ما تأتيهم به ورده عليك حتى جاء الحق يقول حتى جاء نصر الله وظهر أمر الله يقول وظهر دين الله الذى أمر به وافترضه على خلقه وهو الاسلام وهم كارهون يقول والمنافقون لظهور أمر الله ونصره اياك كارهون وكذلك الآن يظهرك الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به وهم كارهون ❊ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقلبوا لك الامور أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وذكر أن هذه الآية نزلت فى نفر مسمين بأعيانهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو عن الحسن قوله وقلبوا لك الامور قال منهم عبدالله بن أبى ابن سلول وعبدالله بن نبتل أخو بنى عمرو بن عوف ورفاعة بن رافع وزيد بن التابوت القينقاعى وكان تخذيل عبدالله بن أبى أصحابه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كالذى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبدالله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم كل قد حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض وكل قد اجتمع حديثه فى هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم وذلك فى زمان عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وحين طاب الثمار وأحبت الظلال والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذى هم عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة الا كنى عنها وأخبر أنه يريد غير الذى يصمد له الا ما كان من غزوة تبوك فانه بينها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذى صمد له ليتأهب الناس لذلك أهبته فأمر الناس بالجهاد وأخبرهم أنه يريد الروم فتجهز الناس على ما فى أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره فأمر الناس بالجهاز والانكماش (١) وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبدالله بن أبى ابن سلول عسكره على ذى حدة أسفل منه نحو ذباب جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون ليس

---

(١) الانكماش الاسراع فى الامر والجد فيه اه كتبه مصححه

الدنيوية فهم فى حكم الكارهين وان أنفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله سبب مستقل فى منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الآخرين والجواب أنها أمارات ويجوز توارد الامارات المتعددة على شئ واحد وبوجه آخر أطلق كفرهم أولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلاة والزكاة وبعبارة أخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من أنواع كفرهم هذين تفظيعا لشأن تارك الصلاة والزكاة قال فى الكشاف وقرأت فى بعض الاخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية وأن الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الآية وهو أن شيأ من أعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو أن يصرف ذلك الى تأثيره فى تخفيف العقاب ولقائل أن يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له فى التخفيف أيضا أثر وقيل فى الآية دلالة على ان الصلاة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الآخرة أراد أن يبين أن ما يظنونه من منافع الدنيا فهو أيضا فى الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (فلا تعجبك) الآية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط أى ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلاة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجىء فى الآية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور المرء بالشئ مع نوع من الافتخار واعتقاد أنه ليس لغيره ما يساويه وأنه من البعيد فى حكم الله أن يزيل ذلك الشئ عنه ويحصله لغيره كقوله ما أظن أن تبيد هذه أبدا ولا شك أن هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس فى ذلك الشئ وانقطاعها عن الله ومن جهة استبعاد ازالته فى قدرة

الله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الآية زجر الناس عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في حبها فان المسكن الاصلى هو الآخرة لا الاولى وقوله (انما يريد الله ليعذبهم) اعرابه كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدى وقتادة في الآية تقديم وتأخير والتقدير فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة كأنهم نظروا الى أن المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده وأورد عليه أنهما لا يكونان عذابا في الآخرة أيضا فان تكلفوا وقالوا أراد بذلك أنهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتأخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا أيضا ويوجه آخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فأى فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والآخرة وذلك أن كل ما كان حبه للشئ أشد كان خوفه عن فواته أكثر وحزنه على فواته أعظم فصاحب المال أبدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضى الى طغيانه وقساوة قلبه الى أن ينسى حب الله وذكر الآخرة ثم انه ان بقى عليه ذلك الى آخر عمره فعند الموت يعظم أسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى سجن وجحيم وعند الحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت أن حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا أن المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم أنه انما خلق للآخرة يقول لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذى اعتقد أن لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وأيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة أخروية وكانوا في أشق تكليف وكانوا مبغضين

بأقبل العسكرين فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب وكان عبد الله بن أبى أخا بنى عوف بن الخزرج وعبد الله بن نبتل أخا بنى عمرو ابن عوف ورفاعة بن يزيد بن التابوت أخا بنى قينقاع وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيد للاسلام وأهله قال وفيهم كما ثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنزل الله لقد ابتغوا الفتنة من قبل الآية ۞ القول في تأويل قوله (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) وذكر أن هذه الآية نزلت في الجد بن قيس ويعنى جل ثناؤه بقوله ومنهم ومن المنافقين من يقول ائذن لى أقم فلا أشخص معك ولا تفتنى يقول ولا تبتلنى برؤية نساء بنى الاصفر وبناتهم فانى بالنساء مغرم فأخرج وآثم بذلك وبذلك من التأويل تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد في قول الله ائذن لى ولا تفتنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تبوك تغنموا بنات الاصفر ونساء الروم فقال الجد ائذن لنا ولا تفتنا بالنساء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قالوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغزوا تغنموا بنات الاصفر يعنى نساء الروم ثم ذكر مثله * قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله ائذن لى ولا تفتنى قال هو الجد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك عالى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله ابن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه للجد بن قيس أخى بنى سلمة هل لك يا جد العام في جلاد بنى الاصفر فقال يا رسول الله أو تأذن لى ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى ما رجل أشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر عنهن فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى الآية أى ان كان انما يخشى الفتنة من نساء بنى الاصفر وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى قال هو رجل من المنافقين يقال له جد بن قيس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم العام نغزو بنى الاصفر ونتخذ منهم سرارى ووصفا فقال أى رسول الله ائذن لى ولا تفتنى ان لم تأذن لى افتتنت ووقعت فغضب فقال الله ألا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين وكان من بنى سلمة فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بنى سلمة فقالوا جد بن قيس غير أنه بخيل جبان فقال النبى صلى الله عليه وسلم وأى داء أدوى من البخل ولكن سيدكم الفتى الابيض الجعد الشعر البراء بن معرور حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى يقول ائذن لى ولا تحرجنى ألا في الفتنة سقطوا يعنى في الحرج سقطوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ولا تؤثمنى ألا في الاثم سقطوا وقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين

للنبي صلى الله عليه وسلم مع أنهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الأولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض أولادهم وأموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم أولاد أتقياء مخلصون كحنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله بن أبي شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يزيفون طريق آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا

يقول وان النار لمطيفة بمن كفر بالله وجحد آياته وكذب رسله محدقة بهم جامعة لهم جميعا يوم القيامة يقول فكفى للجد بن قيس وأشكاله من المنافقين بصليها خزيا ۞ القول في تأويل قوله (ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان يصبك سرور بفتح الله عليك أرض الروم في غزاتك هذه يسؤ الجد بن قيس ونظراءه وأشياعهم من المنافقين وان تصبك مصيبة بفلول جيشك فيها يقول الجد ونظراؤه قد أخذنا أمرنا من قبل أي قد أخذنا حذرنا بتخلفنا عن محمد وترك اتباعه الى عدوه من قبل يقول من قبل أن تصيبه هذه المصيبة ويتولوا وهم فرحون يقول ويرتدوا عن محمد وهم فرحون بما أصاب محمدا وأصحابه من المصيبة بفلول أصحابه وانهزامهم عنه وقتل من قتل منهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ان تصبك حسنة تسؤهم يقول ان تصبك في سفرك هذا الغزوة تبوك حسنة تسؤهم قال الجد وأصحابه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل حذرنا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد أخذنا أمرنا من قبل قال حذرنا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تصبك حسنة تسؤهم ان كان فتح للمسلمين كبر ذلك عليهم وساءهم ۞ القول في تأويل قوله (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يقول تعالى ذكره مؤدبا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك لن يصيبنا أيها المرتابون في ديننا الا ما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ وقضاه علينا هو مولانا يقول هو ناصرنا على أعدائه وعلى الله فليتوكل المؤمنون يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانهم ان يتوكلوا عليه ولم يرجوا النصر من عند غيره ولم يخافوا شيأ غيره يكفهم أمورهم وينصرهم على من بغاهم وكادهم ۞ القول في تأويل قوله (قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا انا معكم متربصون) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين وصفت لك صفتهم وبينت لك أمرهم هل تنتظرون بنا الا احدى الخلتين اللتين هما أحسن من غيرهما اما ظفرا بالعدو وفتحا لنا بغلبتناهم ففيها الأجر والغنيمة والسلامة واما قتلا من عدونا ففيه الشهادة والفوز بالجنة والنجاة من النار وكلتاهما مما نحب ولا نكره ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده يقول ونحن ننتظر بكم أن يصيبكم الله بعقوبة من عنده عاجلة تهلككم أو بأيدينا فنقتلكم فتربصوا انا معكم متربصون يقول فانتظروا انا معكم منتظرون ما الله فاعل بنا وما اليه صائر أمر كل فريق منا ومنكم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول فتح أو شهادة وقال مرة أخرى يقول القتل فهي الشهادة والحياة والرزق واما يخزيكم بأيدينا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين يقول قتل فيه

صار هكذا تأذى الأب بسببه ولأجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء أن التقدير يريد الله أن يزيد في أموالهم ليعذبهم أما قوله (وتزهق أنفسهم) أي تخرج وهم (كافرون) فقد قالت الأشاعرة فيه دليل على أنه تعالى أراد منهم الكفر وأورد الجبائي عليه أن المريض اذا قال للطبيب أريد أن تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب أن أمثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب أن المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لأن المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد أن يديم عليهم نعمه الى أن يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح أفعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله (ويحلفون بالله انهم لمنكم) أي على دينكم ثم قال (وما هم منكم) أي ليسوا على دينكم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم أكد نفاقهم بقوله (لو يجدون ملجأ) مفرا يتحصنون فيه آمنين على أنفسهم منكم لفروا اليه وفارقوكم فلا تظنوا

ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب والمغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه أي يستتر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول أدغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والتدخل تفعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يتحفظ بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على أحد هذه الوجوه مع انها شر

الامكنة (لولوا اليه) يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى غيره اذا صرفه (وهم يجمحون) أى يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شئ ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة أشياء والاقرب حملها على المعانى المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف فى الجبال

والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى أعلم ومن جملة قبائحهم قوله (ومنهم من يلمزك) الآية قال الزجاج لمزت الرجل ألمزه وألمزه بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب فى الحضور والهمز العيب فى الغيبة واعلم أن العيب فى الصدقات يحتمل وجوها الاول فى أخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبده ان شاء أفقرهم وان شاء أغناهم الثانى ان يقال هب أنك تأخذ الزكوات الا أن ما تأخذه كثير فوجب أن تقنع باقل من ذلك الثالث هب أنك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب قد وقع فى قسمة الصدقات وفى تفريقها وهذا هو الذى دلت الاخبار على أنهم أرادوه عن أبى سعيد الخدرى بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين قال له ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم أعدل فنزلت وعن الكلبى هو أبو الجواظ قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك أما كان موسى راعيا أما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين أن عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا للدين فقال (فان أعطوا منها رضوا) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى (اذا هم يسخطون) فهم يسخطون وفائدته ان يعلم أن الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم أرشدهم الى ما هو صلاحهم فى نفس الامر فقال (ولو أنهم رضوا) الآية ورتبه على أربع

اختلف

الحياة والرزق واما أن يغلب فيؤتيه الله أجرا عظيما وهو مثل قوله ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا احدى الحسنيين قال القتل فى سبيل الله والظهور على أعدائه * قال ثنا محمد بن بكر عن ابن جريج قال بلغنى عن مجاهد قال القتل فى سبيل الله والظهور حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد احدى الحسنيين القتل فى سبيل الله والظهور على اعداء الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه * قال ابن عباس بعذاب من عنده بالموت أو بأيدينا قال القتل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا فتحا أو قتلا فى سبيل الله ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا أى قتل ۞ القول فى تأويل قوله (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين أنفقوا كيف شئتم أموالكم فى سفركم هذا وغيره وعلى أى حال شئتم من حال الطوع والكره فانكم ان تنفقوها لن يتقبل الله منكم نفقاتكم وأنتم فى شك من دينكم وجهل منكم بنبوة نبيكم وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه انكم كنتم قوما فاسقين يقول خارجين عن الايمان بربكم وخرج قوله أنفقوا طوعا أو كرها مخرج الامر ومعناه الخبر والعرب تفعل ذلك فى الاماكن التى يحسن فيها ان التى تأتى بمعنى الجزاء كما قال جل ثناؤه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فهو فى لفظ الامر ومعناه الخبر ومنه قول الشاعر

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

فكذلك قوله أنفقوا طوعا أو كرها انما معناه ان تنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم وقيل ان هذه الآية نزلت فى الجد بن قيس حين قال النبى صلى الله عليه وسلم لما عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم الخروج معه لغزو الروم هذا مالى أعينك به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قال الجد بن قيس انى اذا رأيت النساء لم أصبر حتى أفتتن ولكن أعينك بمالى قال ففيه نزلت أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم قال لقوله أعينك بمالى ۞ القول فى تأويل قوله (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون) يقول تعالى ذكره وما منع هؤلاء المنافقين يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التى ينفقونها فى سفرهم معك وفى غير ذلك من السبل الا أنهم كفروا بالله وبرسوله فأن الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع لان معنى الكلام ما منع قبول نفقاتهم الا كفرهم بالله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى يقول لا يأتونها الا متثاقلين بها لانهم لا يرجون بادائها ثوابا ولا يخافون بتركها عقابا وانما يقيمونها مخافة على أنفسهم بتركها من المؤمنين فاذا أمنوهم لم يقيموها ولا ينفقون يقول ولا ينفقون من أموالهم شيأ الا وهم كارهون أن ينفقوه فى الوجه الذى ينفقونه فيه مما فيه تقوية للاسلام وأهله ۞ القول فى تأويل قوله (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

مراتب الأولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكل ما كان حكماله وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر أثر ذلك الرضا على لسانهم وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحبيب الثالثة ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله فى غنيمة أخرى الرابعة الرغبة الى الله بانه المقصد الحقيق والمقصود الاصلى من الايمان والطاعة والمال والمنال يروى أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذى يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال أصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون الله فقال ما الذى حملكم عليه فقالوا الرغبة فى الثواب فقال أصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لانذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة فى الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال أنتم المحقون ۞ التأويل ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس وصفاتها فبها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع أخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لمخالفتنا فى السير الى العالم الروحانى قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا لا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للردوا نظر وقل هل تربصون بنا أيتها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما أو بأيدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا أو رياء وكرها أى نفاقا لن يتقبل منكم لان أعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولا لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن أبلغ من عمله وباقى الآيات اشارات الى أن من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو

اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فلا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة وقال معنى ذلك التقديم وهو مؤخر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم قال هذه من تقاديم الكلام يقول لا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا بما ألزمهم فيها من فرائضه ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن سلمان الاقصرى عن الحسن انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا قال بأخذ الزكاة والنفقة فى سبيل الله تعالى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا بالمصائب فهى لهم عذاب وهى للمؤمنين أجر * قال أبو جعفر وأولى التأويلين بالصواب فى ذلك عندنا التأويل الذى ذكرنا عن الحسن لان ذلك هو الظاهر من التنزيل فصرف تأويله الى ما دل عليه ظاهره أولى من صرفه الى باطن لا دلالة على صحته وانما وجه من وجه ذلك الى التقديم وهو مؤخر لانه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم فى الحياة الدنيا وجها يوجهه اليه وقال كيف يعذبهم بذلك فى الدنيا وهى لهم فيها سرور وذهب عنه توجيهه الى أنه من عظيم العذاب عليه الزامه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه اذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس ولا راج من الله جزاء ولا من الآخذ منه حمدا ولا شكرا على ضجر منه وكره وأما قوله وتزهق أنفسهم وهم كافرون فانه يعنى وتخرج انفسهم فيموتوا على كفرهم بالله وجحودهم نبوة نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم يقال منه زهقت نفس فلان وزهقت فمن قال زهقت قال تزهق ومن قال زهقت قال تزهق زهوقا ومنه قيل زهق فلان بين أيدى القوم يزهق زهوقا اذا سبقهم فتقدمهم ويقال زهق الباطل اذا ذهب ودرس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون﴾ يقول تعالى ذكره ويحلف بالله لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون كذبا وباطلا خوفا منكم انهم لمنكم فى الدين والملة يقول الله تعالى مكذبا لهم وما هم منكم أى ليسوا من أهل دينكم وملتكم بل هم أهل شك ونفاق ولكنهم قوم يفرقون يقول ولكنهم قوم يخافونكم فهم خوفا منكم يقولون بالسنتهم انا منكم ليأمنوا فيكم فلا يقتلوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون﴾ يقول تعالى ذكره لو يجد هؤلاء المنافقون ملجأ يقول عصرا يعتصرون به من حصن ومعقلا يعتقلون فيه منكم أو مغارات وهى الغيران فى الجبال واحدتها مغارة وهى مفعلة من غار الرجل فى الشئ يغور فيه اذا دخل ومنه قيل غارت العين اذا دخلت فى الحدقة أو مدخلا يقول سربا فى الارض يدخلون فيه وقال أو مدخلا الآية لانه من ادخل يدخل وقوله لولوا اليه يقول لأدبروا اليه هربا منكم وهم يجمحون يقول وهم يسرعون فى مشيهم وقيل ان الجماح مشى بين المشيين ومنه قول مهلهل

لقد جمحت جماحا فى دمائهم * حتى رأيت ذوى أحسابهم خمدوا

أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله و آياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف و يقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون ﴾ ۞ القرا آت أذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى والمفضل الباقون بالاضافة ورحمة بالجر حمزة الآخرون بالرفع ألم تعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة فى الاول وبتاء التأنيث فى الثانى ۞ الوقوف وابن السبيل ط أى فرض الله فريضة من الله ط حكيم ٥ هو أذن ط آمنوا منكم ط أليم ٥ ليرضوكم ط لاحتمال الواو الحال أو الاستئناف مؤمنين ٥ خالدا فيها ط العظيم ٥ بما فى قلوبهم ط استهزؤا ط لاحتمال الهمزة فى ان التعليل تحذرون ٥ ونلعب ط تستهزؤن ٥ بعد ايمانكم ط مجرمين ٥ ومنهم من بعض ط كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهى صفة لكلهم أيديهم ط فنسيهم ط الفاسقون ٥ فيها ط حسبهم ط لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود فى اتمام الجزاء ولعنهم الله ج لذلك مقيم ٥ لا بناء على تعلق الكاف وأولادا ط خاضوا ط والآخرة

وانما وصفهم الله بما وصفهم به من هذه الصفة لانهم انما أقاموا بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كفرهم ونفاقهم وعداوتهم لهم ولما هم عليه من الايمان بالله و برسوله لأنهم كانوا فى قومهم وعشيرتهم وفى دورهم وأموالهم فلم يقدروا على ترك ذلك وفراقه فصانعوا القوم بالنفاق ودافعوا عن أنفسهم وأموالهم وأولادهم بالكفر ودعوى الايمان وفى أنفسهم ما فيها من البغض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان به والعداوة لهم فقال الله واصفهم بما فى ضمائرهم لو يجدون ملجأ أو مغارات الآية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ الملجأ الحرز فى الجبال والمغارات الغيران فى الجبال وقوله أو مدخلا والمدخل السرب حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ملجأ يقول حرزا أو مغارات يعنى الغيران أو مدخلا يقول ذهابا فى الارض وهو النفق فى الارض وهو السرب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال حرزا لهم يفرون اليه منكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا قال محرزا لهم لفروا اليه منكم وقال ابن عباس قوله لو يجدون ملجأ حرزا أو مغارات قال الغيران أو مدخلا قال نفقا فى الارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن سعيد عن قتادة لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا يقول لو يجدون ملجأ حصونا أو مغارات غيرانا أو مدخلا أسرابا لولوا اليه وهم يجمحون ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون﴾ يقول تعالى ذكره ومن المنافقين الذين وصفتك يا محمد صفتهم فى هذه الآيات من يلمزك فى الصدقات يقول يعيبك فى أمرها و يطعن عليك فيها يقال منه لمز فلان فلانا يلمزه و يلمزه اذا عابه وقرصه وكذلك همزه ومنه قيل فلان همزة لمزة ومنه قول رؤبة

قاربت بين عنقى وجمزى * فى ظل عصرى باطلى ولمزى

ومنه قول الآخر

اذا لقيتك تبدى لى مكاشرة * وان أغيب فأنت العائب اللمزه

فان أعطوا منها رضوا يقول ليس بهم فى عيبهم اياك فيها وطعنهم عليك بسببها الدين ولكن الغضب لانفسهم فان أنت أعطيتهم منها ما يرضيهم رضوا عنك وان أنت لم تعطهم منها سخطوا عليك وعابوك و بنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يروزك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يروزك و يسألك * قال ابن جريج وأخبرنى داود بن أبى عاصم قال قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت قال ووراءه رجل من الانصار فقال ما هذا بالعدل فنزلت هذه الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات يقول

ومنهم من يطعن عليك فى الصدقات وذكر لنا أن رجلا من أهل البادية حديث عهد باعرابية أتى نبى الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله أمرك أن تعدل ماعدلت فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدى ثم قال نبى الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا وأشباهه فان فى أمتى أشباه هذا يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فاذا خرجوا فاقتلوهم ثم اذا خرجوا فاقتلوهم وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذى نفسى بيده ما أعطيكم شيأ ولا أمنعكموه انما أنا خازن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال يطعن * قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى سعيد قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم قسما اذ جاءه ابن ذى الخويصرة التميمى فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ومن يعدل ان لم أعدل فقال عمر بن الخطاب يارسول الله ائذن لى فأضرب عنقه قال دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فينظر فى قذذه فلا ينظر شيأ ثم ينظر فى نصله فلا يجد شيأ ثم ينظر فى رصافه فلا يجد شيأ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود احدى يديه أو قال يديه مثل ثدى المرأة أو مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فترة من الناس قال فنزلت ومنهم من يلمزك فى الصدقات قال أبو سعيد أشهد أنى سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن عليا رحمة الله عليه حين قتلهم جىء بالرجل على النعت الذى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قال هؤلاء المنافقون قالوا والله ما يعطيها محمد الا من أحب ولا يؤثر بها الا هواه فأخبر الله نبيه وأخبرهم أنه انما جاءت من الله وان هذا أمر من الله ليس من محمد انما الصدقات للفقراء الآية

﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن هؤلاء الذين يلمزونك يا محمد فى الصدقات رضوا ما أعطاهم الله ورسوله من عطاء وقسم لهم من قسم وقالوا حسبنا الله يقول وقالوا كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله يقول سيعطينا الله من فضل خزائنه ورسوله من الصدقة وغيرها انا الى الله راغبون يقول وقالوا انا الى الله نرغب فى أن يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من صلات الناس والحاجة اليهم ﴾ القول فى تأويل قوله ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ يقول تعالى ذكره لا تنال الصدقات الا للفقراء والمساكين ومن سماهم الله جل ثناؤه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة الفقير والمسكين فقال بعضهم الفقير المحتاج المتعفف عن المسألة والمسكين المحتاج السائل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير الجالس فى بيته والمسكين الذى يسعى حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال المساكين الطوافون والفقراء فقراء المسلمين حدثنا ابن وكيع قال ثنا

ج الخاسرون ٥ ﴿ التفسير ﴾ ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على أنه لا حق لاحد فى الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولا شك أن كلا من الصنفين محتاجون لا يفى دخلهم بخرجهم انما الكلام فى أنهما متساويا الدلالة أو أحدهما أسوأ حالا فعن أبى يوسف ومحمد والجبائى أنهما واحد حتى لو أوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعالى ذكرهما باسمين ليؤكد أمرهم فى الصدقات والفائدة فيه أن يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسائرهم وعند الشافعى الفقير أسوأ حالا لانه تعالى أثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون أشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن أن يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن أعظم أنواع الشر والدواهى وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقد سأل المسكنة فى قوله اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكأنه سأل توسط الحال ولهذا لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أشياء معلومة مع أنه تعالى أجاب دعاءه ظاهرا فأماته مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على أن المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بأنه الذى لا يجد شيأ كأهل الصفة والمسكين بأنه الطواف الذى يسأل الناس والغالب أنه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى أموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على أن الفقر

أبو أسامة عن جرير بن حازم قال ثني رجل عن جابر بن زيد أنه سئل عن الفقراء قال الفقراء المتعففون والمساكين الذين يسألون حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل ابن عبد الله الحراني قال سألت الزهري عن قوله انما الصدقات للفقراء قال الذين في بيوتهم لا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون حدثنا الحرث قال ثنا القاسم قال ثنا يحيى ابن سعيد عن عبد الوارث بن سعيد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقير الذي لا يسأل والمسكين الذي يسأل * قال حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقراء الذين لا يسألون الناس وهم أهل حاجة والمساكين الذين يسألون الناس حدثنا الحرث قال ثني عبد العزيز قال ثنا عبد الوارث عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الفقراء الذين لا يسألون والمساكين الذين يسألون * وقال آخرون الفقير هو ذو الزمانة من أهل الحاجة والمسكين هو الصحيح الجسم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة انما الصدقات للفقراء والمساكين قال الفقير من به زمانة والمسكين الصحيح المحتاج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين أما الفقير فالزمن الذي به زمانة وأما المسكين فهو الذي ليست به زمانة * وقال آخرون الفقراء فقراء المهاجرين والمساكين من لم يهاجر من المسلمين وهو محتاج ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا جرير بن حازم عن علي بن الحكم عن الضحاك بن مزاحم انما الصدقات للفقراء قال فقراء المهاجرين والمساكين الذين لم يهاجروا * قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء المهاجرين قال سفيان يعني ولا يعطي الأعراب منها شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقة لفقراء المهاجرين * قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال كانت تجعل الصدقة في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله تعالى حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وسعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال كان ناس من المهاجرين لاحدهم الدار والزوجة والعبد والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله الى انهم فقراء وجعل لهم سهما في الزكاة حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم قال كان يقال انما الصدقات في فقراء المهاجرين وفي سبيل الله * وقال آخرون المسكين الضعيف البئس ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن عون عن محمد قال قال عمر ليس الفقير بالذي لا مال له ولكن الفقير الأخلق الكسب * قال يعقوب قال ابن علية الأخلق المحارف عندنا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب رحمة الله تعالى عليه قال ليس المسكين بالذي لا مال له ولكن المسكين الأخلق الكسب * وقال بعضهم الفقير من المسلمين والمسكين من أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا عمر بن نافع قال سمعت عكرمة في قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين قال لا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين انما المساكين مساكين أهل الكتاب * قال أبو جعفر وأولى هذه

ضد الغنى ولم يقل أحد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترفع هو ضد التمسكن وقال أبو حنيفة المسكين أسوأ حالا لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة له ولا فاقة أعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أن الفقير الذي له ما يأكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي أفقير أنت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل وأجيب بأنه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه انما النزاع في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله أعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء أجور أمثالهم لانها أجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح أن الهاشمي والمطلبي لا يجوز أن يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ان يبعث أبا رافع عاملا على الصدقات وقال أما علمت أن مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسليط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في أن الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة أو لا حق له لخروجه عن الاصناف والجمهور على أن العامل يأخذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك أجرة عمله وعن الحسن أنه لا يأخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم أشراف من الاحياء أعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم أبو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن أعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة وان لم يكن ما أعطاهم من الافوات الصدقات ويروى ان أبا بكر الصديق أعطى عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه أيام الردة والذي استقر عليه رأي الأئمة ان المؤلفة ثلاثة أقسام ضعيف النية في الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتألف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكاة حيث

يكون ذلك أهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما رأى الامام باجتهاده هـذا كله اذا كانوا مسلمين فأما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتألفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيأ من الزكاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطيهم من خمس الخمس والآن لا يعطون أصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تألفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على أن المؤلفة يجوز أن يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب وللائمة فى تفسيره أقوال فعن ابن عباس أنهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بأن لا يكون لهم شئ أو لا يفى ما فى أيديهم بنجومهم صرف اليهم أو الى سيدهم باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك وأحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن أبى حنيفة وأصحابه وهو قول سعيد بن جبير والنخعى انه لا يعتق من الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك ينافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى فى لأن الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصفات التى لاجلها استحقوا سهم الزكاة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق أو الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال الى اعداد ما يحتاج اليه فى الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان فى للوعاء فنبه به على أنهم أحقاء بأن يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين * الصنف السادس الغارمون قال الزجاج أصل الغرم لزوم ما يستحق

الاقوال عندى بالصواب قول من قال الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسئلة الناس والتذلل لهم فى هـذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسئلتهم وانما قلنا ان ذلك كذلك وان كان الفريقان لم يعطيا الا بالفقر والحاجة دون الذلة والمسكنة لاجماع الجميع من أهل العلم أن المسكين انما يعطى من الصدقة المفروضة بالفقر وأن معنى المسكنة عند العرب الذلة كما قال الله جل ثناؤه وضربت عليهم الذلة والمسكنة يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر فاذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسما بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوما أن كل صنف منهم غير الآخر واذ كان ذلك كذلك كان لا شك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطى ذلك باسم الفقير المطلق هو الذى لا مسكنة فيه والمعطى باسم المسكنة والفقر هو الجامع الى فقره المسكنة وهى الذل بالطلب والمسئلة فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه انما الصدقات للفقراء المتعفف منهم الذى لا يسأل والمتذلل منهم الذى يسأل وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذى قلنا فى ذلك خبر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن شريك بن أبى نمر عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم انما المسكين المتعفف على نحو ما قد جرى به استعمال الناس من تسميتهم أهل الفقر مساكين لا على تفصيل المسكين من الفقير ومما ينبئ عن أن ذلك كذلك انتزاعه صلى الله عليه وسلم لقول الله اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وذلك فى صفة من ابتدأ الله ذكره ووصفه بالفقر فقال للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وقوله والعاملين عليها وهم السعاة فى قبضها من أهلها ووضعها فى مستحقيها يعطون ذلك بالسعاية أغنياء كانوا أو فقراء وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن العاملين عليها فقال السعاة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والعاملين عليها قال جباتها الذين يجمعونها ويسعون فيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والعاملين عليها الذى يعمل عليها ثم اختلف أهل التأويل فى قدر ما يعطى العامل من ذلك فقال بعضهم يعطى منه الثمن ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن عن حسن بن صالح عن جويبر عن الضحاك قال للعاملين عليها الثمن من الصدقة حدثت عن مسلم بن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله والعاملين عليها قال يأكل العمال من السهم الثامن * وقال آخرون بل يعطى على قدر عمالته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عبد الوهاب بن عطاء عن الاخضر بن عجلان قال ثنا عطاء بن زهير العامرى عن أبيه أنه لقى عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله عن الصدقة أى مال هى فقال مال العرجان والعوران والعميان وكل منقطع به فقال له ان للعاملين حقا والمجاهدين قال ان المجاهدين قوم أحل لهم والعاملين عليها على قدر عمالتهم ثم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة

وسمي العشق غراما لكونه أمرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين غرما لانه شاق لازم فالغارمون المديونون والدين ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية أو لاصلاح ذات البين وان كان متمولا أو للضمان ان أعسر هو والاصيل وكل داخل في الآية روى الاصم في تفسيره

أنه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يارسول الله فقال لحمد ابن مالك أعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمد على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض أعطى الباقي * الصنف السابع قوله في سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك وأحمد واسحق وأبي عبيد وقال أبو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء أنهم أجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله * الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لا لأجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد أو موضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر الشاخص من وطنه أو من بلد كان مقيما به منشئا للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله أعلم ولنذكر طرفا من أحكام هذه الاصناف * الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكاة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع آخر خذ من أموالهم صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال تدخل والفائدة أن تعلم أن مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف قال والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكاة ولان الآية تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه أخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى ولان الصدقات تتصرف

سوى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يكون للعامل عليها ان عمل بالحق ولم يكن عمر رحمه الله تعالى ولا أولئك يعطون العامل الثمن انما يفرضون له بقدر عمالته حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والعاملين عليها قال كان يعطى العاملون * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال يعطى العامل عليها على قدر عمالته وأجر مثله وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان الله جل ثناؤه لم يقسم صدقة الاموال بين الاصناف الثمانية على ثمانية أسهم وانما عرف خلقه أن الصدقات لن تجاوز هؤلاء الاصناف الثمانية الى غيرهم واذ كان كذلك بما سنوضح بعد وبما قد أوضحناه في موضع آخر كان معلوما أن من أعطى منها حقا فانما يعطى على قدر اجتهاد المعطي فيه واذا كان ذلك كذلك وكان العامل عليها انما يعطى على عمله لا على الحاجة التي تزول بالعطية كان معلوما أن الذي أعطاه من ذلك انما هو عوض من سعيه وعمله وأن ذلك انما هو قدر ما يستحقه عوضا من عمله الذي لا يزول بالعطية وانما يزول بالعزل وأما المؤلفة قلوبهم فانهم قوم كانوا يتألفون على الاسلام ممن لم تصح نصرته استصلاحا به نفسه وعشيرته كأبي سفيان بن حرب وعيينة بن بدر والاقرع بن حابس ونظرائهم من رؤساء القبائل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والمؤلفة قلوبهم وهم قوم كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلموا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرضخ لهم من الصدقات فاذا أعطاهم من الصدقات فأصابوا منها خيرا قالوا هذا دين صالح وان كان غير ذلك عابوه وتركوه حدثنا عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن يحيى بن أبي كثير ان المؤلفة قلوبهم من بني أمية أبو سفيان بن حرب ومن بني مخزوم الحرث بن هشام وعبد الرحمن بن يربوع ومن بني جمح صفوان ابن أمية ومن بني عامر بن لؤي سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومن بني أسد بن عبد العزى حكيم بن حزام ومن بني هاشم سفيان بن الحرث بن عبد المطلب ومن بني فزارة عيينة ابن حصن بن بدر ومن بني تميم الاقرع بن حابس ومن بني نصر مالك بن عوف ومن بني سليم العباس بن مرداس ومن ثقيف العلاء بن حارثة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم كل رجل منهم مائة ناقة الا عبد الرحمن بن يربوع وحويطب بن عبد العزى فانه أعطى كل رجل منهم خمسين حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الزهري قال قال صفوان بن أمية لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه لأبغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لأحب الناس الي حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ناس كان يتألفهم بالعطية عيينة بن بدر ومن كان معه حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن يونس عن الحسن والمؤلفة قلوبهم الذين يؤلفون على الاسلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما المؤلفة قلوبهم فأناس من الاعراب ومن غيرهم كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يتألفهم بالعطية كيما يؤمنوا حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهري عن قوله والمؤلفة قلوبهم فقال من أسلم من يهودي أو نصراني قلت وان كان غنيا

الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة فى قوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات * الحكم الثانى فى الآية دلالة على أن الزكاة انما يتولى أخذها الامام أو نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذى نصبه الامام لاخذ الزكوات ويتأكد هذا النص بقوله خذ من أموالهم صدقة فالقول بأن المالك يجوز له اخراج زكاة الاموال الباطنة بنفسه انما

يعرف بدليل آخر كقوله وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب أن يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق بنفسه أفضل * الحكم الثالث مذهب أبى حنيفة أنه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وأبى العالية والنخعى لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم أن يكون كل جزء من أجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذى لا يملك الا عشرين دينارا فأخرج نصف دينار لو كلفناه أن يقسمه على أربعة وعشرين لدفع كل ثلاثة منهم الى ثلاثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فى مهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى وقال الشافعى لابد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهرى وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بأن الله تعالى ذكر هذه القسمة فى نص الكتاب ثم أكدها بقوله فريضة من الله وهو فى معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء فى قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبى مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله (والله عليم) أى بمقادير الانصباء والمصالح (حكيم) لا يفعل الا ما هو الاصوب والاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط فى صرف الزكاة ومن ههنا قال الشافعى لابد فى كل صنف من ثلاثة لانه تعالى ذكر أكثر الاصناف بلفظ الجمع وأقل الجمع ثلاثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين

قال وان كان غنيا حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا معقل بن عبيد الله الحرانى عن الزهرى والمؤلفة قلوبهم قال من هو يهودى أو نصرانى * ثم اختلف أهل العلم فى وجود المؤلفة اليوم وعدمها وهل يعطى اليوم أحد على التألف على الاسلام من الصدقة فقال بعضهم قد بطلت المؤلفة قلوبهم اليوم ولا سهم لأحد فى الصدقة المفروضة الا لذى حاجة اليها وفى سبيل الله أو لعامل عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا جرير عن أشعث عن الحسن والمؤلفة قلوبهم قال أما المؤلفة قلوبهم فليس اليوم حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عامر قال لم يبق فى الناس اليوم من المؤلفة قلوبهم انما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال ثنا عبد الرحمن ابن يحيى عن حبان بن أبى جبلة قال قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأتاه عيينة بن حصن الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر أى ليس اليوم مؤلفة حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا مبارك عن الحسن قال ليس اليوم مؤلفة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن عامر قال انما كانت المؤلفة قلوبهم على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فلما ولى أبو بكر رحمة الله تعالى عليه انقطعت الرشا * وقال آخرون المؤلفة قلوبهم فى كل زمان وحقهم فى الصدقات ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال فى الناس اليوم المؤلفة قلوبهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر مثله * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى أن الله جعل الصدقة فى معنيين أحدهما سد خلة المسلمين والآخر معونة الاسلام وتقويته فما كان فى معونة الاسلام وتقوية أسبابه فانه يعطاه الغنى والفقير لانه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه اليه وانما يعطاه معونة للدين وذلك كما يعطى الذى يعطاه بالجهاد فى سبيل الله فانه يعطى ذلك غنيا كان أو فقيرا للغزو لا لسد خلته وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك وان كانوا أغنياء استصلاحا باعطائهموه أمر الاسلام وطلب تقويته وتأييده وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الاسلام وعز أهله فلا حجة لمحتج بأن يقول لا يتألف اليوم على الاسلام أحد لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم وقد أعطى النبى صلى الله عليه وسلم من أعطى منهم فى الحال التى وصفت وأما قوله وفى الرقاب فان أهل التأويل اختلفوا فى معناه فقال بعضهم وهم الجمهور الاعظم هم المكاتبون يعطون منها فى فك رقابهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن الحسن أن مكاتبا قام الى أبى موسى الاشعرى رحمه الله تعالى وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال له أيها الامير حث الناس على فحث عليه أبو موسى فألقى الناس عليه عمامة وملاءة وخاتما حتى ألقوا سوادا كثيرا فلما رأى أبو موسى ما ألقى عليه قال اجمعوه فجمع ثم أمر به فبيع فأعطى المكاتب مكاتبته ثم أعطى الفضل فى الرقاب ولم يرده على الناس وقال انما أعطى الناس فى الرقاب حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن

قوله وفى الرقاب قال المكاتبون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى الرقاب قال المكاتب حدثنا ابن وكيع قال ثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن وفى الرقاب قال هم المكاتبون * وروى عن ابن عباس أنه قال لا بأس أن تعتق الرقبة من الزكاة * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندى قول من قال عنى بالرقاب فى هذا الموضع المكاتبون لاجماع الحجة على ذلك فان الله جعل الزكاة حقا واجبا على من أوجبها عليه فى ماله يخرجها منه لا يرجع اليه منها نفع من عرض الدنيا ولا عوض والمعتق رقبة منها راجع اليه ولاء من أعتقه وذلك نفع يعود اليه منها * وأما الغارمون فالذين استدانوا فى غير معصية الله ثم لم يجدوا قضاء فى عين ولا عرض وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد قال الغارمون من احترق بيته أو يصيبه السيل فيذهب متاعه ويدان على عياله فهذا من الغارمين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن عثمان بن الاسود عن مجاهد فى قوله والغارمين قال من احترق بيته وذهب السيل عاله وادان على عياله حدثنا أحمد قال ثنا اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمين المستدين فى غير سرف ينبغى للامام أن يقضى عنهم من بيت المال * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألنا الزهرى عن الغارمين قال أصحاب الدين * قال ثنا معقل عن عبد الكريم قال ثنى خادم لعمر ابن عبد العزيز خدمه عشرين سنة قال كتب عمر بن عبد العزيز أن يعطى الغارمون قال أحمد أكثرظنى من الصدقات * قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون المستدين فى غير سرف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أما الغارمون فقوم غرقتهم الديون فى غير املاق ولا تبذير ولا فساد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الغارم الذى يدخل عليه الغرم حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى ابن يمان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد والغارمين قال هو الذى يذهب السيل والحريق عاله ويدان على عياله * قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال المستدين فى غير فساد * قال ثنى أبى عن اسرائيل عن جابر عن أبى جعفر قال الغارمون الذين يستدينون فى غير فساد ينبغى للامام أن يقضى عنهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عثمان بن الاسود عن مجاهد هم قوم ركبتهم الديون فى غير فساد ولا تبذير فجعل الله لهم فى هذه الآية سهما وأما قوله وفى سبيل الله فانه يعنى وفى النفقة فى نصرة دين الله وطريقه وشريعته التى شرعها لعباده بقتال أعدائه وذلك هو غزو الكفار وبالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وفى سبيل الله قال الغازى فى سبيل الله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة رجل عمل عليها أو رجل اشتراها بماله أو فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار تصدق عليه فأهداها له * قال ثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى الا لثلاثة

غرم للثالث أقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل فى أفراد الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فتسهل التسوية بينهم * الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان فى زماننا فبقى ان تصرف الزكاة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف فى بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجدوا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعى أما اذا لم يفعل ذلك فانها مجزئة عند سائر الأئمة أما الحكمة فى ايجاب الزكاة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق فى حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التأهب للآخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكاة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله خذ من أموالهم صدقة تطهرهم أى عن دنس الاستغراق فى حب المال وأيضا ان كثرة الاموال توجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فتصير المسألة دورية لا مقطع لها ولا آخر فاثبت الشرع لها مقطعا وآخرا وهو صرف طائفة من المال فى طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلمانى الذى لا آخر له ويفضى فى الاغلب الى الطغيان وقساوة القلب وأيضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها فى التعظيم لامر الله وعملية وكمالها فى الشفقة على خلق الله فأوجب الله الزكاة لتتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محسنا الى الخلق واذا أحسن اليهم أمدوه بالدعاء والهمة وأيضا المال سمى مالا لكثرة ميل كل أحد اليه وهو غاد ورائح فى سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا أنفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشئ لا به لان الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين ففى الامر بالزكاة نقل للانسان من درجة

أدنى الى درجة أعلى وأيضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح فى الاستغراق فى بحار معرفة الله وبذل البدن فى العبودية لله والصلاة له فكيف يليق به أن لا يبذل المال فى ابتغاء مرضاته وأيضا اذا فضل المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال أما فى حق المالك فهو أنه سعى فى اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به وأما فى حق الفقير فلاحتياجه الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فأبقى عليه الكثير وأمر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل فى الوجود وأيضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا أنه ألقاها فى أيديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملء بطنه وكم من غافل تأتيه الدنيا عفوا صفوا وليس بمستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال خزانتى الى المحتاجين من عبيدى وأيضا ان الاغنياء لو لم يلزموا باصلاح مهمات الفقراء فربما حملتهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها أو على الالتحاق باعداء المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكأن الله تعالى يقول للغنى أعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فأخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فتصير من الصابرين ويقول للفقير ما أعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكنى أوجبت على الغنى ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكرنى فتكون من الشاكرين وأيضا أراد الله سبحانه ان يكون الغنى منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغنى بما قبله منه ليحصل الخلاص له فى الدنيا من الذم والعار وفى الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجه الطعن والذم (هو اذن) عن ابن عباس كانوا يؤذون النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغى

فى سبيل الله أو ابن السبيل أو رجل كان له جار فتصدق عليه فأهداها له وأما قوله وابن السبيل فالمسافر الذى يجتاز من بلد الى بلد والسبيل الطريق وقيل للضارب فيه ابن السبيل للزومه اياه كما قال الشاعر

أنا ابن الحرب ربتنى وليدا * الى أن شبت واكتهلت لداتى

وكذلك تفعل العرب تسمى اللازم للشئ يعرف بابنه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال ابن السبيل المجتاز من أرض الى أرض حدثنا أحمد بن اسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا مندل عن ليث عن مجاهد وابن السبيل قال لابن السبيل حق من الزكاة وان كان غنيا اذا كان منقطعا به حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا معقل بن عبيد الله قال سألت الزهرى عن ابن السبيل قال يأتى على ابن السبيل وهو محتاج قلت فان كان غنيا قال وان كان غنيا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وابن السبيل الضيف جعل له فيها حق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن السبيل المسافر من كان غنيا أو فقيرا اذا أصيبت نفقته أو فقدت أو أصابها شئ أو لم يكن معه شئ فحقه واجب حدثنا أحمد قال ثنا أبو أحمد قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك أنه قال فى الغنى اذا سافر فاحتاج فى سفره قال يأخذ من الزكاة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن جابر عن أبى جعفر قال ابن السبيل المجتاز من الارض الى الارض وقوله فريضة من الله يقول جل ثناؤه قسم قسمه الله لهم فأوجبه فى أموال أهل الاموال لهم والله عليم بمصالح خلقه فيما فرض لهم وفى غير ذلك لا يخفى عليه شئ فعلى علم منه فرض ما فرض من الصدقة وبما فيها من المصلحة حكيم فى تدبيره خلقه لا يدخل فى تدبيره خلل * واختلف أهل العلم فى كيفية قسم الصدقات التى ذكرها الله فى هذه الآية وهل يجب لكل صنف من الاصناف الثمانية فيها حق أو ذلك الى رب المال ومن يتولى قسمها فى أن له أن يعطى جميع ذلك من شاء من الاصناف الثمانية فقال عامة أهل العلم للمتولى قسمها وضعها فى أى الاصناف الثمانية شاء وانما سمى الله الاصناف الثمانية فى الآية اعلاما منه خلقه أن الصدقة لا تخرج من هذه الاصناف الثمانية الى غيرها لا ايجابا لقسمها بين الاصناف الثمانية الذين ذكرهم الله تعالى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن الحجاج بن أرطاة عن المنهال بن عمرو عن زر بن حبيش عن حذيفة فى قوله انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال ان شئت جعلته فى صنف واحد أو صنفين أو لثلاثة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن الحجاج عن المنهال عن زر عن حذيفة قال اذا وضعتها فى صنف واحد أجزأ عنك * قال ثنا جرير عن ليث عن عطاء عن عمر انما الصدقات للفقراء قال أيما صنف أعطيته من هذا أجزأك * قال ثنا ابن نمير عن عبد الملك عن عطاء انما الصدقات للفقراء الآية قال لو وضعتها فى صنف واحد من هذه الاصناف أجزأك ولو نظرت الى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب الى * قال أخبرنا جرير عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين وابن السبيل فأى صنف أعطيته من هذه الاصناف

أجزأك * قال ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله * قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها قال انما هذا شئ أعلمه فأى صنف من هذه الاصناف أعطيته أجزأ عنك * قال ثنا أبى عن شعبة عن الحكم عن ابراهيم انما الصدقات للفقراء قال فى أى هذه الاصناف وضعتها أجزأك * قال ثنا أبى عن سفيان عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك * قال ثنا أبى عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال اذا وضعتها فى صنف واحد مما سمى الله أجزأك * قال ثنا خالد بن حيان أبو يزيد عن جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران انما الصدقات للفقراء قال اذا جعلتها فى صنف واحد من هؤلاء أجزأ عنك * قال ثنا محمد بن بشر عن مسعود عن عطاء عن سعيد بن جبير انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية قال أعلم أهلها من هم * قال ثنا حفص عن ليث عن عطاء عن عمر أنه كان يأخذ الفرض فى الصدقة ويجعلها فى صنف واحد * وكان بعض المتأخرين يقول اذا تولى رب المال قسمها كان عليه وضعها فى ستة أصناف وذلك أن المؤلفة قلوبهم عنده قد ذهبوا وان سهم العاملين يبطل بقسمه اياها ويزعم انه لا يجزيه أن يعطى من كل صنف أقل من ثلاثة أنفس وكان يقول ان تولى قسمها الامام كان عليه أن يقسمها على سبعة أصناف لا يجزى عنده غير ذلك ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه ويقولون هو أذن سامعة يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدقه وهو من قولهم رجل أذنة مثل فعلة اذا كان يسرع الاستماع والقبول كما يقال هو يقن ويقن اذا كان ذا يقين بكل ما حدث وأصله من أذن له يأذن اذا استمع له ومنه الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ومنه قول عدى بن زيد

أيها القلب تعلل بددن * ان همى فى سماع وأذن

وذكر أن هذه الآية نزلت فى ربيع (١) بن الحرث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله عيبهم يعنى المنافقين وأذاهم للنبى صلى الله عليه وسلم فقال ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن الآية وكان الذى يقول تلك المقالة فيما بلغنى نبتل بن الحرث أخو بنى عمرو بن عوف وفيه نزلت هذه الآية وذلك أنه قال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه يقول الله قل أذن خير لكم أى يسمع الخير ويصدق به واختلفت القراء فى قراءة قوله قل أذن خير لكم فقرأ ذلك عامة قراء الامصار قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير يعنى قل لهم يا محمد هو أذن خير لا أذن شر وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك قل أذن خير لكم بتنوين أذن ويصير خير خبرا له بمعنى قل من يسمع منكم أيها المنافقون ما تقولون ويصدقكم ان كان محمد كما وصفتموه من أنكم اذا آذيتموه فأنكرتم ما ذكر له عنكم من أذاكم اياه وعيبكم له سمع منكم وصدقكم خير لكم من أن يكذبكم ولا يقبل منكم ما تقولون ثم كذبهم فقال بل لا يقبل الا من المؤمنين يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين * قال أبو جعفر والصواب من القراءة عندى فى ذلك قراءة من قرأ قل أذن خير لكم باضافة الاذن الى الخير

(١) لعله نبتل بن الحرث كما فى الأثر بعد وكما فى كتب التفسير الأخرى وحرر كتبه مصححه

فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيحلف له فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا انما نقول فانما محمد أذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان رجلا أحمر العينين أسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم من أراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبى صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد أذن من حدثه شيأ صدقه نقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فأرادوا ان يقعوا فى النبى صلى الله عليه وسلم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره فدعاهم فسألهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر أنهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى يتبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذى يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين وفسر ايذاءهم النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم يقولون له هو أذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وأنه ليس ذا ذكاء ولا بعيد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز أن يراد بالايذاء أنواع أخر سوى هذا القول أى يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر أنواع الاذية ويقولون فى وجه الاعتذار عن ذلك هو أذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه أجاب عن قولهم فقال (قل أذن خير لكم) بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة فهو وخفض الملابسة كأنه قيل نعم هو أذن ولكن نعم الاذن اذ أريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك ثم يؤيده

وخفض الخير يعنى قل هو أذن خير لكم لا أذن شر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن يسمع من كل أحد حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قال كانوا يقولون انما محمد أذن لا يحدث عنا شيأ الا هو أذن يسمع ما يقال له حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ويقولون هو أذن نقول ماشئنا ونحلف فيصدقنا حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هو أذن قال يقولون نقول ماشئنا ثم نحلف له فيصدقنا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه وأما قوله يؤمن بالله فانه يقول يصدق بالله وحده لا شريك له وقوله ويؤمن للمؤمنين يقول ويصدق المؤمنين لا الكافرين ولا المنافقين وهذا تكذيب من الله للمنافقين الذين قالوا محمد أذن يقول جل ثناؤه انما محمد صلى الله عليه وسلم مستمع خير يصدق بالله وبما جاءه من عنده ويصدق المؤمنين لا أهل النفاق والكفر بالله وقيل ويؤمن للمؤمنين معناه ويؤمن المؤمنين لان العرب تقول فيما ذكر لنا عنها آمنت له وآمنته بمعنى صدقته كما قيل ردف لكم بعض الذى تستعجلون ومعناه ردفكم وكما قال الذين هم لربهم يرهبون ومعناه الذين هم ربهم يرهبون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنى عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يعنى يؤمن بالله ويصدق المؤمنين وأما قوله ورحمة للذين آمنوا منكم فان القراء اختلفت فى قراءته فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ورحمة للذين آمنوا بمعنى قل هو أذن خير لكم وهو رحمة للذين آمنوا منكم فرفع الرحمة عطفا بها على الاذن وقرأه بعض الكوفيين ورحمة عطفا بها على الخير بتأويل قل أذن خير لكم وأذن رحمة * قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأه ورحمة بالرفع عطفا بها على الاذن بمعنى وهو رحمة للذين آمنوا منكم وجعله الله رحمة لمن اتبعه واهتدى بهداه وصدق بما جاء به من عند ربه لان الله استنقذهم به من الضلالة وأورثهم باتباعه جناته ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) يقول تعالى ذكره لهؤلاء المنافقين الذين يعيبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون هو أذن وأمثالهم من مكذبيه والقائلين فيه الهجر والباطل عذاب من الله موجع لهم فى نار جهنم ﴿القول فى تأويل قوله﴾ (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله صلى الله عليه وسلم يحلف لكم أيها المؤمنون هؤلاء المنافقون بالله ليرضوكم فيما بلغكم عنهم من أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرهم اياه بالطعن عليه والعيب له ومطابقتهم سرا أهل الكفر عليكم بالله والايمان الفاجرة انهم ما فعلوا ذلك وانهم لعلى دينكم ومعكم على من خالفكم يبتغون بذلك رضاكم يقول الله جل ثناؤه والله ورسوله أحق أن يرضوه بالتوبة والانابة مما قالوا ونطقوا ان كانوا مؤمنين يقول ان كانوا مصدقين بتوحيد الله مقرين بوعده ووعيده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا

قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام أى هو أذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه أذن خير بانه (يؤمن بالله) أى يقربه ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من أهل الغرة والبله (و) هو (رحمة للذين آمنوا منكم) باللسان دون الجنان لانه يجرى أمركم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذى يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) وأما من قرأ أذن خير بالرفع فيهما فعلى ان الاذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك أى هو أذن هو خير والمعنى هو أذن موصوف بالخيرية فى حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فتحفظ بذلك دماؤكم وأموالكم وقيل التقدير قل أذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله (يؤمن بالله) الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان قوله أذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال وتأويله قل هو أذنا خير لكم ثم ذكر أن من قبائح المنافقين اقدامهم على الأيمان الكاذبة فقال (يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه) أى كان من الواجب أن يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستسرون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر أو المراد والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك أو وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضا الله ورضا رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشنى ومعنى (ان كانوا مؤمنين) أى بزعمهم ثم وبخهم بقوله (ألم يعلموا) وذلك أنه يقال ذلك لمن تتوغل فى تعلمه مدة ثم لم يظهر عليه أثر العلم والرشد وكان النبى صلى الله عليه وسلم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله (أنه) للشأن وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال أبو مسلم هى من الحديد حديد السلاح ثم ذكر فى الجزاء قوله (فان له) بالفتح أى فحق أن

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم الآية ذكر لنا أن رجلا من المنافقين قال والله ان هؤلاء لخيارنا وأشرافنا وان كان ما يقول محمد حقا لهم شر من الحمير قال فسمعها رجل من المسلمين فقال والله ان ما يقول محمد حق ولأنت شر من الحمار فسعى بها الرجل الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل الى الرجل فدعاه فقال له ما حملك على الذي قلت فجعل يلتعن ويحلف بالله ما قال ذلك قال وجعل الرجل المسلم يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فأنزل الله في ذلك يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يحلفون بالله كذبا للمؤمنين ليرضوهم وهم مقيمون على النفاق أنه من يحارب الله ورسوله ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما فأن له نار جهنم في الآخرة خالدا فيها يقول لابثا فيها مقيما الى غير نهاية ذلك الخزي العظيم يقول فلبثه في نار جهنم وخلوده فيها هو الهوان والذل العظيم وقرأت القراء فأن بفتح الالف من أن بمعنى ألم يعلموا أن لمن حاد الله ورسوله نار جهنم وأعمال يعلموا فيها كأنهم جعلوا أن الثانية مكررة على الاولى واعتمدوا عليها اذ كان الخبر معها دون الاولى وقد كان بعض نحويي البصرة يختار الكسر في ذلك على الابتداء بسبب دخول الفاء فيها وان دخولها فيها عنده دليل على أنها جواب الجزاء وانها اذا كانت جواب الجزاء كان الاختيار فيها الابتداء والقراءة التي لا أستجيز غيرها فتح الالف في كلا الحرفين أعني أن الاولى والثانية لان ذلك قراءة الامصار وللعلة التي ذكرت من جهة العربية ۞ القول في تأويل قوله ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون﴾ يقول تعالى ذكره يخشى المنافقون أن تنزل فيهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم يقول تظهر المؤمنين على ما في قلوبهم وقيل ان الله أنزل هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المنافقين كانوا اذا عابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكروا شيأ من أمره وأمر المسلمين قالوا لعل الله لا يفشي سرنا فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم استهزؤا متهددا لهم متوعدا ان الله مخرج ما تحذرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة قال يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي سرنا علينا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله الا أنه قال سرنا هذا وأما قوله ان الله مخرج ما تحذرون فانه يعني به ان الله مظهر عليكم أيها المنافقون ما كنتم تحذرون أن تظهروه فأظهر الله ذلك عليهم وفضحهم فكانت هذه السورة تدعى الفاضحة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت تسمى هذه السورة الفاضحة فاضحة المنافقين ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن﴾ يقول تعالى جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما قالوا من الباطل والكذب ليقولن لك انما قلنا ذلك لعبا وكنا نخوض في حديث لعبا وهزوا يقول الله لمحمد صلى الله

له (نار جهنم) وقيل أن مكرر للتأكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على أنه وجواب من محذوف وهو يهلك قال الزجاج يجوز كسران على الاستئناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره أنه قرئ بالكسر قال السدي، قال بعض المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شيء فيفضحنا فأنزل الله تعالى (يحذر المنافقون) وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي تنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين ويجوز أن تكون الضمائر كلها للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكأنها تخبر عما في بواطنهم وتذيع عليهم أسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحي لانه غير قائل به وأجيب بأنهم عرفوا ذلك بالتجربة أو كفرهم كان كفر عناد أو كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في أمر خائف من وقوعه أو هذا الخبر في معنى الامر أي ليحذر المنافقون عن أبي مسلم أنهم أظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا أجابهم الله بقوله (استهزؤا) وهو أمر تهديد (ان الله مخرج ما تحذرون) مظهر ما تحذرونه من نفاقكم أو محصل انزال السورة لان الشيء اذا حصل بعد عدم فكأن فاعله أخرجه من العدم الى الوجود قوله (ولئن سألتهم) الآية عن ابن عمر أن رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رأيت مثل هؤلاء القراء أرغب بطونا أي أوسع ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله وأصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وأنت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انا كنا نلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رأيت عبد الله بن أبي يشتد قدام رسول الله صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا

الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال
قلتم كذا وكذا فقالوا يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدى أصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى أطلق
على كل دخول فيه تلويث وأذى أى كنا نخوض فى الباطل كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم أمر نبيه بأن يقول فى جوابهم
(أبالله) أى بتكاليفه أو بأسمائه أو بقدرته حيث استبعدتم اعانته النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه على فتح قصور الشام (وآياته) يعنى القرآن (ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كأنهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فأوقع الانكار على الاستهزاء بالله بأن أولى الاستفهام الذى يفيد التقرير المستهزأ به ولم يقل أتستهزؤن بالله ثم قال (لا تعتذروا) نقل الواحدى عن أئمة اللغة أن معنى الاعتذار محو أثر الذنب أو قطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لأنها تعذر أى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض واللعب لان الشئ الذى يوجب الكفر لا يصلح العذر ثم بين ذلك بقوله (قد كفرتم) أى صرحا (بعد ايمانكم) أى بعد الايمان الذى أظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى فى الايمان هو التعظيم لامر الله والشرائعه (ان نعف عن طائفة منكم) ذكر المفسرون أنهم كانوا ثلاثة استهزأ اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك أخف لانه لم يوافق القوم فى الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى أنه من خاض فى عمل باطل فعليه أن يجتهد فى التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى له ببركة
ذلك القليل أن يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة فى اللغة الجماعة لانها المقدار الذى يمكنه أن يطيف بالشئ ثم يجوز أن يسمى الواحد
بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وأقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس أنه قال الطائفة الواحد فما فوقه
ووجهه بأن من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد أن يسمى طائفة بهذا السبب والتاء للمبالغة وقال ابن الانبارى

عليه وسلم قل يا محمد أبالله وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن وكان ابن اسحق يقول الذى قال
هذه المقالة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال هذه المقالة فيما
بلغنى وديعة بن ثابت أخو بنى أمية بن زيد من بنى عمرو بن عوف حدثنا على بن داود قال ثنا
عبد الله بن صالح قال ثنا الليث قال ثنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم أن رجلا من المنافقين
قال لعوف بن مالك فى غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء
فقال له عوف كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه فقال زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه متعلقا
بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب فيقول له النبى
صلى الله عليه وسلم أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن ما يزيده * قال ثنى هشام بن سعد عن
زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رجل فى غزوة تبوك فى مجلس ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء
أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء فقال رجل فى المجلس كذبت ولكنك منافق
لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ونزل القرآن قال عبد الله
ابن عمر فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة وهو يقول
يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية
قال أخبرنا أيوب عن عكرمة فى قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله
بأنهم كانوا مجرمين قال فكان رجل ممن ان شاء الله عفا عنه يقول اللهم انى أسمع آية أنا أعنى بها
تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت
أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فما أحد من المسلمين الا وجد غيره حدثنا بشر قال
ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الآية قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوته الى تبوك وبين يديه ناس من المنافقين فقالوا أيرجو
هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على
ذلك فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم فقال قلتم كذا قلتم كذا
قالوا يانبى الله انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم ما تسمعون حدثنا محمد
ابن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه
فقالوا أيظن هذا أن يفتح قصور الروم وحصونها فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ما قالوا
فقال على بهؤلاء النفر فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فحلفوا ما كنا الا نخوض ونلعب حدثنا
الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قالوا قال رجل
من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء فرفع ذلك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ارتحل وركب ناقته
فقال يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب فقال أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن الى قوله

مجرمين وان رجليه لتسفعان بالحجارة وما يلتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انما كنا نخوض ونلعب قال قال رجل من المنافقين يحدثنا محمد أن ناقة فلان بوادي كذا وكذا في يوم كذا وكذا وما يدريه ما الغيب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه ۞ القول في تأويل قوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الذين وصفت لك صفتهم لا تعتذروا بالباطل فتقولوا كنا نخوض ونلعب قد كفرتم يقول قد جحدتم الحق بقولكم ما قلتم في رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به بعد ايمانكم يقول بعد تصديقكم به واقراركم به ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة وذكر أنه عني بالطائفة في هذا الموضع رجل واحد وكان ابن اسحق يقول فيما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذي عفي عنه فيما بلغني مخشي بن حمير الأشجعي حليف بني سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع حدثنا ابن وكيع قال ثنا زيد بن حبان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب ان نعف عن طائفة منكم قال طائفة رجل * واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ان نعف عن طائفة منكم بانكاره ما أنكر عليكم من قبل الكفر نعذب طائفة بكفره واستهزائه بآيات الله ورسوله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال قال بعضهم كان رجل منهم لم يمالئهم في الحديث فسير مجانبا لهم فنزلت ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة فسمي طائفة وهو واحد * وقال آخرون بل معنى ذلك ان تتب طائفة منكم فيعفو الله عنه يعذب الله طائفة منكم بترك التوبة وأما قوله انهم كانوا مجرمين فان معناه نعذب طائفة منهم باكتسابهم الجرم وهو الكفر بالله وطعنهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞ القول في تأويل قوله (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون) يقول تعالى ذكره المنافقون والمنافقات وهم الذين يظهرون للمؤمنين الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر بالله ورسوله بعضهم من بعض يقول هم صنف واحد وأمرهم واحد في اعلانهم الايمان واستبطانهم الكفر يأمرون من قبل منهم بالمنكر وهو الكفر بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتكذيبه وينهون عن المعروف يقول وينهونهم عن الايمان بالله ورسوله وبما جاءهم به من عند الله وقوله ويقبضون أيديهم يقول ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله ويكفونها عن الصدقة فيمنعون الذين فرض الله لهم في أموالهم ما فرض من الزكاة حقوقهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ويقبضون أيديهم قال لا يبسطونها بنفقة في حق حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه

حدثنا

العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا الطائفة الثانية (بأنهم كانوا مجرمين) أي مصرين مستمرين على الجرم ويجوز أن يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز أن يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ أن يعف على البناء للمفعول والتذكير فلأنه مسند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتأنيث ذهابا الى المعنى كأنه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة أحوال المنافقين وان اناثهم في ذلك كذكورهم فقال (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أي في صفة النفاق وأريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يأمرون بالمنكر) وهو كل قبيح عقلا أو شرعا وأعظم ذلك تكذيب الله ورسوله (وينهون عن المعروف) وهو كل حسن عقلا أو شرعا وأعظم ذلك الاخلاص في الايمان (ويقبضون أيديهم) عن كل خير أو عن كل واجب كصدقة أو زكاة أو انفاق في سبيل الله وهذا أولى ليتوجه الذم بتركه وقبض الأيدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء (نسوا الله) أغفلوا أمره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم (فنسيهم) جازاهم بأن صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيأ لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال (ان المنافقين هم الفاسقون) وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وأن على المسلم أن يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مآل حال أهل النفاق والكفر فقال (وعد الله) الآية ومعنى (خالدين فيها) مقدرين الخلود فيها قاله في الكشاف ويحتمل أن يراد مستأهلين للخلود (هي حسبهم) كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون العذاب مقرونا بالاهانة والطرد (ولهم عذاب مقيم) نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار أو عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويقبضون أيديهم لا يبسطونها بخير حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ويقبضون أيديهم قال يقبضون أيديهم عن كل خير وأما قوله نسوا الله فنسيهم فان معناه تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته * وقد دللنا فيما مضى على أن معنى النسيان الترك بشواهده فاغنى ذلك عن اعادته ههنا وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله نسوا الله فنسيهم نسوا من الخير ولم ينسوا من الشر قوله أن المنافقين هم الفاسقون يقول ان الذين يخادعون المؤمنين باظهارهم لهم بالسنتهم الايمان بالله وهم للكفر مستبطنون هم المفارقون طاعة الله الخارجون عن الايمان به وبرسوله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هى حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار بالله نار جهنم أن يصلوها جميعا خالدين فيها يقول ماكثين فيها أبدا لا يحيون فيها ولا يموتون هى حسبهم يقول هى كافيتهم عقابا وثوابا على كفرهم بالله ولعنهم الله يقول وأبعدهم الله وأسحقهم من رحمته ولهم عذاب مقيم يقول وللفريقين جميعا يعنى من أهل النفاق والكفر عند الله عذاب مقيم دائم لا يزول ولا يبيد ۞ القول فى تأويل قوله ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب أبالله وآياته كتابه ورسوله كنتم تستهزؤن كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم الله وعجل لهم فى الدنيا الخزى مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال فى الآخرة يقول لهم جل ثناؤه واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذى حل بهم فانهم كانوا أشد منكم قوة وبطشا وأكثر منكم أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم يقول فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم ورضوا بذلك من نصيبهم فى الدنيا عوضا من نصيبهم فى الآخرة وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم فى الاستمتاع بخلاقكم يقول ففعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمرى بخلاقهم يقول كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم وخضتم فى الكذب والباطل على الله كالذى خاضوا يقول وخضتم أنتم أيضا أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى أبو معشر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن كما أخذ الامم من قبلكم ذراعا بذراع وشبرا بشبر وباعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل جحر ضب لدخلتموه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم القرآن كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا قالوا يا رسول الله كما صنعت فارس والروم قال فهل الناس الاهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج

بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب (كالذين من قبلكم) أى أنتم مثل الذين أو فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف أولئك الكفار بأنهم كانوا أشد قوة أى جسامة من هؤلاء المنافقين (وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم) وهو ما خلق للانسان أى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب أى أثبت (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الأولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا وأجيب بأنه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الآخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره أن تقول لبعض الظلمة أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وأنت تفعل مثل فعله وأما قوله (وخضتم كالذى خاضوا) فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه أو كالفوج الذى خاضوا وقيل أصله كالذين فحذف النون ثم بين أن أولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال أما فى الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف وأما فى الآخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والفضائح مع ضعف بنيتهم وقلة عددهم وعددهم أولى بخزى الدارين وخسار الأمرين ۞ التأويل انما الصدقات وهى صدقات مواهب الله كما قال صلى الله عليه وسلم ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده الفقراء وهم الأغنياء بالله الذين قنعوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية أوصاف الوجود ألقوا سفينة القلب فى بحر الطلب وقد خرقها خضر المحبة وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم أرباب الاعمال كما كان الفقراء

عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس قوله كالذين من قبلكم الآية قال قال ابن عباس ما أشبه الليلة بالبارحة كالذين من قبلكم هؤلاء بنو اسرائيل شبهنا بهم لا أعلم الا أنه قال والذى نفسى بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جحر ضب لدخلتموه قال ابن جريج وأخبرنى زياد ابن سعد عن محمد بن زيد بن مهاجر عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا ومن هم يا رسول الله أهل الكتاب قال فمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال أبو سعيد الخدرى انه قال فمن حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فاستمتعوا بخلاقهم قال بدينهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حذركم أن تحدثوا فى الاسلام حدثا وقد علم أنه سيفعل ذلك أقوام من هذه الامة فقال الله فى ذلك فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذى خاضوا وانما حسبوا أن لا يقع بهم من الفتنة ما وقع ببنى اسرائيل قبلهم وان الفتنة عائدة كما بدت وأما قوله أولئك حبطت أعمالهم فان معناه هؤلاء الذين قالوا انما كنا نخوض ونلعب وفعلوا فى ذلك فعل الهالكين من الامم قبلهم حبطت أعمالهم يقول ذهبت أعمالهم باطلا فلا ثواب لها الا النار لانها كانت فيما يسخط الله ويكرهه وأولئك هم الخاسرون يقول وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ يقول تعالى ذكره ألم يأت هؤلاء المنافقين الذين يسرون الكفر بالله وينهون عن الايمان به وبرسوله نبأ الذين من قبلهم يقول خبر الامم الذين كانوا من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا أمرنا ماذا حل بهم من عقوبتنا ثم بين جل ثناؤه من أولئك الامم التى قال لهؤلاء المنافقين ألم يأتهم نبؤهم فقال قوم نوح ولذلك خفض القوم لانه ترجم بهم عن الذين والذين فى موضع خفض ومعنى الكلام ألم يأت هؤلاء المنافقين خبر قوم نوح وصنيعى بهم اذ كذبوا رسولى نوحا وخالفوا أمرى ألم أغرقهم بالطوفان وعاد يقول وخبر عاد اذ عصوا رسولى هودا ألم أهلكهم بريح صرصر عاتية وخبر ثمود اذ عصوا رسولى صالحا ألم أهلكهم بالرجفة فأتركهم بأفنيتهم خمودا وخبر قوم ابراهيم اذ عصوه وردوا عليه ما جاءهم به من عند الله من الحق ألم أسلبهم النعمة وأهلك ملكهم نمرود وخبر أصحاب مدين بن ابراهيم ألم أهلكهم بعذاب يوم الظلة اذ كذبوا رسولى شعيبا وخبر المنقلبة بهم أرضهم فصار أعلاها أسفلها اذ عصوا رسولى لوطا وكذبوا ما جاءهم به من عندى من الحق يقول تعالى ذكره أفأمن هؤلاء المنافقون الذين يستهزؤن بالله وبآياته ورسوله أن يسلك بهم فى الانتقام منهم وتعجيل الخزى والنكال لهم فى الدنيا سبيل أسلافهم من الامم ويحل بهم بتكذيبهم رسولى محمدا صلى الله عليه وسلم ما حل بهم فى تكذيبهم رسلنا اذ أتتهم بالبينات * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر

عن

والمساكين أرباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تتألف قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون أن يتخلصوا عن رق الموجودات بحر لعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استقرضوا من مراتب المكونات أوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين الجهاد الأكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن أوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرون الى الله على أقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله أوجبها على ذمة كرمه كما قال ألا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو أذن رأوا محامده بنظر المذمة والعيب قل أذن خير لكم أى سامعيته خير لكم لان له مقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين آمنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله بأقوالهم وأفعالهم وأحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرأفة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهار اللطف بلا سبب واظهار القهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان أرواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فعاملاتهم من نتائج خصوصيات أرواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا أشد منكم قوة بالاستعداد الفطرى وضيعوها فى الاستمتاع العاجل نخسروا رأس المال ولم يربحوا ﴿ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله

المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم
يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم

عن قتادة والمؤتفكات قال قوم لوط انقلبت بهم أرضهم فجعل عاليها سافلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والمؤتفكات قال هم قوم لوط فان قال قائل فان كان عنى بالمؤتفكات قوم لوط فكيف قيل المؤتفكات فجمعت ولم توحد قيل انها كانت قريات ثلاثا فجمعت لذلك ولذلك جمعت بالتاء على قول الله والمؤتفكة أهوى فان قال وكيف قيل أتتهم رسلهم بالبينات وانما كان المرسل اليهم واحدا قيل معنى ذلك أتى كل قرية من المؤتفكات رسول يدعوهم الى الله فتكون رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بعثهم اليهم للدعاء الى الله عن رسالته رسلا اليهم كما قالت العرب لقوم نسبوا الى أبى فديك الخارجى الفديكات وأبو فديك واحد ولكن أصحابه لما نسبوا اليه وهو رئيسهم دعوا بذلك ونسبوا الى رئيسهم فكذلك قوله أتتهم رسلهم بالبينات وقد يحتمل أن يقال معنى ذلك أتت قوم نوح وعاد وثمود وسائر الامم الذين ذكرهم الله فى هذه الآية رسلهم من الله بالبينات وقوله فما كان الله ليظلمهم يقول جل ثناؤه فما أهلك الله هذه الامم التى ذكر أنه أهلكها الا باجرامها وظلمها أنفسها واستحقاقها من الله عظيم العقاب لا ظلما من الله لهم ولا وضعا منه جل ثناؤه عقوبة فى غير من هو لها أهل لأن الله حكيم لا خلل فى تدبيره ولا خطأ فى تقديره ولكن القوم الذين أهلكهم ظلموا أنفسهم بمعصية الله وتكذيبهم رسله حتى أسخطوا عليهم ربهم فحقت عليهم كلمة العذاب فعذبوا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وأما المؤمنون والمؤمنات وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه فان صفتهم أن بعضهم أنصار بعض وأعوانهم يأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وبما جاء به من عند الله ويقيمون الصلاة يقول ويؤدون الصلاة المفروضة ويؤتون الزكاة يقول ويعطون الزكاة المفروضة أهلها ويطيعون الله ورسوله فيأتمرون لامر الله ورسوله وينتهون عما نهياهم عنه أولئك سيرحمهم الله يقول هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين سيرحمهم الله فينقذهم من عذابه ويدخلهم جنته لا أهل النفاق والتكذيب بالله ورسوله الناهون عن المعروف الآمرون بالمنكر القابضون أيديهم عن أداء حق الله من أموالهم ان الله عزيز حكيم يقول ان الله ذو عزة فى انتقامه ممن انتقم من خلقه على معصيته وكفره به لا يمنعه من الانتقام منه مانع ولا ينصره منه ناصر حكيم فى انتقامه منهم وفى جميع أفعاله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كل ما ذكره الله فى القرآن من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فالامر بالمعروف دعاء من الشرك الى الاسلام والنهى عن المنكر النهى عن عبادة الاوثان والشياطين * قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يقيمون الصلاة قال الصلوات الخمس ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره وعد الله الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا به وبما جاء به من عند الله من الرجال والنساء جنات تجرى من تحتها الانهار يقول بساتين

الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير * ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ ۞ القراآت والمؤتفكات وبابه بغير همز أبو عمرو غير شجاع وورش ويزيد والحلوانى عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف ۞ الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات ج لابتداء النفى مع فاء التعقيب يظلمون ○ أولياء بعض م لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم ○ عدن ط أكبر ط العظيم ○ واغلظ عليهم ط جهنم ط المصير ○ ما قالوا ط لم ينالوا ج من فضله ط خيرا لهم ج والآخرة ج ولا نصير ○ من الصالحين ○ معرضون ○ يكذبون ○ علام الغيوب ○ ج لاحتمال النصب أو الرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير فى نجواهم فيسخرون منهم ط سخر الله منهم ط لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم أليم ○

۞ التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان أولئك الكفار من هم فذكر ست طوائف سمع العرب أخبارهم لأن بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام التقرير فأولهم قوم نوح وقد أهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد وأهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود وأخذوا بالصيحة

ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شر ملكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم أصحاب مدين قوم شعيب أخذتهم الرجفة وسادسهم أصحاب المؤتفكات قوم لوط أمطر الله عليهم الحجارة بعد أن جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى (١٢٤) قلبها عليهم ويمكن أن يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب أحوالهم من الخير الى الشر ثم قال (أتتهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات ولابد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) قالت المعتزلة أى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقد مر الكلام فى أمثال ذلك ثم بين أن شأن المؤمنين فى الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال (والمؤمنون) الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا أولياء بعض وهنالك من بعض لان نفاق أتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لأكابرهم وبمقتضى الطبع والعادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة فى الاستدلال والتوفيق والهداية وأقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم فى أمر من الامور بالجملة كالدار أو حكم من الاحكام الشرعية أو سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل أن يكون تكلفا أو بطريق النفاق لان سببه انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم فى ذلك بلفظ من لمكان الاحتمال المذكور وأما تشارك المؤمنين فى السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضى الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم بأضداد صفات المنافقين فقال (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) وهاتان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال (ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) وهاتان لهم فى أنفسهم وهما بازاء قوله فى صفة المنافقين ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال (ويطيعون الله ورسوله) أى فى كل ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما أعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال (أولئك سيرحمهم الله) والسين تفيد المبالغة فى انجاز الوعد بالرحمة

تجرى تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لابثين فيها أبدا مقيمين لا يزول عنهم نعيمها ولا يبيد ومساكن طيبة يقول ومنازل يسكنونها طيبة وطيبها أنها فيما ذكر لنا كما حدثنا أبو كريب قال ثنا اسحق بن سليمن عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن آية فى كتاب الله تبارك وتعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قصر فى الجنة من لؤلؤ فيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا قرة ابن حبيب عن حسن بن فرقد عن الحسن عن عمران بن حصين وأبى هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة فى جنات عدن قال قصر من لؤلؤة فى ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء فى كل دار سبعون بيتا من زبرجدة خضراء فى كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين فى كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام فى كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة فى غداة واحدة ما يأتى على ذلك كله أجمع وأما قوله فى جنات عدن فانه يعنى وهذه المساكن الطيبة التى وصفها جل ثناؤه فى جنات عدن وفى من صلة مساكن وقيل جنات عدن لانها بساتين خلد واقامة لا يظعن منها أحد وقيل انما قيل لها جنات عدن لانها دار الله التى استخلصها لنفسه ولمن شاء من خلقه من قول العرب عدن فلان بأرض كذا اذا أقام بها وخلد بها ومنه المعدن ويقال هو فى معدن صدق يعنى به أنه فى أصل ثابت وقد أنشد بعض الرواة بيت الاعشى

وان تستضيفوا الى حكمه * تضافوا الى راجح قد عدن

وينشد قد وزن * وكالذى قلنا فى ذلك كان ابن عباس وجماعة معه فيما ذكر يتأولونه حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس جنات عدن قال معدن الرجل الذى يكون فيه حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا الكندى سعد عن زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة ابن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يفتح الذكر فى ثلاث ساعات يبقين من الليل فى الساعة الاولى منهن ينظر فى الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ثم ينزل فى الساعة الثانية الى جنة عدن وهى داره التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكن معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء ثم يقول طوبى لمن دخلك وذكر فى الساعة الثالثة حدثنى موسى بن سهل قال ثنا آدم قال ثنا الليث بن سعد قال ثنا زيادة بن محمد عن محمد بن كعب القرظى عن فضالة بن عبيد عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعنى دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهى مسكنه ولا يسكنها معه من بنى آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله تبارك وتعالى طوبى لمن دخلك * وقال آخرون معنى جنات عدن جنات أعناب وكروم ذكر من قال ذلك

حدثنى

كأنه كذا الوعيد به اذا قلت سأنتقم منك يوما يعني أنك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الآية بقوله (ان الله عزيز حكيم) وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة أو عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما أجمل من الرحمة بقوله (وعد الله المؤمنين) لآية وقد كثر كلام أصحاب الآثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين وأبا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك أجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها قاله الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمرو ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على أن عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب أن أصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا أقام به ومنه المعدن للمكان الذي تخلق فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا أن يغلب الاسم على بعضها (ورضوان من الله) شيء يسير من رضاهم (أكبر) من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على أن

حدثني أحمد بن أبي سريج الرازي قال ثنا زكريا بن عدي قال ثنا عبيد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحرث أن ابن عباس سأل كعبا عن جنات عدن فقال هي الكروم والاعناب بالسريانية * وقال آخرون هي اسم لبطنان الجنة ووسطها ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن سليمن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال عدن بطنان الجنة حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان وشعبة عن الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قوله جنات عدن قال بطنان الجنة قال ابن بشار في حديثه فقلت ما بطنانها وقال ابن المثنى في حديثه فقلت للاعمش ما بطنان الجنة قال وسطها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عبد الله ابن مرة وأبي الضحى عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة * قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى وعبد الله بن مرة عنهما جميعا أو عن أحدهما عن مسروق عن عبد الله جنات عدن قال بطنان الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود في قول الله جنات عدن قال بطنان الجنة * وقال آخرون عدن اسم لقصر ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سعيد الكندي قال ثنا عبدة أبو غسان عن عون بن موسى الكناني عن الحسن قال جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل ورفع به صوته حدثنا أحمد بن أبي سريج قال ثنا عبد الله بن عاصم قال ثنا عون بن موسى قال سمعت الحسن ابن أبي الحسن يقول جنات عدن وما أدراك ما جنات عدن قصر من ذهب لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل رفع الحسن به صوته حدثنا أحمد قال ثنا يزيد قال أخبرنا حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قال ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والروح له خمسون ألف باب على كل باب حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق حدثنا الحسن ابن ناجح قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت يعقوب بن عاصم يحدث عن عبد الله بن عمرو أن في الجنة قصرا يقال له عدن له خمسة آلاف باب على كل باب خمسة آلاف حبرة لا يدخله الا نبي أو صديق أو شهيد * وقيل هي مدينة الجنة ذكر من قال ذلك حدثت عن عبد الرحمن المحاربي عن جويبر عن الضحاك في جنات عدن قال هي مدينة الجنة فيها الرسل والانبياء والشهداء وأئمة الهدى والناس حولهم بعد والجنات حولها وقيل انه اسم نهر ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن واصل بن السائب الرقاشي عن عطاء قال عدن نهر في الجنة جناته على حافتيه وأما قوله ورضوان من الله أكبر فان معناه ورضا الله عنهم أكبر من ذلك كله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك

السعادات الروحانية أعلى حالا وأشرف مما لا من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على أن الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع (ذلك) الموعود والرضوان (هو الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا وأى شئ أفضل من ذلك قال أدخل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا ثم عاد مرة أخرى الى شرح أحوال المنافقين فقال (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) قال الضحاك أى جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا تجوز محاربته فى ظاهر الشرع وضعف بأن النسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرفه الله حالهم فصاروا كسائر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بأنه وان علم حالهم بالوحى الا أنه مأمور بأن يحكم بالظاهر والقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح أن الجهاد بذل المجهود فى حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم فى الجهادين جميعا عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه فان لم يستطع فبقلبه بأن يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا أسبابها واعترض عليه بأن اقامة الحدود واجبة على كل فاسق فلا يكون لهذا تعلق بالنفاق واعتذر عنه بأنه قال ذلك لان عنده ان كل فاسق منافق أو لان الغالب ممن يقام عليه الحد فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكانوا اذا خلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وطعنوا فى الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أهل النفاق ما هذا الذى بلغنى عنكم فحلفوا ما قالوا شيأ من ذلك فأنزل الله تعالى (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر) وعن قتادة

عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا يارب وأى شئ أفضل من ذلك قال أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم بعده أبدا حدثنا ابن حميد قال ثنى يعقوب عن حفص عن شمر قال يجئ القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل الشاحب الى الرجل حين ينشق عنه قبره فيقول أبشر بكرامة الله أبشر برضوان الله فيقول مثلك من يبشر بالخير ومن أنت فيقول أنا القرآن الذى كنت أسهر ليلك وأظمئ نهارك فيحمله على رقبته حتى يوافى به ربه فيمثل بين يديه فيقول يارب عبدك هذا اجزه عنى خيرا فقد كنت أسهر ليله وأظمئ نهاره وآمره فيطيعنى وأنهاه فيطيعنى فيقول الرب تبارك وتعالى فله حلة الكرامة فيقول أى رب زده فانه أهل ذلك فيقول فله رضوانى قال ورضوان من الله أكبر وابتدئ الخبر عن رضوان الله للمؤمنين والمؤمنات أنه أكبر من كل ماذكر جل ثناؤه فرفع وان كان الرضوان فيما قد وعدهم ولم يعطف به فى الاعراب على الجنات والمساكن الطيبة ليعلم بذلك تفضيل الله رضوانه عن المؤمنين على سائر ما قسم لهم من فضله وأعطاهم من كرامته نظير قول القائل فى الكلام لآخر أعطيتك ووصلتك بكذا وأكرمتك ورضاى بعد عنك أفضل ذلك هذه الاشياء التى وعدت المؤمنين والمؤمنات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم والنجاء الجسيم لانهم ظفروا بكرامة الأبد ونجوا من الهوان فى السقر فهو الفوز العظيم الذى لا شئ أعظم منه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير) يقول تعالى ذكره يا أيها النبى جاهد الكفار بالسيف والسلاح والمنافقين واختلف أهل التأويل فى صفة الجهاد الذى أمر الله نبيه به فى المنافقين فقال بعضهم أمره بجهادهم باليد واللسان وبكل ما أطاق جهادهم به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا حميد بن عبد الرحمن ويحيى بن آدم عن حسن بن صالح عن على بن الاقمر عن عمرو بن جندب عن ابن مسعود فى قوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين قال بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه فان لم يستطع فليكفهر فى وجهه * وقال آخرون بل أمره بجهادهم باللسان ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله تعالى يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم فأمره الله بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وأذهب الرفق عنهم حدثنا القاسم قال ثنى الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس جاهد الكفار والمنافقين قال الكفار بالقتال والمنافقين أن تغلظ عليهم بالكلام حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول فى قوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم يقول جاهد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام وهو مجاهدتهم * وقال آخرون بل أمره باقامة الحدود عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن جاهد الكفار والمنافقين قال جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحدود أقم عليهم حدود الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله

يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجاهد الكفار بالسيف ويغلظ على المنافقين في الحدود * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ما قال ابن مسعود من أن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم من جهاد المنافقين بنحو الذي أمره به من جهاد المشركين فان قال قائل فكيف تركهم صلى الله عليه وسلم مقيمين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم قيل ان الله تعالى ذكره انما أمر بقتال من أظهر منهم كلمة الكفر ثم أقام على اظهاره ما أظهر من ذلك وأما من اذا اطلع عليه منهم أنه تكلم بكلمة الكفر وأخذ بها أنكرها ورجع عنها وقال انى مسلم فان حكم الله في كل من أظهر الاسلام بلسانه أن يحقن بذلك له دمه وماله وان كان معتقدا غير ذلك وتوكل هو جل ثناؤه بسرائرهم ولم يجعل للخلق البحث عن السرائر فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علمه بهم واطلاع الله اياه على ضمائرهم واعتقاد صدورهم كان يقرهم بين أظهر الصحابة ولا يسلك بجهادهم مسلك جهاد من قد ناصبه الحرب على الشرك بالله لان أحدهم كان اذا اطلع عليه انه قد قال قولا كفر فيه بالله ثم أخذ به أنكره وأظهر الاسلام بلسانه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يأخذه الا بما أظهر له من قوله عند حضوره اياه وعزمه على امضاء الحكم فيه دون ما سلف من قول كان نطق به قبل ذلك ودون اعتقاد ضميره الذي لم يبح الله لاحد الأخذ به في الحكم وتولى الاخذ به هو دون خلقه وقوله واغلظ عليهم يقول تعالى ذكره واشدد عليهم بالجهاد والقتال والارعاب وقوله ومأواهم جهنم يقول ومساكنهم جهنم وهي مثواهم ومأواهم وبئس المصير يقول وبئس المكان الذي يصار اليه جهنم ۞ القول في تأويل قوله ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير﴾ اختلف أهل التأويل في الذي نزلت فيه هذه الآية والقول الذي كان قاله الذي أخبر الله عنه أنه يحلف بالله ما قاله فقال بعضهم الذي نزلت فيه هذه الآية الجلاس بن سويد بن الصامت وكان القول الذي قاله ما حدثنا به ابن وكيع قال ثنا معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت في الجلاس بن سويد بن الصامت قال ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من الحمير فقال له ابن امرأته والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فاني ان لا أفعل أخاف أن تصيبني قارعة وأؤاخذ بخطيئتك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الجلاس فقال يا جلاس أقلت كذا وكذا فحلف ما قال فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه قال نزلت هذه الآية يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم في الجلاس بن سويد بن الصامت أقبل هو وابن امرأته مصعب من قباء فقال الجلاس ان كان ما جاء به محمد حقا لنحن أشر من حميرنا هذه التي نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قلت فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وخشيت أن ينزل في القرآن أو تصيبني قارعة أو أن أخلط قلت

أن رجلين اقتتلا رجل من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن أبي يا بني الأوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الآية (١٢٧) ومعنى قوله (وكفروا بعد اسلامهم) أنهم أظهروا الكفر بعد ما كانوا يظهرون الاسلام أما قوله (وهموا بما لم ينالوا) فهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم عند مرجعه من تبوك وذلك أنه توافق خمسة عشر رجلا منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر آخذ بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا وما عابوا (الا أن أغناهم) كقول القائل

* ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم *

وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجمعوا الاموال وروى أنه قتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال (فان يتوبوا يك) يعني ذلك الرجوع (خيرا لهم) وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته (وان يتولوا) يعرضوا عن التوبة (يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا) بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر وأما عذاب الآخرة فمعلوم (وما لهم في الارض) يحتمل أرض الدنيا وأرض القيامة ثم بين أن هؤلاء كما ينافقون الرسول والمؤمنين فكذلك ينافقون ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال (ومنهم من عاهد الله) يروى عن أبي امامة الباهلي

يارسول أقبلت أناوالجلاس من قباء فقال كذا وكذا ولولا مخافة أن أؤاخذ بخطيئته أو تصيبنى قارعة ما أخبرتك قال فدعا الجلاس فقال له ياجلاس أقلت الذى قال مصعب قال فحلف فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان الذى قال تلك المقالة فيما بلغنى الجلاس ابن سويد بن الصامت فرفعها عنه رجل كان فى حجره يقال له عمير بن سعيد فانكرها فحلف بالله ما قالها فلما نزل فيه القرآن تاب ونزع وحسنت توبته فيما بلغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد كلمة الكفر قال أحدهم لئن كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير فقال له رجل من المؤمنين ان ما قال لحق ولأنت شر من حمار قال فهم المنافقون بقتله فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى أيوب بن اسحق بن ابراهيم قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى ظل شجرة فقال انه سيأتيكم انسان فينظر اليكم بعينى شيطان فاذا جاء فلا تكلموه فلم يلبث أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمنى أنت وأصحابك فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا الى آخر الآية * وقال آخرون بل نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول قالوا والكلمة التى قالها ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يحلفون بالله ما قالوا الى قوله من ولى ولا نصير قال ذكر لنا أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الانصار وظهر الغفارى على الجهنى فقال عبد الله بن أبى للاوس انصروا أخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى بها رجل من المسلمين الى نبى الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله تبارك وتعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر قال نزلت فى عبد الله بن أبى ابن سلول * قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال ان الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذبا على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها وجائز أن يكون ذلك القول ما روى عن عروة أن الجلاس قاله وجائز أن يكون قائله عبد الله بن أبى ابن سلول والقول ما ذكر قتادة عنه أنه قال ولا علم لنا بان ذلك من أى اذ كان لا خبر باحدهما يوجب الحجة ويتوصل به الى يقين العلم به وليس مما يدرك علمه بفطرة العقل فالصواب ان يقال فيه كما قال الله جل ثناؤه يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وأما قوله وهموا بما لم ينالوا فان أهل التأويل اختلفوا فى الذى كان هم بذلك (١) وما الشئ الذى كان هم به أقتل ابن امرأته الذى سمع منه ما قال وخشى ان يفشيه عليه ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال هم المنافق بقتله يعنى قتل المؤمن الذى قال له

(١) فى العبارة سقط ولعل الاصل فقال بعضهم كان الذى هم الجلاس بن سويد والشئ الذى كان هم به قتل ابن امرأته الخ تأمل

أن ثعلبة بن حاطب الانصارى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال فضة وذهبا لسارت فقال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله أن يرزقنى مالا لأوتين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر خبره فقال ياويح ثعلبة ثلاثا وأنزل الله عز وجل خذ من أموالهم صدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بنى سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بنى سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية ما أدرى ماهذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودان الى فانطلقا وأخبرا السلمى فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسى بها طيبة فأخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال أرونى كتابكما ثم قال ماهذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيى فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال ياويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمى بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فخرج اليه وقال ياويحك ياثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعنى ان أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى أن يقبل

أنت شر من الحمار فذلك قوله وهموا بما لم ينالوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به * وقال آخرون كان الذي هم رجلا من قريش والذي هم به قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا شبل عن جابر عن مجاهد في قوله وهموا بما لم ينالوا قال رجل من قريش هم بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له الاسود * وقال آخرون الذي هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان همه الذي لم ينله قوله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل من قول قتادة وقد ذكرناه وقوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر لنا أن المنافق الذي ذكر الله عنه أنه قال كلمة الكفر كان فقيرا فأغناه الله بأن قتل له مولى فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ديته فلما قال ما قال قال الله تعالى وما نقموا يقول ما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام ابن عروة عن أبيه وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله وكان الجلاس قتل له مولى له فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله * قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا في مولى لبني عدي بن كعب وفيه أنزلت هذه الآية وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال كانت لعبد الله بن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن الزبير عن سفيان قال ثنا عمرو قال سمعت عكرمة ان مولى لبني عدي بن كعب قتل رجلا من الانصار فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه أنزلت وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال عمرو ولم أسمع هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من عكرمة يعني الدية اثني عشر ألفا حدثنا صالح بن مسمار قال ثنا محمد بن سنان العوقي قال ثنا محمد بن مسلم الطائفي عن عمرو بن دينار عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل الدية اثني عشر ألفا فذلك قوله وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله قال بأخذ الدية وأما قوله فان يتوبوا يك خيرا لهم يقول تعالى ذكره فان يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك خيرا لهم من النفاق وان يتولوا يقول وان يدبروا عن التوبة فيأبوها ويصروا على كفرهم يعذبهم الله عذابا أليما يقول يعذبهم عذابا موجعا في الدنيا اما بالقتل واما بعاجل خزي لهم فيها ويعذبهم في الآخرة بالنار وقوله وما لهم في الارض من ولي ولا نصير يقول وما لهؤلاء المنافقين ان عذبهم الله في عاجل الدنيا من ولي يواليه على منعه من عقاب الله ولا نصير ينصره من الله فينقذه من عقابه وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائرهم وقومهم يمتنعون بهم ممن أرادهم بسوء فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائرهم وحلفائهم لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه ان احتاجوا الى نصرهم وذكر أن الذي نزلت فيه هذه الآية تاب مما كان عليه من النفاق ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه

منه شيأ رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيأ ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وأنا أقبلها فقبض أبو بكر وأبى أن يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفا اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول وما ذاك الا بشؤم اللجاج أولا وآخرا قال بعض العلماء المعاهدة أعم من أن تكون باللسان أو بالقلب وقال المحققون انه لابد من التلفظ بها لما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عفا عن أمتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ظاهره مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ايتاء المال بطريق التجارة أو الاستغنام ونحوهما وأصل لنصدقن لنتصدقن أدغمت التاء في الصاد والمصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله (ولنكونن من الصالحين) عن ابن عباس أنه أراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلاث فقال (فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون) فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض أراد به الاحجام عن تكاليف الله وأن ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظة البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وأن الرجل قد عاهد ربه أن يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلتزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكاة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما

ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه (فاعقبهم نفاقا) عن الحسن وقتادة ان أعقب مسند الى ضمير البخل أى أورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التأويل ان جعل عائدا الى التولى أو الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا فى حصول النفاق فى القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو أمر وجودى والعدم لا يؤثر فى الوجود ولان هذا الترك قد يوجد فى حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو أوجب حصول الكفر فى القلب لا وجبه سواء كان الترك جائزا شرعا أو محرما فسبب اختلافات الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل أو التولى أو الاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الآية ان التولى أوجب النفاق بسبب التولى وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا أن يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على أن خالق الكفر فى القلوب هو الله ومن هنا قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا فى الماضى فالله تعالى يضلهم عن الدين فى المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير فى أعقب الله أن الضمير فى قوله (الى يوم يلقونه) عائد الى الله وللمعتزلة أن يقولوا النفاق وان سلم انه وجودى لكنه أمر شرعى ولا يبعد جعل شئ عدمى أمارة عليه وأيضا الترك المقرون بالتولى والاعراض لا نسلم أنه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم أن البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من أين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز أن يراد فأعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم فى قلوبهم يوم
وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف أو يراد خذلهم حتى نافقوا وتمكن فى قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى أن يموتوا ولاهل السنة أن يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع أن الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل

فان يتوبوا يك خيرا لهم قال قال الجلاس قد استثنى الله لى التوبة فانا أتوب فقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه فان يتوبوا يك خيرا لهم الآية فقال الجلاس يا رسول الله انى أرى الله قد استثنى لى التوبة فأنا أتوب فتاب فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ۞ القول فى تأويل قوله (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون) يقول تعالى ذكره ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك يا محمد صفتهم من عاهد الله يقول أعطى الله عهدا لئن آتانا من فضله يقول لئن أعطانا الله من فضله ورزقنا مالا ووسع علينا من عنده لنصدقن يقول لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذى رزقنا ربنا ولنكونن من الصالحين يقول ولنعملن فيها بعمل أهل الصلاح بأموالهم من صلة الرحم به وانفاقه فى سبيل الله يقول الله تبارك وتعالى فرزقهم الله وآتاهم من فضله فلما آتاهم الله من فضله بخلوا به بفضل الله الذى آتاهم فلم يصدقوا منه ولم يصلوا منه قرابة ولم ينفقوا منه فى حق الله وتولوا يقول وأدبروا عن عهدهم الذى عاهدوه الله وهم معرضون عنه فأعقبهم الله نفاقا فى قلوبهم ببخلهم بحق الله الذى فرضه عليهم فيما آتاهم من فضله واخلافهم الوعد الذى وعدوا الله ونقضهم عهده فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه من الصدقة والنفقة فى سبيله وبما كانوا يكذبون فى قيلهم وحرمهم التوبة منه لانه جل ثناؤه اشترط فى نفاقهم أنه أعقبهموه الى يوم يلقونه وذلك يوم مماتهم وخروجهم من الدنيا * واختلف أهل التأويل فى المعنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها رجل يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية وذلك أن رجلا يقال له ثعلبة بن حاطب من الانصار أتى مجلسا فاشهدهم فقال لئن آتانى الله من فضله آتيت منه كل ذى حق حقه وتصدقت منه ووصلت منه القرابة فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف الله ما وعده وأغضب الله بما أخلف ما وعده فقص الله شأنه فى القرآن ومنهم من عاهد الله الآية الى قوله يكذبون حدثنى المثنى قال ثنا هشام بن عمار قال ثنا محمد بن شعيب قال ثنا معاذ بن رفاعة السلمى عن أبى عبد الملك على بن يزيد الالهانى أنه أخبره عن القاسم ابن عبد الرحمن انه أخبره عن أبى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه قال ثم قال مرة أخرى فقال أما ترضى أن تكون مثل نبى الله فوالذى نفسى بيده لو شئت أن تسير معى الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهى تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة فطفق يتلقى الركبان

على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ومذهب الحسن البصري أن نقض العهد يوجب النفاق لا محالة تمسكا بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان وقال عطاء بن أبي رباح حدثني جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلاث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه واؤتمنوا على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد أخلف كما ذكره الله فيمن عاهده واذا اؤتمن على دين الله خان في السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء أرسل الى الحسن رجلا فقال ان أولاد يعقوب حدثوه في قولهم فأكله الذئب فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وأتمنهم أبوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال أهل التفسير قوله (الى يوم يلقونه) دل على أن ذلك المعاهد يموت على ذلك وكان كما أخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك أنه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم ثم وبخهم على التجاهل أو عدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال (ألم يعلموا) الآية والسر ما ينطوي عليه الصدر والنجوى ما يكون بين اثنين وأكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخلص كما مر في الانجاء كأن المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تجترؤن على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع أنه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على أي وجه يفرض

يوم الجمعة يسألهم عن الاخبار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة فأخبروه بأمره فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال وأنزل الله خذ من أموالهم صدقة الآية ونزلت عليه فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية ما أدري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب عليك هذا وما نريد أن نأخذ هذا منك قال بلى فخذوه فان نفسي بذلك طيبة وانما هي لي فأخذوها منه فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل أن يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة فأخبراه بالذي صنع ثعلبة والذي صنع السلمي فأنزل الله تبارك وتعالى فيه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثي على رأسه التراب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى ان يقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى أبا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبضها فلما ولي عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر وأنا أقبلها منك فقبض ولم يقبلها ثم ولي عثمان رحمة الله عليه فأتاه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر رضوان الله عليهما وأنا أقبلها منك فلم يقبلها منه وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رحمة الله عليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الآية ذكر لنا أن رجلا من الانصار أتى على مجلس من الانصار فقال لئن آتاه الله مالا ليؤدين الى كل ذي حق حقه فآتاه الله مالا فصنع فيه ما تسمعون قال فلما آتاهم من فضله بخلوا به الى قوله وبما كانوا يكذبون ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدث أن موسى عليه الصلاة والسلام لما جاء بالتوراة الى بني اسرائيل قالت بنو اسرائيل ان التوراة كثيرة وانا لا نفرغ لها فسل لنا ربك جماعا من الامر نحافظ عليه ونتفرغ فيه لمعايشنا قال يا قوم مهلا مهلا هذا كتاب الله ونور الله وعصمة الله قال فأعادوا عليه فأعاد عليهم قالها ثلاثا قال فأوحى الله الى موسى ما يقول عبادي قال يا رب يقولون كيت وكيت قال فاني آمرهم بثلاث ان حافظوا عليهن دخلوا بهن الجنة أن ينتهوا الى قسمة الميراث فلا يظلموا

فهاولا يدخلوا أبصارهم البيوت حتى يؤذن لهم وأن لا يطعموا طعاما حتى يتوضؤا وضوء الصلاة قال فرجع بهن نبي الله صلى الله عليه وسلم الى قومه ففرحوا ورأوا أنهم سيقومون بهن قال فوالله مالبث القوم الا قليلا حتى جنحوا وانقطع بهم فلما حدث نبي الله بهذا الحديث عن بني اسرائيل قال تكفلوا لي بست أتكفل لكم بالجنة قالوا ماهن يارسول الله قال اذا حدثتم فلا تكذبوا واذا وعدتم فلا تخلفوا واذا أؤتمنتم فلا تخونوا وكفوا أبصاركم وأيديكم وفروجكم أبصاركم عن الخيانة وأيديكم عن السرقة وفروجكم عن الزنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول ثلاث من كن فيه صار منافقا وان صام وصلى وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا أؤتمن خان واذا وعد أخلف * وقال آخرون بل المعنى بذلك رجلان أحدهما ثعلبة والآخر معتب بن قشير ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى الآخر وكان الذي عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير هما من بني عمرو بن عوف حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله قال رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم الله بخلوا به حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله رجلان خرجا على ملا قعود فقالا والله لئن رزقنا الله لنصدقن فلما رزقهم بخلوا به فأعقبهم نفاقا في قلوبهم بما أخلفوا الله ما وعدوه حين قالوا لنصدقن فلم يفعلوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين فلما آتاهم ذلك بخلوا به فلما بخلوا بذلك أعقبهم بذلك نفاقا الى يوم يلقونه ليس لهم منه توبة ولا مغفرة ولا عفو كما أصاب ابليس حين منعه التوبة * قال أبو جعفر في هذه الآية الابانة من الله جل ثناؤه عن علامة أهل النفاق أعني في قوله فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وبنحو هذا القول كان يقول جماعة من الصحابة والتابعين ووردت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض من قال ذلك حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله اعتبروا المنافق بثلاث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر وأنزل الله تصديق ذلك في كتابه ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى قوله يكذبون حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك عن صبيح بن عبد الله بن عميرة عن عبد الله بن عمر قال ثلاث من كن فيه كان منافقا اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أؤتمن خان قال وتلا هذه الآية ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت صبيح بن عبد الله القيسي يقول سألت عبد الله بن عمرو عن المنافق

عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على أن يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال يارسول الله مالي ثمانية آلاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وأمسكت نصفها العيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين ألف درهم وقيل صولحت احداهما على ثمانين ألفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال أجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخله فأخذت صاعين من تمر أمسكت أحدهما لعيالي وأقرضت الآخر لربي فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة وأما أبو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الا كابر والله غني عن صاعه فأنزل الله سبحانه (الذين يلمزون المطوعين) أي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل قاله الليث وقال الفراء الضم لغة أهل الحجاز والفتح لغيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة (سخر الله منهم) خبر لادعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة أو المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد أنه تعالى يكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليه وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن بن عوف وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك أمر استأثر الله به ورسوله فذكر وأيضا اللمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما لم يقدر الا عليه فقد بذل كل ماله فعلم منه غالبا أنه ان قدر على أكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعي الانسان في أن يضم نفسه الى أهل الخير والدين خير له من أن يضم نفسه الى أهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول

فى زمرة من يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى به منقبة وفضلا ۞ التأويل بعضهم أولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التآلف فى عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقى أى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فأحببت أن أعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلاة الحقيقية ويؤتون الزكاة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا أيها النبى يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى تمرن نفوسهم والا فمأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض على الشيخ وهموا بما لم ينالوا أى أثبتوا لانفسهم مرتبة الشيخوخة قبل أوانها وما نقموا الا أن الشيخ ربّاهم بلبان فضل الله عن حلمة الولاية فلم يحتملوا الضيق حوصلة الهمة ومريد الطريقة أعظم من مريد الشريعة فلهذا يكون عذابه أليما فى الدنيا والآخرة كما قال الجنيد لو أقبل صديق الى الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة فان مافاته أكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن آتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما أعطانا فيما أعطى لاجله الى يوم يلقونه أى يلقون جزاء النفاق وأن الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به أنفسهم وهو غيب عن الخلق ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب فى نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم فى الازل استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا

فذكر نحوه حدثنى محمد بن معمر قال ثنا أبو هشام المخزومى قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا عثمان بن حكيم قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول كنت أسمع أن المنافق يعرف بثلاث بالكذب والاخلاف والخيانة فالتمستها فى كتاب الله زمانا لا أجدها ثم وجدتها فى آيتين من كتاب الله قوله ومنهم من عاهد الله حتى بلغ وبما كانوا يكذبون وقوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض هذه الآية حدثنى القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا أسامة قال ثنا محمد المخرمى قال سمعت الحسن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم أنه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان فقلت للحسن يا أبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقينى فتقاضانى وليس عندى وخفت أن يحبسنى ويهلكنى فوعدته أن أقضيه رأس الهلال فلم أفعل أمنافق أنا قال هكذا جاء الحديث ثم حدث عن عبد الله ابن عمرو أن أباه لما حضره الموت قال زوجوا فلانا فانى وعدته أن أزوجه لا ألقى الله بثلث النفاق قال قلت يا أبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن قال هكذا جاء الحديث قال فحججت فلقيت عطاء بن أبى رباح فأخبرته الحديث الذى سمعته من الحسن وبالذى قلت له وقال لى فقال أعجزت أن تقول له أخبرنى عن اخوة يوسف عليه السلام ألم يعدوا أباهم فأخلفوه وحدثوه فكذبوه وأتمنهم فخانوه أفمنافقين كانوا ألم يكونوا أنبياء أبوهم نبى وجدهم نبى قال فقلت لعطاء يا أبا محمد حدثنى بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال حدثنى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قال هذا الحديث فى المنافقين خاصة الذين حدثوا النبى فكذبوه وأتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه فى الغزو فأخلفوه قال وخرج أبو سفيان من مكة فأتى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان أبا سفيان فى مكان كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا حذركم فأنزل الله لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون وأنزل فى المنافقين ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله الى فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فاذا لقيت الحسن فاقرئه السلام وأخبره بأصل هذا الحديث وبما قلت لك قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد ان أخاك عطاء يقرئك السلام فأخبرته بالحديث الذى حدث وما قال لى فأخذ الحسن بيدى فأمالها وقال يا أهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع منى حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله صدق عطاء هكذا الحديث وهذا فى المنافقين خاصة حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا يعقوب عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وان صلى وصام وزعم أنه مسلم فهو منافق فقيل له ما هى يا رسول الله فقال النبى عليه السلام اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال ثنا ميسرة عن الاوزاعى عن هرون بن رئاب عن عبد الله بن عمرو بن وائل أنه لما حضرته الوفاة قال ان فلانا خطب الى ابنتى وانى كنت قلت له فيها قولا شبيها بالعدة والله لا ألقى الله بثلث النفاق وأشهدكم انى قد زوجته * وقال قوم كان العهد الذى عاهد الله هؤلاء المنافقون شيأ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به

يفقهون فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن من القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ ۞ القرا آت معى أبدا بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص فقط ۞ الوقوف أولا تستغفر لهم ط فلن يغفر الله لهم ط ورسوله ط الفاسقين ○ فى الحر ط حرا م لأن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لأوهم ان جهنم لا يكون نارها أشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون ○ كثيرا ج لان جزاء يصلح أن يكون مفعولا له أو مصدر محذوف أى يجزون جزاء يكسبون ○ معى عدوّا ط الخالفين ○ على قبره ط فاسقون ○ وأولادهم ط كافرون ○ القاعدين ○ لا يفقهون ○ وأنفسهم ط الخيرات ز لابتداء وعد الفلاح على التعظيم بدليل تكرار أولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون ○ خالدين فيها ط العظيم ○ ۞ التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى أقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر فى شرعه ان الاستغفار للكافر غير جائز ولان الاستغفار

ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال سمعت معتمر بن سليمن التيمى يقول ركبت البحر فأصابنا ريح شديدة فنذر قوم منا نذورا ونويت أنا لم أتكلم به فلما قدمت البصرة سألت أبى سليمن فقال لى يا بنى فه به * قال معتمر و ثنا كهمس عن سعيد بن ثابت قال قوله ومنهم من عاهد الله الآية قال انما هو شئ نووه فى أنفسهم ولم يتكلموا به ألم تسمع الى قوله ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب﴾ يقول تعالى ذكره ألم يعلم هؤلاء المنافقون الذين يكفرون بالله ورسوله سرا ويظهرون الايمان بهما لاهل الايمان بهما جهرا أن الله يعلم سرهم الذى يسرونه فى أنفسهم من الكفر به وبرسوله ونجواهم يقول ونجواهم اذا تناجوا بينهم بالطعن فى الاسلام وأهله وذكرهم بغير ما ينبغى أن يذكروا به فيحذروا من الله عقوبته أن يحلها بهم وسطوته أن يوقعها بهم على كفرهم بالله وبرسوله وعيبهم للاسلام وأهله فينزعوا عن ذلك ويتوبوا منه وأن الله علام الغيوب يقول ألم يعلموا أن الله علام ما غاب عن أسماع خلقه وأبصارهم وحواسهم مما أكنته نفوسهم فلم يظهر على جوارحهم الظاهرة فينهاهم ذلك عن خداع أوليائه بالنفاق والكذب ويزجرهم عن اضمار غير ما يبدونه واظهار خلاف ما يعتقدونه ۞ القول فى تأويل قوله ﴿الذين يلمزون المطوّعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الذين يلمزون المطوّعين فى الصدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم فى أموالهم ويطعنون فيها عليهم بقولهم انما تصدقوا به رياء وسمعة ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به الا جهدهم وذلك طاقتهم فينتقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنيا سخرية منهم بهم فيسخرون منهم سخر الله منهم وقد بينا صفة سخرية الله عن يسخر به من خلقه فى غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا ولهم عذاب أليم يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم وذكر ان المعنىّ بقوله المطوعين من المؤمنين عبد الرحمن بن عوف وعاصم بن عدى الانصارى وأن المعنىّ بقوله والذين لا يجدون الا جهدهم أبو عقيل الاراشى أخو بنى أنيف ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال جاء عبد الرحمن ابن عوف بأربعين أوقية من ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم وجاءه رجل من الانصار بصاع من طعام فقال بعض المنافقين والله ما جاء عبد الرحمن بما جاء به الا رياء وقالوا ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا الصاع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى الناس يوما فنادى فيهم أن اجمعوا صدقاتكم فجمع الناس صدقاتهم ثم جاء رجل من أحوجهم بمنّ من تمر فقال يا رسول الله هذا صاع من تمر بت ليلتى أجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت أحدهما وأتيتك بالآخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره فى الصدقات فسخر منه رجال وقالوا والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا وما يصنعان بصاعك من شئ

للمنافق يجرى مجرى اغرائه على مزيد النفاق ولانه يلزم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان أكثر فى الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على أن الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روى أنه لما نزلت الآية قال صلى الله عليه وسلم لأزيدن على السبعين فنزل سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فكف عنه فلولا أنه فهم بدليل الخطاب أن الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لأزيدن على ذلك وأجيب بأنه أراد اظهار الرحمة والرأفة بأمته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم لبعض لا أنه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى لن يغفر الله لهم وأردفه بقوله ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود بهذا العدد تحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتنى سبعين مرة لم أقضها ولهذا بين العلة التى لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهى كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم فى الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو أن السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم والنجوم السيارة والاعضاء وأيام الاسبوع فضرب السبعة فى عشرة لان الحسنة بعشر أمثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكأنه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر فى تفسير قوله قل أنفقوا طوعا أو كرها أن هذا أمر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعالهم فقال (فرح المخلفون) قيل انهم احتالوا أن يتخلفوا وكان الاولى أن يقال فرح المتخلفون وأجيب بأنهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو أراد خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان أو المجاهدون لما لم يوافقوهم فى القعود فكأنهم خلفوهم أو أطلق عليهم المخلفون باعتبار أنهم سيصيرون ممنوعين من الخروج فى الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معى عدوا ومعنى (بمقعدهم) بقعودهم قاله مقاتل أو بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس

ثم ان عبد الرحمن بن عوف رجل من قريش من بنى زهرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل بقى من أحد من أهل هذه الصدقات فقال لا فقال عبد الرحمن بن عوف ان عندى مائة أوقية من ذهب فى الصدقات فقال له عمر بن الخطاب أمجنون أنت فقال ليس بى جنون فقال أتعلم ما قلت قال نعم مالى ثمانية آلاف أما أربعة آلاف فأقرضها ربى وأما أربعة آلاف فلى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت وكره المنافقون فقالوا والله ما أعطى عبد الرحمن ابن عوف عطيته الا رياء وهم كاذبون انما كان به متطوعا فأنزل الله عذره وعذر صاحبه المسكين الذى جاء بالصاع من التمر فقال الله فى كتابه الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين قال جاء عبد الرحمن بن عوف بصدقة ماله أربعة آلاف فلمزه المنافقون وقالوا راءى والذين لا يجدون الا جهدهم قال رجل من الانصار آجر نفسه بصاع من تمر لم يكن له غيره فجاء به فلمزوه وقالوا كان الله غنيا عن صاع هذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الآية قال أقبل عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله فتقرب به الى الله فلمزه المنافقون فقالوا ما أعطى ذلك الا رياء وسمعة فأقبل رجل من فقراء المسلمين يقال له حبحاب أبو عقيل فقال يا نبى الله بت أجر الجرير على صاعين من تمر أما صاع فأمسكته لاهلى وأما صاع فها هو ذا فقال المنافقون والله ان الله ورسوله لغنيان عن هذا فأنزل الله فى ذلك القرآن الذين يلمزون الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال تصدق عبد الرحمن بن عوف بشطر ماله وكان ماله ثمانية آلاف دينار فتصدق بأربعة آلاف دينار فقال ناس من المنافقين ان عبد الرحمن بن عوف لعظيم الرياء فقال الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات وكان لرجل صاعان من تمر فجاء بأحدهما فقال ناس من المنافقين ان كان الله عن صاع هذا لغنيا فكان المنافقون يطعنون عليهم ويسخرون بهم فقال الله والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطى قال ثنا أبو عوانة عن أبى سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تصدقوا فانى أريد أن أبعث بعثا قال فقال عبد الرحمن بن عوف يا رسول الله ان عندى أربعة آلاف ألفين أقرضهما الله وألفين لعيالى قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت فقال رجل من الانصار وان عندى صاعين من تمر صاعا لربى وصاعا لعيالى قال فلمز المنافقون وقالوا ما أعطى ابن عوف هذا الا رياء وقالوا أولم يكن الله غنيا عن صاع هذا فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين الى آخر الآية حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الرحمن بن سعد قال أخبرنا أبو جعفر عن الربيع بن أنس فى قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات قال أصاب الناس جهد شديد فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدقوا فجاء عبد الرحمن

ومعنى (خلاف رسول الله) صلى الله عليه وسلم مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار وأقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على أنه مفعول له أى قعدوا لاجل خلافه أو على الحال مثل فأرسلها العراك أى مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف أى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الأمام (١٣٦) التى يقصدها الانسان يخالفها جهة الخلف (وكرهوا أن يجاهدوا) كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الايمان وداعى الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين أموالهم وأرواحهم فى الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم أن الفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب الا أنه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد أنه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستئناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهدار (قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) أن بعد هذه الدار دارا أخرى وبعد هذه الحياة حياة أخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكأنه صاحب الكشاف

مسرة أحقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم أنها شبه أنصاب

فكيف بأن تلقى مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة أحقاب

وفى هذا استجهال عظيم لهم ثم قال (فليضحكوا) وهو خبر الا أنه أخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا أى ضحكا قليلا أو زمانا قليلا وسيبكون كثيرا روى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح فى سائر الغزوات فقال (فان رجعك الله الى طائفة منهم) أى ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم أو اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة المخلفين من المنافقين (فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد غزوة تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا) عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الإثم وأمسكت

بأربعمائة أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك له فيما أمسك فقال المنافقون ما فعل عبد الرحمن هذا الا رياء وسمعة قال وجاء رجل بصاع من تمر فقال يا رسول الله آجرت نفسى بصاعين فانطلقت بصاع منهما الى أهلى وجئت بصاع من تمر فقال المنافقون ان الله غنى عن صاع هذا فأنزل الله هذه الآية والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآية وكان من المطوعين من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف تصدق بأربعة آلاف دينار وعاصم بن عدى أخو بنى عجلان وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة وحض عليها فقام عبد الرحمن بن عوف فتصدق بأربعة آلاف درهم وقام عاصم بن عدى فتصدق بمائة وسق من تمر فلمزوهما وقالوا ما هذا الا رياء وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف الاراشى حليف بنى عمرو بن عوف أتى بصاع من تمر فأفرغه فى الصدقة فتضاحكوا به وقالوا ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن سليمن عن أبى وائل عن أبى مسعود قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل قال أبو النعمان كنا نعمل قال فجاء رجل فتصدق بشئ كثير قال وجاء رجل فتصدق بصاع تمر فقالوا ان الله لغنى عن صاع هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا زيد بن حباب عن موسى بن عبيدة قال ثنى خالد بن يسار عن ابن أبى عقيل عن أبيه قال بت أجر الجرير على ظهرى على صاعين من تمر فانقلبت بأحدهما الى أهلى يتبلغون به وجئت بالآخر أتقرب به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال انثره فى الصدقة فسخر المنافقون منه وقالوا لقد كان الله غنيا عن صدقة هذا المسكين فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات الآيتين **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى السليل قال وقف على الحى رجل فقال ثنى أبى أو عمى فقال شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول من يتصدق اليوم بصدقة أشهد له بها عند الله يوم القيامة قال وعلى عمامة لى قال فنزعت لوثا أو لوثين لأتصدق بهما قال ثم أدركنى ما يدرك ابن آدم فعصبت بها رأسى قال فجاء رجل لا أرى بالبقيع رجلا أقصر قمة ولا أشد سوادا ولا أذم لعينى منه يقود ناقة لا أرى بالبقيع أحسن منها ولا أجمل منها قال أصدقة هى يا رسول الله قال نعم قال فدونكها فألقى بخطامها أو بزمامها قال فلمزه رجل جالس فقال والله انه ليتصدق بها ولهى خير منه فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو خير منك ومنها يقول ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال أخبرنى عبد الرحمن ابن عبد الله بن كعب بن مالك يقول الذى تصدق بصاع التمر فلمزه المنافقون أبو خيثمة الانصارى **حدثنى** المثنى قال ثنا محمد بن رجاء أبو سهل العبادانى قال ثنا عامر بن يساف اليمامى عن يحيى بن أبى كثير اليمامى قال جاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مالى ثمانية آلاف جئتك بأربعة آلاف فاجعلها فى سبيل الله

وأمسكت أربعة آلاف لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله فيما أعطيت وفيما أمسكت وجاء رجل آخر فقال يا رسول الله بت الليلة أجر الماء على صاعين فأما أحدهما فتركت لعيالي وأما الآخر فجئتك به أجعله في سبيل الله فقال بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال ناس من المنافقين والله ما أعطى عبد الرحمن الا رياء وسمعة ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع فلان فأنزل الله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات يعني عبد الرحمن بن عوف والذين لا يجدون الا جهدهم يعني صاحب الصاع فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال قال ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يجمعوا صدقاتهم واذا عبد الرحمن بن عوف قد جاء بأربعة آلاف فقال هذا مالي أقرضه الله وقد بقي لي مثله فقال له بورك لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فقال المنافقون ما أعطى الا رياء وما أعطى صاحب الصاع الا رياء ان كان الله ورسوله لغنيين عن هذا وما يصنع الله بصاع من شئ حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات الى قوله ولهم عذاب أليم قال أمر النبي عليه الصلاة والسلام المسلمين أن يتصدقوا فقام عمر بن الخطاب فألفى مالا وافرا فأخذ نصفه قال فجئت أحمل مالا كثيرا فقال له رجل من المنافقين ترائي يا عمر فقال عمر أرائي الله ورسوله وأما غيرهما فلا قال ورجل من الانصار لم يكن عنده شئ فآجر نفسه ليجر الجرير على رقبته بصاعين ليلته فترك صاعا لعياله وجاء بصاع يحمله فقال له بعض المنافقين ان الله ورسوله عن صاعك لغنيان فذلك قول الله تبارك وتعالى الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم هذا الانصاري فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم وقد بينا معنى اللمز في كلام العرب بشواهده وما فيه من اللغة والقراءة فيما مضى وأما قوله المطوعين فان معناه المتطوعين أدغمت التاء في الطاء فصارت طاء مشددة كما قيل ومن يطوع خيرا يعني يتطوع وأما الجهد فان للعرب فيه لغتين يقال أعطاني من جهده بضم الجيم وذلك فيما ذكر لغة أهل الحجاز ومن جهده بفتح الجيم وذلك لغة نجد وعلى الضم قراءة الامصار وذلك هو الاختيار عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه وأما أهل العلم بكلام العرب من رواة الشعر وأهل العربية فانهم يزعمون أنها مفتوحة ومضمومة بمعنى واحد وانما اختلاف ذلك لاختلاف اللغة فيه كما اختلفت لغاتهم في الوجد والوجد بالضم والفتح من وجدت وروى عن الشعبي في ذلك ما حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في القوت حدثنا ابن وكيع قال ثنا حفص عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي مثله * قال ثنا ابن ادريس عن عيسى بن المغيرة عن الشعبي قال الجهد في العمل والجهد في المعيشة

القول في تأويل قوله ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادع الله لهؤلاء المنافقين الذين وصف صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة أو لا تدع لهم بها وهذا كلام خرج مخرج الامر وتأويله الخبر ومعناه ان استغفرت لهم يا محمد أو لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم وقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم يقول ان تسأل لهم أن تستر عليهم ذنوبهم بالعفو منه لهم عنها وترك فضيحتهم بها فلن يستر الله عليهم ولن يعفو لهم عنها ولكنه يفضحهم بها على رؤس الاشهاد يوم القيامة ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله يقول جل ثناؤه هذا الفعل من الله بهم وهو ترك عفوه لهم عن ذنوبهم من أجل

والطرد وصلاحا الامر الجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني بأول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل أول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه أولها ونظيره هو أفضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو أفضلهم وانما لم يقل أولى مرة لان أكثر اللغتين هند أكبر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة (فاقعدوا مع الخالفين) كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي أنه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا أن الخالفين الذين أمروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس أنه لما

أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين يقول والله لا يوفق للايمان به وبرسوله من آثر الكفر به والخروج عن طاعته على الايمان به وبرسوله وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حين نزلت هذه الآية قال لأزيدنّ فى الاستغفار لهم على سبعين مرة رجاء منه أن يغفر الله لهم فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا عبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال لاصحابه لولا أنكم تنفقون على محمد وأصحابه لانفضوا من حوله وهو القائل لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل فانزل الله استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال النبى صلى الله عليه وسلم لأزيدنّ على السبعين وانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فأبى الله تبارك وتعالى أن يغفر لهم حدثنا ابن حميد وابن وكيع قالا ثنا جرير عن مغيرة عن شباك عن الشعبى قال دعا عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول النبى صلى الله عليه وسلم الى جنازة أبيه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال حباب بن عبد الله بن أبىّ فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ان الحباب هو الشيطان ثم قال النبى عليه السلام انه قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فانا أستغفر لهم سبعين وسبعين وسبعين وألبسه النبى صلى الله عليه وسلم قميصه وهو عرق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان تستغفر لهم سبعين مرة فقال النبى صلى الله عليه وسلم سأزيد على سبعين استغفارة فانزل الله فى السورة التى يذكر فيها المنافقون لن يغفر الله لهم عزما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله * قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد نحوه * قال ثنا الحسن قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن الشعبى قال لما ثقل عبد الله بن أبى انطلق ابنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان أبى قد احتضر فاحب أن تشهده وتصلى عليه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال الحباب بن عبد الله قال بل أنت عبد الله بن عبد الله بن أبى ان الحباب اسم شيطان قال فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عرق وصلى عليه فقيل له أتصلى عليه وهو منافق فقال ان الله قال ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولأستغفرن له سبعين وسبعين قال هشيم وأشك فى الثالثة حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله استغفر لهم أولا تستغفر لهم الى قوله القوم الفاسقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية أسمع ربى قد رخص لى فيهم فوالله لأستغفرن أكثر من سبعين مرة فلعل الله أن يغفر لهم فقال الله من شدة غضبه عليهم سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لا يهدى القوم الفاسقين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أستغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال نبى الله قد خيرنى ربى فلأزيدنهم على سبعين فانزل الله سواء عليهم أستغفرت لهم الآية حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما نزلت ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم لأزيدنّ على سبعين فقال الله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا

اشتكى عبد الله ابن أبىّ ابن سلول عاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب منه أن يصلى عليه اذا مات ويقوم على قبره ويعطيه قميصه الذى يلى جلده ليكفن فيه ففعل كل ذلك وعنه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفى عبد الله بن أبىّ دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره فقلت يارسول الله أعلى عدوّ الله عبد الله ابن أبى القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا أكثرت عليه قال أخر عنى ياعمر انى خيرت فاخترت قد قيل لى استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ولو أعلم انى ان زدت على السبعين غفر له لزدت

أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون) يقول تعالى ذكره فرح الذين خلفهم الله عن الغزو مع رسوله والمؤمنين به وجهاد أعدائه بمقعدهم خلاف رسول الله يقول بجلوسهم في منازلهم خلاف رسول الله يقول على الخلاف لرسول الله في جلوسه ومقعده وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالنفر الى جهاد أعداء الله فخالفوا أمره وجلسوا في منازلهم وقوله خلاف مصدر من قول القائل خالف فلان فلانا فهو يخالفه خلافا فلذلك جاء مصدره على تقدير فعال كما يقال قاتله فهو يقاتله قتالا ولو كان مصدرا من خلفه لكانت القراءة بمقعدهم خلف رسول الله لان مصدر خلفه خلف لا خلاف ولكنه على ما بينت من أنه مصدر خالف فقرئ خلاف رسول الله وهي القراءة التي عليها قراء الامصار وهي الصواب عندنا وقد تأول ذلك بعضهم بمعنى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشهد على ذلك بقول الشاعر

عقب الربيع خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

وذلك قريب لمعنى ما قلنا لانهم قعدوا بعده على الخلاف له وقوله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يقول تعالى ذكره وكره هؤلاء المخلفون أن يغزوا الكفار بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله يعني في دين الله الذي شرعه لعباده لينصروه ميلا الى الدعة والخفض وايثارا للراحة على التعب والمشقة وشحا بالمال أن ينفقوه في طاعة الله وقالوا لا تنفروا في الحر وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم استنفرهم الى هذه الغزوة وهي غزوة تبوك في حر شديد فقال المنافقون بعضهم لبعض لا تنفروا في الحر فقال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد نار جهنم التي أعدها الله لمن خالف أمره وعصى رسوله أشد حرا من هذا الحر الذي تتواصون بينكم أن لا تنفروا فيه يقول الذي هو أشد حرا أحرى أن يحذر ويتقى من الذي هو أقلهما أذى لو كانوا يفقهون يقول لو كان هؤلاء المنافقون يفقهون عن الله وعظه ويتدبرون آي كتابه ولكنهم لا يفقهون عن الله فهم يحذرون من الحر أقله مكروها وأخفه أذى ويوافقون أشده مكروها وأعظمه على من يصلاه بلاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى قوله يفقهون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا معه وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله قال من غزوة تبوك حدثني الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد الى تبوك فقال رجل من بني سلمة لا تنفروا في الحر فأنزل الله قل نار جهنم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر قول بعضهم لبعض حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأجمع السير الى تبوك على شدة الحر وجدب البلاد يقول الله جل ثناؤه وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا ۞ القول في تأويل قوله (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) يقول تعالى ذكره فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله فليضحكوا فرحين قليلا في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربهم فانهم سيبكون طويلا في جهنم مكان ضحكهم القليل

قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن أبي قال وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله ان كنت لارجو أن يسلم به ألف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من الرسول قميصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب أن يصلي عليه وذكر من أسباب

في الدنيا جزاء يقول ثوابا منا لهم على معصيتهم بتركهم النفر اذا استنفروا الى عدوهم وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله بما كانوا يكسبون يقول بما كانوا يجترحون من الذنوب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل عن أبي رزين فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال يقول الله تبارك وتعالى الدنيا قليل فليضحكوا فيها ما شاؤا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ويحيى قالا ثنا سفيان عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين في قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن أبي رزين أنه قال في هذه الآية فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال ليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا في النار كثيرا وقال في هذه الآية واذا لا تمتعون الا قليلا قال (١) أجلهم أحد هذين الحديثين رفعه الى ربيع بن خيثم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن فليضحكوا قليلا قال ليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في الآخرة في نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليضحكوا قليلا أي في الدنيا وليبكوا كثيرا أي في النار ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ذكر لنا أنه نودي عند ذلك أو قيل له لا تقنط عبادي حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن منصور عن أبي رزين عن الربيع بن خيثم فليضحكوا قليلا قال في الدنيا وليبكوا كثيرا قال في الآخرة * قال ثنا أبو معاوية عن اسمعيل بن سميع عن أبي رزين فليضحكوا قليلا قال في الدنيا فاذا صاروا الى الآخرة بكوا بكاء لا ينقطع فذلك الكثير حدثنا علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا قال هم المنافقون والكفار الذين اتخذوا دينهم هزوا ولعبا يقول الله تبارك وتعالى فليضحكوا قليلا في الدنيا وليبكوا كثيرا في النار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فليضحكوا في الدنيا قليلا وليبكوا يوم القيامة كثيرا وقال ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون حتى بلغ هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ۞ القول في تأويل قوله ﴿فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان ردك الله يا محمد الى طائفة من هؤلاء المنافقين من غزوتك هذه فاستأذنوك للخروج معك في أخرى غيرها فقل لهم لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود أول مرة وذلك عند خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى تبوك فاقعدوا مع الخالفين يقول فاقعدوا مع الذين قعدوا من المنافقين خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكم منهم فاقتدوا بهديهم واعملوا مثل الذي عملوا من معصية الله فان الله قد سخط عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا تنفر في الحر وذلك في غزوة تبوك فقال الله قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون فأمره الله بالخروج فتخلف عنه رجال فادركتهم نفوسهم فقالوا والله ما صنعنا شيأ فانطلق منهم ثلاثة فلحقوا برسول الله صلى الله

دفع القميص أن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أسيرا ببدر ولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها أن المشركين قالواله يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال ان لي في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى وأما السائل فلا تنهر ومنها أن ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول أكرمه لمكان ابنه ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله (مات) صفة لاحد (وابدا) ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تأبيد النفي (٢) ونفي التأبيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من أن يصلي على أحد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى

---

(١) أي أحد الحديثين في الآية هو الأجل والغرض من الحديثين القليل والكثير تأمل كتبه مصححه

(٢) عبارة الفخر وتأبيد المنفي وهي أوضح تأمل كتبه مصححه

عليه وسلم فلما أتوه تابوا ثم رجعوا الى المدينة فأنزل الله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله ولا تقم على قبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلك الذين تخلفوا فأنزل الله عذرهم لما تابوا فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الى قوله ان الله هو التواب الرحيم وقال انه بهم رؤف رحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان رجعك الله الى طائفة منهم الى قوله فاقعدوا مع الخالفين أى مع النساء ذكر لنا أنهم كانوا اثنى عشر رجلا من المنافقين فقيل فيهم ما قيل حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فاقعدوا مع الخالفين والخالفون الرجال * قال أبو جعفر والصواب من التأويل في قوله الخالفين ما قال ابن عباس فأما ما قال قتادة من أن ذلك النساء فقول لا معنى له لان العرب لا تجمع النساء اذا لم يكن معهن رجال بالياء والنون ولا بالواو والنون ولو كان معنيا بذلك النساء لقيل فاقعدوا مع الخوالف أو مع الخالفات ولكن معناه ما قلنا من أنه أريد به فاقعدوا مع مرضى الرجال وأهل زمانتهم والضعفاء منهم والنساء واذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر فان العرب تغلب الذكور على الاناث ولذلك قيل فاقعدوا مع الخالفين والمعنى ما ذكرنا ولو وجه معنى ذلك الى فاقعدوا مع أهل الفساد من قولهم خلف الرجل عن أهله يخلف خلوفا اذا فسد ومن قولهم هو خلف سوء كان مذهبا وأصله اذا أريد به هذا المعنى من قولهم خلف اللبن يخلف خلوفا اذا خبث من طول وضعه في السقاء حتى يفسد ومن قولهم خلف فم الصائم اذا تغيرت ريحه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تصل يا محمد على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبدا ولا تقم على قبره يقول ولا تتول دفنه وتقبره من قول القائل قام فلان بأمر فلان اذا كفاه أمره إنهم كفروا بالله يقول انهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الاسلام مفارقون أمر الله ونهيه وقد ذكر أن هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى وسفيان بن وكيع وسوار بن عبد الله قالوا ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله قال أخبرني نافع عن ابن عمر قال جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات أبوه فقال أعطني قميصك حتى أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له فأعطاه قميصه وقال اذا فرغتم فآذنوني فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر وقال أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين فقال بل خيرني وقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم قال فصلى عليه قال فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره قال فترك الصلاة عليهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن عبيد الله عن ابن عمر قال لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن سلول أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني ربي فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على سبعين فقال انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثنا يحيى بن سعيد عن مجالد قال ثنى عامر عن جابر بن عبد الله أن رأس المنافقين مات بالمدينة فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأن يكفن في قميصه فكفنه في قميصه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره

قوله (ولا تقم على قبره) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره و(انهم كفروا) تعليل للنهي ويرد عليه أن الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم وأجيب بأن العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان أما قوله (ولا تعجبك أموالهم

حدثني أحمد بن إسحق قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سلمة عن يزيد الرقاشي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن جابر قال جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي وقد أدخل حفرته فأخرجه فوضعه على ركبتيه وألبسه قميصه وتفل عليه من ريقه والله أعلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله أتصلي على عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا أعدد أيامه ورسول الله عليه السلام يتبسم حتى إذا أكثرت عليه قال أخر عني يا عمر إني خيرت فاخترت وقد قيل لي استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم فلو أني أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه قال أتعجب لي وجرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان ولا تصل على أحد منهم مات أبدا فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن إسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال لما مات عبد الله بن أبي أتى ابنه عبد الله بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله قميصه فأعطاه فكفن فيه أباه حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني عقيل عن ابن شهاب قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن أبي فذكر مثل حديث ابن حميد عن سلمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية قال بعث عبد الله بن أبي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه فنهاه عن ذلك عمر فأتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال نبي الله صلى الله عليه وسلم أهلكك حب اليهود قال فقال يا نبي الله إني لم أبعث إليك لتؤنبني ولكن بعثت إليك لتستغفر لي وسأله قميصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده ودلاه في قبره فأنزل الله تبارك وتعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كلم في ذلك فقال وما يغني عنه قميصي من الله أو ربي وصلاتي عليه وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي ابن سلول وهو مريض إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال له النبي صلى الله عليه وسلم أهلكك حب يهود قال يا رسول الله إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ولم أرسل إليك لتؤنبني ثم سأله عبد الله أن يعطيه قميصه أن يكفن فيه فأعطاه إياه وصلى عليه وقام على قبره فأنزل الله تعالى ذكره ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تعجبك يا محمد أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره من أجل كثرة ماله وولده فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات وتزهق أنفسهم يقول وليموت فتخرج نفسه

وأولادهم﴾ فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت ألفاظ فوجب علينا أن نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى أعلم بمراده إنما ذكر النهي ههنا بالواو وهنالك بالفاء لأنه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موتهم على حالة الفسق خلاف ما هنالك وإنما قال ههنا وأولادهم بدون لا لأن المراد هنالك الترقي من الأدون إلى الأعلى وهو أن إعجاب أولئك الأقوام بأولادهم فوق إعجابهم بأموالهم كقولك لا يعجبني أمر النائب ولا أمر المتوب وههنا أراد المعية فقط إما اكتفاء بما سبق هنالك وإما لأن هؤلاء أقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الأمرين وقيل إنه هنالك لما علق الثاني بالأول تعليق الجزاء

(٣) كذا في النيسابوري أيضا ولعله مصحف آثامه ورواية البخاري أعدد قوله فحرر كتبه مصححه

نفسه من جسده فيفارق ما أعطيته من المال والولد فيكون ذلك حسرة عليه عند موته ووبالا عليه حينئذ ووبالا عليه في الآخرة بموته جاحدا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان عن السدي وتزهق أنفسهم في الحياة الدنيا ۞ القول في تأويل قوله (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) يقول تعالى ذكره وإذا أنزل عليك يا محمد سورة من القرآن بأن يقال لهؤلاء المنافقين آمنوا بالله يقول صدقوا بالله وجاهدوا مع رسوله يقول اغزوا المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنك أولو الطول منهم يقول استأذنك ذوو الغنى والمال منهم في التخلف عنك والقعود في أهله وقالوا ذرنا يقول وقالوا لك دعنا نكن ممن يقعد في منزله مع ضعفاء الناس ومرضاهم ومن لا يقدر على الخروج معك في السفر * وبنحو الذي قلنا في معنى الطول قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله استأذنك أولو الطول قال يعني أهل الغنى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أولو الطول منهم يعني الأغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن إسحق وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم كان منهم عبد الله بن أبي والجد بن قيس فنعى الله ذلك عليهم ۞ القول في تأويل قوله (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) يقول تعالى ذكره رضي هؤلاء المنافقون الذين إذا قيل لهم آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أهل الغنى منهم في التخلف عن الغزو والخروج معك لقتال أعداء الله من المشركين أن يكونوا في منازلهم كالنساء اللواتي ليس عليهن فرض الجهاد فهن قعود في منازلهن وبيوتهن وطبع على قلوبهم يقول وختم الله على قلوب هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون عن الله مواعظه فيتعظون بها وقد بينا معنى الطبع وكيف الختم على القلب فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع * وبنحو الذي قلنا في معنى الخوالف قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال والخوالف هن النساء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعني النساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا حبويه أبو يزيد عن يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال النساء * قال ثنا المحاربي عن جويبر عن الضحاك مع الخوالف قال مع النساء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف أي مع النساء حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة والحسن رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قالا النساء حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رضوا بأن يكونوا مع الخوالف قال مع النساء ۞ القول في تأويل قوله (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون) يقول تعالى ذكره لم يجاهد هؤلاء المنافقون الذين اقتصصت قصصهم المشركين لكن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والذين صدقوا الله ورسوله معه هم الذين جاهدوا المشركين بأموالهم وأنفسهم فأنفقوا في جهادهم أموالهم وأتعبوا في قتالهم أنفسهم وبذلوها وأولئك يقول وللرسول وللذين آمنوا معه الذين جاهدوا

بالشرط أكد معنى النهي بتكرار لا وإنما قال ههنا أن يعذبهم لأنه إخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الإرادة بما هم فيه وهو العذاب وأما في الآية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدمر وقيل الفائدة فيه التنبيه على أن التعليل في أحكام الله محال وأنه أينما ورد حرف التعليل فمعناه أن وإنما حذف الحياة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على أن الحياة الدنيا لا تستحق أن تسمى حياة لخستها وأما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الأموال والأولاد لأنها جذابة للقلوب فتحتاج إلى صارف قوي ويحتمل أن تكون الأولى في قوم والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والأولى في المنافقين

بأموالهم وأنفسهم الخيرات وهى خيرات الآخرة وذلك نساؤها وجناتها ونعيمها واحدتها خيرة كما قال الشاعر

ولقد طعنت مجامع الربلات * ربلات هند خيرة الملكات

والخيرة من كل شئ الفاضلة وأولئك هم المفلحون يقول وأولئك هم المخلدون فى الجنات الباقون فيها الفائزون بها ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه جنات وهى البساتين تجرى من تحت أشجارها الانهار خالدين فيها يقول لابثين فيها لا عوتون فيها ولا يظعنون عنها ذلك الفوز العظيم يقول ذلك النجاء العظيم والحظ الجزيل ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم فى التخلف وقعد عن المجئ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه الذين كذبوا الله ورسوله وقالوا الكذب واعتذروا بالباطل فيهم يقول تعالى ذكره سيصيب الذين جحدوا توحيد الله ونبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم منهم عذاب أليم فان قال قائل فكيف قيل وجاء المعذرون وقد علمت أن المعذر فى كلام العرب انما هو الذى يعذر فى الامر فلا يبالغ فيه ولا يحكمه وليست هذه صفة هؤلاء وانما صفتهم أنهم كانوا قد اجتهدوا فى طلب ما ينهضون به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عدوهم وحرصوا على ذلك فلم يجدوا اليه السبيل فهم بأن يوصفوا بأنهم قد أعذروا أولى وأحق منهم بأن يوصفوا بأنهم عذروا اذا وصفوا بذلك فالصواب فى ذلك من القراءة ما قرأ ابن عباس وذلك ما حدثناه المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى حماد قال ثنا بشر بن عمار عن أبى روق عن الضحاك قال كان ابن عباس يقرأ وجاء المعذرون مخففة ويقول هم أهل العذر مع موافقة مجاهد اياه وغيره عليه قيل ان معنى ذلك على غير ما ذهبت اليه وان معناه وجاء المعتذرون من الاعراب ولكن التاء لما جاورت الذال أدغمت فيها فصيرتا ذالا مشددة لتقارب مخرج احداهما من الاخرى كما قيل يذكرون فى يتذكرون ويذكر فى يتذكر وخرجت العين من المعذرين الى الفتح لان حركة التاء من المعتذرين وهى الفتحة نقلت اليها فحركت بما كانت به محركة والعرب قد توجه فى معنى الاعتذار الى الاعذار فتقول قد اعتذر فلان فى كذا يعنى أعذر ومن ذلك قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فقال فقد اعتذر بمعنى فقد أعذر على أن أهل التأويل قد اختلفوا فى صفة هؤلاء القوم الذين وصفهم الله بأنهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم معذرين فقال بعضهم كانوا كاذبين فى اعتذارهم فلم يعذرهم الله ذكر من قال ذلك حدثنى أبو عبيدة عبد الوارث بن عبد الصمد قال ثنى أبى عن الحسين قال كان قتادة يقرأ وجاء المعذرون من الأعراب قال اعتذروا بالكذب حدثنى الحرث قال ثنا عبد العزيز قال ثنا يحيى بن زكريا عن ابن جريج عن مجاهد وجاء المعذرون من الاعراب قال نفر من بنى غفار جاؤا فاعتذروا فلم يعذرهم الله فقد أخبر من ذكرنا من هؤلاء أن هؤلاء القوم انما كانوا أهل اعتذار بالباطل لا بالحق فغير جائز أن يوصفوا بالاعذار الا أن يوصفوا بأنهم أعذروا فى الاعتذار بالباطل فأما بالحق على ما قاله من حكينا قوله من هؤلاء فغير جائز أن يوصفوا به وقد كان بعضهم يقول انما جاؤا معذرين غير جادين يعرضون ما لا يريدون فعله فمن وجهه الى هذا التأويل فلا كلفة فى ذلك غير أنى لا أعلم أحدا من أهل العلم بتأويل القرآن وجه تأويله الى ذلك فاستحبوا القول به وبعد فان الذى عليه من القراءة قراء الامصار التشديد فى الذال أعنى من

ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال (واذا أنزلت سورة) أى بتمامها ويجوز أن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (أن آمنوا) أن هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بأن آمنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان (أولوا الطول) ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولا قاله ابن عباس والحسن وقال الأصم الرؤساء والكبراء المنظور اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم ألزم اذ لا عذر لهم فى القعود (مع القاعدين) مع أصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتى تخلفن فى البيت وجوز بعضهم أن

قوله المعذرون فني ذلك دليل على صحة تأويل من تأوله بمعنى الاعتذار لان القوم الذين وصفوا بذلك لم يكلفوا أمر اعذر وافيه وانما كانوا فرقتين اما مجتهد طائع واما منافق فاسق لامر الله مخالف فليس في الفريقين موصوف بالتعذير في الشخوص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هو معذر مبالغ أو معتذر فاذ كان ذلك كذلك وكانت الحجة من القراء مجمعة على تشـديد الذال من المعذرين علم أن معناه ما وصـفناه من التأويل وقد ذكر عن مجاهد في ذلك موافقة ابن عباس حدثني المثنى قال أخـبرنا اسحق قال ثنا عبـدالله بن الزبير عن ابن عيينة عن حميد قال قرأ مجاهـد وجاء المعذرون مخففة وقال هم أهل العذر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال كان المعـذرون (١)

القول في تأويل قوله ﴿ليس على الضـعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله و رسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم﴾ يقول تعـالى ذكره ليس على أهـل الزمانة وأهل العجز عن السفر والغزو ولا على المرضى ولا على من لا يجد نفقة يتبلغ بها الى مغزاه حرج وهو الاثم يقول ليس عليهم اثم اذا نصحوا لله ولرسوله في مغيبهم عن الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على المحسـنين من سبيل يقول ليس على من أحسن فنصح لله و رسوله في تخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجهاد معه لعذر يعذر به طريق يتطرق عليـه فيعاقب من قبله والله غفور رحيم يقول والله ساتر على ذنوب المحسنين يتغمدها بعفوه لهم عنها رحيم بهم أن يعاقبهم عليها وذكر أن هذه الآية نزلت في عائذ بن عمرو المزني وقال بعضهم في عبدالله بن مغفل ذكر من قال نزلت في عائذ بن عمرو حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجـدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله و رسوله نزلت في عائذ بن عمرو ذكر من قال نزلت في ابن مغفل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاءته عصابة من أصحابه فيهـم عبـدالله بن مغفل المزني فقالوا يا رسول الله احملنا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما أجد ما أحملكم عليه فتولوا ولهم بكاء وعز عليهـم أن يجلسوا عن الجهاد ولا يجدون نفقة ولا محملا فلما رأى الله حرصهم على محبته ومحبة رسوله أنزل عذرهـم في كتابه فقال ليس على الضـعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجـدون ما ينفقون حرج الى قوله فهـم لا يعلمون

القول في تأويـل قوله ﴿ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجـد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجـدوا ما ينفقون﴾ يقول تعـالى ذكره ولا سبيل أيضـا على النفر الذين اذا ما جاؤك لتحملهم يسألونك الحـملان ليبلغوا الى مغزاهم لجهاد أعداء الله معك يا محمد قلت لهم لا أجد حمولة أحملكم عليها تولوا يقول أدبروا عنك وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهم يبكون من حزن على أنهـم لا يجدون ما ينفقون و يتحملون به للجهاد في سبيل الله * وذكر بعضهم أن هـذه الآية نزلت في نفر من مزينة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجـد ما أحملكم عليه قال هم من مزينة حدثني المثنى قال أخـبرنا اسحق قال ثنا عبـدالله عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا على

---

(١) بياض بالاصل والذي ذكره السيوطي في الدر وابن كثير في تفسيره عن ابن اسحق أنهم نفر من بني غفار منهم خفاف بن ايماء بن رحضة فتنبه كتبه مصححه

يكون الخـوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقـين تشـبيههم بالخـوالف ثم قال (وطبع على قلوبهم) كقوله ختم الله على قلوبهم وقدم البحث فيه وقال الحسن الطبع بـلوغ القلب في الكفر الى حد كأنه مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التأثير في الطـين ونحوه ومنه الطبـع للسجية التي جبل عليها الانسان (فهم لا يفقهون) أسرار حكمـة الله في الجهاد أو في الذهـاب من السـعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله (لكن الرسول) نكتة هي أنه ان تخلف هؤلاء فقد أنهض الى الغزو من هو خير منهم وأصدق نيـة كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقـد وكلنا بها قـوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهـاد على الاجمـال فقال (وأولئك لهم الخيرات) وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله (وأولئك هم المفلحون)

الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن ابن جريج قراءة عن مجاهد فى قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون قال هم بنو مقرن من مزينة حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قال هم بنو مقرن من مزينة * قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية عن عروة عن ابن مغفل المزنى وكان أحد النفر الذين أنزلت فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثنى المثنى قال أخبرنا اسحق قال ثنا عبدالله بن الزبير عن ابن عيينة عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا قال منهم ابن مقرن * وقال سفيان قال الناس منهم عرباض ابن سارية * وقال آخرون بل نزلت فى عرباض بن سارية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا أبو عاصم عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبدالرحمن بن عمرو السلمى وحجر بن حجر الكلاعى قالا دخلنا على عرباض بن سارية وهو الذى أنزل فيه ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية حدثنى المثنى قال ثنا سليمن بن عبدالرحمن قال ثنا الوليد قال ثنا ثور عن خالد عن عبدالرحمن بن عمرو وحجر بن حجر بنحوه * وقال آخرون بل نزلت فى نفر سبعة من قبائل شتى ذكر من قال ذلك حدثنى الحرث قال ثنا عبدالعزيز قال ثنا أبو معشر عن محمد بن كعب وغيره قال جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال لا أجد ما أحملكم عليه فأنزل الله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية قال هم سبعة نفر من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير ومن بنى واقف حرمى بن عمرو ومن بنى مازن ابن النجار عبدالرحمن بن كعب يكنى أبا ليلى ومن بنى المعلى سلمان ابن صخر ومن بنى حارثة عبدالرحمن بن زيد أبو عبلة وهو الذى تصدق بعرضه فقبله الله منه ومن بنى سلمة عمرو بن غنمة وعبدالله بن عمرو المزنى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الى قوله حزنا وهم البكاؤن كانوا سبعة

والله أعلم

﴿ تم الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الحادى عشر أوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انما السبيل الآية ﴾

المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما أجمل فقال (أعد الله) الآية وقيل الخيرات الفلاح فى الدنيا وهذه فى الآخرة و (الفوز العظيم) عبارة عن كون تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية ﴿ التأويل انما لم يؤثر استغفار الرسول فى حقهم لقصور فى القابل لا لتقصير فى الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستور والقلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعى العبودية نالوا خيرات الربوبية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك الفوز العظيم اذ لا حجاب أعظم من حجاب النفس والله أعلم

تم الجزء العاشر من تفسير النيسابورى ويليه الجزء الحادى عشر وأوله (وجاء المعذرون الآية)

﴿فهرست الجزء العاشر من تفسير الامام ابن جرير الطبري﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	بيان معنى الغنيمة والفيء وبيان المصرف للغنيمة وذكر الخلاف في ذلك	٧٠	ذكر قصة حنين وتعيين المكان
٩	بيان أن التقاء المشركين بالمؤمنين في بدر كان على غير ميعاد	٧٤	ذكر السبب في تسمية المشركين نجسا
١٠	ذكر ما جعله الله من الاسباب لنصر المؤمنين ببدر	٧٨	ذكر من قال من اليهود في عزير انه ابن الله والسبب في اعتقادهم فيه
١٢	ذكر أن ما أصاب المؤمنين من الفشل يوم أحد كان بأسباب المنازعة	٨٠	بيان معنى اتخاذ اليهود والنصارى أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله
١٤	ذكر ما صنعه ابليس يوم بدر من تصوره بصورة سراقة بن مالك وفراره	٨٣	بيان الخلاف في معنى الكنز الذي ورد فيه الوعيد
١٩	ذكر ما يجوز به فسخ المعاهدة التي بين المسلمين وغيرهم	٨٨	بيان المراد بالأشهر الحرم ومعنى ظلم النفس فيهن
٢١	بيان معنى القوة التي أمر الله باعدادها للعدو	٩١	بيان معنى النسيء وما كانت العرب تفعله في حجها
٢٧	بيان ما يجب على المؤمنين من مصابرتهم لمثليهم من العدو	٩٥	ذكر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار لما أراد الخروج الى الهجرة
٣٠	بيان ما عاتب الله به المؤمنين على أخذهم الفداء من المشركين يوم بدر	٩٩	ذكر طرف من غزوة تبوك وبيان ما فعله المنافقون بها
٣٥	بيان ما وعد الله به الأسرى من الغفران والخير إن علم في قلوبهم الايمان وتمام ذلك لبعضهم	١٠٨	بيان ما لمز به المنافقون رسول الله في أمر الصدقة
٣٧	بيان ما كان بين المهاجرين والأنصار من التوارث	١١٠	بيان أصناف مصرف الصدقة وذكر الخلاف بين الأئمة في بعضها
٤١	﴿تفسير سورة التوبة﴾	١١٧	بيان ما كان المنافقون يقولونه في شأن النبي ويسرونه ففضحهم الله به
٤٥	بيان الصواب في الأجل الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين	١٢٦	بيان الخلاف في معنى الجهاد المأمور به في حق المنافقين
٤٧	ذكر تولية أبي بكر للحج بالناس وارسال علي لقطع العلائق بين رسول الله والمشركين	١٣٠	ذكر قصة ثعلبة بن أبي حاطب الذي دعا له رسول الله بالغنى
٥٤	بيان الخلاف في يوم الحج الأكبر والسبب في هذه التسمية	١٣٤	ذكر ما كان أهل اليسار وذو الفاقة يتصدقون به وعيب المنافقين لهم
٥٨	بيان القبائل التي كان لهم عهد عند المسجد الحرام ومن نقض منهم ذلك	١٣٨	ذكر ما كان عليه النبي من الرحمة حتى بأهل النفاق وارادته الاستغفار لهم
٦٣	بيان ما فعلته قريش من نقض العهد بقتالهم خزاعة حلفاء رسول الله	١٤١	بيان منعه عليه الصلاة والسلام من الصلاة على المنافقين وما تم له مع عبد الله بن أبي
٦٧	بيان ما أبطله الله من افتخار المشركين بسقاية الحاج وغيرها	١٤٥	بيان من عذرهم الله في عدم الخروج للجهاد

﴿تم فهرست الجزء العاشر من تفسير ابن جرير الطبري﴾

﴿فهرست الجزء العاشر من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش الجزء العاشر من تفسير ابن جرير﴾

صحيفة		صحيفة	
٢	تفسير قوله واعلموا أنما غنمتم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٦٦	بيان مقدار الجزية وعلى من تجب
٦	بيان أن أفعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات	٦٨	بيان دعوى اليهود فى عزير أنه ابن الله
٨	بيان معنى الشكر والبطر والرياء	٦٩	ذكر السبب فى تفرق أمم النصارى فى الاعتقاد
١٠	تأويل تلك الآيات	٧٣	بيان تهالك أهل الناقوس على الدنيا
١٢	تفسير قوله ولو ترى اذ يتوفى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٧٨	بيان أن الامور الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية
١٦	بيان أن آثار نقض العهد اما أن تكون محتملة واما أن تكون قطعية وأحكام ذلك	٨١	بيان السنة الشمسية والقمرية
١٨	بيان أن حرب المشركين ليس بحتم وكذا الهدنة والمدار على ما يراه الامام مصلحة	٨٣	تأويل تلك الآيات
٢١	ذكر سرية حمزة وسرية عبد الله بن أنيس رضى الله عنهما	٨٤	تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا ما لكم الآيات والقراآت والوقوف فيها
٢٢	تأويل تلك الآيات	٨٧	ذكر خروج رسول الله الى الغار
٢٤	تفسير قوله ما كان لنبى أن يكون له أسرى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	٩١	ذكر دليل من رأى أنه لا يجوز التخلف عن الغزو
٢٧	ذكر ما من الله به على العباس تحقيقا لآية ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا	٩٥	بيان ما ذهبت اليه الأشاعرة فى كراهة الله الشئ وما ورد عليه
٢٩	بيان أن التوارث كان بالهجرة والنصرة	١٠٠	تفسير قوله ان تصبك حسنة الآيات والقراآت والوقوف فيها
٣١	تأويل تلك الآيات	١٠٤	بيان ما فى الشح من المضار الدينية
٣٤	﴿تفسير سورة التوبة﴾	١٠٧	تأويل تلك الآيات
٣٧	ذكر ما استدل به الامامية على تفضيل على والجواب عنه	١٠٧	تفسير قوله انما الصدقات الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٤١	ذكر ما استدل به الشافعى على قتل تارك الصلاة	١٠٩	بيان الخلاف فى المسكين والفقير وبيان أصناف أهل الزكاة
٤٦	ذكر ما استدل به الامام أبو حنيفة على أن يمين الكافر ليس بيمين	١١٢	بيان أحكام تتعلق بتلك الآيات
٤٩	تأويل تلك الآيات	١١٨	بيان ما قاله المنافقون فى غزوة تبوك
٥١	تفسير قوله ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٢١	تأويل تلك الآيات
٥٩	ذكر غزوة حنين	١٢٢	تفسير قوله ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها
٦٢	تأويل تلك الآيات	١٢٨	ذكر خبر ثعلبة بن حاطب
٦٣	تفسير قوله قاتلوا الذين لا يؤمنون الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها	١٣٠	بيان أن ترك الأوامر يوجب النفاق وما لأهل السنة والمعتزلة من الخلاف فى ذلك
		١٣٤	تفسير قوله استغفر لهم الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها

﴿تم فهرست الجزء العاشر من النيسابورى﴾

Bibliotheca Alexadrina
0235918